



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

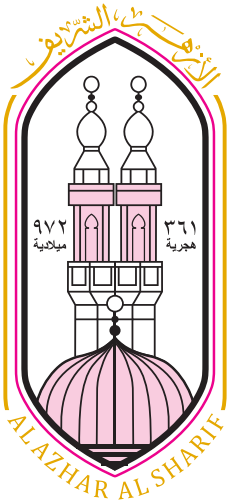
٨٩

المجلد السابع والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٥هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي غفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٩٢٦٣٨ - ٥٤٧٣٩٠

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

الهجرة فواتح خير

والهجرة من فواتح الخير على المسلمين ، وَرَوْحٌ يفوحُ بعزتهم - على ما هم عليه - إلى يوم الدين .

لقد وجبت الهجرة - يوم وَجَبَتْ - ووجب معها أمران : جهاد لمن حارب الدين ، ونية الخير في كل عمل .

وجبت الهجرة على مسلمي مكة صوناً لدينهم من عبث المستهزئين ، وحفظاً لذواتهم من غشم المتكبرين ، واستجماعاً لقوة تصد عدوان المعتدين .

كانت الهجرة - حين وجبت - تعني مفارقة دار الكفر إذ ذاك ، وقد اختار المولى - سبحانه وتعالى - لها بحكمته وعلمه - صفوة خلقه ، وأوجب عليهم أحكاماً خصهم بها ، عرفت باسم : « أحكام المهاجرين » .

منها : وجوب أن تتجه هجرتهم إلى المدينة بذاتها حتى يتم لهم استجماع قوتهم لنصرة الدين ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومواساته .

ومنها : حُرْمة استيطانهم مكة ، فصارت مكة حراماً على من هاجر منها أن يستوطنها ، ذلك أنهم قد تركوها لله ـ رب العالمين ، ولولا أن بها البيت الحرام لمنعوا ـ أيضاً ـ من دخولها ، لذا لم يسمح لهم ـ إذا هم دخلوها لحج أو عمرة ـ أن يقيموا بها أكثر من ثلاثة أيام ، ولِلْعَلاء الحضرمى الصحابى الجليل حديث واحد رواه الإمام البخارى ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ثَلاَثٌ للمهاجر بعد الصَّدَر » .

أى بعد أن يقضى نسكه .. إلخ ما هناك من أحكام .

حتى إذا فتحت مكة فى العام الثامن ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » رواه البخارى .

قال الإمام الخطابى ـ رحمه الله :

« كانت الهجرة فرضا فى أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح اللهُ مكة دخل الناس فى دين الله أفواجاً فَسَقَطَ فرضُ الهجرة إلى المدينة وبقى فرض الجهاد ، والنية على من قام به ، أو نزل به عدو » ا.هـ فتح البارى ٦/٢٨ ، ٢٩ .

وليس يعنى أنه « لا هجرة بعد الفتح » أن ثواب الله ـ عز وجل ـ محذور على من آمن من بعد الفتح ، كلا : فلا زال لهذا الدين جُنْدٌ من أتباعه ، يدعون إليه ، ويذودون عنه ، ويثابون ـ بنياتهم ـ على ما يفعلون :

أسلم صفوان بن أمية بن خلف عام الفتح ، فقيل له : هَلَكَ مَنْ لم يهاجر !!! ، قال : « فقلت : لا أصل إلى أهلى حتى آتِىَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فركبت راحلتى ، فأتيتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يا رسول الله ، زعموا أنه هلك من لم يهاجر !!! ، قال :

كلا ، أبا وَهْب ، فارجع إلى أباطح مكة . » مسند أحمد ٣/٤٠١ ـ ٦/٤٦٥ .

إن الذين هاجروا حملوا أعباء ثقالاً رَضُوا بها وَأَدَّوْا أمانتها ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ولقد تَشَوَّفَ إلى الهجرة رجال شاء الله ـ تعالى ـ أن يخفف عنهم فلم تلزمهم :

« روى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه :

أن أعرابياً سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الهجرة ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : وَيْحَك ، إن شأنها شديد ، فهل لك من إبل .. ؟ قال : نعم ، قال : فتعطى صدقتها ؟ قال : نعم ، قال : فهل تمنح منها ؟ قال : نعم ، قال : فتحلبها يوم ورودها .. ؟ قال : نعم . قال : فاعمل من وراء البحار ، فإن اللهَ لن يَتِرَكَ من عملك شيئاً » رواه البخارى .

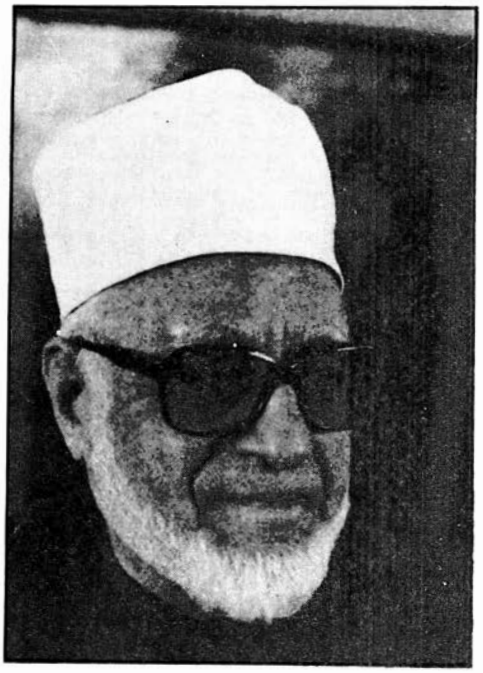
لقد استبان لنا مما تقدم كيف أن شأن الهجرة شديد وواجباتها ثقال .

وفى هذا الحديث بيان دال على أن استقرار المسلم بوطنه ملتزماً أداء حق الله ـ تعالى ـ فيما أولاه من مال .. كُلُّ ذلك يعادل ثواب الهجرة . ولمثلها فليعمل العاملون .. والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمـــام الأكبـــر

ليلة الهجرة



تخطيا للعقبات وتخطيطا للنصر

بقلم فضيلة الشيخ
جـاد الحق على جادالحق شـيخ الأزهـر

هؤلاء أهل مكة يتوعدون رسول الله ﷺ ويتواعدون على الغدر به ، دبروا أمرهم بليل ، وأجمعوا على أن يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يثأر له قومه ؛ إذ لا طاقة لهم بحرب كل قريش .

عقبات ومطاردات من رعيل استبدت به الوثنية ، درجوا على الجهالة والعصبية ، وفشت بينهم الأنانية ، وقست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، لاتلين لذكر أو تبصير .

كانت الهجرة

استبدت بهم الأهواء وتنازعتهم الموبقات ، فانغلقت أفئدتهم على الظلام ، فلم تتفتح مغاليقها لنور الإيمان الذى انبعث بينهم ، يذكرهم بأيام الله ، وحكمه وفضله وأنعمه عليهم ، ولكنهم أصموا آذانهم واستكبروا استكبارا ، وقالوا من أشد منا قوة ، وغاب عنهم أن الله الذى خلقهم أقوى وأعز .

تلك عقبات وصد عن سبيل الله قامت فى سبيل إبلاغ الرسالة واستشرت بأساليبها فى الكيد والصد والإيذاء ، لكن الرسول لم ييأس حين صد عنه قومه وآذوه فيمن اتبعه ، فعذبوهم ، واضطروهم إلى شعاب مكة ، وإلى الهجرة إلى الحبشة ، فما وهنوا لما أصابهم وماضعفوا وما استكانوا ولكن صبروا وصابروا ، فقد اطمأنت قلوبهم بالإيمان ، فما أحسوا وجعا من إيذاء وما ابتأسوا من حرمان ، بل كان شعارهم عند الشدائد « إن رحمة الله قريب من المحسنين » فأحسنوا الثقة بالله والإقبال على ماعنده .

وعندما استبد بأولئك القوم ضلالهم ، وأحكموا تدبيرهم كان أمر الله لرسوله بالهجرة إلى القوم الذين آمنوا به ، وصدقوا ماعاهدوا الله عليه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ بمكة فامر بالهجرة إلى المدينة وأنزل الله عليه : وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا .

لقد كان النبى ﷺ يعلم أنه لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل الله — كما علمه — سلطانا نصيرا فأعطاه إياه .

وكانت المدينة هى المدخل الصدق لرسول الله ، أيده الله فيها بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة ، ووحد كلمتهم بعد الفرقة ، وجعلهم أمناء على الوحى الكريم ، يبلغونه للناس ، فكانوا أوفياء لدينهم ، أمناء على أحكامه ، قائمين بالعدل الذى ارتضاه الله حكما بين الناس .

كانت الهجرة تحولا بالدعوة من أرض أجدبت إلى أرض أخصبت وأثمرت وأفرخت ، ولم تكن الهجرة فكرة عابرة ، وإنما .. ومن حين أمر بها — فكر لها رسول الله وقدّر فهى هجرة إلى النصر ، وللنصر عدته وعتاده وسره وأسراره ، ولابد للوصول إلى النصر من تخطيط وتنفيذ وبهذا لم تكن الهجرة مغامرة ومقامرة أو مخاطرة ، ولكنها فى التخطيط البشرى مرتبة ، وبعون الله وبعنايته محفوظة وميسرة .

أطلع الله نبيه على كيد أعدائه ، وعلى أنهم قد دبروا أمرا إدًّا فهؤلاء فتية قد أعدوهم وأمدوهم ، وقفوا على باب دار الرسول مجمعين أمرهم على قتله ، انصياعا لرغبة كبرائهم ، فكانت الخطة أن يظلوا على غيهم ، مطمئنين إلى أن أسيرهم أو قتيلهم بين أيديهم وتحت أعينهم وبأيمانهم .

وكان التخطيط الذى أفسد الله به خطتهم ، فأعمى أبصارهم ، كما عميت قلوبهم ، حيث

كانت الهجرة

أقدم على بن أبى طالب على المبيت فى فراش الرسول تحت أبصارهم ، حتى يتلهوا به عن متابعة الرسول عند خروجه بادئا رحلته التى أمره الله بها ، وخرج على القوم والسيوف مشرعة ولكن عناية الله ونصره وعصمته لرسوله كانت تحوطه وترعاه : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون »

كان الخروج من دار الرسول إلى غار ثور ، تحرسه عناية من الله ورحمة من أولئك الذين فحئوا بخروجه من داره سالما ، وهم له رصدٌ فهرولوا متوعدين ، باذلين الجوائز لمن يلحق به ، يطلبونه بأى ثمن والرسول يتابع تنفيذ خطة الهجرة ، ويبوء أعداؤه بالخسران المبين .

ها هو ذا عَلِيٌّ فى مرقده حفيظ على ما اؤتمن عليه من سر ، مُؤَدّ لما كان فى دار الرسول من أمانات إلى أهلها ، غير ناكث ولا خائن للأمانة ، وها هو ذا صاحبه وأول الرجال إسلاما — أبو بكر — يرافقه فى هجرته لم يقعده مال ولا ولد ، بل إن ولديه عبدالله وأسماء كان لهما فى خطة الهجرة دور أى دور ، ينبغى أن نعلمه لأولادنا ، ونتدارسه معهم ليكونوا على ذكر به حين يكلفون بمهام ذات خطر لحماية الدين والوطن .

فماذا كانت مهمة عبدالله بن أبى بكر فى الخطة ؟ وكيف أداها بإيمان وحرص وإخلاص ، لم يفصح بلسانه ولا بفعاله عما وقر فى قلبه من أسرار بالرغم من رؤيته لفرسان قريش مقبلين ومدبرين ، كانت مهمته أن يجمع أنباء تحركات القوم ومكرهم وعبثهم ، ويفد بها على رسول الله وصاحبه حتى يكونا على علم بما يبيت لهما من مكر وسوء تدبير .

وماذا كانت مهمة عامر بن فهيرة الذى كان يرعى غنم أبى بكر ؟ حتى إذا جن الليل ، وهدأ السير ، واحتبست القوم بيوتهم ومغانيهم ، وربما بغصاؤهم ، وانحسرت أصواتهم عن بطحاء مكة وشعابها ، حتى إذا كان ذلك آب عامر بغنمه على رسول الله وصاحبه فى غار ثور ، فاحتلب لهما وذبح لطعامهما ثم أدبر فأذهب بمسيرها آثار أقدام عبدالله بن أبى بكر ؛ حتى لا يستدل القوم على مسيرته فيسترشدوا بها إلى مقر الرسول وصاحبه .

وها هى أسماء بنت أبى بكر تأتيهما كل يوم من الطعام إذا أمست بما يصلحهما — حتى إذا مضت الليالى الثلاث أتتهما بسفرتهما ، وحين أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها فعلقت السفرة بواحد وتمنطقت بالآخر .

ثم ذلك الذى قاد الرحلة — عبدالله بن أريقط — وهو بَعْدُ لم يدخل فى الإسلام ، وكيف أخفى فى صدره نبأها وتخطيطها .

لقد أوسعت كتب السيرة من صحفها لأنباء الهجرة وسيرتها ، وعلينا نحن أن نستفيد ونستخلص من أحداثها الدروس التى تفيدنا فى حاضرنا الذى تعثرت خطواته ، وتوالت علينا — والعياذ بالله — ظلماته ولا نجاة لنا إلا بالعودة إلى قرآن ربنا ففيه الهدى والرشاد ، وإلى سنة رسولنا ﷺ ففيها كل ما يصلح أحوالنا إلى يوم التناد .

خذوا أيها المسلمون من هجرة الرسول ﷺ الصبر والمصابرة والمثابرة حتى تصلوا إلى نتائج

كانت الهجرة

ما خططتم من إصلاح تبتغون به صلاح أمتكم ، ولا تهنوا ، ولا تتعجلوا ثمرا لمَّا تزرعوا شجره .

خذوا من الهجرة درسا فى تحديد أدوائكم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فما كانت الهجرة مجرد ارتحال من بلد إلى آخر ، وإنما مواجهة مدروسة ذات خط وخطط وأهداف محددة ، نجحت ووصلت إلى غايتها بالإعداد والاستعداد .

اشترك فيها الرجال والصبيان والبنات ، وحمل كل منهم مسئولية دوره ، فما أرجفوا بقول ، وما أفصحوا بإشارة ، ومارضخوا لتهديد أو وعيد بالرغم من حداثة أعمار أكثر المشتركين فى الخطة وتعرضهم لمحن الاختبار من أعداء الرسول ، ولكن هذه المحن كانت جلاء لأنفسهم ، وتثبيتا لإيمانهم ومضاء لعزائمهم فما وهنوا لما أصابهم وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .

هذه ذكرى الهجرة ، فهل لنا أن نخطط كما خطط رسول الله فنهاجر إلى ما هو خير ، أليست الفرقة والمنازعات التى عمت الوطن الإسلامى منكرا يجب هجره ؟ أليست الحروب المستعرة هنا وهناك بين المسلمين ، وضد المسلمين أمرا منهيا عنه يجب على أولى الأمر فى الأمة هجره بالعمل على وقفها حقنا لدماء المسلمين وصونا لأموالهم ؟.

أليست الظروف الاقتصادية التى تمر بالمسلمين فى كل مكان من أرض الإسلام داعية لأن نخطط للتغلب عليها ، لا بالاستدانة والقروض ، وإنما بالاستغناء بعض الوقت عَمَّا لَيْسَ من ضرورات الحياة ؟.

إن الهجرة النبوية أقامت مجتمعا رشيدا أشاع العدل وواجه الشرور بالحسم والحزم ، مجتمعا قام على الدين واستمسك به ، فعز شأنه وعلا قدره ، إذ الأمة إذا ضعف فيها الدين ، اختل بناؤها الاجتماعى ؛ ذلك أن الدين هو استقامة الخلق والآداب والسلوك .

فى ذكرى الهجرة التى مجدها الله فى القرآن أهنىء المسلمين بدخول عام هجرى جديد .

أسأل الله أن يجعل هلاله ضوء هداية للأمة ، فتجتمع كلمتها وتتوحد صفوفها .

تهنئة لشعوب الأمة الإسلامية عامة ، وللوكها ورؤسائها وسائر قادتها ، مذكرا لهم بمسئوليتهم أمام الله وفى سجل التاريخ عما آلت إليه الحال مما يضيق به المقال .

اللهم إن الملأ يأتمرون بهذه الأمة ، وهى حافظة لكتابك ، متابعة لرسولك وسنته ، فاحفظ عليها دينها واهدها إلى رشدها ، واربط على قلوب شعوبها برباطك حتى يكونوا مسلمين عاملين بكتابك ، وانزع البغضاء والأحقاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حتى يفيئوا إلى أمرك وينزلوا عند قولك :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

سورة آل عمران

فتوى للإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى بيـــــان

واجبات الآباء والأمهات المقيمين بأولادهم فى لندن أو غيرها نحو حمايتهم ووقايتهم من تعلم ديانة أخرى غير الإسلام فى المدارس

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب باللغة الإنجليزية من السيد / يوسف إسلام وعنوانه ٢ شارع دبخزويل ـ لندن ـ وفيه يقول ما ترجمته إلى اللغة العربية :

بعد التحية نحن فى أمس الحاجة للفتوى حول الموضوعات الآتية :

١ ـ هل من المسموح والمقبول لأطفال المسلمين حضور الدراسة فى مدارس الدولة الرسمية عندما تتغير المناهج وتفرض عليهم ، حيث سيتم إجبار كل الأطفال على تعلم ٥٠٪ من التعاليم المسيحية فى دروسهم الدينية ؟ وحتى الآن فقد تعلم الأطفال بعض المعلومات حول المعتقدات الإيمانية المختلفة متضمناً ذلك المسيحية والإسلام .

٢ ـ هل من المسموح والمقبول لهؤلاء الأطفال والأبناء أن يستمروا فى حضورهم الدروس الدينية ، عندما يصبح معروفاً أن هذه الدروس ستعلمهم أشياء حول المعتقدات الأخرى بعيداً عن التوحيد الخالص لله ـ مثل الشرك ؟

هناك ترخيص وسماح لأولياء الأمور أن يسحبوا أولادهم من حضور أية دروس دينية . ولكن المشكلة أن كثيرين منهم لا يتفهم أهمية استخدام هذا السماح .

إن هذا الموضوع ملح للغاية ومن هنا يطلب من فضيلتكم سرعة الرد إن شاء الله .

والسلام عليكم ..

توقيع
يوسف إسلام

الجـــواب

إن الأولاد ـ ذكوراً وإناثاً منحة من الله عز وجل ـ للآباء وللأمهات ، وهم أمانة لديهم ويجب عليهم رعايتهم وحفظهم مما يضرهم فى أبدانهم وعقيدتهم .

ومسئولية الآباء والأمهات أن ينشئوا أولادهم على الدين الصحيح والفطرة السليمة وحمايتهم من كل أسباب الانحراف والابتعاد عن مقاصد الإسلام ومطالب الشريعة .

ففى الحديث الشريف قول النبى ﷺ :

« أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »[1] وقوله : **« كلكم راع ، ومسئول عن رعيته : الإمام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته »**[2] .

ولقد بين النبى ﷺ أن المولود حين يستقبل الحياة يكون على فطرة الإسلام النقية الصافية ، هذه الفطرة التى تتمثل فى الإيمان بالله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأن تلك الفطرة لا يلحقها تغيير أو تشويه أو فساد ذاتى ، بل من الوالدين أو غيرهم ممن لهم ولاية عليهم ، إذا أهملوا الأولاد وعرضوا فطرتهم النقية الموحدة إلى تنصير أو تهويد أو تمجيس ، وفى هذا

(١) أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٧٢ .

(٢) رواه البخارى ومسلم ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

الشأن قال النبى ﷺ (٣) : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ،فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** » .

ولقد جاء القرآن صريحاً بوجوب وقاية النفس والأهل من الانحراف عن أوامر الله وعن ارتكاب المحرمات فقال الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ .
سورة التحريم

ولا شك أن صيانة الفطرة النقية للأولاد بتعويدهم الصلاة والصيام وتعليمهم القدر المناسب من العقيدة والشريعة هو وقاية لهم وداخل فى مضمون هذه الآية .

وإذ كان ذلك :

كان السماح لأطفال المسلمين أو إجبارهم على حضور الدراسة فى مدارس (لندن) وتعليمهم ضمن الدراسة معتقدات مسيحية أو ديانات أخرى مختلفة يعتبر هذا التلقين إعتداءً على فطرتهم وتشويها لنقاء عقيدة الإسلام التى ينبغى أن تستقر فى نفوسهم ، ويجب أن يباعد بينهم وبين تلقينهم معتقدات الشرك ، فتزيغ قلوبهم عن التوحيد الخالص لله .

وهذا فى حكم الإسلام جناية على هؤلاء الأطفال المسلمين الأطهار وجريمة يسأل الله عنها آباءهم وأمهاتهم .

لما كان ذلك :

كان حضور أولاد المسلمين هذه الدروس الخاصة بالمعتقدات التى تخالف دين الإسلام عقيدة وشريعة خطأ وكبيرة من الكبائر يرتكبها الآباء والأمهات ، وكان من الحقوق الواجبة على أولياء الأطفال المسلمين حجب أطفالهم عن حضور دروس الدين غير الإسلامى أيا كان هذا الدين ، وبخاصة أن نظام المدارس فى (لندن) كما جاء فى نص السؤال يسمح ويرخص لأولياء الأمور فى سحب أبنائهم من حضور أية دروس دينية تخالف دين الإسلام .

هذا : ويجب توعية الآباء والأمهات المسلمين بضرورة صيانة أطفالهم والمباعدة بينهم وبين حضور دروس الدين المسيحى وغيره من الأديان الأخرى وأن يبلغوا المدارس حرصهم على هذه المباعدة ، وألا يتركوا أطفالهم نهباً لأية عقائد تناقض عقيدة الإسلام وتهدم كيان الإنسان .

والأمل كبير فى المراكز والمدارس الإسلامية بلندن أن تقوم بالتوعية والتوضيح وتوجيه المسلمين الذين يقيمون بعيداً عن ديار الإسلام بهذا الواجب ؛ ليتحقق أمل المسلمين فى أبنائهم بالحفاظ على عقيدتهم وتنشئتهم على مبادىء الإسلام وفضائله .

وبهذا يتضح الجواب عن السؤال متى كان الحال كما ورد به .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهـر

(جاد الحق على جاد الحق)

(٣) من حديث رواه الإمام مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٠٧ .

بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف



بشأن البوسنه والهرسك

يتابع مجمع البحوث الإسلامية بقلقٍ وألمٍ شديدين ما يجرى فى دولة البوسنه والهرسك من حرب مدمرة ، وعدوان على السكان المسلمين ، وانتهاك لأرضهم وعدوان على أعراضهم ، وتقتيل لشيوخهم ونسائهم وأطفالهم مما يتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان ، وأوليات مبادىء الأخلاق والصلات الإنسانية التى تربط شعوب الأرض بعضهم ببعض .

وقد كانت هناك آمال فى نفس كل منصف بأن تنطفىء نيران هذه الحرب ويحل السلام محل الخصام ، ولكن الذى حدث هو أن ازدادت الحرب اشتعالًا ، ولم تجد من يطفئها ، وأن من الأمر ما هو معروف الآن من دماء تسيل ، وأرواح تزهق ، ومساكن تدمر ، وأسر تشرد ، وانتهاك لأرض دولة هى عضو فى الأمم المتحدة وهى دولة (البوسنه والهرسك) .

ومن المؤسف أن يكون هذا العدوان غير المبرر واقعاً على المسلمين دون غيرهم ـ الذين من حقهم أن يحيوا وفق عقائدهم وشرائعهم التى تعترف بحقوق الآخرين فى أن يحيوا وفق تعاليم أديانهم ، لأن شريعة الإسلام تقرر أنه (لا إكراه فى الدين) . وتحترم حقوق الإنسان ـ كل الإنسان ـ فى أن يعيش آمناً فى سربه سعيداً فى وطنه ، مستقراً فى أسرته .

وإن ذلك الذى يحدث من حرب وتقتيل وتدمير فى أرض دولة البوسنه والهرسك المسلمة قد أثار تفوس الأحرار فى كل بلاد الدنيا ، ولعل أقرب مظهر لذلك ما نشر عن الرئيس الأمريكى الراحل (ريتشارد نيكسون) فى آخر كتاب له مستنكراً ما يحدث فى البوسنه والهرسك بقوله : (إن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها هى أنه لو كان سكان سراييفو مسيحيين أو يهوداً فإن العالم المتحضر ما كان ليترك الأمر ليصل إلى وضعه الراهن) .

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يهيب بالأمم المتحدة أن تتخذ من القرارات ما يعيد الحق إلى نصابه ، ويوقف المجزرة التى يمارسها الصرب ضد مواطنى دولة البوسنه الهرسك المسلمين ، ويمنع أن يستفيد المعتدى من عدوانه .

وإن المجمع يوصى المسلمين ـ حكومات وشعوباً ـ أن يوحدوا كلمتهم ، وأن يساندوا المسعى الذى تقوم به حكومة مصر وبعض الحكومات الإسلامية فى الأمم المتحدة لردع العدوان الغادر ، وإعادة الأرض التى اغتصبها الصرب إلى أصحابها المسلمين ، ورفع حظر السلاح ؛ ليتمكن شعب البوسنه والهرسك من الدفاع عن نفسه أمام عدو مزودٍ بأحدث أسلحة الدمار من ترسانة يوغوسلافيا السابقة وبعض الحكومات الأخرى .

نسأل الله أن يصلح شأن الإنسانية جمعاء ، وأن يحفظ للمسلمين دماءهم وأرضهم وأرواحهم فى البوسنه والهرسك ، وفى كل مكان فى العالم ، إنه سميع مجيب .

شيخ الأزهـــر
رئيس مجمع البحوث الإسلامية
(جاد الحق على جاد الحق)

بيان ونداء

من الأزهر الشريف بشأن ما يحدث فى اليمن

لقد اهتزت قلوب الأمة الإسلامية لما حدث ويحدث على أرض اليمن بين الأشقاء الفرقاء من اختلاف فى الرأى انتهى إلى امتشاق الحسام ، بل ما هو أشد منه من أسلحة الدمار والاقتتال التى صنعها الإنسان لهدم حضارته ونسف إنسانيته ، وقتل أخيه الإنسان وإهدار دمه ، وتدمير مواريثه من العلم والحكمة ، بل وعصيان الله فيما أمر به فى القرآن من الحفاظ على السلم والسلام بين الناس جميعاً وفيما بين المسلمين بوجه خاص .

وها هو القرآن الكريم يضع الموازين العادلة لإنهاء الخلافات أيا كانت أسبابها ومواقعها ، فهلَّا قرأ المتقاتلون فى اليمن وغيرها من بلاد المسلمين قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة الحجرات :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

هلا تنادى الإخوة فى اليمن إلى الاحتكام إلى كتاب الله ، وهلَّا تنادى قادة الأمة الإسلامية من الملوك والرؤساء والأمراء إلى تنفيذ أمر الله فى هذه الآيات . وفى سورة النساء فى قول الله سبحانه : ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الآية ١٢٨ .

وهلا تذكر المتقاتلون من المسلمين قول الله سبحانه فى سورة الأنفال : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية ١ .

وهلا تنبهوا أنهم قد اجترأوا على الأشهر الحرم التى حرم الله فيها القتال بنص القرآن الكريم فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة التوبة :

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية ٣٦ .

وقد بين النبى ﷺ هذه الأشهر الحرم فى حديثه الذى ورد فى الصحيحين وفيه يقول : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة : اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان** » .

ونهى عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع عن قتل المسلم حيث قال : « **أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ـ إلى أن تلقوا ربكم ـ كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ...** » .

كما بين رسول الله ﷺ أن حرمة الكعبة أهون عند الله من قتل مسلم بغير حق فقال فيما رواه عبد الله بن عمرو قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك ، وما أطيب ريحك ، وما أعظمك وما أعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك : ماله ودمه » رواه ابن ماجه .

ودعا إلى المسارعة والمبادرة إلى وقف الخصام والاقتتال بين المسلمين .

وإن الأزهر الشريف ليتطلع إلى أن يبادر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء وحكومات الأمة العربية والإسلامية إلى استنهاض الحكمة وصلات الأخوة الإسلامية لدى الأشقاء الفرقاء فى اليمن ؛ طلباً لوقف القتال فيما بينهم وأن يعتصموا بحبل الله ويتحاكموا فيما اختلفوا عليه إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن يُحَكِّموا بينهم فى خلافاتهم أولى البصر من الأمة الإسلامية رغبة فيما عند الله من ثواب ورحمة ونزولًا عند أمره وحكمه فى كتابه القرآن الكريم :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران ١٠٣ .

لا سيما وقد كان بين فرقاء اليوم فى اليمن عهد وميثاق اجتمعوا عليه ووقعوه فأين هم من هذا العهد الذى أمر الله بالوفاء به فقال فى سورة النحل :

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ الآية ٩١ / ٩٢

وأين هم من قول الله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾

ومن قول الله فى سورة الأحزاب :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إنه تقدير من الله لأولئك المؤمنين الموفين بالعهد وبالوعد وبالميثاق وأنهم من ذوى الألباب.

قال ـ تعالى ـ فى سورة الرعد :

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ... ﴾ **الآية ٢٠**

ولقد حذر الله فى ذات سورة الرعد من نقض العهد فقال ـ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾

وإن الأزهر الشريف ليعيذ الفرقاء المسلمين فى اليمن ، بل وفى غير اليمن أن يظلوا على عصيان ربهم وأن يستمروا فى القتل والقتال والتخريب خروجاً على أوامر الله ، ويذكرهم بأن رحمة الله قريب من المحسنين .

ويتوجه فى ختام هذا النداء إلى الأمة الإسلامية بالالحاح على وقف القتال فوراً ، ويستنهض قادة الأمة الإسلامية : الملوك والرؤساء والعلماء إلى تسجيل موقف تاريخى . فليسارعوا إلى إعمال حكم الله بإجراء التحكيم والصلح بين الأشقاء الفرقاء ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

الإمام الأكبر في فتاويه الفقهية

٣

للدكتور/ محمد رجب البيومى

منذ خَضَعَتْ مصر للاستعمار البريطانى فى أواخر القرن الماضى ، ومعاملاتها المالية تتم فى البنوك الأوربية وفق الفائدة المحرمة فى الإسلام ؛ لذلك أصبح حديث الربا موضوع مجاذبة جادة بين العلماء ، وأذكر أن مؤتمراً خاصاً بمسألة الربا عُقد فى مدرسة عبدالعزيز فى ١٢ ربيع الأول ١٣٢٦ هـ ، وألقى فيه[1] الشيخ عبدالعزيز جاويش كلمة فقهية تنتهى إلى أن الربح المحرم هو الذى يكون أضعافا مضاعفة ، وليس ذا الفائدة القليلة ، كما ألقى السيد محمد رشيد رضا كلمة أخرى تتحدث عن الواقع الفعلى للبلاد الإسلامية المضطرة إلى التعامل بالبنوك ، وتنتهى إلى حكم الضرورة بإباحة الفائدة القليلة ، وإذا كان المؤتمر قد انعقد فى مطلع هذا القرن فإن صداه الفقهى أخذ يتردد على ألسنة كثير من الباحثين ، وقد حاول الأستاذ الإمام محمود شلتوت ، والأستاذ عبدالوهاب خلاف السير فى اتجاهه ، ونحن ـ علم الله ـ لا ننكر جهد هؤلاء المخلصين فكلهم خيار من خيار ، وقد صدَرُوا عن إخلاص لا يتطرق إليه الشك ، ولكننا نرى أن معارضيهم من المتشددين أقوى حجة ، وأوضح طريقاً ، والإمام الأكبر الشيخ جاد الحق فى طليعة هؤلاء الملتزمين بالنصوص الصريحة ، وقد ثبت بآرائه فى وجوه العواصف العاتية . ولكنه ـ فى فتاويه الاقتصادية ـ أبان وجهة نظره بما لا يحتمل اللبس ، وفى المجلد التاسع من الفتاوى الإسلامية التى صدرت عن دار الإفتاء ثلاث عشرة فتوى صريحة تحت عنوان : (من أحكام التعامل مع البنوك) تتجه اتجاها صريحا نحو تحريم الفوائد المصرفية ، وأرباح شهادات الاستثمار ، وقد استغرقت ما بين ص ٣٣١١ وحتى ٣٣٥٨ . ولابد من اختيار ما يدل على فحواها من إفتاء الفقيه الكبير .

(١) تراجع مجلة الأزهر ، الجزء الثامن شعبان ١٣٨٠ هـ ففيها بحث عن المؤتمر ، وتلخيص لرأيى جاويش والشيخ رشيد ابتداء من ص ٨٣٢ .

ففى الفتوى الخاصة باستثمار المال فى أذون الخزانة ، وسندات التنمية ، عرض المفتى الأكبر لتوضيح وجهة نظر المستفتين وانتهى إلى قوله[٢] :

« ولما كانت أذون الخزانة وسندات التنمية التى تصدرها الدولة بمعدل فائدة ثابت من باب القروض بفائدة ، وقد حرمت الشريعة الإسلامية القروض ذات الفائدة المحددة أيا كان المقرض والمقترض ؛ لأنها من باب الربا المحرم شرعا ، بالكتاب والسنة والإجماع ، فإن تحقيق رغبة المستثمرين وحرصهم على الكسب الشرعى الذى أحله الله يستلزم ألا تبتغل أموالهم على غير رغبتهم فى هذه الأذون والسندات ، وإنما تستغل فى المشروعات غير الربوية كالمبينة بكتاب البنك ، وحتى لا يخرج البنك عن حدود وكالته لهؤلاء يتعين الالتزام بما رغبوا فيه » .

وفى الفتوى الخاصة بما تقوم به المنظمات التعاونية من مدخرات للأعضاء فى قروض ذات فائدة ، بسط المفتى الأكبر قضية هذه المدخرات على الوجه الفقهى الصريح ليقول فى نتيجة بحثه :

« إن الفائدة المحرمة فى الإسلام هى تلك التى سماها (الربا) ، وهو كل زيادة مالية فى معاوضة مال بمال ، بدون مقابل حقيقى ، وتحريم الربا بهذا المعنى أمر مجمع عليه فى كل الأديان السماوية كما أخبرنا القرآن الكريم ، والفتوى مستفيضة سابقة ملأت ثلاث عشرة صفحة فلا سبيل إلى تلخيصها ، وتكفى الإشارة إليها »[٣] .

أما موقف الإمام من عائد شهادات الاستثمار فذائع مشتهر ، وقد تناوله بالنقد من لا يعرف حرمة البحث الفقهى ، ويقدر وجهة النظر المخالف ، وبخاصة إذا كان صاحب هذه الوجهة أكبر فقيه ملتزم يتبوأ أكبر مركز علمى فى العالم الإسلامى ، وقد أحس الإمام الأكبر أن الجمهور فى حاجة إلى الإيضاح الموجز ؛ كيلا يضيع تفكيره فى عجاج النصوص ، وتناطح النقول فسرد هذا القول الصريح الناطق بفحواه دون التباس :[٤]

« إن الإسلام حرم الربا بنوعيه ، ربا الزيادة وربا النسيئة ، وهذا التحريم ثابت قطعا بنص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة وبإجماع أئمة المسلمين منذ صدر الإسلام حتى الآن ، ولما كان الوصف القانونى لشهادات الاستثمار أنها قرض بفائدة ، وكانت نصوص الشريعة فى القرآن والسنة تقضى بأن الفائدة المحددة مقدما ، من باب ربا الزيادة المحرم ، فإن فوائد تلك الشهادات ، وكذلك فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة ، تدخل فى نطاق ربا الزيادة ولا يحل الانتفاع بها ، أما ما يقال بأن هذه الفائدة تعتبر مكافأة من ولى الأمر . فإن هذا النظر غير وارد ، بالنسبة للشهادات ذات العائد المحدد مقدما ، لاسيما وقد وصف بأنه فائدة بواقع كذا فى المائة ، وقد يجرى هذا النظر فى الشهادات ذات الجوائز دون الفوائد ، وتدخل فى نطاق الوعد بجائزة ، الذى أجازه بعض الفقهاء ، والله أعلم » .

(٢) الفتاوى الإسلامية ـ الجزء التاسع ص ٣٣١٣ .

(٣) المجلد التاسع من الفتاوى ص ٣٣٢١ وما بعدها .

(٤) المجلد التاسع من الفتاوى ص ٣٣٣٦ .

وهكذا مضى الإمام فى بقية الفتاوى المدونة تحت عنوان (من أحكام التعامل مع البنوك) .

وفى غير هذا العنوان من مجلدات الفتاوى الإسلامية ، أفتى الإمام الأكبر فى شئون اقتصادية تشغل الذهن المعاصر ، وأتى فيها بما يراه الحق فى ضوء ما اهتدى إليه من مقررات ، ومنها فتواه فى التأمين ضد الحرائق ، حيث عرض وجهة نظر القانون المدنى التى ترى مسئولية المؤمن عن كافة الأضرار الناشئة عن حريق أو بداية حريق يمكن أن تصبح حريقا كاملا ، والتأمين على ذلك يكون مقصودا به تعويض المؤمن عليه من خسارة تلحق ذمته المالية بسبب الحريق .

هذه وجهة نظر القانون المدنى ، وقد عارضها الإمام[٥] بأن المعروف فى الشريعة الغراء أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة ، إلا إذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق ، أو أضاعه على صاحبه أو أفسد عليه الانتفاع به بحرقه أو تمزيقه أو هدمه ، ولا شىء من ذلك يتحقق فى التأمين ضد الحريق ، وغيره من أنواع التأمين التجارى ، حيث يقضى التعاقد أن تضمن الشركة لصاحب المال ما يهلك أو يتلف أو يضيع بحرق أو غرق أو بفعل اللصوص أو قطاع الطريق ، كما أن المؤمن لا يعد كفيلا بمعنى الكفالة الشرعية ، وتضمين الأموال بالصورة التى يحملها عقد التأمين محفوف بالغبن والحيف والغرر ولا تقر الشريعة كسب المال بأى من هذه الطرق وأشباهها؛ لأنها لا تبيح أكل أموال الناس بغير الحق .

أما الفتوى الصارخة فى وجه الظلم الصريح الذى عمَّ وباؤه مصر ، بشأن التعويض الجائر عن إخلاء الأراضى الزراعية إذ يرى المستأجر أنه شريك المالك فى أرضه ، وبذلك يستحق نصف الثمن فى سبيل الإخلاء ، هذه الفتوى قد حسمت الموقف حسما صريحا حيث قررت[٦] أن عقد الإجارة لا يستتبع ملكية العين المؤجرة ، وأخذ نصف الثمن أمر محرم ، ويصبح – إذا تمّ – مِنْ أكْلِ أموال الناس بالباطل المنهىّ عنه بقول الله – عز وجل – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾

من الآية ٢٩ من سورة النساء

ويكون إثمه على المستأجر ، إن لم يرض المالك رضاء تاما بهذا التصرف ! وأنا أقول : وهيهات أن يرضى !

وأختم ما يدور فى فلك المسائل الاقتصادية بالفتوى الخاصة بالعربون حين لا تتم الصفقة ، إذ دأب بعض المالكين على اعتبار ما قُدم من المال عربونا لا سبيل إلى رده إذا لم يتم البيع ، وهذا غصب دون حق ، وفى سبيل توضيح الفتوى الحاسمة بسط الإمام الأكبر أقوال جمهور العلماء من أئمة السلف فى هذه المسألة بعد أن نقل الأحاديث الناهية من السنة المطهرة وشفعها بأقوال مالك وأبى حنيفة وابن حنبل والشافعى بما لا يدع مجالا

(٥) المجلد العاشر من الفتاوى ص ٣٤٧ .

(٦) المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٦٤ .

للتوقف . وانتهى المفتى الأكبر إلى قوله[٧] : « ولما كان ذلك يكون مبلغ العربون الذى دفعه المشترى إلى البائع ولم تتم الصفقة محرما على البائع ، ويتعين عليه رده إلى المشترى إذا كان معروفا لديه وعلى قيد الحياة ، وإلى ورثته إن كان قد توفى ، فإن لم يعلم بذلك ولا بورثته ، فعلى البائع التصدق بمبلغ العربون فى المصالح العامة للمسلمين كبناء المساجد أو المستشفيات لأن عليه التخلص مما حازه من مال محرم ، ولا يحل الانتفاع به لنفسه » .

وإذا كنت قدمت نماذج من الفتوى تصور النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فقد بقى ما يصور الناحية التاريخية ، وأمثلتها واضحة فيما نقرؤه من هذا الفيض الزاخر .

فحين تحدث الإمام الأكبر عن التعزير بالحبس أكد أنه موضع اتفاق بين فقهاء المسلمين ، وأنه يكون فى قضاء الديون كما يكون فى الجرائم بشرط أن يكون الدين حالا ؛ إذ لا حبس فى الدين المؤجل ، ولن يكون الحبس فى الدين إلا إذا طلبه الدائن ، أما فى الجرائم فإن ذلك شأن الحاكم مع العقوبة المقررة ، وبعد أن أكد المفتى الأكبر ما يتصل بهذه الأحكام فى نُصُوع بيّن انتقل إلى الناحية التاريخية فقال :[٨] .

« لم يكن للسجن معالم خاصة فى شريعة الإسلام ، وإنما ترك تحديد معالمه ، وفقا لتطور الإنسان واتساع العمران ، وانحسار الإيمان من القلوب ، وانعدام مراقبة الله جريا وراء المادة والمادية ، ففى عصر الرسالة كان الحبس فى المسجد ، فقد حبس رسول الله ﷺ رجلا فى تهمة ، فربطه فى سارية المسجد ، وكان هذا الفعل كافيا فى امتثال هذا الرجل واحتباسه أنفاسه وجسده حيث وضعه الرسول ـ صلوات الله عليه ـ ، فلا يمكن أن يخطر بباله الخروج على حكم الرسول ، فلم إذن السجن والسجان وقتئذ ؟ وجرى هذا أيضا فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ . ثم بدأ فى العصر الأموى اتخاذ أماكن للسجن ، كانت جبا يحفر فى الأرض يستقر فيه المسجون ، ولم تكن مدة السجن موضوع تحديد ؛ لأن هذه العقوبة كانت فى الأغلب من اختصاص الولاة لا القضاة ، وكان لأولئك سجن ، ولهؤلاء سجن . وكما هو مشهور فقد نزل هذا العقاب بعدد من الفقهاء المجتهدين أصحاب المذاهب كالإمام أبى حنيفة وكالإمام أحمد ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ، وهذا فى العصر العباسى » .

ومما يجدر ذكره أن حديث المفتى الأكبر عن تاريخ السجون ، جاء فى بحث شامل فيّاح عن مرونة الشريعة الإسلامية ، تصلح عناصره أن تكون مجلدا كبيرا يصور هذه المرونة فقد تحدث الفقيه المؤرخ عن ثبات الأصول التشريعية فى القرآن والسنة بإفاضة ، كما ألْمَحَ إلى أهم خصائص التشريع الإسلامى منتقلا إلى الأدلة على هذه المرونة الطيّعة فى إصدار الأحكام وتنفيذها

(٧) المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٧٣ .

(٨) الأزهر فى ندوة الفقه الإسلامى بعمان (ملحق مجلة الأزهر) شوال ١٤٠٨ ص ٥٦ .

فذكر طرفا من النواحى الدستورية والنواحى التجارية مما تمس إليه الحاجة فى هذا العصر ، كما أفرد حديثا هاما عن الشريعة الإسلامية باعتبارها مصدرا أساسيا للقواعد القانونية بما فيها قواعد القانون التجارى ، والقانون الجنائى ، ضَرَبَ الأمثلة الشافية تطبيقا على ما يقرر من أحكام ، وجعل خاتمة بحثه عن تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ، باعتبار ذلك من أوضح خصائص هذه المرونة الطيّعة ، والبحث دقيق مستوعب على إيجازه .

ومثال آخر على الاهتمام بالناحية التاريخية نجده فيما كتب المفتى الأكبر عن تاريخ الإفتاء المعاصر ، ومهام دار الإفتاء بالقاهرة ، إذ لو استطعنا أن نجد دلائل على نظام الفتوى فى الزمن الغابر ، فإن تاريخ الإفتاء المعاصر لم يجد من يؤرخه على وجهه المتصل الحلقات ، وقد قال المفتى الأكبر بصدد ذلك[٩] : « لم أعثر ـ بالرغم مما بذل من جهد فى البحث والرجوع إلى المصادر التاريخية ، وسؤال بعض المؤرخين الإسلاميين المعاصرين ـ على بدء إنشاء دار الإفتاء بوضعها الحالى . فيما قبل شهر جمادى الآخرة ١٣١٣ هـ ونوفمبر ١٨٩٥ م ، فقد تردد لَقَب المفتى . أو مفتى الديار المصرية ، فى بعض اللوائح والقوانين الصادرة فيما قبل هذا التاريخ ، على نحوما سنبيّنه بعد ، ثم سرد ما استطاع جمعه من أخبار الإفتاء قبل هذا التاريخ ، وهذا جديد كل الجدة على الباحثين ، إذ لم أقرأ مثل هذا التسلسل الخاص بالإفتاء منذ ولاية محمد على إلى نوفمبر ١٨٩٥ م ، وقد استغرق هذا التسلسل عدة صفحات متوالية كلها جديد ، وأذكر أن القاضى الكبير الأستاذ محمود محمد عرنوس مؤلف كتاب القضاء فى الإسلام قد شكا فى بعض مقالاته ما يجده من الغموض المدلهِمّ فى محاولة تاريخ هذه الفترة ، وظلت شكواه عالقة بذهنى حتى قرأت ما كتبه المفتى الأكبر ، فرأيت بريقا يسطع فى ظلمات ، أليس هذا تاريخا جديدا فى فتوى تاريخية ؟

كما استرعى انتباهى هذه الصيحة الرنانة التى أوقف بها المفتى الأكبر عملا بغيضا ما كان يجب أن يخطر فى بال مسلم يعيش فى أرض الإسلام والعروبة والأزهر ، حين نشرت جريدة الأهرام تحت عنوان : (مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل) ، فقالت ما ملخصه : إن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء فى مصر ، ويلبسونها أفخر الثياب ، ويلقونها فى النيل ، وعندما جاء العرب استبدلوا العروسة بتمثال لعروس النيل ، وفى هذا العام يتخذ الاحتفال مظهراً أكثر حيوية ، ويفتح المجال أمام الفتيات من سن ١٥ إلى ٢٥ للاشتراك فى مسابقة ملكة جمال النيل أمام لجنة التحكيم التى ستنعقد لاختيارها ، وإن العروس الفائزة بلقب ملكة جمال النيل ستنطلق يوم ٢٤ أغسطس الجارى من أمام الميرديان فى موكب داخل مركب فرعونى ، ثم مركب بها ٤٠٠ مدعو من مختلف الهيئات

(٩) الفتاوى الإسلامية (المجلد العاشر) من ص ٣٦٥٠ إلى ص ٣٦٦٧ .

الدبلوماسية ، ومن ورائهم خمسون مركبا شراعيا حيث يسير هذا الموكب من فندق الميرديان إلى كوبرى قصر النيل ، وتبدأ المراسم المتبعة فى ذلك ، ويلقى محافظ القاهرة الوثيقة ، وتطلق الصواريخ ، وتقفز العروس إلى النيل » .

ما كاد هذا النزق السفيه ينشر فى الأهرام حتى علت صيحة المفتى الأكبر فى مقال رنان تحت عنوان (أوقفوا فورا هذا العبث باسم وفاء النيل) ، ولا يتسع المجال لنشر ما دفع به[١٠] المفتى الكبير أصحاب هذا النزق الطائش ، وقد سجل صريحا ما يراه من أن فى هذا الطيش عودة إلى سوق النخاسة والرقيق الأبيض ، وأن دعوة مصر بلد الإسلام والأزهر التى جعلها الله قائدة للعرب والإسلام لهذا البغى المنكر ردة إلى جاهلية عمياء ، لا تُفَرِق فيها بين الحلال والحرام ، فأى وثيقة هذه التى يلقيها المسئول الكبير فى النيل مع العروس التى اشترط أن تجيد السباحة ، وأن تلتقطها فرق الإنقاذ ، أى إهانة للأنثى ! وأى وثيقة يمكن أن تكتب وقد كان هذا الرأى الحاسم كافيا للقضاء على هذا البغى الصريح ! فاضطر أصحاب العبث إلى النكول عنه ! والغريب بعد هذا كله أن أسطورة عروس النيل هذه ، لم تحدث أصلا ، وإنما هى أكذوبة اخترعها ذو الخيال المشتط ، وقد فندها الكاتب الكبير الأستاذ عبدالقادر حمزة فى كتابه الرائع ، (على هامش التاريخ المصرى القديم ، بما ينتزعها من الأوهام ، ولكن القوم لا يقرءون .

هذه خطوط مبدئية تشير إلى أنماط من الاتجاهات الفقهية لدى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، ولا أظن أنى وفيت الموضوع حقه . ولكنى أرجو أن ينهض من الدارسين الذين يسطرون رسائل الدكتوراه فى الفقه الإسلامى من يدور موضوع رسالته حول هذا النتاج الفقهى الكبير الذى سطره الإمام الأكبر . ليستطيع أن يعطى الموضوع حقه فى رسالته المبسوطة ، مع أستاذ مشرف يعلم غور البحث . ويدرك أبعاده فيسير بالباحث إلى نهجه السليم ، لا أقول ذلك خاصا بالإمام الأكبر وَحْدَه بل بأعلام الفتيا فى هذا العصر ، ومن الحظ السعيد لهؤلاء الباحثين أن مجموعات الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء قد سجلت فى مجلدات مستقلة ، إذ عمل الأستاذ جاد الحق على بعثها من الأضابير المجفوة ، وقام على نشرها فى جِدّ راصد ، حتى أصبحت ذخيرة حية فى المكتبة الإسلامية ! وفى المجلات الإسلامية فيض زاخر من هذه الفتاوى الصائبة لكبار الفقهاء .. وفى ذلك كله مجال للدرس والشرح والموازنة والترجيح .. فأين المستجيب ؟

(١٠) الفتاوى الإسلامية (المجلد العاشر) ص ٣٥٨٣ وما بعدها .

الإسلام دين السلام

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

حزن أسارى بدر لما قدموه للمسلمين من الفدية ، وقال العباس لرسول الله ﷺ : ما تركت لى شيئاً ، وقد عزاهم الله واستمالهم للإسلام بهذه الآية ... إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » .

والخطاب لرسول الله ﷺ طبقاً للنص « يأيها النبى » ويجوز أن يكون خطاباً للمسلمين جميعاً ، فقد تستفتح الآية بتوجيه النداء إلى النبى ثم يكون الخطاب للأمة كلها . كما فى قوله تعالى : « يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » والأقرب هنا أن يكون الخطاب للنبى لإفراد الأمر « قل » — ولأن الذين تحت أيديهم أسرى لا يتصرفون إلا بأمره . وقد كان الأسرى تحت أيدى عدد من المسلمين ، وكان العباس بن عبدالمطلب أسيراً عند أبى اليسر — كعب بن عمر من بنى سلمة ، وكان رجلا قصيراً وكان العباس طوالا ضخماً ، فلما جاء به أبو اليسر إلى رسول الله ﷺ قال له : « لقد أعانك عليه ملك » .

ومعنى فى أيديكم تحت سيطرتكم — فهم لا يتحركون ولا يستطيعون الفرار كمن فى قبضتكم . والأسرى جمع أسير ، ويقال أسرى وأسارى .

قيل الآية نزلت فى شأن العباس وأصحابه . ويعزى هذا القول إلى ابن عباس — قالوا للنبى ﷺ : آمنا بما جئت به . ونشهد انك لرسول الله ، والله لننصحن لك على قومك فنزلت هذه الآية .

والواضح الظاهر من النص أن الآية فى شأن الأسرى جميعاً ، بدليل الجمع فى أيديكم — والأسرى — ويؤتكم .. الخ » وكلمة الأسرى عامة ، والحكم الشرعى للجميع لا لفئة معينة .

ويختلف المفسرون فى مقدار الفدية التى أخذت من أسرى بدر والأكثرون على أنها أربعمائة ، ولعلها اختلفت بين شخص وآخر — قال القرطبى فى تفسيره : « بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ فى فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا » وقال بعض الأنصار لرسول الله ﷺ : دع للعباس فداءه ، لأنه ابن أختنا — لأن جدة العباس — أم عبدالمطلب — كانت من بنى النجار ، فأرادوا إكرامه ، ولكن رسول الله ﷺ لم يقبل ، بل زاد عليه فى الفداء ، لأنه مؤمن ، وكما ذكرنا من قبل — كان المسلمون فى حاجة إلى المال — ولم يقبل النبى مجاملة عمه ، ولعله لو قبل هذه المجاملة وأعفاه من الفدية لكان للناس فى هذا لغط واتهام لرسول الله ﷺ .

قال العباس : يا رسول الله — إنى كنت مسلما ، ولكنى أكرهت على الخروج للحرب . فقال له رسول الله ﷺ : الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك ، فأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فافد نفسك وابنى أخويك — نوفل بن الحرث ، وعقيل بن أبى طالب ، وحليفك عتبة بن عمرو . أخا بنى الحرث بن فهر ، وكان مع العباس حين أسر عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم المحاربين من مكة منها . وكان المطعمون من قريش عشرة — أولهم أبو جهل نحر لهم عشر جزائر بمر الظهران . ونحر لهم سفيان ابن أمية بعسفان تسع جزائر ، ونحر لهم سهيل بن عمرو عشرا بقديد ، ووقع العباس فى الأسر قبل

أن يعمل لهم شيئا ، وبقيت معه أواق الذهب العشرون فأخذها المسلمون غنيمة ، وكلم العباس رسول الله ﷺ فى هذا الذهب ليردَّه عليه فقال له : أما شىء خرجت لتستعين به علينا فلا . واستثقل العباس هذا الفداء فقال : تركتنى يا محمد أتكفف قريشاً ، فقال له : أين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة ، فقلت لها : إن أُصِبْت فى سفرى هذا فهذا المال لبنى الفضل وعبدالله وقثم ؟ قال من أنباك هذا ؟ قال النبى ﷺ الله ، قال العباس : أشهد أنك رسول الله حقاً ، والله ما علم بهذا المال غيرى وغير أم الفضل ولقد أعطيتها إياه ليلا .

وجاء فى حديث عن ابن عباس : كان فداء الأسير أربعين أوقية ذهبا . وجعل رسول الله ﷺ على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين ، فقال له العباس : أللقرابة صنعت هذا ؟ فنزلت الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾

وقال العباس بعد ذلك : وددت لو كنت قد أُخِذ منى أضعافها ، لقوله تعالى : « يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ » .

ويقال إن العباس أسلم من يومئذ ورجع إلى مكة فظل يكتم إسلامه من قومه ، وصار يكاتب رسول الله ﷺ بالأخبار ثم هاجر قبل الفتح بقليل .. ولكن هذا القول لا يخلو من مبالغة خصوصاً فى مسألة الهجرة . لأننا فى يوم الفتح نجده مع أبى سفيان يتنطسان الأخبار ، ويجوز أنه أسلم منذ إذن ولكن لا مساغ للقول بهجرته .

الخير الذى يعلمه الله فى قلوبهم هو الإيمان والتصديق برسالة الإسلام . وأما كلمة خير فى قوله تعالى : « يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ » فهى اسم تفضيل ، بمعنى أفضل وأكثر . وهذا الخير الموعود يشمل خيرى الدنيا والآخرة . وهذا ترغيب للأسرى فى الإسلام وإعلام لهم بما ينالونه من الخير إن أسلموا . أما خير الآخرة فأمره ظاهر ، وأما خير الدنيا فهو الكسب المادى الذى يمن الله عليهم به .

وقدم على رسول الله ﷺ مرة مال من البحرين ، وكان قد توضأ ليصلى الظهر ، فقسم هذا المال كله قبل أن يصلى ، وقال له العباس : إنى فاديت نفسى وفاديت عقيلا . فقال له ﷺ : خذ فبسط ثوبه وأخذ ما استطاع أن يحمله ، وقال : هذا خير مما أخذ منى ، وأنا بعد أرجو المغفرة .. يشير إلى قوله تعالى : « **ويغفر لكم** » قال : وأعطانى زمزم وما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة .

وختمت الآية بجملة « وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ » تأكيداً للثقة بالمغفرة لأن الله سبحانه من صفاته الغفران والرحمة .

وقرئت الآية ـ أيضاً ـ : « **ويؤتكم خيراً مما أَخَذَ منكم** » ببناء الفعل للفاعل ، إشارة إلى أن الفداء الذين قدموه إنما هو لله ، وثوابهم عليه منه سبحانه ، والآية متسقة مع ويغفر لكم .

وجاء فى بعض كتب التفسير فى هذا الصدد رواية مسنده للسيدة أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ خلاصتها أن زينب بنت رسول الله ﷺ كانت حتى غزوة بدر فى مكة ولما أرسل المكيون فداء أسراهم بعثت هى ـ أيضا ـ تفتدى زوجها أبا العاص بن الربيع فأرسلت قلادة لها كانت أمها السيدة خديجة قد أهدتها لها يوم زفافها فعرفها رسول الله ﷺ وردها لها .. الخ .

وهذا قصص معروف لا أطيل بذكره . ولكن أبا العاص كان قد وقع أسيراً بعد ذلك ، وكانت زوجه بالمدينة فحملها الوفاء له أن تفتديه ، وعفا عنه رسول الله ﷺ وكان أبو العاص وفياً كريماً ، ذهب إلى مكة فأعطى كل ذى مال ماله . ثم نادى بينهم : هل أديت أماناتكم ؟ هل لأحد منكم لدى حق أو مال ؟ قالوا : لا لقد أديت ووفيت فجزاك الله خيراً ، قال : إذن فاعلموا أننى مسلم وجهر بشهادة الإسلام بينهم ، ثم هاجر إلى المدينة فرد النبى عليه زوجته ـ فهو إذن من المسلمين المهاجرين ، ولكن زينب كبرى بنات الرسول ما لبثت أن ماتت .

إنى أميل إلى الرواية التى تذكر أن أسره وفداءه والمن عليه كانت يوم عودته من الشام بعد ذلك ، وقد كان إسلامه بعدها ، ولا مانع من تعدد الواقعة .

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾

هذا مقابل لما فى الآية السابقة : « إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا » والخيانة فى هذا عدم الاخلاص للرسول ﷺ وللإسلام والمسلمين بأن يتظاهروا بالإسلام والولاء لدعوته ، ثم هم يضمرون عداءه وحربه ـ وتقدير الكلام إن يريدوا خيانتك ونقض عهدك فلا تخف ولا تعجب لسوء تصرفهم ، فهذه الخيانة من طباعهم لأنهم خانوا الله ـ تعالى ـ ونقضوا عهده ـ فعبدوا الأوثان وجعلوا لله أنداداً ـ فلا عجب ولا غرابة أن يريدوا ويعزموا على خيانتك .

وعهد الله وميثاقه الذى خانوه هو ما أخذه على البشر بما ركّب فيهم من العقل ونصب أمامهم من الأدلة على وجوده ووجوب إخلاص العبادة له : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ـ «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» . فالعدول عن التأمل فى ملكوت السموات والأرض وعما فى أنفس البشر والحيوان من الدلائل العقلية والكونية عدول عن عهد الله . وقد أمكن الله منهم باذلالهم وهزيمتهم أمامك على كثرة عددهم واكتمال عددهم بينما المسلمون الذى غلبوا لم يكن لهم من ذلك شىء ! فذلك نصر الله أولياءه وحث لأنهم أعداءه .

ويبدو فى هذا الكلام تبشير المؤمنين وتحذير الكفار . وقد تم ذلك كله بهزيمة المشركين ونصر المسلمين بفتح مكة . ثم باستمرار نداء الإسلام والاستجابة له بعد ذلك .

فى الآية إذن تبشير بنصر دعاة الإسلام تبشير لهم بحسن الأجر والمثوبة ، وتهديد وتحذير لأعداء الإسلام .

والله سبحانه عليم بكل شىء عليم بأسرار القلوب ، عليم بالمخلصين .

قبس من أنوار النبوة

عناية الإسلام باليتيم والمرأة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

روى الإمام ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنى أُحَرِّج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » .

قال النووى فى معنى أُحَرِّج : أُلْحِقُ الحرجَ ـ وهو الإثم ـ بمن يُضَيِّعُ حقهما ، وأُحَذِّرُ من ذلك تحذيراً بليغاً ، وأزجر عنه زجرا أكيدا . ، وبعد :

فإن الرحمة خلق الإسلام ، وصفة من صفات الرحمن الرحيم ، وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معانيها ، وسور القرآن مفتتحة(باسم الله الرحمن الرحيم)الذى وسعت رحمته كل شىء ، وأرسل الله رسوله ﷺ بالخير والسلام والبر والرحمة بالناس أجمعين ، حيث قال ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٧

اتصف بها الرسول الأكرم ، وأرشد إلى أنها سبيل الإيمان الكامل ، وفى ذلك يقول ﷺ « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم . قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة » رواه الطبرانى .

وقال .. عليه الصلاة والسلام : « جعل الله الرحمة مائة جزء ، وأنزل فى الأرض جزءا واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » ـ البخارى ـ و « لا تنزع إلا من شقى » رواه أبو داود .

وحين أمر الإسلام بالرحمة والتراحم بين البشر ـ بل الطير والحيوان ـ نبه الإسلام إلى أن هناك صنفين مخصوصين ينبغى أن يحظيا بالنصيب الأوفر من الرحمة والرعاية ـ بعد الوالدين وذوى الأرحام ـ وهما كما جاء فى حديثنا : اليتيم والمرأة .

اليتيم : من فقد أباه الذى كان يرعاه بنفسه وماله قبل أن يصل إلى سن البلوغ . ومن الحيوان ما فقد أمه ، واليتيم مظهر من مظاهر الضعف والحاجة ، واليتيم فى أشد الحاجة إلى الراعى الأمين الذى يخاف رب العالمين : واليتيم جعله الله اختباراً وامتحاناً للضمائر والذمم تظهر فيه المعادن النفسية من الخبيثة ، والأمانة من الخيانة ، ومن هنا أوصى الله ـ عز وجل ـ باليتيم فى آيات كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ليشب إنسانا كريما مهذبا عزيز النفس ، وذلك إنما يكون بالرفق به ، والإحسان إليه ، وحسن التصرف معه ، والمحافظة على ماله والعناية بتربيته ، وتهذيب نفسه ، وتوفير الطمأنينة له حتى ينشأ إنساناً كريماً وعضواً نافعاً لنفسه ولدينه ولوطنه .

ومن أجل هذا يوجه القرآن الكريم كل عاقل يحب أن تعامل ذريته من بعده معاملة طيبة فعليه أن يعامل ذرية الناس معاملة طيبة حيث يأمر الله الناس بتقواه ومراقبته فى الأيتام وأولاد غيره . فيقول ـ عز من قائل :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٩

ويخبر القرآن الكريم أن آكل مال اليتيم بدون حق إنما يملأ جوفه من نار جهنم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١٠

قال السدى : يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه بآكل مال اليتيم .

بل إن من أمارات المكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة من يدع اليتيم أى : يدفع اليتيم عن حقه ، ويزجره ويقهره ويعامله بخشونة وقسوة ، تكبرا عليه واحتقارا لشأنه ، ولفقده النصير قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ سورة الماعون .

ومما جاء عن رسول الله ﷺ : فيما رواه ابن ماجه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » .

ولقد بين رسول الله ﷺ مكانة كافل اليتيم فى الجنة صاحبا وقريباً . فقال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وقال ـ أى أشار ـ بأصبعيه السبابة والوسطى » البخارى وغيره ، وفى حديث عوف بن مالك ، أن النبى ﷺ : قال : « أنا وسفعاء الخدين ـ أى التى شحب لونها من قيامها على خدمة ولدها ـ كهاتين يوم القيامة ، وفى رواية أخرى مدح ﷺ « إمرأة ذات

منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا » أبو داود .

فطوبى لأصحاب القلوب الرحيمة الذين يبسطون رعايتهم على اليتامى ويساعدونهم فى خضم الحياة ويرفقون بهم ، ويعملون على توفير سُبل الحياة الكريمة لهم .

● ● ●

اما الضعيف الاخر الذى حرم رسول الله ﷺ ضياع حقه فهو المرأة وهى إما بنت ، أو أخت ، أو زوجة ، أو أم . وفى كل الأحوال دعانا ديننا إلى رعايتها والعناية بها . وإننا لنجد فى كتاب الله فى أكثر من عشر سور من سور القرآن ما يصور للناس عناية الإسلام بالمرأة ، وحظوتها عنده فهى شريكة الرجل فى الأصل الذى تكوَّن منه الإنسان وتكاثر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً .. ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١

وهى شريكة للرجل فى بناء حياة الأسرة

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً .. ﴾

سورة النحل ـ الآية : ٧٢

والحفيد هو ولد الإبن ذكرا كان أو أنثى .

وهى قبل ذلك جعلها الله من تمام رحمته ببنى آدم حيث جعلها زوجة له من جنسه كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

سورة الروم ـ الآية : ٢١

ولقد ساوى الإسلام بينها وبين الرجل فى الجزاء ـ قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

سورة النحل

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١٢٤

ولم يجعل الإسلام عقد الزوجية كعقد التمليك والبيع ، وإنما جعله ميثاقا غليظا فى معرض تحذير الرجل أن يأخذ شيئاً مما دفعه للمرأة ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٢١

وحين جعل الإسلام أساس الحياة الاجتماعية بناء الأسرة على أسس سليمة ، وأمر الرجال أن يعاشروا نساءهم بالمعروف ، وألا يتابعوا أهواءهم وعواطفهم الجامحة ، قال الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ١٩

وإذا حدث منها نشوز وإعراض عنه وعدم استجابة لأمره ؛ فقد يكون هو السبب فإن لم يكن فإن الإسلام يدعو الرجل وهو رب الأسرة والأكثر صبرا والأقوى على مغالبة الصعاب ، أن يتحمل أذاها ، وأن يقابل غضبها بالحلم والوقار ، وأن يعظها ويخوفها عقاب الله الذى حرم عليها معصية زوجها ، وأوجب عليها طاعته ، فإن لم تتعظ هجرها فى المضجع تأديباً لها حتى ترجع . كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة النساء

روى أبو داود عن معاوية بن حيده ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت »

ولقد أوصى رسول الله ﷺ بالنساء خيرا فقال ﷺ : فيما رواه ابن ماجه ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

قال العلماء : المطلوب أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه ، وكف الأذى ، والإحسان إليها ، والصبر على أذاها ، وحفظها عن موقع الريبة » .

ولنسمع إلى الهدى النبوى فى حجة الوداع ، حيث يقول : بعد أن حمد الله ـ تعالى ـ وأثنى عليه وذكر ووعظ : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عَوَانٌ عندكم (أى كالأسيرات) ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ـ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ؛ فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إلا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ، إلا يوطئن فُرُشَكم من تكرهون ، ولا يأْذَنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقهن عليكم . أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه ابن ماجة والترمذى .

قال أنس ـ رضى الله عنه ـ كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان وكان ﷺ يطيب قلوبهن ، ويمزح معهن . كما أكد الوصية بهن فى آخر حياته فقال : الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم : لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، اتقوا الله فى النساء ؛ فإنهن عوان فى أيديكم ـ يعنى مثل الأسرى ـ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

إن خير المسلمين من كان مع أهله طيب العشرة ، حسن المعاملة دائم البشر ، يتلطف بهم ، يدخل السرور عليهم بالكلمة الطيبة ، والرفق بهم عند الجفوة ولا يهجر إلا فى البيت .

إن الإسلام يرى أن المرأة خلقت لتقوم بدور خطير فى المجتمع ، وهو أن تكون شريكة للرجل فى حفظ أمانة الحياة ورعاية الأجيال ، حيث تصنع الطفولة ، وتتعهد الرجولة وتشيع فى بيتها الحب والأمن والحنان ، ورسالتها فى الحياة أن تكون زوجا مسعدة وأما حانية ، وهى بذلك تحقق الطمأنينة بحسن تعهدها لزوجها وأبنائها . وهذا مساوٍ تماما لمرتبة الجهاد فى سبيل الله .

محمد صلى الله عليه وسلم بين التحامل والإنصاف

أ.د. محمود محمد رسلان

ما من نبى أرسل إلى قومه إلا كان له معارضون ، ومؤيدون ، وقد نال نبيُّنا محمد ﷺ من هذا الامر القسط الاوفر منذ بعثته وحتى اليوم ! ولما كان ما جاء به ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق من الحق الأعلى ـ تبارك وتعالى ؛ فقد حالفه النجاح ، كما كان صموده مدعاة للقلوب أن تتفكر وتتدبر ، لقد تحدى الإسلام معانديه ، ولا يزال توفيقه قائماً يتحدى معانديه إلى يوم الدين .

ومن عظمة الإسلام أنه لا يضيق ذرعاً بالمعاندين ، بل يقوى ويشتد إذا أُثِيَر ، أو اعْتُدِىَ عليه ، إنه جاء ليعايش حركة الإنسان ، ولا ينعزل عنها ، بل يوجهها الوجهة الصحيحة لتصل إلى هدفها الأعلى ، على هذا الهدف الذى يعنى عزة الإنسان وأمنه : دنيا وأخرى ، ورسول الإسلام محمد ﷺ جاء مبلغاً عن الله ـ سبحانه ـ بهذا الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة : ٣ .

إن من يعرف محمداً ﷺ عن علم برىء من سوء القصد ، ووَعْيٍ مُتَدَبِّرٍ يحب محمداً عليه الصلاة والسلام ، ومن لا يعرفه يجهل قدره ، والإنسان عدو ما يجهل . إن الذين تحدوا رسول الله ﷺ إبان دعوته نظراؤهم اليوم كثير ، ومنهم من هو أكبر مكراً ، وأشد افتراء :

ففى مكة علقوا إيمانهم به ﷺ على أمور عدة القصد منها : التحدى والتعنت والتعجيز ، لخصها القرآن الكريم فى هذه الآيات :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

سورة الإسراء

ويأتى نظراؤهم اليوم ليصرفوا الناس عن دعوته ﷺ وما جاء به من وحى ، ويتربصوا به وبالمسلمين الدوائر ظناً منهم أنهم يستطيعون بذلك القضاء على الإسلام .

تعصب بغيض :

وإليك جانباً من الوجه المظلم لهؤلاء المتعصبين ضد الإسلام منذ القدم ، فعندما انتشر الإسلام وارتفعت ألويته خفاقة فى ربوع الدنيا ، انبرى له رجال الدين فى الغرب ـ منذ عصر القرون الوسطى ـ لمدافعته ، يملأ صدورهم الخوف منه والحقد عليه ، فإذا بهم يدعون رهبانهم وأحبارهم لدراسته بغية العثور على ثغرة ينفذون منها إليه ، سعياً إلى تشكيك المسلمين بدينهم وزعزته فى قلوبهم .

ومن جهة أخرى كان تعاون حكام أوروبا مع رجال الكنيسة على تذليل السبيل أمامهم من أجل تدمير الإسلام وإنهاء وجوده ، ومن ثم احتدم الصراع بين مذهبهم والإسلام منذ ذلك التاريخ ، لكن النصر حالف المسلمين ، واستطاع الإسلام أن يبسط سلطانه على أوروبا طوال العصور الوسطى ، إلى ان دارت دورة التاريخ وتناسى المسلمون حق الإسلام عليهم فانتصرت أوروبا وزحزتهم عن خير مكان لهم فيها .

وبنجاح أوروبا فى هذه الزحزحة بدأت تفكر فى ضرب المسلمين فى عقر دارهم ، واتخذت لذلك سياستين ، تمخضت إحداهما عن ثالثة .

وأولى تلك السياستين شن حرب صليبية بغية الاستيلاء على أراضيهم ، والمقدسة منها على وجه الخصوص .

وثانيتها : إطلاق سلاح الاستشراق بتوجيهه لخدمة السياسة الأولى ، ومن عجب أن هذا السلاح الأخير بدأ بداية غريبة حتى على العلم نفسه ، وذلك باختراع كليات نظرية مصاغة صياغة خاصة فى إطار فكرى جذاب مقصود من وراء إطارها هذا جذب الناس إلى التسليم بمضمونها المناهض ـ أساساً ـ للإسلام ، ثم طرحه على الإسلام ليبدو للناس شيئاً غريباً عليهم وعلى حياتهم وتطورهم ، وليس مانع يمنع ـ مع ذلك ـ من نبذ الحق ، وغمطه حتى أحرقت نسخة القرآن العربية فى البندقية سنة ١٥٣٠ ، وهكذا « ظلت شخصيت محمد ﷺ هدفاً لحملات عنيفة غير منصفة كجزء من المخطط المرسوم لمهاجمة القرآن بمهاجمة من أنزل عليه ﷺ ، وأوقف كثير من الكتاب الغربيين أنفسهم على هذه المهمة ، ومع هذا فقد استطاعت سيرة محمد ﷺ أن تنفذ إلى نفوس كثير من الباحثين

المنصفين الذين اعترفوا بمكانته ﷺ العظيمة »[1] .

هل هناك منصفون ؟!

إن المنصف يذعن للحق .

إننا لا نشك فى أن هناك منصفين ، لكن الإنصاف الحق إذا وجد يقتضى الانصياع لنتيجته ، وهنا يتبادر ـ إلى أذهاننا ـ السؤال التالى :

إذا كانوا منصفين فلِمَ لم يُسلموا .. ؟

وهنا نجيب ـ بوضوح فنقول : إن كثيراً من هؤلاء المنصفين أسلم فعلاً ، وقامت قيامة قومهم عليهم فتجملوها راضين .

وتبقى ـ بعد ذلك ـ كتابات ـ يغتر بها كثير من السذج ، فإن فى سطورها إنصافاً حقاً ، ولكنها لا تخلو من دس مقصود كأن تجعل الإسلام ديناً قومياً للعرب وليس عالمياً لكل فرد ممن خلق الله ـ تعالى ـ فى هذا العالم ـ منذ بعثته ـ ﷺ إلى يوم الدين .

فأما المنصفون بحق ؛ فنحن نعرفهم ، وأسماؤهم لامعة ، من آخرهم : « مراد ويلفريد هوفمان » سفير ألمانيا فى الغرب .

ولنأخذ مثالاً من كتابات أخرى ـ كتب فارس الخورى ـ يقول :

« إن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية ، وتشريعية ولم يسع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الشريعة التى دعا الناس إليها باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، ومطابقة لأرقى النظم ، إن محمداً أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم .. » ثم يقول عقب ذلك :

« فقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة واحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس من أرقى الدساتير فى العالم وأكملها »[1] .

وفى العبارة ما فيها برغم ما يتسم به ظاهرها من مدح .

ولقد تتغير العبارات المعسولة من كاتب لآخر ، ولكننا ـ فى النهاية ـ ينبغى أن نكون أشد حذراً إزاءها ، لا سيما ـ والإسلام ، والحمد لله ـ ليس فى حاجة إليها ؛ فعندنا كتاب الله ـ تعالى ، وسنة رسوله ﷺ فيهما الكفاية وزيادة .

فى ضوء حديثنا هذا نقدم شيئاً من نماذج القول فى الإسلام ، وقد أهدينا للقارىء إشارة الضوء الذى يجعله يتناول طريقه فى حذر .

وهذه كلمة دائرة المعارف البريطانية :

ففى دائرة المعارف البريطانية « مادة محمد » ﷺ ما ترجمته :

« محمد بن عبد الله مؤسس الدين الإسلامى ، ولد فى مكة عام ٥٧٠ م ، ومات

(١) انظر أنور الجندى : الإسلام فى غزوة جديدة للفكر الإنسانى ص ١٤٣ المجلس الأعلى القاهرة : ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

عام ٦٣٢ م وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا فى البشرية الأثر العميق الدائم ، الذى أحدثه محمد ، لقد أحدث أثراً دينياً عميقاً لا يزال منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحق والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم » .

وتكمل دائرة المعارف البريطانية حديثها قائلة :

« على أن أثره التاريخى يبدو بالأكثر عندما نذكر أنه فى أقل من عشرين سنة منذ بدأ دعوته ، قوض دعائم أكبر امبراطوريتين عتيدتين هما الامبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية الفارسية ، مؤسساً على أنقاضهما حضارة جديدة ولقد أرسى منذ جاء بدعوته التى هى عقيدة وشريعة ، قواعد بناء المجتمع السياسية ، والاجتماعية ، وعقب موته سجل خلفاؤه الأحاديث التى رويت عنه ، وأدق التصرفات والأفعال التى قام بها ، فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبراساً ومثلاً أعلى يحتذونه فى حياتهم اليومية جيلاً بعد جيل » .

هذا ما قالته دائرة المعارف البريطانية عن محمد ﷺ وأثره الدينى والاجتماعى فَلِمَ عَزَّ عليها أن تقول : محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جاء بالإسلام ... إلخ .

وقل ـ مثل ذلك ـ فيما كتبه (ول. ديوارانت فى (قصة الحضارة) حيث يقول :

« وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا : إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى ، والأخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله ، قل أن نجد إنساناً غيره حقق كل ما كان يحلم به ، واستطاع فى جيل واحد أن ينشىء دولة عظيمة ، وأن تبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى نصف العالم » .

فى تلك الكلمة لـ (ديورانت) :

محمد من أعظم عظماء التاريخ . وأنه (مصلح) !!!

أليس نابليون ، ونلسون وغيرهما من عظماء التاريخ ؟!

أليس سقراط وأفلاطون من المصلحين .. ؟!

أيقف رسول الله ﷺ الذى تميز بالرسالة فى صف واحد مع هؤلاء وهؤلاء .

إن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ تميز بالرسالة ... رسول من الله ـ سبحانه ـ وهذا ما عَزَّ على القوم أن يعترفوا به .. أن يقولوا : (محمد رسول الله) عليه الصلاة والسلام .

وذاك الذى وددت قومى أن يعرفوه ... اللهم فاشهد .

الكلمة الطيبة سمة المؤمن

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

يقول الله جل جلاله : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(آل عمران)

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

(سورة العنكبوت)

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾

(من سورة ابراهيم)

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ

(الآية ١٠ – من سورة فاطر)

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

(سورة فصلت)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾

(سورة التوبة)

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك : كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » (رواه مسلم) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة

• مدير عام الدعوة والإعلام بالأزهر سابقاً

واحدة » (رواه البخارى ومسلم) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) (رواه الترمذى) .

البيـــــان

لقد وصف الله رسوله الكريم ﷺ بأنه على خلق عظيم . وأمرنا بالاقتداء فقال :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

(سورة الأحزاب)

وقد بعث الله رسوله محمداً صلوات وسلامه عليه ليتم مكارم الأخلاق ، وليعلم الناس السّمُوَّ والصدق فى القول والفعل وهو القائل فيما رُوى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما . أن رسول الله ﷺ قال : «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة » . (رواه ابن ماجه (الترغيب والترهيب) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (أنا زعيم ببيت وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازجا)

(رواه البيهقى والترمذى)

وذلك لأن الصدق مع الله ومع الناس ومع النفس من أعظم القربات عند الله تعالى . لأن الكذب يهوى بصاحبه إلى أحط درجات الإثم . ومما لا ريب فيه أن أمانة الكلمة سمة المرء المستقيم وصفه الخلق القويم ؛ لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ومن منطق الإيمان تتحتم طهارة اللسان وتجب مراعاة مشاعر الناس وأحاسيس الآخرين ، فليس من الإسلام أن ينطق المرء بخبيث القول وردىء اللغو ، ولذا أمرنا ديننا بأن نذكر الله ذكرا كثيرا وأن نسبحه بكرة وأصيلا ليكون اللسان رَطْبًا بذكر الله ، وفرض علينا الصلاة وهى تضرع ودعاء وتبتل وخشوع وذكر وسجود لله وركوع . وجعل الله الزكاة تزكية للنفس وتربية للوجدان وتطهيرا للمال وتنمية له وجعل الصوم جُنَّةً من الذنوب وحصنا من العيوب ، وجعل الحج هجرةً إلى الله وقصدا إلى بيته العتيق العريق المبارك الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، ولكنه امتثال لأمر الله ، ثم إن كل لفظ مسجل ومكتوب :

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

(اسورة ق)

والعبادات كلها تدريب عملى على مراقبة الله وطاعته ليكون السلوك مستقيما والخلق كريما : وذلك لأن أخلاق الإسلام هبة من الله لعباده الأبرار الذين كرمهم الرحمن وعلمهم البيان ، وتلكم الأخلاق قد جاء بها سيدنا محمد بن عبدالله من عند الله : لذلك فهى ليست من صنع البشر :

وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

(النجم)

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . ينتصر للحق ، فلا تغضبه الدنيا . فما كان جهاده إلا انتصارا للإسلام والسلام ، وكان دائم البشر ، سهل الخُلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا ضخّاب أى (ليس بكثير الصياح) ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ثم هو كما وصفه ربه :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ (سورة الأحزاب)

والمسلم يطالبه ربه بأن يتجنب معاشرة **المكذبين** فيقول عز وجل :

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

فليتق الله شبابنا وشيبنا وليصونوا ألسنتهم ويزنوا كلمتهم ، فقد جمع الله كلمة المسلمين على التقوى ، ومن التقوى التعاون على فعل البر وعمل الخير واتباع الحق ، والحق أحق أن يتبع لأن الحق لا يخاصم نفسه : فهو شيء واحد ، والأباطيل كثيرة والله يقول :

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

(الآية ٣ – من سورة آل عمران)

والله جل جلاله يقول :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

(سورة الفتح)

الإسلام فى الكتب المدرسية فى أوربا الغربية

(١)

بقلم : أ.د. عبدالجواد فلاطورى (*)

إن هناك صورة مشوهة عن الإسلام تسود كل الدوائر الحضارية والعامة فى الغرب ، مما لا يخفى على أى مسلم لديه القدر الكافى من المعرفة عن دينه ، وتقوم وسائل الإعلام الغربية بدورها النشط فى هذا التشويه ، الأمر الذى يؤدى إلى اتساع رقعة الشقاق وفجوة الخلاف بين المسيحيين والمسلمين .

ولا يقتصر الأمر على التصوير الخاطىء والزائف لبعض الظواهر الإسلامية فحسب ، بل يتعداه ليشمل الإسلام فى مجمله ، وتنبع هذه الصورة المشوهة من العديد من الظواهر الدينية والحضارية والتاريخية والاجتماعية ، والتى يفهمها الغرب بطريقة خاطئة مغرضة تعمل على خلق صورة سلبية للإسلام بصفة عامة .

وهناك من غير شك أهداف معينة وراء إظهار العقيدة الإسلامية فى الفهم الغربى بصورة تدل على التخلف والجمود فى مقابل العقائد الغربية التى يراد إظهارها فى صورة مشرقة مضيئة . وتبدو هذه المقارنة عند مناقشة قضايا مثل : الألوهية ، والقرآن الكريم ، والنبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والأمة وغيرها .

وحتى لا يكون كلامنا يدور فى دائرة المجردات والعموميات أود هنا أن أوضح هذا الأمر بمثال حى ملموس .

فقبل حوالى عام تقريبا قامت معلمة فى إحدى المدارس الابتدائية الألمانية بعمل اختبار هام لتلاميذ المدرسة الذين تتراوح أعمارهم ما بين التاسعة والعاشرة لمعرفة رأيهم فى الإسلام ، وقد استقت هذه المعلمة شرحا وتفسيرا لأسماء الله الحسنى من أحد الكتب التى كنت قد ألفتها فى هذا الصدد ، وكتبت المدرسة هذه الأسماء على ورقة بطريقة عشوائية دونما أى ذكر لمصدر أو أصل إسلامى ، ثم قامت بنسخ تلك الورقة وتوزيعها على التلاميذ . وقالت لهم :

« على هذه الصفحة أسماء مختلفة من أسماء الله . ضعوا خطا بأحد الألوان تحت الأسماء التى

(*) الكاتب : أستاذ بجامعة كولونيا ، ومدير الأكاديمية العلمية الإسلامية .

تعتبرونها أسماء لله فى المسيحية ، وخطا بلون آخر تحت تلك التى ترونها أسماء لله فى الإسلام .. » فالمعلمة : إذن ـ وعن قصد ـ لم تقل للأطفال : إن هذه الأسماء كلها إسلامية .

فماذا فعل هؤلاء الأطفال ؟ . إن غالبية الأطفال ـ كما هو متوقع ـ فسروا الأسماء الدالة على الرحمة والمغفرة والسلام والحب على أنها مسيحية ، والأسماء التى توحى بالشدة والغلظة على أنها إسلامية .

وهذه التجربة المفزعة توضح مدى التحيز ضد الإسلام ، وكيف أن الأحكام السيئة المغرضة تحاك ضده بكل دقة وفى وقت مبكر فى مراحل التعليم الأولى . وقد اكتشفت الأكاديمية الإسلامية العلمية (ومقرها مدينة كولونيا الألمانية) منذ الثمانينات أن التعليم المدرسى وخاصة الكتب المدرسية هى المنبع الأصلى لنشأة وتثبيت تلك الصورة المشوهة والزائفة عن الإسلام ، وعليه فقد قامت الأكاديمية بعمل مشروع على مستوى ألمانيا ثم بعد ذلك على مستوى أوربا لبحث المعلومات الواردة عن الإسلام فى الكتب المدرسية فى ألمانيا وفى كل أنحاء أوربا . وسوف أشير فى الحلقات التالية إلى بعض النماذج لهذا التحيز والتى تشيع فى الكتب المدرسية الأوربية .

• • •

قلت : إنَّ التحيز والأحكام المسبقة ضد الإسلام والتى تشتمل عليها الكتب المدرسية فى أوربا الغربية تؤدى فى النهاية إلى خلق صورة سلبية عن الإسلام بوجه عام ، تترسخ فى أذهان التلاميذ ، وتظل عالقة بعقولهم طوال حياتهم .

ينطلق مؤلفو الكتب المدرسية الأوربية غالبا من منطلق أن المسيحية والإسلام ـ كديانتين موحدتين ـ متفقتان فيما يتعلق بقضية الله ـ تعالى ـ . ونحن إذ نختار هذه القضية كمثال نريد أن نكشف الخبث والزيف الذى يود فى نهاية الأمر أن يظهر ـ وبصورة غير مباشرة ـ كيف أن إله المسلمين يتصف بالغلظة والشدة ـ كما سبق فى اختبار تلاميذ إحدى المدارس الألمانية الذى أشرنا إليه فى الحلقة السابقة . فالكتب المدرسية الأوربية لا تعالج قضية الله ـ سبحانه وتعالى ـ من حيث البرهنة على وجوده ـ جل علاه ـ ووحدانيته ، بل إنها تعالج هذه القضية من حيث وظيفة الله وعلى وجه الخصوص من حيث علاقته ـ تعالى ـ بالإنسان .

ففى نظام العقيدة الأوربية ، تلعب قضية الإنسان الدور الأكبر فى فكرهم ، وعليه فإن كل شىء فى رأيهم هو فى خدمة الإنسان .

ومن هذا الاعتقاد السائد ينتقل المرء إلى بيان معنى الإسلام ويصل إلى النتيجة التالية ـ كما ورد ذلك فى بعض الكتب المدرسية ـ :

« الإسلام لا يعنى دين السلام أو حالة السلام أو ما شابه ذلك » ، « الإسلام يعنى : الاستسلام لإرداة الله ، والمسلمون فى الإسلام هم أولئك الذين يستسلمون لإرادة الله » .

وعليه فإن مسألة الله والألوهية هى السمة المميزة للدين الإسلامى ، فكل شىء متعلق

بالله ، وكل شيء وخاصة الإنسان ، هو فى خدمة الله .

وقد يبدو هذا التعريف تفسيرا للإسلام لا تحوم حوله الشبهات ، حيث يبين أن الإسلام يعنى العلاقة المتبادلة بين الله والإنسان ، لدرجة أن بعض المسلمين فى أوربا أخذوا بهذا الرأى واعتنقوه .

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار النتائج التى يستخلصها واضعو هذه الكتب المدرسية من مثل هذه الأحكام الزائفة عن الإسلام ، نقول : إذا ما أخذنا كل هذا فى الاعتبار فإننا ندرك فى التو مدى الخبث الذى ينطوى عليه ذلك . فهذا التفسير للإسلام مثلا يوحى بأن هناك هوة سحيقة لا يمكن تخطيها بحال بين الله ـ تعالى ـ والإنسان . فهناك ـ من ناحية ـ رب حاكم جبار ، وفى الناحية الأخرى ، وعلى بُعْدٍ كبير منه ، يقف الإنسان الذى يسلَّط عليه هذا الربُّ جبروته ، وعلى هذا الإنسان أن يستسلم وينصاع لإرادة الرب ويطيعه طاعة عمياء . وأن ما يربط كلا الجانبين بعضهما البعض ، هو الرغبة فى السيطرة والتسلط من الناحية الإلهية ، والخوف والاستسلام من ناحية الإنسان .

ولكن كيف نشأت مثل هذه الأفكار والتصورات الخاطئة المغرضة عن علاقة الله تعالى بالإنسان ؟ بل عن قضية الإسلام بوجه عام ؟ .

من الواضح أن واضعى تلك الكتب المدرسية قد استندوا فى تصورهم هذا على المادة اللغوية « أسلم » والتى تعد تعبيرا عن العلاقة بين المنتصر والمنهزم ، وعلى المنهزم أن ينصاع ويستسلم طبعا لإرداة المنتصر ويطيعه طاعة عمياء ، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى نتيجة غاية فى الخطورة ، ألا وهى تمييز المسلم ـ كل مسلم ـ عند مقارنته بالأوربى ، حيث إنه يتضح مما سبق أن المسلم إنسان ليست لديه إرادة ، وبالتالى ليست لديه المعرفة بذاته .. فهو كالدمية فى أيدى إله متجبر يحركها كيف يشاء ومتى يشاء .. وعليه فالمسلم هو فى زعم هؤلاء : إنسان مقهور على أمره عليه أن يصبر ، وأن يتحمل ما يحدده له وعليه قدره ونصيبه ..

ومما يزيد الطين بلة أن بعض واضعى تلك الكتب المدرسية قد انطلقوا فى سرد آرائهم من هذا الاعتقاد الخاطىء ، بل والمغرض فى فهمهم للإسلام ، واعتبروا ذلك دليلا على تأخر وتخلف المسلمين فى العالم كله ؛ فقد ورد فى أحد كتب الجغرافيا ما نصه : « إن الإسلام بمعنى الاستسلام والخضوع من جانب الإنسان لإرداة الله هو السبب فى أن المسلمين اليوم ينتمون إلى شعوب العالم المتخلف » .

وهذا التحيز الواضح ضد الإسلام والمسلمين من شأنه أن يصور الله ـ سبحانه وتعالى جل فى علاه ـ على أنه إله جبار ظالم (والعياذ بالله تعالى) ، وأن الإنسان هو الذى يقع عليه هذا الظلم والجبروت ..

وفى الحلقة التالية نتابع الحديث عن بعض الأمثلة التى تشتمل عليها الكتب المدرسية الأوربية فيما يتعلق بالإسلام .

الشباب بين التدين والتطرف

فضيلة الشيخ/عبد المنصف محمود عبد الفتاح(*) :

إن الشباب عبر التاريخ ، ومسيرة الأجيال : هم الذين يحمون الذمار ، ويدافعون عن الديار .. والحق يقال : هم القوة الدافعة ، والدرع الواق لصيانة الأمم ، وسلامة الشعوب ، فمن القواعد المقررة : أن شباب الأمة يمثل حاضرها ، ويعبر عن حضارتها .. وبقدر ما يبذل فى تربيتهم وتثقيفهم ، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم ، بقدر ما تنال الأمة من عزة وكرامة ، ومجد وسؤدد ، كيف لا : وهم اللبنات التى يشاد عليها بناء المجتمع ، وبقدر تهاونها فى اعدادهم ، وإهمالها فى تقويمهم ، بقدر ما يكون ذلك من العوامل التى تهدد أمن الدولة وتدمر حضارتها !!

والشباب : اذا زكت نفوسهم وصلحت قلوبهم ، وطهرت جوارحهم وعلت هممهم كانوا دعائم قوية لبناء صرح الوطن ودروعا حصينة تحمى حمى الأمة ، بل كانوا بفضل سبقهم إلى اعتناق المبادىء القويمة ، والمفاهيم الصحيحة ، والمثل العليا : دعاة خير وبر وسلام .

وقد سطر فى سجل الخلود بمداد الفخر والثناء : أن الدين الإسلامى الحنيف : لم يقم إلا على أكتاف الشباب ، وبفضل ثباتهم ، ورباطة جأشهم وقوة عزائمهم وسمو اخلاقهم اعتز الإسلام وانتصر ، قال رسول الله ﷺ : « أوصيكم بالشباب خيراً ، فانهم أرق أفئدة ، أن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ، فحالفنى الشبان ، وخالفنى الشيوخ ثم قرأ :

﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الحديد]

وقد ذكر رسول الله ﷺ : أن من بين السبعة الذين سيظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله :

(*) مدير عام الدعوة والإعلام بالأزهر سابقاً وعضو لجنة الفتوى بالأزهر .

« شاب نشأ فى عبادة ربه » رواه البخارى إذ هو تحت تأثير الشباب ، والشباب شعبة من الجنون وخصوصا أنه يضم بين جنبيه نفسا أمارة بالسوء نزاعة للهوى ، فتغلب دينه فى هذه الحالة الشديدة على مقتضيات الفساد : دليل على قوة إيمانه ، وأرجحيـــة عقلـــه ، قال رسول الله ﷺ : « الشباب التائب حبيب الرحمن ، وفى الحديث القدسى يقول رب العزة : « أحب التائبين ، وحبى للشباب التائب أشد » .. وكفى بذلك شرفاً وفضلاً .

ولهذا أمر الإسلام : بالاهتمام برعاية الشباب : الذين هم عدة الحاضر وذخيرة المستقبل والعمل على إعدادهم إعدادا سليماً متكاملاً : بدنياً بالرياضة ، وروحياً بالعبادة ، وعقلياً بالثقافة وعسكرياً بالخشونة ، واجتماعياً بالخدمة العامة .

وإن مما يؤسف له أشد الأسف : أن توجد فى بعض الدول الإسلامية : جماعات من الشباب المسلم المتعصب : الذين يستمدون ثقافتهم من غير منابع الدين الإسلامى الأصيلة والتى فى مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والذين تشبعوا بمذهب الخوارج والتى عرف عنهم أنهم أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن اعتقادهم وتحمساً لآرائهم وقد دفعهم التعصب الشديد إلى استهداف المخاطر وقسوة القلب على غيرهم والرغبة فى الموت إخلاصاً لعقيدتهم : وهم كما يقول الشهرستانى : فى كتابه الملل والنحل : « كل من خرج على الإمام الحق : الذى اتفقت الجماعة عليه سواء أكان الخروج فى أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين : أم كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان .

والخوارج بعبارة أخرى : كل من خرج على الإمام على رضى الله عنه ، بعد قبول التحكيم ، معتقدا كفره ، وكفر من رضى بالتحكيم مع بعض المعتقدات : التى خرجوا بها على المسلمين وعرفوا بها ، مثل : قولهم بتكفير مرتكب الكبيرة ، وأنه بمنزلة بين المنزلتين والحكم عليه بأنه مخلد فى النار ، وأدهى من ذلك وأمرُّ أنهم يكفرون عليا ومعاوية وطلحة والزبير بن العوام وأم المؤمنين : الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم أجمعين ..

وقد امتد شذوذهم فى فكرهم بدافع من التعصب البغيض : إلى شذوذهم فى السلوك فدبروا المؤامرات التى راح ضحيتها : الإمام على ـ رضى الله عنه ـ حيث طعنه عبد الرحمن بن ملجم وهو يصلى الصبح .

فهل يليق بشبابنا المسلم أن ينهج نهجهم ، فيدفعهم التعصب الشديد إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء ظلما وعدواناً ، بحجة أن الدار التى يعيشون فيها : دار كفر وليست دار إسلام ، فهم بذلك كفار ، لاحرج فى قتلهم !!

ولقد دفعهم « التشدد » إلى الحكم على بلاد المسلمين ، بأنها بلاد كفر فكيف يسوغون ذلك لأنفسهم ، والحال : أنه يؤذن فيها لجميع الأوقات ، وتقام فيها الصلوات الخمس ، وجميع الشعائر الدينية .. وقد روى : أن النبى ﷺ أرسل « الوليد بن عقبة » إلى بنى المصطلق لجمع الصدقات (أى زكاة أموالهم) فتلقوه بالصدقة ، فرجع فقال إن بنى المصطلق : قد جمعت لك لتقاتلك ، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث

رسول الله ﷺ « خالد بن الوليد » ـ رضى الله عنه ـ وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونه (أى جواسيسه لاستجلاء الحقيقة) فلما جاءوا أخبروا « خالداً » : أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم « خالد » ـ رضى الله عنه ـ ، فرأى منهم الذى يعجبه ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فأنزل الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

سورة الحجرات

إنما ينبغى العمل بكتاب الله ، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ فى غير تشدد ولا تعصب ولا تطرف فهو دين الوسطية والاعتدال ودين اليسر والسماحة ، قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ولأبى موسى الأشعرى لما بعثهما إلى اليمن « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » رواه البخارى ومسلم ، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إنى بعثت بحنيفية سمحة » والتطرف الدينى إنما ينشأ عن سوء الفهم للنصوص مما يؤدى إلى التشدد وهذا أمر لا يقره الإسلام .

فان الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها أو سوء الفهم لها : قد يصل بالإنسان إلى درجة الغلو الذى لا يرضاه الدين ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : « جاء ثلاثة رهط (أى ثلاثة أفراد) إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة) فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا اتزوج أبدا ؟

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا !والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » رواه البخارى ومسلم .

والتدين كما يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : « بمعنى الالتزام بأحكام الدين ، والسير على منهاجه أمر مطلوب ومرغوب فيه ومحمود عند الله ، وعند الناس : يعود بالخير والفلاح على أصحابه وعلى المجتمع ، وبهذا يكون التدين ظاهرة إيمانية طالما ظل فى إطار من الفهم الصحيح السديد والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية مما يستوجب أن يؤيد ويدعم ، ولا يناهض ولا يطارد » **ولعل خير علاج للتطرف والتعصب ان يراعى مايأتى بيانه :**

١ ـ تطهير جميع وسائل الإعلام من العناصر المنحرفة : التى تكيد للإسلام عن قصد أو عن غير قصد وأن تصبغ كلها بالصبغة الإسلامية ولا مانع من أن تكون هناك برامج ترفيهية معتدلة ..

٢ ـ العمل الجاد : على نشر الأداب والتعاليم الإسلامية العريقة التى لا تسمح بظهور الكاسيات العاريات وتطهير المجتمع من وسائل

الإغراء ، ودواعى الاثارة وأسباب التحريض على الفتنة .

٣ ـ تنويع العلم ، بحيث يشمل كافة المجالات : النظرية والعملية والدينية والثقافية والتكنولوجية .

٤ ـ أن تكون مادة الدين أساسية فى جميع مراحل التعليم مع إعادة النظر فى جميع المناهج الدراسية ، بحيث تنقى من الأفكار : التى تتعارض مع الإسلام .

٥ ـ إعداد معلمين صالحين قادرين على تحويل المنهج الصالح والكتاب الملائم : إلى واقع ملموس ، وذلك بما يكون لديهم من كفاءة ومقدرة علمية وفنية ، وما يحملونه فى صدورهم من ضمائر حية مؤمنة ، فهم فى الحقيقة معلمون مربون ، وهداة مصلحون فى الوقت نفسه .

٦ ـ إحياء رسالة المسجد ، حتى يعود إلى سالف عهده ، مصدر هداية وإشعاع وإصلاح جامعا للعبادة ، ومعهدا للثقافة ومدرسة للتربية ومنتدى للتعارف .

٧ ـ اختيار أفضل العلماء وأقدرهم : للوعظ والخطابة والتدريس فى المساجد ولاسيما الكبيرة منها وإلقاء المحاضرات فى الأندية والمصانع والقاعات المخصصة لذلك وإعطاؤهم الحرية المطلقة عن حقائق الإسلام ومفاهيمه والتصدى لأباطيل خصومه ومكائد أعدائه .

هذا وبالله التوفيق .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .



الأسرة والمجتمع

لفضيلة الشيخ محمد فتحى عبد الصادق

١ ـ قوة المجتمع وضعفه :

يتكون المجتمع من مجموعة من الأسر ، وتبدأ الأسرة بالزوج وزوجته ، ومنهما يكون الأبناء والبنات ، قال ـ سبحانه ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ...﴾(١) ، **وقال ـ جل شأنه ـ :**

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ...﴾(٢) .

وكلما كانت الأسرة قوية مترابطة ، يعرف كل فرد فيها واجبه نحو ربه ونحو وطنه فيؤديه بأمانة وإتقان كلما كان المجتمع قويا ناهضا ، يعتز به أبناؤه ويضحون فى سبيله بكل عزيز ونفيس ، لَا تؤثر فيه العواصف ، ولا ينال من شأنه حاقد .

٢ ـ عوامل قوة الأسرة :

(أ) أن يكون الأساس فى اختيار كل من الزوجين صاحبه التمسك بأهداب الدين ، والتحلى بالخلق الفاضل ، والتخلى عن الشرور والآثام ، وعدم الحرص على اشتراط الغنى واليسار ، أو الجمال الفاتن ؛ فإن الزواج للمال يطغى ، وللجمال يردى : « فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك » .

(ب) أن يكون الوالدان قدوة طيبة لأبنائهما ، لا يسمعون منهما إلا كل قول حميد ، ولا يرون منهما إلا كل فعل جميل ، ولا يثيران أمامهم خلافاً ولا ألفاظاً بذيئة ؛ فالطفل فى هذه السنّ المبكرة كالعجينة يصوغها الإنسان كما يحب .

(جـ) أن يحرص الوالدان على مراقبتهم ، وتتبع أحوالهم وتصرفاتهم ، فإن شاهدا منهم انحرافاً أو

(١) الآية الأولى من سورة النساء .

(٢) آية ٧٢ من سورة النحل .

بعداً عن الصواب أو اختلاطاً بإخوان السوء أسرعا إلى إرشادهم فى حكمة وكياسة بلا عنف ولا لين ، وأن يكونا فى ذلك كالطبيب الحاذق يعالج كل داء بما يناسبه .

(د) أن يهتم الوالدان بتنشئة أبنائهما على محبة الدين والإخلاص للوطن ، ومراقبة الله فى السر والعلن ، ومحاسبة النفس حسابا عسيرا ، ويستعينان فى ذلك بكتب السنة والسيرة .

٣ ـ ولقد غرس هذه الصفات الكريمة إمامُ المعلمين والمصلحين ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نفوس أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فأثمرت وأينعت وآتت أكلها ، وعرف ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانتهم ومنزلتهم ، فأسند إليهم بعض الأمور الخطيرة التى تتوقف عليها حياة المسلمين والإسلام ، فأسند قيادة الجيش لحرب الروم إلى أسامة بن زيد وفى القوم أكابر الصحابة وأجلّاؤهم كأبى بكر وعمر ، ولما توفى رسول الله ﷺ قبل أن يقوم الجيس بمهته أنفذه الخليفة أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ، فيمشى على رجليه وأسامة ـ رضى الله عنه ـ راكب يودعه وينصحه ، فيقول له : يا خليفة رسول الله لتركبنّ أو لأنزلنّ ، فيرد عليه الخليفة : لا ركبتُ ولا نزلتَ .

ولم تكن المرأة أقل شأناً فى أداء واجبها من الرجل ، ولكنها وقفت إلى جانبه فى أشد المواقف . وفى جميع الميادين .

(أ) ففى الناحية العلمية ـ نجد أن المرأة كانت متفقهة فى أمور دينها ، حتى تتلمذ عليها كثير من الرجال الذين ذاع صيتهم ، وطارت شهرتهم فيما بعد ، حتى وجدنا الشافعى ـ رحمه الله ـ ، وقد طبقت شهرته الآفاق كان يرجع فى بعض المسائل إلى السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ

وهذا سعيد بن المسيب وهو من كبار التابعين يزوج ابنته من أحد تلامذته على دراهم معدودة ، وفى صباح يوم زفافها إليه أراد أن يخرج كعادته إلى حلقة أبيها ، قالت له : إلى أين ؟ قال : إلى حلقة أبيك سعيد ، قالت له : اجلس ، وأنا أعلمك علم سعيد ، قال أبو وداعة : فإذا هى من أعلم الناس بكتاب الله وأحفظهم لسنة رسول الله ﷺ (٣) .

(ب) وفى مراقبتها لله وخوفها منه ـ سبحانه ـ نجد أنه فى عهد الخليفة عمر وبينما كان يتفقد أحوال رعيته ليلاً ، ومعه حارسه سمع حواراً بين فتاة وأمها ، فالأم تطلب منها أن تخلط اللبن بالماء ، ولكن الفتاة ـ وقد عمر الإيمان قلبها ـ تذكرها بأن الخليفة قد نهى عن ذلك ، فتقول لها : وأين عمر منا الآن ونحن ليلا وفى بيتنا ؟ فتقول لها الفتاة : وإذا كان عمر لم يرنا فإن الله يرانا ، ويسمعنا ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾(٤) ، وفى الصباح أرسل الخليفة فى طلب المرأة وابنتها ثم زوج ابنه عاصماً من هذه الفتاة ، فصارت جدة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين .

(٣) من كتاب أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان .

(٤) سورة العلق آية ١٤ .

(جـ) وفى قناعتها ورضاها بما قسم لها : قرأنا أن أحد الصحابة كان يواظب على الصلاة خلف رسول الله ﷺ ، ثم يسرع بعد انتهائها إلى بيته ، ولما لاحظ عليه ذلك رسول الله سأله عن سبب خروجه مسرعا عقب الصلاة ، فقال له الرجل : لأن امرأتى فى انتظارى حتى أنزع ثوبى الذى ألبسه ، حتى ترتديه فتؤدى فيه الصلاة ؛ لأن البيت ليس به ثوب يصلح للصلاة سوى هذا ، وكان هذا الحوار سبباً فى تأخره عن العودة إلى بيته .. فسألته زوجته عن سبب ذلك فأخبرها بما دار بينه وبين رسول الله ، وهنا صرخت المرأة متألمة ، وقالت له : أتشكو رب محمد إليه ؟! ما هكذا يكون الإيمان !!!

(د) أما إسهامها فى الجهاد فى سبيل الله ، فقد كانت تقوم بدور هام فى المعارك بما يناسبها ، بل قرأنا أنها حملت السلاح فى أشد المعارك وأعنفها ، ففى غزوة حنين وحينما تراجع المسلمون ، نتيجة اغترارهم بكثرتهم ، لم يبق مع رسول الله ﷺ سوى نفر قليل ، وكان من بينهم فارس ملثم ساءه فرارهم وتركهم رسول الله فأبلى بلاء حسنا غير هياب ولا وجل ؛ مما أثار إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء ، وحين سأل عنه رسول الله ﷺ لم يعرفه أحد ، وبعد أن انتهت المعركة بفوز المسلمين أقبل هذا الفارس الملثم على رسول الله ، وكشف عن وجهه ، وإذا به أم سليم ـ رضى الله عنها ـ ، ويقول زوجها : والله يا رسول الله لقد تركتها فى بيتى ، وهى تحمل جنينا بين أحشائها .

هذه أم سليم ، وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ، وأم أخيه البراء بن مالك الذى قامت أمه بتربيته وإعداده إعدادا يتفق مع دين الله ، وغرست فيه صفات الشجاعة والبطولة والتضحية فى سبيل الله ، واشترك فى حرب مسيلمة الكذاب تحت قيادة خالد بن الوليد ، وما كاد أتباع مسيلمة يشعرون بقدوم خالد حتى تحصنوا فى بستان لهم ، وحوله سور له باب ضخم لم يستطع المسلمون اقتحامه ، فطلب منهم البراء أن يحملوه على أكتافهم ويلقوا به من فوق السور داخل البستان ، ولكنهم رفضوا خوفا على حياته ، فما كان منه إلا أن قفز فوق السور وألقى بنفسه داخله ، وفتح لهم الباب ، وكان ذلك سببا فى هزيمة مسيلمة ، وجرح البراء فى أجزاء من جسمه .

أما موقفها عند نزول المحن والكوارث فهو موقف المسلمة التى آمنت بربها ورضيت بقضائه وقدره ، وبما قسم لها فى حياتها ، هذه أم سليم ـ رضى الله عنها ـ ، أسلمت فى أول الدعوة ، وطلبت من زوجها مالك أن يسلم فتردد ، ثم خرج وتركها بعد أن أنجب منها أنس بن مالك ، وأخاه البراء ، أما أنس فقد ذهبت به إلى رسول اللهوقالت له : هذا خويدمك أنس ، وادع الله له ، وأما البراء فقد تعهدته بالتربية والرعاية وغرست فيه محبة الله ـ تعالى ـ ومحبة رسوله ﷺ ، وطلب الزواج منها كثير من الناس ، ولكنها كانت ترفض حتى يكبر ابنها مالك ، وكان من بينهم أبو طلحة الأنصارى ، وقدم لها كثيرا

من ذهبه ، فلم يُثنها عن عزمها بريقه ، ولما رأت إلحاحه ، قالت له : إنك مشرك ، ولن أقبلك زوجا حتى تسلم ، وعندئذ يكون إسلامك هو صداق ، فذهب إلى رسول الله ونطق بالشهادتين أمامه ، وقال له : هذا صداق لأم سليم ـ فزوجهما ، وأنجب منها طفلا أسمياه « أبا عُمَير » ، وكان رسول الله يزورهما فى بيتهما ويلاعب أبا عمير هذا ، لكن شاء الله ومرض الطفل ، وحينما يعود أبو طلحة من عمله ليلا إلى منزله يسأل أمه عنه حتى يطمئن عليه ، إلى أن توفى الطفل ، فغسّلته أمه وكفنته ووضعته فى جانب من البيت ، ولما جاء أبو طلحة سألها عنه كعادته ، فقالت : (لقد هَدَأَتْ نَفْسُهُ وأرجو أن يكون قد استراح) عبارة تحتمل معنيين : أن تكون نفسه قد هدأت من المرض بالموت ، وهذا ما تقصده ، وإن كان ظاهر العبارة أن مرضه قد زال عنه واستراح وعاد إلى صحته ـ ثم لم تكتف بهذا وإنما تزينت لزوجها وتعطرت ونامت معه ،

وقبيل الفجر استيقظ الرجل لصلاة الفجر مع رسول الله فقالت له : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوما أعاروا أهل بيت عارية ثم طلبوها ألهم أن يمنعوها ؟ قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك ؛ فإن لله ما أخذو له ما أعطى ، وكل شىء عنده إلى أجل مسمى ، فلم يزد الرجل على أن قال :

﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ ، وذهب إلى رسول الله ، وأخبره بما كان من امرأته ، فقال له : بارك الله لكما فى ليلتكما . قال رجل من الأنصار : فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن (هذا معنى حديث البخارى) فانظر ـ هداك الله ـ إلى موقف أم سليم من هذه الكارثة ، والله أعلم ما الذى كان يحدث لو أنها فاجأت زوجها بالندب والنياحة ، ولكنها بفعلها هذا هوّنت عليه من أمر المصيبة بما لا يستطيعه إلا من ملأ الله قلبه بالإيمان والرضا .

وكانت نتيجة التمسك بدين الله وتنفيذ شرعه أن أعز الله بهم الإسلام ، وأسّسوا حضارة وبنوا مجداً فأمنوا بعد خوف ، وتقدموا بعد تخلف وعزّوا بعد ذلة ، وحقق الله لهم بذلك وعده :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾

سورة النور آية ٥٥ .

وامتنّ الله عليهم بأنهم لما ضحّوا بكل عزيز فى سبيله ، ورحّبوا بالاستشهاد من أجله كان معهم بنصره وتأييده :

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة الأنفال

تلك بعض آثار التربية القويمة التى اهتدت بالإسلام . فكانت ثمراتها هذه قطوفاً بالخير دانية : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد / و.ع.ع من العريش شمال سيناء :

ما حكم الدين فى شخص ينشىء مسجداً كبيراً ويسميه باسمه مكان زاوية صغيرة أقامها أحد الصالحين للصلاة قبل أن تتحول إلى مسجد كبير بمئات السنين ؟

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؛ فخير ما يعمله المسلم فى حياته بناء مسجد لله تعالى ؛ قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وجاء فى الحديث القدسى عن الله ـ عز وجل ـ قوله : خير بيوتى فى الأرض المساجد وخير عبادى عمارها فطوبى لرجل تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور إكرام زائره ، وروى البخارى وأصحاب السنن عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة** » وفى رواية ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة أو أصغر ـ أى كعش عصفورة ـ بنى الله له بيتاً فى الجنة** » فهذا الشخص الذى أنشأ مسجداً كبيراً مكان زاوية أقامها أحد الصالحين هو فعل طيب يثاب عليه من الله تعالى .

أما كتابة الاسم على المسجد فمكروهة لما فيها من المباهاة والافتخار وعدم خلوص النية لله تعالى ، وهذا يتنافى مع قول الله تعالى : ﴿وَأَنَّ

﴿ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فليتق الله هذا الخيِّر ولا يجعل لعمله رياء ولا سمعة ولْيَمْحُ اسمه من واجهة المسجد حتى يكون عمله خالصاً لوجه الله ، تقبل الله منا ومنه . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة / م.ع.ف من سوهاج :

أنا رجل فلاح من سوهاج جاء إلىَّ صديق يطلب السفر إلى إحدى دول الخليج وعرض على رهن قطعة أرض زراعية قدرها ٨ قراريط أو أكثر من ذلك بقليل مقابل ٥٠٠٠ جنيه (خمسة آلاف جنيه) على أن أقوم أنا بزراعة الأرض المذكورة لحين سداد المبلغ المذكور فى أى وقت شاء ، واتفقنا على ذلك راضين على أن أقوم أنا بسداد الأموال الأميرية المستحقة على قطعة الأرض .

فهل هذا جائز أم أدفع له قيمة الإيجار على حسب الضريبة ؟

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم .. الرهن إنما جعل لضمان الحق لا ليستفيدمنه آخذ الرهن لقول الله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ وقد رهن النبى ﷺ وهو غير مسافر حيث اقترض من يهودى ثلاثين صاعاً من شعير لنفقة عياله ثم رهن عند اليهودى درعه وخرج من الدنيا صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند اليهودى ليضرب لنا المثل فى زهده فى الدنيا .

وما فعلته من أخذ هذه الأرض رهناً لضمان سداد ما اقترضه منك صاحبك جائز ومشروع ، ولكن المحرم هو زرعك الأرض بدون مقابل لأن هذا يكون سلفاً جر نفعاً وكل سلف جر نفعاً فهو ربا ، فاتق الله وادفع إليه قيمة الإيجار سنوياً أو اخصم قيمة الإيجار من مبلغ الدين حتى تسلم من أكل الربا وتثاب من الله فى إقراضك لصاحبك لأن النبى ﷺ رأى ليلة المعراج مكتوباً على باب الجنة : الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر . قيل له : فما بال القرض من الصدقة : قال : لأن السائل يسأل وعنده شىء أما المقترض فلا يقترض إلا من ضرورة . فامتثل شرع الله ولا تؤثر الدنيا على الآخرة حتى يبارك الله لك فى مالك . والله تعالى أعلم .

السؤال من هـ.د.ط :

توفى رجل عنده خمسة أبناء . علماً بأن أحدهم توفى قبل الوالد وترك بنتاً . فما نصيب كل والد ، وهل البنت للابن ترث أم لا ، ومقدار نصيبها ؟

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد . فنفيد بأنه إذا كان المورث متوف بعد عام ١٩٤٦م فإن فى تركته وصية واجبة لبنت الإبن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦م وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاها شيئاً حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلها فتقسم التركة خمسة أجزاء جزء منها وصية واجبة لبنت الإبن دون أن يشاركها أحد ، والباقى للأبناء الأربعة الأحياء تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى . والله تعالى أعلم .



الشيخ عبد الجليل عيسى

من أعلام الأزهر

فضيلة الشـــيخ
عبدالجليل عيسى أبوالنصر

للأســـتاذ /
خيرى عبدالجليل

تاريخ حياته والوظائف التى تقلدها :

ولد فضيلته بعزبة الرملة بكفر الشيخ سنة ١٨٨٨ ميلادية ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم اشتغل بطلب العلم من أوائل سنة ١٩٠٣ م ، وتنقل فى طلبه بين الجامع الأحمدى بطنطا والأزهر الشريف حسب نظام الأزهر القديم إلى سنة ١٩٠٨ م ، ثم درس على النظام الحديث من سنة ١٩٠٩ م ، ونال العالمية سنة ١٩١٤ م ، وعين مدرسا بمعهد طنطا فى سبتمبر سنة ١٩١٤ م ، ثم نقل إلى الأزهر مدرسا بالقسم الثانوى ، ثم بالقسم العالى به ، ثم فى قسم التخصص ، إلى أن عين مفتشا بالأزهر فى ٢٣ مايو ١٩٣٥ م .

ثم صدر أمر ملكى بتعيينه شيخا لمعهد دسوق فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٧ م ، ثم تلاه أمر آخر بتعيينه شيخا لمعهد شبين الكوم فى ٢٢ أغسطس

سنة ١٩٣٨ م ، فأمر بتعيينه عميدا لكلية أصول الدين فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٦ م ، ومع تعيينه بالكلية عين عضوا بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ثم صدر أمر آخر بتعيينه عميدا لكلية اللغة العربية فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ثم صدر قرار جمهورى فى سنة ١٩٧١ م بتعيينه عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ونال جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية عام ١٩٧٩ م .

كتب عنه الأستاذ السمان يقول : هذا العالم الجليل ـ رحمه الله ـ يذكرنا بعلماء السلف : عمق إيمان ، وصحة عقيدة ، وسعة أفق ، وقوة حجة ، وسلامة رأى والتزام بالمبدأ ، واعتزاز برسالة العلماء ووراثة الأنبياء ، إنه الشيخ عبدالجليل عيسى ، الذى تدرج فى المناصب الأزهرية . حتى أصبح عميدا لكلية اللغة العربية ، ثم اختير عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية وعضوا فى مجمع اللغة العربية ، وعضواً فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكان فى كل هذه المجالات برغم سنه التى أربت على التسعين نشيطا نشاط الشباب فيما بين العشرين والثلاثين . لم تكن العضوية فى نظره وساما يتحلى به أو ركازا يعتمد عليه .. بل كانت رسالة يجب أن يفى بها ويعمل لها .

عرفت الشيخ عن كثب ، وتتلمذت له ، عقلا وفكرا ، وعلما ومعرفة ، كان من أبرز صفاته صفتان : الصفة الأولى هى الوفاء لإخوانه وأصدقائه وتلاميذه ومعارفه .. وأكثر ما يكون وفاء فى أيام المحن والشدائد ، كانت له صلات بعلية القوم فى مصر .. صلات ود وتقدير متبادل ، كان يتردد كثيرا فى لقاءاتهم وهم فى مناصبهم ، ولا يتردد أبدا حين ينتهون إلى منازلهم بعد أن تتخلى عنهم مناصبهم ، أو يتخلون هم عنها ، أما الصفة الثانية فهى شجاعة الرأى وشجاعة الرأى عند الشيخ لا تبدأ من فراغ وليست مجرد استعراض عضلات ، إنما كانت من منطلق عقلية راجحة ، وفكر ثاقب ، واجتهاد فى الرأى .

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يتمتع بشفافية الروح وملاحة الدعابة ، وسلامة العبارة .

حين يتصدى للحديث ويتصدر المجلس ، لا تحس أنك أمام شيخ فى يده عصا ، كان يقبل المناقشة بصدر رحب ويرد على المعترض بابتسامة العالم المتمكن وأناة الحكيم المتأمل ، كان يتمثل دائما كلمات الإمام مالك ـ رحمه الله ـ لا تسل من قال ؟ ولكن سل ماذا يقول ؟ .

مواقف فى حياته :

من أبرز المواقف لفضيلته ما حدث فى أوائل الثلاثينات فى مشيخة الإمام الأكبر الشيخ الأحمدى الظواهرى ، وذلك أن فظائع الطليان قد اشتدت على اخواننا مواطنى طرابلس الغرب بليبيا ، أولئك الذين أخذهم الطليان بالبأساء والضراء فلم يرحموا صبيا ولا امرأة ولا شيخا وبلغت ذروتها بمأساة المجاهد « عمر المختار » الذى تجاوز السبعين من عمره إذ أسروه ثم شنقوه وتركوه معلقا فى المشنقة لأيام عدة .

هذا الحادث الأليم المفجع قد هز الأمة العربية والإسلامية هزاً عنيفاً ، وكان للعلماء المسلمين نصيبهم الموفور من هذا الحزن العميق ، وقد تمثل الحزن والأسى فى طائفة من كبار علماء مصر منهم فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى فما كان منهم إلا أن قاموا بإرسال احتجاج صارخ إلى كل دول العالم من فظائع الطليان وشراستهم الحيوانية فى معاملة الأسرى .

تألم ملك إيطاليا من هذا الاحتجاج الذى بعثه العلماء إلى دول العالم وفضحوا فيه مآسى الطليان التى أنزلوها بالشعب الليبى الشقيق ؛ فبعث إلى الملك فؤاد ملك مصر فى ذلك الحين مذكرة بأفضاله على والده إسماعيل أيام منفاه فى إيطاليا ، ولم ينس أن يذكره بأفضاله عليه هو نفسه عندما كان ينشأ ويربى فى إيطاليا !!!

فماذا كان موقف الملك فؤاد إزاء هؤلاء المصريين الذين لم يرعوا ما بين ملكهم وملك إيطاليا من صلات المودة !!! ؟.

استجاب الملك فؤاد استجلابا لمرضاة ملك إيطاليا ورد لمعروفه عليه وعلى والده ؛ فادعى أن علماء الأزهر العاملين به يزيدون عن الحاجة ، وأن الحالة تستدعى الاستغناء عن بعضهم وفرا للميزانية . فأحال هؤلاء العلماء إلى المعاش فى عام ١٩٣١ مع جملة من العلماء كبار السن حتى لا يظهر أن هؤلاء العلماء هم المقصودون بالإحالة للمعاش ، وكأن الأمر لا يعدو أن يكون إجراء اقتضاه حال الأزهر وظروفه المالية وأن ما قام به هؤلاء العلماء من احتجاج على الطليان لم يكن منظوراً إليه من قريب أو من بعيد ، فمكث فضيلته خارج الأزهر من سنة ١٩٣١ حتى ١٩٣٥ حيث قام هو وزملائه برفع دعوى أمام القضاء كشفوا فيها حقيقة الأمر .

وعاد الشيخ وصحبه إلى أعمالهم كل فى مكانه ، بل رقى بعضهم فعمل بأقسام التخصص ، وطالب الأزهريون بالشيخ المراغى شيخاً للأزهر ولم يجد الملك بدا من إحالة الشيخ الظواهرى إلى المعاش وتعيين الشيخ المراغى شيخاً للأزهر .

★ فى عام ١٩٥١ صدر مرسوم ملكى بإحالته إلى المعاش قبل بلوغه السن القانونية . فقام برفع دعوى أمام مجلس الدولة طالبا فيها إلغاء المرسوم الملكى بإحالته للمعاش وتعويضاً أدبياً ٢٠ ألف جنيه وفى عام ١٩٥٥ صدر حكم من هذه المحكمة بإلغاء المرسوم الملكى الصادر بإحالته إلى المعاش وعودته إلى عمله عميداً لكلية اللغة العربية مع اعتبار الفصل كأن لم يكن مع ما يترتب على ذلك من آثار مادية وأدبية ، وسطرت المحكمة فى حيثيات حكمها سطوراً مضيئة فى تاريخ فضيلته .

★ خاض فضيلته طوال حياته معركة رهيبة فى سبيل تنقية كتب التراث من الأباطيل ، ولم يغب عن فضيلته ما قام به الإمام محمد عبده والشيخ المراغى فى هذا السبيل مما مهد الطريق للإصلاح . كما أن العصر قد ترك آثاره فى تفتح الأذهان وفى

تقبل الصالح المستقيم من الأراء الجديدة ومطاردة الخرافات ورجمها .

مؤلفاته العلمية :

١ ـ تيسير التفسير

(تفسير كامل للقرآن الكريم)

ـ صدر منه طبعة واحدة عام ١٩٥٧ فى مجلد واحد ونفذت فى نفس العام .

ـ ويمتاز هذا التفسير بالسهولة والوضوح والبعد عن القصص والإسرائيليات ويوجد به لأول مرة فى التفاسير طريقة لتعريف القارىء النطق الصحيح لبعض ألفاظ القرآن التى يصعب على غير المتخصصين نطقها سليماً .

٢ ـ المصحف الميسر

(تفسير لمعانى كلمات القرآن)

ـ صدر فى مجلد واحد وأعيد طبعه ست مرات آخرها كان سنة ١٩٧٤ ونفذت جميعها .

ـ فأما الطبعة السابعة فقد أضيف إليها كثير من الإيضاحات وهى تحت الطبع .

٣ ـ كتاب اجتهاد الرسول ﷺ

ـ صدر منه عدة طبعات ونفذت جميعها .

٤ ـ كتاب ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين

ـ صدر منه عدة طبعات ونفذت جميعها .

٥ ـ صفوة صحيح البخارى

ـ ٤ أجزاء تتضمن صفوة من أحاديث صحيح البخارى وعددها سبعمائة حديث مع الشرح الواضح البسيط ، وعلى هذا الكتاب نشأت أجيال عدة من طلبة المرحلة الثانوية بالأزهر . وصدر منه عدة طبعات آخرها سنة ١٩٥٣ ونفذت جميعها . هذا بخلاف عديد من المقالات والأبحاث نشرت فى الصحف والمجلات المصرية والعربية .

حياته العائلية :

★ لفضيلته خمسة أبناء ذكور وبنت واحدة وهم :

١ ـ محمد عبد الجليل عيسى تخرج فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر .

٢ ـ رشيد عبد الجليل عيسى ـ تخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة .

٣ ـ خيرى عبد الجليل عيسى ـ تخرج فى كلية التجارة .

٤ ـ طاهر عبد الجليل عيسى ـ تخرج فى كلية الحقوق جامعة القاهرة .

٥ ـ لواء شرطة أسامه عبد الجليل عيسى .

٦ ـ السيدة حرم المرحوم الدكتور حسنين حسنين عمارة الأستاذ بجامعة الاسكندرية سابقاً .

وفاته :

وحان القضاء فأصيب فضيلته فى يونيو ١٩٧٩ بشلل ألزمه الفراش حتى لقى ربه فى أول رمضان سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢ يوليو ١٩٨١ ميلادية .

بسم الله الرحمن الرحيم

برئاسة سلطانية بمنح درجة العالمية



من حسين كامل سلطان مصر لحضرة الله تعالى

الى حضرة العلامة الشيخ عبد الجليل عيسى المدرس بالمدرسة الاحمدية بطنطا الشيخ مدير الغربية

رفع الينا حضرة الفقيه الفاضل الكبير صاحب الفضل الوفير شيخ الجامع الاحمدي بطنطا ورئيس المجلس

العلمي مذكرة بالمعاهد الدينية العلمية السلطانية ما قرره ذلك المجلس المبارك في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٧

من استحقاقكم لدرجة العالمية في الامتحان الذي عهدنا به طنطا الذي اجري في سنة ١٣٤٧

وبناء على ذلك اصدرنا برئاسة السلطانية هذه لكم وخولناكم بمقتضاها العالمية السلطانية مع حقوقها التي تخولها لكم

القوانين واللوائح المشتغة والله يفتح للناس بعلمكم وفقكم شافيه الخير بفضله

تحريرا بسراي عابدين السلطانية في اليوم الثامن من شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٨ وثمانية وعشرين من شهر خاتم المرسلين

سجل بالديوان العالي السلطاني عدد ٥٠

رئيس الديوان العالي

● صورة ضوئية من شهادة العالمية التى منحها السلطان حسين كامل للشيخ عبد الجليل عيسى ●

طرائف ومواقف

الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« رثـــاء »

لصفية بنت عبد المطلب : ترثى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده
ولكن لما أخشى من الهرج اتيا

الاجتهاد عند أئمته

قال أبو حنيفة ــ رضى الله عنه :ــ
حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتـــى بكلامى .
وكان إذا أفتى يقول : هذا رأى أبى حنيفة ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

وكان مالك ــ رضى الله عنه ــ اذا استنبط حكما قال لاصحابه :
انظروا فيه فإنه دين ، وما من أحد إلا مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يعنى النبى ــ ﷺ ــ .

وقال الشافعى ــ رضى الله عنه ــ للربيع :
يا أبا اسحاق لا تقلدنى فى كل ما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فإنه دين .

وقال أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ :
انظروا فى أمر دينكم ، فإن التقليد لغير المعصوم مذموم ، وفيه عمى للبصيرة .

سخـــاء غلام

خرج عبد الله بن جعفر ــ رضى الله عنه ــ يوما الى الريف فوصل الى بستان نخيل وفيه غلام

يشرف عليه ، وكان مع الغلام ثلاثة أقراص هى طعامه ، فدخل كلب واقترب من الغلام ، فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلها ، وعبد الله ينظر اليه ؛ فقال : « ياغلام .. ما طعامك كل يوم » ؛ قال : ما رأيت ؛ قال : فلم فضلت هذا الكلب على نفسك ؟ قال الغلام : لا توجد كلاب فى أرضنا فعرفت أن هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعا ، فكرهت أن أتركه لجوعه ، قال عبد الله : فما أنت صانع اليوم ؟

قال الغلام : أصوم يومى هذا ، فاشترى عبد الله بن جعفر البستان وما فيه من نخيل وآلات ووهبه له ، فقال الغلام : إن كان ذلك لى فسأجعله كله فى سبيل الله ـــ تعالى ـــ .

كيف الخلاص ؟

إنى ابتليت بأربع ما سلطوا
إلا لشدة شقوتى وعنائى
إبليس ، والدنيا ، ونفسى ، والهوى
كيف الخلاص وكلهم أعدائى

من أقوال العز بن عبد السلام رضى الله عنه

عندما خلق الله الانسان خلقه كمملكة ، وجعل عليها ملكا ألا وهو العقل ، وأجلسه على كرسى ألا وهو القلب ، وجعل له خدما ألا وهن الجوارح ؛ فقال اللسان : وأنا الترجمان ؛ وقالت العينان : وأنا المبصرتان ؛ وقالت الأذنان : وأنا الجاسوستان ؛ وقالت اليدان : وأنا الباطشتان ؛ وقالت الرجلان : وأنا الساعيتان ؛ وهنا قال صاحب الديوان : « كما تدين تدان » .

أنـــا ... والاناء

جلس بخيل يأكل مع زوجته ، فقال : ما أطيب هذا الطعام لولا كثرة الزحام .

فقالت الزوجة : وأى زحام ؛ وما ثم إلا أنا وأنت ؛ فقال : كنت أحب أن أكون أنا والاناء فقط .

يؤثـــرون على أنفسهم

أمر أحد الخلفاء بضرب رقاب ثلاثة من الصالحين فيهم أبو الحسين النورى ، فتقدم أبو الحسين ليكون أول من تضرب عنقه ، فعجب الخليفة لذلك ، وسأله عن سببه .

فقال أبو الحسين ـــ رحمه الله ـــ : أحببت أن أوثر إخوانى بالحياة فى هذه اللحظات ، فكان ذلك سببا فى العفو عنهم جميعا .

دعـــــاء

اللهم إنى أسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، وما أنت به أعلم أن ترفع الظلم عن المظلومين ، وأن تخفف عن الفقراء والبائسين والسائلين والمحرومين ، فأنت الظاهر فوق عبادك وأنت الفعال لما تريد ؛ وأنت المبدىء وأنت المعين .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

فى مهجر الرسول
صلى الله عليه وسلم

للشاعر الدكتور عزت شندى موسى
(رحمه الله)

القـلب يقفـز هفـة من أضلعـى ... لحبيبـه مستنكـرا إبطـائى
حتـى إذا خفـق الفـؤاد من الهوى ... لاحت مجالى القبـة الخضراء
نفسى فداؤك يا رسول ولـو بها ... أرخصت فى حب الـرسول : فدائى(*)
أنى لاعجب كيف لم يؤمـن بكـم ... كفـار مكـة دون طول عنـاء
ولقـد رأوا من أمـركم ما قد رأوا ... حقـا مبينـا دون أى مراء
[ياليتنـى قد كنت بين زمانكـم ... وغضارة الإسلام فى أحنـائى]
ونظـرت نور الحق فوق جبينكـم ... متلألئـاً كالفرقـد الـوضّاء
ولزمتكـم فى رَوْحكـم وغـدوكم ... فصحـبت أكـرم رائـح غداء
وبهرت من حلـو الحديث وَصَقْلِـهِ ... وأخـذت من طهـر بدا ونقـاء
وحضرت مولـد بعثـة نبويـة ... وشهـدت فجـر السيرة الغـراء

* * *

إنى ظفـرت بما رجـوت ولـيس لى ... إن كنت مَيْتًـا أو مع الأحيـاء
بأبى وأمـى يا رسول وأنت إن ... تَقْسُ الـورى أحنـى من الآباء
صابـرت إذ أعلـيت حكـم الله فى ... شتـى البقـاع وزدت فى الإعـلاء

(*) مجلة الأزهر : قام التحرير بتعديل طفيف فى البيت الثالث والسادس لتوضيح المعنى .

هـــلال المحـــرم

للشاعر رشاد محمد يوسف

تعـــــــود بالأمجاد فى كل عام ... تعـــود والقـــوم نيـــام نيـــام
تعـــود والهجـــرة أنوارهـــا ... تحوى دروساً عاليـــات المقـــام
فيها من الآيات ذخـــر لنـــا ... يغنى الحيارى عن صنوف الكـــلام
وقصة الغـــار ومـــا قد جرى ... ورحلـــة النـــور لبر السلام
تعـــود والأحـــداث حاقت بنـــا ... ونحن فى الأرض شعـــوب تسام
تجمـــع الكفـــر على ديننـــا ... وأعلـــن الغـــدْرَ وفضَّ اللثـــام
فى كل أرض أشعلـــوا فتنـــة ... وأوقـــدوا نار الوغـــى والضرام
والنـــاس مازالـــوا على غَيّهـــم ... وحـــولهم تعـــوى ذئـــاب الظـــلام
« والبوسنـــة » الصرب أباحـــوا بها ... قداسة العـــرض وطهْـــرَ الذمـــام
وقتّلُـــــوا الآلاف فى نشوة ... وأنزلـــوا كلَّ صنـــوف الحمـــام
والهنـــد أبـــدت كل أحقادهـــا ... وقبلـــة المسجـــد صارت حطـــام
« كشمير » فى الأسر بأشجـــانها ... وقسوة الهندوس تدمـــى « سيـــام »
وفى سريلانكـــا أحـــاطت بنـــا ... عصابـــة البغـــى تروم انتقـــام
وفى ربـــا الصومـــال كم جائـــع ... ممزق فيها صريـــــع الخصام
وأمـــة العـــرب على عهدهـــا ... تمزقت بين الضنـــى والسقـــام
قد أسلـــمت للـــغير أقدارهـــا ... تحيـــا كأيتـــام بكـــف اللئـــام

★ ★ ★

تعـــود هل تلقـــى سوى غافـــل ؟ ... أزرى به الدهـــر طويـــلا فنـــام
تعـــود هل تلقـــى سوى عاجـــز ؟ ... يرضى حيـــاة الضيم دون الأنـــام
تعـــود والهجـــرة أهـــلا بها ... تأتى شفـــاء لنـــا كل عام
عسى عصاة اليـــوم أن يرجعـــوا ... كإخـــوة الأمس هداة عظـــام
عسى غفـــاة اليـــوم عن حقهـــم ... أن يشهـــروا فى الحق أقـــوى حسام
لعلنـــا نجمـــع من شملنـــا ... حول لواء شامخ لا يضام
لعلنـــا نصلـــح من شأننـــا ... ونحسن الـــقصد ونيـــل المرام
نعلى لواء الحق فى أمـــــة ... تبـــيت حيرى بين هذا الزحـــام
وبـــينها القـــرآن نبـــع الهدى ... وسنـــــة ترق بها للأمـــام

البوسنه والهرسك

د. عبد الفتاح محمود عمرو شعيب

أيـــن أطفـــالهم وأيـــن الأسارى ... كيـف باتت نساؤهـم والعـذارى ؟
كيـــف بالله تستقـــر جفـــون ... وعيـون الذئـاب تقـــذف نارا ؟
كيـف يعـيشون والعـذاب محيـط ... قد أزاحت أسواطـه الأستـــارا ؟
من مجير الشيـوخ فى رقـدة الليـل ... إذا الـــرعب مزق الأسحـــارا ؟
من مجير العجـوز من عَقْـرِ ثلـج ... وعـــدو يحطـــم الأسوارا ؟
من يغـــيث الجريح حين ينـــادى ... ألم الجرح ينشب الأظفـــارا ؟
من لطفـــل قد اصطلى فقـــد أم ... يجتلى الليـــل وجههـــا والنهارا ؟
من لثـــكلى رحـــابها مستبـــاح ... تركوهـــا وقـــلبها المنهارا ؟
تركوهـــا وحـــزنها يملأ الأفـــق ... سواداً ويطفـــــىء الأبصارا
يا إلهى أدرك بحقك قومـــــاً ... سلب الغـدر أرضهـم والديـــارا
فى ربـوع « البلقـان » يرجـون عونـاً ... بعـد أن أحكـم الجميـع الحصارا
واكتفى المسلمـون بالقـول عونـاً ... واكتفـى الكـل بالإخـاء شعـارا
وهبوهـم من الكـــلام جيـــوشاً ... ومـــن الوهـــم قوة وانـــتصارا
يا إلهى ولـــيس غيرك يرجـــى ... أن يذيـق الظلـــوم ذلًا وعـــارا
يا دعـــــاة السلام ماذا رأيتم ... من حقـوق لأمـة تتـــوارى ؟!!
أرأيتم حق الضعيـــف بليـــل ... ورأيتم حق القـــوى نهارا ؟!!
يا لك الله بسنـــــة من عدو ... وأخ آثـــر الحيـــاد خيـــارا
فاصبرى قد يمن ربى بنصر ... بعـد أن ضيـــع العبـــاد الجوارا
لا تخافى السلاح إن سلاح الحق ... يعلـــو ولـــو غدا أحجـــارا

« دعـــاء »

شعر : خَلِيل فَوَّاز

إِلَيْكَ إِلٰهِي لَا إِلى النَّاسِ أَفْزَعُ ... إِذَا مَا أَصَابَ النَّفْسَ هَمٌّ مُرَوِّعُ
أُلَمْلِمُ أَشْتَاتِي وأَدنُو وأَنْحَنِي ... أَتَمْتِمُ أَعْذَارِي وأَجْثُو وأَرْكَعُ
وأَسْجُدُ إيمَانًا وحُبًّا وخَشْيَةً ... وقَلْبِي إِلَىٰ رَبِّي يَتُوبُ ويَخْشَعُ
وبَيْنَ يَدَيْ مَوْلَايَ أُلْقِي حُمُولَتِي ... فَتَصْعَدُ آهَاتٌ وتَنْسَابُ أَدْمُعُ
وأَرْفَعُ لِلْمَوْلَىٰ ذِرَاعَيَّ دَاعِيًا ... وأُلْحِفُ عَلَّى أُسْتَجَابُ وأُسْمَحُ
لَكَ المُلْكُ يَارَبَّ السَّمَاءِ ، وإِنَّنِي ... بِبَابِكَ فِي الضَّرَّاءِ أَدْعُو وأَضْرَعُ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي نَعِيمِهَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّفْسِ دِينٌ فَتُرْدَعُ
أَثِبْنِي بِعَفْوٍ مِنْ لَدُنْكَ مُؤَيِّدًا ... فَإِنَّكَ يَاذَا المَنِّ تُعْطِي وتَمْنَعُ
تُخَفِّفُ آهَاتِي وتَرْقَىٰ مَدَامِعِي ... ولَيْسَ وَرَاءَ العَفْوِ لِلنَّفْسِ مَطْمَعُ
وأَعْلَمُ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ سَائِلًا ... أَفُوزُ بِعَفْوٍ لَا أَخِيبُ وأَرْجِعُ
لِأَنِّي سَأَلْتُ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ ... ومَنْ عِنْدَ غَفَّارِ الذُّنُوبِ يُضَيَّعُ ؟!
إِذَا ضَاقَتِ الأَنْفَاسُ فِي الصَّدْرِ لَمْ أَجِدْ ... حَوَالَيَّ إِلَّا اللهَ يُحنُو ويَسْمَعُ
تَضَاءَلَتِ الأَبْوَابُ رَغْمَ اتِّسَاعِهَا ... بِعَيْنِي ، فَبَابُ اللهِ أَدْنَىٰ وَأَوْسَعُ
فَيَارَبُّ هَلْ يَمْحُو ذُنُوبِي تَضَرُّعِي ؟ ... فَإِنِّي مَدَى الأَيَّامِ أَدْعُو وأَضْرَعُ
ويا رَبُّ هَلْ يَمْحُو ذُنُوبِي تَهَجُّدِي ... فَإِنِّي أَقُومُ اللَّيْلَ بَلْ لَسْتُ أَهْجَعُ ؟
ويَا حَيُّ يَا قَيُّومُ هَلْ لِي بِنَفْحَةٍ ... مِنَ الهَدْيِ بَعْدَ الغَيِّ تَمْحُو وتَشْفَعُ ؟
وَيَا وَاهِبَ المِنَنِ العِظَامِ تَكَرُّمًا ... فَإِنَّكَ تُؤْتِي مَنْ تَشَاءُ وتَنْزِعُ
وَيَارَبُّ عَفْوَكَ إِنْ أَطَلْتُ تَضَرُّعِي ... فَإِنِّي عَلَىٰ قَدْرِ التَّضَرُّعِ أَطْمَعُ
وَيَارَبُّ مَا وَفَّيْتُ شُكْرِي فَلَمْ تَزَلْ ... عَطَايَاكَ أَدْعَىٰ لِلسُّرُورِ وأَدْفَعُ
ثَوَابٌ وَإِحْسَانٌ وَبِرٌّ وَرَحْمَةٌ ... وَمَنْحٌ بِلَا مَنٍّ ورِزْقٌ مُوَسَّعُ
فَيَا نَفْسُ تُوبِي إِنَّمَا العُمْرُ لَحْظَةٌ ... إِذَا مَرَّ لَا يُجْدِي البُكَاءُ المُقَطِّعُ
أَنِيبِي إِلَى المَوْلَىٰ إِنَابَةَ مُخْلِصٍ ... فَكُلٌّ إِلى المَوْلَىٰ بِيَوْمٍ سَيُرْجَعُ
عَسَى اللهَ أَنْ يَمْحُو ذُنُوبِي جَمِيعَهَا ... وبِالخُلْدِ فِي مَأْوَى النَّعِيمِ أُمَتَّعُ

★ ★ ★

عن روائع الماضى بمجلة الأزهر

المثالية والواقعية فى الفكرة الدينية

للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

المثالية والواقعية لفظان اشتهرا فى العصر الحديث على ألسنة طبقة معينة من الناس للدلالة على كل شىء ترتاح إليه النفس ، ويطمئن إليه القلب . وعلى ذلك ؛ فإن الباحث المتعمق يلاحظ أنهما أساسيان فى الفكرة الدينية الإسلامية فقط ولم يسبقا فى دين من الأديان ؛ لأن تلك الأديان كانت محددة زمانا ومكانا . وسوف يأتى الدين الخاتم . دين الإسلام دين الحياة وهل الحياة إلا واقع نعيشه وغد نرقبه ، ننشد فيه المثالية متى وجدنا إلى ذلك سبيلا .

قال الأستاذ :

من المصطلحات التى شاع تداولها فى هذا العصر ، كلمة « المثالية » وكلمة « الواقعية » فإذا دعوت إلى صورة من صور الخلق النبيل ، قيل لك : هذه مثالية ...

وإذا دعوت إلى الأديان وإلى فضائل الأديان ، قيل لك : كن واقعياً ...

فما هى المثالية ؟ وما هى الواقعية ؟

أسئلة يجب أن تتقرر إجابتها فى وضوح ، حتى لا يتيه شبابنا بين زيف الألفاظ وشقشقتها .

حقيقة المثالية :

ونحن نرد على السؤال بالسؤال ، فإن الحرب اليوم تقول : إن أحسن طرائق الدفاع هى الهجوم .

لذلك نتساءل : ما منع المثالية أن تكون واقعية ؟ ولم لا يكون المثل الأعلى واقعياً ، ولم لا يكون الواقع القائم مثالياً ؟

ومن الذى حتَّم أن تكون المثالية والواقعية كلمتين متقابلتين متضادتين ؟

وهل تندك الأرض وتنطبق السماء إذا جعلنا المقابل للواقع ، هو الخيال ـ فنقول : خيالية وواقعية ، بدلا من أن نقول مثالية وواقعية ؟؟

وهل يجوز أن تنطلى على العقول مؤامرات الشياطين من الإنس والجن التى تريد أن تزيح الخير والفضيلة من الوجود ، فهى لا تفتأ تحاول أن تقنع أصحاب العقول بأن لا مكان للخير والفضيلة فى العالم .. من ناحية الواقع !!

مثالية الدين :

وإذا صح أن هناك مثالية تقابل الواقعية ، فهيهات أن تكون هذه المثالية مثالية الدين . ذلك أن صائغ الدين هو صانع الإنسان وصانع الدنيا ، فمن المستحيل أن يتضارب دين الله مع الناس ومع دنيا الناس قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وكل من يدين لله ، يقر له بالكمال والقدرة والعلم والوحدانية . ومن التناقض المعيب بعد هذا الإيمان ، أن ينكص المرء فيعود ليقول : إن مثالية الدين لا تصلح لواقع العصر ، لأن مؤدى هذا طعن فيما ينبغى لصاحب الدين من كمال تخلو به أفعاله من أى نقص ، وقدرة يبرأ بها صنعه من العجز ، وعلم يكفل الإحاطة الشاملة بواقع عصرنا ، وواقع ما قبل عصرنا وما بعد عصرنا ؟

لم يبق إلا أن يكون الإله الذى صاغ الدين ، غير الإله الذى خلق الدنيا وخلق الناس ، ومن وصلت عقيدته إلى مثل هذه الزلزلة وهذا التخبط والتخليط فعليه أن يرجع أدراجه ؛ ليستروح نسائم الإيمان من أول الطريق !

واقعية الدين ... فى وسائطه :

إن مثالية الدين واقعية فى كل شىء ...

هى واقعية حين تختار الحكمة الإلهية « وسطاً حيا » عن طريقه يمر الوحى من السماء إلى الأرض ... إن هذا الوسط « إنسان » له كل

(١) سورة الروم آية ٣٠

خواص البشرية ، وإن هذا الوسط يستوعب الوحى فلا يخرم منه حرفا ، ويبلغه فلا يتقول فى ذلك الأقاويل ، ويكون صورة مجسمة لهديه وأحكامه ، تسعى بين الناس فى الأرض كتاباً منشوراً من الأخلاق والأقوال والأعمال ، يقرأه من لا يعرف القراءة ، ويأخذ عنه من لا ينطلق بلغته ولسانه ...

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (٢)

هذه النبوة .. هى أصدق مثال لواقعية الدين .

إن الله لا يخاطب كل إنسان عن طريق مباشر ؛ لأن هذا أمر ليس فى طاقة كل إنسان ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (٣) .

وإن الله لا يرسل ملكا ، لأن الملك لا يتوافق بطبيعته الملائكية مع الطبيعة البشرية .

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٤)

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (٥) !!!

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (٦) ؟؟

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ (٧) .

لكن الله يرسل بشراً ، يختاره ويجتبيه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصنعه على عينه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، ثم يبعثه فى الناس فيكون وسطاً بشرياً للوحى الإلهى ، هو من الناس وإليهم ، وهو يعيش بين ظهرانيهم ، به يأنسون ، وإليه يطمئنون ، وعنه يتلقون ...

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (٨) ؟

وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

(٢) سورة الكهف آية ١١٠

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٤) سورة الأنعام آية ٨ .

(٥) سورة الأنعام آية ٩ .

(٦) سورة الإسراء آية ٩٤ .

(٧) سورة الإسراء آية ٩٥ .

(٨) سورة الإسراء آية ٩٠ ـ ٩٣ .

(٩) سورة الفرقان آية٧ ـ ٩ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾(١٠)

وقد يقال هنا : إن الناس أنفسهم كانوا يطلبون من مقام النبوة طبيعة غير بشرية ، أفلا تكون إجابتهم لطلبهم مراعاة لواقع حالهم ، وإبطالا لحجتهم ؟

والجواب هنا ... لا

إن الواقعية هنا هى ما اقتضته الحكمة الإلهية فى الطبيعة البشرية ، أما هذه المطالب الشاذة فهى ليست طبيعية بالنسبة لعموم البشر ، ولعموم الزمن .

لربما بهرت هذه التهاويل أعين البعض ، ولكنها ليست المستوى المعتدل الوسيط الذى يلتقى عليه الناس كلهم ، ولربما استرضت جيلا يحس ويشاهد ، ولكن ما ذنب باقى الأجيال ؟؟

بل إن هؤلاء الشاذين سوف يكونون كذلك بالنسبة لأى وضع ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(١١) . فقضيتهم ليست قضية الحجة والدليل بأى حال ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(١٢)

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(١٣) .

وهذه النبوة قد يصاحبها كتاب ...

وهذا الكتاب وسيط واقعى ، يسجل فيه التخطيط الرئيسى لأصول الدين ومعالمه .

ولقد كان هذا الكتاب فى الأديان واقعياً ، إذ كان متطوراً ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(١٤) .

وكان الاعتماد الرئيسى على الكتاب الحكيم آخر رسالات الله وأكملها ، حين نضجت البشرية وأصبحت مستعدة للتلقى عن الكتاب ، وللتجريد العقلى فى الفهم عن الكتاب ، فجاء الإسلام خاتم الأديان ومعه الكتاب الخالد والمعجزة الخالدة ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

يقول أحد المعاصرين : « إن حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبرهانا على صحة رسالته وصدق دعوته التى جاءت بأسلوب جديد ، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والاتجاه ، وبطلان الشرك والوثنية وسائر العقائد والتقاليد المتناقضة مع هذا الأصل النقى البسيط ، ثم أسلوب مخاطبة العقل والقلب فى الحث على الفضائل والتغير من الرذائل ، وإثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار أن الدعوة التى تقوم على تقرير وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش هى فى غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات » .

(١٠) سورة الفرقان آية ٢٠ .
(١١) سورة الحجر آية ١٤ .
(١٢) سورة الأنعام آية ٣٣ .
(١٣) سورة النمل آية ١٤ .
(١٤) سورة الرعد آية ٣٩ .

« وفى هذا ما فيه من وضوح مزية الرسالة المحمدية ، وترشيحها للخلود والتعميم ، وآيات الأنبياء السابقين الخارقة حادثات وقعت وانقضت ، ولكن أسلوب الدعوة القرآنية هذا الذى اختلف كل الاختلاف عن أسلوب الكتب المنزلة على بعض أولئك الأنبياء ، هو أسلوب خالد حى قوى فى كل زمان ومكان ببراهينه ودلائله وحيويته ونفوذه وفصاحته ومعقوليته ومنطقة وسموه ، ولذلك كان وظل معجزة النبوة الخالدة الكبرى من هذه النواحى »(١٥) .

هذا الكتاب نفسه(١٦) ـ وهو وسيط واقعى ـ تناول الحقائق الأساسية فى دين الله بأسلوب هو معجز لأنه من عند الله ، وهو معجز لأنه ملائم للبشر فى كل زمان ومكان .

فهو مزيج متجانس من اللفظ والمعنى ، من العلم والفن ، من التشريع والتربية ...

لا يتناول التقريرات والنصوص والأحكام الشرعية والنواميس الكونية والاجتماعية تناولا جافا يضيق به غير المتخصصين ... ولا يرضى سذاجة العامة بنوع من المعزوفات اللفظية التى تستغرق منهم جانب الوله العاطفى ، وتدع الواحد منهم يتراقص فى نشوته بغير معالم محددة وأصول واضحة ... بغير ثقافة أساسية وشريعة بينة ...

وهو لا يجمع بين الجانبين كما يجتمع الزيت والماء ، يطفو أحدهما على الآخر ولا يختلطان ، فيضحى كتاب الله عضين ، منه جانب للعامة وآخر للخاصة ، ومنه قسم للمعاش وآخر للمعاد ، ومنه باب للشريعة وآخر للحقيقة ، بل إنه محبوك الأطراف ، متصل الحلقات أعلاه مثمر ، وأسفله مغدق . ومن شاء البيان للمثال ، فليراجع آية الدين فى آخر البقرة ، ويرى كيف تعانقت نصوص التشريع مع روحانية التربية ...

ثم من شاء البيان للمثال ، فليستمع إلى خطيب يخطب ، والمستمعون بين فاهم وغير فاهم ومتجاوب وغير متجاوب ، حتى إذا قرع الأسماع بآية من كتاب الله إذا بالجمع ينتفض انتفاضة الوعى ... على اختلاف الدرجات !!!

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١٧) .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(١٨)

إن الفكرة الدينية واقعية من حيث الشكل الذى اتخذته للوصول إلى الناس ... النبوة ، والكتاب ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾(١٩) وهى واقعية كذلك من حيث الموضوع ، أى من حيث أصولها وقواعدها وتفصيل هذا يحتاج إلى غير هذا المقال .

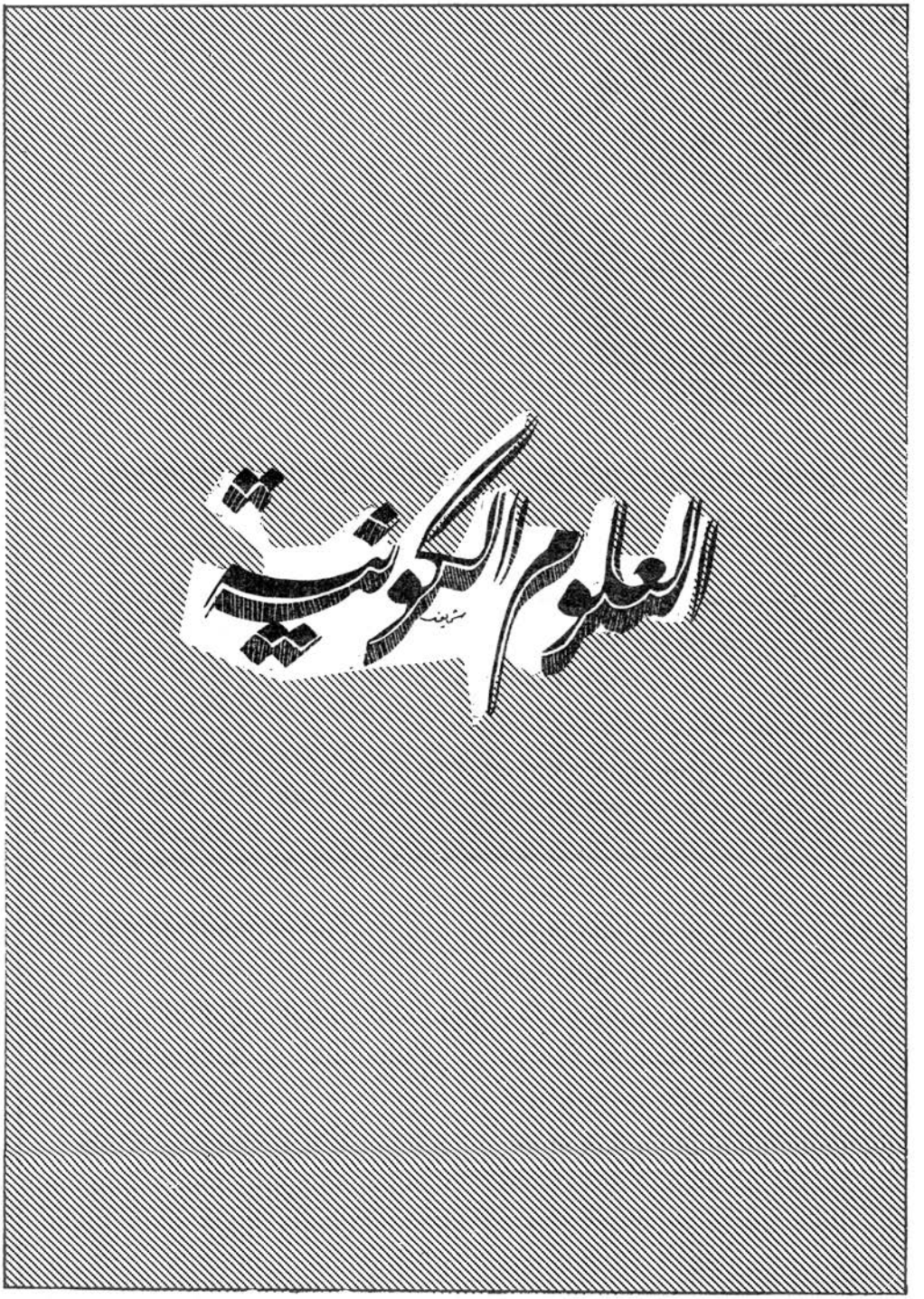
(١٥) سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة ـ طبعة التجارية ـ حـ ١ ص ٢٢٦ . وهذا لا ينفى طبعاً وقوع معجزات حسية تشير فى منزلة تالية لمنزلة القرآن كمعجزة . راجع المصدر نفسه ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢ .

(١٦) نقصد هنا القرآن ، لأنه هو الكتاب الربانى المقطوع بصحته سنداً ومتنا ، جملة وتفصيلا .

(١٧) سورة فصلت آية ٤٢ .

(١٨) سورة القمر آية ١٧ .

(١٩) سورة الحديد آية ٢٥ .


العلوم الكونية



كوكب الزهرة.. توأم الأرض

أ.د. أحمد فؤاد باشا

ساد الاعتقاد لعدة قرون بأن الزُّهَرَة « توأم » الأرض فلهما ــ تقريبا ــ نفس الحجم والكتلة والكثافة ، إلى جانب أنهما أكثر الكواكب قربا من بعضهما فى نفس الجهة من المجموعة الشمسية ، لكن المعلومات التى حصل عليها العلماء حديثا ، باستخدام مراصد أرضية وفضائية متطورة ، أوضحت اختلاف الكوكبية من جوانب عديدة ، وأكدت بعض السمات الفريدة التى تتميز بها الزهرة عن أى كوكب آخر .. ولا تزال سفينة الفضاء الأمريكية « ماجلان » تواصل مهمتها التى بدأتها منذ أربع سنوات تقريبا فى وضع خرائط تفصيلية لسطح الزُّهَرَة المقنَّع وكشف المزيد من معالمه الغامضة .

موقع الزهرة فى المجموعة الشمسية :

المعروف أن كواكب المجموعة الشمسية التسعة تنتظم فى ترتيب معين حسب بعدها عن الشمس على النحو التالى :

عطـــارد ــ الزهـــرة ــ الأرض ــ المريخ ــ المشترى ــ زحل ــ أورانوس ــ نبتون ــ بلوتو وتخضع هذه الكمواكب فى مساراتها حول الشمس لقانون الجاذبية والقوى الناشئة من الدوران فكلما زاد بعد الكواكب عن الشمس قلت جاذبية الشمس له ، وبالتالى قلت سرعته وطالت مدة دورته حول الشمس إلى أن تصل إلى نحو ٢٤٨ سنة بالنسبة لأبعد الكواكب (بلوتو) الذى يدور حول الشمس بسرعة قدرها ٤,٧ كيلو متر فى الثانية وهى سرعة صغيرة جدا إذا ما قورنت بسرعة أقرب الكواكب عطارد التى تقدر بنحو ٤٧,٩ كيلو متر فى الثانية وتجعله يكمل دورة كاملة حول الشمس فى ٨٨ يوما فقط .

وكوكب الزهرة الواقع بين عطارد والأرض يعتبر ألمع جرم سماوى بعد الشمس والقمر ، وذلك نتيجة لانعكاس ضوء الشمس على غطاء السحب الكثيف الذى يحيط به . وقد بيَّنت الأرصاد الفلكية أن الزهرة تدور حول الشمس بسرعة ٣٥ كيلو متر فى الثانية ، وتكمل الدورة الواحدة فى فترة زمنية مقدارها ٢٤٣ يوما أرضيا مقارنة بدورة الأرض التى تقدر بنحو ٣٦٥ يوما ، وأعجب ما يميز الزهرة هنا هو أنها الكوكب الوحيد فى المجموعة الشمسية الذى يدور فى عكس اتجاه دوران الأرض وباقى الكواكب . وهذا يعنى أن الشمس تشرق على كوكب الزهرة فى الغرب وتغيب فى الشرق .

من ناحية أخرى ساعد علم الفلك الاشعاعى وتطور تقنية المقاريب (التلسكوبات) الفلكية على متابعة ملامح سطح كوكب الزهرة بالتحرك معه فى أثناء دورانه ، وأمكن تحديد طول يوم الكوكب بقياس زمن دورانه حول محوره فوجد أنه يعادل ٢٢٥ يوما من أيام الأرض ، وأن فترة النهار من طلوع الشمس حتى مغيبها ، تستغرق ١١٨ يوما أرضيا ومن الملاحظ أن طول يوم الزهرة يساوى سنتها تقريبا ، أى أن الفصول الأربعة : الربيع والخريف والصيف والشتاء التى نألفها على الأرض كل عام تتعاقب على سطح الزهرة فى اليوم أو العام على حد سواء .

الغلاف الجوى للزهرة :

أكدت الأرصاد الفلكية والقياسات المباشرة من خلال السفن الفضائية أن درجة الحرارة العظمى فوق سطح الزهرة تبلغ ٤٨٠ درجة مئوية ، وأن سرعة الرياح تبلغ حوالى ٣,٢ كيلو متر فى الساعة ، وأن الضغط الجوى أكبر بتسعين ضعفا من الضغط الجوى على سطح الأرض ، وهو يعادل ضغط أو وزن الماء على عمق كيلو متر واحد تحت سطح البحر ، ولكى تستطيع مركبة فضائية أن تبقى سليمة وقتا طويلا على سطح الزهرة ، يجب أن تكون مصممة بشكل مماثل للغواصات ، ومزودة بوسائل تبريد لمقاومة الحرارة والضغط العاليين .

ويتألف الغلاف الجوى للزهرة فى أغلبه من ثانى أكسيد الكربون بنسبة ٩٦٪ بالإضافة إلى كميات ضئيلة جدا من بخار الماء والنتروجين .. وقد تبين أن غيوم الزهرة مؤلفة بشكل رئيسى من محلول حمضى مركز ، فعلى ارتفاع نحو سبعين كيلو مترا توجد طبقة رقيقة من الضباب وعند الهبوط إلى مستوى ٦٠ كيلو متراً تظهر الغيوم الكثيفة المؤلفة من قطرات حمض الكبريتيك المركز ، ومع استمرار الهبوط تكبر الجزئيات المكونة للغيوم ويزداد تركيز غاز ثانى أكسيد الكبريت نسبيا فى طبقات الجو المنخفضة ، وهو يدور إلى اعلى فوق الغيوم حيث يتحلل بتأثير الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس ثم يتحد ثانية بالماء الموجود هناك مشكلا حمض الكبريتيك الذى يتكثف إلى قطرات ويتفكك فى الارتفاعات المنخفضة بتأثير الحرارة متحولا من جديد إلى ثانى أكسيد كبريت وماء ، وهكذا تتكرر الدورة فى جو الزهرة ، حيث تمطر السماء

دائما حمض الكبريتيك ، دون أن تصل قطرة واحدة منه إلى سطح الكوكب .

ومثل هذا الطقس على سطح الزهرة يجعل فرص الحياة المعروفة لدينا غير محتملة على سطحه ، كما يجعل نزول مركبات فضائية مأهولة بالإنسان أمراً غير متوقع فى المستقبل القريب .

رسائل الإنسان إلى كوكب الزهرة :

كان العالم الايطالى « جاليليو جاليلى » أول من رصد كوكب الزهرة من خلال منظاره الفلكى . وبالرغم من ضآلة درجة تكبير مقرابه (تلسكوبه) التى كانت تزيد على مقدرة تمييز العين البشرية عشرين ضعفًا فقط ، إلا أنه تمكن من رؤية أوجه كوكب الزهرة ، حيث لاحظ أنها تظهر فى أطوار مختلفة كالقمر ، متحولة من هلال رقيق إلى قرص كامل ضعيف الإضاءة بلون أصفر باهت .. وقد كان هذا الاكتشاف من بين الأدلة المؤيدة لدوران الأرض حول الشمس .

ولم تستطع تقنية المقاريب الضوئية — رغم تطورها — أن تضيف كثيرا إلى ما أخبر به منظار جاليليو . فهذا الكوكب المقنع مغطى بطبقة كثيفة من الغيوم التى تعكس ضوء الشمس الساقط عليها . لكن المقاريب الاشعاعية والمركبات الفضائية فتحت نافذة جديدة لدراسة كوكب الزهرة ، وكشف المزيد عن معالم سطحه وغلافه الجوى . فقد استطاع عدد من المركبات الفضائية أن يدخل إلى جو الزهرة الكثيف ويخترق غيومه ويبقى على سطحه سليما لمدة تزيد أو تقل عن ساعة تقريبا .

وقد أظهرت الصور التى ارسلتها هذه المقاريب والمركبات أن السبب الأساسى فى ارتفاع درجة الحرارة على سطح الزهرة يعزى إلى ما يسمى بظاهرة « الصوبة » أو « البيت الزجاجى » Greem House effect . ذلك أن الجو الكثيف على الزهرة يعمل مثل « الصوبة الزجاجية » التى تمنع تسرب الحرارة إلى خارجها ويقوم بهذا الدور كل من غاز ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء المعروفين بقدرتهما الفائقة على حجز الاشعة الحرارية تحت الحمراء .

من ناحية أخرى أوضحت الصور التى أرسلتها المركبات الفضائية أن سطح الزهرة يتكون فى الأغلب من تضاريس ذات هضاب قليلة الارتفاع تخترقها وديان كبيرة يعتقد أنها ذات أصل حركى . والمناطق المرتفعة على كوكب الزهرة يغلب عليها التكوينات الجبلية . ولعل هذه الطبيعة الصحراوية القاحلة تقدم لنا تفسيرا مقبولا لارتفاع نسبة ثانى أكسيد الكربون — المنطلق أساساً من النشاطات البركانية — فى كوكب الزهرة عنه فى الغلاف الجوى للارض التى لديها العديد من البراكين النشطة بينما لا يشكل ثانى أكسيد الكربون فى جوها سوى أقل من واحد بالمائة . والجواب يكمن فى الكائنات النباتية الوفيرة على سطح الأرض ، حيث تستعمل النباتات ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء فى عملية التمثيل الضوئى لانتاج المواد العضوية ، وينطلق الاكسجين كأحد المواد الناتجة إلى الجو .. ومع مرور ملايين السنين عملت الحياة النباتية على تغيير جو الأرض بالإقلال من ثانى أكسيد الكربون والإكثار من الاكسجين إلى أن أصبح له التركيب المثالى الصالح لاستقبال الأحياء واستمرار الحياة كما أرادها الله — سبحانه وتعالى — على هذه الأرض . ويبدو أن كوكب الزهرة

لا يحتوى على كائنات حية أو تركيبات كيميائية تستطيع إزالة ثانى أكسيد الكربون من جوه ، وعليه فإن تركيز الغاز قد وصل إلى الحد الأقصى (٩٦٪) الذى هو عليه الآن .

ويعكف العلماء ـ حالياً ـ على دراسة الرسائل التى تبثها السفينة الفضائية « ماجلان » Magellan منذ أربعة أعوام تقريبا(*) فقد كشفت السفينة عن مجموعة من الظواهر الطبيعية التى كان يكتنفها الغموض على سطح الزهرة من ذلك أن عدد الفوهات على الزهرة يقدر بنحو ٨٥٠ فوهة ، وهو أقل بكثير من عدد الفوهات على سطح القمر أو المريخ ، ويعتقد العلماء أن النيازك الصغيرة تتلاشى فى جو الزهرة ، أما الفوهات الكبيرة فيمكن أن تكون قد دفنت نتيجة لتتدفق حمم بركانية قديمة عليها .

من ناحية أخرى ، استدل بعض العلماء من دراستهم لصور « ماجلان » على أن أجزاء كبيرة من سطح الزهرة أعيد تشكيلها أثناء حادثة بركانية كبيرة حدثت منذ ٥٠٠ مليون سنة مضت ، مشابهة لانفجارات شوهدت على المريخ والقمر . ويرى آخرون أن كوكب الزهرة يتمتع بحالة من الاستقرار تتضمن نشاطا بركانيا ثابتا تقريبا عبر الزمن الجيولوجى .

وعلى الرغم من أن سرعة الرياح السطحية على كوكب الزهرة لا تتجاوز بضعة كيلو مترات فى الساعة ، فإن آثارها تبدو واضحة حول الكثير من فوهات البراكين .

ويفيد العلماء كثيرا من تتبع هذه الأثار المميزة والمتجهة عادة نحو خط الاستواء ، حيث يمكن اعتبارها مؤشرا يدل على حركة الغلاف الجوى .

ومع انتهاء مهمة « ماجلان » فى عام ١٩٩٥ م ، فإنها ستكون قد زودتنا بكمية هائلة من الرسائل التى لا تقتصر فائدتها على كشف أسرار الكوكب المقنّع ، بل إنها تفيد كثيرا فى فهم تاريخ الكوكب التوأم الذى نعيش عليه ؛ لأنه أكثر الكواكب ملاءمة لحياتنا ، فمن ترابه ومائه خلق الله الإنسان ، وعلى صدره وخيراته تركه يعيش وينعم بما سخره له ، واليه يعيده ليتلاشى ترابا ، ثم يبعثه تارة أخرى وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ سورة الملك ١٥

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة النمل ٩٣) .

* تقوم سفينة الفضاء الأمريكية « ماجلان » حالياً برسم خرائط لما يتراوح بين ٧٠ و ٩٠ بالمائة من سطح الزهرة مما يسمح برصد التغييرات التى تحدث فى الكواكب بمرور الزمن .

البعوض ما له .. وما عليه

بقـلم : منـذر محمـد عبـد الرحمن (*)

إن أبسط تأمل فى الكون الفسيح الزاخر بشتى آيات الوحدانية يحرك مشاعرنا ، ويملأ قلوبنا بالجلال والخشوع أمام علامات قدرة الله فى مخلوقاته . فلقد خلق الله ـ عز وجل ـ كل مخلوق فى الأرض والسماء بحكمة بالغة وهدف معين ، وزوده بما ييسر له سبيل وجوده ، ووهب كل كائن دلائل إعجازه الخاصة به ، لا فرق فى ذلك بين الفيل والبعوضة ؛ ليسير كل شىء بقدر معلوم . ولكن من فرغ قلبه من الإيمان لا تعنى له هذه الكائنات أى قيمة ؛ فالشمس بالنسبة له جرم سماوى يبلغ قطره عدداً محدداً من الكيلومترات ، والشجر صالح للاحتطاب ، والبعوضة كائن تافه لا غرض من وجوده وليس له أدنى أهمية .. الخ .

فى الكتاب العزيز جاء ذكر البعوضة قال ـ عز وجل ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة البقرة

أما الذين آمنوا فقد وهبهم الإيمان نوراً فى قلوبهم ، وحساسية فى أرواحهم ، وتفتحاً فى مداركهم ، واتصالاً بالحكمة الإلهية فى كل أمر وفى كل قول يجيئهم من عند الله . وهم بعد ذلك يدركون أن الكائنات البشرية خلقت لتفكر ، وأن الفهم متعة ، والمعرفة شرط لاستمرار الحياة ، والتفكر يعمق الإيمان ؛ ولذلك فقد دعا

(*) ـ الكاتب : باحث بمعهد بحوث وقاية النباتات ـ فسيولوجيا الآفات .

الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إلى البحث والتأمل فى بديع صنعه فقال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾

آل عمران / ١٩٠ ـ ١٩١

ويرشدنا القرآن الكريم إلى الطريق السليم .. إلى الإيمان ويضرب الأمثال لنا فى كثير من المواضع للدلالة على بالغ حكمته وعظيم قدرته . والله لا يستحيى ولا يستنكف ولا يمتنع أن يضرب مثلاً أى مثل كان . بأى شىء كان ، صغيراً كالبعوضة أو مافوقها من الصغر ، أو كبيراً .

وهكذا وجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى البعوضة التى يعتقد البعض أنها من الضآلة والصغر بحيث لا يضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ المثل بها ، ولكن بالرغم من ضآلة هذه الحشرة وتفاهتها فإن الباحث والمتأمل فى خلقها لا يسعه إلا أن يخر ساجداً لله أمام عجائب هذه الحشرة .

البعـوض :

البعوض مجموعة من الحشرات غير كبيرة بالمقارنة بعائلات الخنافس مثلاً تلك التى تزيد عن ٥٠ ألف نوع ، وقد عرف العلماء حوالى ٣٤٥٠ نوعاً من البعوض فقط ، وكل عام يضاف حوالى ١٨ نوعاً جديداً . أما بداية ظهور البعوض فإنها تتسم بالغموض ، ويرجح ظهوره فى (المداريات) من ٢٠٠ مليون سنة خلت على الأقل . أما الآن فإن البعوض ينتشر فى كل بقاع العالم تقريباً ويعيش تحت أى ظروف بيئية ، فى أعالى جبال الهيملايا على ارتفاع ١٣٠٠٠ قدم ، وفى أعماق المناجم على عمق ٦٠٠ قدم تحت سطح الأرض ، وفى حر المنطقة الاستوائية ، وهناك آلاف من الأميال المربعة من الأقاليم الباردة المحيطة بالقطب الشمالى تمتلىء بأعداد رهيبة من البعوض تسد السماء تماماً ، وفى واحدة من التجارب سجل الباحثون الكنديون ـ الذين كشفوا جذوعهم وأيديهم وأرجلهم للبعوض القطبى ـ (٩٠٠٠) تسعة آلاف عضة فى الدقيقة ، بهذا المعدل ، قد يفقد الإنسان غير المحمى نصف كمية دمه خلال ساعتين ، بسهولة كافية ليدركه الموت . فما السر الذى يكمن خلف مقدرة البعوض على البقاء ؟

لا شك أن الجزء الأكبر من مقدرة البعوض على البقاء يعود إلى لجوء هذه الحشرة إلى فترة نوم طويلة فى الظروف الصعبة ، ففى البلاد ذات الجو البارد فى الشتاء تلجأ الحشرة إلى ما يسمى بالبيات الشتوى ، وفى الأصقاع شديدة البرودة تمضى البعوضة بياتها الشتوى على حالة (يرقانة)[1] تتحمل الثلوج حولها طوال فصل الشتاء ، وفى الجو شديد الحرارة تلجأ إلى البيات الصيفى فإذا تحسنت الظروف أكملت دورة حياتها .

مصاصة للدماء :

وتبدأ دورة حياة البعوضة من بيضة صغيرة عائمة على سطح ماء راكد ، تفقس عن يرقانة نشطة للغاية تعوم فى الماء وتجمع غذاءها من فوق سطحه بواسطة (ممصّ) ينتهى بأهداب كثيرة حول الفم . تنسلخ اليرقانة عدة مرات ، ثم

تتحول إلى عذراء تبقى عادة عند سطح الماء ، فإذا أزعجت تتحرك نحو القاع وتعود بعد أن يزول الخطر ، وبعد مدة يومين أو ثلاثة ينشق جلد العذراء وتخرج منه البعوضة التى نعرفها جيداً ، ولكنها تكون مجعدة الجناحين فترتكز على غلاف العذراء العائم على سطح الماء حتى يصلب جلدها ، وينفرد جناحاها فتطير باحثة عن مصدر للغذاء .

تتغذى ذكور البعوض على رحيق الأزهار المختلفة وعصارات الفاكهة ، أما الإناث فلابد أن تحصل على كمية كافية من الدماء كمصدر للبروتين اللازم لوضع البيض ، وهذا لا ينفى أنها تتغذى أيضا على الرحيق ، وعملية الحصول على تلك الجرعة من الدماء عملية بالغة الدقة كما سنرى .

كيف تحصل على دمك ؟

تفضل معظم أنواع البعوض من الإناث أن تحصل على وجبتها بعد غروب الشمس ، حيث تبحث الأنثى عن عائلها بمساعدة قرنى استشعارها . ويوجد على كل قرن مستقبلات حساسة تستثار بواسطة رائحة العائل وتركيز ثانى أكسيد الكربون الذى يزيد حوله نتيجة تنفسه ، وبمجرد أن تعثر أنثى البعوض الجائعة على عائلها تكون قد أنجزت نصف عملها ، ويتبقى النصف الصعب حيث يتعين عليها أن تهبط على جلد العائل وتعثر على وعاء دموى مناسب خلال الجلد ، وهو أمر ليس سهلًا ثم تغرس إبرتها حتى تصل إليه وهى عملية خطرة على حياتها ، ففى العادة تضطر البعوضة إلى غرس إبرتها فى الجلد عدة مرات قبل أن تعثر على المصدر الكافى لها من الدم . وكل غرسة تستغرق من خمس إلى عشر ثوان . وعملية الغرس لا يحسها الإنسان عادة ، قد يستجيب العائل لها ويقتل البعوضة لذلك فعملية إيجاد الدم بسرعة عملية حياة ، أو موت بالنسبة للبعوضة .

أما الجهاز الثاقب الماصّ الذى تستخدمه البعوضة لثقب الجلد فيتكون من ستة أجزاء : فم طويل عبارة عن شفة سفلى متحورة إلى شكل أنبوبى لحفظ أجزاء الفم الأخرى وليس لها دخل فى عملية الثقب ، والباقى صفائح أسطوانية طويلة هى : فَكَّان علويان ، فكان سفليان ، وواحد لحقن اللعاب .

وعندما تغرس البعوضة محقنها فى الجلد تلوى طرفه قليلًا إلى الأمام لكى تُمَكِّنَ سِنَّهُ من البحث عن الدم خلال نصف ملليمتر تحت السطح ، وفى نفس الوقت فإن الفكين السفليين (المشرشرين) عند طرفيهما ينشران للأمام والخلف خلال الجلد ، وعندما تثقب البعوضة الجلد تتمزق الشعيرات الدموية والأوردة والشرايين الصغيرة مكونة محفظة صغيرة للدم تعب منها البعوضة ما تشاء .

قد تعثر البعوضة على الوعاء الدموى مباشرة ، ولكنها فى معظم الأحيان تكسر عدداً من الأوعية الصغيرة لتحصل على الكمية الكافية من الدم فإذا عثرت على مصدر للدم بعد الثقب تتوقف البعوضة عن كل حركة ، وتبدأ فى مص الدم خلال الأنبوب إلى مضخة تقع فى رأسها بعد أن تحقن بعضا من لعابها الذى يحتوى على مادة ضد التجلط لكى لا يعوق عملية المص .

معظمنا قد لا يلاحظ العضات القليلة الأولى ؛ لأن لعاب البعوض غير سام ولكنه يحتوى ـ على الأقل ـ على أربع مواد (جزيئات بروتينية) هى التى تسبب الحساسية عند إعادة العض فقط ، لأن كمية السم فى هذه الحالة تصبح كافية لكى تسبب الانتفاخ والحك . وفى بعض الحالات الحادة تحدث تفاعلات غريبة قد تؤدى إلى صدمة حقيقية « الصدمة التزعزعية » وهذه الصدمة تخل بتوازن النفس والجسم معا .

ناقلة الأمراض :

لكن ما يترتب على عض البعوض لا يقتصر على الآلام والحساسية فحسب ، بل على ما ينقله من جراثيم ناقلة لأخطر الأمراض فهو ينقل أكثر من مائة مرضٍ (فيروسى) للبشر والحيوانات الأخرى ، وتشمل قائمة الأمراض التى ينقلها : حمى الدنج والحمى الصفراء والفلاريا (نوع من الديدان الدقيقة تسمى نيماتودا) ، وهذه الأخيرة بالذات تصيب ملايين من الناس فى المداريات ، وفى الحالات الشديدة تسبب مرض الفيل ، أما الملاريا « البرداء » ـ ملك الأمراض الذى يعد أوسعها انتشارا فى العالم بفضل البعوض ، والتى جعلت البعوض مسئولا عن وفيات بشرية أكثر من أى حيوان آخر ـ فقد قتلت مئات الملايين من الناس ، وقد بلغ عدد الإصابة بها فى الهند ـ وحدها ـ عام ١٩٣٥م حوالى مائة مليون حالة ، مات من جرائها مليون شخص .

صراع مرير :

أمام تلك الإحصائيات المفزعة بدأ البشر ينظرون إلى البعوض نظرة أخرى ؛ فلم تعد تلك الحشرة تافهة أو حقيرة لا تستحق النظر إليها ، بل أصبحت عدوا شديد المراس يجب حشد كل القوى فى مواجهته ؛ لذا فقد انطلق العلماء فى سباق محموم للوصول إلى حل مع هذا الكائن الرهيب حتى توصلوا إلى مبيد الحشرات المعروف باسم (د . د . ت) ، وبحلول عام ١٩٣٩م أصبح من السهل حمل الـ (د . د . ت) وَرَشّهِ فى كل بحيرة وبركة ومستنقع . وقد اختيرت « سردينا » بعد الحرب العالمية الثانية كنموذج لمكافحة الملاريا بواسطة هذا المبيد الفعال ، وتم تجنيد حوالى ٢٠ ألف عامل بذلوا قصارى جهدهم فى سبيل اجتثاث البعوض فقاموا بردم البرك . وإزالة النباتات البركية ، ورش أكثر من نصف مليون رطل من الـ (د . د . ت) فى البرك والمستنقعات والمنازل ، وكنتيجة لذلك هبط عدد الحالات خلال خمس سنوات من ٧٥٠٠٠ إلى ٤٤ حالة (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠م) . وإذ ذاك تنفس البعض الصعداء ، وبدأت الأقوال عن تفاهة وضعف البعوض تعود إلى الوجود ، ولكن لم يلبث أن أصيب هؤلاء بالفزع إذ فوجئوا بظهور أجيال مقاومة للـ (د . د . ت) وفى عام ١٩٦٦م عاد البعوض حامل الملاريا مرة أخرى وبقوة فى سردينا ، وأفاق آخرون على ضربة مفاجئة مفزعة أخرى ، فقد تم رش الـ (د . د . ت) بكثافة خلال الحرب العالمية الثانية فى جزيرة نيسان بجنوب الباسفيك ، وعندما أوقف عند انتهاء الحرب ، على الفور هاجمت الجزيرة أسراب من البعوض الناقل للملاريا ، تكاثرت بسرعة وفاعلية وكأن شيئا لم يكن تاركة العلماء يتساءلون فى دهشة .. ما الذى حدث ؟!

البعوض يقبل التحدى :

إن الذى حدث يظهر لنا بوضوح لماذا لفت الله أنظارنا إلى تلك الحشرة المعجزة فالبعوض أيضا يمتلك دفاعاته وتيكتيكاته المقاومة ، لقد عرف البعوض أسرار السلاح الرهيب الذى استخدم ضده ، فطور أسلحته وطور أساليبه ، وبعد أن طور مقاومته للمبيدات عاد يغزو العديد من المناطق ، ولاحظ العلماء أن أجيال البعوض الجديدة قد اكتسبت مناعة وراثية ضد مبيد الـ (د.د.ت) . وحدث الأمر نفسه لدى تجربة أنواع جديدة من المبيدات الفتاكة ، التى بدلاً من تقتل البعوض أحدثت ضرراً كبيراً بأعداء البعوض الطبيعيين .

وليت الأمر توقف عند هذا الحد ، بل تلقى البشر ضربة أقسى ، فقد أظهرت الدراسات مستويات مثيرة للفزع من السمّية فى السلسلة الغذائية ، فما معنى هذا ؟

عندما قام الإنسان برش المبيدات فى البرك والمستنقعات امتصتها النباتات الدقيقة (البلانكتون) ، ومنها انتقل السم إلى الأسماك والكائنات الحيوانية آكلة النباتات التى نقلته بدورها إلى الأسماك آكلة اللحوم ، ولم تسلم الطيور آكلة الأسماك من التأثر بتلك السموم ، إنها السلسلة المعروفة التى تلتهم فيها آكلات اللحوم الكبيرة الحيوانات الأصغر منها والتى أكلت الحيوانات ، نباتية التغذية التى التهمت (البلانكتون) الذى امتص السم من الماء ، ولكن نهاية السلسلة الأكثر مأساوية ـ بالنسبة للبشر ـ هى عندما يأكل الإنسان الطيور والأسماك الحاملة للسم فيصاب بالتسمم الذى وضعه بنفسه فى الماء ، وكانت النتيجة النهائية أن أصيب الكثير بالتسمم البطىء ، ولم يتم القضاء على مرض الملاريا أو الكائنات الضئيلة الحاملة له .

وأمام هذا الفشل بدأ العلماء يفكرون فى طريقة أخرى لتقليل استخدام المبيدات ، وتوصل بعضهم إلى طريقة مبتكرة ، فمن المعروف أنه بعد أن تحصل البعوضة على وجبتها من دم الإنسان لابد لها من أن تستريح عدة ساعات على جدران الحجرات داخل الدار حتى تهضم طعامها ، وهكذا إذا دهنت الجدران والسقوف فقط بالمبيد المناسب أمكن القضاء على البعوض ، خطة تبشر بنتائج طيبة إذا طبقها الإنسان ، ونترك الكلام عن نتيجتها للباحث « بروس شوات » الذى يقول : « لقد بدأ البعوض يتحايل علينا ويخدعنا ، فقد اكتشف خبراء الصحة العالمية أنه بدلا من أن يستريح البعوض داخل المبانى بعد أن يلسع ضحاياه ، بات يتجه إلى خارجها مستقراً على نبات غير مرشوش ، وأصبح ينتظر الناس فى الخارج أو يدخل المنازل فقط للحصول على وجبته ثم يتركها شاكراً .

الأسماك تتحالف معها :

لم ييأس العلماء وبدأوا يبحثون عن طريقة أخرى مع هذا الكائن العنيد حتى جاءتهم الفكرة .. استخدام الأسماك آكلة الحشرات كطريقة طبيعية لمقاومة البعوض بوضعها فى أماكن توالده ، وتحمس العلماء لنوع من الأسماك صغيرة الحجم ذات اللون الرمادى أو الزيتونى « يسميها

العلماء أسماك الجامبوزيا Gambusia attlnis » وبدأوا يطلقونها فى البرك والمستنقعات فى العديد من الدول ولم تأت السبعينات إلا وقد انتشرت فى روسيا واليونان وإيران وإيطاليا وأسبانيا وغيرها من البلدان . ثم ظهرت مشاكل الأسماك آكلات الحشرات .. لقد أثبتت عدم فاعليتها فى البرك التى يمتلىء سطحها بالنباتات لأنها تخبىء يرقان البعوض عن السمك . وفى بعض المناطق تجاهلت أسماك الجامبوزيا يرقان البعوض وابتعلت كل شىء آخر بما فى ذلك يرقان الحشرات غير الضارة والنافعة وصغار الأسماك التجارية المرغوب فيها ، وأثبتت فشلها فى مواسم معينة ، فأسماك البعوض ليست لكل المواسم ، فبينما تموت فى موسم جفاف البرك والمستنقعات حيث يتناسل البعوض ، يستطيع بيض البعوض أن يتحمل موسم الجفاف ويفقس عندما تعود المياه إلى البرك ، وأسقط فى يد العلماء فلقد أثبت البعوض أنه كفؤ لمنازلة البشر وقبل التحدى ونجح فيه وخرج عن نطاق سيطرة الإنسان مرة أخرى ، وعادت الإصابة بالملاريا ترتفع ووصل عدد المصابين بها فى الهند (سبعة ملايين) حالة عام ١٩٨١ م ، أما على مستوى العالم فإن حوالى ٢٠٠ مليون إنسان يعانى فى الوقت الحاضر من هذا المرض ، وحوالى ١٠٠ مليون حالة جديدة تحدث الآن كل عام ويموت حوالى مليون شخص معظمهم من الأطفال نتيجة إصابتهم بالملاريا سنويا رغم الكمية الهائلة من الأموال التى مازالت تنفق فى هذا الصدد ؛ ففى الولايات المتحدة فقط هناك أكثر من ١٠٠٠ وكالة تنفق أكثر من ١٥٠ مليون دولار كل عام على مقاومة البعوض شاملة المبيدات الكيميائية الضارة بالبيئة .

البعوض يعلم البشر :

وهكذا وقف الإنسان مكتوف الأيدى أمام البعوض ، بل يتمنى العلماء أن يبوح لهم بسر آخر من أسراره .. الطنين .. فمن المعروف أن البعوضة تخفق جناحيها بسرعة ٢٠٠ خفقة فى الثانية تقريبا ، وتحدث هذه الحركة السريعة موجات صوتية فى الهواء تتردد بمعدل يساوى معدل خفق الأجنحة ، هذا التردد يكون من الارتفاع بحيث يصبح مسموعا كطنين يستطيع أن يشق طريقه على الرغم من أية إشارات لاسلكية قد تعترض طريقه ووسط أى ضجيج نابع من أى مصدر سواء كان بشرياً أو غير بشرى كصوت الرعد مثلا ، خلال كل هذا الضجيج يستطيع الطنين أن ينقل الرسالة المطلوبة إلى بعوضة أخرى على مسافة ٤٥ مترا من البعوضة الأولى ، ويتحرق الإنسان شوقا لمعرفة سر قدرة طنين البعوض فى التغلب على أنواع التشويش ، لأنه إذا استطاع جلاء هذا السر فقد يستطيع صنع جهاز لاسلكى يتغلب على الكهرباء الاستاتيكية التى تعطل أجهزة اللاسلكى .

خاتمة :

لقد تعلم الإنسان درسا لا ينساه من ذلك الكائن الذى يعتقد البعض أنه من الضآلة والصغر بحيث يضرب الله ـ تعالى ـ به المثل .. ذلك الكائن الذى تمكن من إعجاز الإنسان والسخرية منه . وعجز الإنسان عن تقليد جهاز بسيط زوده الله

به . فإذا كان الإنسان بهذا العجز فهو أعجز عن أن يخلق مثله لأن الخالق وهبه معجزة الحياة .. السر المغلق الذى لا يعلمه إلا الله . لقد أظهر البعوض للبشر حدود مقدرتهم أمام قدرة الخالق الذى يقول للشيء : « **كن فيكون** » يس/ ٨٢ ومازال أمام الإنسان الكثير ليتعلمه من البعوض .

المراجع :

سيد قطب « فى ظلال القرآن » دار الشروق ط ٢ .

عبد الرزاق نوفل « عالم الحيوان بين العلم والقرآن » ـ كتاب اليوم .

حماد عبد السلام « الحشرات الاقتصادية » ١٩٦٥م .

مراجع مترجمة :

راشيل كارسون « الربيع الصامت » ط ٢ ـ ١٩٩٠م ـ ترجمة الدكتور أحمد مستجير ـ مركز النشر لجامعة القاهرة .

وليام سى فيرجار « العلم فى دنيانا» ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة ، زكريا فهمى دار النهضة أغسطس ١٩٧٥م .

ستانلى ل . انجلبارت « الملاريا عدو الصحة الأول » المختار ١٩٨٠م .

المراجع الأجنبية :

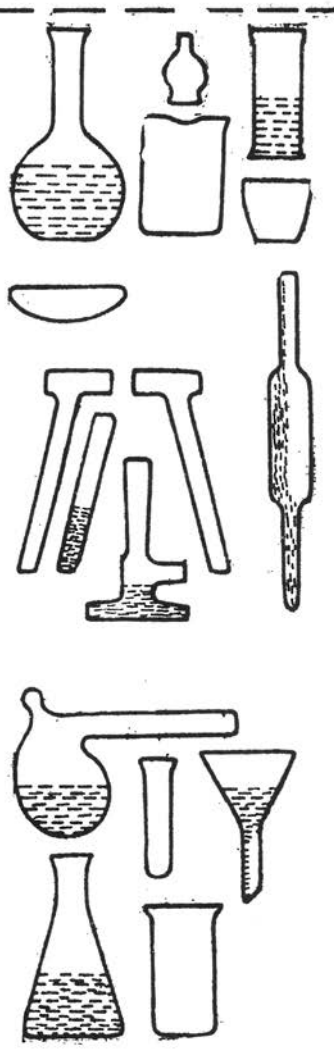
Naturai History july 1991

(١) اليرقانة : أحد أطوار النمو فى بعض الحيوان كالحشرات والقشريات والرخويات وغيرها . يخرج من البيضة ، وقد تتحول إلى الحيوان اليافع مباشرة كما فى الجراد (ويسمى الحورية) أو يمر بأطوار أخرى كدودة ورق القطن والنحل والذباب والبعوض وغيرها .

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد

د/ بهجوى السيد أحمد



اكتشاف مجرة جديدة فى أعماق الكون :

اكتشف فريق من علماء الفلك بجامعة هاواى بالولايات المتحدة الأمريكية مجرة عملاقة تبعد عن الأرض حوالى ١٢ ألف مليون سنة ضوئية ويقدر العلماء عمر هذه المجرة بنحو ١٤ ألف مليون سنة .

عدسات دقيقة لتجميع أشعة الليزر :

تمكن العلماء الأمريكيون من اختراع عدسات دقيقة تقوم بتجميع وتركيز أشعة الليزر فى حزم متوازية ، يمكن استخدامها فى أجهزة الليزر التى نستخدم فى المجالات الطبية ، وبذلك تستطيع توفير أكثر من ٩٠٪ من أشعة الليزر وتركيزها على الأنسجة المصابة . وكان الجراحون يعانون من أن أكثر من ٥٠٪ من أشعة الليزر المنطلقة من الجهاز لا يستفاد بها فى معالجة الأنسجة المصابة بسبب تشتتها بزاوية تزيد عن خمسة وأربعين درجة .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

استخدام الحاسب الآلى فى أبحاث الحرائق :

تمكنت شركة أمريكية من تصميم جهاز « كمبيوتر » يستطيع أن يحذر من الحرائق ، ويقدم تقريرا دقيقا لآثار الحرائق فى المبانى ، ويحدد عدد الأشخاص المعرضين للخطر ، وأفضل الطرق لحمايتهم ، وما يمكن أن يحدث لهم فى حالة تعرضهم لنواتج الحريق من حرارة وغازات ، كما يتيح الجهاز للمتخصصين فى الحرائق تحديد مسار الحريق ومعرفة أسبابه وإنتاج بعض مواد البناء المقاومة للحرائق .

أصغر جهاز « فاكس » للصور الملونة :

نجحت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات فى تطوير جهاز فاكس صغير الحجم لإرسال الصور الملونة كبيرة الحجم ويمكن وضعه فوق منضدة أو مكتب ولا يستغرق إرسال الصورة سوى ثلاث دقائق بالإضافة إلى أن الصورة المرسلة تصل بألوان زاهية مطابقة للأصل .

حراسة الحدود آليا

تم إنتاج مركبة للتصدى لمحاولات التسلل عبر حدود البلاد وتعمل آليا بالتوجيه عن بعد كحارس ليلى ، وتقطع المسافات ذهابا وإيابا ، بينما يقوم جهاز الإحساس المحمول بالملاحظة من نقاط ثابتة . والمركبة المتحركة ذات أربع عجلات ومتطورة لتناسب العمليات البعيدة ، وتحتوى على كشاف يعمل بالأشعة تحت الحمراء وآلة تصوير فيديو ورادار أرضى للمراقبة وأربعة ميكروفونات .

استخدام الهندسة الوراثية لمكافحة سرطان الجلد

نجح فريق من الباحثين الأمريكيين فى عزل نوع من خلايا كرات الدم البيضاء ، تم تغييرها وراثياً باستخدام الهندسة الوراثية وزراعتها فى جسم المريض لزيادة قدرة الجسم على مكافحة السرطان والتهام خلاياه بدلا من اللجوء لاستخدام أساليب التدخل الجراحى والعلاج بالكيماويات والأشعة .

تقنية جديدة لإرسال وتخزين واسترجاع الوثائق

هذه التقنية الجديدة عبارة عن أوراق مكتبية إلكترونية تتيح فرصة إرسال وتخزين واسترجاع الوثائق دون اللجوء إلى استخدام لوحة المفاتيح فى الحاسب الشخصى أو الوجود بجانبه والورقة الالكترونية تحتوى على مربعات يكتب عليها الأوامر والملاحظات المطلوبة وترسل عن طريق جهاز « الفاكس » إلى الحاسب الشخصى فيقدم المعلومات المطلوبة فى مدة قصيرة جدا ، واستخدام هذه الأوراق المبرمجة سوف يجعل « الفاكس » أكثر فائدة حيث يمكن إرسال مذكرات وتقارير أو إعطاء تعليمات ، بالإضافة إلى إمكانية كتابة الملاحظات المطلوبة بخط اليد على هذه الأوراق .

أنظمة تصوير حديثة

أنتجت إحدى الشركات الفرنسية ثلاثة أنظمة حديثة خاصة للتصوير تعمل على « الميكرو كمبيوتر » يسمح النظام الأول باجراء لمسات فنية على الصور ، والثانى بفهرستها ، والثالث بتصنيفها ووضعها ضمن صفحات لوحة تذكارية خاصة .

أحدث جهاز للتنفس الصناعى

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية جهازا للتنفس الصناعى يعمل بالتردد ؛ لتحسين وظائف الرئة فى حالات الربو وفى الجراحات مثل عمليات القلب المفتوح . وهو عبارة عن قميص يرتديه المريض ، مزود بأنبوبة هوائية متصلة من نهايتها بجهاز لضغط الهواء ، وبذلك يستغنى المريض عن وضع أنبوبة القصبة الهوائية داخل الفم والتى تتسبب فى التهاب الحنجرة والقصبة الهوائية ، كما يتميز بالابتعاد عن مضاعفات الضغط على الرئتين حيث يحمى المريض من انفجار الرئة والتى تسببها الأجهزة الميكانيكية .

البصل لتقوية مناعة الجسم :

أعلن الباحثون فى جامعة فيينا أن البصل يفيد فى تقوية القدرات المناعية للجسم والتى غالبا ما يصيبها الضعف فى أوقات معينة من السنة وخاصة فى بداية فصل الشتاء ، وينصح الأطباء بتناول بصلة صغيرة يوميا بدون أى طهى .

نقص عنصر المنجنيز يضعف العظام :

أكتشف فريق من الأطباء البلجيكيين أن نقص عنصر المنجنيز فى الدم يؤدى إلى الأصابة بمرض لين العظام وخاصة فى المسنين وأنه يجب أن يحصل الإنسان على ٤ ملليجرامات من عنصر المنجنيز يومياً .

ويوجد هذا العنصر فى بعض الأغذية مثل : الحبوب والخضروات واللبن واللحم والبيض .

البرسيم مصدر غنى بالبروتين

توصل أحد معاهد البحوث فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تصنيع البرسيم وتحويله بعد فرمه إلى عجينة تستخدم فى تصنيع عدة وجبات ، وكذلك طهيه كما يتم طهى بقية الخضروات وذلك بعد ان اتضح أنه مصدر غنى للبروتين ، وبدأت بعض تجارب التسويق فى المكسيك حيث أثبتت التجربة أثره الفعال على نمو الأطفال وأنه بديل هام للبروتين الحيوانى .

اللغة والنقد والأدب



عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

كم تمنى الإنسان ـ منذ أقدم العصور ـ أن تكون له قوة خارقة ، قوة يتغلب بها على الظروف التى تقهره ، كى يقهر ما يقهره ، قوة تحيل البؤس والشقاء سعادة ونعيماً ، قوة خارقة يسخرها كيف يشاء يقضى بها على حرب أو يشعل بها أخرى .

وكان السحر ضالته المنشودة ، تَعَلَّمَهُ ، وَصنَّفَهُ : سحر أبيض وسحر أسود أو (سحر حلال) وسحر حرام .

والكتاب الذى بين أيدينا يعرض لشىء من هذا السحر ولكنه « السحر الحلال » .

مؤلف الكتاب :

أما مؤلفه فهو الدكتور حسن على العُنْيبسى مقدم البرامج الثقافية بالإذاعة المصرية وكتابه « السحر الحلال » الذى بين أيدينا ونتناوله بالعرض فى هذا العدد يقع فى مائة واثنتين وستين صفحة من القطع المتوسط ، وقد اشتمل على الفصول التالية :

● السحر بين اللغة والشريعة ـ السحر بين الحلال والحرام ـ إن من البيان لسحراً ـ الحكمة هى السحر الحلال ـ كلمات فى الحب ـ يا صديقى ـ على قدر عقولهم ـ خشوع ـ صداقة ـ من غير عدد ـ (آه يا حكومة) ـ قبل المقال ـ إن ما يفسد النَّمام ... ـ شر وعاء ـ الحكمة ضالة المؤمن .

افتتح المؤلف كتابه بتقديم عَنْوَنَه بـ (سلاما أيها القارىء) أوضح فيه مدى تعلق الإنسان بحلم يراود خياله منذ القدم ، أن تكون له قوة سحرية أو أن يكون له مثل عصا موسى ـ عليه السلام ـ يضرب بها الحجر فينبجس منه الماء عيوناً ، أو أن يكون له مثل ما كان لعيسى ـ عليه السلام ؛ فيبرئ ما عجز عنه الطب ؛ فاتجه الإنسان إلى ممارسة السحر .

ومؤلف الكتاب ـ أيضاً ـ كم تمنى أن تكون له مثل هذه العصا السحرية ، يشير بها فيتحقق له ما يريد . ولكن أنى له هذا وأمامه قول الله تعالى :

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ سورة الجن

لذلك نجده يتحسس طريقا إلى السحر ، إلا أنه « السحر الحلال » .

نعم ، إنه سحر البيان ! وأنعم به من سحر ، به تُستَنْفَر الهمم ، وبه تجتلى المعانى فتكون فى النفس أثبت وأعمق ، ويكون لها حسن الموقع فتمهد للهداية طريقاً . وحسبنا قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾

والمؤلف ـ بعد أن ارتاحت نفسه إلى هذا النوع من السحر « سحر الكلمة » ـ راح يقطف كل ما راق عينيه وأسعد فؤاده .. ، ثم قام ينسق ويؤلف بينها ، فيضم ما تشابه معاً فى وحدة واحدة .

وإذا كان المؤلف قد أنفق من نور عينيه فى البحث والجمع والاختيار ، فإنى أسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقنى إلى عرض أجمل ما جمع ، وإلى إلقاء الضوء على ألطف ما اقتطف :

ففى الفصل الأول : السحر بين اللغة والشريعة .

أورد فيه المؤلف عدة معانٍ للسحر .. ثم ساق رأيا عزاه إلى الإمام الفخر الرازى[1] مفاده أن السحر يختص بكل أمر يخفى سببه ويُتَخَيَّل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يُقَيَّد أفاد ذم فاعله .

ثم أثبت رأى بعض العلماء بتكفير الساحر إذا اضرَّ بالناس ، وفرق بين الرجل وزوجه .

الفصل الثانى : (السحر بين الحلال والحرام) :

وفى هذا الفصل أورد المؤلف عدداً من أقوال

(١) قصة السحر والسحرة فى القرآن الكريم للإمام الفخر الرازى ، بتحقيق محمد إبراهيم سليم ، ط ١٩٨٥ ، ص ١٩ .

العلماء ، نذكر منها رأى الإمام الفخر الرازى الذى يتلخص فى أن :

- العلم شريف لذاته .
- السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن لنا أن نفرق بين العلم والمعجزة .
- العلم ـ بِكَوْنِ المعجزِ معجزاً ـ واجب .
- وهذا يقتضى أن يكون تحصيل السحر (العلم به) واجباً .
- السحر بأنواعة (علمه) فرض كفاية .
- كفر الساحر الذى يدعى علم الغيب .

الفصل الثالث : (إن من البيان لسحراً) :

فى هذا الفصل يسوق سبب قول الرسول ﷺ :

« إن من البيان لسحراً » .

فقد روى عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

« وفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم فقال الزبرقان : يا رسول الله ، أنا سيد تميم والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك (وأشار إلى رفيقه عمرو بن الأهتم) ، فقال عمرو : أجل ..! أجل يا رسول الله ..! إنه مانع لحوزته ، مطاع فى عشيرته شديد العارضة فيهم . فقال الزبرقان : أما والله ، إنه قد علم أكثر مما قال ... ، ولكنه حسدنى فى شرفى ..!!

فقال عمرو بن الأهتم : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن[٢] ، زمر المروءة[٣] ، أحمق الأب لئيم الخال ، حديث الغنى ...!

فرأى عمرو الكراهة فى وجه النبى ﷺ لما اختلف قوله ، فقال عمرو : يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمت ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية ..!! فقال ﷺ :

« **إن من البيان لسحراً** »

والملاحظ أن المؤلف أراد أن يقدم سبب اختياره عنوان الكتاب بعرضه لهذا الحديث .

والفصل الرابع : (الحكمة هى السحر الحلال) :

قدم المؤلف فى هذا الفصل تعريفاً للحكمة لغة وشرعاً ولعله أراد من هذا الفصل أن يقول : إن الحكمة هى خلاصة البيان أو هى ثمرته .

الفصل الخامس : (كلمات فى الحب) :

وهذا الفصل هو أولى خطوات المؤلف فى حدائق الأشعار وثمار العقول من القول المنثور .

ومن كلمات الحب قول الرسول الكريم ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .. » فقال عمر ـ رضى الله عنه :

والله إنى أحبك .. غير أنى لا أحبك أكثر من نفسى التى بين جنبى ... »

فقال ﷺ :

« لا تؤمن يا عمر حتى يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما .. فصمت عمر برهةً ثم قال : والله إنك لأحب إلىَّ حتى أكثر من نفسى التى بين جنبى ، فقال ﷺ : الآن يا عمر . »

(٢) كناية عن البخل .

(٣) أى : قليل المروءة .

● وقوله ﷺ :

أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

● وقول العقاد :

« كل شيء فى الوجود مظلم ما لم يُضِيئْهُ الحب » .

الفصل السادس : (يا صديقى) :

وفى هذا الفصل جمع المؤلف بعض ثمار النثر والشعر عن الصديق منها :

● قول أبى الدرداء لأم الدرداء : « إذا غضبت فرضينى ، وإذا غضبت رضيتك ، فإذا لم نكن هكذا ، ما أسرع ما نفترق وينهار بيتنا .

وقول الشاعر :

أُغْمِضُ عينى عن صديقى كأننى
لديه بما يأتى من القبح جاهل
وما بى جهل غير أن خليقتى
تطيق احتمال الكره فيما أحاول

وقول بعضهم :

الصديق لا يعرف إلا عند الحاجة .

ومن أمتع ما ذكر عن الحلم والكرم ، أنه :

جلس بعض القوم يتذاكرون أخلاق معن بن زائدة وأخبار كرمه ، ولين جانبه . وذهبوا فى ذلك مذاهب كثيرة ، فقام أحد الجالسين ــ وقد أخذ على نفسه أن يغضب معن بن زائدة ــ فقالوا له : لا تقدر ؛ فإنه لا يرد على الجهل بجهل ثم قالوا له : لو نجحت فى إغضاب معن نعطيك كذا وكذا ..

فذهب الرجل إلى بعيره فسلخه ، وارتدى بإهابه ، واحتذى ببعضه جاعلاً بطنه ظاهراً ، ثم دخل على معن على هذه الحال .. وهو فى هذا الوقت من كبار الولاة لبنى أمية .. ثم قال الرجل لمعن بن زائدة مباشرة :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة
وإذا نعلاك من جلد البعير ؟

● فقال معن : نعم أذكر ..!

● فقال الرجل :

فسبحان الذى أعطاك ملكاً
وعلمك الجلوس على السرير ..!!

● فقال معن :

إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء .

● فقال الرجل :

فلست مُسَلِّمًا إن عشت دهراً
على معن بتسليم الأمير

● فقال معن :

السلام خير وليس فى تركه ضير .

فقال الرجل :

سأرحل عن بلاد أنت فيها
ولو جار الزمان على الفقير .

فقال معن .

إن جاورتنا فمرحباً ، وإن فارقتنا فمع السلامة ..

فقال الرجل :

فجد لى يابن ناقصة بمال
فإنى قد عزمت على المسير

فقال معن :

أعطوه ألف دينار تخفف عنه متاعب السفر ..!!

فقال الرجل :

قليـــل ما أعطـــــيت به وإنى
لأطمـع منك فى الشىء الكـــثير

فقال معن :

أعطوه ألفاً ثانية .

فخجل الرجل من نفسه ، وقص قصته على معن ثم قال :

سألت الله أن يبقـــيك دهـــراً
فمـــالك فى البريـــة من نظير

فقال معن :

أعطيناه ألفين على هجونا ، فأعطوه أربعاً على مدحنا ..!!

الفصل السابع : (على قدر عقولهم) :

ويذكر فيه درجات العقل فيقول :

إذا كان المرء فى أول درجته يسمى أديباً ، فإن زاد عقله يسمى أريبا ، فإن زادت خبرته مع عقله سمى لبيباً فإن زاد عقله ورأيه سمى عاقلاً حكيما .

● ثم يذكـر رد حكيم وقـد سئـل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟

قال : غريـزة عقـل ، به يعـيش ، وبـــه يكسب ، وبه يعرف ربه .

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فأدب حسن .

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فأخ شقيق يستشيره .

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فطول صمت يحفظه من الهنات !

قيل : فإن لم يكن ؟

قال : فموت سريع يريح منه البلاد والعباد !!

الفصل الثامن : (خشوع) :

وقد ذكر فى هذا الفصل بعض مناجاة لله – تعالى – نذكر منها :

اللهم نامت العيون ، وأنت حى قيوم لا تنام أبداً .

اللهم أنم عينى ، وأهدِئ لَيْلِى واحفظنى بحفظك وارحمنى برحمتك ، أعوذ بوجهك الكريم من كل سوء .

الفصل التاسع : (صداقة) :

يبدأ المؤلف هذا الفصل بخير ما يبتدأ به وهو قول الرسول ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل » .

وعن كرم الصحبة يذكر ما رواه الحكيم العربى يحيى بن أكثم ، قال :

ما شيت الخليفة المأمون يوما فى بستان له ، فكنت من الجانب الذى ستره من الشمس ، فلما انتهى إلى آخره ، وأراد الرجوع ، أردت أن أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس ، فأشار الخليفة المأمون .. وقال : لا تفعل ..!!

وكن بحالك حتى أسترك من الشمس فى طريق العودة كما سترتنى فى طريق البداية ..!! ، فقلت : لكنك أمير المؤمنين ، وحق على أن احتمل قيظ الشمس عنك ..!!

فقال الخليفة المأمون : ليس هذا من كرم الصحبة .. ،

إنما الصديق بالصديق ، وسترتنا فحق علينا أن نسترك

ومشى الخليفة فى الشمس !!.

وعن الشدة كاختبار حقيقى للأصدقاء والإخوان تطالعنا هذه الأبيات لعبد الله بن معاوية :

أأنت أخى ما لم تكن لى حاجة ..
فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
فلا زاد ما بينى وبينك بعـــد ما
بلوتك فى الحاجـــات إلا تماديـــا
فلست براء عيب ذى الود كلـــه
ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلـــة
وعين السخـــط تبـــدى المساويـــا
كلانـا غنـــى عن أخيـــه حياتـــه
ونحن إذا متنـــــا أشد تغانيـــــا

وقول الإمام الشافعى :

إذا أردت أن تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعـــرضك صين
لسانك .. لا تذكر به عورة امرئ
فكـــلك عورات وللنـــــاس ألسن
وعينيك .. إن أبدت إليك معايبا
فضنها ، وقل : يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف ، وسامح من اعتدى
وفارق ، ولكن بالتى هى أحسن

وهكذا تتتابع فصول الكتاب غنية بالطرائف حافلة بالسحر الحلال يأخذ الألباب .

وبعد ، فالكتاب ـ بحق ـ يُعد طاقةً من زهور وريحان تميزت بالتنوع أحياناً وبالندرة أحياناً أخرى ، وجهد المؤلف يبدو واضحاً ، وكذلك ما تحمله من مشقة فى جمع هذا الكم ـ غير القليل ـ من منثور الكلام ومنظومة ، يجعلنا نقول له :

سلاماً أيها المؤلف !
لقد سحرنى ما سحرك ، ولكن لم يرقنى كل ما راقك .

● فلم يرقنى عدم ذكر مصادر الأحاديث الشريفة التى وردت فى الكتاب .

كذلك لم يرقنى أن يكون الفصل الأول (السحر بين اللغة والشريعة) ثم يأتى الفصل الثانى : هل السحر حلال أم حرام ؟

فما موقع الشريعة إذن إن لم تُعالج هذا الموضوع ، وبالتالى كان الأوْلى أن يُضم الفصل الثانى إلى الأول .

● ونفس الشىء يمكن أن يحدث بجمع الفصل السادس « يا صديقى » والفصل التاسع « صداقة » .

● وليس من تعابير السحر الحلال قولك ـ تعريفاً للإنسان بأنه : « هو الحيوان الوحيد الذى يحمر وجهه خجلًا ، ولابد له من وجود حيوان حقيقى فى ثوب إنسان يتسبب له فى ذلك » .

● .. ثم وجدنا رقما هامش ص (١٠١) ولم نجد حاشيته ، ثم قد أوردت شعرا مكسورا ، وقعت منه على ما سقته للإمام الشافعى ـ إذ قلت :

إذا أردت أن تحيا سليما من الأذى ... إلخ

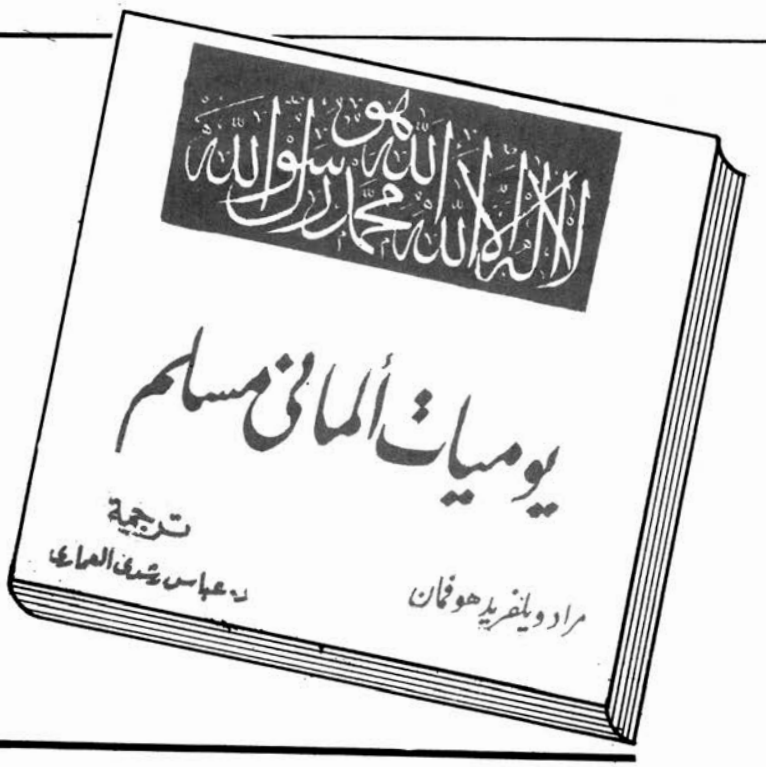
البيت من الطويل ، ويبدو أنَّ صحته .

إذا رُمْت ... إلخ

ثم أما بعد :

فإن الكتاب إذا كانت بعض فصوله لا تحدها فواصل واضحة إلا أن هذا لا يقلل من قيمته ، ولا يقلل من الجهد الواضح المبذول فى جمع مادته الثرية .

فسلاماً أيها المؤلف .



عرض وتقديم الأستاذ / عبدالسلام ناصف

صدر كتاب « يوميات ألماني مسلم » عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م عن مركز الأهرام للترجمة والنشر برقم ٧٣٠٧ وقام بترجمته الأستاذ الدكتور عباس رشدى العمارى ، وصدر فى قطع صغير ٢٣٨ صفحة .

والدكتور « مراد ويلفريد هوفمان » حاصل على درجة الماجستير فى القانون من « جامعة هارفارد » . وعلى درجة الدكتوراه فيه من « جامعة ميونيخ » ـ بعد دراسته لعلم الاجتماع بجامعة « يونيون كوليج » بنيويورك وانتهج المنهج التجريبى البحت بحيث اقتصرت على دور الفرد ووظيفته فى الحياة ومدى نجاحه فى تحقيق التكامل الإجتماعى والمنفعة الاجتماعية . وهو ما يتفق مع نظرية العالم سيجموند فرويد فى علم النفس والتى تهتم بالمفهوم المادى للفرد بمعنى أن يكون التكيف الاجتماعى هو هدف أى نشاط اجتماعى أو اقتصادى .

وهكذا يرغب الإنسان فى أن يعمل ما يراه الآخرون فيصبح إنساناً بلا شخصية وهذا المنهج « اللايدلوبوجى » هو ما يعرف بالمنهج السلوكى فى حياة الإنسان .

ولعل هذه الدراسة الجامدة فى علم الاجتماع هى التى جعلته ينأى بنفسه عن استكمالها ولجوئه إلى دراسة القانون فلقد دفعه نفوره من هذه الحضارة المادية وعلم الفكر الاجتماعى الغربى وما ينطوى عليه من إنكار للقيم الروحية للأستغراق فى قراءة الثقافة الإسلامية والأشكال الفنية فى العالم الإسلامى والعلاقة بين الثقافة والعقيدة .

ونتيجة لخبرته كدبلوماسى وكزائر لدول إسلامية مختلفة فقد درس مقومات الإسلام الجمالية والعلمية والثقافية وتعمق فيها ـ ثم درس القرآن الكريم واستغرق فى قضاياه بطبيعته الألمانية التى أفضت به إلى اعتناق الإسلام عام ١٩٨٠م .

عمل المؤلف بالخارجية الألمانية منذ عام ١٩٦١م وتولى مناصب عدة فى بعثاتها بالجزائر وبرن وباريس وبروكسل وفينا وبلجراد ثم سفيراً لها بالمغرب .

ولقد قدم لهذا الكتاب الدكتور محمد أسد النمساوى المولد والمنحدر من أصل يهودى وهو يتقن إلى جانب الألمانية الإنجليزية والعربية والفارسية والفرنسية والبرتغالية والأسبانية والأردية .

وقد ترقى فى السلك الدبلوماسى حتى أصبح مندوباً لباكستان فى الأمم المتحدة ، وقد تأثر بفكر الإمام الشيخ محمد عبده وترجم العديد من الكتب التى كان من أهمها ترجمة « معانى القرآن » الكريم و « صحيح البخارى » .

والكتاب عبارة عن يوميات قام المؤلف بتدوينها فى تواريخ وأماكن محددة كخواطر ذاتية ـ أو كما يسميها هو : « حوار مع النفس » وقد صُدِّر الكتاب بآيات بينات من القرآن الكريم من أول سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأهداه إلى رفاقه المسلمين فى الغرب .

ويحوى الكتاب ما يقرب من نحو مائة خاطرة استوعبت الفترة من ١٧ مايو ١٩٥١م وحتى ١٥ يناير ١٩٨٦ فى أماكن متفرقة منها : مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وسوف تعرض المجلة لبعض هذه الخواطر أملاً فى توصيل فكر هذا الألمانى المسلم لمن يهتم بهذه الأفكار أو التجليات الفكرية البارزة التى سوف تسهم فى تقدير الغرب لديننا الحنيف .

كانت البداية من (غرداية) بالجزائر حيث يسرد المؤلف قصة لقائه بأحد الجزائريين الذى اطمأن إليه وإن كان قد أخذ عليه أنه قرأ نسخة مترجمة للقرآن الكريم ـ ففى رأيه أنه لا بد أن يصان القرآن على النحو الذى أوحى به إلى رسول الله ﷺ عربياً خالصاً حتى عند من لا يتقنون العربية كما هو الحال مع الأطفال الجزائريين الذين يحفظونه بلغته دون فهم ودون اتقانهم العربية ـ ولربما كان هذا تقليداً موروثاً لكنه يبدو مسألة منطقية فقد نزل الوحى بالعربية على النبى الأمى صلوات الله وسلامه عليه ، والمحافظة عليه جعلته يحتل مكانة متميزة بين الكتب السماوية التى أصابها التحريف خلال عمليات ترجماتها عبر العصور ـ وأن ترجمة معانيه لم تكن إلا لإيصال مآثره إلى من يرغب من غير العرب .. « إذ لا يرضى الله بتحريف كلماته » .

وفى خاطرة أخرى يؤمن المؤلف بأن الفن الإسلامى قد استوعب أثناء تطوره كل ما سبقه من فنون إلى جانب قدرته على ترجمة العقيدة الإسلامية إلى مبادىء جمالية ، فالملاحظ أن العمارة الإسلامية ذات طابع متميز فانت تجدها على واجهات المساجد فى قرطبة والقيروان والقاهرة واسطنبول بل وعلى حدائق الحمراء ومنطقة الحرم بمكة المكرمة ، تجدها تتسم بالبساطة والتجريد والتوازن والاعتدال ، وخلو المكان من الصور[1] التى ترمز إلى الله أو إلى الناس تشعر الإنسان بالسمو فى مناخ إسلامى يتعلق بالخوف من عبادة الأصنام فمن يصلى فى مكان خالٍ من الغموض والطقوس والأسرار المقدسة يجد نفسه يؤديها فى خشوع وتبتل .

والتجربة المتمثلة فى تداخل الزخارف العربية كما هو الحال فى « الأرابيسك » يطلق للعقل العنان للتفكير فى الله ـ عز وجل ـ الجليل عن كل وصف وقياس وتحديد .

وفى خاطرة ثالثة ـ بعد رحلة له مع زوجته فى اسطنبول ـ خلص من بعض تجاربها واحتكاكه ببعض تجارها إلى أن هناك أمانة ونقاء فى نفوس هؤلاء التجار وعزا هذه الأمانة إلى العقيدة الإسلامية ، فالقرآن والسنةُ يرسمان الطريق لمعاملة نقية ويقول : « إن جوهر السلوك الإسلامى فى المعاملات محدد فى الأوامر الأخلاقية القرآنية التى تهتم باخلاقيات المنتجين والمستهلكين المتصفة بالشعور بالمسئولية .

وفى خاطرة أخرى يحكى المؤلف قصة خادم مسلم كان يعمل عنده وكان يحرص على الصوم برغم عمله الشاق وأنه لم يكن يغريه طعام ولا شراب يقدم إليه ، وكيف كان هذا العامل البسيط يقطع المسافات الطوال ليلحق بالجماعة فى الصلاة بالمسجد ، ويحكى أنه كان على متن طائرة ، وقدمت وجبة الغذاء لجميع المسافرين وامتنع عن تناوله أحد المسافرين لصومه وكيف قاوم إغراء الطعام الذى حملته المضيفة وأعادته حتى حانت ساعة الإفطار .

وهو يعدد فوائد الصيام الصحية والإجتماعية والمشاركة الوجدانية للفقراء والجائعين غير أنه يعتبرها فوائد ثانوية حيث إنها أولاً وقبل كل شىء فريضة من عند الله .

ويستطرد المؤلف أنه قد حاول الصوم كنوع من التجربة ـ إلا أنه كان لا يتخم نفسه بكثير الأكل فى الليل ليعوض عدم تناوله بالنهار ـ وانه كان يحس بالحرج حين تقدم له أى مشروبات على سبيل التحية فيضطر إلى رفضها ويؤكد أنه بعد فترة قصيرة كان قد تأقلم وتكيف مع الصوم حيث أنه قد شعر ببعض التغيرات المرضية لكنه تغلب عليها بترتيب أولويات الأداء لبعض الواجبات حسب أهميتها ـ ويؤكد أنه كان يتناول فى وجبة الافطار زيتونة مع الماء لينتشى جسمه ويستعيد حيويته وينهى خاطرته بأن هدف الصوم هو تقوية مناعة الإنسان ضد الاغراء .

وتبدأ غيرة الألمانى المسلم على الإسلام فيتألم من ظهور عارضة أزياء فى ثوب لفت أنظار المعجبين والتهبت أيديهم بالتصفيق الحاد لأنه محلى بزخارف

(١) ليس فى الإسلام ، ولا بين المسلمين ، صور ترمز لله ـ جل الله وعلا عن ذلك علواً كبيراً ، وكان على المؤلف ن يلحظ ذلك .

عربية على نمط آيات قرآنية متداخلة بحروف عربية إلا أن الأتراك الحاضرين لم يتنبهوا لهذا الخلل بسبب بعدهم عن لغتهم العربية .

وفى اسطنبول- ذاتها- دهش المؤلف من جمال مسجد بلغ الكمال فى الزخارف المعمارية والإبداع الهندسى والشكل الجمالى فى توسط النافورة لفنائه ـ ومما زاد فى دهشته امتلاؤه بالمسلمين بين متوضىء ومصل ومضطجع ومستغرق فى التأمل خلافاً لما يجرى فى الكنيسة من قيام بأداء الصلاة دون غيرها ـ ثم يؤكد أن للمسجد رسالة أسمى بعد أداء الصلاة كدوره الاجتماعى والصحى لتحقيق التكافل الاجتماعى .

ثم بدأ يشرح زيارته لمكة المكرمة التى يتسع صدرها لاستقبال الآلاف بل الملايين من كل الأجناس والألوان بين طائف وساع ، وأستشهد بوصف ابن سينا للكعبة بأنها البساطة فى أوجها ويعرج على الحجر الأسود الذى تشرّف بوضع الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكانه ودافع عمن يلثمونه أو يتمسحون به ليناًوا عن عبادة الأصنام بأنهم مهما صنعوا فهم مؤمنون ؛ لأنهم لا يعبدون الحجر الأسود ، وبالتالى فلن يكونوا وثنيين مثل من يلتثمون أبهام قدم القديس بطرس فى روما . وبعد طوافه وسعيه وتقصير شعره حاول أن يحضر للكعبة والناس نيام ليسعد بطوافه منفرداً ولكن أنّى له ذلك فعندما وصل إليها وجد الجميع فى طواف دون إحساس بالوقت فالسيل منهمر حولها لا ينقطع فى أية لحظة .

وفى المدينة المنورة خلب لبه مسجد الهادى صلى الله عليه وسلم ولم يتبرم بابعاد الشرطة لعامة الناس من تقبيلهم لمقصورة النبى صلى الله عليه وسلم أو الصلاة تجاهها خاصة فى الفروض ، ولقد لاحظ عدم اختلاط الرجال بالنساء فى هذا المسجد كما دافع عن حجاب المرأة وأعتبره حماية لها من أطماع الطامعين ـ ولقد وصل إلى حد التدقيق فى جزئيات السجود إذ يؤكد ضرورة لمس الأرض بجبهته وأرنبة أنفه .

وفى يوميات الحادى عشر من سبتمبر عام ثمانين وتسعمائة وألف تحت عنوان « لم أملك إلا أن أكون مسلماً » يقول :

« هزتنى الحقيقة عندما وصلت إلى أنى أصبحت مسلماً بمشاعرى ولم يبق أمامى سوى الإعلان الرسمى فنطقت بالشهادتين وسميت نفسى « مراد فريد » .

ثم بدأت غيرته وخوفه على الإسلام فقارن بين الشيوعية والفكر الغربى من حيث تأثيرهما عليه فلم يكترث بخطر الشيوعية برغم مواقفها السلبية إلا أن الفكر الغربى بتقنياته المادية المعاصرة المفرطة فى الإغراق هو الذى ينخر فى عظام الإسلام[1] ـ كما حدث فى تركيا التى استسلمت لإغراء التقدم العلمى والرخاء على حساب الدين وهيهات لما تقوم به وزارة الأوقاف بها من إحياء الدين مرة أخرى .

ولقد بدأ المؤلف بدراسة علمية دقيقة لعلماء الإسلام الأوائل فأثبت أن ابن خلدون كان أسبق من « كارل ماركس » و « ماكس فيبر » فى اكتشاف القوانين التى تحكم دورات التاريخ

(٢) كذا ، وكان أولى أن يكون اللفظ : المسلمين بدل الإسلام .

وسقوط الحضارات فهو بحق الأب الحقيقى لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ .

وأنه سبق « هيجل » فى أن للدول أعماراً كالأشخاص .

وأنه سبق « جان جاك روسو » فى إقرار العلاقة بين الحاكم والمحكومين .

وفى خاطرة أخرى يتعرض للتعصب الألمانى ضد الأتراك ثم يتذكر تعصب الأتراك ضد العرب الذين ينظرون إليهم نظرة دونية ثم يعلق على ذلك بأنه يأنف من رائحة المترددين على أندية باريس وميونيخ ونيويورك ، لكنه يؤكد أنه لم يأنف إطلاقاً من المصلين فى المسجد حيث لا رائحة لهم إلا العطر الطيب،ويخلص إلى أن المسلمين هم أنظف أهل الأرض جميعاً .

وفى تحليل علمى مشوق لأضرار أكل لحم الخنزير الذى غالباً ما يكون مصاباً بدودة الخنزير ويؤدى تناوله إلى زيادة نسبة الكوليسترول فى الدم وإبطاء عملية التمثيل الغذائى فى جسم الإنسان وتعرض الأمعاء إلى أخطر أمراض العصر وهو الأورام الخبيثة « والعياذ بالله » إلى جانب الإصابة بالإكزيما والروماتيزم والإنفلونزا ناهيك عن رائحته المقززة ودسمه الذى يصيب المعدة ، ويختم مقاله بقوله : « أليس من الغريب أن يتوقع محمد الأمى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى عاش فى بيئة متخلفة[٣] كل ذلك الضرر ... لا ريب أنه وحى يوحى » .

ثم فى خاطرة أخرى يتعمق فى دراسة تحليلية لسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بعدما قرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق[٤] وكتاب محمد « لمارتن لنجز » وخلص إلى أنه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ كان عسكرياً فذاً يفوق أعظم قادة الحروب ـ كما أنه كان يجيد التفاوض ، ويتخير الوقت الذى يقبل فيه الهدنة .

وكان صلى الله عليه وسلم أول من وضع دستوراً للسير على هداه وكان قاضياً ومحكماً إلى جانب كونه خطيباً بليغاً ثم يقول : « ألا يُعذىَ ذلك إلى وحى إلهى » .

ولقد أعجب هذا الألمانى بمظاهر الصحة البدنية التى دعا إليها الإسلام كالختان ، وقد بلغ به الأمر أن خاض هذه التجربة مع كبر سنه رغم خطورتها .

ويؤكد فى موضع آخر أن من يفهم (سورة النصر) ، ويدقق فى معانيها لتلاشت من نفسيته رغبة الانتقام ـ بل إنه يؤكد أن من وعاها ما كان له أن يشعل نار الحرب .

وفى خاطرة عن المرأة وضرورة دخولها مكة بمحرم من أقرب الأقارب ـ خشية تدفق غير السعوديات على السعودية ـ فإن ذلك لا ينقص من قدرها ـ بل إن الإسلام يفيض فى تكريم المرأة حيث ساوى بينها وبين الرجل وجعلها حُرة فى تصريف أمور أموالها دون وصاية حتى من زوجها[٥] وهى وإن كان نصيبها من الإرث نصف نصيب الرجل فإنما يرجع ذلك إلى أن هذا الأخير هو المسئول عن الإعالة للأسرة وليست هى ، كما يذكر أن الإسلام قد منحها حق طلب الطلاق كما أنها شاركت الرجل

(٣) كانت هذه البيئة متخلفة دينياً فقط ، وإلا فقد كانوا على اهتمام بالنظافة الشخصية جداً .

(٤) لعله يقصد ابن هشام .

(٥) فى الحق لا بد من إذن زوجها لها حماية لها من ألسنة السوء .

فى الحروب وليس أروع مثلاً من عائشة ـ رضى الله عنها ـ حين قادت معركة الجمل .

(هذه الكلمة من السفير ـ ونحن والحمد لله نحسن الظن به ـ ليست حقاً ، فإن عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما قادت هذه المعركة ، ولا سواها)

ثم إن المؤلف يسرد فى براعة اقتناعه بالآية الكريمة :

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾

فيذكر عدة حوادث تعرض لها لكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم ينه حياته إثر مصادمة قوية خرج منها باصابات عديدة ، ولا بعد أن أُطلق عليه الرصاص فأخطأه ، ولا بعد إصابته بورم خبيث إلا أنه ما زال على قيد الحياة فلن يصيبه إلا ما كتب الله له .

وفى خاطرة أخرى يسرد المؤلف أن سيدة اتهمت بأن الإسلام لا يزال ينتظر مولد الله ، فأجابها بأن هذا هو الشىء الوحيد الذى لا ينتظره المسلمون ... ولم يستطرد حيث إن التقاليد لا تسمح بالإفاضة فى المسائل الدينية أو السياسية على موائد الطعام .

وفى محاضرة له فى مقر حلف شمال الأطلنطى تعرض لسؤال عن رأى الإسلام فى تعدد الزوجات ـ فأجاب بنص الآيتين الكريمتين :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾

وعندما عُيِّر « بالخومينى » أعلن أن الشيعة والسنة على خلاف جذرى .

وفى خاطرة أخرى تعرض لكتاب « موريس بوكاى » عن « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » عدد فيه بتناقضات عديدة فى الكتاب المقدس ويعترف فى ذات الكتاب ؟ ان القرآن الكريم أثبت مصداقيته فى مراحل نمو الجنين وفق أحدث البحوث المعملية اليوم وانه لا يوجد بيان قرآن واحد لا يمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمى فى أى ميدان من ميادينه .

وينهى المؤلف خاطرته بأنه كان يأمل ألا يُنظر للقرآن على انه مرجع علمى وإنما يكفيه أن يكون وحياً إلهياً .

وفى خاطرة أخرى ينصح المؤلف أهل الغرب بالتحرر من أعباء مشاكلهم ولهفتهم على الصعود السريع وتحقيق المزيد من المال والنجاح بالخلود إلى أنفسهم واللجوء إلى التأمل (الروحى) .

ويرى المؤلف إن الإسلام هو الذى بيده الحل حيث حرم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير المسببان للتوتر ، وفى صوم رمضان والمداومة على الصلاة تخفيف من حدة هذا التوتر .

وفى خاطرة ذاتية يروى المؤلف طرفة عندما استفسر عن وجود مسجد فى سان فرانسيسكو فدله أحدهم عليه مع تحذيره من الذهاب مترجلاً أو فى الليل ـ لكنه لم يعبأ بالنصيحة وتوجه إلى المسجد راجلاً وفى وضح النهار برغم طول المسافة ووجد بالمسجد أربعة رجال سود لكن أيهم لم يكن يفرق بين الأذان وبين الإقامة ـ فتدخل الألمانى وصحح هذا الأمر ومن ثم طُلب منه أن يكون إماماً لهم

وبعد : فإن الكتاب يعتبر تسجيلاً لخواطر الكاتب صحّ الكثير منها ، وما من شك أن المؤلف كلما ازداد عمقاً فى الدراسة الإسلامية الخالصة سوف يتغير لديه ما كتبه فى بعض خواطره .

خرافة الوحدة فى الشعر الغربى

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

استهدفت حملة « الوحدة الموضوعية ، أو العضوية » بشتى تفسيراتها ـ الإزْراءَ ، أولا وأخيرا ، بالشعر العربى . وتناست أن الشعر هو الشعر بإلهاماته ، أو عرائسه ، أو خيالاته ، سواء هو فى الغرب أو فى الشرق ، وأنه على وضع سواء .. وكما يقول الشاعر إبراهيم ناجى :

إنما الشعـــــــر مِزْهَـــــــرٌ قد حكـــــــى قصَّـــــــة الأمم
هو قيثـــــــارة الزمـــــــان ونجواه مِنْ قِدَم

بل لقد عمدت بعض المدارس التى حرصت على الإزراء بالشعر العربى يوما أن ترفع من شأن « ابن الرومى » ، لا لشىء ، إلا لتهدف إلى بيان أن الفن الرفيع لديه إنما هو نتاج موروثه العِرْقىِّ ، فهو نابغة لأنه سليل الغرب ؛ لأنه « رومى » .. !!!

أى أن المسألة لا ترْمِى إلى دراسة موضوعية تأخذ موازينها العلمية نقدا وتمحيصا ، لكنها مظاهرة لجذب الأنظار ، والعروج بالفكر عن مسارِ قومِى ، إلى الغَضِّ من قِيمِة ؛ لترتفع فوق هذه الأنقاض فى النهاية : تماثيل هشة لقيم كاذبة .. !

ثم تلت ذلك قضية « الوحدة العضوية » . لتقول ـ لكل أبناء العروبة : ليس ما تتلونه لشعرائكم شعرا .. إن الشعر الحق هو الذى يتمتع بالوحدة العضوية التى لا وجود لها بين ظهرانى شعرائكم ، وإنما رصيدها الدائم فى الغرب وَحْده ، فوَلُّوا وجوهكم شطره ... !!!

وإذا بسط الدارس نظرته ، لعثر على هذا التوجيه نفسه فى ضروب عدَّة : فى السياسة ، فى الاقتصاد .. فى التعليم ... الخ ، وَلُّوا وجوهكم إليه ، والا فأنتم متقوقعون ..!

وقد شاء الله ـ تعالى ـ ألا يصح إلا الصحيح !

وفى الكتاب العزيز : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سورة الرعد

وفى دراستنا للوحدة العضوية ، وَلَجْنَا مباشرة إلى الدواوين العربية الأولى ، وطالعنا القصيد على ما هو عليه ـ فيما تيسر لنا منها ـ وزيادة فى الحيطة تابعنا مذهب المعارضين ، هذا المذهب الذى نحن بصدده والذى يرى أن القصيدة العربية مفكَّكة الأوصال لا وحدة بينها ، وذلك حتى نستطيع أن نرد هذا المذهب على ما هو عليه ـ على الرغم من عِلْمنا بأن « الشعر القديم لم يُنقل إلى الأجيال مكتوبا ، وإنما نقلته الذاكرة فأضاعت منه ، حتى خُيِّل للمعارضين أن تعُّددَ الموضوع طبيعةٌ فى الشعر العربى بينما هو فى واقعه وحيد الموضوع سليم الوحدة[1] .

وإذْ فعلنا ، وجدنا أنفسنا أمام « وحدة عضوية موضوعية » مبثوثة فى هذا الشعر ، بل وعلى قاعدة عريضة فيه ، كما وجدنا هذا النوع الآخر الذى ضم ـ فى ظاهره ـ أكثر من موضوع ، ولقد تنبه لهذه الحقيقة الدكتور طه حسين فحاضر فى أمرها ، وكتب معارضا للمستشرق « جب » وأمثاله ، ومن تمثل به كالأستاذ العقاد[2] ـ فقال :

« أصبح العقل الحديث أذكى وأرق ، وأدنى إلى الحذر والفطنة من أن يذعن لها ، أو ينخدع بها .

وتفكك القصيدة العربية ، واقتصار وحدتها على الوزن والقافية ـ دون المعنى ـ أسطورة يا سيدى من هذه الأساطير التى أنشأها الافتتان بالأدب الأوربى الحديث ، والقصور عن تذوق الأدب العربى القديم . والذين ينكرون « الوحدة المعنوية » للقصيدة العربية القديمة ، إنما يدفعون إلى هذا الإنكار لسببين :

الأول : أنهم لا يدرسون الشعر القديم كما ينبغى ، ولا يتعمقون أسراره ومعانيه ، وإنما يدرسونَهُ درس تقليد ، ويُصدِّقون فيه ما يقال لهم من الكلام فى غير تحقيق ولا استقصاء ، وهم يحفظون منه البيت أو الأبيات ، وقَلَّ منهم من يحفظ القصيدة كاملة ، ويدرسها كاملة ، فضلا عن أن يحفظ القصائد الطوال .

أما علماؤهم فيكتفون بالأغانى وما يشبه الأغانى من الكتب ولا يلتفتون إلى الدواوين .

وأما عامَّتهم من أوساط المثقفين فيكتفون بكتب التاريخ الأدبى وما يشبهها من المذكرات التى تُذاع فى المدارس بين الطلاب

والسبب الآخر الذى يدفع المثقفين المحدثين إلى إنكار هذه الوحدة المعنوية فى القصيدة يأتى من أنهم يقبلون ما يقوله الرواة وما ينقلونه إليهم فى غير تحفظ ولا احتياطٍ ولا تحقيق .. الخ[3] .

(١) راجع للدكتور طه حسين : حديث الأربعاء ٣١/١ ط دار المعارف مصر الطبعة الثانية عشرة .

(٢) تأثر العقاد بتخليط المستشرق جب حينما قرر ـ بدوره ـ أن الشعر الجاهلى ـ فى الغالب ـ أبيات مبعثرة تجمعها قافية واحدة ، يخرج فيها الشاعر إلى المعنى ، ثم يعود إليه ، ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول . وبهذه المناسبة نذكر أن الأستاذ العقاد لم يجادل أو يرد قول د/ طه حسين الآتى .

(٣) راجع للعقاد ـ مراجعات فى الآداب والفنون ص ١٠٣ .

قلت : إن الشعر سواء ، هو الشعر فى الشرق كما هو فى العرب له نفس الطبيعة ، ونفس المنطلق ، ما نجده هنا نجده هناك ، وإنما تعطى البيئة إيحاءاتها وصورها فى كل ، على أنه فى الغرب لن يكون أعمق وجدانا منه فى الشرق . فالشرق روحانىٌّ بطبعه ، يتمتع برفْدِهِ مِنها بأنهارٍ حُرِمَ منها الغرب ، وهل ننكر ـ على أى اتجاه : قيمة الوجدان فى الشعر .. ؟ .

● ● ●

لقد فات الدارس ـ لهذا الموضوع ـ أن عُمْق المأساة فى حادثٍ ما ، يصيب الشاعر إصابة مباشرة يُطِوّقُ من الشاعر سبحاته فى أكثر من موضوع ، ويحبسه حَبْساً على موضوع واحد لاتستطيع منه فكاكا .. وجدنا ذلك قديما جدا ، وحسبنا فى التمثيل له بفجيعة « جليلة بنت مرة » قديما ، ثم رُزْءِ مصر وفجيعتها فى « دنشواى » التى أعدم فيها مصريون أبرياء ، وكان أثرها مباشراً ومأساتها ذابحة لنفوس المصريين عامة ، وشعراء مصر خاصة ، وعلى رأسهم شوقى وحافظ .. إنَّ أيًّا من الشعراء الثلاثة لم يخرج عن موضوعه قيد خطوة . إذ قد طَوَّقته المأساة فلم تدع لوجدانه وعقله مسرباً :

قتل جَسَّاسُ كليبا زوج أخته جليلة ، وطُرِدت جليلة من مأتم زوجها ، وقالت أخته لها : يا هذه ، اخرجى عن مأتمنا ؛ فأنت أخت واترنا ، وشقيقة قاتلنا ! فلَمْلمت من آلامها وارتحلت على أحزانها : وقالت ـ تخاطب أخت زوجها :

يا ابنـــة الأقـــوام إن شِئْتِ فَلَا تعـجلى باللـوم حتـى تسْأَلِـى
فإذا أنتِ تَبَيَّـنْتِ الـذى يُوجب اللـومَ ، فلُومِـى واعْذِلِـى
إنْ تكـن أختُ امـرىءٍ لِيـمتْ على جزع منها عليـهِ ، فافْـعلى
جلَّ عنـدى فعـل جسَّاسٍ فيـا حسـرتى عمـا الْجَلَـى أو ينـجلى
فعـل جسَّاسٍ ـ على وجْـدى به ـ قاطـعٌ ظهْـرِى ومُـدْنٍ أجلى
تحمـل العيـنُ قذى الـعين ، كما تحمـل الأم أذَى ما تغـتلى[٤]
أيتم المجدَ كلـيبٌ وحـده واستـوى العالـى معـا بالأسـفـل
مَنْ لحكـم النـاس فى حيرتهـم وقِـرىَ الأضْيـاف يوم البُـذَّلِ
ولإصلاح وَلإفسـادٍ معـا !! فى صَدَى الرُّمْـحِ وريِّ المُـنصل

● ● ●

يا قتيـلا قَوَّضَ الدهـرُ به سَقْـفَ بيتـىَّ جميعـا من عَلِ
هدم البـيتَ الـذى اسْتَحْدَثْتُـه والثَّنَـى فى هَدْم بيتـى الأوَّل

(٤) تغتلى : تربى .

ورمـــــانى قتلـــــــه مِنْ كثَب رَمْيـــة المُصْمـــى به .. المستـــأصل

• • •

خصَّنـــى قتْـــل كلـــيب بلظـــى من ورائى ، ولَظَـــى مُسْتَقْبـــلِ
ليس من يبكـــى ليومَيْـــن ، كَمَـــنْ إنما يبكـــى ليـــوم .. ينـــجلى
يَشْتفـــى المُـــدْركُ بالثـــأرِ ، وفى دَرَكِـــى ثأْرِىَ ثُكْـــل المثكـــل
ليتـــه كان دَمِـــى فاحْتَبلُـــوا بدلا منـــه دَمـــاً من أكْحُلِـــى(٥)
إننـــى قاتلـــة مقتولـــة ولعـــل الله أنْ يرتـــاح لِى(٦)

وهذا حافظ إبراهيم يتحدث عن مأساة دنشواى ؛ فهل كان يمكن أن ينحنى فيعرج إلى غيرها .. ؟ ... قالى :

أيها القائمـــون بالأمـــر فينـــا هل نسيتم ولاءنـــا والـــودادا
خفضوا جيشكـــم ونامـــوا هنيئـــا وابتغـــوا صيْـــدَكم وجُوبُـــوا البـــلادا
وإذا أعْوَزتكـــــمُ ذاتُ طوْقٍ بين تلك الرُّبَـــا .. فصِيـــدوا العبـــادا !
إنما نحن والحَمـــــــامُ سواءٌ لم تُغـــادِرْ أطواقُنَـــا الأجيـــادا
لا تظنـــوا بنـــا العقـــوق .. ولكـــنْ أرشدونـــا إذا ضَلَلْنـــا الـــرشادا
لا تُقيـــدوا من أمـــة .. بقتيـــل صادتْ الشمسُ نفسَه حين صادا
جاءَ جُهّالُنـــا بأمـــر .. وجِئتُـــمْ ضعـــف ضِعْفيـــه : قَوْةً واشتـــدادا
أحْسِنُـــوا القَتْـــلَ إنْ ضننْتُـــمْ بعفـــو ! أقِصاصا أرَدْتُـــمُ أم كيـــادا
أحسنـــوا القتـــل إن ضننتُـــمُ بعفـــو أنفـــوسا أصَبْتـــمُ أم جَمَـــادا
ليت شعرى .. أتلك (محكمة التفْـــتيش) عادت .. أم عهد (نيرون) عادا
كيـــف يحلـــو من القـــوىّ التشفـــى من ضعيـــف .. ألْقَـــى إليـــه القِيـــادا
إنها مُثْلَـــةٌ تشف عن الغيْـــظ ، ولســـنا لغيظكـــم ... أنـــدادا
أكْرمونـــا بأرضنـــا ! حيث كنتم إنما يُكـــــرم الجوادُ .. الجوادا
إنَّ عشريـــن حجـــةً بعـــد خمْس علمتنـــا الســـكـــونَ مهمـــا تمادى
أمـــةُ النيـــل أكْـــبرتْ أن تعـــادِى مَنْ زماهـــا .. وأشفـــقتْ أن تُعـــادى
ليـــس فيهـــا إلا كـــلامٌ ، وإلا حَسْـــرةٌ بعـــد حسْـــرة تتهـــادَى

ثم يلتفت (حافظ) إلى المدعى العام المصرى ، بجرأة نادرةٍ وغضب شديد ، لموقفه القاسى

(٥) الأكحل : عرق فى الساعد يسميه العرب : نهر البدن .

(٦) يرتاح لى : يريحنى بانتقالى إلى رحمته تعالى .

أثناء المحاكمة ، أو المهزلة . فيقول :

أيها المدعى العمومىُّ مَهْلا ... بعضَ هذا .. فقد بلغْتَ المُرادا
قد ضَمِنَّا لك القضاءَ بمصْرٍ ... وضمنا لنجلك الإسعادا
فإذا ما جَلسْتَ للحكم فاذْكُرْ ... عهدَ (مصر) .. فقد شفيتَ الفؤادا
.. لا جَرَى النيل فى نواحيك يا مصرُ ، ولا جادك الحَيَا حيثُ جادا
أنت أنْبَتَّ ذلك النَّبْتَ يا مَصر .. فأضحى عليك شَوْكا قتادا
أنتِ أنبْتٌ ناعقا قام بالأمْس ، فأدْمى القلوبَ والأكبادا

ثم يخاطب المدعى العام :

أنت جَلَادُنا ، فلا تَنْسَ أنا ... قد لبسنا على يديك الحدادا[٧]

وقال شوقى فى فظائع « دنشواى » :

يا دنشوايَ على رُباك سلامُ ... ذهبتْ بأُنس ربوعك الأيامُ
شهداء حُكْمِكِ فى البلاد تفرَّقوا ... هيهات للشمل الشتيت نظام
مَرَّتْ عَليهم فى اللحود أهِلَّةٌ ... ومضى عليهم فى القيود العام
.. كيف الأرامل فيك بعد رِجَالها ؟ ... وبأى حالٍ أصْبح الأيتام ؟
عشرون بيْتا أقْفرتْ ، وانْتابَها ... ـ بعد البشاشةِ ـ وحْشةٌ وظلام
يا ليت شعرى : فى البروج حمائم ... أم فى البروج مِنيَّةٌ وحِمام ؟
نيرونُ لو أدْركْتَ عهد « كُرُومَرٍ » ... لعرفْتَ كيف تُنفذ الأحكام
نُوحِى حمائمَ دِنْشواىَ ، وروِّعِي ... شعبا بوادى النيل ليس ينام
إنْ نامتْ الأحياء ، حالت بينه ... سُحَرا .. وبين فراشه .. الأحلام
متوجِّع ، يتمثل اليومَ الذى ... ضَجَّتْ لشدة هوْله الأقدام :
السَّوْطُ يعمل ، والمشانق أربع ... متوحِّداتٌ .. والجنود قيام
و « المستشار » إلى الفظائع ناظر ... تَدْمَى جلود حوْله وعِظام
فى كل ناحية ، وكل محلة ... جزعاً .. من الملإ الأسيف زحام
وعلى وجوه الثاكلين كآبةٌ ... وعلى وجوه الثاكلاتِ رِغام[٨]

وبعد :

فهل خَلُصتْ الوحدةُ العضوية للشعر الغربى .. ؟ .

... ذاك حديثنا التالى بمشيئة الله ، نختم به هذه الدراسة .

(٧) انظر ديوان حافظ ٢/ ٢٠ ، ٢٢ ط ١٩٣٧ .

(٨) ديوان شوقى ١/ ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

يوميات واعظ فى أمريكا

ما أكثر الأقلام التى تناصب الإسلام العداء وتصبّ جام تحضبها على شريعته بالافتراءات والأباطيل ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ الصف ـ ٨

نعم .. إنهم يريدون محوه من المجتمعات الإسلامية ، أو على الأقل زعزعة الإيمان به فى قلوب المسلمين ، ومن جهة أخرى يدفعهم الخوف منه إلى الحيلولة ـ بهذا التشويه ـ دون زحفه وانتشاره فى المجتمعات الغربيـــة ، فالمتمسكون به ـــ فى نظرهم ـ رجعيون ، والمنادون به مرتدون إلى عصور الجاهلية ، والمطالبون بتطبيق شريعته متخلفون .

وبرغم ما ينفق على هذه الحملة الشرسة ، وما يجند لها من أبواق تطمس الحق وتزين الباطل ؛ إلا أنه لم يتأثر بها باستثناء بعض الغربيين والمستغربين الذين يجهلون حقيقة الإسلام ، فلا يعرفون عنه إلا اسمه ، ولا عن كتابه الكريم إلا رسمه ، وهذه انطباعات واعظ عن صورة الإسلام فى الغرب ، كتبها إلينا فضيلة الشيخ/ زكريا أحمد محمد نور واعظ الأزهر بأسيوط بعدما أتيح له معايشة الشعب الأمريكى فى شهر رمضان الماضى ضمن بعثات الأزهر ـ يقول :

« إن كثيراً من الأمريكيين يجهلون حقيقة الإسلام وأحوال المسلمين وما يتعلق بقضاياهم ومشكلاتهم وعقيدتهم ، ويحملون فى أذهانهم صوراً مشوهة إلى حد كبير عن واقع الإسلام ومجتمعاته نتيجة لما تنشره عنه الصحافة الغربية ،

لكنهم فى نفس الوقت على استعداد لأن يسمعوا الحقائق عن عقيدة الإسلام وأحوال المسلمين ، ويصغوا لكل من يعطيهم صورة صادقة عن الإسلام ، بل يتقبلون ذلك بكل سرور وترحيب وقد لمسنا ذلك فى رحلتنا إلى مدينة « الباسو » عندما كنت أقوم بالدعوة الإسلامية هناك فى رمضان .

فالشعب الأمريكى لا يعرف عن الإسلام إلاَّ القليل ، والكثير منهم يعتقدون فينا التأخر والانحطاط والقسوة والغلظة والوحشية ، كما يعتقدون أن الإسلام لا يعدو هذه العادات والطقوس الظاهرة التى يقوم العرب بتطبيقها ، وأن مركز المرأة على جانب من الانحطاط ؛ جاهلين ما منحه الإسلام للمرأة من حقوق لم يمنحها غيره من القوانين والأديان الأخرى حتى الآن .

فبعض الصحف هناك تعبر عن الرأى العام اليهودى ، وتصف العرب بالمغتصبين ، ومن ثم تقوم على إخفاء الحقائق ، وتهوين الحوادث ، التى يرتكبها اليهود ، والتقليل من أهميتها ، بينما تضخم الحوادث البسيطة وتهولها وتصفها بالوحشية إن كانت صادرة من عرب فلسطين ، وهذا ما لمسناه فى رحلتنا أثناء الانفجار المدوى فى المركز التجارى بنيويورك فى رمضان المعظم .

كذلك تعمل الصهيونية على الإفساد والتفرقة بين العرب ، فقد حاولت أن توقع بين المسلمين والمسيحيين وتظهر للعالم أن العداء مستحكم بين المسلمين والمسيحيين ، وأن المسلمين يضطهدون المسيحيين ، ويتفننون فى خلق الأكاذيب والقصص الخيالية حول أنواع الاضطهاد ، حتى أنه وجه إلينا فى إحدى الندوات سؤالاً بهذا المعنى ، مضمونه : أن مصر بها اضطرابات بين المسلمين والمسيحيين فهل تكون مصر لبنان أخرى .. ؟ وبالطبع كانت الإجابة بالنفى وتوضيح العلاقة الإنسانية القائمة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ، وأن مصر بلد لا يعرف التفرقة الدينية .

المسلمون فى مدينة الباسو :

القدوة الصالحة تهدى وتجعل الجميع يهتدون بأهل الخير وخصوصاً إذا كان ما هم عليه هو الإسلام الذى يؤيد العقل ويعليه .

ومع أن الإسلام مقنعاً بذاته داعياً العقول مخاطباً لها ، فالإسلام فى (مدينة الباسو) قوى والمسلمون أقوياء فلا بد أن يقلدهم الأمريكى الأبيض والأسود ويسرع الخطى لاعتناق الإسلام ، فلا نجد أحداً من هؤلاء خرجوا من الإسلام بعد أن دخلوا فيه وذاقوا حلاوته ، إلَّا أن يكون خبيثاً أراد بإسلامه خدعة .

والمسلم فى مدينة الباسو يحاسب نفسه قبل أن يتكلم ويعمل فكره فيما يقول قبل أن ينطق لأنه يعتقد أن « الله مطلع على كل لفظ ، وأن الله قد وكَّل به رقيباً عتيداً يحصى عليه ما يفعله وما يلفظ به ، والمسلم أيضاً فى مدينة الباسو لا يقول إلا حقاً ولا يأتى إلا معروفاً ولا يفعل إلا خيراً ولا يمنعه من المجاهرة به خوف من الناس ، لأنه يعتقد أن المؤمن لا يخاف من شىء ، وكيف يخاف ومعه الطمأنينة ، ولا يضطرب من شىء فكيف يضطرب وعنده الاستقرار ، ولا يخشى مخلوقاً ، لأن الله ـ تعالى ـ معه .

هذه انطباعاتى لما شاهدته من إيمان المسلم فى

مدينة « الباسو » فكانوا بحق مسلمين ورب الكعبة : فهم « يؤمنون بالقضاء ويصبرون عند البلاء » .

منهج الدعاة إلى الإسلام

ولقد سألت الدكتور أبا بكر مسئول الدعوة الإسلامية هناك عن منهجهم فى دعوة الإسلام فقال : « إن عرض المسلم لأفكاره ومبادئه بأسلوب شيق جذاب يحبب الآخرين إلى الإسلام فلا ينفرون أو يبتعدون ، كما أنه ينبغى مخاطبة الناس على قدر عقولهم ومداركهم فلا تخاطب العمال بأسلوب الفلاسفة ، ولا تناقش الملاحدة والماديين بلسان عاطفـــى خالٍ من الحجـــة والبرهان .

فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، بل وقد تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والإصرار والنفور فتأخذها العزة بالإثم مثل قول الله ـ تعالى :

﴿ فإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾

البقرة ٢٠٦

بل نتعامل بالرفق واللين ، وليس معنى اللين المداهنة والرياء والنفاق ، وإنما اللين ببذل النصح وإسداء المعروف بأسلوب دمث مؤثر يفتح القلوب ويشرح الصدور » .

وهكذا .. فإنه على الرغم من تشويه الصحافة الغربية للإسلام ؛ نسمع هناك كلمة « لا إله إلا الله » وهى تخترق الحدود الأمريكية إلى الحدود المكسيكية لتشرق نور الإسلام فى هذه البلاد .

حـــول

التضامن الإسلامى

ما أحوج أمتنا الإسلامية وهى تمر بهذه الفترة الحالكة من تاريخها إلى دعم وحدتها بين أفراد الأمة وفق ما جاء به القرآن وأوضحته السنة النبوية ، فقد وجه الإسلام أهله إلى ما يحفظ لمجتمعهم وحدته ، وذلك من خلال الارتكاز على عدة مقومات يقوم عليها المجتمع الإسلامى ، منها : التضامن والتعاون والتكافل .

قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

المائدة ـ ٢

حول هذا المعنى كتب إلينا القارىء/ أيمن حسن خميس ـ من ميت أبو خالد بميت غمر ـ دقهلية ـ هذه الكلمة :

نظراً لما يجرى فى عصرنا على الساحة العربية والإسلامية من محن وأهوال عظام ترتكب فى حق الإسلام والمسلمين نهاراً جهاراً ، ونظراً لمرارة الظلم الواقع على عاتق أمتنا وما تقاسيه من جروح تفتقد من يضمدها أو يدفع ما يدبر لها فى الخفاء من الفتن والمكائد ، فإنى تواق ومتشوف مع كل مسلم إلى تحقيق معانى التضامن والتكافل فى أمة الإسلام لتعود أمة واحدة مثلما كانت فى صدر الإسلام وعصر الفتوحات والقرون الوسطى عندما كان الإسلام يبسط سلطانه على أوروبا .

فقد كانت أمة الإسلام أمة واحدة تشبه بحق « الجسد الواحد » إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالنجدة وشتى سبل الانقاذ ، ومن ثم كان المسلمون فى منعة وهيبة نتيجة اعتصامهم وتضامنهم ، فانتشر الإسلام على أيديهم واتسعت رقعته وتمكن له فى الأرض بشكل أذهل العالم .

فما أحوجنا إلى التضامن الفعلى بين المسلمين والتأسى بأمجادنا والعودة إلى منابع عزّنا وفخرنا حتى نعود إلى سالف عهدنا الزاهر .

مع بشائر شهر المحرم ، واستهلالنا لعام هجرى جديد نتوقف لحظات لكى نتذكر حادثاً من أعظم الأحداث التى مرت بالتاريخ الإسلامى ؛ وهو حادث الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة ؛ وقد هاجر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام – رضى الله عنهم – وتركوا ديارهم وأموالهم فى سبيل نصرة الدين الحنيف ولولا هذه الهجرة المباركة ما وصل إلينا الإسلام ولا انتشر فى بقاع الأرض ، فنحن مدينون بالفضل لهذا الحادث العظيم .

وإذا تأملنا هذا الحادث نجد أن المسلمين قبل الهجرة عانوا أشد المعاناة من تعذيب الكفار لهم والأسماء كثيرة فى ذلك نذكر منها « عمار وياسر وسمية وبلال بن رباح » وغيرهم من الصحابة الأخيار ، – رضى الله عنهم – الذين لاقوا التعذيب على يد المشركين مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن بالهجرة دون أن يخالفه واحد من صحابته الكرام ، ولا عجب من ذلك فهم الذين استأثروا بحمل راية هذا الدين .

وكما قدم المهاجرون من تضحيات فى سبيل نصرة دين الله – عز وجل – فقد قدم أخوانهم الأنصار أيضاً تضحيات تتسم بروح الإسلام ، ففتحوا لهم ديارهم وعرضوا عليهم ان يقاسموهم أموالهم ويشاركوهم معيشتهم ، وكانوا كما قال الحق تبارك – وتعالى – عنهم :

﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ...** ﴾ الآية ٩ الحشر

فجزى الله المهاجرين والأنصار عنا خير الجزاء .

عماد الدين عبد المنعم دار طباعة النقد

بأقلام القراء

وماذا بعد الحج ؟

كتب الأستاذ صاحب التوقيع بعد الديباجة :

● ليس من السهل الآن على كل مسلم أن يحج بيت الله ـ تعالى ـ ولقد تنبأ الرسول ﷺ بذلك ، فنصح أمّته بقوله « حجُّوا قبل ألاّ تحجوا » ، فقد ارتفعت أسعار الحج ؛ وحُددت أعدادُ الحجيج من كل قطر مسلمٍ أو غير مسلم ، وضُيقت السبل على كثير من الراغبين فى السفر ، وطفحت المشاكل « الأمنية » هنا وهناك حتى أصبح الحجاج يتعرضون لامتحان أشبه « باختبار المقابلة أو كشف الهيئة » !! فإذا فاز بعض المسلمين بالترشيح لهذه الجائزة الكبرى لإتمام الركن الخامس من أركان الإسلام ، فلا يجوز لهم حينئذ أن يضيِّعوا ثوابها ويُهْدروا قيمتَها ، بمخالفاتٍ هم أَوْلىَ الناس بتركها والبعد عنها ، لا سيما بعد ن منَّ الله ـ تعالى ـ عليهم بهذه النعمة .

عبد الوهاب عبد العزيز سالم

موجه لغة إنجليزية ـ غرب طنطا

مجلة الأزهر :

ترجو الأستاذ عبد الوهاب إذا ذكر حديثاً .. شريفاً أن يحدد مصدره .

مجـــرد عتـــاب

السيد الأستاذ / ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

هذه هى الرسالة الخامسة وللأسف لم يتم الرد على استفساراتى .

وأولها : قدمت اقتراحاً بإنشاء باب بعنوان « من فوق المنبر » ليهتدى به أهل الدعوة ممن تصدروا للدعوة بالمساجد الأهلية حتى يكونوا على بصيرة وهدى .

ثانيها : قدمت شكراً على ما تقوم به المجلة من إثراء ثقافى لقارئيها لا سيما وأنا من قراء المجلة منذ عشرين عاماً ولم يذكر شيء فى باب بريد القراء لذا أكرر عتابى وشكرى لأسرة المجلة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القارىء

سعد الدين أحمد حسن غزال

مجلة الأزهر :

أما عن مقترحكم بشأن الخطبة فقد أبدت المجلة فى عدد سابق حجتها فى هذا الموضوع ، ولعل السيد سعد الدين معنا فى الاكتفاء بالبيان بعدد واحد ، ولسيادتكم جزيل الشكر على تقديركم الكريم للمجلة ، وإنما هو توفيقه ـ تعالى ـ الذى نرجوه ـ سبحانه ـ ألا يدعنا لأنفسنا طرفة عين .. تقبلوا خالص الشكر .

دور الثقافة الإسلامية

الثقافة الإسلامية تتعرض لكافة أشكال التفاعل والتأثير المتبادل .. فالثقافة تشكل هوية زمنية لحياة الأمة .. وتحمى الأمة من عوامل التذويب والتشكيك والاختراق .

ولكن هل استطاعت ثقافتنا بلوغ أهدافها كعنصر أساسى للتحرك الإسلامى فى كافة القضايا . ؟

إن الأمة فى حاجة لفكر متجدد اقتصادى وسياسى وتعليمى ينهض بها مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ المؤمنون ـ ٥٢

يحيى السيد النجار ـ دمياط

مجلة الأزهر :

ترجو السيد يحيى مزيداً من الإيضاح بياناً لقوله : إن الأمة فى حاجة إلى فكر متجدد اقتصادى ... إلخ ونحن فى الانتظار .

إلى الأشقاء باليمن

وحول « صراع الزعامة » والحرب الأهلية الدائرة بين شطرى اليمن ، كتب الشاعر/ مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية إلى الأشقاء هناك :

أبناء يعرب حسبكم ، فنزاعكم
فى كل أرض إخوة تتقاتل

تأسى القلوب له ، ولا تتحمل
(الصرب) قد فتكوا بهم فى (هرسك)

أنتم أشقاء ، فلا تتصارعوا
وكأنما قد دار فيهم منجل

إن الوئام بكم أحق وأجمل
يا أخوة اليمن الشقيق ، حروبكم

ألقوا السلاح ، وعجلوا ، عار إذا
طالت بلا عذرٍ به تتواصل

ما مسلم بيد الشقيق يُجَنْدل
إن الشمال أو الجنوب كلاهما

كفُّوا .. دماء المسلمين مراقة
يَمَنٌ توحَّد غيره لا يقبل

هذا هو الإسلام يجمع شملكم
فتظللو بلوائه ، وتكتلوا

لبُّوا نداءً للتفاهم عجّلوا
إن التفاهم خيْرُه لمؤمّل

تنبيه

على السادة كتاب المجلة : الاتصال بخزينة مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر ـ الدور الثالث ـ لتسلم مكافآتهم ، وذلك بعد ما لا يقل عن خمسة وعشرين يوماً من نشر المقالة ، ويمكن الاستفسار عن وجود المكافأة بالخزينة من خلال هذا الرقم ٢٦٣٨٥٩٩ ـ القاهرة .

ضعيف

ضـــعيـــف أنت يا إنســـــانُ حقـــــا
تحـــاول أن تـــــدق الأرض دقـــــــا
وتبغـــــى أن تطـــــاول ذى الجبـــــالِ
وتبغـــــى أن تشـــق المـــاء شـــقـــاً
وضـــعفك ظاهـــــرٌ فى كل شـــــىءٍ
فـــأنت مـــن التـــراب وإن تَـــرَقَّـــىٰ
فيـــا ابـــن الضـــعفِ مهـــلاً .. لا تغـــالى
ولا تبغـــــى مكابـــرةً فتشـــقـــىٰ

شـــعر

بهجت صميدة خميس

زيارة روضة المصطفى

أمـــا روض طه المصطفـــى — فرغيبـــة ومحبَّـــة وسلام
من حـجَّ ثـم سـعى لرؤيـة نـوره — أضـحى لـه عند الشـفيع مقـام
صـلَّى عليـه الله ربِّـى كلمـا — هبَّ النسـيم ودارت الأجـرام
أسـدى لأمتـه أجـلَّ فضـيلةً — تقـوى بها أمم لها إقـدام
أمَّـا الفضـيلة تلك فهى جهـاده — فى الله لا خـوفٌ ولا إحجـام
حتى اسـتقام الـدين وارتفعت بـه — هاماتنـا واختـالت الأعـلامُ
صـلى عليـه الله دَوْمـاً كلمـا — غنَّـى على أيك الريـاض حمام

شـــعر

أحمد محمد عبد الهادى

ردود وتعليقات

● **القارىء/ مسلم سائل .. بدون عنوان :**

أى علة مرهونة بدواعيها ، ومتى ذهبت الدواعى ذهبت العلة ، وكما هو واضح ان الدواعى هنا : التخيل والنظر فيما حرَّم الله عز وجل .

فغضُّ النظر وطرد الخواطر السيئة بكثرة الاستعاذة علاج نافع ، قال تعالى :

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ فصلت ـ ٣٦

ويمكن الاستعانة بهذا الدعاء « اللهم احفظنى من الخواطر النفسانية ، وطهرنى من القاذروات البشرية ، ونجِّنى من الشهوات الشيطانية ، وصفِّنى بصفاء المحبة المحمدية » .

● **القارىء إبراهيم أبو حفناوى ـ القرين ـ شرقية :**

استجابة لمقترحكم سوف تقدم المجلة فى أقرب فرصة بحثاً كاملاً عن التيمم يشفى حاجة من يريده .

● **القارىء/ رمضان إبراهيم الأقرع ـ خطيب مسجد باخناواى ـ طنطا :**

مع تقديرنا لمقترحكم ومنزلة الديوان ، فإنه ليس فى خطة المجلة أن تكون هداياها دواوين شعر .

● **القارىء/ مجدى محمد السيد عنان ـ المدرس الثانوى بشمال سيناء ـ العريش :**

نرجو ـ يا أستاذ مجدى ـ أن نلفت نظر سيادتكم وأنتم أستاذ يقوم بالتدريس لمئات الطلبة ، ماذا تفعل إزاء طالب يراك تشرح ، وتستميت فى الشرح ، وهو ـ لأمر ما ـ أغلق على فهمه شىء ، فلم يسألك .. ؟

هل تستطيع سيادتكم ان تعرفه من بين عشرات التلاميذ .. ؟

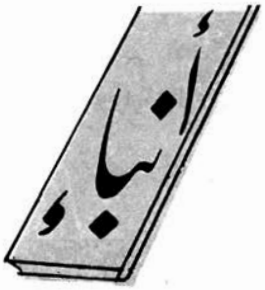
يا أستـــــاذ مجدى . من حولك ، وفى المساجد ، ووعاظ الأزهر المنتشرون فى كل بقعة داخل مصر يتحدثون ، ويُفْتون .. بل لقد أنشأ الأزهر بأكثر مراكز الجمهورية لجأنا للفتوى لتفيد الناس مباشرة بما يريدون .. وكم نرجو أن تلتقى بهم .. مع خالص الشكر .

● **محمد حسين يوسف على ـ من اسنا :**

وصلت كلمتكم عن « وقفة عرفات » متأخرة عن مناسبتها ، وفى انتظار ابداعاتكم .

● **وبعون الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً .**

أنباء وآراء



مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى بالأئمة والوعاظ الوافدين

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأئمة ووعاظ العالم الإسلامى المشتركين فى الدورة الخامسة والعشرين وقد طالبهم فضيلته بضرورة التسلح بالعلم النافع وتطبيق تعاليم الإسلام السمحة فى بلادهم والالتزام بالحكمة والخلق الإسلامى القديم ليكونوا قدوة للناس فى مسلكهم ودعوتهم ، كما ناشدهم بأن يجعلوا الأزهر الشريف مرجعهم فى كل ما يواجههم من فتاوى .

يحاضر فى هذه الدورة رئيس جامعة الأزهر ولفيف من أساتذة وعلماء الأزهر حيث يقومون بالقاء المحاضرات فى علوم القرآن واللغة والدراسات الخاصة بالأقليات الإسلامية والفتاوى الصادرة عن فضيلة الإمام الأكبر .

حضر حفل الافتتاح إلى جانب الأساتذة المحاضرين بعض أساتذة الجامعة ولفيف من علماء الأزهر وقيادات الدعوة وسفراء الدول المشاركة فى الدورة .

مسئولون بالفاتيكان يزورون فضيلة الإمام الأكبر بسويسرا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بعض الشخصيات الأوروبية والقيادات النصرانية ، وذلك أثناء وجود فضيلته بسويسرا لاستكمال العلاج .

كان من بين الشخصيات التى استقبلها فضيلته الكاردينال فرانز عضو المجلس الأعلى للكرادلة بالفاتيكان حيث نقل لفضيلته تحيات الكنيسة الكاثوليكية .

وقد تسلم فضيلة الإمام الأكبر وثيقة تمثل الأفكار التى سيطرحها الكاردينال على الساحة الأوروبية والنصرانية بغية دعم التعاون بين المؤسسات الدينية الرسمية الإسلامية والنصرانية لخدمة السلام ورفاهية الشعوب ، حضر اللقاء الدكتور على السمان رئيس مؤسسة الحوار الإسلامى النصرانى .

نقل مكتبة الأزهر إلى مبناها الجديد

بحثت اللجنة العليا لإعمار الجامع الأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خطوات نقل مكتبة الأزهر إلى مبناها الجديد « بحديقة الخالدين » بالدراسة ، حيث تقرر الاستعانة بالمستشاريـــن والخبراء لاستكمال الدراسات اللازمة فى هذا الشأن لإتمام عملية النقل فى موعد غايته نهاية يوليو القادم .

وقد أبدت وزارة الإسكان خلال الاجتماع استعدادها لتوفير الوحدات السكنية للطلاب المقيمين بالأروقة الملحقة بالجامع الأزهر تمهيدا لإخلائها ، حضر الاجتماع وزير الإسكان والثقافة وعدد من المسئولين بوزارتى الاوقاف والمالية .

اعتمادات مالية لترميم المعاهد الأزهرية بمحافظة قنا

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مبلغ ٨٠ ألف جنيه لاستكمال وترميم أربع وعشرين معهدا أزهرياً بمحافظة قنا .

كما اعتمد السيد/يحيى البهنساوى محافظ قنا مبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه لاستكمـــال مشروعات الترميم بالمعاهد الأزهرية ودعم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم بالمحافظة .

تعيينات جديدة لخريجى الأزهر

تقرر تعيين حوالى ثلاثة آلاف من خريجى الأزهر للعمل بالأزهر الشريف ، حيث يتم إرسال قرارات تعيينهم إلى الجهاز المختص بالأزهر قريبا ؛ تمهيدا لاستكمال مسوغات التعيين واستلام العمل .

تسليم جوائز مسابقة فضيلة الشيخ الشعراوى

أناب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف فى حضور حفل توزيع جائزة الشيخ الشعراوى للعام الهجرى ١٤١٣ هـ .

وقد قام فضيلته بتسليم الجوائز للفائزين فى مجال الإعجاز القرآنى ، وفى مجال رد الشبهات عن الإسلام .

وأعلن فضيلته عن شروط مسابقة فضيلة الشيخ الشعراوى للعام الهجرى ١٤١٤ هـ فى :

المجال الأول : الإعجاز القرآنى .

١ ـ كرامة الإنسان : ماذا يتوفر لها فى أحوال علاقته بالدولة ، حرص الدين على توفير كليات خمس للإنسان .

(ا) حماية دينه وعرضه وماله وعقله ونفسه .

(ب) بيان المؤسسات اللازمة على الدولة لتوفير هذه الكليات .

٢ ـ الانتماء : حقوق وواجبات على كل من الفرد والدولة .

وفى المجال الثانى : مجال رد الشبهات عن الإسلام :

(ا) الشبهات التى تثار بين حين وآخر حول القرآن .

(ب) مدى سماح الإسلام للمرأة بالعمل وميدانه .

(جـ) موارد المرأة وحقوقها الاجتماعية .

شروط أخرى :

١ ـ أن يقدم البحث من ثلاث نسخ ولا تقل صفحاته عن مائة صفحة من قطع (الفلوسكاب) ولا تزيد عن مائة وخمسين صفحة ، ولا يقبل البحث الذى نشر قبل ذلك .

٢ ـ يرجع البحث إلى مصادر أصيلة فى بابه وأن يهتم بالتوثيق والتنبيه على مصادره العلمية .

٣ ـ ترسل البحوث إلى مبنى إدارة الأزهر الشريف / ميدان الحسين السكرتارية الادارية بمكتب شيخ الأزهر وذلك فى موعد غايته ١ / ١٢ / ١٩٩٤ م .

وتجدر الإشارة إلى أن الأزهر الشريف قد دأب منذ سنوات على أن يستضيف بعض الأئمة والعلماء من اتحاد العالم الإسلامى فى دورات تدريبية دورية بمعهد اعداد وتدريب الدعاة ، حيث تتكرر كل ثلاثة أشهر وتضم أربعين عضوا ، يحضرون إلى الأزهر الشريف ويتلقون التدريب والاستزادة من العلوم العربية والشرعية والقضايا المعاصرة التى تواجه كافة الشعوب الإسلامية فى مواقعها ، يدرسون ويحاورون أساتذتهم ويتعرفون على الأحكام الشرعية وأصول العقيدة الإسلامية ، ثم يعودون إلى بلادهم دعاة لمجتمعاتهم على بصيرة بما يصحح العقيدة ويلزم من الأحكام .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد شير

بريطانيا

أعلن فى لندن أنه تقرر أن تبدأ أكثر من ٨٠٠ مدرسة فى بريطانيا خلال العام الدراسى المقبل تدريس الإسلام وحيـاة الـرسول صلى الله عليه وسلم تحت إشراف وزارة التربية والتعليم فى المملكة المتحدة .

الكويت

قررت وزارة التربية والتعليم بالكويت تخصيص خمسة وستين منحة (٦٥ منحة) دراسية فى العام المقبل لأبناء الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى .

وكانت الوزارة قد خصصت لهم فى العام الماضى ٤٠ منحة دراسية للدراسة فى المعهد الدينى بالكويت حيث يتعلمون اللغة العربية ، وعلوم الشريعة الإسلامية وذلك ضمن مشروع التواصل الحضارى بين الشعوب المسلمة من أجل غرس المفاهيم الإسلامية السمحة فى نفوس الشباب الظامىء للمعرفة الدينية الحقيقية .

منى

عقدت ندوة إسلامية فى « منى » موضوعها الحج وأثره وشروطه ، شارك فيها لفيف من وزراء الشئون الدينية فى البلاد الإسلامية ، ومنها مصر وتونس ، وتركزت الندوة على خمسة محاور هى : الحج وأثره فى المجتمع ، والحج والاستطاعة فى حدود الزمـان والمكـان ، والأهداف النبيلة للحج ، والحج وأثره فى تهذيب النفوس ، والمعانى السامية فى الحج .

ووجه المشاركون فى الندوة الشكر لخادم الحرمين الشريفين ورعايته لضيوف الرحمن ، كما أثنوا على المجهودات الجبارة التى بذلت فى تنفيذ المشروعات الإنشائية الضخمة لراحة الحجاج .

جدة

بدأ البنك الإسلامى للتنمية إرسال لحوم الأضاحى براً وبحراً وجواً إلى المناطق الإسلامية

المختلفة ضمن المشروع العظيم للإفادة من لحوم الهدى والأضاحى ، وقد شملت المناطق كلاً من : بيشاور بباكستان حيث اللاجئين الأفغان ، وكذلك الخرطوم ، وتشاد ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، وغينيا ، والسنغال ، وموريتانيا ، والنيجر ، وجيبوتى ، وموزمبيق ، وإلى جانب هذه الدول الإفريقية والآسيوية أرسلت شحنات كبيرة إلى البوسنة والهرسك .

تحذير هام

قالت مجلة (الخيرية الإسلامية) إن بعض المنظمات التنصيرية الأوروبية بالتعاون مع حكوماتها تنوى بل تقوم بتنفيذ مشروعات ضخمة فى ألبانيا كمشاريع الإنارة والتشجير والترميم والبناء ، وذلك لتوفير فرص العمل لتشغيل آلاف الشباب العاطلين فى ألبانيا .

وأكدت المجلة أن ما تنفذه تلك الهيئات المغرضة ينبغى أن يقابل بمشروعات عملاقة تنفذها الهيئات والمؤسسات الإسلامية الخيرية ، خصوصاً فى ألبانيا .

وإنه وإن كانت هذه المشروعات تنفذ حالياً وتفوق بكثير ما تنفقه الهيئات التنصيرية إلا أن المشروعات الإسلامية تعانى من القصور الإعلامى والتعمية الإعلامية ، والمطلوب مشاريع تخدم الشعب الألبانى فى أمور حياته اليومية كالهاتف ، والماء ، والكهرباء ، وهى مشروعات ينبغى تنفيذها فى المدن ذات الكثافة السكانية .

ماليزيا

يقام فى ١٧ يونيو القادم بماليزيا المهرجان العالمى للحضارة الإسلامية بهدف القاء الضوء على أكثر المقتنيات بالمجتمعات الإسلامية التى يقوم بشرح أهميتها لفيف من العلماء والباحثين والدعاة ، وهى المرة الأولى التى يقام فيها مثل هذا المهرجان .

دمياط

استقبلت كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط خمسين طالباً من دول شرق آسيا للدراسة بالكلية ، والاقامة بالمدينة الجامعية التابعة لجامعة الأزهر بدمياط ، وتتحمل جامعة الأزهر مصاريف الإعاشة ، والدراسة لهؤء الطلاب ، ويأتى هذا فى إطار إهتمام مصر المتزايد بنشر الإسلام فى شتى أنحاء العالم .

من ندوات الإعجاز العلمى

أقيمت بمسجد مصطفى محمود بالمهندسين ندوة دينية تحت عنوان (الحديد وبأسه الشديد) نظمتها جمعية الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بالمسجد .

تشاد

أقيم فى تشاد مخيم طبى استمر عشرين يوماً تحت إشراف لجنة الطبيب المسلم التابعة للندوة العالمية للشباب الإسلامى بهدف تقديم الخدمة الطبية لمسلمى تشاد ، والتعرف على احتياجات المراكز الطبية هناك لتزويدها بما يلزمها . ويقوم الدعاة ،

والأطباء بتوزيع كتب فى العبادات ، والمعاملات الإسلامية ، والأمور الطبية على المسلمين بالمخيم .

بلغاريا

أقام المعهد الإسلامى فى صوفيا ببلغاريا إحتفالاً دينياً بتخريج أول دفعة من الدارسين بالمعهد حيث تم تأهيلهم كأئمة بالمساجد ، ومساعدين للمفتى فى الأقاليم المختلفة ، شهد حفل التخرج ممثلو السفارات الإسلامية المختلفة فى بلغاريا ، ونواب البرلمان ، ومفتى الديار . صرح بذلك المستشار الثقافى المصرى فى بلغاريا .

كازاخستان

تم توقيع اتفاقية للتعاون العلمى المشترك بين جامعة الأزهر ، وجامعة (قازان) بكازاخستان ، وتقضى الإتفاقية بتبادل الخبرات العلمية ، والزيارات بين هيئات التدريس فى الجامعتين .

أوزباكستان

تقرر أن يكون تعليم اللغة العربية والدين الإسلامى إلزامياً بجميع المدارس والمعاهد بجمهورية أوزباكستان الإسلامية . صرح بذلك وزير الشئون الدينية هناك وقال : إن طشقند تشهد هذه الأيام بناء جامعة إسلامية بمساعدة كريمة من جمهورية مصر العربية ، لتكون منارة للإسلام فى جمهوريات آسيا الوسطى ، على أن يسهم الأزهر الشريف فى توفير ٦٠٪ من أساتذة هذه الجامعة .

أول العام الهجرى فلكياً

صرح رئيس هيئة المساحة بأن هلال شهر المحرم سيولد فلكياً فى سماء مصر صباح يوم الخميس التاسع من يونيو الحالى فى الساعة الحادية عشرة وست وعشرين دقيقة ، وبذلك يكون يوم الجمعة العاشر من يونيو الحالى هو أول المحرم من عام ألف وأربعمائة وخمسة عشر هجرية .

آخر أخبار الحجاج

أكد وزير الصحة السعودى أن الحالة الصحية للحجيج فى منى كانت مطمئنة ، وأشار إلى أن مستشفيات عرفة قامت بدورها فى علاج الحجيج خير قيام . وقد شهدت المستشفى إنخفاضاً ملحوظاً فى عدد المترددين عليها هذا العام بسبب الإمكانيات الجيدة لوزارة الصحة وانسياب حركة المرور بالمشاعر المقدسة ، الأمر الذى قلل من معاناة الحجاج ، وقد قدمت جمعية الهلال الأحمر السعودى خدماتها عن طريق ٢٦ مركز إسعاف ، صرح بذلك نائب رئيس اللجنة العليا لشئون الحجاج .

وفى حديث مع هيئة الإذعة البريطانية صرح السفير السعودى فى لندن أن عدد الوفيات فى حج هذا العام بلغ ٨٢٩ نسمة منهم ٢٧٠ حاجاً فى منى توفوا أثناء رمى الجمار ، وأما الباقون فقد كانت وفاتهم طبيعية لأسباب أهمها : الحرارة والزحام الشديدين ، حيث بلغ عدد الحجاج هذا العام أكثر من مليونين اثنين وربع المليون حسب الاحصائيات السعودية الرسمية .

Ainsi que sur le Hadith rapporté par Moslem, lorsque les épouses du Prophète (B.S.) lui ont demandé plus de dépenses Omar et Abou Bakr ont dû frapper leur filles Aicha et Hafsa, tout en leur disant «Osez-vous demander à l'Envoyé d'Allah ce qu'il ne possède pas?». De même les Hanifites insistaient sur le fait que les épouses des compagnons du Prophète, cherchant l'approbation d'Allah, supportaient la vie étriquée qu'elles menaient, sans songer à demander le divorce.

Cependant, on a refuté cette opinion en soulignant que si le Verset Coranique indique que les dépenses n'incombent pas au mari qui souffre d'une situation financière difficile, l'épouse a quand-même le droit de rompre le contrat. Quant au Hadith, nulle preuve ne nous indique que Aicha et Hafsa ont demandé le divorce au Prophète. (B.S.).

En ce qui concerne les enfants, le père étant donné qu'il est dans la situation du berger pour sa famille, doit subvenir à leurs besoins, tout en les instruisant et en les guidant sur la bonne voie.

> Le père doit assurer leur nourriture et leurs vêtements conformément à l'usage. Mais chacun n'est tenu à cela que dans la mesure de ses moyens.
>
> (Surate la Vache les sens du Verset 233)

De même, pourvoir aux depénses du père et de la mère est un fait obligatoire tout en accordant la priorité à la mère, au cas de l'incapacité de prendre soin des dieux à la fois. Se basant sur le Verset Coranique :

> Nous avons recommandé à l'homme la bonté envers son père et sa mère. Sa mère l'a porté et l'a enfanté avec peine.
>
> (Surate El Ahkaf les sens du Verset 15)

De même Tarek El Maharbi a rapporté : En arrivant à Médine, Le Prophète (B.S.).. prononça un sermon sur le mimbar en disant aux gens :

«La main qui donne est supérieure à la main qui reçoit. Commence par ceux qui sont à ta charge : Ta mère, ton père, ta soeur et ton frère et ainsi de suite, en allant vers ceux qui sont de moins en moins proches».

> [Hadith rapporté par El Nesaï corrigé par Ebn Haban et El Dar-Kotni)

Enfin, il est à souligner que le fait d'apporter une aide à tous ceux qui en ont besoin, de faire la charité à tout nécessiteux et d'aider un affligé à surmonter ses obstacles, assurent l'unité de la communauté musulmane.

Rania Nabil El Moghazy

En effet, les aumônes sont des oeuvres surérogatoires qui n'interviennent qu'après l'accomplissement des prescriptions de la religion.

Le prohète (à lui bénédiction et salut) a dit «Il suffit à l'homme comme péché d'être la cause de la perte de ceux qu'il nourrit».

(Hadith rapporté par El Nessaï)

Notons de même que le Prophète n'a pas donné raison à l'un de ses compagnons qui, cherchant l'approbation d'Allah, a voulu, durant sa maladie léguer tout son argent en tant qu'aumône. Il ne l'a autorisé qu'à disposer du tiers de sa fortune afin de dispenser ses enfants du besoin.

Le musulman est responsable de son épouse pour qu'il doit avoir des égards. En fait, pourvoir aux dépenses de celle-ci est une obligation (en contre partie de l'état de dépendance dans lequel Allah l'a placé), quel que soit de degré de la fortune de la femme, afin d'assurer les liens d'affection entre eux.

Les hommes ont autorité sur les femmes, en vertu de la préférence qu'Allah leur a accordée sur elles, et à cause des dépenses qu'ils font pour assurer leur entretien.

(Sourate les Femmes. Les sens du verset 34)

On trouve de même dans un Hadith de Aïcha (a.s.e) qu'Allah soit satisfait d'elle, que l'épouse de Abou Sofiane a dit au Prophète (B.S). : «Abou Sofiane est un homme avare, il ne me donne pas de quoi subvenir à nos besoins, mes fils et moi, sinon ce que j'arrive à emprunter de son argent à son insu. Y a-t il aucun reproche à me faire?» Le Prophète (B.S.) a répondu «prends de son argent avec honnêteté ce qui suffira à toi et à tes enfants».

Si l'homme n'assure pas la subsistance à son épouse il sera questionné à ce sujet, sinon le juge l'oblige à divorcer. Le divorce dans ce cas est révocable. En fait, les Ulémas ont des opinions divergentes quant à la rupture du contrat du mariage au cas où le mari est dans le besoin :

Omar Ebn El Khattab, Aly et Abou Horaïra optent pour la rupture du contrat, se basant sur le Hadith de Saïd Ebn El Musib qu'Allah soit satisfait de lui «Qu'on les répare», répondant à une question concernant le mari qui n'arrive pas à assurer un mode de subsistance à son épouse.

Se basant de même sur le Verset Coranique : «Ne leur causez pas de peine en les mettant trop à l'étroit».

(Surate de Divorce le sens du Verset 6)

Quant aux Hanifites, ils optent pour la non rupture en cas de l'existence de difficultés financières, se basant sur le Verset Coranique.

[Que celui qui ne possède que le strict nécessaire paye en proportion de ce qu'Allah lui a accordé. Allah n'impose quelque chose à une âme qu'en proportion de ce qu'il Lui a accordé].

(Surate le Divorce le sens du Verset 7)

D'autres Versions du Hadith :

1- Selon Abou Horaîra, le messager d'Allah a dit : «Si Tu as dépensé un dinar afin d'obtenir la Satisfaction d'Allah, un dinar pour l'affranchissement d'un esclave, un dinar donné en aumône à un pauvre, et un dinar dépensé sur les membres de ta famille, la meilleure rétribution est réservée à ce que tu auras dépensé sur les membres de ta famille.

2- Djaber a rapporté qu'un homme de Banou Oz'a voulut affranchir un esclave qui lui était resté, lorsque le Messager d'Allah apprit cela, il lui demanda : «Possédes-tu d'autres bien?" "non" répondit-il. Le Messager d'Allah dit : "Qui me l'achete?", Alors Noaîm Ebn Abdallah El Adaoui l'a acheté à 800 dirhams, le Messager d'Allah remit l'argent à l'homme en lui disant : "Commence par toi-même : fais l'aumône à toi-même, et, en cas de surplus pour les membres de ta famille, et s'il te reste quelque chose, c'est pour tes proches, puis s'il reste quelque chose fais ceci et cela." Ensuite il ajouta "C'est entre tes mains, puis à ta droite et à ta gauche."

3-Avec un sens proche, on trouve le Hadith de Abdallah Ebn 'Amr qui demanda à son magasinier quand il entra chez lui "As-tu donné à manger aux esclaves?" "Non" répondit-il. Il lui "Vas vite le faire" puis il ajouta que le Messager d'Allah B.S. a dit : Il suffit à l'homme comme péché de priver de nourriture celui qui est à son servrce".

Hadith rapporté par Moslem

Le sens du Hadith

L'argent constitue l'un des bienfaits accordés par Allah à Son serviteur, celui-ci doit donc lui être reconnaissant en le dépensant dans les voies licites. Il sera alors rétribué par l'augmentation de sa fortune : | Celui qui fait un beau prêt à Allah, Allah le lui rendra avec abondance. Allah referme sa main, ou bien Il l'ouvre. Vous reviendrez à Lui (Sura).

On trouve de même dans un Hadith rapporté par Abou Hoaïra, que selon le Prophète (à lui bénédiction et Salut), Allah le Très Haut a dit :

«Dépense Ô fils d'Adam et Je dépenserai sur toi».

En fait, ceux qui jouissent de la priorité des dépenses les plus méritoires faites par l'homme sont le dépenseur lui-même puis sa famille, ensuite ceux qu'il entretient.

L'homme doit donc pourvoir à leurs besoins afin d'obtenir l'appobation d'Allah d'une part, et d'éviter de tomber dans le péché de l'avarice d'autre part.

Par conséquent, tout refus de leur assurer un mode de subsistance convenable, selon ses moyens, constitue une malfaisance interdite par l'Islam.

Il est donc chargé de les vêtir comme il s'habille, et de les nourrir de ce dont il se nourrit, conformément à l'usage, chacun selon son niveau social et sa situation matérielle.

On ne considere jamais comme bienfaisant un homme qui, chargé d'entretenir sa famille, fait la charité avec tout son argent ou s'abstient de subvenir à leurs besoins en vue d'accomplir des oeuvres surérogatoires.

« La dépense recommandée »

par : RANIA NABIL EL MOGHAZY

D'après Abou Quilaba, selon Abou Asmaâ, selon Thawbân (qu'Allah soit satisfait de lui), le Prophète (à lui Bénédiction et Salut) a dit :

« La dépense la plus méritoire faite par un homme est le dinar qu'il dépense sur ses enfants, le dinar que l'homme dépense sur sa bête de somme dans la voie d'Allah, ainsi que le dinar qu'il dépense sur ses compagnons pour obtenir l'approbation d'Allah ».

Abou Quilaba a ajouté : "Il a commencé par mentionner les enfants,... ensuite il a dit : "Et quel homme aura une meilleure rétribution que l'homme qui dépense sur de jeunes enfants afin de les dispenser du besoin ou qui est mis par Allah à leur service pour leur assurer un mode de Subsistance.

(Hadith rapporté par Moslem)

Le transmetteur du Hadith :

Thawbân Ebn Bagdad Abou Abdallah est l'affranchi du Prophète (a lui Bénédiction et Salut).

Célèbre compagnon, acheté et affranchi par le Prophète à lui Bénédiction et Salut Il l'a pris, servi jusqu'à la mort de ce dernier. Il a prit part avec les compagnons du Prophète à la Conquête de l'Egypte. D'après Abou Daoud, selon Abou El Ahia, d'après Thawbân, le Prophète (B.S.) a dit : « Qui peut me garantir de ne rien demander aux gens et je lui garantirai le paradis? — "Moi", a dit Thawbân. En effet Il n'a jamais rien demandé à qui que ce soit.

— Je me suis assez vengé, dit enfin l'Egyptien. Maintenant c'es le tour de la tête chauve (de Amr) dit le prince des croyants.

— Prince, dit l'Egyptien, je ne frappe que celui qui m'a battu.

— Par Allah dit Omar, si vous voulez le battre, personne ne vous empêchera.

On rapporte aussi que César dépêcha un émissaire à Omar Ebn Al Khattab pour s'informer de sa situation et de ce qu'il faisait. Arrivé à Médine, il le chercha : "où est votre roi? dit-il aux habitants.

— Nous n'avons pas de roi, lui répondit-on mais un émir ! Il est quelque part en dehors de la ville".

Il partit à sa recherche. Il le trouva enfin couché sur le sable son bâton sous la tête. Il avait un petit bâton qu'il portait toujours à la main et dont il se servait pour réprimer les incorrections. Le voyant dans cette position, il se recueillit et dit : "Un homme redouté de tous les rois qui ne peuvent tenir en place de peur de lui, mène une vie pareille ! C'est grâce à votre justice que vous pouvez goûter un sommeil paisible. Notre roi injuste se tient toujours sur ses gardes, inquiet".

On raconte aussi qu'en l'an 17 de l'Hégire une sécheresse générale frappa l'Arabie. Les gens souffraient et ne trouvaient plus de quoi se nourrir. Le calife "Omar fit le voeu de ne pas consommer de nourriture à base de viande, ni de boire du lait ou des produits laitiers tant que les Musulmans et leurs enfants ne seraient pas nourris connenablement et tant que les produits manqueraient sur les marchés. On rapporte que le calife ne se nourrissait plus que de pain et d'huile à tel point que sa peau devint jaune. Cela dura neuf mois.

Enfin la justice qui régna au temps de Omar Ebn Al Khattab lui donna la tranquillité et la paix de l'âme. Pour tout le souci qu'il eut d'assurer la justice durant son règne et l'équité pour la communauté il bien mérité le titre de "calife juste" ou encore : "Al-Adel".

Hoda Hussein Charaoui"

La justice sous le califat de 'Omar Ibn Al-Khattab

La justice est la base de toute civilisation : elle est nécessaire à l'épanouissement de la société. Pour les Musulmans, elle ne se conçoit pas en dehors de l'obéissance à la loi révélé ni en dehors d'une égalité entre tous les Musulmans. En voici un modèle de justice exemplaire.

Omar Ebn Al Khattab était assis quand un Egyptien se présenta et lui dit : "Ô prince des croyants ! Je viens chercher refuge auprès de vous.

- Vous êtes en sûreté, lui répondit Omar, de quoi s'agit-il?

— J'ai fait la course à cheval avec le fils de Amr Ebn El As (le gouverneur d'Egypte) dit l'Egyptien et je l'ai devancé. Alors il se mit à me battre sur la tête et à me dire : "Je suis le fils des plus nobles. Son père, ayant appris le fait me mit en prison pour m'empêcher de venir me plaindre à vous. Je me suis évadé et me voici devant vous !

Omar écrivit alors au gouverneur d'Egypte ces mots : "à la réception de ma lettre, préparez-vous à assister au prochain pélerinage vous et votre fils. Puis adressant à l'Egyptien il lui dit : "vous resterez ici jusqu'à ce qu'ils viennent.

Le gouverneur assista donc au pélerinage. Cet acte de dévotion terminé, Omar s'assit avec ses gens. A ses côtés étaient Amr et son fils. Sur un signe du prince des croyants, l'Egyptien se leva. Le prince lui tendit alors le bâton. L'Egyptien le prit et en frappa le fils du gouverneur tellement fort que l'assistance eût souhaité qu'il s'arrêtat. Omar ne faisait que répéter : "Frappez le fils des plus nobles".

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part I

Al-Muharam, 1415 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

20. But if ye decide to take
One wife in place of another,
Even if ye had given the latter
A whole treasure[329] for dower,
Take not the least bit of it back;
Would ye take it by slander
And a manifest wrong?

٢٠ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ
زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا
مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا

21. And how could ye take it
When ye have gone in
Unto each other, and they have
Taken from you a solemn
covenant?

٢١ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا

"(sura 4:19-21).

It is impossible to think of a more appealing and forcible exhortation to a husband to deal kindly with his wife, even if she happens to be a woman of unseemly manners. It is forbidden in strong terms to lay hold on her property in the event of separation.

Brutal husbands, before the revelation of these verses, used to maltreat their wives and even to imprison and torture them until, unable to bear sufferings, they were forced to relinquish the dowry settled upon them at marriage, and the property they used to endow their new wives with.

This was expressly forbidden by the verses quoted above. According to Maliki School of Law, if a husband has forced his wife to enter into Khul' (redemption), the wife is entitled to get back the dowry and all of what she surrendered as compensation to the husband.

It is understood from the Khul''s rules that the woman is not forced by Islam to live with a husband she does not like. Although Islamic Law has stipulated her consent to marriage contract, she may demand a divorce from her husband on the pretext that she has discovered that she does not love him : that she cannot perform her obligations as a wife and that accordingly she wants to be released from the marriage tie. In such a case, she may be granted Khul', provided she pays the husband compensation, which might be the money her husband paid to her as a dowry.

This does not mean that Islam opens the door wide before women to destroy their married lives at any time they wish. Before taking such a step, the woman is enjoined by Islam to do her best to bring about happiness and tranquility to her husband, children and home. She is expected to forbear her personal feelings for the sake of the sacred bond she had already approved of, and for the sake of the children who will certainly be affected by their parents' separation.

TO BE CONTINUED

The Meaning of the Holy Qur'an by : A. Yusuf Ali

The compensation is a matter of agreement between husband and wife. The wife may return the whole, or a portion of dowry if it has been paid; or she may simply surrender her dowry or other rights. She may give up the claim of maintenance and lodging during the 'iddah (waiting period), or she may make any other agreement for the benefit of the husband, for instance, to nurse their child during the two years of suckling, or to keep and maintain the child for a fixed period at her expense after weaning.

Ibn 'Abbas said that the wife of thabit Ibn Qais came to the Prophet and said :

> "O Messenger of Allah, I am not angry with Thabit for his temper or religion; but I am afraid that something may happen to me contrary to Islam, on which account I wish to be separated from him.'
>
> The Prophet said : 'will you give back to Thabit the garden which he gave you as your settlement?'
>
> She said : 'Yes'.
>
> The Prophet turned to Thabit and said 'Accept your garden and make one declaration of divorce."
>
> (TRANSMITTED BY BUKHARI).

It is quite clear from this tradition that Thabit was blameless, and that the proposal of separation emanated from the wife who feared she would not be able to perform her functions and carry out her obligations towards that particular husband. The Prophet here permitted the woman to release herself by returning to the husband the antenuptial settlement as compensation for the release granted to her.

As stated also in the same tradition, in the Khul' form, the basic principle of repudiation is that the husband is lawfully entitled to compensation only when he is not at all responsible for the breach, but when the wife is alone responsible.

According to Muslim jurists, the compensation extorted from a blameless wife is unlawful. Compensation is absolutely unlawful for the husband, even when the wife happens to be responsible partly for the disagreement. Islam has sufficiently produced a set of laws which jealously protects the property and person of the wife against her husband's cupidity and tyranny.

The Holy Qur'an forbids the husband to resort to cruelty or other violent means with a view to compel a woman to enter into a Khu' (redemption) and relinquish her dowry :

19. ⑲ ye who believe!
Ye are forbidden to inherit
Women against their will.
Nor should ye treat them
With harshness, that ye may
Take away part of the dower
Ye have given them—except
Where they have been guilty
Of open lewdness;
On the contrary live with them
On a footing of kindness and equity.
If ye take a dislike to them
It may be that ye dislike
A thing, and Allah brings about
Through it a great deal of good.

﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ
أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟
بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا
وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

DIVORCE IN ISLAM

Khul' (Redemption) :

By : MOHAMMAD ABDEL HALIM HIGAB

As Islam maintains equality between husband and wife in married life, it insists on equality in power of termination of the marriage contract. Islamic Law allows the woman to seek divorce from her husband if he maintains an unpleasant association with her, or causes her unjustifiable hardship real or if she finds that he suffers from a disease of the body or mind which prevents him from supporting her or preserving her chastity. The court is authorized to order her to be divorced if she is justified in her contention and her husband refuses to divorce her. Islam also permit the woman to stipulate in the marriage contract that the dissolution of marriage may be decided by her only instead of the husband.

Besides these entitlements provided by Islam in favour of women, the wife is also entitled to seek the remedy of divorce from her husband on the plea that she hates him and cannot live with him, and therefore, she feels disinclined to have sex relations with him. The woman concerned is allowed to a type of divorce called ' Khul' ' (redemption), and can release herself from the tie of marriage by reaching an agreement with the husband to give him a sort of compensation in return in which the husband is to announce her divorced.

Khul', then is a compensated repudiation made by a mutual concent between husband and wife, in which the wife gives a consideration to the husband for her release from marriage tie. In this respect, the Qur'an says :

229. A divorce is only
Permissible twice: after that,
The parties should either hold
Together on equitable terms,
Or separate with kindness.

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ

It is not lawful for you,
(Men), to take back
Any of your gifts (from your wives),
Except when both parties
Fear that they would be
Unable to keep the limits
Ordained by Allah.[258]
If ye (judges) do indeed
Fear that they would be
Unable to keep the limits
Ordained by Allah,
There is not blame on either
Of them if she give
Something for her freedom.
These are the limits
Ordained by Allah;
So do not transgress them
If any do transgress
The limits ordained by Allah,
Such persons wrong
(Themselves as well as others).

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا
إِلَّا أَن يَخَافَا
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا
وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(sura 2:229).

Heavenly religions (Judaism, Christianity and Islam) have formal prohibitions against usury. Arguments against interest are : 1) lenders get something for nothing, 2) man should help his neighbour without hope of gain and 3) it is unnatural to multiply money by charging interest. "Usury is the most unfraternal of acts. Spiders, toads and all creatures diabolical became metaphors for the usurer".

For centuries European culture offered relentless hostility towards usurers in general and Jews in particular. There can be no mention of usury without making reference to the Jews idolization of money and their avidity for lending money at unconscionable and exorbitant rates of interest. "The Economist" cites this quotation from Deuteronomy(1) (chapter 23) : " unto foreigners thou mayst lend upon interest, but unto thy brother thou shalt not lend." The essay describes this order as "fateful injunction" which means catastrophic and deadly. It speaks expressly of discrimination by Jews against non-Jews. Add to this their fiery passion for revenge. These wicked traits are embodied in Shakespeare's Shylock in his great play, "Merchant of Venice."

The two features in Shylock's character that impress us most are : his passion for money and his passion for revenge. His moral standard has become a financial standard. He hates Antonio, the merchant of Venice partly because he is a Christian, but more because "he lends out money gratis (for nothing i.e. without interest) and brings down the rate of usance (the interest paid for the use of money) here with us in Venice." The Jew's greed had destroyed in him even all affection for his daughter. Perhaps even stronger than his love of money is his hatred of Antonio as a Christian. "If I can catch him once upon the hip (take him at an advantage), I will feed fat (gratify to the full) the ancient grudge I bear him."

What "The Economist" said about Islam and usury :

1. "But the confusion over whether moneylending is wrong remains."
2. "The metals used as monetary mediums of exchange were seen as inert substances. To multiply them, for instance by charging interest, was unnatural."
3. "Islamic societies trod an easier path. Specific injunctions in the Koran against 'riba' (interest) were broadly followed, without controversy. They flowed from a broader Islamic principle that risk should be shared between borrower and lender."
4. "Financial contracts similar to those favoured by Islam, were based on the idea of risk-sharing in which the lender took interest only as payment for sharing in the risks of a trading venture."
5. "Dozens of Islamic banks have been founded from Jordan to South Africa ... Thanks to the principle of risk-sharing, they enjoy a more exalted social standing than rival institutions, so much so that western banks are dabbling with Islamic finance and pondering its applicability elsewhere."

Our comment is that humanity is bound to return to Islam and its teachings for salvation. There is no other way for getting out of the prevailing miserable wretchedness. Banks of the West are carefully studying how to apply the Islamic principle of risk-sharing in their dealings.

To be followed

(1) Deuteronomy is the fifth book of canonical Jewish Scripture containing Mosaic laws and narrative material.

ISLAM'S OUTRIGHT PROHIBITION OF USURY

(PART I)

*By : Muhammad Atris**

"The Economist," the well-known English magazine concerned with economic and financial issues, published "Dec. 25, 93 - Jan. 7, 94) an analytic review of usury from early times up to the present day. The subtitle of that review, "The lender's long lament", is illuminating. The overall impression given by the essay is that usury has always been abominable, repugnant and ruinous; and that usurers have been, throughout ages, oppressive, exploitative and pitiless. "They take something for nothing ... Something of the distate for lending at interest that all societies fell in the past, and that many societies still feel, persists in the West."

Moneylenders - however necessary - have been so widely despised. In mediaeval times, moneylenders were regarded with dread. They were hated and approached with caution. They were damned because they do the devil's work. They do something anti-social - they charge interest.

In 1311 the Council of Vienne issued an influential decree describing any legitimation of usury as heresy. In the 17th century Britain outlawed it and in the 18th century popular imagination linked banking to state profligacy, high taxes and corruption. In early 19th century, the unproductive wealth of financiers in Britain "was denounced by radical and religious nonconformists who espoused the productive virtues of labour." We have to observe that financiers' wealth is described as "unproductive" which constitutes one of the strongest arguments against usury. Usurers amass fortunes without doing any work.

America blamed its banks for the depression that followed the Wall Street crash in 1929. As a result, "restrictive legislation that remain in place to-day rained down upon them ... and several states still have usury laws that limit the interest rates." Nowadays, some still allege that "bankers, with Jews and freemasons to the fore, are conspiring to take over the world."

* Under Secretary, The People's Assembly of Egypt.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part I

Al-Muharam, 1415 Higrah — June, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1. Islam's outright prohibition of usury.
by : Muhammad Atris
2. Divorce in Islam.
by : Muhammad Higab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● **الافتتاحية** (الهجرة فواتح خير)
لفضيلة الدكتور/على أحمد الخطيب ... ١
● **مع الإمام الأكبر**
ـ كانت الهجرة تخطياً للعقبات ٤
ـ فتوى فى واجبات الآباء
والأمهات بأولادهم ٨
ـ بيان الأزهر بشأن البوسنه ١١
ـ بيان الأزهر لما يحدث فى اليمن ١٣
● **الإمام الأكبر فى فتاويه**
أ. د. محمد رجب بيومى ١٦
● **مع سورة الأنفال**
د. عبد الجليل شلبى ٢٢
● **قبس من أنوار النبوة**
لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم . ٢٦
● **سيدنا محمد بين التحامل والانصاف**
أ. د. محمود محمد رسلان ٣٠
● **الكلمة الطيبة سمة المؤمن**
للشيخ / محمد حافظ سليمان ٣٤
● **الإسلام فى كتب أوربا**
أ. د. عبدالجواد فلاطورى ٣٧
● **الشباب بين التدين والتطرف**
للشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح .. ٤٠
● **الأسرة والمجتمع**
للشيخ / محمد فتحى عبدالصادق ٤٤
● **الفتـاوى** أ. عبدالمنعم حافظ فودة ٤٨
● **من أعلام الأزهر**
(الشيخ عبدالجليل عيسى)
أ. خيرى عبدالجليل عيسى ٥٠
● **مواقف وطرائف**
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ٥٥
● **الشعر والشعراء** ●
● **فى مهجر الرسول ﷺ**
للشاعر / عزت شندى موسى ٥٨
● **هلال المحرم** للشاعر / رشاد يوسف ... ٥٩
● **البوسنه والهرسك**
للشاعر / عبدالفتاح عمرو شعيب ٦٠
● **دعـاء** للشاعر / خليل فوّاز ٦١
● **من روائع الماضى**
إعداد / عبدالفتاح الزيات ٦٢

● **العلوم الكونية** ●
● **كوكب الزهرة توأم الأرض**
أ. د. أحمد فؤاد باشا ٦٨
● **البعوض .. ما له وما عليه**
أ. منذر محمد عبدالرحمن ٧٢
● **الجديد فى العلم والتقنية**
د. نجوى السيد أحمد ٧٩

● **اللغة والأدب والنقد** ●
● **السحر الحلال**
عرض وتقديم الأستاذ /عادل خفاجة .. ٨٣
● **يوميات ألمانى مسلم**
عرض وتقديم /
الأستاذ عبدالسلام ناصف ٨٩
● **خرافة الوحدة فى الشعر الغربى**
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٩٥
● **بين المجلة والقارىء**
د. محمد عبدالحكيم محمد ١٠٠
● **أنباء مكتب الإمام الأكبر**
الأستاذين / عمر البسطويسى
ومصطفى عبدالمجيد ١٠٨
● **أنباء العالم الإسلامى**
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١١١
● **القسم الفرنسى** ١٢١
● **القسم الانجليزى** ١٢٧

ح ٤
٢٢٢٢٦
دوريات

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي غضاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

أثر الإسلام (أ)

في حياة بريطانيا الحديثة

وهذه إحدى الحقائق التى تَصْدَعُ بنفسها الناقمين الضائقين بمعالم هذا الدين ، أولياءَ الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم :

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة فصلت

وعَوْدَةٌ بالقارىء إلى مجلة الأزهر « رجب ١٤٠٤ ـ أبريل ١٩٨٤ » ص ١٠٨١ ـ ليطّلع على « تحقيق عن اللحوم المستوردة .. والدول النامية . قصة اللحوم .. إنصاف واستخفاف ، تزوير فتوى الأزهر » .. الخ .

وكان ـ من توفيق الله ـ سبحانه ـ أن أقوم بهذا التحقيق فى مبنى مركزه بالإسكندرية فنتبين الطرق الأربعة التى كان يتم بها إعداد لحم الحيوان ـ فى الغرب ـ ليكون طعاماً للمسلمين ، ويسمون ـ هذا الإعداد ـ ذبحاً ، وما هو بذبح ، وهذه الطرق :

ا ـ استخدام مسدس تصوب طلقاته على رأس الحيوان فتخترق الجمجمة ، وتهتك خلايا المخ .

ب ـ ضرب الحيوان بآلة (Crash Knocker) وهى مطرقة ثقيلة ، بعضها مزود فى مقدمته المباشرة لرأس الحيوان بآلة حادة تخترق الجمجمة ، وتهتك خلاياها ـ انظر الصورتين ـ بنفس العدد ص ١٠٨٣ ، ١٠٨٥ .

جـ ـ الوخز فى النخاع الشوكى .

د ـ الصدمات الكهربائية .

وفى رسالة للسيد محمد العوضى وزير التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية سابقاً ـ أخبر دار الإفتاء ـ بالمملكة ـ ببيان الوسائل المستخدمة فى إعدام الحيوان ، بعضها بالقارة الأوربية ، والبعض بأوربا حيث انطلقت الفتنة أساساً ، فذكر سيادته هذه الطرق الأربعة .

ا ـ طريقة كيميائية بواسطة ثانى أكسيد الكربون .

ب ـ ميكانيكية بواسطة آلة حادة .

جـ ـ ميكانيكية بواسطة قذيفة نارية .

د ـ كهربائية بواسطة التيار الكهربائى .

والمقصود بذلك كله الإبقاء على أكبر قدر ممكن من دماء الحيوان داخل جسده مما يحقق مكسباً يصل إلى (٤٠٠) أربعمائة دولار فى كل طن من اللحوم ، وذلك نتيجة فقدان الحيوان لانفعال جهازه العصبى عقب جز رأسه ؛ فيفقد القوة على الحركة عندئذ ، فيبقى الدم داخل لحمه .

والحال مختلف تماماً عندما يتم الذبح شرعاً ، إذ ليس فيه تأثير مسبق على الجهاز العصبى ، سواء فى المخ أو النخاع الشوكى مما يساعد الحيوان على أداء انقباضاته العضلية ، ونبضات القلب ، وحركات القوائم ، ويؤدى ذلك كله إلى استنزاف الدماء كلها ، أو ما يسمى بـ « الإدماء الكامل » ويبقى اللحم طيباً نقياً ، عكس الحالات الأولى التى يبقى بها الدم فى جسد الحيوان ، ويكوّن بيئة صالحة لتكاثر الميكروبات الضارة ، مما يؤدى إلى تلف اللحم وتغير خواصه[1] .

وإلى هنا فليأكل الغربيون كما يريدون .

(١) راجع فيما تقدم المقال المذكور ومعه مراجعة .

واليوم تبدأ قصتنا . عندما هبط بعض المستوردين الأمناء إنجلترا وإيرلندا الشمالية وأصروا على أن يتم الذبح بالطريقة الشرعية ، ولم يسع المنتج ـ رغبة فى الكسب ـ إلا أن يستجيب ، ولفت هذا الصراع فى القول ـ بين المنتج والمستورد ـ نظر بعض التجار البريطانيين ، ومن ثم أرادوا أن يُلِمُّوا بمعرفة الفرق بين ماهم عليه وما يريد هؤلاء المستوردون ، فأخذوا إلى منازلهم من هذا اللحم وتناولوه فالتزموا به .

كان معنى ذلك التحول لدى بعض تجار بريطانيا أن آلات المجازر البريطانية عرضة لثورة تغيير فثارت السيدة تاتشر رئيسة الوزراء حينئذ ، وطلبت إلى السيد « عزيز باشا » الأمين العام لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى لندن أن يقنع مسلمى بريطانيا بأكل اللحوم التى تم صعقها بالكهرباء .

ويبدو أن المحاولة لم تُجْدِ نفعاً ، وازداد إقبال الإنجليز على اللحم الطيب ، فقد حملت الأخبار صبيحة الثلاثاء ٢٧ من ذى الحجة ١٤١٤/٦/٧/١٩٩٤ بجريدة الجمهورية بصفحتها الأولى هذا الخبر ونصه :

« الذبح طبقاً للشريعة الإسلامية ينتشر ببريطانيا » .

زاد الإقبال فى بريطانيا على اللحوم المذبوحة طبقاً للشريعة الإسلامية .

قال أحد رجال الأعمال : إن تجارته من هذه اللحوم ازدهرت بنسبة (٤٠٪) خلال الشهور الستة الأخيرة .

بلغ استهلاك اللحم الحلال فى بريطانيا (٤٠٠) مليون جنيه استرلينى سنوياً .. اهـ الخبر .

وتلك آية من آيات الله ـ تبارك وتعالى ـ التى قال عنها :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت : ٥٣ ـ ٥٤]

د. على عمر الطيب



الإسلام ومواجهة مشكلات الشباب وطرق بناء الإنسان بوجه عام

لقد كانت أول آيات أنزلت من القرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ افتتاح سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

وبهذا أوضح القرآن أن للإنسان رحلتين : رحلة الخلق والتكوين ، ورحلة العلم وهذه الأخيرة تتشعب ، وتتسع آفاقها متى أحسنت تربية الإنسان فى ظل الإيمان : ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

فالإيمان هو طريق الرشد للإنسان ثم الإخاء الإنسانى ، إذ الإسلام لا يعرف تفرقة بين بنى الإنسان ، فالكل سواء فى الإنسانية ، كما هم سواء فى الخلق ، أسرة كبيرة تربطها صلة الأرحام

ذلك قول الله سبحانه فى سورة الحجرات : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾

ولا يتعارض الإخاء الإنسانى مع الإخاء الإسلامى ، بل هما ملتقيان لأنهما من أحكام الله وقد يفترقان ، ولكنهما فى الإسلام سماحة وإخاء وتبادل مودة واحترام .

ولقد اعتبر الإسلام العلم والتعليم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، والعلم المطلوب هو كل علم نافع للإنسان فى حياته ولأجياله .

والأخلاق هى أساس أصيل فى تقويم الحياة ، ومكارم الأخلاق هدف إنسانى إسلامى . ولقد امتدح الله الرسول بالخلق فى سورة القلم فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

وإذا استقامت الأخلاق استقامت أمور الأمة شباباً وشيباً .

وفى سبيل تربية الشباب جاء القرآن الكريم موجهاً إلى واجبات الوالدين ففى سورة البقرة قول الله سبحانه : . ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ الآية ـ ٢٣٣

وفى سورة التحريم قال الله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

وفى أحاديث رسول الله ﷺ : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

« إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

وفى شأن عناية الإسلام بالشباب فى الدين والعقل والجسد والخلق جاء فى الحديث الشريف عن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم القيامة : « وشاب نشأ فى عبادة الله .. » .

وفى الأدب والأخلاق جاء الحديث الشريف « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق

بصناع » .

وفى شأن العقل والعلم والجسد يرشد إلى أسسه الصالحة الحديث النبوى الشريف « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً » .

وفى التنشئة الصالحة ومدافعة الغرائز جاء الحديث الشريف : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » . (**اللؤلؤ والمرجان**) .

ولقد سلك القرآن منهجاً فريداً ليعلم الشباب وغيرهم الحقوق ليحرصوا عليها والواجبات للمبادرة إلى أدائها ولنقرأ على سبيل المثال ـ عن هذا المنهج ما سجله القرآن فى سورة لقمان :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

ففيها تصحيح العقيدة بالتوحيد وعدم الإشراك وفيها تهذيب السلوك والترابط بين الفروع والأصول بر الآباء والإحسان إلى الأمهات وإن اختلف الرأى والدين ، وفيها إحساس بالمسئولية أمام الله الذى لا تخفى عليه خافية ، وفيها تغذية للعقيدة وتثبيت لها بالعبادات ، وفيها أداء الواجب نحو المجتمع بنشر المعرفة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى صبر وعزم وتحمل وترقب وأمل ، وفيها أمر بالتواضع والوفاء والحياء .

نعم إن فى هذه السورة وصايا كاملة ، ومتكاملة يجب أن تقوم عليها رعاية الشباب وتوجيهه فى كل عصر وكل جيل وفى هذا قال بعض الحكماء : من أمضى يومه فى غير حق قضاه أو فرض أداه ، أو حمد حصله ، أو مجد أثله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه .

وفى شأن ترسيخ العقيدة يجب أن نعلم أن الإيمان ليس مجرد كلمات أو شعارات وإنما هو قبل كل شىء عقيدة وسلوك وعمل ، ولقد جاء الإيمان فى القرآن مقروناً بالعمل الصالح ، فلا ينبغى أن نكون من الذين وصفهم الله فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾

ومن ثم كان من واجب الوالدين والمربين أن يربوا الأولاد على أن الدين عقيدة وعمل وأنه لا انفصام بينهما ، وأن الدين يدعو إلى أقوم الأخلاق .

شيخ الأزهر الشريف جاد الحق على جاد الحق

فتوى للإمام الأكبر

في بيان وجوب نفقة الزوجة على الزوج

وأن من أسباب سقوطها عنه نشوز الزوجة

وتركها منزل الزوجية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب جاء فيه ما نصه :

إلى فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق حفظه الله ـ تعالى ـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعـــــد :

فقد اتصل بنا بعض معارفنا يستفسر عن حكم الشرع فى إحدى القضايا العائلية ، ولما كان هذا خارجا عن دائرة اختصاصنا ، رأينا أن نتشرف بتوجيه سؤال الأخ إلى فضيلتكم آملين أن تتكرموا مشكورين بالإجابة عنه ، والسؤال كما يلى :

امرأة كانت تعمل مدرسة ، وعندمـــا تزوجت اشترط عليها زوجها ترك العمل مهما كانت ظروفه العملية بعد الزواج ، وأنها لن تطالبه بالعودة إلى وظيفتها السابقة أبدا .. وقد وافقت هى وأهلها على ذلك دون قيد أو شرط .. ولكن بعد شهرين من الزواج تراجعت عن عهدها ، مع أن الزوج أحسن حالا منه قبل الزواج وخرجت من بيت الزوجية لتلحق بأهلها ، وتستأنف عملها من جديد ، فما الحكم فى خروجها هذا ؟ وهل تجب على الزوج ـــ والحالة هذه ـــ أية نفقة لها رغم سكنها فى غير سكنه ، ورغم طلبه المتكرر أفيدونا جزاكم الله خيرا .

وسيسرنا أن نتلقى جواب فضيلتكم عبر الفاكس أو عبر البريد مباشرة على العنوان المكتوب أعلاه قبل نشره فى زاوية الفتاوى الخاصة بمجلة الأزهر الغراء .

هذا وأنتهز هذه الفرصة السانحة لأهنىء فضيلتكم بعيد الأضحى المبارك سائلا المولى ـ سبحانه ـ أن يعيده علينا وعليكم وعلى سائر

المسلمين فى أنحاء العالم باليمن والبركات والأمن والسلام ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أنيس لقمان الندوى
للمركز الإســـــلامي
نيودلهى ــ الهنـــــند

والجـــــواب

تقديم :

(ا) شرع الله الزواج سكنا ، ورحمة ، بين الزوجين قال الله ــ تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

وقد روى أصحاب السنن بسند صحيح « قيل يا رسول الله ، أى النساء خير ؟

قال : التى تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره »[2] .

فالزواج تعاون بين الزوجين ، وقوة رابطة بين الأسر متى روعيت الحقوق والواجبات ، به يصان الدين ، ويحفظ النسل ، وتستقيم الحياة .. .

(ب) وإذا انعقد النكاح صحيحا مستوفيا أركانه وشروطه ترتبت عليه آثار من أهمها :

١ ــ يحل به ما كان ممنوعا بين رجل وامرأة من الاستمتاع المشروع .

٢ ــ يجب به المهر المسمى للزوجة على زوجها .

٣ ــ تجب به النفقة والكسوة والسكنى وغيرها للزوجة على زوجها بالمعروف وبقدر يسار الزوج .

٤ ــ تثبت به حرمة المصاهرة ، وهى حرمة أصول وفروع الزوج على زوجته ، وحرمة أصول الزوجة وفروعها على الزوج .

٥ ــ يثبت به حق التوارث بين الزوجين إذا مات أحدهما فى حال قيام الزوجية أو ما فى حكمها ولو قبل الدخول بها .

٦ ــ يثبت به نسب الأولاد من الزوج ، إذ العقد المستوفى لشرائطه يتحقق به الفراش الشرعى الصحيح .

٧ ــ ويجب على كل من الزوجين إحسان عشرة الزوجية ، ومراعاة العدالة فيها ، وعلى الزوجة أن تعنى بإصلاح بيتها ، وتربية أولادها وطاعة زوجها ، فيما لا يخالف أوامر الشريعة إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التى قررتها الشريعة وسيلة لاستقرار واستمرار الحياة الزوجية .

ما يشترط فى عقد الزواج :

اتفق فقهاء الإسلام على أن ما كان من الشروط

١ ــ الآية رقم ٢١ من سورة الروم .

٢ ــ التاج الجامع للأصول ج ٢ كتاب النكاح الباب الثانى .

فى عقد الزواج أو من مقتضاه يجب الوفاء به ما دام يجرى فى نطاق الشرع كاشتـــراط الـــعشرة بالمعروف ، واشتراط الزوجة على زوجها أن ينفق عليها ، وألا يقصر فى حقوقها ، وكاشتـراط الزوج عليها ألا تخرج من بيته بغير رضاه ، ولا تتصرف فى ملكه بدون إذنه .

فإن هذه الشروط يجب الوفاء بها ؛ لأنها من مقتضى العقد ، ومأمـورات الشرع ، بخلاف الشروط المخالفة لأحكام الشريعة مثل اشتـراط الزوجة على زوجها أن يبيح لها الخروج من البيت كما تشاء فى أى وقت تريد ، أو تشترط ألا يقسم لضرتها أولا ينفق عليها ، أو يطلقهـا ، فإنـه لا يجوز الوفاء بهذا الاتفاق ؛ لأن هذه الشروط مما يُحلّ حراما أو يحرم حلالا ، وقد أرشد النبى ـــ ﷺ ـــ إلى عدم جوازه بقوله :

(المسلمون على شروطهم إلا شرطـا حرم حلالا أو أحل حراما[٣]) .

وعن موضوع السؤال :

فإنه لما كان الوارد به أن الزوج اشترط على زوجته عند عقد زواجه عليها ترك العمل مهما كانت ظروفه العملية بعد الزواج كما اتفقا على أنها لن تطالبه بالعودة إلى وظيفتها السابقة أبدا ، وقد وافقت هى وأهلها على ذلك دون قيد أو شرط ، وكان ما اشترطه الزوج على زوجته واجب الوفاء به بعد أن تم التراضى بينهما عليه فضلا عن أنه شرط يقتضيه عقد الزواج ومن آثاره الملزمة لكل منها .

لمـــا كان ذلك :

كان للزوج أن يمنع زوجته من الخروج من بيته إعمالا لمقتضى العقد وآثاره إلا لحاجة يقضى بها الشرع أو العرف المعتبر شرعا كزيارة أبويها أو قريب محرم لها ، أو لعلاجها من مرضٍ ألم بها يقتضى عرضها على الطبيب ، وفى هذه الحالات وأمثالها التى يباح فيها للزوجة الخروج يكـون للزوج ـــ بل عليه ـــ أن يمنعها من الخروج متزينة متعطرة فى حالة تجر إلى فتنتها أو الفتنة بها .

وإذ كانت هذه الزوجـــة لم تف بالشرط وبمقتضى العقد على الوجه الوارد بالسؤال من القول بأنه :

.. ولكن بعد شهرين من الزواج تراجعت عن عهدها مع أن الزوج أحسن حالا منه قبل الزواج ، وخرجت من بيت الزوجية لتلحق بأهلها وتستأنف عملها من جديد .. تكون بهذا قد نكصت على عقبها وتخلت عن وفائها بما اشترطه زوجها وارتضته ، مع أن الوفاء بالعهد من قواعد الإسلام الآمرة بقول الله تعالى :

٣ ـ هذا الحديث رُوى من عدة طرق وفى بعضها ضعف وقد صححه الترمذى نظرا إلى كثرة طرقه والذى يستخلص من اقوال الفقهاء أنه فى مرتبة الحسن ص ١٥٥ كتاب أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن تاج .

« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا »[٤]

وبمقتضى الحديث السابق : « المسلمون على شروطهم .. » وإذ كان ذلك ، وكان السؤال قد تغيا الإجابة عن : الحكم فى خروجها هذا ؟ وهل تجب على الزوج ـــ والحالة هذه ـــ أية نفقة لها رغم سكناها فى غير سكنه ، ورغم طلبه المتكرر ! تكون الاجابة بالآتى :

(ا) إن خروج الزوجة من بيت الزوجية بغير حق وإباءها العودة إليه رغم الطلب المتكرر يعد منها نشوزا وعصيانا للزوج وإخلالا بشرطه الصريح المتفق عليه بينهما وبمقتضى العقد .

وفى بيان معنى النشوز من الزوجين جاء فى مختار الصحاح فى حرف النون : « نشزت المرأة استعصت على بعلها وأبغضته ، ونشز بعلها عليها ضربها وجفاها ، ومنه قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا [٥] ﴾

فالزوجة الناشزة هى التى تخرج من بيت زوجها بدون إذنه بغير حق او تمتنع من تسليم نفسها إليه فلا تدخل داره[٦] .

(ب) المقرر فى الشريعة الإسلامية أن عقد الزواج سبب وجوب النفقة للزوجة على زوجها ، وشرط وجوبها احتباسها لحقه وقصر نفسها عليه انتفاعا بثمرات هذا الزواج ، ووجوب نفقة الزوجة بشروطها على زوجها ثابت بأدلة منها قول الله ـ تعالى :

« أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . »[٧]

فإذا وجبت النفقة بهذه الآية للمطلقة ، ومنها السكنى على مطلقها مدة عدتها فوجوب هذه النفقة للزوجة حال الزوجية بطريق الأولى .

ويؤكد هذا : ما رواه أبو داود والنسائى عن معاوية القشيرى ـــ رضى الله عنه ـــ قلت : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ « قال تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت[٨] .

ولقد انعقد إجماع الأمة الإسلامية على وجوب نفقة الزوجة بشروطها ، لم يمار فى هذا أحد ؛ ولأن من القواعد[٩] المقررة فى فقه الشريعة الإسلامية أن من حُبس لحق مقصود لغيره كانت نفقته واجبة عليه كالقاضى والوالى وكل صاحب

٤ ـ الآية رقم ٣٤ من سورة الإسراء .

٥ ـ الآية رقم ١٢٨ من سورة النساء .

٦ ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـــ مبحث النفقة ـــ المجلد الرابع ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

٧ ـ من الآية رقم ٦ من سورة الطلاق .

٨ ـ التاج الجامع للأصول ج ٢ كتاب النكاح حقوق الزوجة على زوجها .

٩ ـ فتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية ج ٤ ص ١٩٣ فى باب النفقة ، وحاشية ابن عابدين رد المختار على الدر المختار ج ٣ ص ٦٠١ ، ٦٠٢ فى باب النفقة ط الحلبى ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م .

وظيفة تفرغ لها تجب نفقته على الدولة ، وإذا كان الشأن فى الزوجة الاحتباس لحق الزوج وطاعته كانت نفقتها واجبة عليه .

(جـ) فإذا سلمت الزوجة نفسها للزوج تسليما حقيقيا بالانتقال إلى بيته أو تسليما حكميا باستعدادها للانتقال إلى بيته من غير ممانعة ، وجبت لها النفقة والكسوة والسكنى وسائر الأنواع فى نطاق قدرته .

فمدار وجوب نفقة الزوجة احتباسها فى منزل الزوجية بالفعل أو بالقوة ، حقيقة أو حكما ، أما إذا فات الاحتباس بسبب من جهة الزوجة أو من أجنبى فلا تستحق الزوجة نفقة على الزوج[١٠]

وإذ كانت الزوجة المسئول عنها قد تخلت عن مقتضى عقد الزواج ، ونكثت عما ارتضت من التفرغ للزوجية ، وخرجت وسكنت فى غير مسكن زوجها رغم طلب الزوج المتكرر عودتها إليه فإنها تكون بهذا قد نشزت واستعصت على الزوج ، وفوتت الاحتباس لحقه بسبب من جهتها فتسقط نفقتها قبله ، حتى ولو لم يشترط عليها ترك الوظيفة وعدم العودة إليها ؛ لأن نفقة الزوجة تجب لها على زوجها بالعقد ، وتستحق مقابل احتباسها وقصرها نفسها عليه .

أما وقد هجرت بيت الزوجية وامتنعت عن العودة إليه ، واحترفت عملا بغير رضا الزوج ، فإن نفقتها تسقط ولا تستحقها إلا إذا عادت إلى بيت زوجها تحقيقا لحكم عقد الزواج الصحيح ، ولتكون مع زوجها مثالا عمليا لقول الله ـ تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ..

وهذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال ...

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

١٠ـ المبسوط للسرخسى ج ٥ ص ١٨٠ ــ ١٨٦ ، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ج ٤ ص ١٩٥ ــ ١٩٦ ، والدر المختار للحصكفى شرح تنوير الأبصار للعلائى مع حاشية ابن عابدين رد المحتار ج ٢ ص ٩٩٩ ، وبدائع الصنائع للكاسانى ج ٤ ص ١٢٢ ، وحاشية البيجرمى على شرح المنهاج فى الفقه الشافعى ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل ص ١٨٨ فى موانع النفقة للزوجة ، والمغنى لابن قدامة الحنبلى ص ١٥٤ .



فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

سورة الأنفال — كما ذكرنا من قبل — سورة مدنية نزلت بعد غزوة بدر ، وقد تعرضت لأحكام الغنائم ومواقف المسلمين إزاء الحرب يوم بدر ، وأرشدت المسلمين لما يفعلونه إذا رأوا الكفار زاحفين عليهم ، وما يفعلونه إذا جنح عدوهم للسلم إلى آخر ما سبق ذكره ، وهنا تختم السورة ببيان أصناف المسلمين ، وقسَّمتهم أربعة أقسام لكل قسم صفات خاصة .

والقسم الأول وهو الأعلى درجة وأرفع منزلة هم السابقون إلى الإيمان برسالة النبى محمد ﷺ وتصديقه ونصره ، وتتضمن الآية وصفهم بأربع صفات : وهى إيمانهم بالرسالة ، وسبقهم الناس جميعا بهذا الإيمان ، وهذا فى الواقع يشمل صفتين كل منهما لها أثر كبير فى نصر الإسلام وشد أزر المسلمين الأوائل ، وقد كانوا كلما آمن واحد منهم زاد المؤمنين عددا ، وحمل غيره من المشركين على التفكير فى هذا الدين ، وكان الواحد منهم إذا أسلم دعاه إخلاصه لدينه أن يدعو أصدقاءه ومن له بهم صلة أن يدخلوا فى هذا الدين ولم يكن دخول الناس فيه يومئذ أفواجا ، بل كانوا أفرادا ، وأسبق الدعاة

فى هذا هو أبو بكر الصديق وقد لاقى هو ولاقى الكثيرون الذين تقبلوا الإسلام عنتا شديدا تذكره كتب السيرة ونحن نُنَوِّه به ولا حاجة بنا لإعادته .

ووصفتهم الآية أيضا بأنهم هاجروا ، والهجرة فى ذلك الوقت كانت غاية فى المشقة ؛ إذ كان الشخص المهاجر يترك وطنه الذى ألفه ، وداره وأهله وأقاربه وإخوانه ، ويتسلح أيضا من ماله . ومفارقة الوطن كما جاء فى القرآن الكريم تعادل قتل النفس ؛ لما فيها من المشاق الشديدة قال الله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾(١)

وهؤلاء تركوا أولا دينهم الذى كانوا عليه ، وليس ترك الدين شيئا سهلا وهو لا يحدث إلا بعد رَوِيَّةٍ وتفكير ، ثم تركوا الأقارب والخلان وفارقوا الديار والجيران ؛ فهم حقا سابقون إلى الخيرات .

وجاءت الصفة الرابعة فى وصفهم بالجهاد بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

أما الجهاد بالمال فكان فيما ذكرنا ، ومنه تضحيتهم بما كانوا يملكون من دور ومزارع ومتاجر ، وأما الجهاد بالنفس فمنه خوضهم الحروب ـــ فى بدر وفى غيرها مما جاء بعدها ـــ فهم على استعداد لخوضه وقد خاضوه ، ومنه ما تحمله ضعفاؤهم من عنت وعذاب فى مكة وكان لصبرهم واحتمالهم هذه المشاق ما يرغب الآخرين فى قبول الإسلام إذ لا يتحمل ذلك كله إلا من يوقن أنه على حق ، والحق أحق أن يتبع .

هؤلاء هم السابقون ، وقد أثنى عليهم القرآن فى غير آية ونجد فى القرآن أمثال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾(٢)

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٣)

وهم بهذا السبق سنوا سنة حسنة فلهم أجرها وأجر من عمل بها .

كل ذلك كان فى سبيل الله والدعوة إلى الحق .

هذا هو القسم الأول من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ .

والقسم الثانى هم الذين آووا ونصروا ـــ وهم الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وآووا المهاجرين فأفسحوا لهم الديار وشاركوهم فى الأموال وأعلنوا حمايتهم للنبى ﷺ مما يحمون منه أنفسهم وذراريهم ونساءهم ، ومع ذلك حين دعت الحال إلى حرب خارج المدينة شاركوا فيها وقالوا لرسول الله ﷺ : امض لما أمرك الله ، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .

ذكر الفخر الرازى فى تفسيره : أنه يجب أن يكون حال المهاجرين أعلى فى الفضيلة من حال الأنصار ؛ لأنهم سبقوا إلى الإيمان وأنهم تحملوا فى مكة مشاق كثيرة وتحملوا الهجرة وفراق الوطن والأحبة ، وهم الذين فتحوا باب الدخول فى الإسلام ، والأنصار اقتدوا بهم ، والمقتدى تابع للمقتدى به وأقل درجة ، وقد قدمهم القرآن فقال

(١) النساء الآية ٦٦ .
(٢) الحديد الآية ١٠ .
(٣) التوبة الآية ١٠٠ .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ـــ وكلا وعد الله الحسنى .

وكون الأنصار أقل درجة من المهاجرين لا يقلل من شأنهم ؛ فهم قد آووا ونصروا . قال صاحب المنار : الإيواء يتضمن معنى التأمين من المخافة ؛ لأن المأوى هو الملجأ والمأمن ، كما نجد ذلك فى الآيات الأخرى .. « ألم يجدك يتيما فآوى » « وفصيلته التى تؤيه » ، « وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » ، وجاء « فإن الجحيم هى المأوى » على سبيل التهكم ، ولست أوافقه على هذا المعنى الأخير ، ولا أرى أن الإيواء يتضمن الأمان دائما ، ويأتى بمعنى المرجع والمآب ، ومنه « مأواهم النار » بمعنى مرجعهم ونهايتهم (٤) .

ثم قال الله فيهم جميعا : أولئك بعضهم أولياء بعض ..

أى هم مترابطون متعاطفون يتولى كل منهم شأن الآخر ، كما يتولى شأن نفسه ، وقد اختلفت آراء المفسرين فى أمر هذه الولاية ، فنقل عن ابن عباس أنها الولاية فى الإرث ، وقال الذين اتبعوه : إن الله جعل سبب الإرث هو الهجرة والنصرة دون القرابة ، وكان الذى أسلم ولم يهاجر لا يرث من هاجر لعدم هجرته ونصرته . وهذا رأى غير جيد وسنده إلى ابن عباس معلول ، ولفظ الولاية مشعر بالقرب والسلطة بوجه ما على الشىء ، والله ـ سبحانه ـ ولى الذين آمنوا والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت والسلطان ولى من لا ولى له ، والعباد أولياء الله بمعنى أنهم مقربون منه بسبب طاعتهم وعبادتهم وليس فى شىء من ذلك كله مايفيد الإرث ، والمقصود من الآية أنهم جميعا يد واحدة على أعدائهم ، وعلى أى حال فالذين فسروا الولاية بمعنى الإرث قالوا أيضا : إن الآية منسوخة بما جاء فى آخر السورة .. وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض .. والواقع أنه لا إرث ولا نسخ .

والقسم الثالث هم المؤمنون الذين بقوا بمكة ولم يهاجروا ، وهؤلاء ليسوا جميعا تحت حكم واحد ، فهناك المستضعفون الذين لا يستطيعون الهجرة ، وجاء فيما يشملهم :

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ سورة النساء ٩٥

وهناك المؤمنون الذين لم يهموا بهجرة ، فهؤلاء من القاعدين ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، وهناك من استولى عليه المشركون يريدون أن يردوه عن إسلامه ، فأى هذه الأصناف مقطوع الولاية من المسلمين الذين هاجروا ؟

ينصبُّ نفى الولاء على القاعدين لغير عذر ، فهؤلاء لا تناصر بينهم وبين المسلمين ، أما المتخلفون لأعذار حالت بينهم وبين الهجرة فإن المسلمين مطالبون بنصرهم بقدر ما يستطيعون ، وقد رأينا رسول الله ﷺ يرسل رسله لاستخلاص المستضعفين الأسرى فى مكة ، ويدعو لهم فى قنوته .

(٤) وانظر قول الشاعر :

ويـــــأوى إلى نسوة عطـــــل
وشعث مراضيـــع مثـــل السعـــالى

وقوله :

أطـــــوف ما أطـــــوف ثم آوى
إلى بيت قعيدتـــــه لكـــــاع

والقادرون على الهجرة ولم يهاجروا لا ولاية لهم ولا تناصر بينهم وبين المسلمين حتى يهاجروا ، فإذا هاجروا كانوا منهم ، وهم حتى قبل أن يهاجروا إذا استنصروا المسلمين لدفع عدوان عليهم أو محاولة فتنة لهم ، فعلى المسلمين أن ينصروهم ما استطاعوا لأن المسلمين ينصرون أهل الذمة — مع أنهم غير مسلمين — فأولى أن ينصروا المسلمين .

واستثنت الآية حالة تستحق الالتفات إليها فى قوله — تعالى :

﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾

فالمسلمون ينصرونهم ضد الكفار أعداء الدين إذا لم يكن بين هؤلاء الكفار وبين المسلمين ميثاق وعهد فلا يليق بالمسلمين أن ينقضوا عهدهم ؛ لأن الإسلام لا يبيح الغدر والخيانة ، فإذا كان جهاد هؤلاء الذين لم يهاجروا وحربهم ضد قوم ليس بينهم وبين المسلمين عهد نصرهم المسلمون ، أما مع المعاهدين فلا ، ويلاحظ — وهذا مفهوم مما تقدم — أن هؤلاء المعاهدين إذا اعتدوا على المسلمين فى أى مكان فقد نقضوا عهدهم وقد سبق قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

يرى بعض المفسرين أن هذه النصرة ودفع العدوان أمر واقع سواء نص عليه فى عقد الميثاق أو لم ينص ؛ لأن المسلمين إخوة ؛ والعدوان على أى مسلم فى أى مكان عدوان على المسلمين جميعا ، ويرى بعض آخر: أن ذلك يكون إذا نص عليه فى عهد الميثاق ، ولست أرى هذا الرأى ، ولا يَجْمُلُ بالمسلم القادر أن يرى أخاه المسلم الضعيف يعتدى عليه ولا يمد له يد المساعدة .

ونحن الآن نواجه هذا الموقف إذ نرى إخوتنا المسلمين فى البوسنه وفى الهرسك وأيضا فى أماكن شتى يعتدى عليهم لغير ما سبب ، وقد وقف المسلمون صامتين لا يعملون لنصر إخوتهم ونصر دينهم شيئا إلا استنكارا بالقول من بعض الأفراد ولا شىء من الحكومات ، هذا على أنه لا عهد ولا ميثاق بين المسلمين والدولة الباغية ولا ريب أنهم مسئولون على هذا التقصير !

وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أى هو — سبحانه — مطلع على أعمالكم ونياتكم ، فأنتم تؤدون هذه الأعمال وتنفذون هذه التعاليم تحت رقابة الله تعالى وهو مطلع عليكم فى كل ما تعملون ، وأنتم ترجون رحمته حين تطيعون وتخشون عذابه أن تضلوا وتنحرفوا .

فهذا التذييل فى الواقع إنذار إلهى وتحذير من الوقوع فيما يغضب الله ، ويتكرر هذا الإنذار بصيغ مختلفة فى آى الذكر الحكيم ؛ ليعلم المسلمون عاقبة طاعتهم وعصيانهم وهذا فرق ما بين العمل بالقوانين الإسلامية والقوانين الوضعية فنحن فى كثير من المواقف لا نثق فى عدالة القانون الوضعى وبهذا نهتبيح مخالفته ثم إن الرقيب البشرى لا يلاحظنا ويطلع علينا فى كل مواقفنا ، أما قانون السماء فنحن نثق فيه كل الثقة ولذا لا نستبيح مخالفته ، ثم إننا نستقيم عليه وننفذه تحت عين الله الذى لا تخفى عليه خافية بل هو يعلم السر وأخفى ؛ ولذا يتحاشى المسلم أن يفكر فى عمل مخالف للشريعة الإسلامية وتحاشى هذا التفكير يبعد عن الوقوع فى الخطيئة ويحمل على حياة البر والطهارة .

في ظلال فاتحة الكتاب

وجازة إعرابية (*)

وتمثيل الحق بالصراط

للشيخ / أحمد بن محمد طاحون

الاستعاذة :

أمرَنا الله ـ عز وجل ـ عند إرادة قراءة القرآن العظيم بالاستعاذة من الشيطان فقال ـ فى سورة النحل :

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

أى : فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لِئلا يُوَسْوِسَك فى القراءة ، والصيغة التى علمها الرسول ﷺ لابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ هى : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

والعَوْذ هو الالتجاء والاعتصام والاستجارة .

و : أعوذ : فعلٌ مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره لخُلوه من الناصب والجازم ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : (أنا) ، و « بالله » جارٌّ ومجرور متعلق به ، و : (من الشيطان) جارٌّ ومجرور بالكسرة[1] ، و : الرجيم : نعت الشيطان مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، أى المرجوم بالطرد واللعن ، أو بمعنى فاعل : أى يَرْجُمُ غيره بالإغواء بالوساوس .

البسملة :

وكما يلجأ المؤمن إلى الله مستعيذاً به من وساوس الشيطان ، فإنه يتبرك بـ (البسملة) عند بداية العمل أو القراءة ، ففيها نور وهداية وفيها حُسن توكُّل عليه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والجارُّ والمجرور « بسم » متعلق بالكون والاستقرار ، وهو خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : كائن أو مستقر باسم الله ابتدائى ، أو المحذوف فِعْلٌ والجار والمجرور متعلق به ، والتقدير : بسم الله أقرأ أو ابتدأت أو أبدأ ، ولفظ الجلالة مضافٌ إلى اسم مجرور بالكسرة

(*) الوجازة بفتح أوله من وجز بضم وسطه يوجز من باب كرم ، تقول : وجز وجازة فهو وجيز ووجز ، أى اختصر كلامه وقصر فى بلاغه .

(١) متعلق بمحذوف حال من الفاعل « أى حال كون استعاذتى كائنة من الشيطان » .

الظاهـــرة ، و « الـــرحمن » صفتـــه مجرورة بالكسرة ، و « الرَّحيم » صفة أيضاً مجرورة ، وهما من صيغ المبالغة مشتقَّتان من الرحمة إلا أنَّ فَعْلان (الرَّحْمَٰنِ) أبلغ من فَعِيل (الرَّحِيمِ)(٢).

ســـورة الحمـــد :

وسورة الحمد هى فاتحة الكتاب ، الشافية ، الكافية ، وهى أمُّ القرآن تضمنت مقاصده ، وهى : الإقرار بالألوهية ، والنبوة ، والمعاد ، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ، ففى حمده وحده دليل الألوهية ؛ لأنه (رَبِّ الْعَالَمِينَ) : مالكهم ومربِّيهم بنعمه ، ومُمِدهم بسائر أسباب بقاء وجودهم ، والمتفضل على الإنسان بنعمة العقل ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب لتطهير باطنه ، وتربية نفسه ، وتزكية قلبه ، والمتفضل بترتيب غذائه فى النبات بحبوبه وثماره ، وفى الحيوان بلحومه وشحومـــه ، وفى الأراضى بأشجاره وأنهاره ، وفى الأفلاك بكواكبـــه وأنواره ، فهو سبحانه المستحق لجميع المحامد ، نحمده باللسان ، ونحمده بالجوارح عبادةً للحق سبحانه وانقياداً لأمره ، ونحمده على كل حال ، فهو الرحمن الرحيم .

وفى (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) دليل المعاد ، وفى ذلك اليوم لا يُنازعه ـ سبحانه ـ أحدٌ فى مُلكه ، ولا يكون مالكٌ ولا قاضٍ ولا مُجازٍ غيرَه ـ سبحانه ـ لا إله إلا هو ، و (الدين) هو الجزاءُ على الأعمال والحساب بها .

وفى تخصيصه ـ سبحانه ـ بالعبادة وإفراده بها ، وقَصر الاستعانة والتوكل عليه ـ وحده ـ إثبات أن الكُلَّ بقضاء الله ـ تعالى :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وفى طلب الهداية منه والمعونة على الثبات على دين الإسلام إقرار بالعبودية له وحده ، وألَّا مشارك له فى ملكه ، وبيانٌ للنبوة وأنها الصراط المستقيم الذى لا يضل سالكه ، ولا يهتدى تاركه ، وهو صراط وطريق الأنبياء والمقربين والأبرار المُنعم عليهم :

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

وضدَّه طريق المطرودين من رحمة الله ـ تعالى ـ والشاردين عن هداية الدين من المشركين والمثلِّثين والملحدين والجاهلين بالله ، وإنه ليَتبرَّأ من طريقهم أهلُ العقل والحكمة ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

الإعراب :

وفى قوله سبحانه : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تعليم للعباد ، فهو سبحانه أهلٌ للحمد ، وكما قال نبينا ﷺ مُظهراً العجز عن الوفاء بحق المُنعم سبحانه : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

و : الحمد : مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، والجار والمجرور

(٢) ومن صيغ المبالغة : فَعُول مثل شكور ، وفَعَّال مثل غفّار ، وفاعول : فاروق ، وفِعَّال : مِضراب ، وفَعِّل : مسمِع ، وأفعالها ثلاثية ، وقد يأتى فعّال ومفعال وفَعُول للمبالغة من مُفْعِل وفعله أفعل الثلاثى المزيد بحرف مثل : مِعوان من أعان ، ومثله مِعطاء ودرَّاك وحسَّاس ، وزهوق .

« لِله » متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، أى : الحمد واجب أو ثابت لله ، و « ربِّ » : نعت مجرور بالكسرة ، وهو مصدر : ربَّ يَرُبُّ فهو رَابٌّ ، ثم جُعِلَ صفةً للفاعل مِثل عَدْل بمعنى : عادل ، و « العالمين » : مضاف إليه مجرور بالياء نيابة الكسرة لأنه جمع تصحيح ، و « الرحمن » نعت مجرور باليـاء نيابـة عن الـكسرة ، و : « الرحيم » : نعت مجرور .

« مالك » : بدلٌ من لفظ الجلالة مجرور بالكسرة ، وفى الكلام حذف مفعول اسم الفاعل والتقدير : « مالك أمر يوم الدين » ، أو مالِك يوم الدين الأمرَ ، وأعربه بعضهم[٣] صفةً مجرورةً ، ومن قرأ « مَلِك يوم الدين » فيكون جرُّه على الصفة أو البدل من « لله » ، ولا حذْف فيه على هذا .

« يَوم » : مضاف إليه مجرور ، و « الدين » : مضاف إلى يوم مجرور بالكسرة ـ أيضاً ـ .

« إياك نعبد » : إيَّا : مفعول به مقدَّمٌ فى محل نصبٍ والكاف حرْف خطاب لا محل له ، « نعبد » : فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : نحن ، وقِسْ « إياك نستعين » عليه .

وتقديم المفعول هنا يفيد الاختصاص ، أى : نخصُّك بالعبادة لا نعبد غيرك ، والعبادة غاية الخضوع والتذلل ، وفى قَصر العبادة عليه وحده سبحانه إقرار بتوحيد الألوهية ، وأنه لا يجوز جعلُ شىء من العبادة لغيره سبحانه بأى حال ؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ، فلا تليق إلا بالمُنعم بالخَلق والإيجاد وأسباب الحياة سبحانه ، كما لا يجوز التوكُّل إلا عليه والاستعانة إلا به ، والمعنى : وما نستعين إلا بك ، فقد قُصِر الفِعل فى الآية على المفعول المقدم ، وقد كُرِّرت « إياك » للتنصيص على اختصاصه تعالى بالاستعانة أيضاً ، والاستعانة طلبُ العون : أى : نطلب العون على عبادتك ، أو على محاربة الشيطان المانع من عبادتك ، أو فى أمورنا بما يُصلحنا فى دنيانا ، وديننا ، فالعاقل البصير لا يعبد غير الله ، ولا يسأل حاجةً إلا من الله ، ويتوكل عليه وحده فى جميع أموره ، ويستغيث به وحده فى شدائده .

ومن الاستعانة أن نطلب من الرب وحده الهداية والتوفيق للدين الحق والثبات عليه حتى نلقى الله على اليقين الصادق والعمل الصالح ، فَبَعد إظهار التوحيد وطلب العون على أداء حقوقه ، يأتى السؤال الدعاء : « اهدنا الصراط المستقيم » و « الصراط المستقيم » استعارةٌ يعبر بها

(٣) ذلك ناشىء من الخلاف فى : هل الإضافة معنوية أو لفظية ، والمعنوية هى المَحْضة وتُكسب اسم الفاعل (مالك) التعريف لإضافته إلى معرفة ، إذا أريد به معنى الثبوت والدوام فى الماضى والحاضر والمستقبل ، أما إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فلا يكتسب التعريف ويظل نكرة فلا يكون نعتاً للمعرفة قبله (لأن المعرفة لا توصف بالنكرة) وإلى الإعراب الثانى يميل العكبرى ، والأول اختيار الزمخشرى .

العكبرى : صاحب كتاب « إعراب القرآن » وهو كتاب عظيم القيمة ويُنصَح طلاب العلم بالعناية به .

عن مِلة الإسلام والدّين الحق ، تشبيهاً لوسيلة المقصود بوسيلة المقصد .

والصراط معناه : الطريق وأصله السِّراط (بالسين) من (الاستراط) بمعنى (الابتلاع) ، لأنه من (سَرَطَ) الشيء إذا بلعه ، وسُمى الطريق سراطاً لجريان الناس فيه كجريان الشيء المُبتلع ، فكأن الطريق يَسْترط من يسلكه ، أو كأن السالكين يسترطون الطريق أى يقطعونها ثم نُقِل مِن هذا المعنى الحِسىِّ إلى الأمر المعنوى على سبيل تمثيل : الدِّين الحقِّ ، أو القرآن ، أو الحقِّ ، أو الإسلام ، أو تمثيل المُتابعة لرسول الله ، وكلها صحيحة ولا منافاة بينها ـ تمثيل ذلك ـ بالطريق وَوُصف بالمستقيم لبيان أنه لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، فالدين الحقُّ وسطٌ بين طرفى الإفراط والتفريط ، وقد علَّمتنا السورة الكريمة أن نطلب من الله دوماً أن يهدينا ويُرشدنا إلى دينه ويُثبِّتنا عليه ، وأن يحفظنا من الاعوجاج والانحراف والتفريط ، والإفراط .

فمَن قرأ الصراط بالسين جاء به على الأصل ، ومن قرأه بالصاد فهو من قَلْب السين (صَادًا) لِتجانس الطاء فى الإطباق ، و (السين) تشارك (الصاد) فى الصفير والهمس ، فلمَّا شاركت الصاد فى ذلك قُربت منها ، لذا كانت مُقاربتها لها مُجوِّزة قلبها إليها لِتُجانس الطاء فى الإطباق .

قال الراغب : سُمِّىَ بـ (السراط) بناءً على توهُّم أنه يبتلع سالكه ، أو يبتلعه سالكه ، يقال : أكلته المفازة إذا أضمرته أو أهلكته ، وأكل المفازة إذا قطعها ، وكذلك سُمِّىَ باللَّقْم ؛ لأنه يَلتقمهم أو يلتقمونه وهذا كلُّه على سبيل التمثيل .

نَقل ابن كثير عن ابن جرير قوله : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن : « الصراط المستقيم » هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ، وهو كذلك فى لغة جميع العرب .

قال : ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله فى كل قولٍ وعمل وُصِفَ باستقامةٍ أو اعوجاج ، فتَصِف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه .

وقد جاء تمثيل الإسلام بالصراط المستقيم فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده عن (النواس بن سمعان) ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جَنبتَى الصراط سوران فيهما أبواب مُفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط جميعاً ، ولا تَعُوجُوا ، وداعٍ يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب ، قال : ويْحك لا تفتحه ، فإنك إن فتحته تَلِجْه ، فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتَّحة : مَحَارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعى فوق الصراط : واعظ الله فى قلب كل مسلم » . رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد ، ورواه الترمذى والنسائى عن النواس بن سمعان قالوا : وهو إسناد حسن صحيح .. والله أعلم .

فتأمل تمثيل الإسلام بالصراط ، وحدود الله بالسورين ، ومحارم الله بالأبواب المفتَّحة ، وكتاب الله بالداعى على رأس الصراط ، وواعظ الله فى قلب المسلم بالداعى فوق الصراط ، وما فيه من تصوير حىٍّ مُجسَّمٍ مُتكامل جَعَل الأمر أكثر وضوحاً ، والمقصود أعظم تأثيراً فى النفس .

وآهدنا الصراط : فِعْل أمرٍ مبنىٌّ على حذف الياء وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنت ، ونا : مفعول أول فى محل نصب ، والصراط : مفعوله الثانى منصوب ، و : « المستقيم » : صفة الصراط منصوب بالفتحة .

وصراط ـ الثانية ـ بدلُ كلٍّ من كلٍّ من الصراط منصوب و : « الذين » مضاف إليه فى محل جرٍّ ، وجُملة « أنعمت عليهم » لا موضع لها من الإعراب صلة الموصول ، والهاء الضمير فى « عليهم » فى محل جرٍّ عائد على الذين ، والميم علامة الجمع حرفٌ لا محل له .

و « غير » بدل من الذين مجرور بالكسرة[٤] ، و « المغضوب » مضاف إليه مجرور و « عليهم » جارٌّ ومجرور نائب فاعل للمغضوب ، لأنه اسم مفعول وفعله غُضِب المبنىُّ للمجهول ، وهو فعل لازم ، والتقدير : غير الفريق المغضوب عليهم .

« ولا الضالين » الواو حرف عطف لا محل له ، ولا : صلة للتأكيد و « الضالين » مجرور بالياء ، لأنه معطوف على المغضوب .

والمنعَمُ عليهم هم المؤمنون ، وأُطلق الإنعام ليشمل كل إنعامٍ ؛ لأن مَن أنعَمَ الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمةٌ إلا أصابته ، واشتملت عليه ، وهم الأنبياء ، والصدِّيقون ، والشهداء ، والصالحون .

والمغضوب عليهم : هم العصاة ، والضالون : هم الجاهلون بالله ، لأن المُنْعَم عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل ، فكان المقابل لهم من اختلت إحدى قوتيه : العاقلة أو العالِمَة ، والمُخلُّ بالعمل فاسقٌ مغضوب عليه ، والمُخلُّ بالعِلم جاهل ضال ..

فاللهم ثبِّتنا على صراطك المستقيم .

إن سورة الفاتحة مكيةٌ مدنية نزلت مرتين ، وآياتها سبعٌ ، وكلماتها خمسٌ وعشرون ، وحروفها مائة وثلاثة وعشرون .

وكلمة : آمين ليست من القرآن ولا من الفاتحة : وهى اسم فِعل أمر مَبنى ، بمعنى : آستجب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنت .

والله أعلم .

والحمد لله حمداً لا انقطاع له ؛ فليس إحسانه عنَّا بمقطوع .

(٤) ويجوز أن تكون بدلا من الضمير « هم » فى عليهم أو صفة للذين مجرورة .

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴾
(الأنعام ـ ٣٨)

المنهاج القرآني في إدارة الأزمات الدولية

بقلم لواء . ح . د/ فوزى محمد طايل (*)

قد يدّعى البعض أن التأصيل العلمى لإدارة الأزمات الدولية لم يُعْرف ، على وجه التحقيق ، إلا فى أعقاب ما عُرف فى تاريخ العلاقات الدولية باسم « أزمة الصواريخ الكوبية » * هذه الأزمة التى حبس العالم خلالها أنفاسه خشية وقوع حرب نووية بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى (سابقا) والتى استمرت إدارتها طوال شهرى سبتمبر وأكتوبر من العام ١٩٦٢ م .

ولقد بلغت درجة الإعجاب بإدارة هذه الأزمة وما أسفرت عنه من نتائج حد تصريح « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع الأمريكى الأسبق بقوله :

« لم يعد هناك ما يدعى استراتيجية ، بل يوجد فقط إدارة للأزمات » .

لكنه عاد فاستدرك ما احتوته عبارته من مبالغة فقال :

« إن لم تكن إدارة الأزمات هى البديل الأفضل عن الاستراتيجية ، فقد صارت جزءا حيويا فيها » .

ما يهمنا فى هذا المجال ، هو أن الفترة منذ

* هى أزمة ثارت بين « الولايات المتحدة » من جانب و« الاتحاد السوفيتى » (سابقا) من جانب آخر ، عندما نصب الأخير صواريخه ، فى صيف عام ١٩٦٢ فى « كوبا » الواقعة جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية وقد بلغت الأزمة ذروتها فى شهر سبتمبر من نفس العام .

منتصف الستينيات من القرن العشرين وحتى الآن ، قد شهدت بزوغ ما يُعد فرعا جديدا من فروع العلم الشامل ، الذى يجمع بين علوم الإدارة والعلوم العسكرية والعلاقات الدولية وغيرها .. هذا الفرع من فروع العلم صار يعرف بـ « إدارة الأزمات » وتشغل « إدارة الأزمات الدولية » الجانب الأعظم منه . بل لا نتجاوز الحقيقة والواقع إن قلنا : إن العلاقات الدولية صارت تدار ـــ خلال العقد الأخير من القرن العشرين ـــ باستخدام استراتيجية شاملة وكوكبية « لإثارة » و« معالجة الأزمات » .

وجوهر إدارة أية أزمة دولية هو « حسمها » ، أى : اتخاذ القرار الملائم فى الوقت المناسب ، بما يسمح باستخراج « الفرصة » التى تأتى دائما مصاحبة « للخطر » ففى كل أزمة تكون هناك « فرصة ـــ وخطر » ومن ينجح فى استخلاص « الفرصة » من « الخطر » يكون قد نجح فى إدارة الأزمة الدولية .

ولقد بسط كتاب الله تبارك وتعالى ـــ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـــ الأسلوب الأمثل لإدارة الأزمات الدولية ، بدقة وتفصيل وإحكام ، ليس لها نظير فيما يتداوله الناس من نسخ يعدونها كتبا سماوية سابقة ، عندما تناولت نفس القصة .

وكلمة « أزمة » فى اللغة العربية تعنى العسر والشدة والقحط ، وأزم (١) عن الشىء ، أمسك عنه والمأزم يعنى المضيق بين جبلين .

وترجمة كلمة « أزمة » إلى الانجليزية هى : CRISIS وإلى الفرنسية CRISE وهما مشتقتان من أصل يونانى له معنى مركب يعنى : « وقت الشدة » و« الخطر » و« نقطة التحول » أو « اللحظة التى يتعين عندها اتخاذ قرار ما » .

وطبيعة « الأزمة » أنها موقف يطرأ فجأة فتصبح له الأولوية المطلقة فى ضرورة التعامل معه ، واتخاذ قرار حاسم .. وذلك فى ظل ظروف تتسم بالسيولة ، والغموض . وترجع الحاجة إلى القرار الحاسم إلى أن مثل ذلك الموقف الطارىء يهدد إحدى القيم العليا أو منظومات القيم بشكل لايمكن التسامح معه .

وإذا كان العلم الحديث قد اكتشف مؤخرا أنه ما من أزمة إلا وتحمل فى طياتها فرصة ، فإن القرآن الكريم قد نزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ليقرر هذه الحقيقة ، بل وليؤكدها تأكيدا فى قول الحق جل وعلا :

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

(الشرح ـــ ٥ ، ٦)

لذا على المسلمين أن يتعاملوا مع الأزمات والشدائد على أنها فرص حقيقية للنجاح وتحقيق الأهداف والفوز ، لا على أنها أخطار تأتى بالشر المحض والمكروه ، وصدق رب العزة إذ يقول :

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة ـــ ٢١٦)

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قول الله تعالى :

(١) بابه ضَرَبَ

﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(النساء ــ ١٩)

ولقد أدرك غيرنا هذه الحقيقة ، حديثا ، فطوروا استفادتهم من « علم إدارة الأزمات » بحيث أصبحوا يدفعون « المتغيرات والأحداث » لتصل إلى مرحلة الأزمة ، فيتوجهون لحلها وحسمها من خلال خطط معدة مسبقا ، مستهدفين استخراج اليسر من العسر أو الفرصة من الخطر ، وليحققوا أهدافا استراتيجية ومصالح لم يكونوا ببالغيها إلا فى ظل ظروف توفرها الازمة بطبيعتها سالفة الذكر .

ويؤدى التطور العلمى والمعلومات دورا حاسما فى إدارة الأزمات الدولية وهذا بالضبط ما أشار اليه القرآن الكريم فى مطلع سَرْدِهِ لقصة مفصلة عن إدارة أزمة دولية بين نبى الله سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وملكة سبأ ، فبدأت القصة بقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(النمل ــ ١٥)

وجاء فى أواخر القصص قول الحق جل شأنه :

﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾

(النمل ــ ٤٢)

وتمضى الآيات الكريمات لتربط بين العلم ودقة المعلومات من جانب وبين اتخاذ القرار السليم الصائب من جانب آخر . بل إن العلم كان هو فى ذاته السلاح الرادع الذى غير فكر العدو ، وهز معنوياته فغير من سلوكه ، بل ومن معتقداته وانصاع للحق وأذعن له ، إذ جاء قول الله تعالى على لسان ملكة سبأ :

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(النمل ــ ٤٤)

وما كان هذا إلا من فضل الله تبارك وتعالى ، وليضرب لنا الأمثال .. ولله المثل الأعلى .

فأما عن الارتباط بين المعلومات الدقيقة وحسن اتخاذ القرار فقد أوضحه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾

(النمل ــ ١٦)

وتمضى الآيات موضحة ما مكن الله تعالى به نبيه سليمان من قدرة على جمع المعلومات والأخبار إذ جاء على لسان الهدهد :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾

(النمل ــ ٢٢)

ورغم وصف الهدهد لأنبائه بأنها يقينية ، لأنه رآها رأى العين فقد احتاط سليمان ــ عليه السلام ــ للأمر ، ودقق فى هذه الأنباء كى يأتى قراره مبنيا على معلومات دقيقة مؤكدة .. فقال الله تعالى على لسانه :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ .

(النمل ــ ٢٧)

ولما أن أصبح سليمان ـــ عليه السلام ـــ على بينة من الأمر وأزال الغموض عن ذلكم الموقف الطارىء ، كان قراره الحاسم للأزمة ، مستخرجا الفرصة مما حدث من أعمال زينها الشيطان لأولئك القوم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ومن ثم حقق سليمان ـــ عليه السلام ـــ وصان أعلى المصالح على الإطلاق ، وهى مصلحة « حفظ الدين » بالغا منتهى الغايات وهى وحدانية الله تبارك وتعالى ، وضم بذلك المزيد من المؤمنين إلى دين الله ، بعد أن كانوا قوما كافرين .

وعلى الرغم من أن الله ـــ تعالى ـــ كان قد آتى سليمان ـــ عليه السلام ـــ ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، عبر عنه القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(النمل : ١٧ ، ١٨)

ومع إدراك سليمان ـــ عليه السلام ـــ ذلك ، إذ قال الله تعالى على لسانه عندما وجه كلامه لرسل ملكة المشركين :

﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾

(النمل : ٣٧)

مع إدراك سليمان ـــ عليه السلام ـــ لذلك أبى إلا أن يستخدم السلاح الأكثر حسما من القوة العسكرية .. ألا وهو سلاح العلم .. فكان العلم هو الرادع الحقيقى الذى أنهى الأزمة فلم يبق لها أثراً .. وفى هذا نقرأ قول الله تعالى تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾

(النمل : ٣٨ ـ ٤٠)

وفى غمرة النصر المبين لم ينس سليمان ـــ عليه السلام ـــ أن يرجع الأمر كله لله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

(النمل ـــ ٤٠)

وعلى الجانب الآخر نجد القرآن الكريم قد أبان لنا إخفاق سبأ وملكتهم فى إدارة الازمة رغم حكمتها وأن قومها أولوا قوة وأولوا بأس شديد

● ● ●

إن من أهم ما يستفاد من هذا القصص العظيم أن التدافع بين البشر سنة قائمة الى قيام الساعة ، وأن على المسلمين توقع الأزمات والاستعداد لها .. وأن القوة التى أمرنا الحق بإعدادها ، ما استطعنا هى القوة الشاملة وأولها وأعظمها قوة العلم ، فمنها تشتق القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها .. ولقد تعهد الحق ـ جل شأنه ـ بأن يوفينا ما ننفق من مال فى سبيل الله إبتغاء امتلاك القوة فقال سبحانه :

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

(الأنفال ـــ ٦٠)

قبس من أنوار النبوة

العلم النافع سبيل السعادة دنيا وآخرة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

روى ابن ماجه بسنده إلى محمد بن المنكدر عن جابر قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « سلوا الله علماً نافعاً ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع » . ابن ماجه ٢/١٢٦٣ .

إن الإسلام ينوه بقيمة العلم النافع ، ويرفع من شأنه ، ويدفع آهله إليه ، ويحثهم على تحصيله ، فبالعلم النافع امتاز الإنسان . وكان السجود من الملائكة لآدم ـ عليه السلام ـ وبه يميز الإنسان بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والهدى والضلال ، والنافع ، والضار ، وهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

[الرعد : ١٩]

ولقد أعلى الإسلام من مكانة العلماء ، وأعظم قدرهم ؛ لأنهم يعلمهم أعظم الناس خشية لله .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة : ١١]

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾

[فاطر : ٢٨]

ولا يكتفى الإسلام بالإرشاد إلى أسباب العلم ، ووضوح المنهج للوصول إلى الحقائق ، ولكنه يدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيله واكتسابه والاستزادة منه .

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[طه : ١١٤]

وكان النبى ﷺ ـ بعد نزول هذه الآية يدعو الله فيقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وارزقنى علماً نافعاً » (ابن ماجه والحاكم) .

والعلم هو ميراث النبوة كما قال ـ ﷺ ـ فيما رواه الترمذى : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً

ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

ومما يدل على شرف العلماء عند الله ـ جل وعلا ـ أنه ذكرهم بعد ملائكته الأبرار ، واعتد بشهادتهم على الحقيقة الأولى من الحقائق الإلهية ، ونزلها المنزلة التى تلى شهادة الملائكة . فقال سبحانه وتعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

[آل عمران : ١٨]

حيث شهد الملائكة أن الله واحد فعبدوه بحق ودعوا الناس إلى طاعته ، والإخلاص له فى العمل ، والإلتجا إليه فى كل الأمور ، ونبذ ما سواه ، والتوكل عليه فهو الفعال لما يريد ، على أن العلماء شهداء مع الله على صدق رسالة محمد ـ ﷺ ـ كما قال عز من قائل :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

[الرعد : ٤٣]

والعلماء فى كل زمان ومكان قادة وسادة يردون الناس إلى الله ، ويبعدونهم عن الفسوق ، ويقولون الحق . ولقد تحدث القرآن عن قارون وماله وكبرياته وافتتان الناس به ، ومنع العلماءُ التمنى بمثله ، فقال فى سورة القصص :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة القصص

إن العلماء ورثة الأنبياء فى توضيح المبهم وإرشاد الضال ، وإضاءة الحكم الصحيح ودعوة الناس إلى التمسك بهدى الله ودينه القويم .

ولكن من هم هؤلاء العلماء ؟

هم الذين كمل دينهم ، وتم عقلهم ، وتحلوا بالفضائل جميعاً ، واتصفوا بالمحامد عاميتها ، وفيهم يقول جل شأنه : (فى سورة الرعد : ١٩-٢٤

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

والعلم النافع فيه الهداية والبعد عن الفتن والخيلاء والكبر والإعجاب ، وهو الصاحب الموصل إلى جوار الأنبياء والشهداء . وطلبه أفضل من صلاة النافلة ، وخير العلم ما قرب من الله عز وجل .

أما العلم غير النافع فهو الذى استعاذ رسول الله ـ ﷺ ـ منه . وطلب من أمته أن يستعيذوا بالله منه ، وهو العلم بدون عمل ، فعن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ (ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبعين مرة . وقال : « إنما أخاف أن يقال لى يوم القيامة : أعلمت أم جهلت ؟ فأقول علمت ، فلا تبقى آية من كتاب الله عز وجل آمرة أو زاجرة إلا جاءتنى تسألنى فريضتها ، تسألنى الآمرة هل ائتمرت ؟ والزاجرة ، هل ازدجرت ؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع . (جامع بيان العلم لابن عبدالبر) .

وقال الحكماء . من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به » (ابن عبدالبر جامع بيان العلم) .

ومن العلم غير النافع العلم بلا إخلاص الذى لا يصون صاحبه مما يسقط الكرامة ويزرى بالمروءة ويوقع فى الابتذال . قال الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل مقداره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

إذا كانت العلوم النافعة وهى المستمدة من الوحى ـ العلوم الشرعية ـ فإن العلوم الكونية وهى التى تعرف بها سنن الله فى الكون ، وأسراره فى الخلق ، وحكمته فى الوجود ، فهى لا تقل فى أهميتها عن دراسة العلوم الشرعية .

وإن إدراك كل علم يفيد الناس فى عمارة الكون وإظهار أسرار الله فيه .. من العلم النافع الذى أشاد به القرآن ورفع من قدر أهله فى قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الزمر : ٩]

وإن إدراك ما يصلح به النبات وما تستنبت به الأرض وتحيا ، وما يصلح الحيوان ، وإدراك الصناعات التى تخدم البشرية ، وتعلم العلوم التى تعرف بها الأمراض والعلل وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها ، وتعلم أنواع المخترعات التى تهدف إلى تقدم البشرية ، وما يدافع به عن الأركان ، وغير ذلك مما فيه القيام بواجب الخلافة فى الأرض . من العلوم النافعة وكل علم تقوم به حياة الناس ، ويخدم تقدم الأمم . واجب كفائى ، إذا قام به البعض سقط الإثم والحرج عن الأمة كلها . وإذا أهمل أثم الجميع ـ اتباعاً لقاعدة « مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

والمطلوب فى دراسة هذه العلوم أن يبرز ما فيها من الأسرار والأدلة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته ، مع نية الخير ، والدلالة عليه .

روى ابن عبدالبر فى كتاب العلم بإسناده : عن معاذ بن جبل رضى الله عنه . قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ؛ ومنار سبل أهل الجنة . وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء . والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء ، ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الإبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار ، والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبع يعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء » .

من فضائل العشرة المبشرين بالجنة

الشيخ / عبدالحفيظ فرغلي علي

أشرنا فى حديث سابق إلى أن العشرة المبشرين بالجنة لهم مناقب ظهرت فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ ومناقب ظهرت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وكان تبشيرهم بالجنة لذلك شهادة منه ـ ﷺ ـ مستمدة من فيض بحر النبوة الزاخر ، ومن إمدادات الغيب الذى كشفت الأيام صدقه ، وأظهرت المواقف فيما بعد صحته .

وهذه المناقب كثيرة ، كفانا الإمام الجليل أبو جعفر محب الدين الطبرى مهمة استقصائها ، فقد جمع فى كتابه القيم : « الرياض النضرة فى مناقب العشرة » هذه المآثر والفضائل مشيدة بالأدلة والآثار المدعمة بالأسانيد .

ونحن ننقل عنه بعض ما جاء فى كتابه الذى وفقنا الله ـ تعالى ـ لإعادة طبعه وتقديمه للقراء الكرام فى طبعة حديثة مشروحة منظمة مبوبة مضبوطة لتكون مرجعاً لكل من يريد الاطلاع على سيرة هؤلاء العظماء ، الذين خصهم الله ـ تعالى ـ بهذا الفضل الكبير ، وبشرهم النبى ـ ﷺ ـ بحسن المرجع والمصير .

محب الدين الطبرى :

والإمام محب الدين الطبرى هو أبو جعفر وأبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم ، شيخ الحجاز وعالمه ، الملقب بمحب الدين الطبرى المكى الشافعى .

ولد بمكة فى الخامس والعشرين ، أو السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة من الهجرة .. فهو من رجال القرن السابع الهجرى ، من أسرة انحدرت من طبرستان أحد أقاليم فارس .. ومن هنا لُقِّب بالطبرى .. أما لقب المكى فمن نسبته إلى مكة المكرمة ، ولقب الشافعى استحقه لاضطلاعه بإمامة هذا المذهب فى عصره وتوفره على دراسته ..

ونشأ المحب الطبرى فى مكة ، وطلب العلم بها على الأئمة المشهورين المنقطعين بمكة أو الزائرين لها ..

ولم يكتف بذلك ، بل رحل فى طلب العلم إلى أماكن كثيرة : منها مصر التى قدمها والتقى فيها بكثير من العلماء ومنهم الشيخ مجد الدين القُشيرى الملقب بابن دقيق العيد . وكان إمام قوص فى وقته ، بل إمام مصر بأسرها .

كما ذهب إلى الشام واليمن وغيرهما من البلاد .

ولم يقتصر محب الدين الطبرى على طلب فن واحد من العلم ، بل تبحر فى مختلف فروع

العلم ، شأنه فى ذلك شأن العلماء الموسوعات ، حتى بلغ منزلة كبيرة ، وظفر بإجازة كثير من الأئمة العلماء ، وألف كثيراً من الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، من بينها الكتاب الذى أشرنا إليه .

وظل محب الدين الطبرى معلماً ومؤلفاً حتى وافته منيته فى مكة سنة أربع وتسعين وستمائة فى جمادى الآخرة وله من العمر سبعون عاماً .. ودفن فى مقبرة المعلاة .

كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة :

وهذا الكتاب الذى ألفه الطبرى أوفى كتاب فى موضوعه ، كانت آخر طبعة له سنة ١٣٢٧هـ ، أى منذ ما يقرب من مائة عام ، بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ، وقد اندثرت هذه الطبعة ، حتى عز وجودها ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى إعادة طبع الكتاب تيسيرا للقارئين ، ونشراً للعلم ، وتقريباً لموارده من الظامئين .. والحمد لله الذى وفقنا لذلك .

ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة متعددة المناحى والفصول ، وعلى أبواب عشرة ، لكل علَم من أعلام الصحابة العشرة المبشرين بالجنة بابٌ مستقبل .

أما المقدمة فهى ضافية ، تناول المؤلف فيها بيان الكتب التى اعتمد عليها وهى كثيرة لا تكاد تحصى ..

كما تناول فى مقدمته ذكر الآثار التى تتحدث عن مناقب الصحابة جملة ، ومناقب المهاجرين والأنصار ، ومناقب أهل بدر والحديبية ، ومناقب العشرة مجتمعين ، ثم مناقب بعضهم منفردين أو مجتمعين ، ثم مناقب الخلفاء الأربعة الراشدين ..

ومن الأحاديث التى رواها فى فضائل الصحابة ، ما رواه عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » . أخرجه البخارى ومسلم .

ومنها : « سألت ربى فيما يختلف فيه أصحابى من بعدى فأوحى إلى : يا محمد ، إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء بعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشىء مما هم عليه من أخلاقهم فهو عندى على هدى » .

قال الطبرى : أخرجه نظام الملك فى أماليه ، وفيه دلالة على أن لكل مجتهد نصيبا .

وهذا الحديث أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤٦٠٣ من رواية السجزى وابن عساكر فى التاريخ .

كما أخرجه فى جمع الجوامع برقم ١٤٥١٦ ، وتكلم فيه . وعلقت عليه لجنة تحقيق الكتاب .

وأشاد الطبرى فى مقدمته بفضائل أهل بدر خاصة ، وأصحاب الحديبية وبيعة الرضوان الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ١٨]

ويدخل هؤلاء العشرة المبشرون فى دائرة هذا الثناء الربانى المبارك ؛ لأنهم جميعاً كانوا ضمن المبايعين ، فيما عدا عثمان ـ رضى الله عنه ـ الذى بايع النبىُّ ـ ﷺ ـ نيابة عنه : لأنه كان فى مهمة رسمية أوفده فيها النبى ـ ﷺ ـ وقال :

« هذه يدى عن عثمان » .. ويد النبى ـ ﷺ ـ أعظم بركة من يد عثمان .

وتحدث الطبرى فى مقدمته عن نهى النبى ـ ﷺ ـ عن الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلاف .

مناقب العشرة :

وبعد هذه المقدمة الوافية الشافية أخذ فى موضوع كتابه ، فأفاض فى ذكر مناقب كل من هؤلاء العشرة ، يستقصى فى بابه كل ما يتصل به من نسب واسم ، وإسلامه وسببه ، وخصائصه وأفضليته ، ويذكر فى كل ذلك جميع ما ورد من آثار وقصص وأخبار .

ونظراً لكثرة ما أورده فى ذلك ، وصعوبة إيجازه فى هذه العجالة ، نكتفى بالإشارة إلى بعض ما أورده حول كل واحد منهم للاستدلال والتمثيل .

فضل أبى بكر ـ رضى الله عنه :

قال الطبرى : قال أبو عمر واللفظ له : لا يختلفون أن أبا بكر شهد بدرا والحديبية مع رسول الله ـ ﷺ ـ وحضور هاتين بالذات له خصيصة تستوجب الجنة .

وأنه لم يكن رفيقه فى الهجرة من أصحابه غيره ، وأنه كان مؤنسه فى الغار ، وأنه قام فى خلافته ـ بعد الرسول ـ بقتال أهل الردة ، وظهر من فضل رأيه فى ذلك وشدة بأسه مع لينه ما لم يكن فى الحسبان ، وأظهر الله به دينه ، وقتل على يديه كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمر الله وهم كارهون .

وقال صاحب الصفوة : ذكر أهل العلم بالتواريخ أنه لم يَفُتْهُ مشهد من المشاهد مع رسول الله ـ ﷺ ـ .

ودفع إليه النبى ـ ﷺ ـ رايته يوم تبوك .

وأنه تنزه عن شرب المسكر فى الجاهلية قبل الإسلام . وأنه أول من قاء ما تناوله من طعام تحرزاً من الشبهات ـ وذلك حين أتى له غلامه بطعام ظن أن فيه شبهة فقاءه ـ رضى الله عنه ـ وهذا من نهاية الورع .

من فضائل عمر ـ رضى الله عنه ـ :

من فضائله أنه من المهاجرين الأولين . وأنه ممن صلى إلى القبلتين ، وحضر المشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ .

وبشره النبى ـ ﷺ ـ بأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، وأن رضاه وغضبه عدل ، وأن الشيطان يفر منه ، واستبشر أهل السماء بإسلامه ، وسماه النبى ـ ﷺ ـ عبقرياً .

وظهرت فضائله بعد النبى ـ ﷺ ـ فى أنه كتب التاريخ للمسلمين من الهجرة ، وهو أول من حض على جمع القرآن ، وجمع الناس على قيام رمضان ، وهو أول من عسَّ من الخلفاء بالليل ليتفقد أحوال الرعية ، ووضع الخراج ، ومصَّر الأمصار ، ودَوَّن الدواوين ، واستقضى القضاة ، وفرض الأعطيات ، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وفتحت الفتوح فى عهده ..

ومما يرويه فى فضائله : أنه استأذن النبى ـ ﷺ ـ فى العمرة فقال له النبى ـ ﷺ ـ : « لا تنسنا يا أخى من دعائك ». وفى رواية : « يا أخى أشركنا فى دعائك » فقال عمر :

ما أحب أن يكون لى بها ما طلعت عليه الشمس لقوله : يا أخى ـ رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والحافظ السلفى ، وصاحب الصفوة .

من فضائل عثمان ـ رضى الله عنه :

ومما يمتاز به عثمان ـ رضى الله عنه ـ كثرة الحياء ، حتى إن الملائكة لتستحيى منه لفرط حيائه ، وقال النبى ـ ﷺ ـ فى حقه : « ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » ؟ ! أخرجه أحمد ومسلم وأبو حاتم .

ومن فضائله أنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأحلاسها وأقتابها ـ فى رواية ـ فقال النبى ـ ﷺ ـ : « ما على عثمان ما عمل بعد هذه » أخرجه الترمذى فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده .

ومن مناقبه أنه وسع مسجد الرسول ـ ﷺ ـ بعد أن ابتاع مساحات حوله من ماله الخاص ، واشترى بئر « رومة » ووهبها للمسلمين .

ونزل فيه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ .

[الزمر : ٩]

أخرجه الواحدى .

من فضائل على ـ رضى الله عنه :

ومما اختص به على ـ كرم الله وجهه ـ أن الله حفظ ذرية النبى ـ ﷺ ـ فى ذرية على من زوجته فاطمة ابنة الرسول ـ رضى الله عنها .

وبأنه جعله أخاه فقال له : « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذى .

وقال فى حقه : « من كنت مولاه فعلى مولاه » أخرجه الترمذى .

وقال له : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » .

وهو أول فدائى فى الإسلام ، حيث نام مكان النبى ـ ﷺ ـ فى ليلة الهجرة ، وهو يعلم أنه سيقتل .

واختصه النبى ـ ﷺ ـ بفتح خيبر .

وقال فى حقه : « من أحبنى وأحب هذين ـ يعنى الحسن والحسين ـ وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة » أخرجه أحمد والترمذى ، وقال : حديث غريب .

من فضائل طلحة ـ رضى الله عنه :

من فضائله أنه ممن نزل فيهم قوله ـ تعالى :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ .. ﴾

[الأحزاب : ٢٣]

فهو ممن قضى نحبه ـ أخرجه الترمذى . ومعنى نحبه : نذره .

قال الطبرى : التزم طلحة أن يصدق الله فى الحرب لأعدائه ، فوَّفى له ، ولم يفسخ . ومن فضائله كثرة العطاء والصدقة وصلة الرحم ، ولقد روى أنه تصدق يوماً بمائة ألف ، وقسم ماله حتى ما بقى منه درهم ، وكان هذا المال يقدر بأربعمائة ألف ..

من فضائل الزبير ـ رضى الله عنه :

من خصائصه أنه أول من سلَّ سيفاً فى سبيل الله ـ عز وجل ـ فدعا له النبى ـ ﷺ ـ بخير ، وكان يلقب بحوارىّ رسول الله ، ونزلت الملائكة يوم بدر وهى تعتم بعمائم تشبه عمامة الزبير ،

وفدَّاه النبى ـ ﷺ ـ يوم الأحزاب بأبويه قائلًا له : فداك أبى وأمى .

وامتدحه حسان بن ثابت بقصيدة منها :

أقام على هدى النبى وعهده
حواريُّه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه
يوالى ولى الحق والحق أعدل

من فضائل عبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه :

من خصائصه أن النبى ـ ﷺ ـ صلى خلفه فى غزوة تبوك .. فقد أخرج الشيخان أن النبى ـ ﷺ ـ كان فى حاجته ووضوئه ، فجاء فإذا بعبدالرحمن يصلى بأصحابه ، فصلى النبى ـ ﷺ ـ خلفه الركعة الأخيرة .

وكان كريماً ، ومن كرمه أنه وهب للمسلمين قافلة له عادت من الشام وكان لها رجة بالمدينة تقدر بسبعمائة بعير .. وهبها بأحمالها وأقتابها للمسلمين .. أخرجه أحمد فى مسنده .

من فضائل سعد ـ رضى الله عنه :

كان سعد أول من رمى بسهم فى سبيل الله ـ تعالى ـ ومن خصائصه أنه كان مستجاب الدعوة . قال له النبى ـ ﷺ ـ : « اللهم سدد سهم سعد وأجب دعوته » . أخرجه أبو عمر فى الاستيعاب ، وأبو الفرج فى الصفوة ، ودافع عن النبى ـ ﷺ ـ فى أحد وفدَّاه بأبويه ، ونزلت فيه بعض آيات من القرآن الكريم .

من خصائص سعيد بن زيد ـ رضى الله عنه :

كان ذا دعوة مجابة ، ومن ذلك أن امرأة خاصمته بدون وجه حق ، وادعت عليه أنه أخذ أرضاً لها . فقال : اللهم إن كانت كاذبة فى دعواها فأعم بصرها واجعل قبرها فى دراها . قال محمد بن زيد : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر ، وتقول : أصابتنى دعوة زيد ، فبينما هى تمشى فى الدار إذ مرت ببئر فى الدار فوقعت فيها فكانت قبرها . أخرجه مسلم .

وأبوه كان أحد المتحنفين فى الإسلام :

من خصائص أبى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه :

لقبه النبى ـ ﷺ ـ بأمين الأمة ، وقال : « إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا ـ أيتها الأمة ـ أبو عبيدة بن الجراح » أخرجه البخارى ومسلم والترمذى ..

وكان قوى العقيدة ، التقى مع أبيه فى غزوة بدر وحرص أبوه على قتله ، فحاد عنه ، ولكن أباه تبعه حتى كانت منيته على يد ابنه فنزل فيه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

[المجادلة : ٢٢]

وبعد : فهذه أمثلة يسيرة اقتطفناها من كتاب الطبرى فى مناقب العشرة المبشرين بالجنة ، والكتاب جدير بأن يطالع كله ، ليقف القارىء منه على هذه المناقب مفصلة بأسانيدها .

جزى الله الطبرى خيراً عما قدم فى هذا الكتاب ، ورضى الله عن هؤلاء الصحابة الأجلاء ووفقنا الله للسير على هداهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الملكية ووظائفها الاجتماعية في الفقه الإسلامي (*)

بقلم دكتور/ تحسين فند أوغلو

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عما إذا كان هناك وظيفة إجتماعية للملكية فى الفقه الإسلامى ، فثمة بُعد اجتماعى مصاحب للملكية ، وسيتناول المقال ــ فى بدايته ــ مفهوم الملكيةُ وأهدافها وأساسها وبعد ذلك سنتعرض للتطور التاريخى لحق الملكية فى وظيفتها الاجتماعية ، وفى النهاية سوف نطلع على العلاقة بين الملكية ووظائفها الاجتماعية فى الفقه الإسلامى .

المدخـل

« أ » الملكية فى الفقه الإسلامى

الملكية هى العلاقة التى توجد بين الإنسان والأشياء ، فالملك « بضم الميم وكسرها وفتحها » أى إحراز الأشياء وتملكها واصطحابها ، وقد ترد الملكية بمعنى : سلطنة الإنسان ، هيمنة السياسة والحاكمية(١) والملك أيضا بمعنى البلد ، فجميع الأملاك يكون ملكا « أى بلدا » وفى اللاتينية الملكية هى Proprietos وDominium(٢) .

واصطلاحا : هى حق التصرف فى الأشياء مباشرة ، وهى التى تعطى صاحبها حق التصرف والسيطرة شرعا ، وكذا حق الاستعمال على ألا يكون ثمة مانع شرعى(٣) .

ولا نجد تعريفا للملكية فى مجلة الأحكام العدلية ، فى القانون التركى المعاصر الملكية « هى حق عينى يعطى صاحبه أوسع صلاحية على

(*) سبق تقديم هذه الدراسة إلى جامعة دجلة ــ تركيا عام ١٩٩٣ .

(١) المنجد ، بيروت ١٩٦٩ ، الطبعة العشرون ، ص ٧٧٤ .

(٢) نياظى اوكتم ، فلسفة الحقوق واجتماعية الحقوق ــ تركيا ، اسطنبول ١٩٨٨ ، ص ٢٢٦ .

(٣) كاسانى ، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (المتوفى عام ٥٨٧/١١٩١) ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ٥ ، بيروت ١٣٩٤/١٩٧٤ ، الطبعة الثانية ، ص ١٢٨ .

الأشياء » ولا يعبر القانون السويسرى ولا التركى المعاصر عن الملكية .

وللملكية مفهوم شرعى ، إذ يشمل مفهوم الملكية المال والمنفعة والحقوق .

والملكية ـــ فى القانون المعاصر ـــ هى التى تعطى صاحبها حق الاستعمال والاستغلال والاستهلاك ، ولذا يقال عن الملكية إنها الحق العينى بلا حدود ، ومتى انتفت واحدة من الصلاحيات الثلاث المذكورة فإن الحق العينى يكون محدودا ، ويعترف الفقه الإسلامى بالحق العينى المحدود(٥) .

وتنقسم الملكية إلى تامة وناقصة ، التامة هى حق الرقبة والمنفعة . وخلاف ذلك يجعل الملكية ناقصة(٦) ومن نماذجها حق الاستعمال فقط ، حق الاستعمال فقط ، أو حق الاستهلاك فقط ، أو الاستفادة من الثمرات .

والملكية ـــ فى القانون الرومانى ـــ لا تعترف إلا بالأشياء فقط خلافا لمفهومها فى الفقه الإسلامى ، إذ تشمل الأشياء والمنافع ، فعلى سبيل المثال نجد أن عقد الإيجار يدخل فى قانون الديون فى القانون الرومانى بينما يعد ضمن ملكية المنفعة فى الفقه الإسلامى فهو من « الحق العينى » « بلا حدود فى المنفعة » حتى وإن لم يسجل فى السجلات العقارية(٧) ويشبه القانون الانجليزى الفقه الإسلامى فى هذه النقطة ، إذ يعتبر حق الانتفاع مندرجاً تحت مفهوم الملكية .

« ب » مقاصد الملكية فى الفقه الإسلامى .

يعد تداول الملكية فى الفقه الإسلامى أمرا أساسيا وهو ما لا يتناقض مع حماية حق الملكية ، ففى الميراث تؤول أموال المورث إلى الوارثين ، وهو ما يؤدى إلى نشاط التجارة والوفاء بمتطلبات السوق الحرة .

وقد عنى الفقه الإسلامى بالتكافل الاجتماعى ، فأمر الأقوياء والأغنياء أن يساعدوا الضعفاء فى الظروف الصعبة ، وهو ما يحقق التوازن فى المجتمع ، ويولى الفقه الإسلامى مفهوم العدالة أهمية كبرى ، ويشدد فى النهى عن الكسب غير المشروع ، على نحو ما تضمنه القرآن من أحكام .

وتعد الوظيفة الاجتماعية للملكية هدفا حرص عليه الفقه الإسلامى وفى التاريخ ما يؤيد ذلك فقد قال معاذ بن جبل ـــ حين فتحت بلاد كسرى ـــ : « الأراضى سواد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فإن نقسّم هذه الأراضى بين غزاة المسلمين فإن ملكيتها ستكون لأشخاص محددين(٨) .

وقد رغّب القرآن الكريم المؤمنين أن يعطوا أموالهم مَنْ لا مال له من الفقراء (كى لا تكون دولة بين الأغنياء منكم) .. ومن ثم كان الأمر بالزكاة والصدقات .

« جـ » أساس الملكية فى الفقه الإسلامى .

ينص الفقه الإسلامى على أن كل شىء فى العالم

(٤) كمال أوغوزمان ـ أوزرسليجى ، قانون الأشياء التركى ، اسطنبول ١٩٧٥ ، ص ٢٧٤ .

(٥) مجلة الأحكام العدلية ، مادة : ٧٠١ و ١٢٦٢ و ١٢٣٣ ـ ١٢٢٨ .

(٦) السرخسى ، محمد أحمد ، المبسوط ، جـ ٢ ، مصر ١٣٢٤ ، ص ٥٠ .

(٧) فخرى دمير ، حق الملكية وتقسيم الثروة ـ تركيا ، أنقرة ، ١٩٧٦ ، ص ١١١ و ١٨١ .

(٨) مصطفى حسنى السباعى ، اشتراكية الإسلام ، دار القومية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ص ٨٤ .

ملك لله تعالى ، وقد سخّر الله هذا العالم للإنسان(٩) ومن ثم فإن أى ملكية للإنسان تكون وكالة عن الله تعالى الذى خلق الملك وهنا يحضرنا قول مسيلمة الكذاب فى رسالته التى بعث بها إلى النبى ﷺ : « نصف الدنيا لى ونصفها الباقى لك » فأجابه الرسول ﷺ : « الأرض ليست لك ولا لى ، الأرض لله تعالى »(١٠) .

إن الله هو صاحب الملك والإنسان خليفته ، وهو ما يعنى أن ملكية الإنسان إنما تكون على جهة المجاز لا على جهة الحقيقة ، فالإنسان لا يمكن ـــ عقلا ـــ أن يملك الأشياء بقدرته وحدها لقول الله تعالى :

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ .

ومن ثم فعلى الإنسان أن يطيع ربه فى الحصول على المال وإنفاقه ، فلا يسلك أى طريق غير مشروع للتملك ، ولا يجعل من ملكيته مدعاة للتحكم فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ولابد أن يجعل المالك من ملكيته شيئا نافعا للناس ، فيخرج مالك الأرض زكاة ما يزرعه ، وينفق الغنى مما آتاه الله على الفقراء من عامة الناس .

والحق أن مثل هذه الأمور تعد ضرورية للغاية حتى لا يتسرب الكِبْر إلى قلب الإنسان والذى تولده الملكية عادة ، ومن هنا فعلى الإنسان أن يُتْبع تملكه الشىء بالوظيفة الاجتماعية للملكية التى هى من أهم مقوماتها فى الفقه الإسلامى(١١) .

وها هى آيات القرآن الكريم تنسب الملكية لله تعالى ، وبعض الآيات تنسبها للمجتمع وبعضها تنسبها للإنسان ـــ يقول الله تعالى :

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ (١٢)

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (١٣)

إن الملكية حق طبيعى للإنسان فى حياته ، وهى بمثابة امتحان له للوعد والوعيد وتملك الإنسان الشىء محدود بنسبته إلى الله تعالى ومشروط بهذه النسبة ، أما نسبة الملكية للمجتمع فراجعة لما ترتبط به الملكية من وظائف كثيرة للمجتمع(١٤) .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١٥) .

ولأن الإنسان خليفة الله فلابد أن تكون له صلاحية ، إذ لا تمثيل دون صلاحية ، ومن ثم فللإنسان أن يستعمل ماله وينتفع به ويستهلكه

(٩) سورة الأعراف ، اية ١٢٨ ، سورة المائدة ، اية ١٧ و ١٠٠ ، سورة الحج ، آية ٦٥ .

(١٠) سليمان أنش ، الإسلام والتراب (تركى) ، مجلة كلية الإلهيات ، جامعة أنقرة ، جـ١٧ ، ١٩٦٩ ، ص٢٠٣ .

(١١) عثمان جمعة ضميرية ، رسالة ماجستير : الملكية فى الشريعة الإسلامية ومدى تدخل الدولة فى تقييدها ، مودعة فى جامعة الأزهر ، كلية الشريعة والقانون برقم ٨٥ عام ١٩٧٦ ، ص ٢٣١ .

(١٢) سورة الأنعام ، آية ١٢ ، سورة نوح ، آية ٢٤

(١٣) سورة الأحزاب ٢٧

(١٤) النبهان ، محمد فاروق : الاتجاه الجماعى فى التشريع الاقتصادى الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٥ ، ص١٨٦ ، محمد عرفان زدنى : ملكية الأراضى والأموال غير المنقولة فى الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ، رسالة ماجستير عام ١٩٦٩ ، مودعة بمكتبة جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون ، رقم ١٢١٤ .

(١٥) سورة البقرة ، اية ٣٠ .

بإرادته وعمله بما يحقق منفعته ، وقد كان للشريعة موقف حاسم من التملك غير المشروع ، وذلك حين عدت هذا التملك « غصبا » .

التطور التاريخى لحق الملكية ووظيفتها الاجتماعية

يسير تاريخ الملكية وتاريخ الإنسان جنبا إلى جنب ، فحياة الإنسان تستلزم الملكية ، إذ لابد له من ملبس ومأكل ومشرب لتقوم حياته .

ولو ألقينا نظرة على الملكية الخاصة والملكية الاشتراكية فى المجتمعات البدائية ، فإن أول ما يصادفنا هو قانون حمورابى « ٢١٢٣ — ٢٠٨١ » ق.م الذى يحتوى على ٢٨٣ مادة وينص على أنه يجب على صاحب الأرض أن يستغل ترابه(١٦) وكان الرقيق محرومين — فى العصور القديمة — من كل حقوق الناس .

أما فى القانون الرومانى فقد كان حق الملكية مطلقا بلا تحديد ، وقد نص القانون الرومانى على مفهوم حق الاستعمال ، وحق الاستغلال ، وحق الاستهلاك .

وقد أمرت التوراة الإنسان أن يعطى فضل ما له لمن يحتاج إليه ، ولا يقدم الانجيل مفهوما للملكية : « يدخل الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغنى الجنة » (١٧) ورغم ما ينص عليه الانجيل ، فإن ثلث الأراضى فى أوربا — فى العصور الوسطى — كان تحت سيطرة الكنيسة .

ومعلوم أن اليهودية الحقيقية والمسيحية الحقيقية والإسلام كلها أديان تنبع من مصدر واحد(١٨) — يقول تعالى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ سورة آل عمران ٤٨

ويقول سبحانه :

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة النساء ٤٦

لقد طالب أكويناس ST Thomas Aquinas — وهو أشهر فلاسفة المسيحية — بان يساعد الغنى الفقير ، بيد أن الكنيسة لم تطبق — كما أسلفنا — هذه الفكرة (١٩) .

ولم يظفر الواجب الاجتماعى للملكية بعناية الكنيسة إلا حين أصدرت الكنيسة الكاثوليكية « رسائل كاثوليكية » والتى نصت على هذا الجانب (٢٠) وكان ذلك عام ١٨٩١ ، ١٩٣١ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٧ أى أن مراعاة هذا الجانب لم تتم إلا فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

وفى القرن السابع عشر والثامن عشر كانت الدول الأوربية البرجوازية تعترف بحق الملكية ، إذ

(١٦) ماركوس (Markos) ، ١٠ : ص٢٣

(١٧) لوقا (Lûka) ، ١٨ ، ص٢٥ .

(١٨) عدنان كريز ، مشكلة الملكية بوجهة نظرية (تركى) ، أنقرة ١٩٦٩ ، ص٣١٥ .

(١٩) الهان (اكين) ، قانون العامة (تركى) ، اسطنبول ١٩٨٧ ، الطبعة الخامسة ، ص٦٠ .

(٢٠) اوكتم ، ص٢٤٢ ، باعتراف الجمهورية التركية فى مادة ٣٥ من دستورها بتاريخ ١٩٨٢ .

(٢١) اوكتم ، ص٢٤٥ — ٢٤٢ ، انظر إلى إعلام محكمة الدستور التركى : الجريدة الرسمية ، ١٩٨٦/١٢/١١ برقم ٢٠٠١٦ ، أساس : ١٩٨٨/١٩ ، قرار : ١٩٨٨/٣٣ ، تاريخ : ١٩٨٦/١٠/٢٦ .

كانت الملكية حقا مقدسا ، وتعتبر حصنا وأساسا للحريات ، وقد أولى هذا القانون مصلحة الدولة كل عنايته ، وأهمل مصلحة المجتمع ، وهو ما أدى إلى نمو البرجوازية ، وكل ما أنجزته أوربا إنما أفادت منه البرجوازية وخدها لا المجتمع ، إذ كان العمال يكدحون بأجور زهيدة لا تعادل ما يبذلونه من جهد ، وقد بدأت نظرية القانون الرومانى (٢٢) فى الضعف مع نهاية القرن الثامن عشر ، وغابت نظرية الملكية الخاصة والشخصية الانفرادية بعد قيام الثورة الفرنسية التى حددت الملكية بكونها للدولة لا للأفراد والنظرية الأخرى للملكية هى الاشتراكية التى أهملت الواجب الإجتماعى للملكية ، إذ كانت الدولة هى العنصر الأساسى فى نظرة الاشتراكية للملكية ، فقد أعلى الاتحاد السوفيتى من رأسمالية الدولة Capitalism ، وبهذا زادت الدولة السوفيتية من استبداد البرجوازية .

وأول اعتراف للملكية بوظائفها الاجتماعية فى أوربا كان فى دستور ويمار Weimar الذى صدر عام ١٩١٩ ، وقد نص هذا الدستور على أن « الملكية تحمل الإنسان الواجبات وأن استعمال الملكية مرتبط بمصالح العامة » وقد أثّر هذا الدستور على كل دساتير أوربا بعد ١٩١٩ ،وقد أوجب هذا الدستور على الشركات حماية العمال ، إذ خال دون عملهم بأجور زهيدة .

ومع هذا فأغلب الظن أن ليس ثمة أساس للملكية بوظائفها الاجتماعية فى الغرب ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية بلغت نسبة العمال ٧٦٪ فى خمسمائة شركة وصاحب المال هو كل الفرق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى السابق ، فصاحب هذه الشركات فى أمريكا خمسمائة شخص ، أما فى الاتحاد السوفيتى السابق فصاحب رأس المال واحد هو الدولة نفسها (٢٣) .

إن التغير فى الفكر الغربى لم يكن فى مفهوم الملكية بل فى مفهوم الدولة كلها ، إذ أصبحت الدولة اجتماعية ، وأصبحت العدالة « عدالة اجتماعية » والديمقراطية « ديمقراطية اجتماعية » وقد وقع هذا التغير فى المفاهيم إبان القرن التاسع عشر ، وغايته : حماية الناس ، فلا يظلم القوى الضعيف (٢٤) .

ومن الممكن أن نقول إننا فى الغرب نجد بداية الملكية المطلقة ، وتلتها الملكية المحدودة المتعلقة بالدولة وحدها ، وأخيرا نجد الملكية المحدودة الخاصة بالدولة والمجتمع والفرد وهى الملكية بوظائفها الاجتماعية ، وهو المفهوم الصحيح الذى لما يصل إليه الغرب حتى الآن .

ونصادف آراء لابن خلدون وجون لوك فيما يسمى « نظرية العمل » وداود بوم وبنتهام فيما يسمى بنظرية المنفعة ، وكانت وهيجل فيما يسمى بنظرية الارادة ودكوت فيما يسمى بنظرية الواجبات الاجتماعية ، كل تلك النظريات تناولت موضوع الملكية ، ويضيق المقام عن تفصيل القول فى هذه

(٢٢) ابن خلدون ، المقدمة ، مترجم إلى التركية : ذاكر فاديرى اوكان ، جـ ٢ ، اسطنبول ١٩٩١ ، ص ٣٢٠ .

(٢٣) السرخسى ، أحمد ، أصول السرخسى ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٣٤ .

(٢٤) صلاح الدين ، محمد ، أبحاث الحرية والإسلام ، مترجم إلى التركية ، أحمد أسرار ، اسطنبول ١٩٨٩ ، ص ١١٢ .

النظريات جميعها .

وأساس الملكية التى تعترف بالواجبات الاجتماعية هى نظرية العمل لصاحبها جون لوك « ت ١٦٣٢ » الذى أثّر فى الغرب وأمريكا ونظريته تشبه آراء مونتسكيو وقد تأثّر كل من جون لوك ومونتسكيو بابن خلدون « ت ١٤٠٤ » (٢٥) .

إن الرأسمالية والاشتراكية تعترفان بالملكية بما لها من واجبات اجتماعية فى الظاهر لكنهما فى حقيقة الأمر تعطيان حرية تامة للبرجوازية ، تلك الطبقة التى يطالب الغرب الآن « فى القرن العشرين » بتحديدها ومن المستبعد أن يفلح الغرب فى ذلك إذ أن البرجوازية تسيطر على الاقتصاد الأوربى سيطرة تامة .

أما الفقه الإسلامى فقد اعترف إن الله تعالى قد كلف الإنسان بواجبات ولتنفيذها فقد أعطاه الله ثلاث حريات هى : حق الحرية ، حق المعصومية ، حق الملكية (٢٦) والناس جميعا خلق الله تعالى وعليه فلا يستبد إنسان بإنسان لما له من مال ، كما لا يحل أن يسلط الإنسان ماله لضرر المجتمع الذى يعيش فيه (٢٧)

والتملك فى الفقه الإسلامى مرتبط بشرط واحد وهو الإنسانية وقد بيّن الدبوسى الفقيه « ت ١٠٦٢/٤٢٨ » قبل عدة قرون حقوق الإنسان حين يذكر حقوق الحرية وحقوق المعصومية وحقوق الملكية (٢٨) وذلك قبل الغرب بكثير .

ويعترف الفقه الإسلامى بحق الملكية للمرأة — بلا تحديد — مثلها فى ذلك مثل الرجل ، دون أن يتدخل الزوج أو الأب أو غيرهما فى هذه الملكية .

وقد حرص الشرع على ضمانات حماية الملكية وقد ذكر أبو حنيفة — رحمه الله — الكثير من الضمانات التى يمكن أن يتخذها صاحب المال وقد أكد أبوحنيفة على أن كل إنسان مالك لملكه ولا يجوز أن يتدخل الآخرون فى ملكيته (٢٨) .

وبعد أبى حنيفة حدد الحنفية الملكية بعدم ضرر الناس (٢٩) وهو ما ذهب إليه الإمام مالك بن أنس أيضا حين يقول : « إن الإنسان حر فى ملكه حيث لا ضرر للناس (٣٠) وقد أخذت مجلة الأحكام العدلية بهذا المبدأ فى مادتها الثلاثين : « دفع المفاسد أولى من جلب المنافع » وفى مادتها السادسة والثلاثين « يختار الضرر الخاص لدفع الضرر العام » وكذا قاعدة الفقه : « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » الذى ورد به الحديث النبوى (٣١) كما يشدد الفقه الإسلامى على الاعتراف بالملكية بما يرتبط بها من واجبات اجتماعية (٣٢) .

(٢٥) دمير ، ص ١٦٥ .

(٢٦) السرخسى ، المبسوط ، جـ ١٠ ، ص ٢١ ، الكاسانى ، بدايع ، جـ ٦ ، ص ٢٦٤ .

(٢٧) النبهان . الاتجاه الجماعى ، ص ٢٠٠ ، انظر ، مجلة ، مادة ، ١١٩٧ .

(٢٨) مالك بن أنس ، تذهيب الفروق ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٤١ .

(٢٩) ابن ماجه ، الأحكام ، ١٧ .

(٣٠) أبو داود ، عقدية ، ٣١ ، إمام مالك ، الموطأ ، عقدية ، ٣٣ .

(٣١) السرخسى ، المبسوط ، جـ ١٥ ، ص ٢١ ، كاسانى ، بدائع ، جـ ٧ ، بيروت ١٣٩٤/١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، ص ٢٦٣

(٣٢) النبهان ، الاتجاه الجماعى ، ص ٢٠٤ .

العلاقة بين الملكية ووظائفها الاجتماعية فى الفقه الإسلامى

ثمة مفاهيم أساسية ترتبط بالملكية فى الإسلام ، وهى أن الملكية لله فى الأساس وتكون للإنسان وكالة لله تعالى وتتأتى الملكية بفعل الفرد والمجتمع والطبيعة وهو ما يحول أن تكون الملكية مطلقة (٣٣) وتضمن مثل هذه المفاهيم انتفاء ضرر العامة من الملكية فلا يحل استعمال الملكية بما يضر المجتمع ـــ يقول الحق سبحانه :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ سورة البقرة

ويقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة التوبة

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى جواز اتخاذ بعض التدابير متى اقتضتها المصالح العامة وهنا يحضرنا ما كان من عمر بن الخطاب فى منعه أكل اللحم يومين فى الأسبوع (٣٤) .

لقد راعى الفقه الإسلامى مسألة النفقه بين الأصول والفروع وتوفير العمل لمن يطلبه وتقديم الأغنياء عونهم للفقراء ، وعون الأغنياء للفقراء .

وينبغى على الدولة الإسلامية أن تنظم مسألة الاحتياج إلى الغذاء بوصفه ضرورة حيوية فإذا أراد جائع خبزا من صاحب الخبز ومنعه عنه فإن للجائع أن يتملك هذا الخبز إجبارا وهذا ما قرره الفقه الإسلامى ، لأن حق الحياة أفضل من حق الملكية إذ يحفظ بذلك حياة النفس فالجائع يشبه إنسانا فى حريق .

وإذا تقاتل الجائع وصاحب الخبز ، فإن قُتِلَ صاحب الخبز اهدر دمه ، وإن قُتِلَ الجائع فهو شهيد (٣٥) وقد أوجب عمر بن الخطاب أن يعطى الماء إلى الظمآء (٣٦) .

وقد وضع الفقه الإسلامى شروطا لأخذ المال جبرا ، وهى :

أولا : أن يكون المال المأخوذ ضروريا يحتاجه الآخذ احتياجا شديدا . (٣٧)

ثانيا : لا يضار صاحب المال بأخذ ماله (٣٨)

ثالثا : أن يكون المال المأخوذ بمقدار الحاجة ، فإذا أخذ أحدٌ مال الآخر وباع واشترى احتياجاته من هذا المال ، فإن هذا الفعل يعد سرقة ، ولا يندرج تحت مفهوم الضرورة (٣٩) .

(٣٣) راجع : المجلة ، مادة ٢٦ .
سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

(٣٤) عبد الكريم زيدان ، حالة الضرورة فى الشريعة الإسلامية ، بيروت ١٩٨٨/١٤٥٨ ، ص٦٦ . ابن قدامة ، المغنى ، جـ٩ ، ص٤٣٠ ، راجع : السرخسى ، المبسوط ، جـ٢٤ ، ص٧٣ .

(٣٥) زيدان ، حالة الضرورة ، ص٦٧

(٣٦) عبد القادر عودة ، التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، جـ١ ، ص٥٧٧ .

(٣٧) زيدان ، حالة الضرورة ، ص٦٤ .

(٣٨) المرجع السابق ، ص٦٥ .

(٣٩) المرجع السابق ، ٦٦ .

وقد انعقد إجماع الفقهاء على جواز أخذ المال فى حالة الضرورة ـــ مع إعادته إلى صاحبه ـــ أما مناقشاتهم حول هذا الموضوع فقد انصبت على مسألة بدل المال (٤٠) .

ذهب أكثر فقهاء الشافعية إلى أن المضطر يعطى بدل المال الذى أخذه ، وبعض الشافعيين قالوا بعدم دفع المضطر بدلا إلى صاحب المال وهو واجب ، وقد نقل مالك بن أنس وأصحابه هذين الرأيين وذهب أحمد بن حنبل وأصحابه إلى أن الإنسان لا يجب أن يعطى ماله بلا بدل وذهب ابن قيم الجوزية إلى أن الإنسان يجب أن يعطى ماله بلا بدل ، أما ابن تيمية فقد اعتبر إعطاء المال المضطر بلا بدل فرض كفاية ، ويكون فرض عين إن لم يكن ثمة شخص آخر يعطى بلا بدل (٤١)

وترى الحنفية أنه لا يسقط ضمان المضطر حيث يجب الضمان لآخذ المال اضطرارا ، إذ لا يبطل الإضطرار حق الملكية للغير ، لكن لا ينبغى أن يدفع هذا البدل دفعة ، بل يكون هذا الدين فى ذمته فقط (٤٢) .

وترجح الشريعة الإسلامية المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وثمة شواهد تثبت ذلك نصادفها فى مجلة الأحكام العدلية (٤٣) والزكاة مثال يؤكد الواجبات الاجتماعية للملكية (٤٤) ومن ذلك أيضا اعتراف الفقه الإسلامى بجواز نزع ملكية العقار للمنفعة العامة ، وقد روى أن عمر بن الخطاب قد نزع ملكية بعض المنازل وأعطى أصحابها بدلا منها لتوسعة المسجد الحرام (٤٥) وفى ذلك يستند الفقه الإسلامى إلى مفهوم « المصلحة العامة » و« الضرورة » ولعل الحسبة خير مثال يبين لنا الواجبات الاجتماعية الملكية إذ تظفر الحقوق الشخصية والحقوق العامة فى الحسبة بحماية كاملة (٤٦) .

النتيجـــة

اعترف الفقه الإسلامى من بدايته بالملكية بما لها من واجبات اجتماعية ، وذلك تنظيرا وتطبيقا ومن ثم فقد راعى مصلحة العامة مراعاته المصلحة الشخصية فى مسألة الملكية ، وحرص الفقه الإسلامى على استعمال الملكية على الوجه المناسب .

وقد اعترفت الحقوق المعاصرة بالملكية بواجباتها الإجتماعية مند بداية القرن العشرين ولهذا الأمر أهميته من زاويتين الأولى : أن اعتراف الغرب بالملكية بما ترتبط به من واجبات اجتماعية قد جاء تأثرا بالفقه الإسلامى ، إذ كان الفيلسوف الانجليزى لوك والفرنسى مونتسكيو من أوائل مَنْ نادى بمفهوم الملكية بوظائفها الاجتماعية وكلاهما متأثر بفكر ابن خلدون .

الأخرى : إن فهم الإنسان فى الشرق الأوسط للمعنى الإسلامى للملكية قد ضمن قدرا من حفظ النفس ، رغم ما يواجه المجتمع من أزمات عبر التاريخ ، وهو ما يجعل المجتمع الإسلامى أقوى وأصح ، ومن هنا يمكننا القول : إن تطبيق مفهوم الملكية بواجباتها الاجتماعية ليعد واحدة من أبرز سمات المجتمع الإسلامى .

(٤٠) راجع ، مجلة الأحكام العدلية ، مادة : ١٢١٤ – ١٢١٣ ، وراجع محمد قطب : الإنسان وحقوق الإنسان ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، الطبعة الثانية ، ص ٤٢٤ .

(٤١) الترميذى ، زكاة ، ٢٧ .

(٤٢) عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ط ١١ بيروت ، ص ٣٠٦ ، ٣١٩ .

تكريم الله للإنسان

للأستاذ / محمد عبد المحسن التقاوى(*)

كرَم الله ـ عز وجل ـ الإنسان وميّزه على غيره من المخلوقات بأوجه تفضيل كثيرة ؛ فبالإضافة إلى أنه ـ سبحانه ـ خلقه فى أحسن تقويم ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ؛ منحه : نعم العقل والقلب واللسان . ووهبه نعم السمع والبصر والجوارح حتى يكون مهيئا لتعلم البيان . وذلك من منن الرحمن على الإنسان ، يقول ـ عز شأنه :

﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾ سورة الرحمن

وقد ركّب الله ـ تعالى ـ فيه بقدرته ما منحه من نعم وقوى فى صورة متوافقة ومتعاونة بما يجعله أهلا لخلافة الأرض وتحمل الأمانة التى أشفقت منها السماوات والأرض والجبال .

جعل الله ـ عز وجل ـ الإنسان فى قمة مخلوقاته جميعاً ؛ ولذا فقد حرص الإسلام على تحرير الإنسان . ورفع شأنه ، فنظر إليه نظرة تقويم ، ونظرة تكريم ، ونظرة تسويد وإجلال ، ونظرة تأمين .

* أما نظرة التقويم فنراها فى قوله ـ سبحانه :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(١)

وأما نظرة التكريم لجميع أفراد النوع الإنسانى ، فتتضح فى قوله ـ سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٢)

وأما نظرة السيادة فنلمسها فى تنصيبه خليفة فى الأرض ، قال ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٣) .

وأما نظرة الإجلال فنراها فى سجود الملائكة له فى الملأ الأعلى ، قال تعالى :

(*) مدرس اللغة العربية برأس الخليج البلد ـ دقهلية .

(١) سورة التين آية (٤) .

(٢) سورة الإسراء آية (٧٠) .

(٣) سورة البقرة آية (٣٠) .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾[٦]

وأما نظرة التأمين فتتضح فى قول الرسول ﷺ : « **كُلُّ الْمُسلم على المُسْلم حرامٌ ، دَمُهُ ، وَمَالُه ، وعِرْضُه** » رواه أبو داود .

وفى قوله ﷺ : « **لا يحلُّ لِمُسْلم أنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً** » رواه أبو داود وأحمد .

* ونود أن نشير إلى بعض جوانب التكريم التى خص الله سبحانه بها الإنسان من بين سائر مخلوقاته :

* أولًا : أن له أفضل الصفات وكمال التناسق .
* ثانياً : أن له أحسن هيئة وأكمل صورة .
* ثالثاً : أن له نعمة العقل وطيب الطعام واللباس .
* رابعاً : أن له خلافة الله فى الأرض وإعمارها .
* خامساً : سجود الملائكة له تحية وتكريماً .

وبعد هذه التوطئة التى أجملت بعض جوانب التكريم نبدأ تفصيلها :

أولا : أفضل الصفات وكمال التناسق :

● فمن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى جهز الإنسان بصفات متنوعة ووضع فيه من كل جنس قدراً معيناً يشاركه فيها ، وجعل من مجموع هذه الصفات مركباً نادراً لامثيل له ، ولا يستطيع جنس آخر أن يتباهى به على الإنسان وركبه من ثلاثة عناصر أساسية وهى :

– **العقل** : الذى يمثل التسامى والتفكير والوعى والإدراك والاختيار والحرية فى الأمور .

– **الروح** : التى وهبها الله تعالى للإنسان ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[٧] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[٨] .

ليتدرج الإنسان فى مراقى الكمال والرفعة ، ويتعلق أمله بالله وتستمر روح الإنسان بعد وفاته محلقة فى عالم الأرواح .

– **الجسد** : من المادة ، وما فيها من شهوات وغرائز وميول يشترك فيها الإنسان مع بعض المخلوقات التى تقتصر عليها أحياناً ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين** ﴾[٩] .

● وإضافة إلى ذلك فقد خلق الله تبارك وتعالى الانسجام التام الكامل بين هذه العناصر الثلاث وأقام بينها التوازن العادل فى الإنسان القويم ، وأن أى انحراف أو خلل فى العناصر يؤدى إلى الشذوذ من جهة وتعطيل جانب أساسى من عناصر الإنسان من جهة أخرى .

فسبحان القائل : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[١٠]

ثانيا : أحسن هيئة وأكمل صورة :

● ومن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى خلق الإنسان على أحسن صورة وهو ما صرح به القرآن الكريم ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾[١١] أى فى أحسن تعديل خُلقاً وشكلًا ،

(٦) سورة البقرة اية (٣٤) .
(٧) سورة ص آية (٧٢) .
(٨) سورة السجدة آية (٩) .
(٩) سورة ص اية (٧١) .
(١٠) سورة الانفطار آية (٧ ، ٨) .
(١١) سورة التين آية (٤) .

صورة ومعنى .

قال علماء التفسير ، وهو الاعتدال والاستواء ، بينما خلق غيره منكباً على وجهه ، وخلق الإنسان مستوياً ، مع امتداد القامة ، وحسن الصورة ، وله لسان ذلق ، وأصابع يقبض بها ، وزينه بالعقل ، وهداه بالتمييز ، ويتناول مأكوله بيده ، ويختار الطيبات بنفسه ويؤدى أوامر الله .

ثالثا : نعمة العقل وطيب الطعام واللباس :

● ومن أوجه التفضيل التى ذكرها العلماء فى تفسير الآية الكريمة أن الله تعالى حمل الإنسان فى البر والبحر والجو ، وأن الله خصَّه بأنواع المطاعم والمشارب والملابس ، وأن الإنسان وحده يكسب المال خاصة دون الحيوان ويلبس الثياب ويأكل الطيبات من الأطعمة ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[١٢] .

وقال تعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١٣] .

● حكى الطبرى عن جماعة : أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم ، وروى ذلك عن ابن عباس . وقال الضحاك : كرمهم النطق والتمييز . وقال عطاء : كرمهم بتعديل القامة وامتدادها وقال الطبرى : بتسليط الإنسان على سائر المخلوقات وتسخير سائر الخلق له .

● وأرى أن هذه المميزات صحيحة ولكن أهم ميزة يستحق بها التفضيل على غيره هى العقل وهو ما رجَّحه القرطبى ـ بحق ـ وبينه بقوله : « والصحيح الذى يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف » .

رابعا : إخلافه فى الأرض لعمارتها :

● وزيادة فى تكريم الإنسان وأنه المخلوق المفضل عند الله تعالى ، وأنه المستخلف من عند الله فى أرضه ، فقد سخر له ما فى الكون كله وجعله تحت تصرفه ومكنه من استعماله واستغلاله ، وسلطه على تذليله واستخدامه ووهبه الملكات والقدرات على اخضاعه ليستطيع تحقيق مطامحه والوصول إلى آماله وأهدافه .

● والمتأمل فى آيات الذكر الحكيم ـ التى يضيق المقام عن ذكرها أو حتى ذكر بعضها ـ يجد أن الله عظمت قدرته ، سخر الأرض للإنسان وجعلها له مقراً وذللها له طوعاً ، ثم أمره أن يمشى فى أرجائها والسعى فى جنباتها فقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[١٤] .

● وبين القرآن الكريم كيف أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان كل شىء : الأرض والسماء ، الشمس والقمر ، الليل والنهار ، الفلك والبحار . فقال تعالى فى آية جامعة تبين أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان كل شىء .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ

(١٢) سورة الإسراء آية (٧٠) .
(١٣) سورة الأعراف آية (٣١) .
(١٤) سورة الملك آية (١٥) .

بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[15] .

ونلحظ أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان خلق له ما يتوقف عليه بقاؤه ويتم به معاشه مما فى الأرض جميعاً لينتفع به .

● وهناك عدة ملاحظات تستوقفنا فى قضية التسخير :

فى تقديرى أن هذا التسخير يعتبر دعوة ملحة للنظر فى الكون والبحث فى مكنوناته للاستفادة مما ادخره الله فيه وأن يضرب الإنسان فى أرجاء الأرض للبحث والتنقيب والسعى والجد والإعمار للأرض وبنائها وإقامة المدنية والحضارة فيها ، وهو مراد الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[16] ثم أمر بالنظر والبحث والتنقيب والكشف فى آفاق الكون فقال سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[17]

* أن الله تعالى سخر الكون للإنسان لتحقيق رفاهيته وتأمين سعادته ، وتوفير الكفاية له وتدبير أسباب العيش وحتى خيرات الأرض واستخراج دفائنها ، لذلك حذر القرآن الكريم من استغلال الكون للضرر والفساد وأحاطه بسياج من التوجيه والتنبيه ليبقى على الصراط السوى ويسعى نحو الخير ، ويتجنب سبل الشر ، وقد توعد من يفسد فى الأرض بالخسران . قال تعالى : ﴿ .. وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[18] وقال تعالى : ﴿ .. وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[19] .

● ونتيجة لذلك فقد استفاد المسلمون الأوائل من هذا التوجيه القرآنى وأعملوا عقولهم فى شئون الكون وسخروا آلاءه إلى أقصى حد ممكن وأنشأوا حضارة باسقة وعلوماً زاهرة ومدنية راقية .

● بينما تجمد المسلمون فى العصر الحاضر واكتفوا بالقشور عن اللبِّ ، ووقفوا عند الشكل الخارجى للإسلام ، وحصروا فكرهم وعقلهم فى تلاوة القرآن الكريم بلا فهم ولا تدبر ولا تطبيق فكان ذلك من أسباب تأخرهم .

*ورحم الله من قال :

عَارٌ عَلَى أُمَّة دَانَ الوُجُودُ لها
أَنْ يَسْتَبِيحَ حِمَاهَا خَائِنُ الذِّمَمِ
كُنَّا أَسَاتِذَة الدُّنْيَا وَسَادَتَهَا
فَمَا بَالُنَا اليَوْمَ أَصْبَحْنَا مِنَ الْخَدَمِ

● بل بلغ الأمر ببعض أبناء الإسلام من المستغربين أنهم اتهموه بالجمود والرجعية وأنه يتنافى مع العصر الحديث ، ويقف فى سبيل التقدم ويتعارض مع العلم ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ وعن هؤلاء قال القرآن الكريم : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[20]

(١٥) سورة إبراهيم آية (٣٢ ، ٣٤) .
(١٦) سورة هود آية (٦١) .
(١٧) سورة يونس آية (١٠١) .
(١٨) سورة البقرة آية (٢٧) .
(١٩) سورة البقرة آية (٢٠٥) .
(٢٠) سورة الأعراف آية (١٧٩)

● وعذر هؤلاء ـ إن كان لهم عذر ـ أنهم لم يفتحوا كتاب الله تعالى ولم يتدبروا آياته ولم يبحثوا فى تراث السلف الصالح بل تخرجوا على أيدى المستشرقين وأذنابهم وغبَّوا من ثقافة المستعمرين وأتباعهم .

● **ولأننا ابتعدنا عن منهج الله سبحانه وتركنا سنة نبيه ﷺ كان جزاؤنا أن صِرْنا فى ذيل الأمم بعد أن كنا فى مقدمتها .**

★ **ورحم الله القائل :**

أُنَى تَذَكَّرَتَ وَالذِّكْرَى مُؤَرِّقَةٌ
مَجْداً تَلِيداً بِأَيدِينَا أَضَعْنَاهُ
أَنَّى اتَّجَهْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ
تَجِدْهُ كَالطَّيرِ مَقْصُوصاً جَنَاحَاهُ
وَرِيحَ الْعُرُوبَةِ كَانَ الكَوْنُ مَسْرَحَهَا
فَأَصْبَحَتْ تَتَوَارَى فِى زَوَايَاهُ
كَمْ صَرَّفَتْنَا يَدٌ كُنَّا نُصَرِّفُهَا
وَبَاتَ يَمْلِكُنَا شَعْبٌ مَلَكْنَاهُ

● ولكن وبرغم كل هذا الضباب وبرغم ما نحن فيه من محن وآلام لا نعدم من يقول :

تَهُونُ الْحَيَاةُ وَكُلٌّ يَهُونُ
وَلَكِنَّ إِسْلَامَنَا لَا يَهُونْ
نُضَحِّى لَهُ بِالْعَزِيزِ الكَرِيمِ
وَمِنْ أَجْلِهِ نَسْتَحِبُّ المَنُونْ

ومن يقول :

مُسْلِمُونَ مُسْلِمُونَ مُسْلِمُونَ
حَيْثُ كَانَ الحَقُّ وَالعَدْلُ نَكُونْ

نَرْتَضِ الْمَوْتَ وَنَأبَى أَنْ نَهُونَ
فِي سَبِيلِ اللهِ مَا أَحْلَى المَنُونْ

خامسا : سجود الملائكة تحية وتكريما

● ومن مظاهر تفضيل الانسان على سائر الموجودات أن الله سبحانه كلف الملائكة بالسجود لآدم ، وذلك الأمر الإلهى لم يقتصر على اختيار الإنسان خليفة فى الأرض ، بل أكد ذلك فى السماء والجنات العلا وقرنة بالفعل والتطبيق وأعلن ذلك فى الملأ الأعلى عن إرادته فى خلق آدم واتخاذه خليفة وسجل ذلك فى اللوح المحفوظ وأنزله وحيا يتلى على البشر فقال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢١)

● وقد تكررت هذه القصة فى سور كثيرة فى القرآن الكريم لتذكير الانسان :

★ بفضل الله تعالى عليه .

★ وليعرف مكانته فى الوجود والكون .

★ وليحذر من غوايه إبليس اللعين .

● قال علماء التفسير : أمرهم بالسجود لآدم على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واعتذارا عما قالوا فيه وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام وهو سجود تعظيم وتسليم وتحية لا سجود عبادة .

● **ونستنتج من تكليف الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ما يلى :**

(٢١) سورة ص آية (٧١ ــ ٧٤)

★ أن الملائكة الذين هم من جبلة خاصة وهم مفطورون على الخير المطلق والطاعة الكاملة قد كلفوا بتعظيم الانسان واحترامه مما يدل على أن عنصر الخير فى الانسان أساس وأنه إذا استخدمه بشكل جدى فى الاتجاه الصحيح مع دفع المقاومة الجسدية والمادية والوقوف حائلا أمام الشهوات والغرائز والمغريات الأرضية فإنه حينئذ أقوى شكيمة من الملائكة وأكثر عزما على مرضاة الله تبارك وتعالى وأشد قربا من الملائكة لجلال الله سبحانه وتعالى .

وهذا ما صرح به كثير من علمائنا : أن الانسان يفضل الملائكة أحيانا واحتجوا بأدلة أخرى منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (٢٢)

على قراءة الهمز « البريئة » من برأ الخلق أى هو خير الخلائق وقال ﷺ « **إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع** » **رواه أبوداود والترمذى .**

★ **أن الانسان مفطور على الخير وأن ما يصدر منه من شر فهو أمر عارض أو نزوة جانبية يقول تعالى** ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٢٣)

ويقول الرسول ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البخارى ومسلم .

وهذا هو القول الراجح عند العلماء .

★ ان إباء إبليس عن السجود لآدم يعتبر عصيانا واستكبارا فاستحق به اللعنة والوصف بالكفر والعذاب بالجحيم وهذا يدل على أن جند إبليس الذين يتصفون بهذه الصفات ويتكبرون على الله ويعصون أوامره ويغترون بما وهبهم الله تعالى من المنح والعطايا الإلهية إنما يقلدون إبليس ويرتدون صفاته وسوف يكون جزاؤهم جزاءه ومصيرهم مصيره .

كما يدل هذا المشهد القرآنى من أمر الملائكة بالسجود لآدم وإباء إبليس لذلك على هذا الصراع الدائر اليوم وكل يوم بين الخير وأهله ، وبين الشر وأهله وأن الصورة واحدة والمشهد يتكرر لينال كل فريق جزاءه ويصل كل فريق الى هدفه قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (٢٤)

الخاتمة

● وبعد هذا التطواف السريع فى بيان أوجه تكريم الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ للإنسان ، نود الإشارة الى ان هذه الفضيلة للإنسان توجب عليه ـــ عقلا وشرعا ـــ أن يعرف :

★ فضل الله تعالى عليه .

★ مكانته عند ربه سبحانه وتعالى .

★ الغاية التى من أجلها خلق .

● كما توجب عليه :

★ أن يشكر ربه على هذه النعم العظيمة .

★ أن يلتزم بشرع الله ويقف عند حدوده ويقصد مرضاته ، ليحقق إرادة الله ومشيئته سبحانه ويفوز برضوانه وجنته

(٢٢) سورة البينة آية (٧)

(٢٣) سورة الروم آية (٣٠)

(٢٤) سورة الزلزلة آية (٧ ، ٨)

★ كنا نود إسناد هذا البحث القيم علميا ، بمعنى إحاطة القارىء بأهم المراجع التى استندتم اليها فى تحريره

المقاصد العلية

فى شرح تائية ابن الفارض

بقلم د/ محمد دميرجى (*)

يعد ابن الفارض أحد كبار الشعراء المصريين ، واسمه « أبو حفص عمرو بن أبى الحسن على ابن المرشد بن على » ولد ونشأ فى مصر وتوفى عام ٦٢٣ هـ/١٢٣٥ م فيها .. يحتل مكانة ممتازة بين الشعراء المصريين ، وهو أيضا من أحسن من عبر عن فكرة التصوف فى أشعاره[١] .

ومن أهم الموضوعات التى عالجها فى أشعاره موضوع « الحب الإلهى » ، ولقد اهتم بهذا الموضوع اهتماما بالغا يجعلنا نقول : « إنه وهب حياته لهذا الحب ... ولعل ما يقصد ابن الفارض إليه هو أن حب الله هو الحياة ، وكأن قلب الإنسان خلق له ، وأن اتصال القلب بمحبوبه — وهو الله — حياة لهذا القلب ، وانقطاعه عنه موت له .

(*) الكاتب : جامعة الأفهيات فى أزمير .

(*) اللغة العثمانية تختلف عن اللغة التركية فى عصرنا هذا لأن العثمانية تجمع بين العربية والفارسية والتركية . بينما اللغة التركية الحديثة تجمع بين الانجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية .

(١) زكى مبارك ، التصوف الإسلامى ، ج١ ، ٢١٥ ، بيروت بلا تاريخ .

على أن فائدة هذا الحب لا تقتصر على الانسان كفرد ، وإنما هى تتعداه الى المجتمع كله ، حين يصبح الحب مصدرا لكل فضيلة اجتماعية أيضا ، وذلك أن الحب الإلهى يستتبع محبة الرسول — ﷺ — ومحبة الأسرة ومحبة المجتمع ... وبهذا يصبح الحب الإلهى بما يستتبعه من أنواع الحب الأخرى بابا للخير كله ، فهو إذن حياة للفرد ، وحياة للمجتمع[٢] .

ولابن الفارض ديوان مشهور متوسط الحجم يحتوى على أشعاره[٣] وقد نال هذا الديوان إعجاب الكثير من العلماء المسلمين والأوروبيين ، وأجريت عليه دراسات وبحوث كثيرة .

ومع ذلك فقد كان من بين هذه الدراسات ما عارضه ووجه الانتقادات ضد أفكاره .

وأطول منظومة فى ديوان ابن الفارض وأشهرها هى المنظومة المساة بـ « نظم السلوك » تتكون هذه المنظومة من ٧٦١ بيتا واشتهرت هذه المنظومة باسم « التائية الكبرى » وصدرها هو :

شقتنى حميا الحب راحة مقلتى
وكأس محيا مَنْ عن الحسن جلت

والشعر بكامله تصوير لحياة الشاعر الصوفية . ولهذا الشعر شروح كثيرة فى اللغات الشرقية[٤] .

وإسماعيل بن أحمد الأنقروى المولوى (١٦٣١م) هو أحد المؤلفين الأتراك الذين شرحوا منظومة ابن الفارض الطويلة المسماه بالتائية الكبرى ، وقد كان أحد شيوخ الطريقة المولوية ، وله تصانيف مختلفة فى التصوف والأدب[٥] .

وقد اشتهر باسم « شارح المثنوى » ولقد عرف بهذا الاسم لأنه من أهم شارحى « المثنوى » المكون من ستة مجلدات لمولانا جلال الدين الرومى أحد الشعراء الصوفيين .

واسم الشرح الذى ألفه الانقروى للتائية الكبرى هو « المقاصد العلية فى شرح التائية » وقد ألفه باللغة العثمانية ، وله ثمانى نسخ مخطوطة فى « مكتبة سليمانية » باستنانبول ، ومن بينها النسخة المدونة رقم (٢٢٠) فى قسم (خالد أفندى) ، والتى نسخت سنة ١٠٢٥ هجرية .

وأما التسجيلات الموجودة فى المكتبة فهى بخط المؤلف نفسه .

وهذه النسخة تتكون من ١٧٩ ورقة كبيرة ، وتاريخ نسخها ١٠٢٥ هجرية ، أى قبل وفاة الشارح بستة عشر عاما .

والنسخة الى وردت فى قسم (برتو باشا) بمكتب سليمانية برقم ٢٧٦ قد نسخت بخط ممتاز ، وفى كل صفحة ٢٥ سطرا ، ومجموعها

(٢) أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ، مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ص ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، القاهرة ١٩٧٧ .
(٣) انظر : ديوان ابن الفارض ، تحقيق : الدكتور عبدالخالق محمود ، القاهرة ١٩٨٤ .
(٤) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ص ٢٦٥ : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ج٧ ص ، ١ ، ٣ .
(٥) انظر : الدكتور أرخان بيتك ، اسماعيل الإنقروى حياته وآثاره وآراؤه الصوفية استانبول ١٩٩٢ .

عبارة عن ١٧٨ ورقة ، وتاريخ نسخها ١١٨٠ هجرية .

يتحدث الشارح الإنقروى فى بداية الكتاب عن جمال القصيدة التائية مع صعوبة فهمها ، ويقول : إنه أراد أن يشرحها باللغة التركية واستهدف إفادة غير العرب منها .

(ا) يستهل الشارح كتابه بمقدمة طويلة يوضح من خلالها المباحث المتعلقة بالتصوف ، ويشرح فى ثناياها بعض المصطلحات الصوفية ، وتعرض لهذه المباحث والمصطلحات تحت عناوين :

« الوجود ، الأسماء والصفات ، الحضرات الخمس ، الاصطلاحات » ويحتوى هذا الفصل على ٢٤ صفحة ، والكتاب يشتمل على ما يقرب من (٣٥٦) صفحة .

(ب) ويقوم منهجه على كتابة نص البيت أولا ثم تفسير معانى جميع المفردات التى وردت فى البيت ، مع الإشارة إلى اللطائف الدقيقة فى هذه المعانى ، وذلك كله تحت عنوان « اللغات » ثم يبين رأيه فى المعنى المختار عنده ، والذى يتناسب مع البيت ويأتى أخيرا بالشواهد والأمثال .

(جـ) وفى قسم « الإعراب » يخوض المؤلف فى تحليل البيت من الناحية النحوية تحليلا شافيا .

(د) وفى قسم « المعنى » يقدم ترجمة البيت باللغة التركية ، ويستخدم فى الترجمة (اللهجة التركية العثمانية) المتداولة فى القرن السادس عشر ، وذلك مما يجعل فهمه صعبا حتى على أبناء اللغة التركية أنفسهم .

(هـ) تحت عنوان « التحقيق » يأتى بحديث طويل يقدم فيه إيضاحات مفصلة فى علم التصوف ، فى منتهى الدقة والعمق .

ولهذا الشرح ـــ المسمى بالمقاصد العلية ـــ أهمية بالغة من عدة نواح :

أولا : أن قسم اللغات فيه يحتوى على معلومات رائعة عن خصائص اللغة العربية وهو ما يعنى للأتراك الكثير .

وإلى جانب هذه الدقائق اللغوية يورد الشارح ـــ إذا اقتضى المقام ـــ التعبيرات العربية والمصاريع والأبيات للشعراء والأمثال .

ويروى عن المؤلفين الصوفيين (وفى مقدمتهم محيى الدين بن عربى) جملا تتناسب مع الموضوع ، وينقل أيضا أبياتا فارسية كثيرة وآثارا منظومة .

.

وحتى يفهم القارىء هذا كله ، فهو بحاجة ماسة إلى الإلمام باللغات الثلاث . العربية والتركية والفارسية .

إن المقاصد العلية كتاب هام وخصوصا لمن يريد أن يتعرف على أفكار ابن الفارض ، أو لمن يريد أن يساهم فى فهم الثقافة الصوفية ، أو الذى يرغب فى مساعدة الأتراك فى فهم دقائق اللغة العربية .

وأرجو أن أستطيع نشر هذا الشرح فى أقرب وقت ممكن إن شاء الله .

من يحق له أن يتحدث باسم الإسلام ؟

بقلم د/ محمد شامة

ينفرد الإسلام عن غيره من الأديان بأنه لا يقر الطبقية ، فالناس فى المجتمع الإسلامى سواسية فى الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ، ولا يملك أحد من البشر مقياس التقوى ؛ لأنها من الأمور التى لا يطلع عليها أحد إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، غير أن الحياة لا تسير إلا إذا وُضع كلّ فى موضعه ، طبقاً لإمكاناته وتخصصاته فلا يمارس المهندس مهنة الطبيب ، ولا يتصدى الطبيب للشئون الهندسية أى أنه لا يقوم أحد بعمل إلا إذا كان قد أتقن ـ عن طريق التعليم والتدريب ـ قواعده وألم بكل جزئياته وأحاط بالمعرفة اللازمة لممارسة هذا العمل وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ الإسراء ـ ٣٦

فخوض الإنسان فيما لا يتقنه إهدار للتخصصات وضياع للجهد والمال وتخريب لمنظومة مسيرة الحياة قال ـ تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الأنبياء ـ ٧

وبالتالى فهو يؤدى إلى التخبط والبلبلة وفقدان الثقة فى مصادر الإنتاج والمعرفة ؛ لأن كلاً يعرف كل شىء ، فإذا بحثت عن الحقيقة فهيهات أن تصل إليها ؛ لأنك لا تستطيع أن تفرق بين من يعرفها حقاً وبين من يدعى أنه يعرفها .

ومن هنا فقد حذر الإسلام من « ادعاء المعرفة » ، ونهى عن الخوض فيما هو مجهول ، فلا يجوز لأحد ـ إسلامياً ـ أن يتصدى لعمل شىء ما ، إلا إذا كان متأكداً من الإلمام به ، وقادراً على تأديته على أكمل وجه :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ، ولا يستطيع أحد التفريق بين ما هو خير وما هو شر ، إلاإذا كان عالماً بالموضوع ، وملماً به ، ومتمكنا من كل ما يتعلق به ، بالقدر الذى يؤهله لإتقان ما يقوم به :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »

فإذا ساد هذا المعنى فى المجتمع ، انتظمت خطواته ، وتلاقت أنشطته المختلفة فى منظومة يكمل بعضها بعضاً ، فتتلاقح فى نغمات متناسقة ، أو تتدافع فى إطار تنافسى للوصول إلى الأصلح ، فيأخذ مكانه فى مسيرة التقدم ، ويتفاعل مع مثيله فى بناء صرح الحضارة ، وتشييد منارة التقدم .

أما إذا خاض كل فيما لا يعرف وادّعى ما ليس له ، انزلق المجتمع إلى متاهات لا يعرف المرء فيها طريقاً ، ولا يرى منها مخرجاً ، ولا يسمع

إلا أصواتاً متداخلة ، ونغمات متنافرة ، وادعاءات ممجوجة ، تتقاذفه يمينا وشمالاً وتصب فى أذنه تفسيرات وتأويلات تقذف به فى مهاوى الشك والقنوط حينا ، وتبعث عنده الأمل فى اليقين أحياناً أخرى ؛ ولهذا ينبغى على صاحب القرار أن يميز المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ، بحيث يُعرفون للجماهير ، فلا يتطفل الجاهلون فى مجال الفتوى الدينية ، فيَضلوا ، ويُضلوا ، ولا يتصدر أنصاف العلماء لتدريس العلوم الشرعية ، كى تصان التعاليم الإسلامية من شطحات المفكرين ، وتبقى الأحكام بعيدة عن سقطات غير المتخصصين .

كيف يُميَّزون ؟

ينقسم العمل فى مجال الدراسات الدينية إلى قسمين :

الأول : الوعظ والإرشاد والفتوى وإمامة الصلاة ، وتعليم الناس مبادىء الدين وأحكامه .

الثانى : البحوث « الأكاديمية » التى يهتم الباحثون فيها بمنطوق النصوص ومفهومها ، وصحة الرواية وفسادها ، كما يركزون فيها على استنباط الأحكام ، مع مراعاة طبيعة العصر ـ هكذا يجب أن يكون ـ ومقتضياته ، بما يلبى ضرورات الحياة فى إطار مجتمع دولى ، يركض حثيثاً على طريق العلم و « التكنولوجيا » ، ويسرع الخُطَا فى ساحات التقدم والازدهار .

ومن الأمور البدهية أن لكل قسم رجاله ، من حيث التأهيل والتدريب ، والإمكانات ، فمن يعمل فى مجال القسم الأول ينبغى أن يؤهل فى مؤسسات علمية خاصة ، كالأزهر وما يماثله ، بشرط أن تكون مناهج التأهيل شاملة لكل ما يحتاج إليه الداعية من علوم وثقافة وتدريب على وسائل العصر فى مخاطبة الجماهير ، ومواجهة مشاكل المجتمعات المعاصرة . ولا يتحقق الهدف كاملاً إلا إذا كان اختيار العناصر المنفذة لبرنامج التأهيل على وعى تام بمتطلبات العصر ، والاحتياجات اللازمة لمواجهة التيارات الفكرية التى تموج بها المجتمعات ، سواء كانت مجتمعات إسلامية أو غير إسلامية ، بالإضافة إلى مراعاة الدقة فى اختيار الدارسين لهذا المنهج ، حتى لا يخرج إلى الساحة عناصر عاجزة عن الاتصال بالجماهير بسبب قصورهم الذاتى ، أو خلل فى المنهج ، أو عدم وضوح الرؤية عند من يتصدى لتأهيلهم .

ولكى لا يدخل الساحة مُدَّعُون ، يبلبلون الأفكار ، ويخدعون الجماهير ، ينبغى أن يكون للدعاة زى خاص بهم لا يشاركهم فيه أحد ؛ حماية لهذا المجال من الانتهازيين ، وصوناً لمبادىء الإسلام من أن يشوهها للناس جاهل ، أو يشيع الفتنة فى المجتمع حقود ، أو يتطاول عدُوّ على مبادىء الإسلام ، فيعلمها لشبابنا بأسلوب يبعدهم عن روح الإسلام الصافية الخَلَّاقة ، فيدمر حياتهم بالسلبية والاتكالية ، والاستغراق فى عالم الأساطير والخرافات .

وليس هذا الاقتراح بدعاً من القول ؛ بل هو قائم على أساس منطقى ، وله مبررات عظيمة ، ذلك أن دواعى أمن الدولة اقتضت أن يرتدى أفراد القوات المسلحة ورجال الشرطة زياً خاصاً بهم ، حتى لا يدخل فيهم من ليس منهم ، فيرتكب حماقات تضر بأمن الدولة ، أو يعتدى على أمن المواطنين وحقوقهم .

كذلك الحال بالنسبة لأهم جانب يؤثر فى حياة الناس . ألا وهو الدين ، إذ لو فسدت الثقافة الدينية ، لاختلت حياة الناس ، واضطربت أحوالهم ، وضاع الاستقرار النفسى والأمن الروحى ، مما يؤثر على إنتاجهم ، ويعوق مسيرتهم نحو التقدم والازدهار ، فتأمين منابع الثقافة الدينية أمر ضرورى ؛ بل هو لا يقل أهمية عن حماية الدولة من الأعداء ، أو السهر على أمن المواطنين من المخربين والمنحرفين ؛ ولهذا ينبغى على صاحب القرار ألا يتوانى فى إصدار قرار يحدد الزى الخاص بالدعاة والأئمة وخطباء المساجد ، بحيث يُجرَّم من يتعدى عليهم ، فيتزيى بزيهم .

ألا يؤدى هذا إلى تكوين طبقة ، تَمَيَّزَ الإسلام عنْ غيره بعدم وجودها ، ألا وهى طبقة رجال الدين ؟؟

لا ، لأن مهمتها تختلف عن مثيلاتها فى الأديان الأخرى ، فهم لا يجوز لهم التشريع كما يشرع أمثالهم فى المجتمعات غير الإسلامية ، وليسوا مقدسين كما يقدس أتباع الأديان الأخرى رجال الدين عندهم ، فالوعاظ والأئمة فى الإسلام لا يختلفون عن أى مسلم آخر فى المجتمع ، فلا يفضلون على غيرهم إلا بالقياس الدينى العام ، ألا وهو التقوى ، فقد يكون هناك مسلم لا يشتغل بالثقافة الدينية ، وتقواه ترفعه إلى درجة أعلى من الإمام ، أو الواعظ ، إذن ، فتميزهم بزى خاص لا يعطيهم حصانة ، ولا يرفع درجاتهم بين المسلمين إلى مرتبة القداسة ، وليس لهم فى المجتمع إلا احترام الناس لهم باعتبارهم خداماً لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ، كما يُكنُّ التلميذ الاحترام لأستاذه ، أياً كانت المادة التى يقوم الأستاذ بتدريسها للتلميذ .

وكما يمنع غير المتخصص فى الدراسات الإسلامية من ارتداء زى الأئمة والوعاظ ، ومن يتصدرون لتثقيف المسلمين وتفقيههم فى الدين ، كذلك لا يجوز للمتخصصين القيام بأعمالهم ، إلا إذا ارتدوا الزى الذى يُخصَّص لهم ، مثلهم فى ذلك مثل رجال القوات المسلحة وأفراد الشرطة .

وليس معنى هذا أن للإسلام زياً خاصاً ، يطلق عليه « الزى الإسلامى » ، كما يدعى ذلك بعض الذين أقحموا أنفسهم فى مجال التحدث باسم الإسلام ، فالرسول ﷺ لبس جميع أردية عصره ، حتى الجبة الشامية[1] ، ويحكى أنها كانت ضيقة عند المعصم ، فكان الرسول ﷺ يخلع يده اليمنى عند الوضوء فيغسلها ثم يلبسها ، وبعد ذلك يخلع اليسرى فيغسلها ، ثم يلبسها . وعدم تخصيص زى للمسلمين يدل على أن الإسلام دين عالمى ، إذ تتفق عالميته مع عدم تخصيص زى معين للمؤمنين به ؛ ذلك أن طبيعة الزىّ ـ وشكله ـ تتعلق بالطقس ، فما يرتديه المرء فى المناطق الحارة لا يمكن لسكان المناطق الباردة ارتداؤه ، وإلا تجمد من البرد ، فلو سلمنا جدلاً ـ بأن الجلباب الأبيض « القصير » هو الزىّ الإسلامى ، وألزمنا كل من يعتنق الإسلام بارتدائه ، لانحصرت دائرة المؤمنين به فى سكان المناطق الحارة ؛ لأن تعاليمه ـ على الأقل

(١) البخارى ـ كتاب اللباس : باب من لبس جبة ضيقة الكُمَّيْن رقم الحديث ٥٧٩٨ .

فيما يتعلق بالزىّ ـ تلائمهم وحدهم ، ولا تتمشى مع متطلبات طقس المناطق الباردة ، إذا لو اعتنق الإسلام أحد سكان هذه المناطق ، لكان لزاماً عليه ـ بناء على رأى من يخص الإسلام بزىّ معين ـ أن يرتدى هذا الزىّ وهو الجلباب « الأبيض القصير » ، وفى هذه الحالة سوف يموت من شدة البرد بعد فترة قصيرة لا تتعدى بضع ساعات ، وبذلك لا يكون للإسلام مكان فى هذه المناطق ؛ لأن من يلتزم بتعاليمه فى هذا المجال ، سوف يموت ، وبالتالى لا يجرؤ أحد .. حتى على التفكير فى اعتناقه . ويترتب على هذا أن يقتنع من يسمع من هؤلاء المنادين بتحديد زىّ خاص بالإسلام ، أن هذا الدين لا يصلح إلا لسكان المناطق التى يتلاءم طقسها مع هذا الزىّ .

ألا يعد هذا متناقضاً مع الدعوة إلى تحديد زىّ خاص لمن يقومون بمهمة التثقيف الدينى ، كالأئمة والوعاظ وخطباء المساجد ؟؟

لا ، لأن هناك فرقاً كبيراً بين الاتفاق على تحديد زىّ خاص ـ أياً كان شكله ولونه وهيأته ـ لمن يعملون فى حقل الدعوة الإسلامية ، وبين أن يدّعى أن للإسلام زياً خاصاً به ؛ لأن المجتمع فى الحالة الأولى ليس ملزماً بنوع معين من أشكال الملابس ، فهو حر فى اختياره طبقاً لظروف الزمان والمكان ، بخلاف الوضع فيما لو اعتبر شكلاً مقدساً لا يحيد عنه ، كذلك يمكن تغييره فى أىّ وقت إن اقتضت الظروف ذلك ، بخلاف ما لو كان إلزاماً دينياً ، فلا يجوز تغييره ، وإلا ارتكب إثماً يعاقب عليه .

هل يقبل الأئمة والوعاظ وخطباء المساجد ارتداء هذا الزىّ عن طيب خاطر ، خاصة وأن الاتجاه العام يمكن أن يوجه إلى اختيار ما هو معروف لعلماء الدين ، وهو العمامة والجبة (أو ما يطلق عليه « الكاكولا ») ، وهو لباس معوق للحركة وسط هذا التدافع فى الشارع المزدحم ، وفى وسائل المواصلات الراهنة ، التى يشترط فيمن يستخدمها أن يكون سريع الحركة ، بحيث لا تقيدها (جبة) ، ولا يحد من انطلاقها عمامة فوق الرأس ؟؟؟

أعتقد أنهم سيرحبون به لو اقتصر على طائفتهم ، فذلك سيسهل عليهم كثيراً مما يمكن أن يعانى منه من يرتدى هذا اللباس ، فالمساعدة ستقدم لهم فى كل مكان ، وستذلل لهم الصعاب أينما حلوُّا ؛ لأن الناس سينظرون إليهم نظرة إجلال واحترام ، مع العلم بأنه ليس من اللازم أن يرتدوا هذا الزىّ فى كل الأوقات ، بل يكفى أن يرتدوه أثناء تأدية عملهم ، وما عدا ذلك فهم أحرار فيما يرتدون .

أ محمد شامة

« تقدم المجلة هذا المقترح عملاً بحرية الرأى ، ثم هو بين يدى العلماء ، ولهم النظر فى أمره . ولقد نذكر أنه حدث ـ تقريباً فى عهد الرئيس الشيشكلى ـ شىء من هذا القبيل ، ورفضه سماحة الشيخ الحوتكى من علماء سوريا ، وكان لرفضه أسبابه . وقد تختلف وجهات النظر ؛ فكان هذا المقترح .

« مجلة الأزهر »

في الكتب المدرسية في أوربا الغربية

٢

أ.د/ عبدالجواد فلاطوري(*)

إذا ما انطلق المرء من الاعتقاد الخاطىء والمغرض — الذى أشرنا إليه فى الحلقة السابقة — والذى يتمثل فى القول بأن العلاقة بين الله — تعالى — والانسان يحكمها الجبر والتسلط من جانب الله ، والخوف والاستسلام من جانب الانسان فإنه يتبادر إلى الأذهان أن القرآن عندئذ يعد بمثابة منهاج وبرنامج لهذه العلاقة ، وأن الرسول محمد — ﷺ — هو السلطة المنفذة لهذا البرنامج على الأرض ، بيد أن هؤلاء المغرضين من المؤلفين للكتب المدرسية الأوروبية لا يوجهون طعنهم للقرآن وللنبى ﷺ بطريقة مباشرة كما كان يفعل أسلافهم فى العصور الماضية .

(*) الأستاذ بجامعة كولونيا ومدير الأكاديمية العلمية الإسلامية .

ونود فيما يلى أن نورد مثالا آخر لمسألة العلاقة بين الله والانسان فى الكتب المدرسية يوضح الفهم الخاطىء والمغرض لمؤلفى هذه الكتب .

ورد فى واحد من كتب التربية الدينية ما نصه :

« إن إرادة الله مدونة فى كتاب المسلمين المقدس وهو القرآن وهذا يعنى ، وكما جاء فى كتاب آخر : « أن المسلم الملتزم يبنى على أساس من القرآن قبوله لكل شىء حتى ما يعتقده من التواكلية » وعليه فالقرآن يشكل أداة يفرض محمد ـــ ﷺ ـــ من خلالها على أتباعه الاستسلام للإرادة الإلهية ، حيث يتوعدهم بعذاب النار ، أو يعدهم باللذة والنعيم فى الجنة مع الأبرار .

ولا يريد واضعو تلك الكتب بهذا الكلام مجرد التعبير عن نواياهم الخبيثة .

إن ما يهمهم هو عرض التعاليم التى جاء بها ـــ ﷺ ـــ بوصفها تمثل عاملا محركا على مستوى العالم يشكل خطرا محدقا بالعالم الغربى ، وذلك بالنظر بصفة أساسية إلى المهمة التى وضعها محمد ـــ ﷺ ـــ نصب عينيه ليحققها من خلال القرآن .

ومن هنا ، فإن هؤلاء المؤلفين يضعون فى بؤرة اهتماماتهم وصف مراحل حياة محمد ـــ ﷺ ـــ بوصفه رجلا يمتلىء بالحيوية ، وبأن ظروف طفولته ، وخبرات شبابه وتأثير بيئته المحيطة به قد حفزته على إقامة (أيديولوجية) أدى إلى تطبيقها إلى الوصول بقومه إلى أن يعيشوا حياة يسودها النظام والسلام ، كما أوصلته شخصيا إلى مركز القيادة (فالأمر إذن لا يدور حول دين حقيقى له مقومات الدين ، وإنما يدور حول أيديولوجية كما يزعمون) .

وقد كانت الوسيلة المثلى للوصول الى هذا الغرض تتمثل فى أمور ثلاثة هى : المال والقوة والله فالاعتقاد بإله قادر حكيم والخضوع الأعمى لإرادته كان له الفضل فى تأمين المال والقوة ، فهذا الغرض قد أمكن الوصول إليه عن طريق التضحية بالنفس والمال ، وهذه التضحية تعد أعظم تعبير عن الخضوع غير المشروط للإرادة الإلهية ، سواء كان هذا الخضوع نابعا من الخوف من العقاب ، أم نابعا من الرغبة فى الفوز بالسعادة الأبدية فى الدار الآخرة .

ويحتل (مفهوم الجهاد) ـــ أو الحرب المقدسة كما يسمونه ـــ أهمية خاصة فى الكتب المدرسية من حيث إنه الوسيلة التى تؤدى إلى سرعة انتشار الإسلام . ومن هنا ينظر إلى الإسلام والمسلمين دائما على أنهم المنافس القوى والمزعج للحضارة الأوروبية .

ويزعم مؤلفو هذه الكتب أن الوضع السيء للمرأة فى الإسلام دليل على أعمال البطش والتسلط فى المجتمعات الإسلامية ، ويرون أن « الحدود » فى الإسلام تعد دليلا واضحا على سطوة الظلم فى العالم الإسلامى . ويسوق هؤلاء المؤلفة أمثلة من أفعال المسلمين فى الماضى والحاضر سواء فى داخل العالم الإسلامى أو خارجه بوصفها أدلة على ظاهرة العنف فى الإسلام . وهكذا تترسخ هذه الأفكار الخاطئة وغيرها فى أذهان التلاميذ الأوربيين ، وتقوم وسائل الإعلام الغربية

ـ يوميا ـ بزيادة تعميقها فى نفوس الناس ، الأمر الذى يزيد من صعوبة موقف الإسلام والمسلمين فى الغرب .

تصحيح الأخطاء :

إن السؤال الذى يفرض نفسه بإلحاح هو : إذا كانت الكتب المدرسية الأوربية تشتمل على الكثير من المعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين فما السبيل إلى تصحيح هذه المواقف السلبية ؟

إن مما لا شك فيه أن ذلك أمر لا يكفى فيه مجرد الإدانة والشجب والإدانة . فتصحيح هذه المفاهيم المغلوطة لا يكون إلا بالحجة القوية والمنطق السليم . وعلينا ـ كمسلمين ـ أن نخاطب الأوربيين بلغة الفكر والعلم والحضارة حتى يكون التفاهم معهم أمرا ممكنا . وهذا هو السبيل الذى اتبعته « الأكاديمية العلمية الإسلامية » فى « كولونيا » بألمانيا . فقد تبنت الأكاديمية مشروع التصحيح العلمى لما جاء فى الكتب المدرسية الأوربية عن الإسلام والمسلمين ، واستعانت بعدد من الخبراء الأوربيين الذين اقتنعوا بالمشروع واعتبروه واجبا حضاريا .

وقد بدأ المشروع أولا بفحص وتحليل الكتب المدرسية فى جمهورية ألمانيا الاتحادية مع بداية الثمانينات ، وبعد أن أنتهى هذا المشروع فى عام ١٩٨٨ وصدرت حصيلة الدراسة فى ثمانية مجلدات ، تم توسيع نطاق البحث ليشمل الكتب المدرسية فى مختلف البلاد الأوربية : فى النمسا وبلجيكا وفرنسا وانجلترا وايطاليا والدانمارك وايرلندا وفنلندا واليونان والبرتغال وأسبانيا وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج ولوكسمبورج .

وقد كان لهذه الدراسة الشاملة صداها فى وسائل الإعلام المختلفة ولدى مؤلفى الكتب المدرسية فى أوربا ودور نشر الكتب المدرسية . وبدأت جهات تعليمية عديدة فى البلاد الأوربية تأخذ نتائج بحوثنا فى الاعتبار . وهذا كله يبين مدى جدوى الأسلوب العلمى فى تصويب المعلومات الخاطئة والأفكار الشائعة ، فالأوربى يبنى كل شىء على أساس من العقل والمنطق ، ولا يرضى بديلا عن هذا الطريق . ومن هنا فان على المسلمين ألا يرجعوا كل شىء فى علاقتهم بالغرب إلى روح العداوة والكراهية ، بل ينبغى عليهم أن يصححوا من موقفهم هذا ، ويدركوا أن خدمة الإسلام لا تتحقق إلا عن طريق عرضه بصورة موضوعية خالية من الانفعالات ، وبذلك يمكنهم الدخول فى حوار مثمر مع الآخرين من غير المسلمين .

ومما ينبغى ذكره هنا أن الأكاديمية العلمية الإسلامية فى عملها هذا قد وجدت كل الدعم والتأييد من الأزهر الشريف ، وسارت فى عملها معتمدة على مصادر الإسلام الأساسية ، مبتعدة عن كل الاختلافات المذهبية أو الطائفية . وهذا النهج الذى اتبعته الأكاديمية وجد كل الاستحسان والمساندة من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

فضيلة التقوى

لفضيلة الشيخ السيد عبدالفتاح خضير

التقوى بمعناها الفعلى ، أو العملى ، أو التنفيذ الإيمانى تتجلى فى المعانى السامية التى رسمها الخليفة الرابع الإمام على بن أبى طالب ـ كرَّم الله وجهه ، ورضى عنه ـ حين قال :

التقوى هى : الإيمان بالتنزيل ، والخوف من الجليل ، والرضا بالقليل ، والعمل لما بعد الرحيل .

ومنزلة التقوى سامية عالية يدركها من يستوعب تخصيص الله لها فى الوصاية لأصحاب الكتب السابقة وللمؤمنين من أصحاب القرآن الكريم ، فهى وصية عزيزة من رب عزيز لمن رضى عنهم ورضوا عنه وهداهم إلى تقواه وأمرهم بالتزود بها فقال تعالى :

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩٧

فما أعظم التقوى وأعظم بها من صلة بين العباد ورب العباد ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ١٣١

ولما عصت ـ عاد وثمود ـ وانتقم الله منهم بالريح الصِّر ، وصاعقة العذاب الهون ، برزت التقوى لتكون سببا فى نجاة الذين آمنوا واتقوا .

فالتقوى سفينة نجاةٍ لمن يركبها فى خضم الحياة المتلاطم بكثرة المعاصى والعصيان . قال تعالى :

﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ سورة فصلت ـ آية : ١٨

وحين فرض المولى ـ سبحانه ـ الصوم على عباده المؤمنين كما فرضه على من سبقهم من الأمم ، جعله سبحانه وسيلة لغاية عظمى هى التقوى ، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على علو منزلة التقوى ورفعة شأنها عنده ـ عزَّ وجل ـ حيث جعل وسيلتها عبادة روحية هى الصوم .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

سورة البقرة ـ ١٨٣

ويوم القيامة تقف النفس المفرطة متحسرةً على تفريطها فى جنب الله ، وترجع ذلك إلى أن الله لم يهدها ، ولو هداها لكانت من المتقين .

وهذا القول على مافيه من مغالطة ؛ فإنه يقرر ويبين منزلة التقوى ، وأنها ثمرة للهداية حيث إن الهداية وسيلة إليها ؛ فالتقوى فوق الهداية ، وهذه منزلة تستوقف النظر من أولى الألباب الذين آمنوا .

قال تعالى :

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

سورة الزمر ـ آية : ٥٦ ، ٥٧

ولأن التقوى ذات شأن عظيم ؛ لأخذها بأيدى أصحابها إلى جنات النعيم ، فهى تتطلب من صاحبها جهادا ومجاهدة بالنفس والنفيس ومحاربة للدنىء والخسيس ، ومن أجل هذا لطف الله بعباده ورضيها منهم بقدر الاستطاعة مثل الحج فى الطاعة فهى فوق التصنع والتكلف مادامت من منطق : « الطاعة على قدر الاستطاعة » فالقليل منها كثير بإذن الله ، وهذا هو لطف رب العباد بالعباد قال ـ تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ .

سورة التغابن ـ آية : ١٦

ولمزيد من معرفة فضلها ومكانتها عند الله جعلها ـ سبحانه ـ بعد طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وبعد خشيته ـ عز وجل .

جعل ـ سبحانه ـ كل هذا سببا للفوز برضاه ولنيل الإنسان مبتغاه ، لما أشار ـ فى علاه ـ إلى أن أصحاب الطاعة والخشية والتقوى هم الفائزون ، فإذاً منزلة التقوى أسمى من منزلة الخشية ، مع أن منزلة الخشية منزلة رفيعة ، رفعت منزلة العلماء عند الله حيث يقول ـ سبحانه : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

وها هى سورة النور شاهدة على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ سورة النور ـ آية : ٥٢ .

كذلك فإن التقوى منفذ للخروج من الضيق والأزمات والكروب وكل ما يعكر صفو حياة المؤمن ، يقول ـ جل وعلا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ سورة الطلاق ـ آية : ٢ .

ومن ثمار التقوى التى يجنيها المؤمن أنها تكفِّر السيئات وتعظم الأجر عند الله ، وهى بهذا شقيقة لمجموعة الحسنات التى تذهب السيئات ، كما أشار المولى ـ سبحانه ـ إلى ذلك بقوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ سورة هود ـ آية : ١١٤

من هذا نعلم أن التقوى بمفردها تعمل عمل الكثير من الحسنات فى تكفير السيئات ، وتبرز ذلك ـ جليا ـ الآية (٥) من سورة الطلاق قال ـ تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾

فهذا فيض من غيض أو قليل من كثير ، لبيان منزلة التقوى وفضلها وثمارها للمتقين ، وهى التى تجسد السعادة لمن يريدها ، وتزلل لصاحبها الصعاب من الأمور ، حتى أنها تلين له أمثال الحديد كما حدث لسيدنا داود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وهى خير من المال مجموعا لتحقيق السعادة ؛ بل هى خير الزاد ذخرا عند الله ، والأتقى له المزيد من ذلك عند الله ، ولله در القائل :

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ... وبالتقوى يلين لك الحديد
ولست أرى السعادة جمع مالٍ ... ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيد

جعلنا الله ممن يتقيه حتى يجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا .

السيد عبدالفتاح خضير
مجمع البحوث الإسلامية

إلى السادة الكتاب

على السادة كتاب المجلة أن يتفضلوا فيرفقوا بمقالاتهم :

١ ـ اسم كل منهم مطابقاً تماماً لما تحمله البطاقة الشخصية أو العائلية أو جواز السفر .

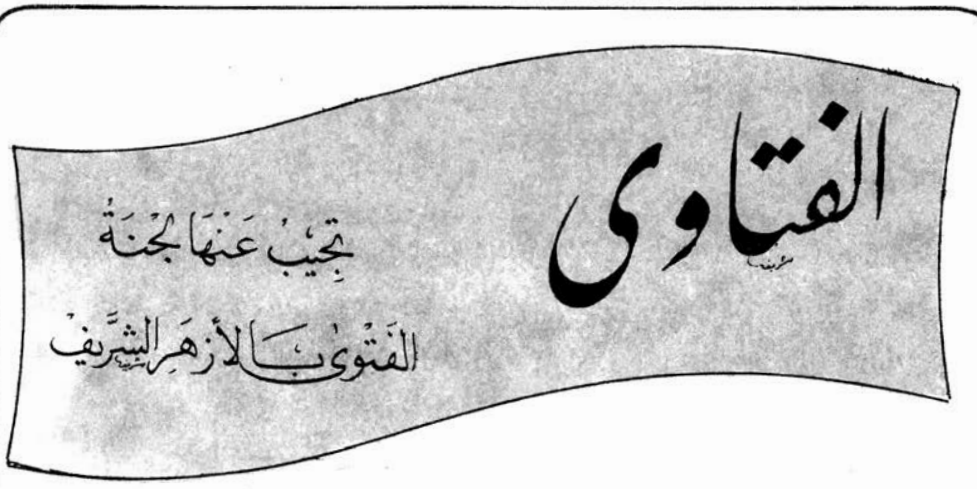
٢ ـ ونوع عمله ، وتبعيته للمصلحة التى يعمل بها ، وإن كان من ذوى المعاشات ينص على ذلك .

٣ ـ يُدَوَّن رقم حسابه الجارى بالبنك مع تحديد أقرب فرع لبنك مصر إليه .

وفى حالة عدم وجود رقم حساب يخطر إدارة المجلة بأقرب فرع لبنك مصر إليه .

هذا ويؤسف إدارة المجلة أن تعلن أن المقال الخالى من هذه المعلومات لن يلتفت إليه ، كذلك ليست المجلة مسئولة عن رده .

رئيس التحرير



إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

توفى رجل عن زوجة ، خمس بنات ، أخوة لأم ، عم شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنات الخمس الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى والباقى للعم الشقيق تعصيبا ولا شىء « للأخوة لأم » لحجبهم بالفرع الوارث والله تعالى أعلم .

●●●●

● **السؤال من السيد / م.م.آ :**

ما حكم الدين فى تقسيم تركة المتوفى والذى تتكون أسرته من الزوجة ، ٦ بنات .
وقد توفى والده ، وله أخ من الأب متوفى له خمسة أولاد : ثلاث بنات وولدين ، وله أخت أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث وللبنات الست الثلثين فرضاً ؛ لعـــــدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخت الشقيقة تعصيباً ، ولا شىء للذكور من أولاد الأخ لأب لحجبهم بالأخت الشقيقة ؛ لأنها صارت عصبة مع الغير ، كما أنه لا شىء للإناث من أولاد الأخ لأب ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

● **السؤال من السيد : و.ع.م. من ميت غمر الدقهلية :**

أنا شاب فى التاسعة عشرة من عمرى وأريد أن أسدد كل دين علىّ ولكنى أحب قراءة الكتب الدينية منذ أن كان سنى (١٢) عاماً ، وكنت قد أخذت بعض الكتب من جدى ومن بعض أصدقائى ولكن جدى مات . وقد تذكرت اليوم هذه الكتب وأنا فى حرج أن أعطيهم هذه الكتب .

فماذا أفعل وهل يحق لى أن أضعها فى مسجد . أفيدونا أفادكم الله ..

الجـــواب :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد .. فقد روى أصحاب السنن عن النبى ﷺ أنه قال : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » ففرض عليك أيها السائل أن ترد هذه الكتب التى استعرتها إلى أصحابها ؛ لتبرأ ذمتك من اتهام ، كما ترد ما أخذته من جدك لورثته بعد وفاته ، فإنها دين فى ذمتك يجب أن تتخلص من تبعتها بردها إلى أصحابها ، ومادام أصحابها موجودين ومعروفين فلا يحل لك وضعها فى مسجد ؛ لأنها لازالت على ملك أصحابها وهم لم يتنازلوا عنها ولم يفوضوك فى وضعها فى مسجد فسارع إلى توصيلها لأصحابها ؛ لتكون توبتك مقبولة ، والحرج الذى تذكره لا مبرر له ولا يعفيك من المسئولية أمام الله ـ تعالى ـ .. والله يهديك سواء السبيل .

والله ـ تعالى ـ أعلم

●●●●

● **السؤال من السيد/ ع.م.ع. من المطرية بالقاهرة :**

هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقداً .. فقد قرأت بحثاً فى مجلة « الأزهر » بجواز ذلك مستنداً إلى حديثين لرسول الله ـ ﷺ ـ فما مدى صحة هذين الحديثين .

وقد حاول شخص أن يزرع الشك فى قلبى بأن هذا غير جائز وأن رجال الأزهر دائماً مختلفين فى هذه المسائل وأن مذهب أبى حنيفة هو القائل بذلك فقط . وأنا فى حيرة وخوف .

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .. فيجوز إخراج زكاة الفطر نقداً بناء على مذهب المالكية والحنفية : جاء فى المدونة الكبرى فى فقه الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن المشهور فى إعطاء القيمة فى الزكاة أنه مكروه لا محرم وقال ابن القاسم وأشهب من المالكية إخراج القيمة مطلقاً فى الزكاة جائز . فإخراج النقود عن زكاة الفطر وعن زكاة الزروع والماشية يجزىء مع الكراهة على قول وبدون كراهة على قول آخر .

أما الحنفية فإنهم يجيزون إخراج القيمة فى كل حال .

أما الحنابلة ، فقد روى أبو داود فى سننه : سئل أحمد عن رجل باع ثمر نخلة قال : عشره على الذى باعه قيل له فيخرج ثمراً أو ثمنه ؟ قال : إن شاء أخرج ثمراً وإن شاء أخرج من الثمن فهذا النقل يدل على جواز إخراج القيمة عند الحنابلة .

استدل الحنفية ومن وافقهم على جواز إخراج القيمة بما يلى :

أولًا قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة**﴾ فهو تنصيص على أن المأخوذ مال والقيمة مال فأشبهت المنصوص عليه .

ثانياً : روى البيهقى بسنده فى السنن الكبرى والبخارى تعليقاً عن طاووس قال : قال معاذ ـ رضى الله عنه ـ لأهل اليمن : ائتونى بعرض ثياب خميص أو ليس فى الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبى ﷺ بالمدينة . ذكر هذا الأثر البخارى فى صحيحه تحت عنوان باب العرض فى الزكاة .

ثالثاً : روى سعيد بن منصور فى سننه عن عطاء قال : كان عمر بن الخطاب يأخذ العروض فى الصدقة من الدراهم أى بدل الدراهم .

رابعاً : روى أحمد والبيهقى أن النبى ﷺ أبصر ناقة مسنة فى إبل الصدقة فغضب وقال : قاتل الله صاحب هذه الناقة (يريد الساعى الذى أخذها) فقال الساعى : يا رسول الله إنى ارتجعتها ببعيرين من حواشى الصدقة فقال : فنعم إذن . فهذا الحديث يدل على أخذ الناقة ببعيرين وهذا إنما يكون باعتبار القيمة فالتحقيق رجحان ما ذهب إليه الحنفية ومن معهم من جواز إخراج القيمة حيث تسندهم فى رأيهم الأخبار والآثار كما يساعدهم النظر والاعتبار

والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« هى لله عندى »

قال الأصمعى : قيل لأعرابى معه ماشية: لمن هذه الماشية ؟

قال : لله عندى .

« إجابـــة مقنعـــة »

سئل سلمان الفارسى ؛ ما الذى يبغض الإمارة إلى نفسك ؟

فأجاب حلاوة رضاعها ؛ ومرارة فطامها .

« جفنـــة .. ومطهـــرة »

دخل سعد بن أبى وقاص على سلمان الفارسى يعوده وهو على فراش موته ، فلما رآه سلمان بكى !!

قال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ لقد توفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض .

فأجابه سلمان : والله ما أبكى جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً .

فقال : « ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وها أنذا حولى هذه الأساور » ويعنى بالأساور الأشياء الكثيرة .

قال سعد : فنظرت فلم أر حَوْلَه إلا جفْنة ومطهرة فقلت له : يا أبا عبد الله ، اعْهَدْ إلينا بعهد نأخذه عنك ، فقال : يا سعد : اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت .

« نصـــيحة »

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

« ما تقول فى الولد ؟ »

دخل الأحنف بن قيس على معاوية ، ويزيد بين يديه ، وهو ينظر إليه إعجاباً ؛ فقال :

يا أبا بحر ، ما تقول فى الولد ؟ فعلم ما أراد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هم عماد ظهورنا ؛ وثمرة

قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ؛ وهم الخلف لمن بعدنا ، فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماء ظليلة ، إن سألوك فاعطهم ، وإن استعتبوك[1] فاعتبهم ، لا تمنعهم رفدك[2] ؛ فيملوا قُربَكَ ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطئوا وفاتك .

فقال : لله درك يا أبا بحر هم كما وصفت .

« الدنيا .. وعداوتها »

قيل : إن الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله :

فأما عداوتها لله ؛ فإنها قطعت الطريق على عباده ، ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها ولو نظر إليها ما سقى الكافر منها شربة ماء .

وأما عداوتها لأولياء الله ؛ فإنهم لما تزينت لهم ، نصبوا كل النصب فى محاربتها ؛ فما وصلوا إلى الله إلا بعد حرب فتجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها .

وأما عداوتها لأعداء الله ، فقد تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهوها ونضارتها ففتنوا بها وعولوا عليها فاجْتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد وحق عليهم غضب رب العباد .

« أعرابية ترثى أباها »

وقفت أعرابية على قبر أبيها وقالت :

يا أبت إن فى الله عوضاً عن فقدك وفى رسول الله ﷺ أسوة من مصيبتك ، ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك خالياً مقفراً من الزاد ، محسوس المهاد ، غنياً عما فى أيدى العباد ، فقيراً إلى ما فى يديك يا جواد ، وأنت أى رب خير من نزل به المؤملون ، واستغنى بفضله المقلّون ، وولج فى وسع رحمته المذنبون ، اللهم فليكن قِرى عبدك منك رحمتك ومهادُهُ جنتك ، ثم بكت وانصرفت .

« أتدرى من أنا »

خرج الحجاج مرة ، فلقى أعرابياً .

فقال له : كيف سيرة الحجاج فيكم ؟ فشتمه أقبح شتم .

فقال : أتدرى من أنا ؟

قال : ومن عسيت أن تكون ؟

قال : أنا الحجاج ، قال : أو تدرى من أنا ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مولى بنى عامر أجن فى الشهر مرتين ؛ هذه إحدادهما ؛ فضحك وتركه .

« لكنت مكانى وأنا مكانك »

دخل أعرابى على يزيد بن المهلب ، وهو مضطجع على فراشه ، وعنده الكثير الناس .

فقال : كيف أصبح الأمير ؟

فقال يزيد : كما تحب أن يكون .

فقال الأعرابى : لو كُنتَ كما أحب لكنت أنت مكانى ، وأنا مكانك !!

« دعاء »

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

(١) استعتبوك : طلبوا منك الرضى .

(٢) رفدك : عطاءك .

«أذن بلال»

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

أَذِّنْ بِلَالُ فكلّنَـــــا أسماعُ ... أَذِّنْ فصوتُكَ صَحْـــوَةٌ وشُعَـــاعُ
أَذِّنْ بِلَالُ لتَسْتَفِيـــــقَ مواكبٌ ... ضَـــاعَتْ هَوِيَّتُهَـــا وطَـــالَ ضَيَـــاعُ
أَذِّنْ بِلَالُ لَتَسْتَنِيـــرَ حَمِيَّـــةً ... عَبَثَتْ بِهَـــا الشَّهَـــوَاتُ والأَطْمَـــاعُ
أَذِّنْ لتجمـــعَ أمـــــةً مَغْلُوبَـــــةً ... تُشْرَى هَوَيـــةُ قَوْمِهَـــا وَتُبَـــاعُ
سَكَنَتْ إلى الدنيا وما الدنيـــا سِوَى ... لَهْـــوٌ يُدَاعِبُ جَفْنَهَـــا وَمَتَـــاعُ
الغَيْـــمُ بدَّدَ شَمْلَهَـــا وأَضَلَّهَـــا ... فَعَلَـــى العُيـــونِ سَحَـــائِبٌ وقِنَـــاعُ
والضَّيْـــمُ أَرْهَقَهَـــا وزَيَّـــفَ فِكْرَهَـــا ... فَخَبَـــا لديها الفكـــرُ والإِبْـــدَاعُ

• • •

قَالُـــوا :هو التَنْويـــرُ ضَلَّتَ أمـــةٌ ... يَسْرِى الضلالُ بفكْرِهَـــا ويُـــذَاعُ
قالـــوا :هو التَنْوِيـــرُ تَاهَتْ أمـــةٌ ... الحقُّ فيها تَائِـــــــهٌ ومُضَاعُ
وحَكايَـــةُ التَنْويـــر جاءتْ بِدْعَـــةً ... للغَـــــرْبِ فيها مآربٌ وخِـــدَاعُ
قَصَدُوا بِهَـــا بَتْـــرَ الجُـــذُورِ ليأمَنُـــوا ... شَرَّ الـــعُصُونِ فَلَا يَطُـــولُ ذِرَاعُ
وسَعَـــوْا إلى طَمْسِ التُـــرَاثِ وزُيِّـــفَتْ ... للأَقْدَمِيـــنَ صَحَائِـــفٌ ورِقَـــاعُ

• • •

تَنْويـــــرُ هَلْ للنُّـــــورِ إلَّا مَصْدَرٌ ... تَسْمُـــو به الأَبْصَارُ والأَسْمَـــاعُ
تَنْويـــرُ هَلْ للنُّـــور إلا مَنْبَـــعٌ ... يَسْرِى بدَفْقَتِـــهِ حِجـــاً ويَـــرَاعُ
النُّـــورُ فى الذكْـــرِ الحكيم به ارتـــوى ... عَبْـــرَ القُـــرون خَلَائِـــقٌ وبِقَـــاعُ
النُّـــورُ فى الهَـــدْيِ الكريـــمُ لأَحْمَـــدٍ ... وبـــه اقْتَـــدى الخُلَفَـــاءُ والأَتْبَـــاعُ
النُّـــــورُ فى الإِسْلَامِ لَيْسَ بغيره ... يُرْجَـــى التَّقَـــدُمُ بيننـــا ويُشَاعُ
أَذِّنْ لِتُـــرْشِدَ فى العُبَّـــاب سِفينَنَـــا ... ويَسُودَ فى بَحْـــرِ الحَيَـــاةِ شِرَاعُ
أَذِّنْ فقـــد كَثُـــرَ العُـــدَّاةُ بأرضنـــا ... وتَكَاثَـــرَتْ بين الجيَـــاعِ سِبَـــاعُ
فعَسَى يشـوبُ الغافلـون من الكـرى ... ويَطِـيبُ لِلَّحْـنِ الـوَضِيءِ سَمَـاعُ
أَذِّنْ أَرِحْنَـــا فَالـــدُّرُوبُ تشَابَـــكَتْ ... ليشعَّ فجـــرٌ صَادِقٌ وشُعَـــاعُ

فضل الشيخ

للشاعر : عبد الستار محمد سليم

كفى بك نعمة حب القلوب ... وحسبك أن ذكرك نفح طيب
وحسبك أن تكون كنور عين ... وكالدم فى العروق .. وكالوجيب

وحسبك أن قلبك ـ حين يحنو ـ ... طويل الباع ، منقطع الضريب
فليس الناس كلهم سواء ... وليس الصبح كالليل المريب

وليس الخيّرون كمن سواهم ... وليس العود كالغصن الرطيب
هديت المارقين ومن أضلوا ... وما عانيت من مس اللغوب

كأنك للمشاكل كف آس ... ومنك لحلها لبُّ الأريب
فصاروا .. رأبهم من غير صدع ... وداؤهمو يُطبُّ بلا طبيب

فطوبى للذى يهدى ذويه ... لخير .. فى الشبيبة والمشيب
فيا للقاك من وجه بشوش ... ويا لرضاك من صدر رحيب

كريم الطبع شيمتك التفانى ... فيا لرضاء علّام الغيوب
وإن محبة الإخوان فضل ... فقرّى يا عيون بها وطيبى
وإن حكت المناقب فاعليها ... حكتْك مناقب الشرف النجيب

فمهما كنت فى بعد بعيد ... فمنّا أنت فى قرب قريب
جزاك الله عنّا كل خير ... لكل شروق شمس أو غروب

عاشق الأزهر

شعر. محمد عبد الفتاح حمادة

أنـــا شيـــخ معمَّـــم رغـــم أنى ... أرتـــدى كارهـــاً ثيـــاب (الأفنـــدى)

أعشق الأزهـــــر الشريـــــف قديما ... وحديثـــا ونحو عمّـــرٍ وزيـــد
والحواشى الصفـــراء وَهْـــى بحق ... قلعـــة الفكـــر والثقافـــة عنـــدى

رحـــم الله كل صـــاحب متـــن ... كل شيـــخ إلى الفضيلـــة يهدى
أنـــا شيـــخ معمـــم أزهـــرى ... وحـــريص على الوفـــاء بعهـــدى

• • •

اسألـــوا القبلـــة العتيقـــة عنـــى ... وهـــى أدرى بما تحمـــلت وحـــدى

ها أنـــا طالب فقير ولكـــن ... عشت فى عفـــة وتقـــوى وزهـــد
قانعـــا بالطعـــام فولا وعـــدسا ... كل يوم ومـــا شكـــوت لعبـــد

ولـــو نمنـــا على حصير قديم ... أنـــبت الشوك فى عظامـــى وجلـــدى
وبرغـــم الصعـــاب لم أك يومـــا ... خَامـــل الذهـــن ذا قنـــوط وحقـــد

أسهـــر الليـــل باحثـــا فى دروسى ... صامـــد العـــزم فى طمـــوح وجـــد
بين فقـــهٍ وسيرة وحـــديث ... وبديـــع من البيـــان ونقـــد

وعـــروض سبـــقت فيـــه رفـــاق ... فكـــأن الخليـــل قد كان جَـــدى
لغـــة الضاد فى حِمَـــاه استقـــرت ... واستقـــامت على نهوض ومجد

دراسة عن ديوان

صدى الأيام

للدكتور الشاعر/ محمد رجب البيومى

للشاعرة/ جليلة رضا

ما كدت أنتهى من قراءة ديوان « صدى الأيام » للشاعر الدكتور محمد رجب البيومى حتى اعترت كيانى كله وعكة مفاجئة ، أعقبتها رعشة قلق غريب ، وما لبثت أن عرفت مصدرهما الحقيقى ..

فقد كان الديوان وجبة كاملة دسمة من الوجد المشبوب والهوى الدفَّاق . إن الديوان بلا شك ينسف ، بل يفجر خلايا عقول الشاب الظامىء إلى المعرفة .

لقد ساهم الشاعر محمد رجب بيومى فى كثير من الأحيان فى وصف جمال الطبيعة . كما كان له عدد من القصائد فى الدين . وقبل أن أبدأ دراستى لديوان « صدى الأيام » للشاعر أحب أن أقول : أن أول ما لفت نظرى فيه هو تلك اللغة العربية السليمة الرفيعة ، فالشاعر يجيدها كل الإجادة ، بطبيعة عمله ومؤهلاته إنها لغة سليمة فى أوزان أسلم .. وتلك هى مقومات الشعر فى صياغته ثم نأتى بعد ذلك إلى الشعر نفسه فنلاحظ أن الشاعر مرهف الإحساس إلى حد بعيد ، ذو فطنة وضاءة وذكاء فريد ، فمن الطبيعى إذن أن يكون شعره عميق التصوير ، عميق التفكير .

فقارىء الديوان يخرج من أغلب قصائده بفلسفة إن تكن قيمة فهى أيضا سهلة الطريق الى العقل والقلب معاً .

ولنبدأ أولا فى عرض بعض القصائد المتنوعة فى الديوان حتى نستطيع بعد ذلك التفرغ لقصائد الوجدان ، وقصائد الطبيعة أولى بالعرض فى الحقيقة ، فالطبيعة عند صاحب الديوان لها سحر أخّاذ . إن كل شيء فيها يتكلم ! كل شيء له عوالمه الخاصة . فالمعانى والمناجاة والأسباب والصفات والأحاسيس الدفينة حينا ، والظاهرة أحيانا ، كل هذه كنوز تمتلكها الطبيعة ، ويستغلها الشاعر فى أكثر من قصيدة ، فيكشف لنا عن دنياها ويشاطرها الحوار ، ويمتثل للأعذار ويعدد فضائلها ويسجل مشاعرها بيقظة فنان واع ، مدرك ، وبخيال شاعر حالم .

ففى قصيدة « إحساس النبات » يبين الشاعر كيف يحس النبات ويشكو قسوة المخلوق الى الخالق ، حيث يعيث صديق الشاعر فسادا فى أحد غصون شجرة التوت ليلتهمه ، وكيف أن الغصن بعد قليل أسقط ثماره فوق الشاعر الرقيق المشفق على الشجرة وكيف أن الطائر فى شدْوه بدا وكأنه يواسى جراح الغصن الذى ينام هو فى حضنه فيقول الشاعر مخاطبا صديقه :

صحت فى وجهه جنيت عليه ... آثما . فانتظر عقاب الجانى
قال لى صاحبى ولج به الغيظ ... فأزرى بمنطقى وبيانى
أى هزل تقول دون اكتراث ... هل يحس النبات كالإنسان
ومضت ساعة فهب نسيم ... لامس الدوح كالرفيق الحانى
فاذا الغصن يسقط التوت فوق ... دونه .. وهو لاصق متدانى
قلت ياصاحبى ملكت دليلى ... إذ بدا الحق واضحا للعيان
أدرك الغصن رأفتى وحنانى ... فحبانى ببره ورعانى

ثم يكمل القصيدة موضحا عاقبة العبث والتجنى

ارحم الغصن لا تنله بسوء ... قد يحس النبات كالإنسان
واستمع للحفيف منه تجده ... قام يشكو الإنسان للرحمن

إنه هنا الشاعر الرقيق الذى يرى مالا يراه الانسان العادى .

إنه المتلقى عذوبة الجمال بإحساس متألم وبفكر صاخب .. فهو الذى يقول فى قصيدة « معانى النهر : »

أرى المنظر المألـوف يملأ خاطـرى ... ويرمى بنفسى فى شعاب من الفكر
تطالعنى من وجهـه ألـف صورة ... وتهمى معانيـه دوافـق كالقطـر
وأغمض عينى عنه أوثـر بعـده ... ليهدأ شيئـا مايجيش به صدرى
ويكربنى فكـرى فأرفـع راحتـى ... إلى الله فى عليائه شاكيـا أمـرى

إذن فالمنظر المألوف يملأ خاطر الشاعر بشحنة من الفكر سواء كان غضنا أو طيرا أم نهرا حين يكمل قصيدته :

أمـر على نهر يجاور منـزلى ... وليس جديدا طارفـا رؤيـة النهر
فيهدر طوفـان المعـانى بمهجتـى ... ولا كهديـر الماء فى لجة البحـر
أخال صفـاء الماء فى النهر رائقـا ... سرائر أحبـاب تلاقت على طهـر
ويكـدر فى بعض الأحايين وجهـه ... تقلب وجه المرء فى الحزن والبشر
فتحسبه يبـدى امتعـاضا لما يرى ... ويسمـع بين العـالمين من الغـدر
يهز النسيم الطلـق سلسال مائـه ... فيرقص منه اللج فى مشهد يغرى

* * *

ثم يرسل الشاعر عينيه نحو المروج التى تحيط بالنهر وهى مختالة فى غلائلها الخضر فيهتف :

فأغصانها الدنيـا فواكـه جنـة ... وأفنـانها العليـا منابـر للـطير
ولـولا اختيـال النهر فى جذبـاتها ... لقد أصبحت جرداء كالمهمه القفر
كأنى به فى صمتـه متحـدث ... بأفصح ما يومى البليغ من الفكر
يقول توخ الخير ما اسطعت جاهـدا ... ولكن بلسما للجرح يذهب بالضر
ألا ليتنـى ماء مع النهر دافـق ... فأجرى بإسعـاد الأنـام كما يجرى

وهكذا يمضى الشاعر محمد رجب البيومى فى شعر سلس مغداق كالنهر ، دافىء كالشمس ، عطر كالروض . يمضى فى قصائده المسترسلة فى (كلاسيكية) حبيبة سهلة ، مركزه التعبير ، ناعمة الأخيلة ..

وللشاعر فى ديوانه بعض القصائد القصصية الطريفة ، التى توحى بإجادته هذا النوع من الشعر . ومن أهم ما يتوقف عنده القارىء أيضا تلك القصائد التى يظهر فيها الشاعر على حقيقته أوقات مللـه وقلقه .

عندما يلتفت حوله فلا الدار مأوى راحته ، ولا الطريق ممر خطواته ولا الصديق مؤنس وحشته ، عندئذ كل شيء يبدو أمامه تافها هزيلا . إنها أحاسيس الفنان الأصيل وهى ضريبة الشاعر عبر عنها فى كثير من قصائده كما فى قصيدة « القلق المجهول » :

يزلزلنـــى بعض الأحـــايين كارب ... من الضيق لكـن لست أعلـم مأتـاه
فأشعـر أن السقـف يهبـط من عل ... فيكظـم أنفـاسى وتشتـد بلـواه
وإنى محتـاج لعاجـــل نسمـــة ... تفك اختناقـا ليس تحمـد عقبـاه
فأسرع للأرض الـــــفضاء كأنما ... أرى فى الفضاء الرحب مالست أخشاه
ثوى الضيق فى الأعماق منى فإن أكن ... تجاهلتـه وقتـا ففـى النـفس مأواه
فأيـــن هروبى منـــه وهـــو بداخلى ... أسير فيبـــــدو أو أقيم فألقـــاه

وهكذا اقترب بالمعنى ، بل تلاحم مع بيت من قصيدة المرحوم الشاعر إبراهيم ناجى حين قال :

أيـــن يمضى هارب من دمـــه ؟

ويكرر الشاعر محمد رجب البيومى نفس المشاعر فى قصيدته « هروب » :

أخلو وحيدا بدارى فما يقر قرارى ... أحس مادمت فيها لذعا كلذع النار
حيران أسأل عمـــا به يتـــاح قرارى ... فان تسنى سبيل هربت دون انتظـار

وها هو ذاقد هرب من داره فهل عاد اليه صفاؤه ؟

هربت لا لحبيب تشتاقـــه أنظـــارى
هربت لا لصديـق أبـــدى له أسرارى
هربت لا لحديث فى ندوة السمَّـــار

إنه هرب إذن إلىّ لا مكان حيث كل المرئيات أمامه بلا معنى أو جمال :

أسير دون اتجاه مبلبل الأفكار — الكون حولى جميل ومقلتى فى ازورار
والنهر عاص بعينى رغم التمير الجارى — إن تكدر النفس يوما فالكون ذو أكدار

ويعود الشاعر الى بيته حاملا قلقه معه .

أمضى وأمضى ما ما تعبت يممت دارى
أظل فيها وحيدا فما يقر قرارى
مأساة قلب وحيد تزداد بالتكرار

ويفكر الشاعر .. أليس العلم هو سبب حساسيته وتألمه ؟
إذن فالجهل نعمة يتمناه ولا أظنه أبدا يرضى به .

لا تطلبن العيش فى كنف الحجا فالعقل محنة
تزداد تعذيبا لنفسك كلما تزداد فطنة
لا ترتضى غير الكمال ودونه وخز الأسنة
فإذا تعذر عفت طعم العيش واستحقرت شأنه
وأخو الجهالة سابع الخطوات منطلق الأعنة
دع جهله يحميه من كيد النهى فالجهل جنة

نأتى بعد ذلك إلى بعض القصائد الهجائية والتى فيها من الدعابة والطرافة مثل « صديق الأمس » و« خطيب » وغيرها ما يدل على كراهية الشاعر للنفاق والخداع كما فى « مسرح التمثيل » فكل شىء غير طبيعى فى الحياة يضايق الشاعر حتى « رباط العنق » أنه يريد أن يحيا كما هو لا كما تفرضه التقاليد البالية واجبه هو ضميره ولذلك سجل تباريح آلامه وبسمات آماله عارية إلا من الصدق وبلا رتوش أو مساحيق .

أنه رجل بلا قناع . لا يحب الزيف والتغرير وتلك صفة من أهم صفات الفنان .

ولا يفوتنى فى سياق المقال تلك القصيدة القصيرة الطريفة التى تذكرنا بالشعراء القدامى وعنوانها « تذكر » :

ولقد ذكرتك والمشارط فى — كف الطبيب تذيقنى الويلا
ويداه ترتعشان أرعِدَتا — خوفا فحير خوفه الأهلا
ودمى تساقط من يديه وعن — يمناه أمى زلزلت هولا

وأبى يتـــمتم بالدعـــاء ومـــا ... ينـــفك يسأل ربـــه المولى
وأخـــى وأختـــى ساهمان أسى ... وكـــلاهما يصلى الـــذى يصلى
ويقـــول قومـــى ماتراه به ... فأقـــول مشتـــاق إلى ليلى

وكذلك لى أن أشير أن الشاعر يميل إلى أبحر معينة فى شعره ، فأكثر من النظم فيها حتى ليكاد القارىء يحس ذلك ولولا الجدة والتنوع وجمال التصوير وصدق المشاعر لشعرنا بملل ورتابة .

ولا يفوتنى إن أذكر قبل إن أصل إلى نهاية المقال قصائد « أبى » و « أبو العلا » و « الأديب المدرسى » و « الحر فى رمضان » وكلها أدراج تتصاعد وتنتهى إلى القمة حيث تتربع قصيدة « مستقبل طفل » التى يختتم بها هذا الشرح . واستطيع أن أقول إن هذه القصيدة هى خلاصة حياة الشاعر الدكتور محمد رجب البيومى صاحب ديوان « صدى الأيام » ولذلك أرى لزاما أن نعطيها الكثير من التأمل المؤدى بنا إلى تفهم الشاعر .. حياته ومشاعره .

لم ألـق طفـلا بائسا إلا ذكـرت طفولتـى ... وعـرفت محنتـه التـى نهضت تطابـق محنتـى
ورحمت شقوتـه وإن لم يستفـد من رحمتـى ... أسفى عليـه مؤرق إذ بات يعـرض صورتى
ولعلـه فى عمـره البـاق يجدد سيرتى ... فيفلسف الأشياء فلسفة تماثل حكمتـى
يرنـو ليسبر كل شبر فى الحيـاة مبـيت ... يلـج المسارب فى النفوس ويستضىء بخبرتى
فيرى رياء الـذل يفصح عن ضمير ميت ... ويـرى الإباحـى استعـار عبـاءة المتـزمت
تطغى عليـه شجونـه والموت إن لم يكتب ... ويبيـده فرط الشعـور كما أبـاد شبيتـى
يشقـى ويـألم مستميتـا فى ترسم خطـوتى ... فيصاب من حقد الوصوليين مثل مصيبتـى
وتطـول ليلتـه عليـه كما ترامت ليلتـى ... إن ضاق ذرعـا صباح وارباه طالت حيرتى
ويسوق أسئلـة تمر بلا جواب مسكت ... فاذا دهتـه منيـة وافتـه مثـل منيتـى

إنى شرحت حياتـه سلفـا لأشرح قصتـى

وأخيرا .. وبعد هذا الشرح المستفيض لديوان « صدى الأيام » للدكتور محمد رجب اليومى أرى أنه ترجمة صادقة لحياته . لا أثر فيها للتكلف إنه انفعالات نفسية لما واجهه الشاعر من أحداث الزمن خيرها وشرها .

والديوان فى جملته طاقة شعرية وثابة تنم عن موهبة شاعر وإحساس فنان يمتاز بالنضج وقوة التعبير .

فشكرا للشاعر الذى أثرى مكتبتنا العربية بهذا الديوان الحافل بكل ما هو جديد طريف ونبيل شريف ، إلى جانب ماله من تراث إنسانى ضخم فى البحث والتأليف .

من أعلام الأزهر

المؤرخ الملتزم

محمد صادق عرجون



لا تصدق عبارة (الأسلوب الرجل) كما تصدق على العالم الأديب المؤرخ محمد صادق إبراهيم عرجون ؛ ففى أسلوبه ما فى شخصيته من فحولة وشجاعة وقوة ، وأنت إذا كنت تعرفه وألممت بصفاته ، ثم قرأت أثرا من آثاره وجدت الرجل مُصورا فيما كتب، لقد كان الأستاذ ذا حمية مخلصة ، وغيرة ملتهبة تلمسها فى حديثه كما تراها فى بريق عينيه ، وتوهج ملامحه . فإذا قرأت له موضوعا جدليا مما خاض فيه مع من يخالفهم الرأى تمثلت لك هذه الملامح فيما تقرأ ، فتجزم بأن الأسلوب الرجل .

للدكتور محمد رجب البيومى

لقد درس الأستاذ بالأزهر ، ونال درجة العالمية سنة ١٩٢٩ م ثم درجة التخصص القديم سنة ١٩٣٥ م وعين مدرسا بالأزهر فأستاذا بالكليات فشيخا لعدة معاهد فمديرا للتعليم الأزهرى فعميدا لكلية أصول الدين ، وهو فى أدوار حياته طالبا ومدرسا ورئيسا ذو شخصية مرموقة ؛ لأنه عشق الأدب صغيرا وعين مصححا بالأهرام طالبا ، حتى إذا درج فى مرجلة التعليم العالى عرفه القراء كاتبا شاعرا فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية . وعرفته دار جمعية الهداية الإسلامية محاضرا بين الكبار من أئمة التوجيه الدينى فى عصره ، ورئيس الجماعة حينئذ أستاذنا الكبير الشيخ محمد الخضر حسين ، وقد اعترف الأستاذ عرجون بأستاذيته المثمرة حين خصه بالود والنصيحة العلمية والتوجيه الأدبى ، كما اعترف بأستاذية العالم الكبير الشيخ إبراهيم الجبالى الذى تشبع بأسلوبه العلمى كاتبا ومفسرا ومحدثا ، وإذا تعددت نواحى الثقافة العلمية لدى الأستاذ ، فإن امنبعها الرائق فى كتب التراث ومحاضرات الأساتذة بالأزهر ، ومشكلات العصر الاجتماعية والسياسية التى دفعت الطالب الناهض إلى المشاركة بالرأى فيما يقرأ ويسمع ... كل ذلك قد فرض عليه اتجاها قياديا فى التفكير كاتبا .. وفى السلوك إنسانا ، وهو اتجاه المسلم المتحمس الغيور ، الذى يستطيب المجالدة فى حومة الرأى . ويلجُ أدق المعضلات الشائكة غير هياب وإذا كانت هذه السمات الفكرية قد اتضحت على نحو ما فى مؤلفاته الكثيرة ، فقد ظهرت فى أكمل معارضها وأدق مناحيها فيما كتبه فى موسوعته الرائعة عن رسول الله ﷺ ذات المجلدات الأربعة الحافلة ؛ حيث كانت معرضا للصيال الذهنى المتوثب ، كما سنشير إليه عن قريب ..

تخرج الأستاذ صادق فى قسم التخصص الخاص بدراسة البلاغة والأدب ، فاتجهتْ همته حينئذ إلى الدراسات الأدبية وحدها ، وكانت مجلة الأزهر منبره الذى أذاعَ منه آراءه الأدبية فى مسائل هامة كانت هى الشاغل الأكبر لكثير من أدباء هذا العهد ؛ لأن كِتاب الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين قد أثار خواطر كثيرة حول اللّغة العربية فى العصر الجاهلى ، وقد عارضها الكثيرون ممن نقدوا آراء الدكتور طه حسين فى كتب ذائعة ، ولكن صادق عرجون رأى أن يتحدث عن بعض هذه النقاط فى مقالات مركزة بحيث لا تقتصر على ما أثاره صاحب الأدب الجاهلى بل تتعداه إلى ما يتسع له المجال من الموازنة والنقد والتقدير ، وقد توالت مقالات الأستاذ تتحدث عن البيئة وأثرها فى الشعر الجاهلى وعن أدب الحضارة وأدب البداوة ، فوفق كثيرا فيما علّلَ به قلة الأدب الحضارى فى بلاط المناذرة بالعراق ومحافل الغساسنة بالشام ، وقارن بين قصائد العصر العباسى المتحضر وقصائد العصر الجاهلى المتبدِّى مقارنة تعتمد على النصوص الشعرية المتعارفة ، ولَعَمْرِى إن هذا المجال مما تضيق به عدة مقالات سريعة ، وكان الأولى أن يتسع مداه فى كتاب حافل ، ولم تمر مقالات الأستاذ مرورا عابرا ولكنها وجدت من يتعقبها

بالرد والمناقشة ، وأذكر أن الأستاذ تحدث عن الحياة الأدبية عند العرب فى مقال ضاف ، ينتهى إلى ما يؤكد قوة التفكير لدى العربى الجاهلى ووجود أدب راق فى هذه الحقبة ؛ إذ ليس من المعقول أن توجد حضارة فى اليمن والعراق والشام ثم لا ينبعث عنها أدب حى ، أما هذا الأدب فقد ضاع وفقد كما ضاعت آلاف القصائد ، وقد علق الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى على مقال الحياة الأدبية عند العرب ، بما يخالفه ، ذاهبا إلى أن القول بأن الارتقاء الفكرى عند الجاهليّين يُنافى ما ثبت من الأمية الضاربة بين ظهرانيهم ، ومؤكدا أن هذه الفكرة فى أصلها منبعثة من صحف الاستشراق ولأصحابها كيد خفى ؛ إذ أنهم بتقريرهم هذا الارتقاء المزعوم ، يحاولون أن يضائلوا من بريق الإسلام باعتباره منبثقا عن هذا الارتقاء بمعنى أن تعاليمه الراقية كانت صدى لهذا الفكر المتوثب ، وأن صاحب الرسالة وجد النفوس مهيأة للدعوة الجديدة بفضل هذا الارتقاء ، فأقبلت على الإسلام هاتفة مرحبة ، وهذا ما يخالف الواقع المتعالم ؛ إذ لو صَدق هذا الزعم ما وَجَد الرسول ﷺ هذه المعارضة الحادة لدينه ، ولما تعرض أتباعه للتعذيب الرهيب والمقاطعة الصارمة حتى كان قتله مُبيَّتاً لدى أعدائه من المشركين ، فأين هو الارتقاء الفكرى الذى بعث على تقبل الإسلام فى سهولة ويسر ؟! ولماذا كانت الحروب الدامية فى بدر وأحد والخندق وحُنين والطائف وتبوك إذا كانت نفوس العرب قد تهيأت لنور الإسلام ! هذا لباب ما قاله الأستاذ محمد فريد وجدى ، وقد كتب الأستاذ عرجون ردا ضافيا يشرح وجهة نظره ويؤيد دعواه ، ولكن الأستاذ وجدى وهو رئيس التحرير قد طوى الرد مكتفيا بتعليق موجز قال فيه : إن كلا الرأيين قد وضح للقارىء فيما كتب الناقد والمنقود ! ولم يرض الأستاذ عرجون بهذا الاكتفاء ، فأفرد كتابا مستقلا يتضمن النقاش بدءا وخاتمة ، وتلك شجاعة نعهدها فيه ؛ لأنه لا يسكت عن تقرير منحى يؤكده ويرتضيه ، ثم والى كتاباته الأدبية بمجلة الأزهر دائرة حول الأدب العربى ومناهجه ومقرراته فى الأزهر والجامعة ، وما ينشده من وسائل الإصلاح لترقية اللغة العربية وأدبها فى العاجل القريب ، وكان المظنون لدى من قرأ هذه الفصول الجيدة فى عالم الأدب العربى أن الأستاذ سيمتد فى بحوثه الأدبية إلى مدى يشغله حينا من الدهر ، ولكن الأستاذ ترك البحوث الأدبية الخالصة إلى ميدان آخر هو ميدان التاريخ الإسلامى فكيف تهيأ ذلك له ، ولم تكن المقدمات الأولى دَالة عليه ؟ إن نبوغ الأستاذ فيما دونه عن رجالات العهد الأول فى الإسلام وذيوع آثاره فى هذا النطاق على نحو ممتد جعلهُ علماً مرموقاً بين مؤرخى هذا العصر الكريم ، هذا النبوغ البارز يدفعنا إلى تعليل هذا الاتجاه بدءا ثم محاولة الإلمام ببعض ما امتاز به من السبق الميمون .

كان الأستاذ يدرس لنا التفسير بكليّة اللغة العربية وكنت أحادثه كثيرا فى نتاجه العلمى فعرفت منه سر اتجاهه إلى تحليل الشخصيات اللامعة فى صدر الإسلام إذ حدثنى أنه قرأ كتاب قادة الفكر

للدكتور طه حسين فوجده يرجع التقدم الفكرى إلى الثقافة اليونانية ويتجاهل ما عداها من الثقافات السابقة وفى طليعتها الثقافة المصرية التى أثبتت نصوصها المدونة تأثر هومير بأقاصيصها ، وقد نوقش الدكتور فى رأيه مناقشة جادة ولكنه لم يبال بالرد على معارضيه ! يقول الأستاذ صادق عرجون لقد وجدت النقاش يدور بعيدا عن الدائرة الإسلامية ، فلم يُشر أحدٌ إلى تتابع الدورة الثقافية شرقا وغربا . وإلى أن هذه الدورة قد انتهت إلى الفكر الإسلامى ، فأحدثت أثرها القوى فى تاريخ الفكر الإنسانى . فقلت فى نفسى إن الضرورة ملزمة بالحديث عن قادة الإسلام وأثرهم فى تحرر الفكر الإنسانى وإذا كان عظماء الصدر الأول من رجالات الإسلام قد جمعوا بين السياسة والفكر أى أنهم أخضعوا الفكر النظرى إلى الميدان العملى فصدروا فى أحكامهم واتجاهاتهم عن شريعة ذات هدف إنسانى ! فإن زعماء هذا العهد قادةُ فكرٍ بهذا المعنى ! وإذا كان الدكتور طه حسين فى كتاب (قادة الفكر) قد اعتبر الحاكم الرومانى الشهير (يوليوس قيصر) أحد قادة الفكر الإنسانى مقرونا بسقراط وأفلاطون وأرسطو ، فلماذا لم يكن مثل عمر بن الخطاب من أعظم قادة الفكر الإنسانى ،

وقد مارس تطبيق الشريعة الخالدة ممارسة المفكر المجتهد الحصيف ، وأبدى من الآراء فى قيادة الدول وصلاحية المجتمع وتحقيق مبادىء الإنحاء والحرية والمساواة ما ارتفع به عن مستوى فلاسفة الإغريق لأن هؤلاء قد قالوا كلاما وقرروا قواعد ثم انتهى دورهم الفكرى حيث رقد فى بطون المجلدات ، أما عمر فقد التزم بأصول الشريعة التزام المفكر المجتهد العالم فى سياسته العامّة والخاصة ، وله زملاء من الصحابة شاركوه الرأى والتنفيذ وهؤلاء جميعا نماذج ممتازة لقادة الفكر الإنسانى قبل أن يكونوا نماذج ممتازة لقادة الفكر الإسلامى الذين تخرجوا من مدرسة محمد ﷺ ! بهذه النظرة انتقلت إلى دراسة رجال الصدر الأول من تاريخ الإسلام . وكتبت المقالات المتتابعة تحت عنوان « قادة الفكر فى تاريخ الإسلام » مبتدئا بالفاروق عمر بن الخطاب .

هذه خلاصة لحديث متشعب سمعته منذ أربعين عاما ، فشاقنى أن أرجع إلى هذه الفصول القيمة التى أشار إليها الأستاذ وقد بدأها فى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق لسنة ١٩٣٩ م بمجلة الأزهر فافتتحها بمقدمة حافلة تتحدث عن سابقة الفكر الإنسانى فى عهد اليونان والرومان والإسكندرية ، فأوجز ما اتسعت له المؤلفات الكبيرة إيجاز الملم المركز حتى انتقل إلى فجر الإسلام فقال عن عهده الزاهر .

كان الفكر قبل الإسلام فلسفيا فى كنف الفلسفة ، وتشريعيا فى كنف الفقه والتشريع ، وسياسيا فى بيئة السياسة ، واجتماعيا فى ظل الاجتماع ، فلما جاء الإسلام احتضنه وأعظم شأنه وجعله المهيمن على منافذ الحياة كلها ، والإسلام دين فلسفة وتشريع واجتماع وأخلاق يسمو بالفرد والجماعة عن طريق تكميل خصائصهما الطبيعية ؛ فكان مجال الفكر فيه أرحب مساحة وأوسع مدى وأقرب غرضا وأجمع لمناحى الوجود ، فهو فى ظل الإسلام سياسى تشريعى واجتماعى خلقى وفلسفى

علمى ، غير أن حيوية الإسلام القاهرة جعلت من روحه قوة مسيطرة على الفكر تُسَدِّدُه فى سيره فأخذته بالتربية المتدرجة بعد أن أحاطته علما بسمو حقيقته .

إلى أن قال (وسأحاول أن أصور مراحله الإسلامية فى أشخاص قادته فى تاريخ الإسلام غير متقيد بتاريخ زمنى[1] .

وفى هذا النطاق كتب الأستاذ فصولا مسلسلة عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله ابن مسعود ، وللكاتب بيان آسر واطراد متدفق لا تلمح به فجوة أو تشينه مبالغة ، وقد يكون مكتفيا بالخطوط البارزة عن غيرها من المسائل التى تتشعب وتمتد ، وعذره أنه كاتب مقالات ، لا صاحب بحثٍ مستقل فى هذه الفصول ، أما البحث المستقل المستوعب حقا فقد تجلى فى كتابيه الرائعين عن (عثمان بن عفان) و (خالد بن الوليد) وقد قوبلا بترحيب حار من كبار الناقدين .

لقد جاء كتاب عثمان على فترة من عهد كثرت فيه الكتابة عن صدر الإسلام ، فخاض الكاتبون فى بحر لجى لم تطمئن سفنه إلى مرفأ مريح ، ومنهم من أراد الوصف بالاستقلال المتحرر فأنحى باللوم القارص على الخليفة الراشد لأمور لم تتأكد بل تُوقلَت دون تمحيص ! فكان من شأن الأستاذ عرجون أن يقف موقف المحامى الزائد عن رجل ظُلم حيا وميتا وهو أحد المبشرين برضوان الله ، والذين كتبوا عن مؤلف الأستاذ يلحظون أنه أخذ جانب الدفاع المطلق عن الخليفة الشهيد ولا يعد ذلك تحيزا متعصبا ، لأن المتحيز هو الذى يدافع عن خطأٍ بان له وجهه ، وأراد أن يطمسه بأدلة مفتعلة ! ، أما الذى يدافع عن رجل رُمى بالباطل فى كثير مما قيل فيه ، فاتضح له وجه البطلان فى هذا الكثير ، وقدم من الأدلة ما يعصف به فلا يكون حينئذ متحيزا بل يكون ناصرا للحق ، داحضا للباطل ، وقد اهتدى المؤلف إلى ميزان صائب قال عنه : وعندى أن أعدل ميزان لوزن الرجال وتقدير أعمالهم ، ومعرفة الصحيح من الزائف مما ينسب إليهم وكتابة سيرهم كتابة تقربها من الحق والإنصاف إنما هو دراسة أخلاقهم الشخصية وتعرف أحوالهم من حياتهم حتى يمكن الباحث أن يتخذ من هذه الدراسة (صِنْجةً) يزن بها كل ما يصادفه فى طريق البحث من رأى أو مذهب أو رواية[2] .

وهذا الميزان الذى اتخذه الأستاذ صادق عرجون قد سبق الأستاذ العقاد إلى تقريره واصطناعه فى كل ما كتب عن أعلام الصدر الأول ، وآفةُ هذا الميزان أنه فى بعض الأحيان يُغفل ما ركب فى الإنسان — أى إنسان — من ضعف إنسانى يعتريه فى فترة خاصة فيعدل عن الصواب إلى الخطأ ، وهو يعلم أنه فى هذا المسلك مخطىء ، غير مصيب ، إننا نعرف ذلك من أنفسنا تمام المعرفة كما نعلم أن العصمة لن تكون لغير نبى فإذا كان علم من الأعلام قد عُرف من خصاله المتكررة الصدق أو الشجاعة أو الحلم ،

(١) مجلة الأزهر السنة العاشرة ١٣٥٨ هـ ص ٦٣ .

(٢) عثمان بن عفان ص ١٦٤

فليس معنى ذلك أن هذه الصفة أصبحتْ مبدأ مقرراً لا سبيل إلى الحيدة عنه فى لحظة من لحظات الضعف الإنسانى ! وهنا تكون المؤاخذة التى لا يسلم منها بشر غير معصوم ، ولا أعنى بذلك أنى أعارض المنحى الذى اتجه إليه كل من الأستاذين العقاد وعرجون ، ولكنى أؤيده وأضيف إليه من التحفظات ما يجعله راجحا لا مؤكدا .. وأشهد أن هذا الميزان الراجح قد سلم فى يد المؤلف فى أكثر ما عالج من مسائل مشتبكة دقيقة ، وقد ظلت المكتبة العربية خالية من كتاب ينصف الخليفة الثالث إنصافا يعتمد على الثابت الراسخ مما لم تجوفه الأحداث حتى جاء الأستاذ عرجون فألف كتابه البديع .

وقد كنت أقرأ صفحات الكتاب وأنا معجب كل الإعجاب بحمية المؤلف وصدق دفاعه ، وكم وقفت أثناء القراءة لأستعيد عبارات قوية كان لها أبلغ الأثر فى نفسى ، وأشهد لقد هزتنى كلمات منه رسبت إلى أعماق الأعماق من وجدانى فجعلتنى أشعر بكل نبضة من نبضات الحس المؤمن التى شعر بها المؤلف وهو يجمع خواطره المحتدمة فى مواقف دقيقة يجيش فيها الشعور المؤمن بما لا يستطاع كتمانه بحال ، ومن هذه المواقف ما شعر به المؤلف حين تطرق لموقف عثمان من على ، وموقف على من عثمان فى هذه الفتنة الغاشية حيث بدأ حديثه الرائع بقوله[٣] فى الفصل التاسع تحت عنوان (بين عثمان وعلى) :

« هذا الفصل لم يكن القلم فيه بليل الريق ، طيع المقادة ، ولكنه كان وقافا كثير التلفت ، كثير الحذر ، وأنا أشهد الحق أنى عذرت قلمى وعذرت نفسى فإن عَذرنى الناس فنعما هى وإن أَبَوْا فما أحب أن أرضيهم بسخط الله ـ تعالى ـ وسخط البحث ؛ وإن من حق البحث على الباحث أن يترفق فى المضايق وأن يُتَّبِدَ معه فى الخطو عند المزالق وأن يتثبت عند اشتجار الآراء واختلاف المذاهب وتضارب الروايات » .

لا أشك فى أن هذا الشعور الذى تلبس الأستاذ فى حديثه عن الخليفتين الشهيدين هو شعور كل مسلم صادق الإيمان ، وإنك لتعرف هذا الشعور لدى من يهيمون حبا بالمثل الإنسانية الرفيعة كما تعرف نقيضه لدى من يكتبون بروح مريضة تعرف الحق وتنأى عنه لغرض مريب .

(٣) عثمان بن عفان ص ١٦٤

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

من نحن ؟

للأستاذ / محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

من نحن ؟ سؤال لا تكفى الإجابة عنه بكلمة أو كلمتين ولكنه يحتاج إلى صفحات وصفحات حتى تكون الإجابة شافية كافية ؛ لأنه سؤال عن واقع أمة وحقيقة شعب .. سؤال عن هويتها وميولها واتجاهاتها وأهدافها .. ماذا استفادت من الدين بل ماذا فعلت بالدين ؟ أمة شغلت بأمور هامشية ومشاكل جانبية حتى تظل مغيبة عن واقع الحياة فتظل (محلك سر) والقافلة تسرع الخُطا وتغذ المسير .

وهذا شيء مهين فى حق أمة أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

من نحن ؟ لو عرفنا حقيقتنا ورسالتنا فى الحياة لكانت هى الإجابة ، ولكن ما جعل الإجابة عسيرة علينا أننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا ، ولو عدنا إلى الله قولا وعملا ربما نستطيع أن نتدارك ما فاتنا .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

قبل نحو تسعة أشهر ، وكان قد مضى أربعة أسابيع على حريق القاهرة ، أراد صحفى مصرى أن يستنير برأى سياسى مصرى قادم من أمريكا حيث كان ينظر إلى مصر من بعيد فيحكم على ما يقع فيها وهو غير متأثر بالأعراض والأغراض التى يتأثر بها المتأثرون بالعادة والإلف ، فسأله الصحفى :

ـ ما الذى تراه من أحوالنا هنا ؟ إننا نحن الذين

نعيش داخل الدوامة العنيفة من الأحداث الكبيرة التى تجرى فى الوطن ، لا نستطيع أن نرى كل شيء ، وأنت هنا تمتاز عنا بأنك تقف بعيدا ولكن عينك دائما على الوطن ترى كل ما يحدث فيه :

والسياسى الموجه إليه هذا السؤال هو الأستاذ محمود فوزى وزير خارجيتنا الآن ، وكان إلى ذلك الحين مندوب مصر فى الأمم المتحدة ، والسؤال أكبر وأخطر من أن يجيب عنه رجل رسمى كالأستاذ محمود فوزى ؛ ولذلك سرعان ما غير موقفه من سائله وقال له :

ـ أريد أن أسألكم جميعا وأسأل نفسى معكم :

« من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هى وسائلنا لنحقق ما نريد ؟ .

وهذه الأسئلة التى وجهها إلينا وزير خارجيتنا ، بل مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة ، بقيت من ذلك الحين بلا جواب . ولأجل أن يلفت الأستاذ محمود فوزى الأنظار إلى خطورتها وجه إلى أمته السؤال الآتى :

« ما هو رأيكم ـــ مثلا ـــ فى رجل تلتقون به فى الطريق العام ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، وتستوقفونه قليلا وتسألونه عن اسمه .. فإذا هو لا يعرف اسمه .. وتسألونه عن وجهته ، فإذا هو (منطلق) فى الطريق منطلق إلى غير هدف محدد وبدون غاية يقصدها . ما هو رأيكم فى مثل هذا الرجل الذى لا يعرف نفسه ؟ لقد أصبحت أعتقد أن سر أزماتنا جميعا يرجع إلى جهلنا بأنفسنا ، وبت أعتقد أن ظروفنا لم تعد تحتمل بعد اليوم أن تبقى سرا مغلقا علينا .. دعونا نحاول أن نعرف نفوسنا فإن هذا وحده هو المفتاح الذى يفتح أمامنا جميع المسالك ، وحاولوا أن تجيبوا عن هذه الأسئلة الأربعة تبنوا لنا جسرا عاقلا نعبر عليه مرحلة الخطر .

إن الأستاذ محمود فوزى لم يحاول الإجابة عن أسئلته الأربعة ، لكنه توسع فى عرضها عرضا سريعا بمقال نفيس[1] أظن أننى لم أقرأ عن المجتمع المصرى مقالا أنفس منه منذ عشرين سنة .

هذا السؤال وضعه الأستاذ محمود فوزى على لسان مصر حكومة وشعبا ، ويصح أن يوضع على ألسنة الأقطار الممثلة فى جامعة الدول العربية ، وعلى ألسنة الأقطار التى يتألف منها العالم الإسلامى كله .. وإذا أجيب عنه بجواب سديد كان مفتاح التوجيه السليم لكل مجتمع إسلامى وفى مقدمته مصر .

لقد مر علينا زمان فى مدة الاحتلال البريطانى لمصر ، كان يتبجح فيه بعض الكتاب بالتحدث عن الأمم التى احتلت مصر فيقولون : إن مصر وقع عليها الاحتلال من الرومان والفرس والعرب والكرد والشركس والترك والفرنسيس والإنجليز .. وهم لا يقولون هذا فى معرض الشكوى من احتلال الفرنسيس والإنجليز ، بدليل أنهم فى مقالات أخرى مما خطته أقلامهم يذكرون حسنات الاحتلال الفرنسى والإصلاح الذى تم فى مصر مدة الاحتلال البريطانى . بل لعل هذه الحسنات الفرنسية وهذا الإصلاح البريطانى مما سجلوه بأقلامهم حتى فى كتب الدراسة الابتدائية والثانوية . وهذا يدلك على أنهم يريدون

(١) فى مجلة آخر ساعة العدد ٩٠٥ الصادر فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ م .

من سرد أسماء الأمم التى احتلت مصر أن ينقشوا فى أذهان قراتهم من المصريين ، ولا سيما الطلبة أن العرب كانوا محتلين لمصر ، وأن مصر التى مر على عروبتها أربعة عشر قرنا لا تزال غير عربية وأن الذين تولوا الحكم فى مصر من أبناء الأمم الإسلامية الأخرى كانوا يمثلون احتلالا أجنبيا ، متجاهلين ما كان بين هؤلاء وبين المصريين من وحدة العقيدة وآصرة الإسلام واتحاد الهدف من زمن الصحابة رضوان الله عليهم حتى الآن .. فنشأ فى مصر بسبب هذه الدعايات نشء إذا أراد أن يتساءل : « من نحن ؟ » يمر فى ذهنه طائف من الشكوك فى أن مصر عربية ، وأن الإسلام دخيل طرأ عليها . والطلبة الذين لا يجدون فى مناهج تعليمهم ما يعرفون به حقيقة الإسلام ، معذورون إذا صدقوا أن الإسلام أثر من آثار الاحتلال .

يقول الرئيس محمد نجيب ــ سدد الله خطاه ، وحقق له أمانيه الصالحة ــ فى كلمة له ألقاها فى مدرسة القبة النموذجية الثانوية ، وقد نشرناها فى الجزء الماضى (ص ٣٨٣) : « إن الدين أساس الأخلاق . ولقد تلقيت تعليمى فى السودان فى مدرسة كان يشرف عليها إنجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ؛ ولذا فأنا مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد ، وأنا لإيمانى بأن الدين أساس الأخلاق لا أمانع فى تدريس الدين ، بشرط أن يكون فى أيد أمينة ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

وأنا أقول للرئيس محمد نجيب : إن مدرسة القبة الثانوية ليس بها مسجد لأن الدعاية التى كانت منتشرة مع تيار العهد المنصرم ، كانت تتنكر للإسلام وتربية النشء عليه ، وكان القائمون عليها يعتبرون العروبة والإسلام احتلالا ، ولذلك فإن جميع الطوائف التى تعيش فى مصر ــ من كاثوليكية أو أرثوذكسية أو يهودية ــ تعتنى فى مدارسها بآداب دينها وعقائده وتبث ذلك فى قلوب أبنائها ، حتى يجرى فى عروقهم مع دمائهم . أما المسلمون فأيتام ، ليس لهم من يحقق لأبنائهم أمنية الرئيس محمد نجيب التى أشار إليها فى كلمته ، فلا عجب إذا أدهشه أن لا يرى فى مدرسة القبة النموذجية الثانوية مسجدا ، ولو وجد فيها مسجدا لرآهم قد اتخذوه مخزنا للمهملات ، ولو لم يشغلوه بالمهملات لكان من المستبعد أن يكون فى المدرسة تلاميذ تربوا على الخوف من الله والرجاء له واللذة بالوقوف بين يديه خلف إمام تعنى المدرسة بإشرافه عليهم فى دينهم كإشراف ممرنى الرياضة البدنية عليهم فى ألعابهم اليومية .

إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحدث عن التعليم فى المدارس المصرية حديثا نشرناه فى جزء صفر من هذه المجلة (ص ١٩٨ ــ ٢٠٠) فكان مما قاله : « إنه تعليم جاف لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن ولا يصل حاضر الأمة بماضيها فى طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، ثم قال : « ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها ــ فضلا عن غيرهم ــ إلى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية ، يعلمون أنها أسست لأبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغريبة عنهم ، العارية من أمس حاجاتهم القومية والمِلّيّة ، فرارا من ناحية

الضعف التى أزمنت عللها فى مدارسنا ، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر .

وكل هذا متفرع عن الأصل الأصيل وهو أن القائمين على وزارة المعارف المصرية من نصف قرن إلى الآن لا يريدون أن يعترفوا بأن مصر بلد إسلامى ، ولو عرفوا ذلك واعترفوا به لربوا أبناء هذه الأمة تربية إسلامية ، لكنهم لا يفعلون ؛ لأنهم إذا تساءلوا « من نحن ؟ » قد يخطر على بالهم أن يجيبوا عن هذا السؤال بعشرين جوابا ليس فيها جواب واحد ينطقون به بشجاعة وصراحة قائلين : « نحن مسلمون » . ولو أنهم عرفوا بأنهم مسلمون وأنهم مؤتمنون على أبناء أمة إسلامية ، لاستعدوا الاستعداد التام لتربية التلاميذ المسلمين تربية إسلامية ، كما يربى التلاميذ الأرثوذكس فى المدارس الأرثوذكسية تربية أرثوذكسية وكما يربى التلاميذ الكاثوليك فى المدارس الكاثوليكية تربية كاثولكية ، وكما يربى التلاميذ اليهود فى المدارس اليهودية تربية يهودية . واذا كان هذا لم يتحقق قبل الآن ، فذلك لأن البلد لم يكن فيه رجل قوى جهير الصوت كالرئيس محمد نجيب ينادى بأعلى صوته صادقا مخلصا « إن الدين أساس الأخلاق ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

أما وقد قالها هذا المصلح السليم الطوية المخلص لأمته ووطنه ، فقد آن لوزارة المعارف أن تعلم أن هذا هو طريق العهد الحاضر فى التعليم ، ومن الجناية على الوطن إضاعة سنة أخرى حتى نستعد لذلك فى العام الآتى ، وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فينبغى أن تصدر الأوامر والمنشورات من هذه الساعة إلى نظار المدارس ومدرسيها جميعا بملاحظة ذلك ومحاولة تحقيقه من صميم القلب وبكل الوسائل الممكنة على قدر الطاقة ، إلى أن ترسم له الخطط الثابتة من بداية العام الدراسى القادم ، وأن يعتبر المتلكىء فى هذا الأمر عضوا أشل فيبادر إلى بتره حالا .

لقد كنا فيما مضى لا نعلم « من نحن ؟ » بشهادة سياسى كبير من رجالنا .

ـ أما الآن فيجب أن نعلم « أننا مسلمون » ويجب أن تقوم تصرفاتنا كلها على هذا الأساس ، وأن ترمى أعمالنا إلى هذا الهدف ، وأن نلاحظ ذلك فى كل حركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا .

* * *

ويأتى بعد ذلك موقفنا من أسرة العروبة ، ومنزلة الكرسى الذى يمثل مصر فى جامعة الدول العربية ، والأثر الذى تركه فينا تكلمنا بلغة العرب وتأدبنا بالأدب العربى من زمن عمرو بن العاص إلى اليوم .

إن القومية فى القبيلة وحياة البادية مناطها الأنساب ، لأن حياة القبيلة قائمة على الانفراد والانزواء فى دائرتها فى أغلب الأحوال .

أما الحضارة فإنها بوتقة تذوب فيها الأصول والأنساب ، والعبرة فيها لرابطة اللغة أولاً ، وللمصالح المشتركة ثانياً ، فسكان فرنسا ـ مثلاً ـ ليسوا جميعاً من أصل واحد ، والفرنسى فيها يكون فرنسياً ولو كان جده الثانى إيطالياً أو إسبانياً ، ونابليون بونابرت ـ وهو من مفاخر فرنسا ـ مولود فى الجزيرة الإيطالية كورسيكا ، من أبوين كانا يتكلمان اللغة الإيطالية ، بل يقال عن بسمارك إن أجداده من أصل صقلى ، وكثير من سكان ألمانيا الشرقية تجرى فى عروقهم الدماء الروسية . والكاشانى الذى هو اليوم فى مفاخر إيران عربى قرشى يعرف

نسبه فى بنـــى هاشم . وكمال أتاتـــورك من سلانيك ، وقد يكون جده الثالث من أصل غير تركى . بل أكثر سكان الأناضول إما من أصل رومى أو من سلالة الحيثيين الذين تقول التوراة عنهم إنهم إخوة الكنعانيين (أى الفينيقيين) ، وهؤلاء أصلهم من نجد العربية ومن سواحل الأحساء على الخليج الفارسى . فهذه الاعتبارات التاريخية فى الأصول والأنساب لم تمنع سكان أى قطر متمدن من أن ينتموا إلى قومية اللغة التى ولدوا يتكلمون بها ، ونشأوا متأدبين بأدبها ، وقد تكون لغتهم وآدابها حديثة عهد من بضع مئات من السنين . أما مصر التى تتكلم اللغة العربية من أربعة عشر قرناً ، وتتأدب بالأدب العربى حتى صارت لها فيه الإمامة والقيادة ، فإنها لا تزال تتساءل « من نحن ؟ » . ويريد بعض حملة الأقلام فيها أن يقولوا : إن العربى لا يكون إلا أعرابياً ، فإن لم يكن أعرابياً فلا تكفى عراقته فى العربية وآدابها أربعة عشر قرناً ليقول بملء فيه ومن صميم قلبه « نحن عرب مصريون » كما يقال فى العراق « نحن عرب عراقيون » وكما يقال فى سوريا « نحن عرب سوريون » .

إن الأسيوطى أسيوطى ومصرى ؛ لأن أسيوط جزء من الوطن المصرى ، والمصرى مصرى وعربى ، لأن مصر جزء من الوطن العربى ، والعربى المسلم عربى ومسلم ؛ لأن الوطن العربى جزء من العالم الإسلامى . وكذلك الأندونيسى المسلم أندونيسى ومسلم ، لأن أندونيسيا جزء من العالم الإسلامى ، والباكستانى المسلـــم باكستانى ومسلم ؛ لأن باكستان جزء من العالم الإسلامى . وكـون الأسيوطى أسيوطيـــاً ، لا يتعارض مع كونه مصرياً ، وكون المصرى مصرياً ، لا يتعارض مع كونه عربياً ، وكون العربى المسلم عربيـاً ، لا يتعـارض مع كونـه مسلماً . فكل فرد منا إذا اعتبر نفسه فى مركز دائرة فإن بلده الذى ولد فيه هو الدائرة الصغيرة الأولى حول النقطة المركزية ، ومصريتـه هى الدائرة الثانية التى تلى الدائرة الأولى ، وعروبته هى الدائرة التى تلى مصريته وتشملها ، وجامعته الإسلامية هى الدائرة الكبرى الجامعة التى تحيط بذلك كله ولا تتنافى مع شىء منه .

من نحن ؟ هذا السؤال يجب أن لا يبقى بلا جواب . ومتى عرفنا من نحن ، عرفنا المشاركين لنا فى المصالح ، والخارجين عنا فيها ، وعرفنا واجباتنا نحو ما ننتمى إليه ؛ لأنها فى الواقع واجباتنا نحو أنفسنا . وهذه المعرفة التى يتم بها الجواب عن السؤال الأول من الأسئلة الأربعة التى وجهها الأستاذ محمود فوزى إلى نفسه وإلى أمته ، كفيلة بالجواب عن الأسئلة الثلاثة الأخرى ، فنعرف أين نحن ، وماذا نريد ، وما هى وسائلنا لنحقق ما نريد ؟

وعلى معاهد التعليم كلها ، من يومنا هذا ، أن لا تكتفى بأن تعرف « من نحن » ، بل تستعد لتعريـف ذلك لأبنـاء الجيـل كلهـم من طلبـة المدارس ، حتى إذا آمنوا بمصريتهم وعـروبتهم وإسلامهم ، تجندوا للعمل بهذا الإيمان ، يوم يتولون أزمة الوطن فى حكومته وأسواقه ومرافقه ومعاهده ، وكان بذلك البعث الذى ينشده العهد الحاضر ، ويعمل لتحقيقه .

محب الدين الخطيب

المجلد الرابع والعشرون

العلوم الكونية

الحسن بن الهيثم

عبقري الحضارة الإسلامية

بقلم .م.د .أحمد فؤاد باشا

يُعدّ الحسن بن الهيثم فى طليعة الأعلام ، لا بيْن العلماء الإسلاميين فى عصر الحضارة الاسلامية فحسب بل وبين علماء العالم أجمع على مرّ العصور ؛ والتعريف بسيرته الذاتية ومقدرته العلمية من شأنه أن يولّد فى نفوس الناشئة شعورا قويا بالفخر والاعتزاز يدفعهم إلى السير على نهج السلف الصالح فى رفع مستوى الأمة إلى حيث المجد والسؤدد . كما أن فى عرض هذه الصفحة المشرقة من تاريخ الحضارة الإسلامية بيانا لأهم خصائص العلم الإسلامى ودعوة فى الوقت نفسه إلى تأصيل العلوم الكونية المعاصرة على أسس من الثقافة الإسلامية الرشيدة .

مقدمة لابدّ منها :

من الحقائق الثابتة فى تاريخ العلم والحضارة أن الأمم التى تشرع فى النهوض من كبوتها تبدأ أولا بإحياء تراثها وتراث الحضارات المتصلة بها على نحو ما فعل العرب فى عصر النهضة الإسلامية وما فعل الغربيون فى عصر النهضة الأوربية ، ومن ثم فإن حاجة الأمة الإسلامية الآن إلى إحياء تراثها على وجه الإجمال ، والعلمى منه على وجه الخصوص تكتسب أهميتها الضرورية من انسجامها مع حركة التاريخ نفسه فضلا عن أنها تعتبر مقدمة لازمة لأية نهضة حضارية منشودة تأخذ بالعلم والتقنية طريقا نحو التنمية والتقدم وإعمار الحياة على الأرض .

ويزيد من أهمية الدعوة إلى إحياء تراثنا ما نراه من حرص الجامعات فى الدول المتقدمة على تدريس تاريخ العلوم ومواصلة البحث فى تراث الأقدمين من مختلف الأمم على مر العصور ولولا ما أولاه بعض المستشرقين من اهتمام بتراثنا العلمى لما عرفنا شيئا عن إسهام أسلافنا فى تقدم العلوم الكونية ومناهج البحث فيها خصوصا وأن هذه العلوم لم تلق من

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

عناية الباحثين العرب مثل ما حظيت به باقى العلوم الإنسانية والاجتماعية والنقلية . وإذا كان ما وصل إلينا من هذا التراث العلمى ـــ على قلّته ـــ يؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى إرساء أصول مناهج البحث العلمى السليم ويسجل فضل هؤلاء العلماء فى إثراء المعرفة العلمية ودفع عجلة التقدم والمدنية ، فإن الجزء الأكبر من هذا التراث لا يزال بكرا فى مظانّه المختلفة ، ينتظر من يجمعه ويتناوله بالدراسة العلمية المفصلة وفق منهج تحليلى مقارن . ولا يخفى بالمثل هذه الدراسات التراثية من دور فى تصحيح تاريخ العلم بكشف النقاب عن حالات الغش والقرصنة التى تعرض لها التراث الإسلامى على أيدى بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين . كما لا يخفى ما لهذا التراث من أثر عظيم إذا ما أطلع عليه الناشئة من أبناء أمتنا العربية والإسلامية فى تنشئة جيل سليم البنية العقلية والهوية الثقافية ومؤهل للمشاركة فى مختلف ميادين الإبداع الحضارى بنصيب يتناسب مع مجد أمته العريقة ومكانتها السامية فى تاريخ العلم والحضارة وعندئذ فقط سوف يسقط كل ما طرحه الخصوم من دعاوى وافتراءات فى حق تاريخنا الفكرى والحضارى .

نبذة عن حياة ابن الهيثم :

هو أبو على الحسن بن الهيثم ، ولد بالبصرة فى العراق سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ونزل مصر واستوطنها إلى أن مات سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) جاء فى كتب التاريخ أنه نُقل إلى حاكم مصر أن ابن الهيثم قال : « لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان » فازداد « الحاكم » شوقا ، وسيَّر إليه سرًّا جملة من مال ؛ رغبة فى حضوره ؛ فسافر نحو مصر ولما أتاها ودرس أحوال النيل تحقق لديه أن ما يقصده غير ممكن ففترت عزيمته وانكسرت همته ، وعاد خجلا منخذلا واعتذر بما قبل « الحاكم » ظاهرة ووافقه عليه .. ثم بعد ذلك أحيطت حياته بصعوبات كثيرة وخشى الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى كان مريقا للدماء بغير سبب فتظاهر بالجنون .. ولم يزل على ذلك إلى أن تحقق وفاة « الحاكم » فأظهر العقل وعاد سيرته الأولى وخرج من داره واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر مشتغلا بالتصنيف والنسخ والإفادة منصرفا بكليته إلى العلم وإلى البحث عن الحقيقة التى كان مخلصاً لها كل الإخلاص .

ولقد عرف الأقدمون فضل ابن الهيثم وقدروا بنوغه وعلومه ، فقال ابن أبى أصيبعة : « كان ابن الهيثم فاضل النفس قوى الذكاء متفننا فى العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه فى العلم الرياضى ولا يقرب منه وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف وافر التزهد » وقال ابن القفطى : « إنه صاحب تصانيف وتآليف فى الهندسة وكان عالما بهذا الشأن متقنا له ، متفننا فيه قيِّما بغوامضه ومعانيه مشاركا فى علوم الأوائل ، أخذ عنه الناس واستفادوا » كذلك عرف المؤرخون والمستشرقون قيمة ابن الهيثم فأنصفوه بعض الإنصاف ، واعترفوا بتفوقه وخصب قريحته ، فجاء فى دائرة المعارف البريطانية « أن ابن الهيثم كان أول مكتشف ظهر بعد بطليموس فى عالم البصريات » ، واعترف العالم الفرنسى « لوتير فياردو » بأن « كبلر » أخذ معلوماته فى الضوء

ولا سيما فيما يتعلق بالانكسار الضوئى فى الجو من كتب ابن الهيثم » وقال جورج سارتون « إن ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند العرب فى علم الفيزياء بل أعظم علماء الفيزياء فى القرون الوسطى ومن علماء البصريات القليليين المشهورين فى العالم كله »[1] .

يعرفونه فى أوربا باسم « الهازن » :

كان من بين الذين عنوا بنقل العلم الاسلامى إلى اللاتينية عالم بولونى يدعى « فيتلـــو » WITELLO اشتهر بكتاب صنفه سنة ١٢٧٠ ميلادية فى البصريات وذكر أنه وضعه على أساس ما جاء فى كتاب لبطليموس القلوذى وكتاب آخر لمؤلف عربى يدعى « الهازن » Alhazen وفى سنة ١٥٧٢ م نشر « رزنـــر » RISNER ترجمة لاتينية كاملة للكتاب العربى بعنوان « ذخائر البصريات للهازن » Opticae Thesaurus Alhazeni فتبين أن جلّ ماورد فى كتـــاب « فيتلو » قد نقل نقلا أو بشىء من التصرف قليل أو كثير من الكتاب العربى المذكور وقد أشار « بريستلى » Pristley أحد علماء الكيمياء الانجليز فى كتاب له عن تاريخ الكشوف المتعلقة بالضوء والألوان إلى ما ذكره « دلا بورتا » Della Porta عن « فيتلو » حيث وصفه « بالقرد المقلد » لأنه أخطأ فى كل أقواله التى لم يحذ فيها حذو الهازن .

ولبث هذا الكتاب المنقول من العربية إلى اللاتينية مرجع أهل أوروبا فى علم الضوء خلال القرون الوسطى وإبان عصر النهضة وكان له أثر عميق فى توجيه علم الضوء إلى الوجهة الصحيحة خاصة بعـــد أن بيَّـــن « فيدمـــان » E. Wiedemann فى رسالة عنوانها « بصريات ابن الهيثم » Zu Ibn AL Haitams Optik. نشرها سنة ١٩١٠ م ، فضل هذا الكتاب على كثير من الأعلام البارزين من أهل أوروبا .

وقد خال كثير من المؤرخين أن إسم « الهازن » الذى نسب إليه الكتاب العربى المذكور « ذخائر البصريات » إنما هو تحريف إسم « الخازن » أو « الخازنى » فقيل إن هذه الأسماء جميعا هى لمسمى واحد هو « أبوجعفر الخازن » مؤلف كتاب « زيج الصفائح » وكتاب « المسائل العددية » وقد ساعد على هذا اللبس والغموض أن الأصل العربى للكتاب لم يك قد عثر عليه وبقى الأمر كذلك حتى عثر « فيدمان » سنة ١٨٧٦ م على مخطوط عربى فى مكتبة « ليدن » لكتاب فى الضوء عنوانه :

« تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر » مؤلفه « كمال الدين أبو الحسن الفارسى » وهو تنقيح كتاب « المناظر » لابن الهيثم وقابل « فيدمان » بين كتاب التنقيح وبين كتاب الذخائر اللاتينى « للهازن » فوجدهما متشابهين متطابقين إلا فى مواضع علق فيها الفارسى من عنده على أقوال ابن الهيثم وفى مواضع أوجز أو أجمل فيها أقوال ابن الهيثم وفى أخرى ذكر فيها رأيه الخاص أو أضاف فيها

(١) قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق بدون تاريخ للنشر .

نتيجة دراساته الخاصة ولم يجد « فيدمان » مجالا للشك بأن كتاب الذخائر اللاتينى إنما هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم .

على هذه الصفة انجلى الغموض وعرف على التحقيق ان الأصل العربى للكتاب اللاتينى الذى ظل ينشر فى أوربا حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادى هو كتاب المناظر لابن الهيثم وأن لفظ « الهازن » إنما هو تحريـــف « الحسن » لا « الخازن » أو « الخازنى » كما ظن أول الأمر (٢) .

القيمة العلمية لكتاب المناظر :

يعتبر كتاب المناظر لابن الهيثم أول أساس علمى فى علم البصريات يعنى بدراسة نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته ، جاء بعد غفوة ألف عام منذ كتاب بطليموس (١٠٥ م) ، وبعدها غفا العالم مرة أخرى لمدة ستمائة سنة حتى جاء « جوهانس كبلر » سنة ١٦٠٤ م فقدم كتابا آخر فى علم البصريات ، لكنه لم يرق الى مستوى « المناظر » .

وأهم ما جاء به الحسن بن الهيثم فى كتابه « المناظر » هو أنه استطـــاع أن يضع حدا للخلافات القديمة التى لم تتوصل إلى اتفاق حول تفسير عملية الإبصار وحدوث الرؤية ، واتبع منهجا استقرائيا دقيقا لتحقيق نظريته الجديدة فى الأبصار على أساس أن يكون الجسم المرئى مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء عليه وأن يكون بين الجسم المرئى والعين بُعدٌ ما ، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفّا وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار .

وهناك آراء علمية أخرى كثيرة قال بها ابن الهيثم فى كتابه القيم عن انعكاس الضوء وانعطافه وعن التقازيح وامتزاج الألوان وتكون الظلال ونظرية الخزانة ذات الثقب ومن أشهر نظرياته ما عرفه عند الأوربيين باسم « مسألة الهازن » وهى تنص على أنه « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس فكيف يمكن أن تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » والحلول التى أوردها ابن الهيثم لهذه المسألة كثيرة ومتنوعة وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة حينما يكون السطح العاكس مستويا وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كرويا أو أسطوانيا أو مخروطيا أو حينما تعتبر حالات خاصة (٣) .

المنهج العلمى عند ابن الهيثم :

اتبع ابن الهيثم منهجا علميا رائدا قائما على

(٢) مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية ، مطبعة نورى بمصر ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٢ م الجزء الأول ص ١ ــ ٥

(٣) د. أحمد فؤاد باشا التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣ م راجع أيضا مصطفى نظيف ، المرجع السابق .

الملاحظة والتجربة والاستقراء وساعدته حاسة النقد والشك المنهجى على استخلاص « الحقائـــق المنغمسة فى الشبهات » على حد قوله ، وكان لهذا دور كبير فى إبداعه العلمى فمن خلال النقد لأعمال « إقليدس وبطليموس » استطاع أن يبدع فى مجال الهندسة والرياضيات التى كانت بمثابة حلقة الوصل بين فلسفته النقدية وبين عقليته التجريبية ، وأنشأ علم « المناظر » أو « البصريات الهندسية » الذى استخدم فيه عناصر المنهج الرياضى بالإضافة إلى عناصر المنهج التجريبى محققا بذلك نجاحا غير مسبوق فى اعتبار المنهج العلمى غير محدد بمجموعة من الخطوات التى تلتزم ترتيبا معينا ليس لها أن تتجاوزه ومن ثم فهو قد أضفى على هذا المنهج قدرا كافيا من المرونة يحول دون جموده أمام حركة العلم وتطوره .

ولم يغفل ابن الهيثم الجانب العملى والتقنى فى بحوثه العلمية فقد استخدم الآلات الدقيقة فى تجاربه ولم يكتف بمجرد وصف كيفية إستعمالها وإنما أسهب فى شرح التفاصيل الفنية المتعلقة بكيفية صنع الأجزاء المختلفة التى تتركب منها الآلة حتى يتم تركيب الجهاز كله كاملا بأجزائه المختلفة فهو يقول مثلا فى إستخدام أنواع المرايا : « رأينا ان نشرح ذلك ونوضحه ليحيط بعلمه من كانت له رغبة فى معرفة الحقائق فبيناه فى هذه المقالة ولخصنا البرهان على علم حقيقته ، وذكرنا طريق العمل فى إتخاذه وترتيب آلته وقدمنا الأصول التى يستعملهـــا المهندسون فى جميع أنواع المرايا ليهتدى إليه من التمسه » (٤) ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد أن « أبا وحشيّة » شرح فى كتابه « الفلاحة النبطية » إمكانية الاستفادة من المرايا المحرقة فى إنضاج الفواكه قبل أوانها ، وكذا فى مكافحة الآفات الزراعية بطريقة رفع درجة حرارة الأجزاء المحيطة بالنبات وذلك منذ القرن الثانى للهجرة وهو أمر يؤكد مدى الارتباط الوثيق بين العلم النظرى والعلم التطبيقى فى فكر علماء المسلمين .

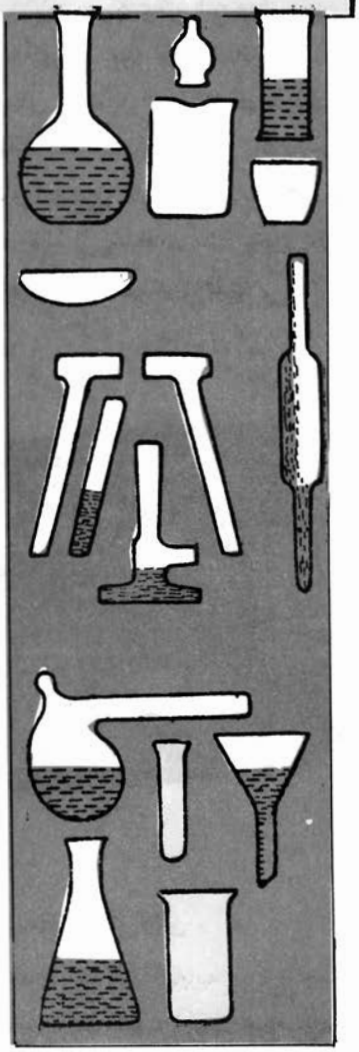
ويذكر لابن الهيثم أيضا قوله أن القطاع الكبير من الكرة الزجاجية يمكن أن يستعمل ويفيد فى تكبير الأشياء وهو ما يعتبره بعض الباحثين أول أساس علمى لاختـــراع العـــدسات المكبرة فى تاريخ التقنية (٥) .

(٤) رسالة فى المرايا المحرقة بالقطوع لابن الهيثم .

(٥) د. سرى فايز سبع العيش قصة اختراع وتطور العدسات ندوة « التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية » طرابلس ليبيا ١٩٩٠ م

الجديد فى العلم والتقنية

د/ بهجوى السيد أحمد



١ ــ اكتشاف الأساس الجزيئى للاستثارة الإبصارية

أظهرت البحوث الحيوية الكيميائية التى أجريت بجامعة « كامبردج » التفاصيل الجزيئية لسلسلة من التفاعلات التى تحدث عندما تمتص الخلايا العصوية فى شبكية العين الضوء وينتج عنها إشارة عصبية، حيث تقع الخلايا المستقبلة الضوئية بشبكية العين فى نمطين اثنين هما العصى RODS والمخاريط CONES بسبب شكليهما المتميزين والخلايا العصوية تمكننا من تشكيل صور بيضاء وسوداء فى الضوء وتولد الاستجابة الاستثارية توجد فى الخلايا العصوية وتعرف باسم الرودوبسين

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

RHODOPSIN حيث تمتص جزيئته فوتونا وتصنع الاستجابة الأولى فى سلسلة التفاعلات التى تصوغ الإبصار .

جواسيس جديدة متعددة الإمكانات

تبتكر حاليا تقانات للوصل البينية INTERFACES تجعل الحواسيب الفائقة أكثر استجابة لوسائل الاتصال البشرى بما فيها اللمس والإيماء والكلام ، بل وتشمل نوعا من الاتصال بالعين وسيتاح للحواسيب ترجمة لغة التخاطب عن طريق برامج لإدراك الصوت وتتميز هذه الحواسيب الفائقة بسرعة العمليات الحسابية التى تقوم بها فهى تختصر فترة الانتظار التى يقوم الحاسوب أثناءها بتخريج النتائج بل وتلغيها فى بعض الأحيان .

٣ ــ معالجة النفايات الصلبة .

تم دراسة حل مشكلة معالجة النفايات الصلبة بالولايات المتحدة الأمريكية بطرق مختلفة حيث يمكن لأصحاب المصانع تخفيض مستلزمات التعبئة إلى الحد الأدنى وتطوير تصاميم أفضل لمنتجاتها التى يمكن أن تعبأ بشكل أنسب ، كما يمكنها أيضا تحسين متانة المنتج بحيث تطول فترة استعماله قبل أن يستغنى عنه ويصبح من النفايات ، ويمكن فرز النفايات واسترجاع المواد الأولية فيها وتشمل هذه العملية أعمال جمع وفصل واستصلاح النفايات أو تتضمن عملية الكمر الهوائى COMPoSTING لهذه النفايات مثل الورق والزجاج والمعادن والمواد البلاستيكية والبقايا النباتية ، ويمكن تقليل التلوث من خلال تقنية دفن النفايات .

٤ ــ وقود كيميائى من الطاقة الشمسية .

يمثل تحويل ضوء الشمس إلى مادة كيميائية إحدى الطرق التى تلبى متطلبات التخزين والنقل فمعظم المركبات الكيميائية قابلة للنقل بالأنابيب والتخزين على شكل غازات أو سوائل أو جوامد تستخدم بعدئذ كوقود للاحتراق الذى يولد بدوره حرارة تدير الآلات ، كما يمكن استخدام بعضها أيضا لتوليد الكهرباء . ويتم تحويل الطاقة الشمسية إلى وقود كيميائى عن طريق التحليل الكهربائى للماء بواسطة الطاقة الشمسية وإنتاج غاز الهيدروجين كوقود كيميائى حيث إنه غاز خفيف قابل للاحتراق ويمكن تخزينه ونقله إلى مسافات نائية وحين يحترق ينتج عنه ماء لا يسبب أى تلوث للبيئة .



٥ ــ تليفزيون قابل للطى .

قامت إحدى الشركات اليابانية بإنتاج جهاز تليفزيون جديد بحجم كتاب الجيب عندما يفتح

تظهر منه شاشة صغيرة بقياس ٨ سنتيمترات ويحتوى هذا التليفزيون الملون الصغير على راديو ومكبرات للصوت وقد يضاف إليه سماعات ، ويزن هذا الجهاز حوالى ٢٠٠ جرام ويعمل بالبطارية .

٦ ــ جهاز جديد لفحص البطاريات .

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية جهازا جديدا لفحص البطاريات وهو عبارة عن بطاقة تضغط على طرفى البطارية فيظهر عليها شريط ملون يدل على مستوى الطاقة فى البطارية وهو يتكون من مقاوم وبللورات سائلة ونوع من الحبر ناقل للكهرباء ، وهو مغلف كله فى شريحة بلاستيكية يمكن استعمالها عدة مرات .

٧ ــ علاج جديد من قصب السكر لتصلب الشرايين .

أنتج مركز الأبحاث الوطنى فى كوبا دواءً جديداً من قصب السكر لعلاج مرضى تصلب الشرايين وارتفاع الكوليسترول فى الدم ، ليس له أية آثار جانبية على المريض وأثبتت التجارب الأولية صلاحية هذا العلاج الجديد لكل الأعمار .

٨ ــ منبه لسائقى المسافات الطويلة .

أثبتت الفحوصات الطبية الحديثة التى أجريت باليابان أن من الممكن تنشيط الدورة الدموية للإنسان من خلال خفض درجة حرارة أجزاء معينة من جسمه وخاصة الدماغ نظرا لازدياد كمية الدم التى تصل إليها . وقد استفاد العلماء اليابانيون من ذلك ، إذ ابتكروا عصابة على هيئة شريط من الألومنيوم وموصلة بجهاز تبريد يثبتها السائق على جبهته بصورة مباشرة فتعمل على خفض حرارة الجلد إلى حوالى ٥١٢ مما يبقى السائق يقظا ومتنبها وتحارب النعاس والإعياء اللذين يصيبان سائقى السيارات أثناء القيادة لمسافات طويلة .



٩ ــ الرمال البركانية لإعادة نشاط الإنسان .

اكتشف اليابانيون طريقة جديدة لمكافحة ضغوط العمل والتوتر عبارة عن رمال بركانية مطحونة تدفنها المياه المعدنية الحارة فى إحدى المدن اليابانية ، حيث يتمدد الأفراد على أرض مجهزة بهذه الرمال ويدفنون أجسامهم بها فى حالة استرخاء لمدة ساعة حتى يعودوا إلى نشاطهم .

١٠ ــ آلة لإزالة انسداد الشرايين .

يجرى الآن اختبار آلة ثاقبة عالية السرعة قد تصبح أداة جديدة هامة فى علاج مرضى القلب. حيث يدخل سلك لا يزيد سمكه عن سمك شعرة الإنسان فى الشريان أو الوريد المسدود حاملا رأس الآلة الثاقبة عبر الإنسداد ، وتدور إبرة الآلة المغطاة بماسات مجهرية الحجم فتسحق الترسيب الدهنى إلى فتات غير ضار يسحبه تيار الدم معه .

اللغة والنقد والأدب

دور النشر وتشويه التراث

قراءة بعض النشرات الجديدة لكتاب شذا العرف في فن الصرف

بقلم / جمال عبد العزيز أحمد (*)

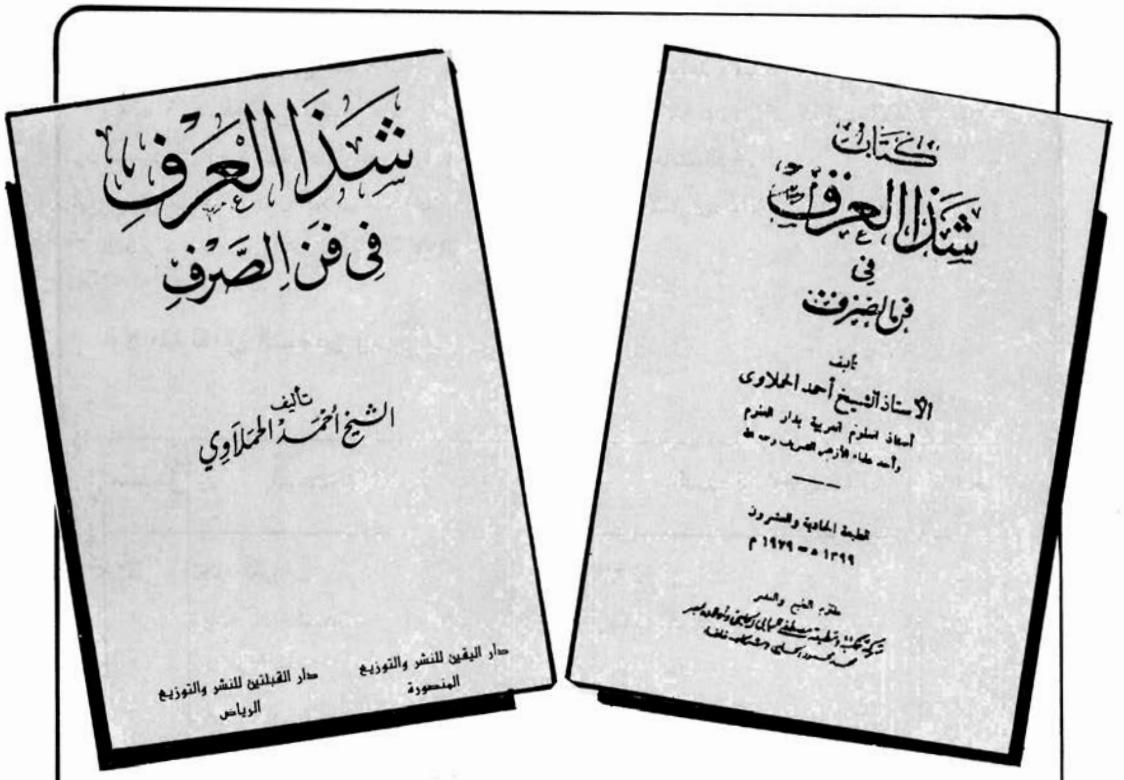
يُعد كتاب « شذا العرف فى فن الصرف » من أهم الكتب التراثية المؤلفة فى بابها ، وقد استطاع مؤلفة فضيلة الشيخ أحمد الحملاوي ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن يذلل بهذا الكتاب المسائل العويصة لعلم الصرف ، وأن يَلُمَّ شتاتها ، وينفى عنها ما لا جدوى منه ، وذلك بحسن ترتيبه ، وجودة رَصْفِهِ ، وسهولة عبارته ، ولطيف إشارته . مع الإحكام والإيجاز دون إخلال أو إملال .

وظل هذا الكتاب عمدةً فى تدريس هذه المادة فى كثير من المعاهد العلمية والمدارس التعليمية ، ومرجعاً للمعلمين والطلاب على السواء ينهلون منه ، ويصدرون عنه حتى يومنا هذا .

واليوم تخرج علينا بعض دور النشر بطبعة جديدة لهذا السفر تشوّه كثيرا من معالمه ، وتزيفّ كثيرا من حقائقه ، وتخفى منه جميل ما صنعه صاحبُه من عمل ، وهى تلك الطبعة التى نشرتها دار اليقين ودار القبلتين بتاريخ ١٩٩٣ (الطبعة الأولى) .

وإن نظرة يسيرة للطبعتين القديمة والحديثة تكشف لنا عن البون الشاسع بين جودة العمل وإحكامه ودقته والتزامه بالأمانة العلمية والقواعد البحثية المتعارف عليها بين أهل العلم والبحث ـــ فى الطبعة القديمة ، وبين التقصير فى أمانة العلم ، والخلط وعدم الدقة ، وقلة مراعاة القواعد العلمية فى الطبعة الحديثة .

(*) مدرس مساعد بكلية دار العلوم .



● تعريف بالطبعة القديمة :

امتازت الطبعة القديمة لهذا الكتاب ــ والتى قامت على طبعها ونشرها مؤسسة مصطفى البالى الحلبى سنة ١٩٧٩ م ــ بحسن الإخراج ودقة الضبط ، وسلامة الألفاظ والتراكيب ، وأحتوائها على زيادات وتخريجات للأشعار ، وتعريفات للأعلام وتعليقات علمية مفيدة ، وتنبيهات نافعة ــ عند الضرورة ، هذا بالإضافة إلى اشتمالها فى المقدمة على تعريف بمؤلف الكتاب وترجمة وافية لحياته ، وإسهاماته العلمية ، وتلاميذه ، كما أُلحِقَتْ بجزء فيه تقاريظ الكتاب التى قام بها بعض العلماء إعترافا منهم بفضل هذا الكتاب .

وإذا غضضنا الطرف أولًا عن عدم ذكر التعريف بالشيخ أحمد الحملاوى فى غلاف الكتاب ، وكذلك حذف عبارة « حقوق الطبع محفوظة » لورثة نجل المؤلف المرحوم فرج صابر الحملاوى المفتش العام بوزارة المعارف سابقا » وكذلك التعريف المستفيضة لمؤلف الكتاب فى المقدمة ، والذى استغرق اثنتى عشرة صفحة ــ وهو ما لا نجده فى الطبعة الجديدة ــ ولو توجَّهْنا مباشرة إلى الأخطاء العلمية ومظاهر التحريف والتغيير التى امتلأت بها الطبعة الجديدة ــ فسوف يهولنا الأمر ،

إذ نرى أخطاء أدت إلى فساد المعنى واختلاله ، ومنها هذا السقط المعيب ، وكذا اختفاء الضبط وعدم ذكر الهوامش والتخريجات والتعليقات والتنبيهات وكذا عدم ذكر تراجم الأعلام وعدم التنسيق فى نظام الفقرات وعدم مراعاة قواعد الإملاء وعلامات الترقيم .

وحتى لا يكون كلامنا ادعاء بلا مستند أو دليل نسوق للقارىء نماذج نقارن فيها بين العَمَلَيْن : القديم والجديد من خلال اختيار عينات عشوائية :

أولًا مقارنة بين النسختين فى ورقات من باب النسب :

مسلسل	النســـخة القديمة	الصفحة	النســـخة الجديدة	الصفحة
١	ثلاثة تغييرات	١٢٦	ثلاث تغييرات	١٦٢
٢	زيادة ياء مشددة	١٢٦	زيادة مشددة	١٦٢
٣	بُنْيَة الكلمة	١٢٧	بِنَة الكلمة	١٦٣
٤	ياتريُه	١٢٧	يائيه	١٦٣
٥	مَرْمَوِىّ	١٢٧	مرموى « دون ضبط »	١٦٣
٦	خَلْفِىّ وخَلْوِىّ	١٢٧	خلفى وخلوى « دون ضبط »	١٦٣
٧	حُبارِىّ وحبرُكِىّ	١٢٧	حبارى وحبركى « دون ضبط »	١٦٤
٨	كالمعتدِىّ والمستعْلِىّ	١٢٧	كمعتد ومستعل	١٦٤
٩	كالقاضِىّ وكالقاضوِىّ	١٢٧	كقاضى وقاضوى	١٦٤
١٠	كالشَّجِىّ والشذِىّ	١٢٧	كشج وشذ	١٦٥
١١	ثَمرِىّ و ذُؤلِىّ وإيلِىّ	١٢٨	ثمرى ودؤلى وايلبى « دون ضبط »	١٦٥
١٢	إبقاء	١٢٨	إبقاد	١٦٥
١٣	للعلمية	١٢٨	للعملية	١٦٥
١٤	طُيْبِىّ و هَيْنِىّ	١٢٩	طيبى وهينى	١٦٦
١٥	مُهَوِّم اسم فاعل من هوّم	١٢٩	مهوم اسم فعل هَوّم	١٦٧
١٦	وصَحْفِىّ بحذف التاء والياء	١٢٩	وصحفى بحذف التاء	١٦٧
١٧	ياء فُعَيْلَة	١٣٠	ياء فعلية	١٦٨

ثانيا : مقارنة بين النسختين فى ورقات من باب الإعلال فى الهمزة :

مسلسل	النسخة القديمة	الصفحة	النسخة الجديدة	الصفحة
١	خطايِىءُ خطائِىءُ	١٤٨	خطاىء خطاىء	١٩٤
٢	ثم الهمزة الثانية ياء لأن الهمزة المتطرفة إثر همزة تقلب ياء مطلقا فبعد المكسورة أوْلى .	١٤٨	ثم الهمزة أولى «بإسقاط ما بينهما»	١٩٤
٣	قضايِىءُ	١٤٨	قضائي	١٩٤
٤	مطايا	١٤٨	مطاطا	١٩٥
٥	مطاترىُ	١٤٨	مطاأى	١٩٥
٦	هراءا	١٤٩	هراء	١٩٥
٧	حتى أُزيْروا المنائيا	١٤٩	حتى أزير والمنائيا	١٩٦
٨	المنايا	١٤٩	المكنايا	١٩٦
٩	سآال	١٤٩	سأل	١٩٦
١٠	برثن	١٥٠	برش	١٩٧

إخيرا : مقارنة بين النسختين من باب الوقف :

مسلسل	النسخة القديمة	الصفحة	النسخة الجديدة	الصفحة
١	الوقف هو قطع النطق عنـد آخـر آخر الكلمة	١٨٠	الوقف هو قطع عند آخر الكلمة	٢٤٠
٢	« أم ما اشتملت عليه أرحـــام الأنثيين »	١٨١	« وأم ما اشملت عليه أرحـــام الأنثيين »	٢٤١
٣	خلاف ما ذكر	١٨١	خلاف ماكر	٢٤١
٤	ذكر النون فى الجميع	١٨١	ذكر النون فى الجمع	٢٤١
٥	فى قول جرير	١٨١	ق قوله	٢٤١
٦	زيدًا	١٨١	زييدا	٢٤٢
٧	وإيْها بكسر الهمزة	١٨١	وأيْها بكسر الهمزة	٢٤٢
٨	إن أعمِلَتْ	١٨٢	إن أعلمَتْ	٢٤٢
٩	تقول رؤية	١٨٢	كقوله	٢٤٢
١٠	ويُوقَفُ على	١٨٢	ويقف	٢٤٣
١١	ويوقف على هاء التأنيث بالسكون نحو فاطمهْ وعلى غيرها من المتحرك بالسكون فقط	١٨٢	ويوقف على هاء التأنيث بالسكون فقط « بإسقاط ما بينهما »	٢٤٣
١٢	والاشارة بهما إلى الحركة بدون صـــوت	١٨٢	والاشارة بدون صوت	٢٤٣
١٣	مع نقل حركة الحرف الموقوف عليه	١٨٣	مع نقل الموقوف عليه	٢٤٤
١٤	وقِلْبها هاء	١٨٣	وقبلها هاء	٢٤٤
١٥	ردُءْ	١٨٣	ردء	٢٤٤
١٦	تحقيقا	١٨٣	تحقيق	٢٤٤
١٧	هيهاه	١٨٤	هياه	٢٤٥

وهكذا يتبين لنا كيف أصبح الكتاب مسخا غريبا وصورة مشوهة لا يمكن الاعتماد عليها ولا الاستفادة منها ، وفى هذا ظلم للقارىء وظلم لصاحب الكتاب ، وظلم لأمانة العلم .

والله ــ تعالى ــ نسأل أن يوفق القائمين على نشر كتب التراث إلى المحافظة عليه ، وإخراجه على الصورة التى تمكن القراء من الاستفادة منه على أكمل وجه والحمد لله رب العالمين .



« الفصـــل الأخير »

قلنا ـ فى العدد الماضى ـ : إن الشعر هو الشعر ، أعنى أن له ذاته الوجدانية والفكرية والجمالية ، هى ـــ بذاتها ـــ فى أى مكان ، فى الشرق أو فى الغرب ، وإنما تختلف بعض موضعاته كما تختلف بعض أخيلته وصوره ، هنا ـــ أو هناك تبعا لبيئته ، إذ الخيال ـــ دائما أبدا ـــ يحدث صورة ، أو شكلا إجماليا ، لا واقع له ، لكن أجزاءه التى انتهت إلى هذا الشكل مستمدة من البيئة ، وبما أن البيئة تختلف من مكان إلى آخر بما هى عليه من كائنات .. ثم موروثات .. وطبيعة أرضية وسماوية مختلفة .. كل ذلك يتأدَّى ـــ إلى نفس الشاعر فيتأتى نتاجه الشعرى مختلفا فى أخيلته وصوره وبعض موضوعاته عن غيره فى مكان آخر . لكنه لن يختلف ـــ بحال ـــ فى موضوعاته الإنسانية وما اتصل بها من طبيعة البشر .

من هنا نقول : للشعر موضوع لا يختلف فى الشرق عنه فى الغرب .

وللشعر أغراض تتعدد ـــ أو لا تتعدد ـــ فى القصيدة الواحدة .

وهذا « جلبرت مورى » يرى أن « الوحدة الموضوعية » فى القصيدة الواحدة لا ضرورة لها وأنها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية وأن الفن كالحياة (١)

أى : كما تجمع الحياة أكثر من شىء ، فينبغى أن يكون الفن كذلك .

وكتب الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى : « من الظواهر الجديدة فى شعر بعض شعراء الغرب المحدثين عدم اهتمامهم بالوحدة الشعرية فهم يرونها لا ضرورة لها وأنها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية(٢).

كل ذلك منطقى ومعقول ، لولا ارتفاع عقيرة البعض بدعوى عريضة تزعم أن القصيدة العربية مجردة من الوحدة الموضوعية ؛ لأنها تزخر ـــ فى الغالب ـــ بأكثر من « غرض » ولقد بيَّنَّا لقارئنا سخف هذه

المقولة ووضعنا بين يديه قصائد ـــ عبر عصور العربية المختلفة ـــ ذات وحدة موضوعية متينة السبك تقف شامخة أمام كل تفسير يراد بـ « الوحدة » .

وإذا قلنا : إن من القصائد العربية ـــ وبخاصة ـــ فى العصر الجاهلى ، ما تضمن أكثر من « غرض » متجاوزين ـــ فى التسليم ـــ بتلك القضية ، حقيقة وضع هذا النوع من القصائد التى فقدت الكثير من أجزائها بحكم أمية العربى فى ذلك الحين ، مما ترتب عليه سقوط الكثير من أبيات القصيدة من حفظه حتى بدت كأنها ذات أغراض متعددة إذا قلنا ذلك ، فإننا نقول : هذا اللون ـــ بذاته ـــ موجود فى الشعر الغربى أيضا ، حيث جد القصيدة الواحدة قد تضمنت أكثر من غرض :

فها هو ذا الشاعر الناقد « صمويل تيلر كولريدج » ١٧٧٢ ـــ ١٨٣٤ ينتقد الشاعر الرومانتيكى وردزورث « بأنه يتنقل ـــ أحيانا ـــ تنقلا مفاجئا بين حالات مختلفة من المشاعر ، لا تشابه بينها ، مما يُحدث انقطاعا فى سياق الوحدة العضوية الأرسطية Organic Unit تلك الوحدة التى أطلق عليها « هوراس » فيما بعد : « وحدة الموضوع : Unity OF Action وصارت المثل الذى يحتذى للنقد الأدبى فى أوربا .

على أن « كولريدج » نفسه خرج عن « الوحدة » فى قصيدته « الملاح العجوز » فوجدنا مقدمة القصيدة يتحدث فيها عن « حفل عرس » ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن رحلة الملاح العجوز الشاقة ، إلى البحار الجنوبية وما صادف من محن ، وأخيلة غريبة :

[يستوقف الملاح العجوز أحد ثلاثة من الوجهاء المدعوين إلى حفلة عرس ، فقال الوجيه]

بلحيتك الرمادية الطويلة ، وعينيك النافذتين .
الآن . لماذا تستوقفنى هنا ؟!

It is an ancient Mariner,
And he stoppeth one of three.
"By thy long gray beard and glittering eye,
Now wherefore stopp'st thou me?

● ● ●

لقد فتحت أبواب الحفل مصاريعها .
وأنا قريب للعروسين .
وقد التقى الضيوف .
ووضعت المائدة .
والمرح يسرى فى الحفل .

"The Bridegroom's doors are opened wide,
And I am next of kin,
The guests are met, the feast is set:
May'st hear the merry din."

فأمسك الملاح الضيف بيده النحيلة ، واستتلى قائلا : .

كانت هناك سفينة ، فقال الضيف مقاطعا :

ابتعد عنى !! ارفع يدك عنى ، أيها الفظ ذو اللحية الرمادية .

وفى التو تراخت يد الملاح العجوز .

He holds him with his skinny hand;
"There was a ship," quoth he.
"Hold off! unhand me, gray-beard loon!"
Eftsoons his hand dropt he.

● ● ●

كانت تلك هى مطلع القصيدة . ثم درج بعدها إلى رحلته فى البحار الجنوبية .

فأى فارق بين ما أنشدة « كوليردج » فخرج فيه من غرض إلى آخر ، وما أنشده أصحاب المعلقات إذا قلنا : إنها هكذا أنشدوها جامعة لعدة أغراض ، خرجوا فيها من غرض إلى غرض .

هذا عنترة ــ مثلا ــ بدأ معلقته بالغزل فقال :

هل غادر الشعـــــراءُ من متـــــرَدم أم هل عَرَفْتَ الـدار بعـــد تَوَهُّـــم

ويستطرد ــ فى الغزل ــ لعدة أبيات يخلص ــ بعدها ــ إلى موضوعه .

من عجب أن تجد من يدفع عن كوليردج بحرارة يمثالها ــ تماما ــ اندفاعه فى الحملة على عنترة وأمثاله من عمالقة الشعر العربى .

على أن الحق أحق أن يتبع ، وما يضير العروبة أن يكون من أبنائها من يأسف على حَظِّه أن يكون عربيا ، فيتنكر لها ، مشيدا بالغرب فى كل شىء :

وقد أنشد الأستاذ الدكتور سيد الجميلى بيتين يلقيان بهذا المقام ، فقال :

يقولـــون : « كهـــل » على شعرنـــا وذاك لعمـــــرى قول سخيـــــف

ومـــــاذا يضير شعـــــاع النهار إذا عاب ــ يومـــا ــ عليـــه الكفيـــف

تصويب

وقع خطأ بالصفحة الأولى من عدد المحرم ١٤١٥ هـ بالسطر الحادى عشر فى العبارة :(جهاد لمن حارب الدين) وصحته (جهاد من حارب الدين) نرجو التصحيح .

نافذة على الغرب ١

الإسلام كبديل



د. مراد هوفمان
سفير ألمانيا - بالرباط

عرض وتقديم
الأستاذ/
عادل رفاعي خفاجة

١

مجلة النور الكويتية

مؤسسة باقاريا

لقد تعرض للإسلام بالدراسة الكثير من المفكرين الغربيين ، وكثير منهم تنقصه الحيدة العلمية ، فجار وشوَّه .

إلا أن الإسلام لم يعدم فى وسط هذه الكثرة الكاثرة ـ التى لم تدرس إلا لتشوه ، ولم تقترب إلا لتطعن ـ لم يعدم الإسلام بعض أصحاب الفكر الهادىء الذين تناولوه بحيده وموضوعية .

وخرج الإسلام منتصراً فى الحالتين : إما بجهود أبنائه الذين انبروا يدافعون عنه ، ويمحون افتراءات المضلين ، وإما بكلمة حق قالها أوروبى منصف بعد دراسة واقتناع .

وقد اكتسبت المكتبة الإسلامية من هؤلاء وهؤلاء العديد من المصنفات ، منها الجيد الذى يشار إليه مثل : « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الألمانى « فلوجل » وهذا المصنف هو أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ومثل « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » ، الذى ألفه لفيف من المستشرقين ، ونشره الدكتور « ا.ى. ونسنك » .

والكتاب الذى نعرضه فى هذا العدد للألمانى ، المسلم د. « مراد هوفمان » يعد مرافعة عن الإسلام ، إذا يقدم المؤلف فيه الإسلام كبديل وحيد لكل « الآيدولوجيات » التى أثبتت فشلها .

وقد صدر الكتاب فى طبعته الألمانية بعنوان :

« Der Islsm als Alternative » . وقام بترجمته إلى العربية د. غريب محمد غريب وعُنى بنشره مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا . وتقع الترجمة فى مائتين وإحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وتقوم على عشرين فصلاً ومقدمة بقلم أ.د. « أنا مارى شمل » عميدة الاستشراق ، والتى تختتم مقدمتها ببيتين من شعر « جوته » فى الديوان الشرقى الغربى :

إن يكُ الإسلام معناه القنوت
فعلى الإسلام نحيـــا ونموت

يبدأ المؤلف بحثه بالتأريخ للعلاقة بين الإسلام والغرب ، وأنها بدأت منذ أرسل الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – فى أخريات حياته – رسائل إلى حكام المناطق المجاورة طالباً إليهم أن يسلموا .

كما يرى المؤلف أن هذه العلاقة برغم أنها لم تبتر منذ بدأت إلى اليوم ، إلا أنها تتسم بالتوتر والتحفز ، وأن الفتوحات تعددت فى الفترة من (٦٣٤ – ٧١١م) وقد شملت (سوريا وفلسطين وفارس ومصر وأرمينيا وقبرص وشمال إفريقيا والمغرب العربى والقسطنطينية وأسبانيا) مما جعل بعض الغربيين يزعمون أن الإسلام دين عدوانى .

ويرى أن أهم أسباب اعتناق هذه الشعوب للإسلام هو اعتناق كثير من النصارى (الإريسيين والدوناتيين) عقيدة ترفض ألوهية المسيح وترفض التثليث ؛ فكانوا بمخالفتهم لإجماع الكنيسة أقرب إلى روح الإسلام أنظر (ص ٢٢) ثم يذكر المؤلف أن الصراع بين الإسلام والغرب قد انتهى مع مطلع القرن الثامن عشر حيث اتخذ الغرب طريق التطور العلمى ، وسار العالم الإسلامى فى طريق مفض إلى التخلف والجمود والركود ، فلم يعد فى إمكانه تجنب الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر .

ويرى أن وراء تدهور العالم الإسلامى ثلاثة أسباب رئيسية :

- الأول : سقوط قرطبة وبغداد .
- الثانى : الاقتصار على التلخيص والتقليد أو الشروح ، مع أن الإسلام يدعو إلى طلب العلم والتفكر والتدبر .
- الثالث : وهو سبب خارج عن العالم الإسلامى : شيوع المذهب العقلى والعلمى الذى لا يعترف إلا بالعقل .

ويعقب على ذلك بأن الإسلام لم يقبر بل انطلق زاخراً بالحياة ، بعكس المجتمعات الصناعية الغربية ؛ فقد أخذت الأزمات بخناقها . ذلك أن ما يميز الإسلام أنه يقدم لمن يعانى المحن فرصة العودة الرشيدة إلى الطريق الصحيح ، وكل ما على المسلم أن يكف عن مسابقة الغرب فى الحرص على متاع الحياة الدنيا الزائف الزائل ، كما أن سلسلة الإهانات المتلاحقة للعرب والمسلمين – وبوجه خاص – فى فلسطين قد مهدت الطريق للتخلص من ذلك الخزى ، وتحقيق انطلاقة أخلاقية دينية واعية .

الفصل الثانى : الدين الكامل :

يستهل المؤلف هذا الفصل بأن أهم أسباب انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا بساطة تعاليم الإسلام . ثم يتكلم عن أركان الإسلام وحب الإسلام للسلام . وأن القرآن ليس كغيره من الكتب بل هو مختلف تماماً فيقول ص ٤١ :

« ليس القرآن إذن كالعهد القديم أو الجديد ، حيث يقص فيهما شخص ما حديثاً غير مباشر عن شيء أو شخص أو عن الله .. أما القرآن ، فإن القاص الذى يقص أحسن القصص هو الله مباشرة سبحانه ، يُخبر الله فيه عمن يشاء أو عما يشاء ، كما يعلمنا أن ننزهه عن الجنس والنظير والشبيه .. فيُخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير الغائب المفرد ؛ لكى نظل واعين بمسألة تنزهه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص » .

ثم يتكلم عن لغة القرآن ، فيقول :

« ... إن لغته العربية أصبحت حبلًا يعتصم به أكثر من مليار مسلم فى العالم الإسلامى وحده : فتجد أن نحوه وتراكيبه اللغوية وألفاظه ومشتقاته أسْدَت للغة العربية الكثير ، فأصبحت اللغة الوحيدة التى يستطيع الناطقون بها ـ المتوسطو الثقافة ـ قراءة نصوصها التى يزيد عمرها عن ألف وأربعمائة عام دون حاجة إلى ترجمتها إلى « لغة عربية حديثة »[1].

ثم يقدم المؤلف (ص٤٦ : ص٤٨) بعض الفروق التى يراها رئيسية تفصل بين شخصية المسلم وشخصية النصرانى الغربى : برغم اتفاقهما فى كثير من الصفات الحميدة والمبادىء الخلقية :

١ ـ إن المسلم لا يتخذ وسيطاً أو شفيعاً ـ مهما علا قدره ـ عند الصلاة ، بينما يتوسل النصرانى بعيسى ومريم أو الروح القدس الخ ؛ فالمناخ الذى يعيشه المسلم أقرب إلى طبيعة الإنسان الراشد من المناخ الذى يقوم على شعائر وأسرار كهنوتية .

٢ ـ حرص الإسلام على السلامة العامة بتحريم لحم الخنزير والخمور . وكذلك الانتظام فى أداء الصلوات فى أوقاتها ، كل ذلك يخفف حدة التوتر والإجهاد اليومى . وهذا لا يتأتى بأداء قداس الأحد أو بابتهال الصباح القصير .

٣ ـ يبيح الإسلام العلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة . على العكس من التصوير الشيطانى للعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة فى كتابات « بولس الرسول » التى تشين الزواج وتمدح العزوبية ، والتى تسببت للكاثوليك فى كثير من الآلام .

٤ ـ إن النصرانى العادى لا يستطيع تنفيذ الوصية القائلة بأن يحب الإنسانُ الغيرَ كحبه لنفسه ، وهو تماماً مثل من يلتزم بنظرة « بولس الرسول » للجنس .

على العكس من هذا نجد الإسلام يلزم متبعيه بما هو فى الإمكان البشرى .

الفصل الثالث : المسيحية من وجهة نظر إسلامية :

يقدم المؤلف فى بداية هذا الفصل حقيقة يجهلها من ليسوا على علم كاف بطبيعة الإسلام والمسلمين ، هذه الحقيقة أن المسلم إذا سمع اسم النبى عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه يصلى عليه تماماً مثلما يصلى على النبى محمد ـ صلى الله عليه وعلى رسله أجمعين وسلم .

(١) لعل فى هذا القول عبرة لمن ينادون باستخدام العامية تحت اسم الحداثة .

ثم يشرع فى تفسير ذلك فيقول : « إن الإسلام لا يعد نفسه ديناً جديداً فى مقابل المسيحية لمجرد أنه ـ تاريخياً ـ جاء بعدها ، بل إنه يرى نفسه إكمالاً وتصحيحاً للدين الداعى إلى الوحدانية المطلقة التى وصى بها إبراهيم ومَن بعده من الأنبياء .. من هذه الزاوية يمكن النظر إلى الإسلام بصفته أقدم الديانات الداعية إلى التوحيد وإن كان فى الوقت ذاته أحدثها تاريخياً » .

ثم يعرض لمنزلة عيسى ومريم ـ عليهما السلام ـ وصورتهما فى الإسلام .

وكذلك رفض الإسلام للتثليث . وما أحدثه أهل الكتاب من تحريف فى التوراة والإنجيل ، وعن هذه الأخيرة يقول ص ٥٥ :

« إن من المهم ـ أيضاً ، أو المؤسف حقاً ـ أن أقدم نسخ العهد الجديد جميعها ، والتى يتداول القوم ترجماتها إلى لغاتهم ، قد أتمَّ إعدادها بعد ذلك المجمع المذكور[٢]. ليس معنى هذا بالضرورة أن يوصم تاريخ المسيحية بأنه تاريخ إجرامى ، كما يذهب إلى ذلك المؤلف الألمانى كارل هاينز دشنر ، لكن مقولته (فرضيته العلمية) التى تؤكد أن المسيحية مزورة ، تتفق مع ما يؤكده الإسلام من تحريف الإنجيل ... » .

ثم يناقش المؤلف مسألة تجسد الذات الإلٰهية فى عيسى أو حلول الذات الإلٰهية فيه ، ومسألة الصلب ، ويدحض ذلك ويثبت أنها افتئات منسوب إلى عيسى ـ عليه السلام ـ ظلماً وعدواناً .

الفصل الرابع : الإيمان والعلم :

يصدر المؤلف هذا الفصل بالمثل الانجليزى : (بيتى هو حصنى الحصين) وأن الإسلام يحرص على تطبيق ذلك ويؤكد بتعاليمه الواضحة حرمة البيوت حيث نهى عن التجسس وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة وحفظ حق الجار الخ .

ثم يعرض لعدد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تحث على طلب العلم والتعلم ثم ذكر أربعة عشر معلماً عالمياً من المسلمين بدءاً من « ابن فرناس » صاحب أول محاولة للطيران ـ المتوفى سنة ٨٨٨م ـ منتهياً بعالم البحار سيدى على ريس الذى مسح الشواطىء الآسيوية علمياً وأسهم فى تطوير الفلك الملاحى ، والمتوفى عام ١٥٦٢م .

وهو بذلك يبرهن على أن الغرب لم يَرِثْ الحضارة الهلينية وإنما ورثها الشرق الإسلامى وبعثها وطورها .

ثم يعرض لأسباب ذبول الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع عشر وأهمها : إغلاق باب الاجتهاد ، ونظرة بعض علماء الدين للعلوم الطبيعية نظرة معادية ؛ خوفاً من الانسياق وراء البدع ، مع أن السنة الكريمة ميزت بين الحسن والسيىء من البدع .

ثم يشير إلى عدة نقاط مشرقة ، فالتدهور لم يكن كله ظلمات بعضها فوق بعض ، بل كانت

(٢) أسلف المؤلف القول أن المجمع المذكور هو : المجمع المسكونى المنعقد فى نيقية بآسيا الصغرى عام ٣٢٥م ، فلم يلتزم هذا المجمع أو يحترم التصور اليهودى لله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو تصور عيسى والمسيحيين الأوائل ، لله ـ سبحانه وتعالى ـ أيضاً ، فأصدر المجمع قراراً ليس له طبيعة الإعلان وإنما طبيعة الدستور الملزم ، وذلك بشأن مسألة التثليث ، فبعثها وتبناها بصفتها عقيدة أساسية ، وتم التخلص من كل الآثار التى تعارض عقيدة التثليث .

العبقرية الإسلامية تشرق فى مجالات : الفقه وعلوم الدين والأدب والمعمار .

ويذكر أنه مع وجود بعض من لعن (التكنولوجيا) الغربية ، لأنها نشأت فى بيئة إلحادية كافرة ، نجد على العكس منهم فئة من العلماء المسلمين الناضجين ، ينادون بضرورة الإفادة الحكيمة المتبصرة من القيم الحيدية الأساسية للتكنولوجيا بما يلائم المجتمعات الإسلامية .

وعن الدعوة « لأسلمة العلوم » يقول : « لاشك أن الدعوة إلى جعل العلم إسلامياً دعوة إيجابية ، حيث أنها لا تستهدف نبذ النمط الغربى جانباً ، وإنما تهدف إلى تحقيق التربية الإسلامية والإصلاح الجامعى » .

ثم يقول ـ مصيباً فى ذلك ـ : إن العلوم لا يمكن أن تصير إسلامية ، إلا إذا برزت على الصعيد العلمى إنجازات رفيعة المستوى للعلماء المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام ويطبقونه فى أقوالهم وأفعالهم .

الفصل الخامس : التصوف :

وفى هذا الفصل يرى المؤلف أن الإسلام قد حقق التوازن المنشود ـ بوسطيته واعتداله ـ للإنسان ، ذلك أن عليه السعى للآخرة ، وفى الوقت نفسه يسعى فى الأرض ويمشى فى مناكبها كما أمر الله سبحانه وتعالى .

وهو ما حققه الرعيل الأول ابتداء من الرسول الكريم ومن تبعه من الخلفاء والصحابة .

كان ذلك الرعيل ـ من السابقين الأولين ، رجالًا ونساءً يتق الله حق تقاته ، مضحياً بنفسه وماله فى سبيل الله ، طالباً للآخرة ، ساعياً لها سعيها ، زاهداً فيما فى أيدى الناس ، مميتاً للشهوات ، هذه الغاية التى يجتهد الصوفى لنيلها : « **الموت قبل الموت** » .

غير أنه لم يؤثر عن مؤمنى الرعيل الأول أنهم تسموا بالصوفية ، أو أنهم قالوا إنهم يجدون ما يجد الصوفى ، ثم يعرض لعدد من الطرق الصوفية وكذلك يعرض لبعض شطحاتهم ، وكذلك يعرض ص ٩١ لصور التصوف النصرانى ، والتى تنادى بالتغيير الكنسى من القاعدة .

الفصل السادس : الجبرية (الإيمان بالقضاء والقدر) :

من معجم « ماير » الموسوعى يأتى المؤلف بهذا النص الذى يقول : « إن الجبرية أرسخ ما تكون فى الإسلام الذى يدافع عنها » .

ثم يعلق المؤلف على ذلك بقوله إن هذا صحيح ، فهو مقدمة صحيحة لنتيجة خاطئة ؛ حيث يستخلص الغربيون من هذه المقدمة أن الإسلام خنوع واستسلام ، وهى نتيجة بلا شك خاطئة .

ومنذ القرن العاشر يغلب على التيار الإسلامى القول بأن الازدواجية « الظاهرة » فى أسماء الله الحسنى ، والازدواجية التى توحى بها الآيات الدالة على الجبر ، والآيات الدالة على حرية الاختيار إنما هى ازدواجية يستعصى على المنطق البشرى حل معضلها ، على أنه رغم الدهشة التى قد تثور عند تأملها لا تمنع تقبل المسلم لها ببساطة .

ثم يتساءل المؤلف : ما معنى كل هذا فى واقع الحياة العلمية للمسلم ؟

ثم يجيب عن ذلك بأن المسلم أو النصرانى

يحاول تحقيق أهدافه فى الحياة ، عملًا بالشعار «ساعد نفسك ، يساعدك الله» على أن المسلم يجد نفسه مسئولًا مسئولية شخصية مباشرة عما يفعل وعما يقول .

ثم هو إن حبطت بعض جهوده ، يفزع إلى الله صابراً محتسباً ؛ لأن قضاء الله لا راد له .

الفصل السابع : الأصولية أو السلفية :

وفى هذا الفصل أوضح المؤلف أن المصطلح الغربى للأصولية (وهو بالألمانية Fundamentalismus وبالانجليزية Fundamentalism) ليس له مطابق فى العربية ؛ لأنه مصطلح منحوت من أصل غربى ، لكى يطلق على ظاهرة «غربية» معينة ، وبمعنى أدق ، فإن هذا المصطلح «الأصولية» ـ أدبياً ـ استعمل أول الأمر لتمييز الأمريكيين البروتستانت فى القرن التاسع عشر الذين أكدوا على عصمة الإنجيل ، خاصة فى قصة الخلق «حيث رفضوا النظرية الفجة ، التى تطورت عن نظرية داروين فى النشوء والارتقاء . ثم بين أن هذا المصطلح ينسحب ـ أيضاً ـ على القائلين من اليهود بالعصمة الحرفية المطلقة لتوراتهم .

وبذلك يتضح أن الأصولية لا توجد فى الإسلام وحده .

وقد اتفق على الأصولية إسلامياً[٣] بما يلى :

«الأصولية عبارة عن موقف فكرى ورؤية عالمية ـ بالمعنى البعيد أيضاً كحركة ـ ترى الالتزام بالإسلام كما كان فى أول عهده ، وكما عرفه السلف الصالح من الصحابة ، منطلقاً ومثالًا يحتذى به ، فى صياغة المعايير والقيم وقواعد السلوك والمعاملات ، فى عملية بناء الحاضر» .

وعن التمسك بالمعنى الظاهر الحرفى للكلمة يقول :

«إن مثقفى الأصوليين يتدبرون القرآن ، محكمه ومتشابهه تدبراً قائماً على الإيمان بكل حرف من حروفه وكذلك الآية ٧ من سورة آل عمران :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ سورة آل عمران

ثم يدلف المؤلف إلى الحركة الثانية وهى : حركة الأصوليين العقلانيين ، الذين نادوا باتخاذ السلف الصالح مثلا يحتذى به فى السلوك والاعتقاد . أمثال الإمام محمد عبده فى مصر والشيخ رشيدرضا فى سوريا ... الخ وقد نادى هؤلاء السلفيون بفتح باب الاجتهاد من جديد ؛ لكى يتفهم المسلمون القرآن والإسلام فهماً سليماً ، فى هذا العصر الحديث .

ولعله بذلك يلمس أهم ما يعانيه المجتمع الإسلامى من انسياق وراء نماذج أوربية سياسية واقتصادية لا تتفق مع روح الإسلام .

(الحديث موصول)

(٣) اتفقت الندوة التى انعقدت فى ٢٢ يناير ١٩٨٧ بمقر وزارة الخارجية على الأخذ بهذا التعريف .



عرض وتقديم الأستاذ/ عبد السلام ابراهيم ناصف

يطرح الكتاب رؤية إسلامية ـ لنشأة الاتحاد السوفييتى خلال القرن العشرين ، ويصف ما كان يجرى فيه ، عقائديا ، وثقافيا ، وعسكريا ، ويبين كيف تطورت أساليب القوة داخل بنيانه حتى سما إلى مرتبة الدولة العظمى منافساً لأمريكا حتى أطلق عليهما معاً « القوتان العظميان » فإذا ما انهارت هذه القوة انقلبت موازين العلاقات الدولية ، حيث تخلف عن انهياره وتفككه كيانات دولية جديدة هى « الجمهوريات الإسلامية » .

ويهتم الكتاب بدراسة العلاقة بين هذه الكيانات الجديدة التى بزغت ومحاولات احتوائها بعيداً عن عقيدتها الإسلامية والكتاب من القطع الصغير ويقع فى مائتين وعشر صفحات يحمل غلافه خريطة جغرافية لهذا الاتحاد المنهار وقد كتبه أحد المتخصصين فى الاستراتيجية العسكرية بموضوعية تعرف عنه فهو اللواء أركان حرب الدكتور فوزى محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر العسكرية ، الذى صدره بالآية الكريمة :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : (٩٢)

ولقد قدم له فى مقدمة طويلة تقع فى تسعة عشرة صفحة بدأها بعد الحمد لله والصلاة على رسوله ﷺ - برسم صورة لشعوب الأمة الإسلامية الممزقة فى بداية القرن العشرين لنبذهم منهاج الله وشرعه مفضلين عليها الشرائع الوضعية ومن ثم تمكنت روسيا من وضع يدها على أرض عزيزة على الإسلام والمسلمين بغية استعادة الامبراطورية الرومانية الشرقية «البيزنطية» بل والوصول إلى البحر الأبيض.

ومن منطلق العداء التقليدى للإسلام فقد اتفقت كل الدول على تقسيم بلاد العرب وغرس الكيان الصهيونى فى فلسطين بعد ما تمكنت أساطيل انجلترا وفرنسا وروسيا من تدمير الاسطول المصرى والعثمانى فى موقعة « نافارين » «Navarino» فى العشرين من أكتوبر ١٨٢٢م بعدها تم اجتياح روسيا لشبه جزيرة البلقان فى اتجاه القسطنطينية.

ثم يتحدث المؤلف عن أمن الأمة الإسلامية الذى يرتبط بعقيدتها والحفاظ على منظومة قيمها ومنهاج حياتها والأمن المرهون بحماية الحق والعدل ويستدل بقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الأنعام آية - ٨٢

ففى ظل إقامة شرع الله تعمر الأرض وتزدهر قيم الإسلام.

وينهى المؤلف مقدمته: بشعار «أدركوا الأمة قبل الضياع».

الفصل الأولى

قوتان عظميان وغياب الهوية الإسلامية

ويرى المؤلف فى هذا الفصل أن الأمة الإسلامية كانت هى منطقة الارتطام Crash area ورغم تعارض مصالح القوتين العظميين إلا أنهما اتفقتا على الاضرار بها كما يتضح من اعترافهما السريع والمتتالى باسرائيل عقب الاعلان عن قيامها - وكذلك تمكينها من إلحاق الهزيمة بالعرب فى يونيو ١٩٦٧ واتفاقهما على دعم الهند ضد باكستان وتقسيمها وإنشاء دولة بنجلاديش واتحادهما على إشعال الحرب فى اليمن.

إلى جانب التدخل غير المباشر فى بلادنا على شكل مساعدات «اقتصادية أو حربية» ولقد تنافست القوتان الأعظم فى تقديم هذه المساعدات كنوع من التأثير وأصبح موضوع هذه المساعدات كالإدمان الذى يستحيل البرء منه.

وينادى الكاتب بإقامة سوق إسلامية مشتركة لاستعادة وحدة الأمة لتوفر مقوماتها وتلبية لمناداة مؤتمر القمة الإسلامى بضرورة التعاون والتضامن الإقتصادى المتبادل بين الدول الإسلامية ويعزو تأخر قيامها إلى عدم توفر النية الصادقة أو إذعاناً لضغوط أعداء الإسلام.

كما أنه يحبذ إقامة القدرة التكنولوجية الإسلامية بقيمها وتدبير السلاح لتحرير الأرض والدفاع عن المقدسات بصورة جماعية، ويوضح أنه قد تم افتتاح المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية بجده فى أول رمضان ١٤٠١هـ، وبرغم هذا فلا تزال الأمة الإسلامية تعتمد على غيرها فى

إنتاج السلاح والغذاء والمادة العلمية والثقافية والقيم.

كما أنه يدعو إلى : الدفاع عن الأرض الإسلامية وحماية حقوق المسلمين وتأمين الدعوة إلى الله. فلقد حبا الله أمة الإسلام بموقع إستراتيجى فريد إلى جانب توفر المياه والثروات المعدنية والطاقة وفرض على أهلها الجهاد لإعادة الحق والعدل إلى نصابهما والذود عن الدين والنفس والمال والعرض- وكم يأمل المؤلف أن تتعاون الأمة الإسلامية لإقامة دفاع مشترك لحماية فلسطين والبوسنه وغيرها.

الفصل الثانى
سقوط الامبراطورية

أظهر المؤلف أن الأحداث قد توالت تباعاً لتنهى قصة الاتحاد السوفييتى ، وأقول نجم الإشتراكية الماركسية بعد فشلها فى التطبيق وتهدف الماركسية إلى خلق مجتمع بلا طبقات ينتج أفرادها بأقصى طاقاتهم ليوزع الناتج على حسب احتياج كل فرد فهى نظرية مادية تعتمد على الإكراه- وهيمنة الدولة على أدوات الإنتاج والتوزيع والخدمات فساءت الأحوال وانتشر الإهمال والفساد.

ولقد انتشرت الإشتراكية فى بلدان العالم الثالث الذى اعتمد على الأسلحة السوفيتية التى كان ينتجها على حساب السلع الاستهلاكية فحدث خلل فى الاقتصاد وظهر هناك سوق سوداء فى كل السلع وانتشرت ظاهرة الإدمان التى ولّدت الاحباط وفقدان الأمل مما دفع الاتحاد السوفييتى إلى استيراد القمح والسلع الغذائية من أمريكا فتدهور اقتصادها كما حدث خلل فى التوزيع نتيجة التفاوت فى الدخول وامتد الخلل إلى الخدمات التى تقدمها الدولة وهكذا جاءت النتائج بعكس مقدماتها وعلى ذلك تكون الماركسية قد بنيت على وهم وخيال يخالف سنة الله فى خلقه«ولن تجد لسنة الله تبديلا» ولن تجد لسنة الله تحويلا ».

المعركة الحاسمة لاقامة « نظام دولى جديد »

جاء فى كتاب « الخليج والغرب » « لأنتونى كوردسمان » أن الولايات المتحدة خاضت حرب الخليج وتحالفت معه لتأمين حصولها على بتروله كما وكيفا- بوضع يدها على مصادر الطاقة ، ولتأمين تحويل عائد النفط إلى بنوك أوربا كضمان للقروض والفوائد وأثمان صفقات الأسلحة وتمركز القوات الأمريكية بدول الخليج وأخيراً القضاء على قوة العراق لتحقيق أمن اسرائيل وتوسعها.

وعقب هذه الحرب المدبرة والمخططة أعلن الرئيس الأمريكى « جورج بوش » قيام النظام العالمى الجديد NWO تتعهد بموجبه الولايات المتحدة برعاية وإدارة هذا النظام الذى يحقق الأمن والسلام فى مجتمع العالم World society مع تدعيم منظمات الأمم المتحدة وتأمين منطقة الشرق الأوسط بحماية منابع الطاقة وإزالة أسباب التوتر ، والحد من التسلح ، والاهتمام بالنزاع الاسرائيلى العربى ، والخليج العربى ، ولبنان.

ولكى تسود هذه الفكرة يلزم أن تصل المعونات الإنسانية والخدمات الصحية بأسلوب مركزى لا يعبأ بالدولة ولا بالسيادة.

وتتركز كل هذه الأفكار بهدف القضاء على

الإسلام بدءاً بإعـــلان الحرب ضد ما أسموه (بالإرهاب الإسلامى) كما يتشدق به وزير خارجية الاتحاد السوفيتى المنحل ، وإذا كان هناك عداء بين الغرب وبين الإسلام فإن شاهداً من الغرب يوضح هذا العداء هو « لويس وير » Lewis B. Ware حيث يقول :

« إن الإسلام بقيمه عابر للحدود يستهدف إقامة مدينة الله على الأرض ـ فهو إذن معاد للعلمانية وللغرب وللصهيونية » .

الفصل الثالث
تناثر الجمهوريات

وفى هذا الفصل عالج المؤلف مشكلة توجيه التكنولوجيات التى تكمن فى قوة الاتحاد السوفيتى السابق الذى كان يملك قاعدة تكنولوجية عريضة تزيد على ٥,٦٪ من عدد سكانه فضلا عن المؤسسات البحثية والاكاديمية التى تحتضن هذا العدد الهائل فى كل المجالات .

وبانهيار الاتحاد السوفيتى برزت مشكلة التصرف مع هذه القاعدة وهذا الكم الهائل من العلماء ويمكن تحديد عناصرها على النحو التالى :

١ ـ وجود فائض فى التكنولوجيا .

٢ ـ مسارعة إسرائيل لمد جسور التفاهم مع جمهوريات الكومنولث .

٣ ـ محاولات منع وصول التكنولوجيا إلى الدول الإسلامية .

الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا بين الاستقرار والاضطراب

تضم هذه المنطقة خمس جمهوريات هى : قازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمنستان وقزغيزياوكلها جمهوريات يسودها عدم الاستقرار بالاضافة إلى استمرار الصراع فى القوقاز .

١ ـ قازاخستان :

عاصمتها (المآتا) وتقـــرب مساحتها نحو ٢,١١٧,٣٠٠ كيلو متر٢ ، بامكانيات هائلة وتكنولوجيا عريضة يعمل بها نحو ١٧٠,٠٠٠ من سكانها ولكن عدم التجانس بين السكان وتعدد اللغات يؤدى باستمرار إلى اضطرابات عرقية وطائفية ومن ثم عدم إستقرار سياسى يزيد من حدته تخوف الصين من كثرة المسلمين فى إقليم مجاور لحدودها .

٢ ـ اوزبكستان :

عاصمتها « طشقند » وتبلغ مساحتها نحو ٤٤٧,٤٠٠ كم٢ وتزيد نسبة المسلمين بها عن ٨٠٪ من عدد سكانها وهى تنتج القطن والحرير والبترول والغاز الطبيعى إلى جانب ثروة معدنية هائلة ومن الناحية الأكاديمية فهى تحوى أكاديمية للعلوم وإعداداً مهولة من المعاهد الفنية .

ولعل استعادة الهوية الإسلامية والثقافية الأوزبكية هى أهم مصادر القلاقل والاضطرابات حيث لاتحوى المناهج مسحة دينية ـ ومن ثم ترتفع نسبة الهجرة نحو روسيا بغية التعليم ـ إلا أن هذه القلاقل تؤدى إلى عدم الاستقرار .

٣ ـ طاجيكستان

عاصمتها (دوشانبى) وتعتبر أكثر الجمهوريات اشتعالا بالصراع لامتداد حدودها مع أفغانستان وكشمير اللتين تجاهدان الإلحاد ـ ورغم فقرها وزيادة عدد سكانها باختلافاتهم العرقية والذين

يتمسك أغلبهم بالإسلام بما يتعارض مع النظام الماركسى مما شكل انقسامات إقليمية تهدد بتقسيم طاجيكستان فاشتعلت الحرب الأهلية بين ربوعها وانحازت القوات السوفيتية فى القتال إلى جانب قوات الحكومة الشيوعية مما حدا بافغانستان إلى مساندة الثوار وهكذا أصبح الميدان مهيئا لتدخل الأمم المتحدة لإحالة طاجيكستان إلى صومال جديدة تحت دعوى حماية السلام إلى جانب رغبة اوزبكستان فى القضاء على اضطراباتها لصالح روسيا وطمعا فى حمايتها.

٤ ـ تركمنستان

وعاصمتها (عشق أباد) وهى تطل على بحر قزوين وأغلب سكانها البالغ ٣,٦٢٤,٠٠٠ نسمة من المسلمين وبها ثروة معدنية وبها نهضة تعليمية محدودة والحالة مستقرة فيها وتنأى تركمنستان عن النزاعات الإقليمية إلى حد يقرب من العزلة ولذا لم تشترك فى اتفاقيات دول الكومنولث.

٥ ـ قرغيزيا

لقد كانت جزءاً من تركمنستان وعاصمتها (فرونزى) ومعظم سكانها من المسلمين الذين يعملون بالتعدين وصناعة البترول والغاز الطبيعى وتربية الماشية وبها أكاديمية و٤٧٩ معهداً فنيا و١٨ للبحث العلمى، إلا أنها عرضة لأن تتأثر بالحرب الأهلية الدائرة فى طاجيكستان.

الفصل الرابع

مستقبل الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز

يقارن المؤلف بين أوربا والجمهوريات الإسلامية من حيث المساحة والسكان والثروة ومصادر الطاقة فيوضح أن مساحة هذه الجمهوريات تزيد على ثلاثة أضعاف مساحة أوربا فى حين أن عدد سكانها لايجاوز ربع سكان أوربا ومواردها الطبيعية ومصادر الطاقة بها ومواردها الخام تكفى لكل أنواع الصناعات التى عرفتها البشرية بدرجة تفوق المتيسر لأوربا ـ غير أن هذه الجمهوريات ذات قاعدة تكنولوجية أقل من مثيلاتها الأوربية تقدماً.

ولكن يستدرك أن هذه الجمهوريات تفتقر إلى تجانس معظم شعوبها نتيجة الهجرة الروسية إليها علاوة على أقليات أخرى فرضت ثقافتها الماركسية الإلحادية، ودارت فى فلك روسيا داخل إطار سياسى وبعدها عانت فراغا سياسيا وعقائديا وإن حافظت على قدر ضئيل بالارتباط بالإسلام لكنها بالقطع صدمت من أحوال الأمة الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.

البحث عن هوية

يصعب على هذه الجمهوريات تقليد حضارة أوربا بثقافتها الليبرالية ومن جهة أخرى تخشى الأصولية الإسلامية لما تثيره أوربا حولها ولا تجد حينئذ سوى إيران أو تركيا.

النموذج الإيرانى

رغم اختلاف إيران مذهبيا ورغم تهديدات النظام الأمريكى والصهيونى لها إلا أنها مصدر للطاقة الروحية لكل الحركات الإسلامية فى العالم ولقد قويت إيران وازدهر فيها الإسلام بقيمه تحذو حذوها أغلب هذه الحركات الجديدة، فهى بامكانياتها الهائلة مؤهلة لجذب هذه الجمهوريات.

النموذج التركى

تكتسى تركيا أيديولوجية علمانية تلحق بأوربا لغة وقيما وثقافة سلختها عن الأمة الإسلامية ولقد لاقت هذه الثقافة العلمانية قبولا لدى هذه الجمهوريات الجديدة التى اتخذت لها دساتير علمانية ولم تلحظ الفرق بين الديمقراطية وبين الإسلام ـ بل أنهم استخدموا الأبجدية اللاتينية ـ بضغط أوربى تجاه الديمقراطية وتجاه السوق الحرة.

ويتنبأ المؤلف بأنه قد تأتى مفاجأة فى المستقبل تتحول فيها تركيا إلى الإسلام مرة أخرى حيث بدا ذلك فى انتخابات عام ١٩٩٠ وفى مهاجمة العلمانيين الاتراك وفى الإقبال المتزايد على الحج والعمرة والاتجاه نحو أسلمة قطاع التعليم وقيام أحزاب إسلامية.

إن مسلمى هذه الجمهوريات بعد سقوط هوية الماركسية عنهم لجأوا إلى الأزهر واهتموا بتجديد المساجد وبدءوا فى قراءة القرآن الكريم الذى وصلهم بحروفه العربية ـ مما قد يعيدهم لحظيرة الإسلام ولو بعد حين.

ويعرض المؤلف للتجمعات الاقتصادية الثلاثة التى تحاول احتواء الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز.

١ ـ المنطقة الاقتصادية للبحر الأسود

وهى فكرة أمريكية وافقت عليها تركيا ورومانيا وبلغاريا قبل انهيار الاتحاد السوفيتى وجددت أمريكا الفكرة عن طريق روسيا ذاتها لتحقيق نوع من التعاون فى المجالات التكنولوجية والاتصالات والطاقة والتعدين وهى تتواءم مع فكرة الأمن والتعاون الأوربى C S C E.

٢ ـ منظمة تعاون دول بحر قزوين

وتتكون من روسيا وإيران وقازخستان وتركمنستان وأذربيجان بهدف السيطرة على بترول وغاز بحر قزوين والملاحة فيه.

وهو يستهدف البعد عن تركيا لتتمكن روسيا من هذه الموارد الهائلة.

٣ ـ منظمة التعاون الاقتصادى (ايكو)

وهى منظمة تجمع تركيا وإيران وباكستان فى إطار أمريكى وضم بعد ذلك الجمهوريات الإسلامية ثم انضمت إليها افغانستان ـ ولقد كان لهذا التجمع الذى يربو عن ٣٠٠ مليون نسمة قدر هائل من الثروات الطبيعية فى سائر مجالات الانتاج وزادت تجارتها على ٣٠٠ مليار دولار سنويا.

ويتمنى المؤلف أن تنضم إليه مجموعة مجلس التعاون الخليجيى ومصر والسودان والعراق وسوريا فى إطار السوق الإسلامية المشتركة؛ إلا أنها مجرد أمنية فإن هذه الجمهوريات لا تلقى إلا النذر اليسير من الرعاية والاهتمام.

الجمهوريات الإسلامية إلى أين ؟

يأمل الكاتب أن تتوحد هذه الجمهوريات مع الأمة الإسلامية عبر تركيا أو إيران ـ مما قد يزيد حجم ثرواتها البشرية والمادية لصنع حضارة إسلامية تسهم فى نهضة الأمة الإسلامية.

فى حين تسعى الولايات المتحدة إلى فصل هذه الجمهوريات عن الأمة الإسلامية أو تجميعها فى تجمع هش لإمكان السيطرة عليه وتزويده بقيم الغرب الليبرالية.

وبين هذا وذاك تضيع هذه الجمهوريات

بسبب عدم تجانس شعوبها وكثرة غير المسلمين فى بعضها ورغبة البعض فى غزو أراضيها ، ومنها ما يؤثر السلامة بالانعزال.

ولقد برزت فكـــرة الوحـــدة بين هذه الجمهوريات من خلال تركيـــا ـ كما أوضح المؤلف ـ غير أنها تخشى الهيمنة كما حدث فى عهد روسيا ـ ورفض قازاخستان لمثل هذه الوحدة لأسباب عرقية ـ والخوف من تطلع الألمان إلى تكوين دويلة على نهر الفولجا.

ثم كانت محاولة تركيا لتجميعها ـ إلا أنها لم تكتمل وآخر تلك المحاولات كانت ضم هذه الجمهوريات للكومنولث الجديد غير أنها لم توفق.

وعلى هذا فيحتمل قيام قوة شيوعية جديدة تحتوى هذه البلاد وإما انهيار جديد لروسيا تضيع معه كل شىء فتسود الفوضى.

ويحدد المؤلف ـ أموراً ثلاثة ـ لتصور ما قد يحدث

الأمر الأول: أن تتوحد هذه البلاد فى كيان واحد شيوعى أو إسلامى ـ أو تسودها حروب أهلية تؤدى إلى انقسامها إلى دويلات.

الأمر الثانى: أن تتمكن إيران وتركيا من جذب هذه الجمهوريات فى كيان علمانى أو إسلامى.

الأمر الثالث: تتفاقم النزاعات العرقية التى تؤدى إلى ثورة شاملة ترسخ دعائم الإسلام أو تؤدى إلى ظهور كيانات ودويلات جديدة.

ويخشى المؤلف أن تجر الخلافات بين الدول الإسلامية بعضها البعض أو بينها وبين إسرائيل مما يسمح بدخول النظام العالمى الجديد لساحة المعارك بوسيلة أو بأخرى وإذا فما علينا إلا أن نقبل الواقع وأن نحاول التعامل معه متخذين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سنداً وركيزة.

أدركوا الأمة قبل الضياع

لم تكن الشيوعية أقل خطراً من الصليبية على الإسلام ، خاصة بعد حملتها الإعلامية التى تستغل جهل العامة والتغلغل لنفوس شباب الأمة غير المتدين وافتقارهم للدعوة الإسلامية الحقة ـ ومن المؤسف أن تؤيد الليبرالية الغربية هذه الاشتراكية الإلحادية بهدف عزل المسلمين عن دينهم.

ويخلص الكاتب فى ختام كتابه إلى أن الأمة يجب أن تتبع استراتيجية ذات أهداف متوازية يتم السير فيها فى آن واحد على النحو التالى:

١ ـ بناء الشخصية المسلمة الواعية الايجابية.

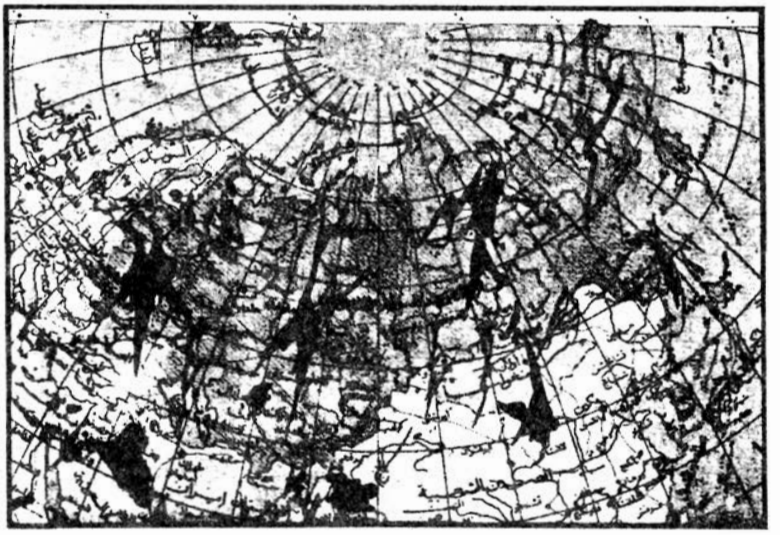
٢ ـ امتلاك أسباب القوة المادية والمعنوية لإعمار الأرض.

٣ ـ الجهاد فى سبيل الله حماية للعقيدة وللعرض وللثروات.

٤ ـ الدعوة إلى دين الله العزيز الحكيم.

ويدعو الكاتب إلى نبذ الخلافات المذهبية ليصبح الإسلام قوة وأن يتم التنسيق من خلال المتاح من المؤسسات الدينية كمنظمة المؤتمر الإسلامى ، ومجمع البحوث الإسلاميـــة ، والمجلس العالمى للدعوة والاغاثة ، وغيرها للنهوض بالأمة.

ويختتم المؤلف كتابه بتوجيه النظر إلى الأزهر الشريف باعتباره قلب الإسلام النابض بالعلم والفكر والدعوة وحمل الأمانة ويقترح إطاراً لتقوية هذا القلب ليتمكن من ضخ الدم إلى العروق فى الجسد الهزيل يجمله فى النقاط التالية:



١ ـ انشاء إدارة اقتصادية تتبع الأزهر تتلقى المعونات والهبات وريع الأوقاف والزكاة للانفاق على الدعوة الإسلامية.

٢ ـ تثبيت أركان الشورى واختيار أهلها من العلماء العاملين المشهود لهم بالكفاءة والتبحر فى الدين.

٣ ـ الاهتمام بالدراسات التقنية وعلوم الإدارة فى رحاب جامعة الأزهر بل والجامعات الأخرى.

٤ ـ تبنى فكرة الجهاد وتدريسها فى مناهج المستويات المختلفة فى سنى الدراسة فى المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر.

٥ ـ فتح الدراسات العليا بكليات الأزهر الإسلامية للحاصلين على شهادات جامعية.

٦ ـ التوسع فى ابتعاث المدرسين خاصة الذين يعملون فى تعليم اللغة العربية ومبادىء الدين.

٧ ـ اهتمام مراكز البحوث بالدراسات الميدانية والمستقبلية.

٨ ـ تعريب العلوم العلمية وتدريسها من خلال الدين الإسلامى فى كليات الجامعة.

٩ ـ التوسع فى تأهيل القضاة الشرعيين وفتح مجالات الدراسات العليا القانونية لهم.

١٠ ـ الاهتمام بالجمهوريات الإسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى اهتماما يساعدها على الارتباط المتين بالأمة الإسلامية.

وينهى الكاتب كتابه بالآية الخامسة والخمسين من سورة النور:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

صدق الله العظيم

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

العلم في القـــرآن الكريم

تعتبر قضية « العلم والتعليم » جزئية فى منظومة المنهج الإسلامى للنهوض بالأمة ، ومن هذا قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾(١) وقوله ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾(٢)

حول هذا المعنى كتب إلينا الأستاذ/ عماد عبدالعال ـ مدرس العلوم البيولوجية بأبى تيج ـ كلمة جاء فيها :

قال تبارك وتعالى :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة المجادلة ـ ١١

وأذكر هنا ثلاثة ممن كرمهم الله بحكمة وعلم عظيم للدلالة على أثر العلم وخطره .

الأول : هو سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أتاه القرآن العظيم ، هدى ورحمة وبشرى للعالمين ، وفى هذا يقول الحق ـ تبارك تعالى ـ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ سورة النحل ـ ٨٩ .

الثانى : عبد صالح من عباد الله ، أتاه الله رحمة وعلماً ربانياً وقيل إنه (سيدنا الخضر عليه السلام) ، الذى كان لسيدنا موسى (عليه

(١) النساء ـ ١١٣ (٢) النحل ـ ٨٩

السلام) معه الصحبة التى لم يستطع عليها صبراً وفيه يقول رب العزة عنه هو وفتاه :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف ـ ٦٥

وما أعظم أن يكون المُعلم هو الله ، والمتعلم أحد عباده الصالحين بمنّة منه ـ عز وجل ـ .

الثالث : وهبه الله علماً من الكتاب ، وقيل إنه : (آصف بن برخياء) كاتب نبى الله سليمان (عليه السلام) ، وفيه يقول ـ تعالى :

﴿ قَالَ الَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ سورة النمل ـ ٤٠

هذه نماذج ثلاثة لثلاثة اتبعوا منهج الله ـ عز وجل ـ فأصبحوا اهلاً لعطائه وكرمه ، وفى ذلك ذكرى لأولى الألباب .

الإسلام والحرب الفكرية

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ، ولولا فضل الله ـ تعالى ـ علينا بنصره وتأييده لدالت دولة الإسلام ، فهو مستهدف منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان من قوى عاتية حاولت ـ ولا تزال تحاول ـ تطويقه والسيطرة عليه بشتى الطرق والأساليب ونشر الفلسفات والعقائد والنظم والشعارات التى تخالف عقيدته وقيمه وأفكاره .

وقد انخدع بذلك كل جاهل بحقيقة الإسلام ، فأخذ يروج ـ مخدوعاً ـ أفكارهم الزائفة ، ولكن آن الأوان أن يعودوا لرشدهم بعد أن وضحت صورة الإسلام جليَّة أمام العالم بأسره .

حول هذا المعنى تلقينا رسالتين تردان على كثير من الأباطيل والافتراءات ، وتظهر وجه الإسلام المشرق . يقول القارىء/ محمد حامد مصطفى من العجميين بالفيوم :

إن الشريعة الإسلامية ليست تطرفاً كما يشيع عنها المغرضون ؛ لكنها فى الحقيقة قانون عالمى إنسانى خصَّ الله ـ تعالى بها البشرية جمعاء . وتطبيقها هو طريق النصر والسعادة للفرد والجماعة . ولعل أهم ما يميزها عن ما سبقها من شرائع ، هو صلاحيتها لكل زمان ومكان إلى يوم تقوم الساعة ، وذلك لشمول أهدافها . فكما أنها قادرة على تحقيق مصالح الناس . فإنها أيضاً تكفل سعادة الفرد والمجتمع ، ولأنها إتمام لنعمة السماء على بنى الإنسان ،فإنها كاملة . ولأنها من عند الله فإنها تبيان لكل شىء ؛ لأن الله لا يضل ولا ينسى . وقد آمن كثير من غير المسلمين فى الإسلام عن علم واقتناع لما وجدوه منسجماً مع طبيعة الإنسان وفطرته فالله ـ عز وجل ـ يريد بالناس اليسر ولا يريد لهم العسر . والذين يطبقون

شريعة الله ـ منهجاً وسلوكاً ـ لا شك أنهم يصلون فى حياتهم إلى أقصى درجات الكمال ، ويحققون أعلى درجات السعادة .

وفى مؤتمرات دولية عدة ؛ أجمع فقهاء القانون على أن القيم التشريعية فى الإسلام لا يرقى إليها الجدل ؛ لأنها تتجه دائماً إلى مصلحة الإنسان . لذا فإن ما أصاب المجتمع الإسلامى فى بعض الدول من موجات عنف أو اضطراب هو بعيد كل البعد عن الإسلام . لأن التشدد والغلو فى الفكر ليس من الإسلام فى شىء لأنه دين الاعتدال والرحمة والإخاء ، لا دين التشدد والبغضاء .

كما جاء فى رسالة القارىء/ رمضان محمد عبد الله بخيت ـ بمعهد قراءات دمنهور الأزهرى ـ

لعل من أخطر ما يواجهه الإسلام فى هذه الأيام الحرب الشرسة التى يشنها العلمانيون على الإسلام والتى يتخذون فيها كل ما أتيح لهم من وسائل ، ولا تكمن خطورتهم فى بريق الأفكار والشعارات التى يروجونها ، إنما فى أنهم من بنى جلدتنا يتكلمون بلساننا العربى ويحملون الإسلام زوراً فى هوياتهم .

أناسٌ باعوا أنفسهم للغرب الصليبى أو الشرق الملحد بعدما انخدعوا بالبريق الكاذب ، والذى لا ينخدع به إلا من يعيش فى عُمر الطفولة الفكرية . ومنهم من باع نفسه من أجل مناصب دنيوية زائلة أو سمعة كاذبة أو حفنة من الدولارات ، إلى غير ذلك مما لا وزن له يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، وهؤلاء هم الطابور الخامس لإعداء الإسلام .

وفى هذه الأيام يشنون حرباً شعواء على الأزهر الشريف بزعم أنه يقف حائلاً بينهم وبين « التنوير » ، تباً لكم يا أعداء الإسلام إن الأزهر هو الذى ينشر النور الحقيقى فى كل مكان وهو الذى أضاء بلاداً وأوطاناً ، إنما يقف الأزهر فى وجه فسادكم وضلالكم سداً منيعاً بالحجة والبرهان ، بالعلم والمعرفة الإسلامية الصحيحة ، وأنتم لا تملكون ذلك فأعلنتم حربكم عليه بما تملكون من وسائل إعلامية ومادية بحجج واهية .

وإذا كان الإسلام يحارب منكم أو من شتى التيارات المعاصرة فإن الكفر كله ملةٌ واحدة ، ملة اتحدت عليه وهو وحده فى الميدان .

غير أنه لا بد وأن ينتصر ـ سواءٌ بنا أو من غيرنا ـ لأن الإسلام هو دين الله فى الأرض .

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾

سورة التوبة ـ ٣٢ .

على السادة كتاب المجلة ضرورة الاتصال بخزينة مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر ـ الدور الثانى ـ لتسلم مكافآتهم ، وذلك بعد خمسة وعشرين يوماً من نشر المقالة ، ويمكن الاستفسار هاتفياً عن وجود المكافأة ـ قديمة أو حديثة ـ بالخزينة من خلال هذا الرقم ٢٦٣٨٥٩٩ ـ القاهرة .

تهنئة لمجلة الأزهر

فى عيدها السادس والستين

يطيب لى مع إطلالة العام الهجرى الجديد أن أتقدم إليكم ولجميع العاملين نيابة عن كل قراء مجلتنا المحببة « الأزهر » وبالأصالة عن نفسى بخالص التهنئة ـ بمناسبة مرور « ست وستين عاماً » على صدور أول عدد من مجلتنا العريقة ـ ولا يسعنى إلا أن أعبر لكم عن مدى حبى وتقديرى على الدور البارز فى تحقيق تقدم إعلامى فى مجال فى بث الكلمة الطيبة بين أبناء الأمة الإسلامية .

لقد ولدت مجلتنا « الأزهر » شامخة عملاقة لتظل عملاقة ، وتمضى قُدماً فى أداء رسالتها العظيمة ـ ورسالة مجمع البحوث الإسلامية فى تبنى المنهج الإسلامى الصحيح فى العمل الإعلامى .

ـ ولا تزال تؤدى رسالتها المتميزة مساهمة فى إثراء الثقافة العربية والإسلامية ، وأثبتت بالفعل أنها مجلة كل المسلمين فى أرض الله وكل الناطقين بالعربية فى أنحاء المعمورة ينهلون من نبع ثقافتها الإسلامية الخالصة والصافية .

ـ فمجلتنا « الأزهر » العريقة ... تعتبر شعلة مضيئة فى دنيا الكلمة المطبوعة .. تضىء طريق المعرفة وتعمق الثقافة الإسلامية التى تغرس فى نفوس القراء الفضائل والقيم الرفيعة لتسهم فى تنشئة جيل من الشباب المؤمن بالله ثم الوطن ، وتعطيهم رؤىً حقيقية وصادقة عن الإسلام وقضاياه ، حتى أصبحت علامة مميزة للإعلام الإسلامى الصحيح .

ـ كما تحرص دائماً على انتقاء الكلمة واختيار الموضوعات التى تتعرض لها بما يسد حاجة هامة لدى جماهير القراء ، وتقدم لهم مادة مفيدة تنفعهم فى دنياهم وآخرتهم ، كما تزودهم بمكتبة إسلامية ميسرة من خلال (هداياها المجانية) .

ـ وهذا جعلنا نتهلف على صدور المجلة مع مطلع كل شهر عربى لنقرؤها فى شغف ولهفة وشوق ـ لمتابعة كل جديد تنشره فى الآداب والمعارف المتنوعة والشيقة فى نسق فريد وأسلوب سهل ميسر أكثر جمالاً ، مما يدل على أن للثقافة الإسلامية الصحيحة لها جمهورها الواسع بين القراء العرب والمسلمين .

ـ لقد استطاعت مجلتنا « الأزهر » العملاقة ـ إيجاد علاقة حميمة مع قرائها ـ وتحرص دائماً على توثيق أواصر المحبة والود بينها وبين قرائها بنشر إبداعاتهم ومساهماتهم والرد على آرائهم ومقترحاتهم ، وذلك من خلال بابها الثابت « بين المجلة والقارىء » .

أسأل الله ـ تعالى ـ لمجلتنا الرائدة دوام التوفيق والنجاح والصدارة فى الساحة الإعلامية ..

ويختتم الكاتب كلمته ببعض المقترحات والأفكار بإضافة أبواب جديدة ، نأمل معه أن تتسع لها صفحات المجلة فى الفترة القادمة بمشيئة الله ـ تعالى .

محمد فريد العيسوى

انشاص الرمل ـ شرقية



الاغتراب وثقافة الطفل

ثقافة الطفل المسلم إلى أين ؟؟ وخاصة إنها تتجه نحو التغريب ... بعيداً عن الذات العربية والإسلامية ، وذلك بعدما ابتلى تاريخنا المعاصر بمجمل انقطاعات تاريخية وأيديولوجية . أوشكت أن تقطعه عن مساره .

إن ثقافة الطفل تخفق جيلاً بعد جيل .. والأمة بحاجة إلى استعادة معالم الطريق الإسلامى الذى يحث على التأمل والتفكير والفهم .

وحتى لا تتوارى اللغة العربية أمام اللغات الأخرى فى مناهج الطفل ينبغى ان تكون هناك سُبل لحماية النشء تقوم على نهضة ثقافية ـ وبمراحل سنية ـ وخطط طويلة وقصيرة المدى ، تجعله موصولاً ـ دائماً ـ بكنوزنا العربية والإسلامية .

ذلك أن الطفل المسلم ..أصبح يشاهد الإعلان التجارى والمنوعات الغربية المرئية التى لا تخدم توجهاتنا الإسلامية ، وبدون تنشئته على جذورنا نخشى أن يمثل حالة اغتراب كاملة .

يحيى السيد النجار ـ دمياط

● ● ●

حقيقة البلاء

عن أبى يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » ـ رواه مسلم . وحقيقة البلاء إما أن يكون : إمتحاناً من المولى ـ عز وجل ـ أو تكفيراً للخطايا والسيئات . أو رفع منزلة للعبد نفسه .

فإن كان هذا البلاء امتحاناً فيكون قد تفوق بصبره فى هذا الامتحان ، وإن كان تكفيراً للخطايا فيكون قد انتبه إلى ذنبه وعزم على أن لا يعود إليه ، وإن كان البلاء رفع منزلة ؛ فيكون قد تقرب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ واستحق أن ينال بصبره هذه المنزلة التى رفعها الله ـ سبحانه إليها .

ونسأل المولى عز وجل أن يجعلنا ممن ذكرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الحديث ؛ شاكرين على النعماء صابرين على البلاء .

عماد الدين عبد المنعم

محاسبة النفس

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ الحشر ـ اية ١٨ ، ١٩

يأمرنا سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة بمحاسبة النفس على كل ما تجنيه اليد وينطق به اللسان .

ولن تكون هذه المحاسبة مجدية إلا إذا راقب الإنسان ربه واتقاه حق تقواه ، وعلم أنه يسمعه

ويراه ، لقد كان شأن المسلمين المتقين من السلف الصالح الذين رفعوا لواء الإسلام عالياً وفتحوا الأمصار ونوروا بعلومهم الأذهان ، أن يتقوا الله فى تصرفاتهم الخاصة والعامة لاعتقادهم أن عليهم رقيباً لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ ففازوا بالحسنيين فى الدارين ، وذلك بحسن الخاتمة فى الحياة الدنيا ، وبالرضا والنعيم فى الآخرة .

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام

ردود وتعليقات

● **القارىء/ مصطفى عنتر أبو عمر ـ المدرس بالأزهر ـ غربية :**

ـ نشكركم على تحيتكم الرقيقة ، ونرجو إفادتنا بما انتهى إليه أمر حوالتكم البريدية من وصولها إدارة اشتراكات الأهرام أو عدمه .

● **القارىء/ السيد فخر الدين حسنين ـ مدرس اللغة العربية :**

ـ رجاء الاهتمام فيما تكتبونه ـ ببيان مواقع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، وفى انتظار مساهماتك الفكرية .

● **القارىء/ بهجت صميدة خميس ـ كلية التربية ـ دمنهور :**

● **والقارىء/ صاحب قصيدة « تأملات فى الهجرة » :**

ـ إبداعاتكم الشعرية تبشر بمستقبل فى هذا المجال ، رجاء مداومة الكتابة والإلمام التام بعلم العروض .

● **القارىء/ أحمد عبد الهادى ـ المدرس بالتربية والتعليم :**

ـ مرحباً بك صديقاً دائماً للمجلة وفى انتظار ابداعاتك .

● **القارىء/ عاطف محمود سليم ـ بمحطة كهرباء أبو سلطان بالاسماعيلية :**

ـ ما أكثر هذه الكتب الضالة ، ولكن يُهَوِّنُ علينا أمرها يقظة شبابنا وتحصينهم ، وكما تعلم أن الأزهر لا يسيطر فى مجال النشر والمصنفات الفنية إلا على ما يعرض عليه منها وعلى كل فإنه يمكنكم إرسال نسخة من هذا الكتاب حتى يمكننا أن نتخذ إجراءً حياله .

● **القارىء/ سعد محمد منصور من حدائق شبرا ـ القاهرة :**

ـ نشكركم على اهتمامكم الشديد بمجلة الأزهر وحرصكم على أن تكون دائماً فى أبهى صورة وبإذن الله ـ تعالى ـ ترى الاهتمام بها يتزايد فيما نوهتم عنه ، وندرس تطبيق كثير من اقتراحاتكم البناءة ونأمل أن تتاح لنا ـ مستقبلاً بتوفير الإمكانات المادية والكوادر البشرية ـ فرصة إصدار المجلة (نصف شهرية) ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يجزيك عن ملاحظاتك الطيبة خير الجزاء .

● **القارىء/ عبد الرازق كامل حسن مبروك ـ مدرس اللغة العربية بفاقوس :**

ـ تناولتم الصراع الدائر فى أجزاء متفرقة من العالم الإسلامى ونتفق معك على أن الحاجة

أصبحت ملحة إلى إيجاد قوة إسلامية تدافع عن دينها ووجودها فى وجه الأخطار المحدقة بالمسلمين من كل جانب ، فإننا نعيش عصر الكيانات والتكتلات الكبرى فى العالم من حولنا ، ولا بد من مواكبتها ومواجهة تحدياتها .

● **القارىء/ إبراهيم محمد على سيد ـ الطالب بحقوق بنى سويف :**

ـ مرحباً بك صديقاً وفى انتظار ابداعات أخرى .

● **القارىء/ محمد عطية عبد الله من العصافرة بالاسكندرية :**

ـ ما تسأل عنه حرام قطعاً بنص الآية رقم ٧ من سورة المؤمنون ، وما تشكو منه سيذهب مع مرور الوقت ، ولكن عليك بمداومة الطاعة لله رب العالمين وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم بصفة دائمة .

● **القارىء/ محروس عبد الفتاح يس محمد ـ بكلية أصول الدين بالزقازيق :**

ما أحوجنا بالفعل إلى الحل الإسلامى فى الاقتصاد لنواجه به تحديات السوق الأوربية المشتركة ، أو السوق الشرق أوسطية.

والحل الإسلامى فى هذا المجال واضح باهتمام كثير من الدراسات العلمية به ، ولكن يبقى التطبيق ، ولنا أن نجنى بعد ذلك ثماره .

● **القارىء/ محمد فتحى نعيم حسن ـ بكلية هندسة المنصورة :**

ـ لديكم قدرة طيبة على التعبير باللغة العامية ولكن مجلة الأزهر لا تشجع هذا الاتجاه فمعذرة .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .

اشتراكات المجلة

على كل من يرغب فى الاشتراك بمجلة الأزهر ، مراسلة « إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة » لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة (١٢) عدد ، تكون على النحو التالى :

ـ ٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .

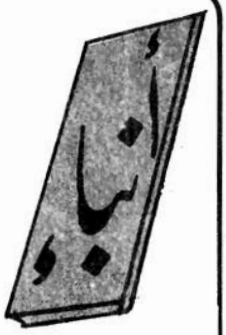
ـ ٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربى .

ـ ٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربى .

● رجاء خاص بالسادة الكتاب :

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسنداً علمياً ـ بما فى ذلك تخريج الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ـ كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء وآراء



مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الوزراء

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

شهد اللقاء فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف والسيد اللواء حسن الألفى وزير الداخلية والسيد المستشار أحمد رضوان وزير شئون مجلس الوزراء والمتابعة .

تم خلال اللقاء بحث دور الأزهر الشريف فى الإشراف الكامل على المؤسسات والجمعيات الشعبية والأهلية العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية وكذلك الإشراف على الجمعيات الدينية لتطوير رسالتها فى خدمة العمل الإسلامى .

كما تم خلال اللقاء بحث العديد من الموضوعات المتعلقة بإنشاء المعاهد الأزهرية وتجديدها وسرعة الانتهاء من نقل مكتبة الأزهر الشريف إلى مقرها الجديد بحديقة الخالدين بالدراسة ، حيث أعرب الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء عن استعداد الحكومة لتقديم الدعم الكامل للأزهر الشريف للنهوض برسالته على الوجه الأكمل .

وقد نقل الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء إلى فضيلة الإمام الأكبر تقدير الرئيس مبارك والحكومة وكافة فئات الشعب للدور الكبير الذى يضطلع به الأزهر لخدمة العمل الإسلامى فى الداخل والخارج باعتباره صمام الأمان للفكر المعتدل المستنير .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع هيئة الرئاسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

ترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماع هيئة الرئاسة بالمجلس فى دورته الحادية والعشرين الذى عقد بالقاهرة صباح يوم الخميس ١٤١٤/١٢/٢٢ هـ الموافق ١٦٩٤/٦/٢ م .

وقد استعرضت الهيئة خلال اجتماعها العديد من الموضوعات المتعلقة بالمشروعات الإغاثية لمساعدة متضررى ومنكوبى المسلمين بصفة خاصة والعالم بوجه عام ، وكان من الموضوعات التى استعرضتها الهيئة مشروعات دعم الاستقرار لمواطنى محافظة شمال سيناء ومنها مشروعات حفر

آبار عميقة لتخزين المياه لاستخدامها خلال أشهر الجفاف .

وقد طالب فضيلة الإمام الأكبر رئيس المجلس بضرورة التنسيق بين الجهات والمنظمات الإغاثية العالمية منعاً للازدواجية التى ينتج عنها التفريط من جهة والزيادة فى الإغاثة من جهة أخرى .

كما طالب فضيلته ضرورة أن تكون جهود الإغاثة للمنظمات داخل المجلس شاملة الدول الإسلامية وغيرها .

كذلك طالب فضيلته المجتمع الدولى بالتزام الحياد التام فى حل كافة المشاكل الدولية دون النظر إلى اعتبارات عرقية أو عقائدية .

الإمام الأكبر يرأس إجتماع مجلس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد صباح يوم السبت الموافق ٩/١/ ١٤١٥ هـ ١٨/٦/١٩٩٤م بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف .

وقد تمت الموافقة خلال الاجتماع على اتخاذ إجراءات الإعلان عن المنشآت الجديدة بالعريش وعلى إنشاء قسم داخلى لطلاب معاهد وادى النطرون الإعدادى الثانوى للبنين والبنات ومقر للمدرسين المغتربين ، كما وافق المجلس وأوصى بالإسراع نحو إيفاد أو تعيين العاملين فى الوحدة الحسابية بمنطقة شمال سيناء كما ناقش المجلس بعض الموضوعات الخاصة بما أثير من وجود عجز فى بعض المواد الثقافية بالمعاهد الأزهرية ، حيث أحال فضيلة الإمام الأكبر الموضوع إلى فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

شهد الاجتماع فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وقيادات التعليم بالأزهر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة بذل كافة الجهود من جميع العاملين بالمعاهد الأزهرية حتى تنهض وتؤدى رسالتها فى المجتمع على الوجه الأكمل وتشارك فى حماية الأمة من الأفكار المنحرفة والضالة التى يروج لها البعض باسم الدين .

وقال إن هذا الجهد قبل أن يكون عملا لكل فرد فى الأزهر فهو أمانة فى عنقه نحو دينه وبلده يحرم التهاون فى أدائه .

أول مؤتمر للدعاة تحت رعاية الإمام الأكبر

يترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المؤتمر الأول للدعاة الذى يعقد فى القاهرة فى الفترة من ١٧ ـ ٢٠ يولية سنة ١٩٩٤م .

يناقش المؤتمر رسالة المسجد ودوره فى ظل متطلبات العصر ودور الداعية فى تصحيح المفاهيم ومهمة الإعلام فى بناء المواطن المصرى . ويهدف المؤتمر الذى سيعقد تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر إلى وضع خطة منهجية متكاملة للتحرك فى مجال التوعية الدينية لتنشيط دور المسجد والتصدى لتيارات التطرف والانحراف وذلك بالتعاون مع مختلف الأجهزة المعنية كما يتم فى المؤتمر إطلاع الدعاة على مختلف سياسات وبرامج الدولة التعليمية والاجتماعية والاقتصادية وشئون البيئة والسكان لإمكان توجيه نشاطهم لخدمة المجتمع .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية الصومال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم

الإثـــــنين الموافـــــق ١٤١٥/١/٥هـ ١٩٩٤/٦/١٤م . السيد محمد على حامد وزير خارجية الصومال الذى كان فى زيارة لمصر فى تلك الفترة .

وتم خلال اللقاء بحث آخر تطورات الموقف فى الصومال ، وإمكانية استئناف الأزهر لنشاطه حيث أبدى الضيف رغبة بلاده فى ذلك مشيراً إلى أهمية استئناف هذا النشاط بمنطقة شمال الصومال حيث تشهد استقراراً أمنياً وحياة طبيعية هادئة .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الأمور فى القريب العاجل مع وزارة الخارجية المصرية .

الإمام الأكبر يلتقى والسيد وزير خارجية المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد وزير خارجية المالديف وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٤/٦/١م بمكتب فضيلته بالأزهر . فى بداية اللقاء نقل السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس دولة المالديف كما نقل لفضيلته تحيات حكومة وشعب المالديف .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف والمالديف حيث قدم السيد الوزير بعض الاقتراحات والطلبات .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث كافة الموضوعات ومدى إمكانية وضعها موضع التنفيذ مع الجهات المعنية بالأزهر بما يحقق النفع والخير لصالح مسلمى المالديف .

وفى ختام اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير تحياته وتحيات الأزهر ـ علماء وعاملين ـ للسيد مأمون عبد القيوم ؛ متمنياً للمالديف دوام التقدم والرقى .

الأزهر يشارك فى الحوار بين الأديان

تقرر أن يشارك فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق عميد كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ممثلا للجامعة فى اجتماعات المائدة المستديرة للحوار بين الأديان السماوية التى تعقد بجامعة السوربون وتنظمها جمعية الحوار الإسلامى المسيحى .

يقدم الدكتور زقزوق بحثاً عن الحوار بين الأديان الثلاثة من المنظور الإسلامى .

الإمام الأكبر يستقبل مفتى استراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر سماحة الشيخ / تاج الدين الهلالى مفتى استراليا وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى استراليا ، حيث أطلع سماحة المفتى فضيلة الإمام الأكبر على الإجراءات المتخذة من أجل استمرارية التنسيق بين مختلف الطوائف فى استراليا .

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر سماحة المفتى على بذل أقصى جهد لمواصلة هذا التنسيق حفاظا على وحدة المهاجرين فى استراليا والعمل على إنصهار كافة الطوائف فى بوتقة واحدة دعماً لمسيرتها فى مجال الدعوة الإسلامية .

كما أعرب فضيلته عن استعداد الأزهر لتقديم الدعم اللازم لطاقة المسلمين فى استراليا تحقيقاً للوحدة فيما بينهم .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

القاهرة :

ينظم جهاز الشباب بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة مسابقة حول سيرة الرسول ﷺ لجميع الشباب بمناسبة مولد الرسول الكريم وتتناول المسابقة منهج الرسول الكريم فى تربية الشباب ، مع اختيار إحدى الشخصيات القيادية الشبابية التى دفع بها الرسول الكريم ﷺ لتتولى مراكز قيادية فى نشر الدعوة الإسلامية .

وتتألف المسابقة من :

١ ـ بحث أو مقال فى حدود عشر صفحات .

٢ ـ قصيدة فى مضمون حث الرسول الكريم للشباب على الحلم والعلم والرباط والجهاد والتضحية من أجل حماية العقيدة ونصرة المظلومين ولا تقل القصيدة عن ثلاثين بيتا .

هذا وقد تحدد العاشر من أغسطس المقبل كآخر موعد لإرسال البحوث المطلوبة وقد رصد المجلس جوائز مالية وأدبية سخية للفائزين .

الأزهر :

نظمت جامعة الأزهر بطنطا ندوة دينية حول الأشهر الحرم فى الإسلام ومنزلتها عند الله وحرمة دماء المسلمين فى هذه الأشهر ، وطالب المشاركون فى الندوة بسرعة وقف الاقتتال بين المسلمين فى شتى أنحاء العالم .

السعودية :

قامت وزارة الشئون الإسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد بالسعودية . بعمل دراسات وتصميمات لتوسعة مسجد نمرة بعرفات تشمل مظلات مزودة بالمراوح ووحدات التكييف على مساحة عشرين ألف متر مربع ويستفيد من التوسعة حجاج بيت الله الحرام خلال موسم الحج القادم إن شاء الله ـ تعالى .

مكة المكرمة :

قرر المجلس التأسيسى لهيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة بمكة إصدار مجلة سنوية لنشر الأبحاث الإسلامية العلمية ومناهج البحث فى مجال الاعجاز العلمى فى الكتاب والسنة إلى جانب تخصيص وقف لتمويل نشاطات الهيئة التى تتمثل فى طبع الكتب والأبحاث وعقد الندوات .

لندن :

نظم المعهد الإسلامى المصرى بلندن معرضا فنيا تحت عنوان لمحات عن مصر استمر أسبوعا .

وجاء تنظيم هذا المعرض فى إطار الخدمة الإعلامية التى تقوم بها وزارة الإعلام المصرية .

هذا ويطوف المعرض أمريكا والعديد من العواصم الأوربية الأخرى .

قطر :

أصدر وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر قرارا بتشكيل لجنة للقيام بالدراسات اللازمة لتنفيذ مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم .

وتتولى اللجنة التى يرأسها الدكتور يوسف القرضاوى وضع خطة شاملة لترجمة معانى الكتاب العزيز إلى عدة لغات مختلفة والجدير بالذكر أن لمصر دور السبق والريادة فى هذا المضمار .

بلجيكا :

عقد فى بلجيكا المؤتمر الإقتصادى الإسلامى الذى نظمته غرفة التجارة والصناعة الأوربية الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر وتناولت الأبحاث المقدمة المنهج الإسلامى الواضح فى مجال التعاون المالى والأساليب المناسبة لتحقيق الأهداف الاقتصادية المرجوة بين العالمين الإسلامى والعربى على أسس متوازنة فى عالم يمتاز بالتكتلات الاقتصادية .

أسبانيا :

أكد مدير المركز الإسلامى بمدريد ، أنه تجرى حاليا محاولات لإعادة فتح مسجد قرطبة التاريخى ، وإقامة الشعائر الدينية فيه وأضاف : أن المركز قام بإعداد مكتبة إسلامية ضخمة مزودة بأمهات الكتب الإسلامية .

كوريـا :

تقوم جمعية الطلبة المسلمين فى كوريا بالإعداد لمعسكر صيفى للطلبة المسلمين فى شبه الجزيرة الكورية ، ويتضمن المعسكر ندوات دينية وبرامج تثقيفية ومسابقات وأنشطة أخرى لتقوية الروابط بين مسلمى كوريا وغرس أخلاقيات وتعاليم الإسلام فى أذهانهم وتقديمه بالصورة المشرقة التى تؤكد أنه أمر جوهرى لكل مجتمع إنسانى ، مهما بلغ من التقدم العلمى .

فرنسـا :

يتم فى نهاية سبتمبر المقبل افتتاح ثانى أكبر مسجد فى فرنسا وذلك فى مدينة « ليون » وتبلغ مساحة المسجد الذى تم الانتهاء منه بعد جدل طويل ٣٣٠٠ م٢ ويتسع لنحو ٢٨٠٠ مصل .

ويضم مكتبة إسلامية كبيرة وملحقات أخرى .

الناجحون من الوافدين إلى جامعة الأزهر
عام ١٩٩٣م

يسعد المجلة أن تنشر أسماء الطلاب الوافدين الذين تخرجوا فى كليات جامعة الأزهر عام١٩٩٣ .

أولًا : الناجحون بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف .

رقم	الاســـم	الكلية	البلد	ملاحظات
١	محمد خميس شماده	العلوم	فلسطين	

ثانياً : الناجحون بدرجة جيد جداً .

رقم	الاســـم	الكلية	البلد	ملاحظات
١	أسامه محمد السيد	العلوم	السودان	
٢	ميرغنى محمد حسن عواد	الزراعة	السودان	
٣	انتصار محمد عبد الله	العلوم	السودان	
٤	انصاف إبراهيم محمد حاج مرسى	الطب.	السودان	
٥	أحمد نسيب عبد اللطيف	طب أسنان	الأردن	مع مرتبة الشرف
٦	رندة خالد عبد الرازق	طب أسنان	الأردن	
٧	رشاد خليل سالم	العلوم	فلسطين	
٨	عبد الكبير حسين صالح	دراسات إسلامية	نيجيريا	
٩	أحمد سحيمى بن يحيى	شريعة وقانون	ماليزيا	
١٠	ضىء يسرى بن موسى	أصول الدين	ماليزيا	
١١	سيد محمد حلمت بن سيد عبدالرحمن	أصول الدين	ماليزيا	
١٢	وأن عزيزة بنت وأن إسماعيل	دراسات إسلامية	ماليزيا	
١٣	نوريمة بنت حميد بن توندق	دراسات إسلامية	بروناى	
١٤	حسين حسن يوسف كريم	الزراعة	السودان	
١٥	انتصار عبد الفراج أحمد	العلوم	السودان	
١٦	مناهل موسى عبد الله آدم	العلوم	السودان	

(Le Prophète est plus proche des croyants qu'il ne sont les uns des autres; ses épouses sont leurs mères).[20]

Aucun Musulman ne pouvait épouser les femmes du Prophète (b.s.), divorcées ou veuves, puisqu'elles étaient considérées comme leurs mères.

(Vous ne devez pas offenser le Prophète d'Allah, ni jamais vous marier avec ses anciennes épouses: ce serait, de votre part, une énormité devant Allah.[21]

Si le Prophète (b.s.) choisi de se séparer de certaines de ses épouses selon les prescriptions de la limitation du nombre, il aurait privé ses épouses divorcées de se remarier. Une attitude aussi cruelle ne pouvait provenir de la part du Prophète (b.s.)

(à Suivre).

20) XXXIII — Les Factions —6

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾

21) XXXIII — Les Factions — 53

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا

voilée par sa nature humaine et que ces obligations de guide et de chef d'une communauté humaine dissimulent aux regards sa fonction proprement spirituelle.

On pourrait se demander si quatre étant le nombre maximum qu'un homme musulman a le droit de réunir en mariage, pourquoi le Prophète (b.s.) eut-il neuf épouses à la fois? S'agit-il là d'un privilège particulier?

En réalité, le Coran n'a rien dit sur ce point, la tradition non plus. La seule possibilité est que ces mariages avaient été contractés bien avant la limitation du nombre d'épouses à quatre qui date d'une sourate postérieure. Cette hypothèse est soutenue par de nombreux islamologues(18). Mais dès que lui fut révélé ce commandement, le Prophète (b.s.) n'a pas hésité à le proclamer même en ce qui le concerne tel qu'il est indiqué dans le verset du Coran :

> *(Il ne t'est plus permis de changer d'épouses ni de prendre d'autres femmes, en dehors de tes esclaves même si tu es charmé par la beauté de certaines d'entre-elles. Allah voit parfaitement toute chose).*(19)

Si le Prophète n'avait pas répudié un certain nombre de ses épouses pour n'en garder, sinon une, du moins quatre, tel qu'il fut prescrit aux fidèles, c'est que les épouses du Prophète sont considérées avec une vénération particulière et le Coran leur a discerné le titre de "mères des Musulmans".

18) Tahar Haddad — Notre Femme La Législation Islamique Et La Société — op.cit. p. 79.
Muhammad Hamidullah — Le Prophète De l'Islam, Vie, Son Oeuvre — Paris — Associations des Etudiants Islamiques en France — 1979 — 2 volumes — voir vol. 2-p. 626

19) XXXIII — Les Factions — 52

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

"Sur le plan de la piété, signalons, l'amour de la pauvreté, les jeûnes et les veilles; d'aucuns objecteront sans doute que le mariage et surtout la polygamie s'opposent à l'ascèse, mais c'est là oublier d'abord que la vie conjugale n'enlève pas à la pauvreté, aux veilles et aux jeûnes leur rigueur et ne les rend ni faciles ni agréables et ensuite, que le mariage avait chez le Prophète un caractère spiritualisé ou tantrique, comme du reste toutes les choses dans la vie d'un tel être et enfin Mohammad a donné assez d'exemples de longues obstinences, dans sa jeunesse notamment où la passion est censée être la plus forte, pour être à l'abri des jugements superficiels". (16)

De même, il faut prendre en considération que l'Islam n'a pas imposé au Prophète (b.s.) une vie ascétique surhumaine ni un comportement plus austère, même s'il y était préparé de nature parce que chaque geste et chaque parole devaient faire loi dans sa communauté. Le Prophète (b.s.) devait représenter le modèle de ce qu'il enseignait et exigeait des autres. Le Coran l'a explicitement déclaré :

(Vous avez dans le Prophète d'Allah, un bel exemple pour celui qui espère en Allah et au Jour Dernier et qui invoque souvent le nom de Allah.(17)

Ainsi le Prophète (b.s.) ayant vécu et accompli sa mission en faisant parfaitement la part de la vie d'ici-bas et celle de l'au-Delà, a donné aux croyants la possibilité de réaliser pleinement sur terre leur condition, sans perdre un instant leur orientation spirituelle. Il instaura de la sorte ce remarquable équilibre qui caractérise l'Islam et qui permet de goûter à la vie terrestre sans jamais oublier que nous devons tous retourner à Allah et comparaître devant Lui. En même temps, il demeure le guide spirituel des hommes qui cherche la sainteté et qui discerne dans tout ce qu'il a fait et tout ce qu'il a dit, les symboles et les enseignements les plus élevés.

Mais il paraît difficile pour certains non-musulmans, de comprendre la signification spirituelle du Prophète (b.s.) et son rôle comme prototype de la vie religieuse et spirituelle. Cette difficulté provient du fait que la nature spirituelle du Prophète (b.s.) est

16) Frithjoh Schuon — Comprendre L'Islam — Paris — Editions du Seuil — 1976 — p. 104

17) XXXIII — Les Factions — 21

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

"Je suis un être humain, ce qui fait plaisir aux hommes me fait plaisir également et ce qui les indigne, m'indigne également"(11).

L'homme le plus saint est celui qui jouit entièrement de sa nature.

"La sainteté islamique ne consiste donc pas en une indifférence absolue à l'égard de la nature, mais en une préférence particulièrement accentuée pour les valeurs spirituelles".(12)

C'est pourquoi le Coran en décrivant les vrais croyants dit :

(Les croyants sont les plus zélés dans l'amour d'Allah (13)

Le Coran ne dit pas que les croyants sont ceux qui n'aiment que d'Allah , mais plutôt ceux qui aiment Allah par-dessus tout. Aussi toutes les sympathies du Prophète (b.s.) allaient-elles vers des actes de haute valeur morale; il disait :

"Ma joie la plus profonde est dans la prière".(14)

Pour le Prophète, (b.s.) ses émotions les plus vives et les plus profondes ne provenaient jamais de choses banales. Les douleurs qu'il éprouvait devant l'égarement des hommes lui troublaient l'âme.

(Il se peut que tu te consumes de chagrin parce qu'ils ne sont pas croyants). (15)

La notion de piété et de vertu dans l'Islam ne s'oppose donc pas au mariage. Schuon exprime cette idée ainsi :

11) Muslim — K — Birr — B — 25

قال رسول الله ﷺ :
« إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر »

12) Mohammed Draz — La Morale Du Koran — Le Caire — Dar Al Ma'arif — 1950 — P.471

13) II-La Vache — 16 5

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة :
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾

14) Nisaï — K — 'Ishrat an nisa'-B-I

قال رسول الله ﷺ :
« وجعلت قرة عينى فى الصلاة »

15) XXVI — Les Poètes — 3

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الشعراء :
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾

sobrement que lui. Il offrit à ses épouses qui s'en plaignaient de les répudier toutes si elles lui préféraient l'aisance et les biens matériels.

D'autre part, le Prophète était chargé d'une lourde responsabilité. Il avait à propager son message, à préparer sa communauté à se défendre, à établir la législation islamique, à guider les Musulmans et à trancher leurs différends. Un homme aussi préoccupé, ayant de telles tâches à accomplir pouvait-il avoir le temps de rechercher les plaisirs des sens? Si tel était le but du Prophète (b.s.) pourquoi ne l'avait-il pas fait dans sa jeunesse, avant la Révélation, alors qu'il pouvait prendre un nombre illimité d'épouses comme le faisaient les polythéïstes à cette époque, surtout qu'il n'était pas encore préoccupé par les responsabilités de la Révélation?

Toutefois notre but n'est pas de dénier au Prophète sa qualité d'homme en exposant ces quelques réalité le concernant. Il fut un homme comme tous les autres prophètes qui l'ont précédé. Tous, à l'exception du Christ, se sont mariés, furent polygames et ont eu des enfants. Il en fut ainsi pour Abraham, Ismaël, Noé, Isaac, Moïse, Jacob[7], David[8] et Soloman[9].

(Nous avons envoyé des prophètes avant toi et Nous leur avions donné des épouses et des enfants). (10)

Nul ne manifesta de l'indignation devant la polygamie de ces prophètes. Seule la polygamie du Prophète Mohammad suscita tant de commentaires.

La notion de sainteté et de vertu conçue par l'Islam ne s'oppose pas au mariage; elle n'encourage pas les hommes à se détacher de la vie et des plaisirs. L'homme vertueux dans l'Islam n'est pas conçu sur le modèle du sage bouddhiste détaché au désir. Pour le Musulman, l'Islam accorde d'aimer certaines choses; tant que son penchant naturel ne s'oppose pas à un devoir, il ne doit pas chercher à contrarier ce penchant. Le Prophète (b.s.) déclarait dans un hadith.

7) La Genèse — XXVIII — 15 à 30 "Les deux mariages de Jacob".

8) Deuxième Livre De Samuel — IV — David 5 "Après son arrivée d'Hébron, David prit encore des concubines et des femmes à Jérusalem et il lui naquit des fils et des filles.

9) 1er Livre Des Rois — XI — 3 "Il eut sept cents épouses de rang princier et trois cents concubines".

10) XIII — Le Tonnerre — 38

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الرعد :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

Ils le traitèrent de fou

(Peu s'en faut que les incrédules ne te percent de leurs regards quand ils entendent le Rappel et qu'ils disent : "Il est sûrement possédé" !). (4)

Ils l'accusèrent aussi de s'être inspiré des révélations antérieures.

(Ils disent : "Ce sont des contes d'Anciens qu'on écrit pour lui; on les lui dicte matin et soir"). (5)

Malgré toutes ces fausses accusations et tant d'autres encore, nul n'osa porter atteinte à sa chasteté et à sa décence; jamais la vertu du Prophète (b.s.) ne fut mise en question. Pourtant si les polythéïstes avaient le moindre doute sur sa conduite, la moindre possibilité de porter atteinte à sa réputation, ils ne se seraient jamais abstenus de le faire afin d'entraver son message.

"Il faut relever d'abord qu'il fut à la fois un homme normal, réalisant la condition humaine dans son intégralité et parfaitement vertueux. Tous les témoignages s'accordent à reconnaître qu'il fut, toujours et sans défaillance aucune, véridique, juste, bon humble et simple... Cet homme entièrement soumis à Allah fut en toute circonstance maître de soi". (6)

Le Prophète (b.s.) mena en effet une vie très austère même après la Révélation. Il renonça à tous les plaisirs du monde. Il ne profita jamais des biens acquis par les Musulmans après les guerres tels que la "djizya" et le butin dont le cinquième lui revenait. Il distribuait sa part aux pauvres. Il se contentait du strict nécessaire en ce qui concerne les exigences de la vie, vêtements, nourriture il renonçait au superflu. A sa mort, il ne possédait ni biens, ni esclave. Il n'avait que son mulet, son arme et une parcelle de terre qu'il légua aux pauvres. Il aurait pourtant pu profiter de sa situation mais ce fut le contraire : il poussa même sa famille, ses épouses et sa fille à vivre aussi

4) LXVIII — Le Calame — 51

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة القلم :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾

5) XXV — La Loi — V

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الفرقان :

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾

6) Roger Du Pasquier — Découverte De l'Islam — op.cit. p. 54.

«La polygamie en Islam»

par : Dr. Magda Mahmoud Salem

Dans la vie du Prophète, (b.s.) la question qui a été le plus discutée est la polygamie, elle a été l'objet de la part des non-Musulmans de commentaires dépourvus de toute compréhension. Même si le Prophète fut polygame, les accusations de sensualité que lui adressèrent tant d'occidentaux ne sont pas vraisemblables et sont démenties par de nombreux faits.

En effet, durant toute la période qui précéda la Révélation, c'est-à-dire les quarante premières années de la vie du Prophète, (b.s.) il était reconnu par sa pudeur, sa chasteté, sa décence et son honnêteté. Avec la Révélation, les polythéistes hostiles au nouveau message, commencèrent à attaquer le messager, à le dénigrer, voulant de toute façon entraver sa prédication et détourner les hommes du Prophète. Ils l'attaquèrent pour plusieurs raisons mais ils ne mirent jamais en doute sa vertu. Le Coran n'était pour eux que des poèmes écrits par lui :

(Mais ils dirent : "Voici plutôt un amas de rêves qu'il a inventés lui-même c'est un poète, qu'il nous apporte un Signe comme il en a été envoyé aux Anciens !"). (1)

Ils prétendirent également que le Prophète était un magicien.

(Ils s'étonnent que vienne à eux un avertisseur parmi eux. Les incrédules disent : "C'est un sorcier, un grand menteur). (2)

Ils dirent également qu'il était un devin

(Ce n'est pas la parole d'un devin). (3)

1) XXI — Les Prophètes — 5

قال الله تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾

2) XXXVIII — Cad — 4

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة ص

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾

3) LXIX — Celle Qui Doit Venir — 42

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الحاقة : ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾

La clairvoyance de Othmân et le respect qu'il inspirait à ses interlocuteurs lui ont valu d'être à maintes reprises l'ambassadeur du prophète (salut et bénédiction sur lui). Quand 'Omar mourut, le conseil de délibération consulta les élites et la masse et jamais on ne vit un tel accord, une telle unanimité que pour l'élection de Othmân Ibn affân.

Sous la direction du troisième calife les ouvertures se multiplièrent et les musulmans conquirent l'Ile de Chypre ce qui donna naissance à la marine musulmane.

Nous avons mentionné que durant la vie des deux premiers califes, le Coran a été rassemblé en un volume. A part cela certains compagnons avaient leur propre copie, qu'ils avaient rédigée, d'autres avaient conservé le Coran dans leur coeur en le mémorisant, cependant la plus grande partie du Coran était récitée selon le dialecte de la principale tribu arabe : Quoraïch. Alors certains commencèrent à prétendre que leur lecture était plus juste, meilleure que les autres; ce qui poussa les compagnons à inciter le calife "Othmân à prendre la décision d'unifier les gens autour d'une seule façon de lire le Coran pour éviter plus tard les divergences. 'Othmân groupa alors son conseil de délibération afin de copier le Coran sous forme d'un seul livre. La copie achevée,il en envoya des exemplaires dans tous les pays tout en donnant l'ordre, par ailleurs, de brûler tout feuillet ou tout exemplaire complet qui contiendrait autre chose que le Coran qu'il venait d'assembler. Les exemplaires que nous avons aujourd'hui et que tous les musulmans lisent sont identiques à celui qui à été sauvegardé par Othmân.

Durant son califat, 'Othmân porta un grand intérêt à l'urbanisation de la capitale de l'Etat musulman : Médine. Il entreprit d'embellir son réseau urbain l'en 35h en agrandissant les différents artères de la ville, puis il ordonna la rénovation avec agrandissement de la mosquée du prophète (salut et bénédiction sur lui). La mort injuste du calife Othmân est survenue le 18 du mois de Dhoûl Hijja en Il était alors agé de 82 ans.

Qu' Allah bénisse le calife Othmân. Nous invoquons Allah, le Tout-puissant pour qu'Il le comble de Ses Bienfaits et le récompense pour son oeuvre, sa sincérité et son oeuvre vis-à-vis de la communauté musulmane.

Le troisième calife
Othmân Ibn Affân

par Hoda Hussein Cha'ra wi

Dhou an-Nouraïn
(l'homme aux deux lumières)

En abordant la vie du troisième calife de l'Islam, Othmân Ibn Affân (qu'Allah soit satisfait de lui) beaucoup de gens n'ont à l'esprit que la crise (fitna) très grave qui mena à son assassinat par les dissidents. De même on ne parle de lui qu'en faisant allusion à certains aspects de sa politique et on a tendance à oublier très facilement l'homme qu'il était et l'oeuvre qu'il a accomplie durant son califat.

Le calife Othmân est l'un des dix à qui le prophète (salut et bénédiction sur lui) avait annoncé de leur vivant qu'ils iraient au Paradis. Othmân reste connu par les musulmans sous le surnom de "Dhou an-Nourain"; les ulémas ont dit qu'il fut surnommé ainsi car nul homme dans l'histoire ne connut l'honneur d'épouser deux filles d'un prophète, excepté lui. Othmân fut le premier musulman à émigrer en Abyssinie et à délaisser tous ses biens pour la cause d'Allah, comme il fut le tout premier musulman à émigrer avec les siens dans la voie d'Allah. Alors le prophète (salut et bénédiction sur lui) dit : "Othmân est le premier homme à émigrer pour la cause d'Allah avec sa famille, après Loth le prophète d'Allah".

Othmân participa aux cotés de l'Envoyé d'Allah (salut et bénédiction sur lui) à toutes les batailles qui ont opposé les musulmans aux mécréants, sauf à la bataille de Badr, durant laquelle il resta au chevet de son épouse "Rokaya" le fille du prophète (salut et bénédiction sur lui) qui était très souffrante. Rokaya ne survécut pas à cette maladie, et le chagrin énorme qu'eut Othmân poussa le messager d'Allah (b.s.) à lui donner pour épouse la plus jeune de ses filles : "Om Kalthoum".

Othmân était réputé pour sa générosité et cette générosité se manifesta à maintes reprises dans l'histoire de l'Islam. Il n'a pas cessé de surprendre par sa bonté, et à ce sujet on a rapporté qu'il s'était fixé une règle de conduite toute sa vie : elle consistait à libérer un esclave tous les vendredis, et s'il n'en avait pas les moyens un vendredi, il en libérait deux le vendredi suivant.

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part II

Safar, 1415 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

against running after scandals and constant searching after the secrets and faults of women, since such a course of action may impair the conjugal relations, and finally leads to the absolute dissolution of the marriage bond. The Prophet was reported to have said :

"The noblest of you is the best in conduct, and the noblest of all are those who treat their wives kindly. Let not any Muslim be harsh in his treatment of his wife; for if certain aspects of her conduct displease the husband, certain others please him"

As the Prophet enjoined man to be kind to his wife, he enjoined woman to be kind to her husband too, obey him and refrain from deserting his bed :

"Among my followers the best of men are they who are best to their wives, and the best of women are they who are best to their husbands. To each of such women is set down the reward equivalent to the reward of a thousand martyrs. Among my followers, again the best of women are they who assist their husbands in their work, and love them dearly for everything, save what is a transgression of Allah's Laws. The best of men, on the other hand, are they who treat their wives with the kindness of a mother to her children. To each of such men is set down a reward equivalent to that of a hundred martyrs".

The Prophet also said :

"When a woman who has been called to come to her husband's bed refuses and the latter spends the night in an angry mood, the angels curse her till the morning.

By Him in Whose hand my soul is, if any woman who has been called to come to her husband in bed refuses, He Who is in heaven is displeased with her "till her husband is pleased with her."

(TRANSMITTED BY : al-Bukhari and Muslim).

TO BE CONTINUED

understanding and stability in their married life. Marriage contracted blindly and without forethought normally results in a breach. The Qur'an says :

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ
لَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

235. There is no sin for you in that which ye proclaim or hide in your minds concerning your troth with women. Allah knoweth that ye will remember them. But plight not your troth with women except by uttering a recognised form of words. And do not consummate the marriage until (the term) prescribed is run. Know that Allah knoweth what is in your minds, so beware of Him; and know that Allah is Forgiving, Clement.

(Sura 2:235).

Islam has stated that the marriage which is not based on mutual consent of both parties is considered null and void. Yet Islam does not object to divorcing the woman before her marriage has been consummated with her husband, whether she is menstruating or in the state of purity. It is preferable for the couple to resort to divorce before marriage is consummated, if they discover that they cannot get along with each other. It is easier for her to remarry when she is still a virgin rather than when she is a (thayyib) matron or burdened with children. A wife so divorced is entitled to half the dowry and she needs not observe a waiting period.

The Qur'an calls also upon the husband to be kind and generous to his divorcee with whom he has not consummated his marriage :

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ
أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ
حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾
وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن
يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۖ وَ
أَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

236. It is no sin for you if ye divorce women while yet ye have not touched them, nor appointed unto them a portion. Provide for them, the rich according to his means, and the straitened according to his means, a fair provision. (This is) a bounden duty for those who do good.

237. If ye divorce them before ye have touched them and ye have appointed unto them a portion, then (pay the) half of that which ye appointed, unless they (the women) agree to forgo it, or he agreeth to forgo it in whose hand is the marriage tie.[1] To forgo is nearer to piety. And forget not kindness among yourselves. Allah is Seer of what ye do.

(Sura 2:236-237).

The message of Islam does not only enjoin men to treat their wives kindly, but also to overlook their minor faults and misgiving. The Prophet has positively warned men

DIVORCE IN ISLAM (6)

By : Muhammad Higab

DISTINCTION BETWEEN KHUL' AND DIVORCE :

It should be borne in mind that distinction between divorce and Khul' (redemption) is real and not merely technical. If the cause of disagreement proceeds from the husband, or if he alone wishes for a divorce, he must pay off the settlement debt to the wife. However, in case the proposal for a divorce originates from the woman because of her aversion to the husband and her consequent failure to perform her duties as a wife, or if she alone wishes for a Khul', she has to surrender her dowry or abandon some of her rights as compensation.

While divorce is revocable and the husband can take back his divorce to their married life as his wife during her waiting period, Khul' is irreversible and can neither be revoked by the husband nor by the judge.

TAFRIQ (LEGAL SEPARATION) :

If the wife be so unfortunate as to be subject to abuse by a brutal husband who may wish her either to forfiet the whole of her dowry or live with him, she need not forfiet any. Let her go to the court, preffer a complaint against her husband and demand a formal separation by the decree of the court. If her allegations are true, the judge will call upon the husband to repudiate her. In case he refuses to do so, the judge himself pronounces a repudiation which will operate as a valid divorce, and the husband will be liable for the whole of the deferced dowry. This procedure is known as Tafriq (legal separation) in Islamic Law and is based on the words of the Prophet :

"If a woman is prejudiced by a marriage, let it be broken off." (transmitted by Al-Bukhari)

SACRED RELATIONSHIP :

Islam, as being always against divorce, respects married life and gives it sufficient care and full consideration so that it may be built on love, mercy, faithfulness and mutual agreement. In order to protect married life from disintegration, Islamic Law has provided man and woman with rules and regulations to follow and has instructed them with precautionary procedures to prevent a breach that may sometimes lead to divorce.

The Holy Qur'an states that among Allah's bounties is the fact that He has provided man with a wife to fill his life with happiness and share with him both prosperity and hardship :

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

21. And of His signs is this: He created for you mates from your selves that ye might find rest in them, and He ordained between you love and mercy. Lo, herein indeed are portents for folk who reflect.

(Sura 30:21).

Islamic Law stipulates that marriage relationship should be based at the beginning on mutual consent and desire. Therefore, it is necessary for the couple to see and study each other from aloof during the period of engagement to ensure reciprocal

Riba (usury), on the other hand, is based on the supposition that there is no relation between the Will of Allah and man's life, that the individual is free to follow whatever means to amass wealth and enjoy money without taking any heed of the interests of others. Money is his ultimate goal. In the long run, usury establishes an order that ruins and crushes humanity : individuals, communities and states for the benefit of a handful of usurers who finally get control of all human beings. Apart from money, they own influence and power which they use to increase their exploitation of others. The easier path to increase their wealth is such projects that destroy morality and fells humanity in a quagmire of appetites and eroticism where many waste all the money they own.

As an economic order, usury is faulty and erroneous — a fact that has been observed by western economists. Dr. Schacht, managing director of the German Reich bank said (1953) that all money in our planet shall go to the pockets of a very small number of usurers. The usurer — creditor always gains profit in every process whereas the debtor is subject to profit and to loss. Thus, all the world's money shall go, in the long run, to those who profit all the time. Borrowers such as proprietors of land and factories and other employees are no more than hirelings of usurers. Consumers, also, pay an indirect tax to usurers : interests charged by banks are paid, not by borrowers, but by consumers because prices of consumer goods are increased to cover those interests on loans.

Essential facts about Islam's condemnation of usury :

1 — Islam and usury system are quite incompatible and can never co-exist.

2 — Usury system is catastrophic to humanity faith and morals as well as to its economic and practical life.

3 — Under Islam, morals and practical iife are closely connected; and Islamic successful economy is impossible without morals.

4 — Usurious dealings can only corrupt the individual's conscience and the community life since they disseminate the spirit of avarice, deception, egocentrism and gambling. They direct capitals to be invested in vile, base and ignoble fields where profits are so guaranteed and so high that part of them remain to debtors after paying the interest.

5 — When Islam regulates human life according to its own syllabus and abolish usurious dealings, it will not abolish the economic institutions that are necessary for contemporary economic life — it will only purify them from usurious filth and lay down sound rules for their functioning.

6 — A Muslim should have a firm and solid belief that Allah, the Almighty, may not prohibit a thing that is necessary for the progress of human life and that no malignant thing may be inevitable for human life promotion.

To be continued —

Islam's Outright Prohibition of Usury

by . Muhammad Atris (*)

"Why Western Banks are pondering the applicability of Islamic finance" Part II

Why Islam fights usury :

Alms, freewill offerings and charity constitute helpfulness, clemency, toleration, purification, cooperation and solidarity: whereas usury constitutes niggardliness, filth, egocentrism and self-interest. This is because usury restores its debt in addition to an illegal increase that is subtracted from the debtor's effort in case he makes profit, and from his flesh in case he loses. Islam drew for usury the most abominable picture. Its threat to usurers is greater than to other evil-doers.

Islam bases its economic order on the fact that Allah, the Almighty, is the Creator of the universe and the owner of all resources, wealth, food, energy, power, etc. He chose man to be his viceroy on the Earth on condition that there should be collaboration and solidarity between the faithful who believe in Allah. The rich shall have to give part of their wealth to the poor, and both are ordered to work up to their capabilities. There should be no extravagance or prodigality whether in spending or enjoyment. Promotion of one's wealth should be by legal means that do not imply any detriment to others or obstruct the capital cycle.

★ Under Secretary, the People's Assembly of Egypt

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol 67 Part II

Safar, 1415 Higrah - July, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1. Islam's outright prohibition of usury (2).
by : Muhammad Atris

2. Divorce in Islam. (6).
by : Muhammad Higab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● **الإفتتاحية (أثر الإسلام فى حياة بريطانيا)**
للدكتور/على أحمد الخطيب ١٢٩
● **مع الإمام الأكبر**
● **الإسلام مشكلات الشباب** ١٣٢
● **فتوى فى نفقة الزوجة على الزوج** ١٣٤
● **مع سورة الأنفال**
الدكتور/عبدالجليل شلبى ١٣٩
● **فى ظلال فاتحة الكتاب**
للشيخ/أحمد بن محمد طاحون ١٤٣
● **المنهاج القرآنى والأزمات الدولية**
بقلم لواء أ. ح./فوزى محمد طايل ... ١٤٨
● **قبس من أنوار النبوة**
(العلم النافع سبيل السعادة)
لفضيلة الشيخ/على حامد عبدالرحيم .. ١٥٢
● **من فضائل العشرة المبشرين بالجنة**
للشيخ/عبدالحفيظ فرغلى على ١٥٥
● **الملكية فى الفقه الإسلامى**
للدكتور/تحسين فندا أوغلو ١٦٠
● **تكريم الله للإنسان**
للأستاذ/محمد عبدالمحسن التقاوى ١٦٨
● **المقاصد العلية (فى شرح تائية ابن الفارض)**
للدكتور/محمد دميرجى ١٧٤
● **من يحق له أن يتحدث باسم الإسلام**
للدكتور/محمد شامة ١٧٧
● **الإسلام فى كتب أوربا**
للأستاذ الدكتور/عبدالجواد فلاطورى ١٨١
● **فضيلة التقوى**
الشيخ/السيد عبدالفتاح خضير ١٨٤
● **الفتـاوى** إعداد الأستاذ/عبدالمنعم فودة ١٨٧
● **طرائف ومواقف**
للأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ١٩٠
● **أذّن بلال** للشاعر/رشاد محمد يوسف . ١٩٢
● **فضـل الشيخ**
للشاعر/عبدالستار محمد سليم ١٩٣
● **عاشق الأزهـر**
للشاعر/محمد عبدالفتاح حمادة ١٩٤
● **ديوان صدى الأيام (محمد رجب البيومى)**
عرض الشاعرة/جليلة رضا ١٩٥
● **من أعلام الأزهر (محمد صادق عرجون)**
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى . ٢٠١
● **من روائع الماضى (من نحن ؟)**
للأستاذ/محب الدين الخطيب
إعداد الأستاذ/عبدالفتاح الزيات ٢٠٧
● **الحسن بن الهيثم**
للأستاذ الدكتور/أحمد فؤاد باشا ٢١٢
● **الجديد فى العلم والتقنية**
للدكتورة/ نجوى السيد أحمد ٢١٧
● **دور النشر وتشويه النشرات**
بقلم الأستاذ/جمال عبدالعزيز أحمد ٢٢٠
● **خرافة الوحدة فى الشعر الغربى**
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ٢٢٥
● **الإسلام كبديل (د. مراد هوفمان)**
عرض وتقديم الأستاذ/عادل خفاجة .. ٢٢٨
● **آثار تفكك الاتحاد السوفيتى**
(د. فوزى طايل)
وتقديم الأستاذ/عبدالسلام ناصف ٢٣٤
● **بين المجلة والقارىء**
إعداد وتقديم الدكتور/محمد عبدالحكيم. ٢٤٢
● **أنباء مكتب الإمام الأكبر** إعداد الأستاذين:
عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد . ٢٥٠
● **أنباء العالم الإسلامى**
إعداد الأستاذ/مجدى عبدالحميد بشير . ٢٥٣
● **القسم الفرنسى** ٢٦٥
● **القسم الانجليزى** ٢٧١

٢٢٢٢٦
دوريات

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي فضاحة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت ٥٩٩٠٦٣٨ - ٥٤٧٣٩٠

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الر ـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

أثر الإسلام

في حياة بريطانيا الحديثة

ـ ٢ ـ

لتاريخ النظافة البدنية الداخلية جداً جداً ـ في الغرب ريح ممقوت ، لايزال ـ حتى يومنا هذا على ماهو عليه ، نادراً مايتغير ، وإنه ليذكرنا بفضل الإسلام علينا ، وحسد أعدائه لنا حتى قالوا ـ في عصر النبوة : « قد علمكم نبيكم [ﷺ] كلَّ شيء »(١) .

ولقد كان لهذا الوضع أثره المباشر ـ فيما أظلم على أوربا من قرون ـ في حدوث الطاعون بعد الطاعون ، ومن وقت قريب قرأت لصاحب «مواقف» أن الفتاة الفرنسية لاتغتسل !

(١) رواه أصحاب الصحاح جميعا إلا البخاري ، ورواه أحمد .

لم أتعجب ، فقد كانت إحدى ملكات أوربا تفخر بأن الماء لم يقرب جسدها من بعد « التعميد » ... فهل كان هذا حال (بلاطها) ... أم خالفها بعضه .. ؟ وأى ريح فاح فى هذا البلاط ... ؟!

لكن العجب العجاب أن يبرر القوم لهذا الوضع ؛ فيذكرون أن بـ « الفم » من الجراثيم ما فى « الشرج » وهذه مغالطة أسوأ حالا من هذا الوضع نفسه ، فقد اجتهدوا للفم بأدوات لنظافة اللثة والأسنان بمختلف المعاجين والسوائل ، وقد سبقهم الإسلام بالسواك من قبل أربعة عشر قرناً فهو مطهرة للفم مرضاة للرب ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولم يسلكوا السبيل نفسه إلى نظافة هذا الجزء من البدن بالماء .

لكم نحمد الله ـ تعالى :

ففى الشريعة الغراء حث متواصل على هذه النظافة ، بل وغيرها كالأفنية والطرق ، وتتصدر المراجع الفقهية ـ على سعتها ـ أبواب الطهارة ، وكيفيتها .

إن الله ـ سبحانه ـ جميل يحب الجمال ، ويحب النظافة من الإنسان ولقد كُفِينَا بالطهارة كثير البلاء .

وفى هذا الباب ذاته كان تأثير الإسلام فى إنجلترا الحديثة .

كتب أستاذ الجراحة الدكتور محمود نجيب فى كتابه : « الطب الإسلامى شفاء بالهدى القرآنى »[٢] ص٦ يقول :

حدث فى ١٩٦٣ فى مدينة « دندى » بانجلترا أن ظهرت حالات (تيفود) بصورة متلاحقة فى فترة وجيزة مما أثار القلق من أن يتصاعد الموقف إلى حدوث حالة وبائية بالمدينة .

وصدرت تعليمات صحية بوجوب « الاستنجاء بالماء » بعد « التبرز » والامتناع عن استعمال أوراق المراحيض حيث إنه ثبت أن هذه أنجع وسيلة لمنع انتشار العدوى بالمدينة .

وفعلا اتبع سكان مدينة « دندى » هذه التعليمات التى جاء فيها حرفيا :

« النظافة الشخصية تكون بالماء كما يفعل المسلمون ، وليس بالأوراق التى بدورات المياه » .

ولم تمض سوى أيام قليلة إلا واختفت حالات التيفود من المدينة وبالقياس :

يمكن أن نقول :

إن الاستنجاء بالماء يعطى وقاية من حدوث أوبئة « الكوليرا » أو التهاب الكبد « الفيروسى » .

انتهى حديث الدكتور محمود أحمد نجيب .

د. على أحمد الخطيب

(٢) صدر الكتاب عن مكتبة وهبة سنة ١٤٠٣ ـ أكتوبر ١٩٨٣ ط أولى .

لجنة الفتوى بالأزهر

الزى المفروض على طالبات المدارس معارض لأمر الله شكلاً وموضوعاً وتشريع مضاد لما أمر الله عز وجل به

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وأصحابه أجمعين وبعد :

فقد اطلعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر على نص القرار ١١٣ الصادر فى ١٩٩٤/٥/١٧م بشأن مواصفات الزى المدرسى .

وعلى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية تحت رقم ٢٦٨ بتاريخ ١٩٩٤/٦/٢٩م .

وعلى النشرة رقم ٤٧ الصادرة بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٢م من مكتب وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظة القليوبية .

وعلى النشرات الصادرة من إدارة التعليم الابتدائى ، وإدارة التعليم الإعدادى وإدارة التعليم الثانوى بمديرية التربية والتعليم ببنى سويف .

وقد حوى بعضها تصويراً لنماذج الزى المدرسى فى المراحل الثلاث تطبيقاً للقرار الوزارى المرقوم .

وعلى صورة الرسالة المرفوعة إلى السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية من السيدة إفراج الحصرى (ياسمين الخيام) وما أرفق بها ، والموجهة صورتها إلى الأزهر الشريف .

وتبين للجنة الفتوى ما يلى :

أولا : نصت المادة الأولى من قرار الأستاذ الدكتور وزير التربية والتعليم المشار إليه على ما يأتى :

« يلتزم تلاميذ وتلميذات المدارس الرسمية والخاصة بارتداء زى موحد وفقاً للمواصفات الآتية ... » ..

وتحت البند ثانياً من هذه المادة الحلقة الإعدادية « ٢ » : التلميذات جاء ما يلى :

ـ بلوزة بيضاء .

ـ مريلة من قماش تيل (دريل) بحمالات باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

ـ فى فصل الشتاء يمكن أن تكون المريلة من قماش صوف . كما يمكن أن ترتدى التلميذة بلوفراً أو (جاكت) بلون المريلة . ويجوز استبدال المريلة بقميص وجونلة بطول مناسب .

ـ حذاء مدرسى وجورب بلون مناسب للزى المختار .

ـ يمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر فقط لا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

وتحت البند ثالثاً من المادة ذاتها المرحلة الثانوية العامة وما فى مستواها تحت رقم ٢ : التلميذات جاء ما يلى :

ـ بلوزة بيضاء .

ـ جونلة تيل بطول مناسب بلون تحدده المديرية التعليمية .

ـ فى فصل الشتاء يمكن أن تكون الجونلة من الصوف كما يمكن أن ترتدى التلميذة (بلوفر) أو (جاكت) بلون الجونلة .

ـ يمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر لا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

ـ حذاء مدرسى وجورب بلون مناسب للزى المختار .

ثانياً : ونصت المادة الثالثة على ما يأتى :

« لا يسمح لأى تلميذ أو تلميذة يرتدى زياً مخالفاً لما ورد بالمادة الأولى من هذا القرار بدخول المدرسة والانتظام فى الدراسة ... الخ » .

ثالثاً : تنص المادة الرابعة على ما يأتى :

(مديريات التربية والتعليم والإدارات التعليمية بالمحافظات مسئولة مسئولية كاملة عن متابعة تنفيذ ما جاء بهذا القرار) ..

رابعاً : جاء فى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية رقم ٢٦٨ بتاريخ ٦/٢٩ /١٩٩٤م تحت البند رابعاً فقرة ٥ مايلى :

« يمكن ـ وبناء على طلب مكتوب من ولى الأمر ـ أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر فقط باللون الرمادى بشرط ألا يحجب الوجه . ويحظر استخدام الخمار والنقاب » وهذا تفسير دقيق لقرار الوزير .

خامساً : فى الرسوم التوضيحية المرفقة والخاصة بالزى المدرسى الصادر من الإدارات التابعة لمديرية التربية والتعليم بمحافظة بنى سويف يظهر بوضوح أن الرسوم الخاصة ببنات ـ الإعدادى ـ والثانوى

(وما فى مستواه) تكشف عن الرقبة والعنق وفتحة الصدر وعن جزء من الساقين ولم ترسم فيها الرأس .

** وحين ننظر فى هذه التعليمات التى تضمنها القرار الوزارى ١٠١٣ وتوابعه فى ضوء تعاليم الإسلام وشريعته نجد ما يلى :

أولا : أن نصوص القرآن ونصوص السنة النبوية تقضى بأن المسلمة متى بلغت المحيض ، وكانت خارج بيتها ، لا يجوز لها كشف شيء من جسمها سوى الوجه والكفين ، كما تقضى هذه النصوص بتحريم التبرج ، وبأن يكون الثوب ساتراً للجسد ، غير ضيق أو لاصق به ، أو محدد لقسماته وألا يكون شفافاً يكشف عن شيء من ذات الجسد . وألا تكون بوصف لافت للنظر فى ذاتها أو فى ملابسها تدخل به فى حكم التبرج المنهى عنه ، وأن يكون غطاء الرأس ساتراً بحيث لا يظهر سوى الوجه بحده المعروف طولا وعرضاً وأن يمتد غطاء الرأس بحيث يغطى العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر مما يلى الرقبة وهو المقصود بلفظ الخمار الوارد فى كتاب الله عز وجل .

وهذا ثابت بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

أما الكتاب ففى سورة النور قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ الخ الآية : ٣١ .

وفى سورة الأحزاب قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

ومن السنة المطهرة :

ما رواه أبو داود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى ﷺ فى ثياب رقاق ، تشف عن جسدها ، فأعرض عنها النبى ﷺ وقال : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا ، وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه » ..

وما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس (رضى الله عنهما) : أن النبى ﷺ أردف خلفه (على دابته) الفضل بن العباس ـ يوم النحر ـ وكان رجلا حسن الشعر ، أبيض ، وسيماً . فجاءت امرأة من (خَثْعَم) تستفتى رسول الله ﷺ فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر . فعاد الفضل ينظر إليها ثلاث مرات ، والرسول ﷺ يحول وجهه . فقال العباس لرسول الله ﷺ : لم لويت عنق ابن عمك ؟ فقال ﷺ : « رأيت شاباً ، وشابة فلم آمن الشيطان عليهما » .

وكل من هذين الحديثين واضح الدلالة على جواز كشف الوجه والكفين من المرأة ، وقد أجمع المسلمون على هذه الأحكام منذ عهد رسول الله ﷺ إلى اليوم ، وأصبحت معلومةً من الدين

بالضرورة لم ينازع فى ذلك أحد من العلماء المعتد بأقوالهم **وتغطية الوجه والكفين على هذا عمل اختيارى خاضع للظروف ، والعرف والعادة غير مفروض ، وغير مرفوض فمن شاءت فعلته ، ومن شاءت تركته ، ويكون فعله خيراً إذا غلب على الظن وقوع الفتنة من جراء تركه وأصبح دَرْءُ المفسدة مطلوباً تبعاً لذلك .**

ثانياً : من هذا يظهر جَلِيًّا أن القرار الوزارى رقم ١١٣ لسنة ١٩٩٤ م فى بعض نصوصه وما تبعه من قرارات أصدرتها الجهات المنفذة قد جاءت مخالفة للشريعة الإسلامية من وجوه حسبما يلى :

الوجه الأول :

النهى عن فعل ما أمر الله به . فقد أمر الله النساء المسلمات أن يدنين عليهن من جلابيبهن ، كما أمرهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وهو « الوجه والكفان » فقط .

وقد خالف ذلك كله القرار الوزارى المرقوم ، والقرارات المنفذة له حيث منع المسلمات من تغطية رؤوسهن وأعناقهن ، وصدورهن وسيقانهن .

وفرض عقوبة على كل مسلمة تلتزم بأمر الله فى هذا الشأن ، وذلك بحرمانها من الدراسة ، ومنعها من دخول المدرسة بنص المادة الثالثة من ذات القرار الذى جاء ـ بهذا ـ معاقباً على طاعة أوامر الله مشجِّعاً على عصيانه تعالى .

الوجه الثانى :

لقد جعل هذا القرار العصيان لأمر الله هو القاعدة ، وطاعة أمر الله استثناء من القاعدة ومشروطاً بأن يتقدم ولى أمر الطالبة بمكتوب يعلن فيه عن رغبته فى التزام ابنته بأمر الله ـ عز وجل ـ وهذا قلب للأوضاع ويجعل تنفيذ حكم الله مشروطاً باستئذان أحد خلقه .

الوجه الثالث :

أصبح كشف العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر ، وكشف الساقين مأموراً به قولا واحداً لا مجال فيه للاستثناء ، وتلك مصادمة واضحة لأمر الله ـ عز وجل ـ الصريح ، الواضح فى القرآن ومناهضة لحكمه .

وقد جاء هذا القرار ، وتوابعه موجباً على الطالبات كشف العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر ، كما يهدف إلى كشف جزء من الساقين حيث إنه عندما طرح مبدأ الاستثناء من القاعدة التى وضعها ، وربطها بتقديم طلب مكتوب جعل هذا الاستثناء مقصوراً على غطاء الشعر فقط ، ونص صراحة على تحريم ارتداء الخمار والنقاب فى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية الذى يعتبر تطبيقاً دقيقاً للقرار الوزارى . ويتأكد هذا بالرسوم التوضيحية الواردة فى نشرات الإدارات

التعليمية ، بمديرية التربية والتعليم ، بمحافظة بنى سويف .

هذا المسلك يبرز بالكلمة ، والصورة أن القرار ، وتوابعه معارض لأمر الله شكلا ، وموضوعاً ، كما يعد تشريعاً بما لم يأذن به الله .

الوجه الرابع :

مواصفات الزى كما يظهر من القرار ، وتوابعه تؤكد أنه من قطعتين (بلوزة وجونلة ذات طول مناسب) والجونلة لا يمكن ارتداؤها إلا إذا تَمَّ شَدُّها على الخاصرة ، وذلك من شأنه أن يبرز بعض قسمات الجسم وفى ذلك مخالفة شرعية أخرى ، بالإضافة إلى ما سبق .

ومن ثَمَّ فإن هذا القرار وتوابعه قد خالف دستور مصر الذى ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، والشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع .

هـــذا :

ولقد تسبب هذا القرار وتوابعه فى إثارة المشاعر ، وتهييج العواطف وإشاعة القلق ، وقد قوبل من جماهير المسلمين ، والمسلمات بالاستنكار الشديد ، لكونه يفرض التكشف ، والسفور على النساء المسلمات مع أن الله أمرهن بالتصون ، والحشمة والعفاف .

وإذا كان الهدف توحيد الزى للفتيات الدارسات فى المدارس ، فلا حرج فى هذه الغاية ولكن الوسيلة ـ على نحو ما جاء بالقرار ، وتوابعه ـ غير مشروعة ـ لما سبق بيانه ، ومن القواعد العامة فى فقه الإسلام أن الخير لا يتوصل إليه بشىء محرم .

ومن أجل العمل على مرضاة الله والنزول عند حكمه ومن أجل استدامة الأمن والاستقرار والقضاء على أسباب القلق والفتن والاضطراب توصى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر . بإعادة النظر فى هذا القرار حتى يتسق فى نصوصه ، وهدفه مع ما قضت به نصوص القرآن والسنة . وإلغاء ما يخالف ذلك .

والله سبحانه الموفق للصواب .

لجنة الفتـــوى
بالجامع الأزهر الشريف

الرئيـــــس

الأعضـــــاء

عبد المنعم الحميلى ـ عبد الرازق ناصر محمد

مع الإمام الأكبر

الأسوة الحسنة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

حين نذكر يوم ميلاد الرسول محمد ﷺ ينبغى أن نستحضر سيرته لنتبعها ، وخلقه لنقتدى به ، واستغراقه فى مهمته التى كلفه الله بها ، لنأخذ عنه الإخلاص فى العمل ، ومضاء العزيمة وإنسانيته فى التعامل ، لنسير على ماعهد به إلينا من حق وعدل ، فنرتفع بالعدالة ، ونرتفع عن الدنايا ، ونتوب عن الخطايا ، ونعتصم بحبل الله الذى جاء به هذا النبى . فقد كان كما أثنى عليه ربه الذى أرسله واحتباه .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة / ١٢٨)

إنه القدوة والأسوة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

(الأحزاب / ٢١)

لقد كان مولده ﷺ نوراً وهدى أضاء هذا الكون ، وَهَدَى إلى الصراط المستقيم .

لقد بدلت رسالته قومه ، فأنشأتهم خلقاً آخر ، إذ وحدتهم بعد فرقة وأعزتهم بعد ذلة ، اكتسبوا بها إنسانية افتقدوها فى مجتمعاتهم ، وتخلوا فى ظلها ـ وعلى هديها ـ عن أنانية مفرطة سيطرت عليهم ، فاستناروا بالإسلام ، فأنار الله قلوبهم ، وحاربوا دفاعاً عن دينهم فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما استكانوا ، وإنما واصلوا نصرة الحق حتى رفعوا راية القرآن ، التى وحدت صفوفهم ، وألفت قلوبهم حتى امتن الله بذلك على رسوله فقال :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

(الأنفال / ٦٣)

وها هو ميراثهم بين أيدينا ، فلم لا نحمله فى صدورنا ، وملء قلوبنا ؟

إن القرآن مأدبة الله وهداه . فلم ننحاز عنه ولا ننزل على حكمه ؟ (**ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**) .

فى ذكرى مولد الرسول ﷺ ينبغى أن نتحدث عنه من قلوبنا وليس بألسنتنا فحسب ، فإن حديث القلب دافع إلى العمل ونافع فى المستقبل .

ولنتحدث عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ونُعَلّم سيرته أولادنا ، وإنه لمن الوفاء لذكراه والمعرفة بحقه ألا نذكره إلا مقترناً بلقب الرسالة أو النبوة كما علمنا ربنا ـ فى القرآن ـ الأدب مع رسوله :

﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾

(سورة النور / ٦٣)

إلى هؤلاء المسلمين الذين يتحدثون عن رسول الله ﷺ مجردين اسمه مما كرمه به ربه ؛ أسوق هذه الآية لعلنا نتذكر أو نخشى .

لتكن هذه الذكرى تذكرة للمسلمين بأن رسالة الإسلام ـ خاتمة رسالات الله ـ ينبغى أن تصان عن العبث ، وأن تقود المجتمع وتسود ربوعه فى كل شئون الحياة وأن يكون كل مسلم ومسلمة حارساً أميناً عليها يؤمن بها وينفذ أحكامها ، ولا يلتفت عنها إلى غيرها فى سره وعلانيته وسلوكه وعبادته ومعاملته مع الآخرين ، وأن يعلمها أهله وبنيه ، حتى يقوم بناء هذه الأمة من جديد قوياً على الأسس التى أقامها عليها الله ، وحتى تستمر رسالة هذا النبى ﷺ التى رسمت الطريق لإسعاد الناس :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(**الأنعام / ١٥٣**)

هذا الصراط المستقيم قد حمل أمة المسلمين مسئولية إقامة المجتمع الصالح فكان الواحد منها رجلا أو امرأة مسئولا عن عمله وسلوكه وأخلاقه ، ومسئولا عمن فى ولايته من أهل وولد :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(**التحريم / ٦**)

ينبغى أن يكون الاحتفاء بذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ بما يناسبه من إجلال وتكريم ومراجعة لأقواله وأفعاله وأخلاقه لنقتدى به فى الدين والدنيا .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب / ٢١)

لتكن ذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ إيمانا بما نقل إلينا من معجزات أظهرها الله على يديه تأييداً لدعوته دون مراء أو جدال مادامت قد ثبتت ـ رواية ودراية ـ إذ ما أفاء الله به على رسوله من المعجزات بالنسبة لنا ولمن يأتى بعدنا غيب لم نشهده ، يجب أن نذعن له ، وعلى هؤلاء الذين يلحون على الجدال والمراء فى تلك المعجزات الحسية لمجرد أن عقولهم لم تستوعبها ؛ أن يكفوا وأن يتفهموا أن الله قد اختص هذا النبى الأمين بالكثير من المعجزات وأخلدها القرآن .

وأن الذين يمارون فى معجزاته ، ويتجرأون على التحريف والتأويل الفاسد لأحكام شريعته ، عليهم أن يعلموا أن مثلهم كمثل من وصفهم الله فى القرآن الكريم بقوله ـ تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة فصلت

من الوفاء لرسول الله ﷺ أن نتخذ القرآن إماماً ، وسنته بياناً ، وأن نحذر الفرقة ونوحد الصف ، حتى تكون أمة المسلمين كما وصفهم رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى قوله : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

وحدوا كلمتكم أيها المسلمون ، واجمعوا أمركم ، وتجاوزوا خلافاتكم ، فقد جمعت بينكم أخوة الإسلام (إنما المؤمنون أخوة) فنحن أمة المسلمين لا نعرف الشعوبية التى أثارها بيننا أعداؤنا فأوقدوا نار الحروب فى أطراف أمتنا ، وأشعلوا العصبيات القبلية والعرقية (والله من ورائهم محيط) .

فى ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ نذكر سماحته وتواضعه للناس ورفقه ورحمته بالضعفاء .. وصدق الله ربه الذى اصطفاه حيث وصفه فقال :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(التوبة / ١٢٨)

صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .

شيخ الأزهـــر

(جاد الحق على جاد الحق)

فتوى

فى شروط من يتصدى للفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله : وبعـــــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/جمال سعد حاتم (صحفى بمجلة التوحيد) يطلب فيه الإجابة عن بعض الأسئلة ضمن تحقيق صحفى بمجلة التوحيد حول الفتوى وخطرها ومن يتصدى لها .. وأن أمر الفتوى قد عظم .. وهذه الأسئلة هى :

١ ـ ما صفة من يجوز له الإفتاء ؟ .. وما شروطه ؟ وما يتعلق بذلك من واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح ؟ .

٢ ـ هل يجوز للعامى الذى جمع فتاوى المفتين أن يفتى بها ؟

وما الواجب عليه فى هذه الحالة ؟

وهل يعتبر مفتيا أم أنه يعد من المقلدين الذين قاموا مقامهم ؟

٣ ـ بعض الجمعيات الدينية أنشأت لجانا للفتوى . فما رأى فضيلتكم فى مثل هذه اللجان ؟

(والجـــــواب)

عن السؤال الأول :

يؤخذ مما قال به علماء الفقه وأصوله أن الإفتاء هو : بيان حكم الله ـ تعالى ـ بمقتضى الأدلة الشرعية على جهة العموم والشمول .

والمفتى قائم فى الأمة مقام النبى ﷺ ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء كما يدل عليه الحديث الشريف : (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم)[١] .

إن المفتى نائب فى تبليغ الأحكام ؛ ففى الأحاديث الشريفة :

« ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب »[٢] و (بلغوا عنى ولو آية)[٣] ، و « تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم الغائب »[٤] .

وهذا هو معنى كون المفتى قائما مقام النبى ﷺ فى تبليغ الأحكام ؛ ومن هنا كانت الفتوى خطيرة الأثر ، وقد قيل : إن حكم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة : لسان الراوى ، ولسان المفتى ، ولسان الحاكم (القاضى) ، ولسان

١ ـ فى الترغيب والترهيب للمندرى بروايته ، وزيادات أخرى .

٢ ـ البخارى فى خطبته ﷺ بمنى .

٣ ـ البخارى ورواه أيضا أحمد والترمذى .

ـ رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وهو حديث صحيح .

الشاهد ، فالراوى يظهر على لسانه حكم الله ورسوله ، والمفتى يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من لفظه ، والحاكم (القاضى) يظهر على لسانه الإخبار بحكم الله بتطبيقه على الحادثات ، والشاهد يظهر على لسانه الإخبار بالسبب الذى يثبت به حكم الشارع .

وقد تحدث فقهاء المذاهب عن أهلية من يتصدى للفتوى بما نوجزه فيما يلى :

أن تتوافر فيه الأهلية التامة ، وقد اختلفت كلمة الفقهاء فى مدى الأهلية للإفتاء : فذهب الفقه الحنفى إلى أنه لا يفتى إلا المجتهد وفى أقوالهم إن الفتوى جائزة من كل مسلم بالغ عاقل حافظ للروايات واقف على الدرايات محافظ على الطاعات مجانب للشهوات والشبهات سواء كان من توافر فيه كل هذا رجلا أو امرأة شيخا أو شابا .

والمالكية .. رأوا أن الطائفة التى اتبعت المذهب لما انكشف لها من صحة أصوله لكونها عالمة بأحكام القرآن والسنة ، عارفة بالناسخ والمنسوخ ، والمفصل والمجمل والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، جامعة لأقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار حافظة لما كان موضع وفاق وما جرى فيه الخلاف ، فهذه الطائفة هى التى تتمتع بالأهلية المشار إليها .

وأما الشافعية : فقد رأوا أن المفتين قسمان : مستقل ، وغير مستقل ، والمفتى المستقل شرطه معرفة أدلة الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وما يشترط فى هذه الأدلة ، ووجوه دلالتها واستنباط الأحكام منها على ما هو مفصل فى علم أصول الفقه ، واشتراط حفظ مسائل الفقه إنما هو فى المفتى الذى يتأدى به فرض الكفاية ، ولا يشترط هذا فى المجتهد المطلق أو المستقل .

وأما المفتى غير المستقل ، وهو المنتسب لأحد المذاهب فتكون فتواه نقلا لقول إمام المذهب أو أحد أصحابه المجتهدين ، ويتأدى به فرض الكفاية ، وله أن يفتى بما لا نص فيه لإمامه تخريجا على أصوله إذا توافرت فيه شروط التخريج .

أما من يحفظ مسائل فقه المذهب دون بصر بالأدلة والأقيسة فهذا لا تجوز له الفتوى إلا بما يجده — فى حادثة ما — منقولا عن إمامه أو تفريعات المجتهدين فى المذهب ، وما لم يوجد منقولا أو يندرج تحت قاعدة عامة من قواعد المذهب ، أو يلتحق بفرع من فروعه ظاهر المأخذ جازت لمثل هذا الفتوى فيه متى اهتدى إلى الحكم الصحيح ، وإلا أمسك عنها .

وعند الحنابلة : أن مرتبة التبليغ والفتيا لا تصلح إلا لمن اتصف بالعلم والصدق ومع ذلك يكون حسن الطريقة ، مرضى السيرة ، عدلا فى أقواله ، وأعماله ، متشابه السر والعلانية فى مدخله ، ومخرجه وأحواله .

ثم إن للمفتى آدابا مجملها : أن الإفتاء فيما لم يقع غير واجب ، وأنه يحرم التساهل فى الفتوى واتباع الميل ، وإذا كان فى المسألة خلاف لا يختار قولا يجيب به حتى يعرف حجته كما أفصح عن هذا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

عن السؤال الثانى :

فإن من كان فاقد القدرة على أخذ الأحكام من المصادر الشرعية لا يقال عنه إنه مجتهد ، ولا فقيه ، ولا مفت وإن من حفظ الكثير من الفروع

الفقهية ، وبنى عليها كان مندرجا تحت عنوان : من يجب عليه التقليد .

وفى الفقه الحنفى : إن غير المجتهد ممن حفظ أو يحفظ أقوال المجتهدين واجب عليه إذا سئل أن ينسب القول الذى يفتى به لقائله على جهة الحكاية عنه وذلك بأحد أمرين :

أولا :

أن ينقله من أحد الكتب المعروفة المتداولة فينسب القول إلى الكتاب الذى نقل عنه .

ثانيا :

أن يكون له سند فى روايته بأن تلقاه رواية عن شيوخه .

وعند المالكية : أن من اتبع المذهب وحفظ أقوال إمامه وأقوال أصحابه فى مسائل الفقه ، وفقه معانيها ، وعلم صحيحها وسقيمها ، ولكنه لم يبلغ درجة معرفة قياس الفروع على الأصول فهذا ومثله يجوز له أن يفتى بما علمه صحيحا من قول إمام المذهب وغيره ، من فقهائه .

وعند الشافعية : إن من يحفظ مسائل فقه المذهب دون بصر بالأدلة والأقيسة فهذا لا تجوز له الفتوى إلا بما يجده منقولا فى صحيح المذهب أو يندرج تحت قاعدة عامة من قواعد المذهب أو يلتحق بفرع من فروعه ظاهر المأخذ عندئذ تجوز له الفتوى وإلا أمسك عنها .

هذا ولا ينبغى للعالم أن يفتى حتى يراه الناس أهلا للفتوى لا أن يرى هو نفسه أهلا لذلك[٥] .

ويتضح من فقه المذاهب الأربعة على هذا الوجه أنه ليس لكل من قرأ كتابا أن يفتى ، وإنما من فقه ما قرأ .

وعن السؤال الثالث :

فإن نصوص الفقهاء متواترة على أن تعليم الطالبين وإفتاء المستفتين فرض كفاية ، بمعنى أنه إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، وقد عين الأزهر الشريف فى كل منطقة أزهرية على مستوى الجمهورية لجنة للفتوى تضم نخبة من علماء الأزهر الشريف يمثلون فى الغالب المذاهب المختلفة ، وهذه اللجان تؤدى واجبها وهى محل ثقة الجماهير لا يرضون بغيرها بديلا .

ومع هذا فلا يحل لأحد أن يفتى إلا إذا تأهل لذلك على نحو ما سلف بيانه ، وليس لأية جماعة أو جمعية أن تتصدى للفتوى إلا إذا توافر فيمن خصصته لهذا تلك الشروط لأهمية أمر الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات ، وليحذر الذين يجازفون بالفتوى فيما لا علم لهم به أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم ، وليقرأوا قول رسول الله ﷺ :

« من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه »[٦] .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

٥ ـ الفروق للقرافى ج ٢ ص ١١٠ مع هامشه تهذيب الفروق .

٦ ـ من حديث أخرجه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ جامع الأحاديث للسيوطى ج ٦ ص ١١٢

الإرث في الشريعة

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

قدمنا فيما سبق اختلاف وجهات النظر فى معنى الولاية ، هل هى الإرث أو هى النصرة والتضامن ؟ ، وقلنا : إن رواية الإرث المنسوبة إلى ابن عباس معلولة السند ، وولاية الكفار بعضهم لبعض هنا جرت فيها الخلافات السابقة ، ولأئمة الفقه فيها آراء منوعة ؛ استنادا على هذه الآية .

قيل : إن معنى بعضهم أولياء بعض أن الكفار على مختلف نِحَلِهم يرث بعضهم بعضا فالمجوسى يرث النصرانى والنصرانى يرث البوذى ، وهكذا يجرى التوارث بين غير المسلمين على أنهم أمة واحدة ، ورأى آخر يقول : إن أبناء كل ملة يتوارثون فيما بينهم : النصارى يرث بعضهم بعضا ، والمجوس يرث بعضهم بعضا ، ولا يرث ذوملة ما شخصا ليس من أبنائها ، على أن هناك رأيا آخر يرى أن أبناء الملة الواحدة لا يتورثون إلا إذا كانوا على نحلة واحدة ، فلا يرث الفريسيون من اليهود من كان من الصدوقيين ، ولا يرث اليعاقبة من النصارى غير اليعاقبة ، ولا يرثهم غيرهم . واحتج الجميع بقول الله ـ تعالى :

« وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ » .

وهذا يكون إذا احتكم أولئك وهؤلاء إلى حاكم مسلم ، وقد حدث مثل هذا فى التاريخ ، وليس فقط فى البلاد الخاضعة للحاكم الإسلامى ، وقد كان النورمانديون فى جنوب إيطاليا يلجأون إلى مسلمى صقلية للفصل بينهم فى خلافاتهم ، وكان الوثنيون فى إفريقيا يحتكمون إلى المرابطين والموحدين .

ولست أرى أن المراد بهذه الولاية هو الإرث ، وآخر الآية يؤكد أن المراد بها هو التناصر والتضامن ضد الأعداء ، وإشاعة روح الإخاء والمودة بين المسلمين !

فهى تفهم أن الكفار وغير المسلمين يسند بعضهم بعضا ويتضامنون فى حروبهم ، فإذا لم يفعل المسلمون مثل ذلك كانت الفتنة والفساد الكبير .

لم يكن بين مشركى مكة ويهود المدينة أى ترابط ووحدة ، فلما جاء الإسلام كانوا جميعا من أعدائه ومحاربيه .. ففى يوم الأحزاب كان اليهود وراء فكرة الحرب التى تقوم بها القبائل ، ووقت استحكام القتال انضم بنو قريظة للمشركين ليحاربوا المسلمين .

ولم يكن اليهود يؤمنون بوثنية القرشيين ولا يقبلون انضمامهم إليهم فى الدين فليست حربهم حرب دين ، ولكن أثارتها عداوة للإسلام والرغبة فى القضاء عليه .

وعند نزول سورة الأنفال . لم يكن هناك غير المشركين الوثنيين وغير اليهود ، وقد نقض اليهود عهودهم التى وثقوها مع رسول الله ـ حين لاحت لهم بارقة انتصار القرشيين ، وقد رأينا عبدالله بن أبى ينسحب بثلث الجيش يوم أحد ، ولما احتكت الدولة الإسلامية بدولة الروم وكانت حرب تبوك ، كان اليهود من المثبطين عن القيام لها ، وقالوا ما لمحمد طاقة ببنى الأصفر . وهم ـ طبعا ـ كانوا يكرهون أن ينتصر المسلمون على نصارى الروم ، وإذن فلابد للمسلمين مثل هذا التضامن والترابط .

ولا يعكر على هذا الرأى ما كان من مؤاخاة ، وأيضا توارث بين بعض المسلمين وبعض فى صدر الإسلام ، وقبل نزول آيات المواريث فى سورة النساء ، فلم يكن ذلك إلا ترابطا وإخاء ، ثم نسخ أو أبطل هذا التوارث ، وبقيت المؤاخاة وبقى الحث عليها .

وقد ذكر ابن عبدالبر أن المؤاخاة حدثت مرتين : مرة فى مكة بين المسلمين ، ومرة بالمدينة بين المهاجرين والأنصار ، وكانوا يتوارثون حتى نزل قول الله ـ تعالى :

« وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ »

فانقطع التوارث .

وقد آخى رسول الله ﷺ بين أبى الدرداء وسلمان الفارسى ، كما آخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين أبى عبيدة بن الجراح وأبى طلحة ... وقد كانت هذه المؤاخاة تذهب عنهم وحشة الغربة ، ويجدون فيها تسلية ومواساة إزاء ما عانوه من الغربة ومفارقة الأهل وضياع الأموال ، وهى قبل كل شىء وبعد كل شىء إخاء تشتد به عرى الإخاء وتقوى وحدة المسلمين .

وأصح الأقوال وأشهرها أن هذا الإخاء كان عقب الهجرة ، وأوائل قدوم النبى ﷺ المدينة ،

وقد قال لأصحابة إذ ذاك : « تآخوا أخوين أخوين ، وكان هو وعلى بن أبى طالب أخوين ، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين » .. وبهذا نرى أن المؤاخاة كانت أيضا بين المهاجرين وحدهم ، وواضح منها أنها كانت لقوة الرابطة بين المسلمين وشد بعضهم أزر بعض .

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

أى إذا لم تفعلوا هذا الموالاة أيها المسلمون فيما بينكم ، كما يفعل الكفار تحدث الفتنة وهى قوة الكفر والفساد الكبير وهو ضعف الإسلام .

وعدم إحداث الموالاة ، يكون بموالاة المسلمين الكافرين دون موالاة المسلمين ، وقد جاء هذا فى غير موضع من القرآن لقوله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقوله :

﴿ لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

ولا يمنع هذا مصادقة المسلم غير المسلم فيما لا يمس الدين ولا يؤذى المسلمين .

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾

سورة الممتحنة ٨

ويكون ترك الموالاة أيضا بعدم ترابط المسلمين وشعور كل مسلم بمشاعر أخيه وحب معاونته ، فالمسلمون فى هذه الحالة لا يساعدون الأعداء على المسلمين ، ولكن لا يساعد بعضهم بعضا .

أخشى أن أقول إن كلا النوعين من انحلال عرى الترابط قائم بين المسلمين الآن ، وما نراه فى فلسطين وفى الأفغان وفى بلاد التركستان القديمة وفى غير هذه الأماكن شاهد واضح على هذا الانحلال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

ذكرت الآية الأولى هذين النوعين الأولين من المؤمنين لتبين ولاية بعضهم لبعض ، وأعادت هذه الآية ذكرهم لتبين عظم شأنهم وعلو درجتهم ، فوصفتهم أولا بأنهم المؤمنون ـ هكذا بطريق القصر الإضافى فأفادت أن غيرهم من المؤمنين ليسوا مساوين لهم فى درجة الإيمان ؛ ذلك لما ضحوا به من الوطن والمال والأهل ، وأكدت هذا الوصف بكلمة حقا لإفادة المبالغة فى كونهم محققين محققين فى دينهم ، ومن جزائهم أن لهم مغفرة عظيمة واسعة ، يؤخذ هذا من تنكير المغفرة ، ولهم رزق كريم ، وهو الثواب والنعيم العظيم فى الجنة ، غفرت لهم أولا ذنوبهم وكفرت خطاياهم ثم أوتوا فوق ذلك هذا التكريم .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ .

هذا هو القسم الرابع من أقسام المسلمين فى ذلك العصر ؛ مؤمنون لم يسارعوا إلى قبول الإسلام ونصره أول ما ظهر ، ولم يهاجروا مع المهاجرين الأولين ، ولكنهم آمنوا بعد ذلك ، وهاجروا إلى المدينة قبل أن يفتح المسلمون مكة ، فهؤلاء من المؤمنين الأولين فى الولاية ، تجب لهم حقوق المؤمنين من الولاية والنصرة ، كما يجب

عليهم للمؤمنين مثل ذلك . وكلمة « منكم » تؤذن بتبعيتهم ، وأنهم أقل درجة من الأولين وإن كانوا يظفرون بالنعيم وبالجنة ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾

ويختلف المفسرون فى حدود البعدية فى كلمة « من بعد » ـ قيل بعد غزوة بدر ، وقيل بعد عهد الحديبية وعمرة القضاء ، وقيل بعد غزوة بدر وقيل بعد نزول هذه الآية ، وبذا يكون الماضى بمعنى المضارع ، أى الذين يؤمنون ويهاجرون من الآن فصاعدا ..، والأقرب والأولى أنهم الذين لم يهاجروا مع السابقين سواء كانت هجرتهم بعد بدر أو قبلها حتى فتح مكة ؛ فإنه لا هجرة بعد الفتح ، فبعد فتح مكة صارت دار إسلام ولم يبق للمشركين بها شوكة ، ولم يعد المسلمون بالمدينة بحاجة إلى المهاجرين ، وبقاؤهم بمكة لا يزيد أعداء المسلمين قوة .

وقاس الحسن البصرى على ذلك امتداد الهجرة إذا كان المسلم فى أى وقت فى بلد كفار ، ووجوده بينهم يزيدهم قوة ، فإنه يجب أن يهاجر من بلادهم ليضعف قوتهم ، فالهجرة غير منقطعة أبدا ، وهذا لا يعارض الحديث : « لا هجرة بعد الفتح » ؛ إذ هو يعنى الهجرة الخاصة إلى المدينة

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾

وأولو الأرحام هم ذوو القرابة ، سموا بذلك ؛ لأنهم يرجعون إلى رحم واحد ـ وهو رحم المرأة الذى يتكون فيه الجنين ، ويعدهم علماء الفرائض عشرة أصناف لا يرثون بفرض ولا تعصيب .

والمعنى : أولو القرابة أولى بالتناصر والتعاون من المهاجرين والأنصار الأجانب ، والأمر كذلك فى التوارث فى دار الهجرة فى عهدها ومعنى « فى كتاب الله » : فى حكمه الذى كتبه على عباده المؤمنين وأمرهم باتباعه ، وقد جاءت آيات كثيرة توصى بذوى القربى . كما فى الآية :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ وآية :

﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ .

وجاء فى الحديث : « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شىء فلأهلك ، فإن فضل شىء من أهلك فلذى قرابتك» .

وكلمة : « فى كتاب الله » لا تخلو من تأكيد وتذكير بهذا الواجب ، وجاء فى آية المحرمات فى سورة النساء :

﴿ كتاب الله عليكم ﴾

وهى تفيد العهد والتوثيق ، ثم ختمت الآية والسورة بقول ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

وبسبب علمه وإحاطته بكل شىء شرع لنا من الدين ومن الأحكام التى مرت فى السورة كلها ما فيه صلاحنا ونفعنا فى الدنيا والآخرة .

وهذه سورة الأنفال قد انتهت شرحا وبيانا لم نوجز فيه ولم نطل ، ونسأل الله ـ تعالى ـ قبول ما كتبنا .

قبس من أنوار السنة

نماذج ثلاثة ممن يحبهم الله

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن أبى ذر ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال :

« ثلاثة يحبهم الله ــ عز وجل ــ : رجل أتى قوما فسألهم بالله ، ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه ؛ فتخلف رجل بأعقابهم ، فأعطاه سرا ، لا يعلم بعطيته إلا الله ــ عز وجل ــ والذى أعطاه .

وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به ، نزلوا فوضعوا رءوسهم ؛ فقام منهم رجل يتملقنى ويتلو آياتى .

ورجل كان فى سرية فلقوا العدو فانهزموا ؛ فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له .

رواه النســـائى

من مفردات الحديث :

١ ــ سألهم بالله : رجاهم أن يعطوه لوجه الله وابتغاء مرضاته .

٢ ــ ولم يسألهم بقرابة : إذْ لو كان هناك قرابة ، لقيل : إن الإعطاء كان من أجل هذه القرابة .

٣ ــ فتخلف رجل بأعقابهم : تأخر عنهم حتى انفرد لئلا يروه .

٤ ــ مما يعدل به : أى مما يماثله .

٥ ــ يتملقنى : يزيد فى التودد والدعاء .

إن أهل الإيمان الذين امتلأت قلوبهم بعقيدة الإيمان الصادق الخالى من كل ريبة وشك ، الخالص من شوائب النفاق والرياء ، يقصدون وجه الله بأعمالهم ابتغاء مرضاة ربهم ، أولئك الذين يعلمون أن قيام الليل دأب الصالحين ، ومقربة إلى رب العالمين ، فيقومون فى السحر ــ على ضراء وسراء ــ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا ، وطمعا يرتلون كتاب ربهم ، يجاهدون النفس الأمارة بالسوء ويجاهدون أعداء الدين ، ويقفون صامدين فى وجوه الظالمين ، والغاصبين حتى النصر أو الشهادة فى سبيل الله فينالون إحدى الحسنيين .

ليس فى الأمر قصر :

حين يحدثنا الرسول ﷺ عن ثلاثة يحبهم الله ــ عز وجل ــ فليس معنى ذلك أن الله يقتصر حبه على هؤلاء الثلاثة ، أو أنه لا يحب غيرهم فالله ــ سبحانه وتعالى ــ يحب من عباده نماذج كثيرة لأطهار أخيار .. وهناك كثير من الأحاديث النبوية بدأت بعبارة : ثلاثة يحبهم الله . كما أن هناك أحاديث بدأت بغير ذلك من الأعداد. ممن يحبهم الله ويكرمهم .

الثلاثة الذين فى الحديث :

وأول هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ــ تعالى ــ ويرضى عنهم ، ويثيبهم جزيل الثواب :

رجل كان بين قومه ، وأقبل سائل يطلب المعونة والصدقة منهم لوجه الله ــ تعالى ــ فلم يعطه أحد منهم ؛ فأنفرد هذا الرجل الصالح عن قومه وأعطى للسائل ما تيسر من الصدقة سرا ، حتى يكون عمله بعيدا عن الرياء والتظاهر . وليتحقق عنصر الإخلاص لله فى العمل ، حتى يكون ممن استجاب لدعوة القرآن فى إخفاء الصدقة .

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ سورة البقرة

وحتى يكون من هؤلاء السبعة الذين يحبهم الله ويظلهم فى ظله يوم القيامة .. !!ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. فهو حينما أعطى السائل كان يخشى الرياء الذى يضيع ثواب الأعمال . كما قال الرسول ﷺ : إن أخوف ما أخاف عليكم ، الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله يوم القيامة ــ إذا جزى الناس بأعمالهم : إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا ، فانظروا : هل تجدون عندهم جزاء ــ أخرجه الإمام أحمد .

وكما قال عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه ابن ماجه ــ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه ، نادى منادٍ من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف : ١١٠)

ثم يأتى دور الرجل الثانى الذى ورد فى الحديث فى قوله : « وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به فنزلوا فوضعوا رءوسهم فقام منهم رجل يتملقنى ويتلو آياتى » .

هذا الرجل الصالح ــ أو الصنف الثانى ــ كان على سفر مع رفقة له ، وساروا فى طريقهم أغلب الليل حتى تعبوا ورغبوا فى النوم بعد هذا المجهود الشاق الذى بذلوه ، ولذلك نزلوا فى مكان يستريحون فيه ، فسارع اليهم النوم فناموا إلا رجلا منهم غالب نومه ونشط لطاعة ربه ــ سبحانه ــ وظل ساهرا يذكر خالقه ويتلو آياته فى الصلاة أو خارجها .. حتى يكون من أولئك الذين قال الله ــ تعالى ــ فيهم

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة السجدة

وحين يكون العبد فى مناجاة ربه فى الوقت الذى يشتهى فيه النوم والراحة بعد العناء ، والسفر ، والتعب . فهذا لا يكون إلا ممن آثر طاعة ربه ورغب فيما عنده من عظيم الثواب بكثرة السجود حتى يحظى بما أعده الله لأهل هذه الصلاة ؛ فعن أنس — رضى الله عنه — يرفعه إلى النبى ﷺ فيما رواه ابن حبان قال :

صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل .

والرجل الثالث — رجل كان فى سرية — طائفة من الجيش — فلقوا العدو فانهزموا ، فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له .

قوم قابلوا العدو فى ميدان الجهاد فى سبيل الله فقام رجل منهم يواجه العدو بصدره بعد أن انهزم أصحابه .. حتى ينتصر على العدو أو يقتل فى الجهاد ، مقبلًا غير مدبر فينال إحدى الحسنيين .. النصر والغنيمة أو الشهادة .. حتى يحظى بالنعيم الذى أعده الله لمن استشهد فى سبيله .

روى الترمذى وابن ماجه أن رسول الله ﷺ لما رأى جابر بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد قال له مطمئنا ومبشرا : « ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ قال جابر قلت : بلى قال : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأنه كلم أباك كفاحا (والكفاح المواجهة) قال : سلنى أعطك قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب — عز وجل — « إنه سبق منى القول بأنهم أليها لا يرجعون »

قال : أى رب فأبلغ من ورائى أى أبلغهم بهذه النعمة الكبرى التى يتقلب فيها الشهيد فى الجنة — فأنزل الله — تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .. ﴾ (الآيات من ١٦٩ — ١٧١ آل عمران)

وكما قال النبى ﷺ : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

روى الطبرانى والحاكم عن أبى الدرداء — رضى الله عنه — أن النبى ﷺ قال : ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ويستبشر بهم : الذى إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله — عز وجل — ؛ فإما أن يقتل ، وإما أن ينصره الله — عز وجل — ويكفيه فيقول : انظروا إلى عبدى هذا ، كيف صبر لى بنفسه — والذى له امرأة حسناء وفراش لين فيقوم من الليل يذر شهوته ويذكرنى .. والذى إذا كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام فى السحر فى ضراء وسراء .

إنها خصال ثلاث : انفاق فى السر يدل على الإخلاص وطهارة النية مع سماحة النفس التى لا تشح ولا تبخل ، فتزيل عوز المحتاجين ، وتمسح بيد الرحمة والرفق آلام المعذبين .

وصلاة التهجد فى الليل تدل على صدق التقوى ، وعمق الخشية ، وفيها يجمع الإنسان بين تلاوة القرآن فيزداد هدى ونورا وصدق الجهاد دفاعا عن الدين والأرض والعرض — دليل على الفداء والوفاء (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

لا إيمان لمن لا أمانة له

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

عَظَّم الإسلامُ شأنَ الأمانة ، وحثَّ علىٰ أدائها ، وَرَّغب فى الوفاء بها ، ونَهَىٰ عن الخيانة ، وبَغَّض فيها ، ونَفَّر منها ، فهى لا تليقُ بذوى الدِّين ، وأصحابِ المروءات ، وقد ذَمَّها النبىُّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم أشدَّ الذمِّ كما جاء عند النسائى من حديث أبى هريرة : كان رسولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « اللهمَّ إنى أعوذُ بك من الجُوع فإنه بِئْسَ الضَّجِيعُ ، وأعوذُ بِك من الخِيانة فإنها بِئْس البِطَانةُ » والبطانةُ : المقصودُ بها صديقُ الرجُلِ وصفيُّه الذى يَكشِفُ له عن أسراره ، وقد مثَّل الخيانةَ بجليس السوءِ والصديقِ الذى يُغرى بالشرِّ ، ولا يُعين علىٰ خير : « فإنها بئس البطانةُ » وبئس : فعلٌ ماضٍ للذمِّ ، وفاعلُه البطانُة ، وهو أسلوبٌ لإنشاء الذمِّ يؤكِّدُ قُبح الخيانة ، ويدعُو إلىٰ مجانبتها .

ولنسمع قولَه تعالىٰ من سورة الأنفال فى النهى عن الخيانة فى العبادات وفى المعاملات :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وفى سورة النساء جاء الأمرُ بأداء الحقوق سواءٌ كانت لله تعالىٰ أم للعباد ، فِعْلِيَّةً كانت أم قوليَّةً أم اعتقاديَّة : .

(١) الآية : ٢٧ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾(٢).

الأمانة فى الشرع :

والأمانةُ جاءت فى لسان الشرْع بمعان ثلاثة :ـ

الأول : ما قاله الضحاك : أماناتُ الناس المعروفة ، أى الأشياءُ التى يضعُها صاحبُها عند غيره ليستردَّها عند الحاجة إليها . كما جاء الأمرُ بذلك فى هذه الآية .

والمعنى الثانى : الحقوقُ المتعلّقةُ بالمكلَّفين ، سواءٌ أكانت لِلَّه أم للعباد ، وسواءٌ أكانت فعليَّةً أم قوليةً أم اعتقاديةً أم ماديَّة ، ومن ذلك قولُ ابن عباس : « إنَّ الأمانة هى الفرائضُ » وما أخرجه عبدالرزاق عن زيْد بن أسلمَ عن رسول الله ﷺ : الأمانةُ ثلاثٌ : الصلاةُ ، والصيامُ ، والغُسْلُ من الجَنَابة ، وما رُوى عن علىِّ بنِ أبى طالب : « أنه كان إذا دخَل عليه وقتُ الصلاةِ اصفر وجهه فسئل عن ذلك فقال : دخل علىّ وقت أمانة عرضها الله علىٰ السمٰوات والأرضِ والجبالِ فأبيْنَ أن يَحمِلْنَها ، وأشْفَقْنَ منها ، وقد حملتُها مع ضَعْفِى » ، ومن ذلك ما رواه مسلمٌ عن أبى ذرٍّ قال : « قلت يا رسولَ الله ألا تَسْتَعْمِلُنى ، فَضَرب بيده على مَنكِبى ثم قال : يا أباذرٍّ ، إنك ضعيفٌ ، وإنها أمانةٌ ، وإنها يومَ القيامةِ خزىٌ وندامةٌ ، إلَّا مَن أخَذها بحقِّها وأدَّىٰ الذى عليه فيها » .

وممَّا هو متعلقٌ بالحقوق علىٰ المكلَّفين : كلمةُ التوحيدِ فهى من أعظم الأماناتِ ، ولا يجوزُ الإخلالُ بها بحال ، وما قاله ابن العربى من أنها : الإيمانُ باللهِ وملائِكَتِه واليومِ الآخر ، ومما يَعمُّ هٰذه المعانىَ جميعَها تفسيرُ أبى حيان للأمانة من أنها : كلُّ ما يُؤتمَنُ عليه من أمرٍ ، ونَهْيٍ ، وشأنٍ ، ودينٍ ودنيا .

المعنى الثالث لمفهوم الأمانة : هو الصفةُ المُضَادَّةُ للخيانة ، وهى صِفةٌ غريزية تَحمِلُ صاحبَها علىٰ تأدية الحقوقِ لذويها ، ماديةً كانت أو معنويةً ، للخالقِ أو للمخلوق ، وإلىٰ هٰذا جاءت الإشارةُ فى حديث أبى حُذيفة الذى أخرجه البخارى وفيه : « حَدَّثنا أن الأمانةَ نزلَت فى جَذْرِ قلوبِ الرجالِ ثم عَلِمُوا من القرآن ، وعَلِمُوا من السُّنَّة » ومعنى نزولِها فى جَذر قلوب الرجال : حصولُ تلك الغريزةِ فى الشخص المتصفِ بها ، وجَذْرُ كلِّ شىءٍ أصلُه ، والمعنى : أن الأمانة خُلقت فى أصل قلوبِ العبادِ فهى من الغرائز الفطرية ، فَتُشْبِهُ النواةَ التى إذا أصلَحها صاحبُها وتعهَّدها بالحرْث والسقْى كانت شجرةً تُؤتِى أُكُلَها ، وإذا تركَها وأهمَلَها فسَدَت

(٢) النساء : ٥٨ .

وبطَل النفعُ بها ، وهٰذا تصويرٌ لغريزة الأمانةِ التى تعهَّدها صحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ بعلوم الشريعةِ المكتسَبَةِ من القرآن الكريمِ ومن السنة المطهرةِ شيئاً فشيئاً حتىٰ نَمَت وتمكَّنَت وآتَتْ أعظمَ الثمار ، ولم يفسدوها بالإهمال والترك : « فَعَلِموا من القرآن ، وعَلِمُوا من السنة » أى : تأدَّبُوا بأدب القرآن وبأدب السنةِ المطهرةِ وَعَلِمُوا منهما ما تنمو به الأمانةُ وتُثمِرُ ثمرتَها ، وزادهم ذٰلك استمساكاً بالأمانة وبغضاً للخيانة ، وإن الفضائلَ متلازمةٌ ، فإذا تمَّت الأمانةُ باتِّباع الفضائلِ الإنسانيةِ التى يَقْوَىٰ بها الإيمانُ والإسلامُ والتقوىٰ والإخلاصُ ، وتَجلَّىٰ ذلك فى بَيْعه وشرائِه وسائرِ معاملاته ، فلا يغشُّ ولا يخونُ أليتةَ ، بل يَصير الأمينُ موثوقاً به فى كل أحواله .

النهى عن الخيانة بالمثل :

وَمِمَّا يؤكِّد فى نفوسنا عِظَمَ شأنِ الأمانةِ أن الرسول صلىٰ الله عليك وسلم نَهَىٰ عن الخيانة فيها حتىٰ مع مَن خانك فى أمانتك يقول عليه السلام فى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأخرجه أبو داود والترمذى : « أدِّ الأمانةَ إلىٰ من ائتمنَك ، ولا تَخُن من خانَك » ومَن لم يؤدِّ الأماناتِ إلىٰ أهلها كالودائع ونحوها أُخذ منه الحقُّ فى يومٍ يكون الإنسانُ فيه شديدَ الحاجة إلىٰ كل حسَنَة ، ويشتدُّ كرْبُه من كل سيئة ، وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم وأحمد عن أبى هريرة : « لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلىٰ أهلها حتى يُقْتَصَّ للشاة الجمَّاءِ من الشاة القَرْناء » والجمَّاءُ هى التى لا قَرْن لها ، وذٰلك أن الحقوق لا تضيع .

لماذا حملها الإنسان ؟

لقد كُلِّف الإنسانُ وَنِيطت به الأمانةُ تكريماً وتشريفاً لأنه مُنِح العقلَ والفهمَ والقدرةَ علىٰ التمييز والاختيار ، وأعانه اللهُ ـ عز وجل ـ بإرسال الرسل ، وإنزالِ الكتبِ فيها بيانُ الحلالِ والحرام ، والخيرِ والشر ، والنافع والضارِّ ، والحِكَمِ والأحكام ، وأنعم عليه بتسخير الكون ، والقدرةِ علىٰ العمل لترقيةِ حياتِه ، والانتفاعِ ببركاتِ الأرضِ وطيباتِها .

وإنَّ الأجرامَ الكونيةَ الكبرىٰ لم تُوهَب ما وُهِبَه الإنسانُ لذا لم تكن أهلًا للتكليف ، ولا مستعدةً لِتحمُّل تبعاتِ الأمانة ، فهى لا اختيارَ لها ، ولا إرادةَ ، وهى تُسبِّحُ بحمْد ربِّها آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ على نحوٍ لا نفهمُه نحن البشرَ ، ومُسخَّرةٌ لِمَا خُلقت له حتىٰ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها .

وفى هٰذا السياقِ يقول بعضُ المفسِّرين فى قوله تعالىٰ من سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾(٣).

قال : الأمانةُ حقوقٌ مرعيَّة ، أَوْدَعَها اللهُ المُكلَّفين ، وائتمنَهم عليها ، وأوجب عليهم تَلقِّيها بِحُسن الطاعةِ والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها ، والمحافظةِ عليها ، وبأدائها من غيرِ إخلالٍ بشيء من حقوقها ، وجاءت الآيةُ على طريق التمثيل ، والمعنىٰ : أن تلك الأمانةَ لِعظَمِ شأنِها لو كُلِّفَتْ هاتيك الأجرامُ العِظامُ التى هى مَثَلٌ فى القوةِ والشدةِ شأنِها لو كُلِّفَتْ هاتيك الأجرامُ العِظامُ التى هى مَثَلٌ فى القوةِ والشدةِ مُراعاتَها ، وكانت ذاتَ شعورٍ وإدراكٍ ، لأَبَيْنَ أن يحملْنها ، وَخِفْن منها ، فصرَف اللهُ سبحانه وتعالىٰ الكلامَ عن سَنَنِهِ بتصوير المفروضِ بصورة المُحَقَّقِ لزيادة تحقيقِ المعنىٰ المقصود وتوضيحِه .

ولاشكَّ أن فى الآية الكريمةِ قوةً تلفِتُ العبادَ إلىٰ التأمُّل والتدبُّر فى أمر الأمانةِ ووجوبِ النهوض بتبعاتها ، وأداءِ الحقوقِ على الوجْهِ الذى يُرضى ربَّ العباد .

آراء المفسرين فى العرض :

وقال بعضُهم : العَرْضُ فى الآية ضَرْب مَثَلٍ ، أى : إن السمٰوات والأرضَ والجبالَ علىٰ كِبَرِ أجرامِها لو كانت بحيث يجوزُ تكليفُها لَثَقُل عليها تقلُّدُ الشرائعِ لِمَا فيها من الثواب والعقاب ، أى إن التكليفَ أمرٌ حقُّه أن تَعْجَزَ عنه السمواتُ والأرضُ والجبالُ ، وقد كُلِّفَه الإنسانُ : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وفسَّر بعضُهم : عَرَضْنا بمعنىٰ قَايَسْنا ، وقال : إن الآيةَ من المَجاز : أى إنا إذا قايَسْنا ثِقَلَ الأمانةِ بقوة السمٰواتِ والأرضِ والجبال ، رأينا أنها لا تُطيقها ، وأنها لو تَكَلَّمت لأبتْ وأشفقتْ ، وهٰذا كما تقول : عَرَضْتُ الحِمْلَ علىٰ البعير فأباه ، وأنت تقصدُ قايَسْتُ قوتَه بثقل الحِمْلِ فرأيتُ أنها تَقصُر عنه .

كما فَسَّر بعضُهم العرضَ بمعنى المعارضَة ، وقال : عرضْنا بمعنى عارضْنا الأمانةَ بالسمٰوات والأرضِ والجبالِ فضُعفَت هذه الأشياءُ عن الأمانة ورجَحَت الأمانةُ بثقلها عليها .

إنَّ هٰذه الجماداتِ انقادت الأمر ربِّها بما يَليق بها ولم تمتنع عن طاعته سبحانه الطاعةَ التى تَصِحُّ منها ، وإن الإنسانَ وهو الحيوانُ العاقلُ المفكرُ الصالحُ للتكليف لم يكن حالُه فيما يَصِحُّ

(٣) سورة الأحزاب ٧٢

منه من الطاعات ويليقُ به من الانقياد لأوامر اللهِ ونواهيه مثلَ حالِ تلك الجماداتِ فيما يصحُّ منها ويَليقُ بها من الانقياد وعدمِ الامتناع .

واختار النحاسُ وغيرُه من أهل التفسيرِ أن العرْضَ كان علىٰ الحقيقة وقد جاء توضيحُ ذٰلك فى قول ابن عباس الذى رواه علىٌّ بنُ أبى طلحة قال : الأمانةُ هى الفرائضُ عرَضها اللهُ على السمٰوات والأرضِ والجبالِ إنْ أدَّوْهَا أثابهم ، وإنْ أدَّوْهَا أثابهم ، وإنْ ضيَّعوها عذَّبهم ، فكرِهُوا ذٰلك ، وأشفقُوا من غير معصية ، ولٰكنْ تعظيماً لدين اللهِ عزَّ وجلَّ ألا يقوموا به .

ويكونُ عرضُ الأمانةِ علىٰ هذه الجماداتِ باعتبار أنَّ لها حياةً حقيقيةً يَعْلمُ سِرَّها خالقُها ، وفى القرآن يُرشِدُ إلىٰ ذٰلك ، مثلُ قولِه تعالىٰ :

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾(٤).

وقولِه سبحانه للسمٰوات والأرض :

﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(٥).

ونحو ذٰلك ، أو أن ذٰلك ، أو أن اللهَ عزَّ وجل رَكَّب العقلَ والفهمَ فى هٰذه الجماداتِ عند عرْضِ الأمانة ، فَهُنَّ بهٰذا العقلِ والإدراك سَمِعْن الخطاب ، وأنطقهُنَّ اللهُ بالجواب ، وكان الامتناعُ منهنَّ بسبب الخشيةِ والخوف من ألا يؤدِّين حقوقَ الأمانةِ والتكليف ؛ ويقعْن فى العذاب ، ولم يكن من جهة معصيةِ اللهِ عزَّ وجل ومخالفتِه ، فهٰذا العرضُ عرْضُ تخييرٍ لا إلزامٍ أمَّا العرضُ علىٰ الإنسان فإلزامٌ ، وهٰذا هو التفسيرُ الذى ذَهب إليه جمهورُ علماءِ أهل السنةِ إذ يَرَوْن أنه مادام فى الإمكان الحْملُ علىٰ الحقيقة فلا يُلْجَأُ إلىٰ التأويل .

إن الإنسانَ الظلومَ الجهولَ هو الكافرُ الجاحدُ حيث حَمَلَ الأمانةَ ثم لم يَفِ بها ، وضَمِنَها ثم أخلَّ بضمانه ونقَض عهدَه مع اللهِ عز وجل ، وفى هٰذا نذيرٌ للعصاة والمُصرِّين وكلِّ ظالمٍ لنفسه بالتعدِّى علىٰ حدود الله وخيانةِ الأمانات ، وهٰذا من الجهل بعاقبة أمرِه فمَن تاب وأخلَص تاب اللهُ عليه برحمته وإحسانِه ولنتدبر ختامَ سورة الأحزاب :

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

(٤) الإسراء : ٤٤ (٥) فصلت : ١١

المؤمن ليس من أهل الأهواء والتفرقة

لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان (*)

يقول الله جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾ سورة آل عمران

كان الإسلام فى أيامه الأولى يشق طريقه بالقوة الذاتية التى فى طبيعة هذا الدين القيم يوم كان المؤمنون به يقولون بأفئدتهم وألسنتهم :

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ (الآية / ١٩٣ آل عمران)

وفى قولهم : « فآمنا » ما يدل على صفاء العقل ونقاء العاطفة وسلامة الفطرة التى فطر الله الناس عليها . ويومئذ كانت مادة الدعوة إلى الله عقيدة سليمة صحيحة صدقتها الأدلة ، وشهدت لها البينات وهى التوحيد ، وهى عقيدة المرسلين أجمعين والله يقول :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ سورة الأنبياء

ولم يكن ثمة علماء كلام يناقشونهم ولا فلاسفة يجادلونهم ويجرونهم إلى المتاهات والخلافات ؛ لأن كتابهم واحد وهو القرآن الذى علمهم جوهر دينهم ولُبَّ إيمانهم ، فإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، وهو الذى أمرهم بطاعة الله ورسوله ، وقال لهم ربنا فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

(الآية / ٧ من سورة الحشر)

فكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قدوتهم يرشدهم ويوجههم ويؤدبهم بالقرآن فيحسن تأديبهم ، وكان القرآن ينزل به الروح الأمين مِنْ لدن رب العالمين فكان لهم شِرْعه ومنهاجاً ، وكان يقول لهم رب العزة :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

(الآية من سورة النور)

والسَّابقون الأولون أخلصوا دينهم لله ؛ فرفع الله بالإيمان قدرهم وأعلى باليقين شأنهم فبوأهم

(*) المدير العام للوعظ والدعوة الأسبق بالازهر .

ربهم مكانا عليا ، فكانوا قدوة للمصلحين وأئمة للمتقين فى كل وقت وحين ؛ لأنهم جعلوا دينهم منهاج أعمالهم وأساس سلوكهم وزاد حياتهم ، فكانت البركة فى أعمارهم وأعمالهم هم ومن صلح من ذرياتهم ، ذلك لأن التقى ترى له قوة فى دين ، وحزما فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعملا فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، ونشاطا فى هدى يُمْسِى وهمّه الشكر ، ويصبح وهمّه الذكر ، وبهذا تتأكد سلامة العقيدة وطهارة السلوك ؛ فلا ضعف ولا هوان ولا ذلة ولا استخذاء ولا ضلال ولا ريـــاء ؛ ولا تردد ولا التواء ؛ لكنه الإيمان السليم والخلق القويم ، والله يقول :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة الأنعام

هكذا نشأ الإسلام عزيزا لا يقبل الذل كريما لا يتحمل الضيم وحَملهُ كرام برره فكانوا قدوة طيبة وصورة حية للإسلام تمشى على الأرض هونا فلا شح يطاع ولا هوى يتبع ، لأن الله قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ ﴾ (الآية / ٦٨ من سورة الأنعام)

ويقول عز وجل : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ سورة الشورى / ١٥

يقول جل شأنه :

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ ﴾ (الآية / ٤٩ من سورة المائدة)

ولا تتبع الهـوى

ويقول الله لنبيه دواد ـ على نبينا أفضل الصلاة والسلام :

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة ص

تجنب الأشـرار

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (رواه أبو داود والترمذى) . وعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير : فحامل المسك إما أن يُحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة) (رواه البخارى) .

بهذه التوجيهات النبوية ربّى رسول الله ﷺ رجالا وبنى أمة قال عنها ربنا :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾
(سورة آل عمران / ١١٠)

ومن توجيهات القرآن الخالدة للمؤمنين المخلصين الذين يحبهم الله ويحبونه ، قول الله :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ سورة آل عمران

هذا هو القرآن الذى صَنَعَ من سكان الصحراء والبيداء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، صنع رجالا وكَونَّ أبطالا صدقوا ما عاهدوا عليه ؛ صدقوا مع ربهم ومع أنفسهم ومع الناس ، فكانوا خير دعاة لدين الله نشروا الإسلام بالقدوة كما انتشر بالدعوة ، فكان مقامهم كبيرا ، وأجرهم عظيما ، وثوابهم كثيرا :

﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾
(ال عمران / ١٩٥)

عن إلى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا؛ ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (أخرجه مسلم) .

والله ـ تعالى ـ يقول لرسوله ﷺ :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾
(الآية / ٥٠ من سورة القصص)

إيمان واستقامة

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال ، قلت : يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك !!! قال : قل آمنت بالله ثم استقم . « أخرجه أحمد فى المسند وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان » .

فانظر كيف جمع له الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الإسلام فى كلمتين اثنتين هما الإيمان بالله والاستقامة فى الحياة .

وهذا نموذج لأسلوب الدعوة فى العهد الأول للإسلام :

أرسل رسول الله ﷺ إلى الحبشة مَنْ هاجر إليها من الصحابة فتكلموا بالإسلام وبينوا دعوة محمد ـ عليه السلام ـ إلى الهدى والحق ، وقد وقف جعفر بن إلى طالب ـ رضى الله عنه ـ يشرح للنجاشى حقيقة الإسلام ، كما روت أم سلمة وكانت هى وزوجها من المهاجرين ـ أن النجاشى دعا المهاجرين إلى الحبشة يسألهم عن الذى أخرجهم قومهم بسببه قائلا لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم به قومكم ؟؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ـ رضوان الله تعالى عليه ـ فقال :

« أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله ـ تعالى ـ إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ـ تعالى ـ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على

ما جاء به من الله ـ تعالى ـ ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فَعَدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ـ تعالى ـ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

قال النجاشى : مجيبا عن هذا الكلام المبين بايجاز لما جاءه رسول الله ﷺ : هل معك مما جاء به من عند الله ؟ قال جعفر ـ رضى الله عنه ـ نعم ، قال : فاقرأه علىَّ ، فقرأ عليه من سورة « كهيعص » :

فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : « إن هذا والله والذى جاء به عيسى . ليخرجان من مشكاة واحدة » .

وهكذا لمَّا وجد جعفر أذنا صاغية تطلب البيان قام بالتوضيح الكافى بهدوء إنسانى وتعبير منطقى وكياسة وحسن سياسة كانت ظاهرة فى اختياره سورة مريم ، لأنه يخاطب رجلا مسيحيا ، فكان ذلك أدنى للاستجابة والقبول وأقرب طريق للدعوة ، وجعفر هذا رجل ممن صنعوا التاريخ ، لأن الأعراق الطاهرة إذا أصابها غيث الهدى جاءت بأطيب الثمرات وخير الجنى .

ولا ننسى أن الخلق الكريم والمعاملة الطيبة تجذب المستمع إلى القول الحسن وأن الود يقرب والعداء يفرق ، والله يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سورة آل عمران

فحيث يوجد التهجم توجد المقاومة ، والمقاومة توجد التحيز والتعصب الأعمى الذى يضع حاجزا بين الرجل الجاف الفظ وبين من يريد هدايته ، فلا يُفْرَضُ رأى بالقوة فى الإسلام ، ولكنه يُعرِّف المسلمين بأنفسهم ، ويدعو غيرهم بالتى هى أحسن والله ـ جل جلاله ـ يقول :

قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(سورة المائدة ١٥ ـ ١٦)

يقول عز وجل :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

(سورة الشورى ٥٢ ـ ٥٣)

التأسي بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين

صلى الله عليه وسلم

بقلم :
فضيلة الشيخ
عبد المنصف
محمود عبدالفتاح

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١)

إن من نظر فى حياة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الـذى ملأ الله به الكـون : رحمة وعدلا ، والدنيا : هدى ونورا ، والقلوب : راحة وأمنا ، لوجد أنها مليئة بعظيم المفاخر ، وجليل المآثر ، وأنه يجب على الناس كافة : أن يتخذوا منها : نبراسا ومشكاة ، ليصلوا إلى سعادتهم وفلاحهم : فى معاشهم ومعادهم .. وما أحوجنا ، ـ وقد أصبحت حالتنا الخلقية من أشد أمراضنا الاجتماعية ـ أن نرجع إلى سيرة العظماء من الرجال ، نتعرف أخلاقهم ، التى كونت عظمتهم وشمائلهم ، التى يرجع إليها نجاحهم

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٢)

ورسولنا ﷺ جدير حقا ، بأن يتخذ مثلا أعلى فى كل ناحية من نواحيه ، فهو الأسوة الحسنة بشهادة الله ، وسيرته من أعظم السير ، ودراستها من أجل العظات ، وهى من ذلك كثيرة النواحى ، متشعبة المناحى ، وكذلك شأن الأبطال والعظماء : تتيه فى بطولتهم وعظمتهم ، العقول والأفكار أستغفر الله !! لم يشبه النبى الأكرم ، والرسول الأعظم : أحدٌ فى بطولته وعظمته ، بل إنه فاق كل بطل وكل عظيم .. وإننى لن أستطيع : أن أُوفِّى النبى الكريم حقه : من إجلال وتعظيم وإكبار وتفخيم ، وهل يستطيع أحد فى هذا الوجود مهما أوتى من فصاحة

(١) الأحزاب : ٢١ (٢) الأنعام : ٩٠

وبيان ، أن يُوفى هذا المقام الشريف قدره ، أو يعبر عن هذه العظمة الرائعة : بكلمات وألفاظ ؟ وأنّى لضعيف البصر : أن يُمْعنَ نظره ، فى ضوء الشمس الباهر ، وشعاعها اللّماع ؟ وأنى لقوة محدودة وكلمات معـــدودة : أن تصف نفسا كبيرة ، لا يدرك مداهـــا ، ولا تعـــرف غايتها ومنتهاها ؟ ولكننا نريد : أن ننقب عن الشرف : لندرك طرفا منه ، ونعرض الكمال ، لتتحلى النفوس بحلية منه ، وننثر الدر النفيس بين أيدينا ، لتملأ العيون من جماله وسحره ، ونقلب الطيب ، لنظفر بنفحة من شذاه وعطره .

لقد كان رسول الله ﷺ : المثل الأعلى : الذى يجب أن يُقتدى به فى أقواله وأفعاله وأحواله ؛ لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل عن وحى وتنزيل : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٣)

قال ابن كثير : « أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبى ﷺ فى صبره ومصابرته ومجاهدته ومرابطته » كيف لا .. وهو القدوة المثلى لأمته : فى حياته الخاصة والعامة وفى علاقته بربه ، وعلاقته بالناس .

وقد اختلف فى هذه الأسوة ، هل هى على الإيجاب ، أو على الاستحباب : على قولين : أحدهما : أنها على الإيجاب ، حتى يقوم دليل على الاستحباب .. الثانى : أنها على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب .. ويحتمل : أن تحمل على الإيجاب : فى أمور الدين وعلى الاستحباب : فى أمور الدنيا .

ولأنه المرسل إلى الناس كافـــة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

والمعد من ربه ، لتحمل أعباء الرسالة العالمية والدين العالمى ، كما قال ـ تعالى :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥)

وليكون القـدوة العمليـة والأسوة الحسنـة الواقعية .. فقد صاغ الله ـ تعالى ـ عظمته ، من هذه القدوة التى توجب الاقتداء ، وذلك بما أودع فيه من روح العظمة ، فعظمة النبى ﷺ هى مجموع من القدوة التى خصه الله ـ تعالى ـ بها مع الاقتداء من أتباعه المؤمنين بدعوته ، الواثقين برسالته .

فكان مثل النبى ﷺ فى عظمته والاقتداء به ، مع أتباعه المقتفين أثره مثل الأسلاك الكهربائية : الحاملة للتيار الكهربى ،لكنها متباعدة ، ليس بينها اتصال واجتماع ، حتى وصلت أطرافها ، وجمعتها الدعوة المحمدية والقدوة العملية على مجمع واحد فى نقطة واحدة « بريز » ، ثم كان المصطفى ﷺ وعمله ودعوته : أشبه بالمفتاح « الكوبس » وحينما وضع يده على مجمعها وضغط على مفتاحها : اشتعلت الجزيرة العربيـة نورا ، شعَّ فى المشارق والمغارب ، إصلاحا وتعميرا ، وعدلا وسلاما .

تلك الموجة العمرانية الإصلاحية : التى كهربت قلب آسيا وإفريقيا وزلزلت عروش كسرى وقيصر : فى فترة وجيزة لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ثم قلبت

(٣) النساء : ١١٣

(٤) سبأ : ٢٨

(٥) الفرقان : ١

الأمة الأمية : قلبة حقيقية ، حتى أصبح كل فرد من أفراد الأمة ، فى حكمة الفيلسوف : عقلا وفكرا ، وفى شجاعة القائد ودربته ، وفى بسالة الجندى وتضحيته ، وعاد كل فرد منها : فى عزة الملوك وفى طهارة الملائكة ، حتى لو ظهر أحدهم فى حياتنا هذه ، لكفاها بلسما وشفاء .

وكان لمكارم أخلاقه ﷺ وعلو همته ، الأثر البالغ فى نجاح دعوته ونشر رسالته ، فقد استطاع بأخلاقه وحكمته وحزمه وكياسته : أن يؤسس فى زمن قصير ومدة وجيزة : دولة قوية وأمة فتية ، مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، واسعة السلطان ، نافذة الحكم ، موفورة الكرامة ، فتوافد الناس عليه وانقادت إليه قلوبهم واطمأنت له نفوسهم ، لما رأوا من لين جانبه ، وكرم أخلاقه ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٦) .

وإن من سرَّح طرفه : فى تاريخ النبى ﷺ الحافل بالمكرمات ، الزاخر بالمعالى ليجد أن خفض الجناح ورقة الحاشية والرحمة الفياضة : كانت من أبرز صفات الرسول ومن أطيب شمائله وكلها طيب وجميل ، ولقد اتسعت رحمته وامتدت رحاب نفسه وانبسط أفقها حتى وسعت الناس جميعا وتواضعت وهى النفس الشامخة العالية ، فخالطت الصبيان والأطفال : تداعبهم وتدخل السرور عليهم روى : أن الحسن بن علىّ رضى الله عنه دخل على جده ﷺ ، فركب ظهره الشريف ، وهو ساجد بين يدى ربه ـــ فأبت رحمته : أن يشغل الصبى عن لعبته ، أو يحول بينه وبين لهوه ، فأطال السجود حتى قضى الصبى أمره ، ونزل عن ظهره غير معجل ، فسأله بعض أصحابه : نراك قد أطلت سجودك يارسول الله فقال : إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله .

وليس فى سجل المودة الإنسانية ، ولا فى تاريخ البر والوفاء أجمل ولا أكرم من حنان النبى ﷺ على مرضعته السيدة حليمة السعدية ، ومن حفاوته بها عندما قدمت عليه وقد جاوز الأربعين من عمره ، أنه تلقاها هاشًّا باشا ، هاتفا بها : أُمّى .. أُمّى .. وبسط لها رداءه ، وأجزل لها عطاءه وبذل لها كرمه ووفاءه .. فأية عاطفة : تتفجر حنانا : مثل هذه العاطفة ؟ وأى قلب ينبض بالخير مثل هذا القلب النبوى الطاهر؟! ، وأية نفس : تفيض رحمة : مثل هذه النفس الكبيرة : التى لم تقتصر رحمتها : على معاملة البشر ، بل نراها تنفسح وتمتد حتى تبسط رواقها على الحيوانات العجماوات فتغمرها ، وتفيض عليها .. ألم يكن رسول الله ﷺ يُميلُ الإناء للهرة لتشرب ويفتح لها بابه حين تطلب عنده مأوى ويبسط كفه للشاة لتأكل ما فيها من الحب والنوى ، فلا يقبضها حتى تفرغ الشاة من أكلها .

كان رسول الله ﷺ يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظلمه ويحسن إلى جاره ويأخذ بناصر الضعيف ويغيث الملهوف ويقرى الضيف ويكرم اليتيم ويرحم الفقير والمسكين ويجود حيث يبخل الناس ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر .. كان دائم البشر ، حسن الخلق ، ليس بعياب ولا مداح ، يجيب دعوة من دعاه ولو كان فقيرا ،

(٦) التوبة : ١٢٨

ويقبل الهدية ويكافىء عليها ، ويطعم منها من حضر ، ويدخر نصيب من غاب ، كان يعود المريض ماشيا ، ولو كان فى أقصى المدينة ، كان يؤثر الزائر بالوسادة التى تحته ، وربما بسط له ثوبه ، كان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ويأكل سؤرهم ويشرب آخرهم ويقول : ساق القوم آخرهم شربا .. هذا جانب من أخلاق رسول الله : تلك الأخلاق الطيبة المنتقاة التى صنعها الله بيده ومنحها لنبيه وأثنى عليه من أجلها وسجلها بأحرف من نور فى كتابه المبين بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٧)

هذه الأخلاق الكريمة : التى نبعت من مشكاتها وامتدت فى طول الدنيا وعرضها وأيقنت العقول بسموها وخلودها ، فأصبحت حياة للأمم ، ومنارا للخلق ، وقبلة تتجه إليها الأنظار .

وإن من بدهيات الحكمة : أن يجعل الله ـ تعالى ـ نبيه وحبيبه محمدا ﷺ فى هذه المرتبة العليا : من العظمة الأخلاقية ؛ لأن مكارم الأخلاق الإنسانية : هى الثمرة للإيمان بالله والايمان بالبعث واليوم الآخر وهذا ما يفسره قول النبى ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ : عن شمائله ﷺ وهى أكثر الناس مخالطة له ، وأقربهم إلى نفسه وروحه ، وأعرفهم بمقامه وخلقه وإذا بها تصورها فى كلمة بليغة تصويرا بارعا دقيقا ، قال سعد بن هشام : دخلت على عائشة ـ رضى الله عنها ـ فسألتها : عن أخلاق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلقه القرآن » يعنى أنه كان قرآنا يتحرك .

لقد عرف نبينا ﷺ بالربانية المؤمنة فكان عابدا : يقف بين يدى مولاه للصلاة حتى تتورم قدماه ، وقد سئل لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ، ولم تكن عبادته عبادة الرهبان ، وإنما عبادة المؤمن القوى المراقب لحركاته وسكناته الباعث عيونه فى كل مكان ، لاستكناه أمره .

كان اجتماعيا : شارك الناس فى سرائهم وضرائهم وأحبهم ، وسهر عليهم : إخوة وأتباعا ، أزواجا وأولادا ، عبيدا وخدما فى إيثار ووفاء .

وعرف بالتواضع : فكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، كان يجلس حيث ينتهى به المجلس ويأكل مع خادمه ويزوره ويتلطف معه فى القول .

وأتَّسَمَ بالبساطة واليسر فى لقاء الأمور وتوجيهها ، إذا خُيِّر بين أمرين : اختار أيسرهما مالم يكن إثما .

كان يمزح ويتفكه ، ولا يقول إلا حقا « أتت النبى ﷺ عَجوزٌ ، فقال لها : لن تدخل الجنة عجوز ، فبكت ، فقال : إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله ـ تعالى ـ

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾(٨)

كان مثالا للنظافة والتزين والتجمل لا يُرى إلا فى أكمل مظهر ، ولما سئل عن ذلك قال : « إن الله يحب من أحدكم ، إذا خرج لإخوانه : أن يتجمل لهم » .

وعرف بالزعامة : فكان مصلحا جمع إلى ضبط النفس : قوة التأثير وكان فعالا : أكثر منه قوالا .

(٧) القلم : ٤

(٨) الواقعة : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

واتسم بالسياسة فكان مثلا للكياسة دون تكبر أو طغيان فعقد المعاهدات وبعث البعوث والسرايا وعرف عنه الكتمان والتورية والحيطة فى الحرب ، كان إذا أراد جهة : وَرَّى بأخرى .

كان رسول الله ﷺ أشجع الناس : تتسم مواقفه كلها بالشجاعة الفذة ، والبطولة النادرة ، وكان دائما فى المقدمة ، عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » .

وقد تجلت : شجاعته ﷺ فى أوضح صورها : فى حروبه وغزواته فكانت بحق مضرب الأمثال وهو الذى لم يتعلم الفنون الحربية ولا الهندسة العسكرية فى معهد أو كلية وإنما علمه ربه .. لقد كان يعلم من فنون الحرب بالإلهام : مالا يعلمه غيره : بالدرس والمران ، فكان يختار الموقع : الذى يمكنه من النصر : كما عمل بمشورة الحباب بن المنذر فى غزوة بدر الكبرى ، حيث انتقل بجيشه إلى الموقع الاستراتيجى الذى يمكنه من هزيمة أعدائه ، ويتفنن فى وسائل الدفاع كما عمل بمشورة سلمان الفارسى وحفر خندقا حول القطاع المكشوف من المدينة ، وكان يبعث من يتجسس على الأعداء ليعرف قوتهم ويبعث السرية بالأوامر المغلقة المختومة .

لقد كان رسول الله ﷺ رئيس الدولة الإسلامية ، كما كان القائد الأعلى للجيش الإسلامى .. وهو بالرئاسة للدولة : كان يكره الحرب ويجنح للسلم ويؤثر حل مشاكله بالوسائل السياسية ، كما حدث فى صلح الحديبية ، حقنا للدماء ، وتفرغا لنشر الدعوة الإسلامية ، وتركيز قواعدها وحتى لا يكون لأعدائه سبيل إلى تشويه دعوته ، وتنفير الناس منها .. فإذا ما استنفد وسائله السياسية ، لجأ إلى الوسائل العسكرية ولم يسعه إلا أن يركب المركب الصعب ، وأن يسلك ذلك الطريق الشائك : طريق الجهاد والقتال ، فسلك هذا الطريق مكرها وإن كان الخير فيه ، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩)

كان رسول الله ﷺ : فى معاركه كلها : يمتاز بصفة القيادة العليا فضلا عما كان يمازجها من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى ، نلمس ذلك فى موقفه من الأسرى بعد المعركة وخاصة أسرى بدر ، فلقد كان قلبه ينبض بالعفو والرحمة على من كانوا بالأمس يطاردونه وينكرون دعوته الإنسانية الكبرى .

كان رسول الله ﷺ بقيادته العليا للجيش : يرسم الخطط دون أن يستبد فيها برأيه ، بل كان يناقش أصحابه ويشاورهم ، ويبرم الأمور بعد اقتناعهم ؛ ليعلم كل مقاتل : أنه يقاتل عن اقتناع ويدافع عن إيمان ، كما كان يقوم بشئون التعبئة وتدبير موارد الجيش وتموينه وبث الروح المعنوية : فى صفوف جنده واختيار الأوقات المناسبة والمواقع

(٩) البقرة : ٢١٦

الملائمة كما كان يعلم المقاتلين : آداب الحرب وأنها قتال المقاتلين ، دون المدنيين ودون إسراف أو تمثيل فلا يُقتل شيخ ولا طفل ولا امرأة ولا عابد فى صومعة ولا تُقطع شجرة إلا لمصلحة .. وآداب الانتصار ، فكان يطلب إليهم : ألا ينتهكوا الأعراض ولا ينتهبوا الأموال ، ولا يستبيحوا حرمات المعابد والمقدسات .

إن نبينا ﷺ لم يترك ناحية من نواحى الإصلاح إلا أوضحها فى صورة توقظ الضمير وتنير البصيرة الإنسانية وتحفز إلى صالح الأعمال ، وتبعث فى النفوس : اليقين والأمل ، وتنشر فى المجتمع عوامل المحبة والإخاء ، وإننا لانكاد نتجه إلى هدف من أهداف الخير : إلا وجدنا الرسول الكريم ، قد أمرنا فيه بالتوجيه الحكيم ، والإرشاد القويم كل ذلك فى أسلوب عملى واقعى : ينفذ إلى القلوب فيشيع الرضا والاطمئنان ويكفل للناس : حياة راضية آمنة .

وبعد : فلعل فى هذه الذكرى العطرة نفعا عظيما للمسلمين ، ولعلهم يقتدون بصاحبها ﷺ ويتخذون من سيرته الحكيمة : المثل العليا والطرق المثلى والمناهج الواضحة ، وعساهم يترسمون خطاه ويأتسون به ويسيرون على هديه فى سلمه وحربه .. ويتأدبون بآدابه فيفوزوا باتباعه ، ويفلحوا بفلاحه وينتصروا ويسعدوا بنصره وإسعاده

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

سورة آل عمران

إلى السادة الكتاب

على السادة كتاب المجلة أن يتفضلوا فيرفقوا بمقالاتهم :

١ ـ اسم كل منهم مطابقاً تماماً لما تحمله البطاقة الشخصية أو العائلية أو جواز السفر .

٢ ـ ونوع عمله ، وتبعيته للمصلحة التى يعمل بها ، وإن كان من ذوى المعاشات ينص على ذلك .

٣ ـ يُدَوِّن رقم حسابه الجارى بالبنك مع تحديد أقرب فرع لبنك مصر إليه .

وفى حالة عدم وجود رقم حساب يخطر إدارة المجلة بأقرب فرع لبنك مصر إليه .

هذا ويؤسف إدارة المجلة أن تعلن أن المقال الحالى من هذه المعلومات لن يلتفت إليه ، كذلك ليست المجلة مسئولة عن رده .

رئيس التحرير

شهادة المرأة

للأستاذ الدكتور/ السَّيد الجميلي (*)

قرر الإسلام أن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين وعلل ذلك بأن إحداهما قد تضل ـ أى تنسى ـ فتذكر أحداهما الأخرى قال تعالى :

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

[سور البقرة الآية : ٨٢]

وليس الرجل معصوماً من النسيان أيضاً ؛ فإنه معرض له مثل المرأة تماماً ، لكن شيوع النسيان فى النساء متواتر ومشهور لأسباب نفسية محضة ذات علاقة بأحوالها « الفسيولوجية الوظيفية » .

(*) الكاتب مدير مستشفى ١٥ مايو .

ثم إن مرض « الهستريا » كثير الحدوث فيهن أيضاً ، وهذا الاسم مشتق من « الرَّحم » ؛ فإن الهستريا Hysteria مشتقة من الهستريوم – Hysterium أو الهستـرا Hystera وهـو الرحم ، وهذا دليل قوى ومؤشر ثابت على أن هذه الحالة « السيكوباثية »[1] لصيقة بأكثرهن ، وهذه الهستريا من أشد لوازمها النسيان وقد تظهر الشخصية الهسترية طبيعية تماما ، وتبدو سطحية الإدراك ، ومحبة للظهور ، وسرعة الانفعال والاندفاع ، وكذلك أيضا سريعة التحول من حال إلى حال ، ولا يستبعد أيضاً أن تتحول من الشيىء إلى نقيضه فى سرعة خاطفة ، ومن السهل على الشخصية الهستيرية أن تنفصل عن الواقع تماماً ثم تصيبها الازدواجية ؛ لذلك فإن بعضهن يخشى عليهن – أى المريضات بالهستريا – من الوقوع فى دائرة الفصام Depersonalization وهى دائرة حرجة للغاية وشديدة الخطورة فى نفس الوقت Extremely urgent and dangerous

إن خطورة الهستريا والفصام تتركز فى تعرض الإنسان إلى حيز التحلل من الواقع ، والوقوع فى دائرة الظن والهواجس ومزايلة الحقيقة ومجافاة الواقع ، والظهور فى شخصية منحولة أخرى غير المعهودة منه وكان القدماء يَرَوْن أن سمات هذه الهستريا لصيقة بالنساء لاتزايلهن ؛ لذلك كانوا يرون أن الهستريا هى مرض النساء ... لكن الواقع الطبى الملموس يؤكد إصابة الرجل أيضاً ولكن فى أضيق الحدود .

كما أن الشرود الهستيرى *Hysterical Fuge*

هو أيضاً من العوامل التى تؤثر فى الذاكرة على المستوى اللاشعورى غير المحكوم ، ومهما تعددت التسويفات والتبريرات والدفوع ، فإن غير المدفوع ، والمقرر الثابت غير الممترى فيه أن هذه العوارض تكفى وزيادة للقدح فى الشهادة المنفردة بل ودحضها ، وعدم التعويل عليها لا سيما فى القضايا الجنائية ، والتى يكون مبنى ومدار الإدانة فيها على القطع والجزم والتعيين .

ولو كانت أقوال أى من الشهود موضعاً للاعتبار على عواهنها من غير تمحيص ولا تمحيض ؛ لأهدرت كثير من الدماء ، ولضاع كثير من الحقوق على أربابها وقد قال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

وقال تعالى : ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ .

فإنه – جل شأنه – جعل مناط القبول للشهادة موقوفاً ومصروفاً إلى رضى نفس القاضى واطمئنان وجدانه ومدى ارتياحه واطمئنانه المطلق غير المقيد بشىء ، كما أنه ليس مطلوبا من القاضى تسبيب عدوله عن شهادة الشهود ، وكان « شريح » القاضى يستمع شكاية امرأة بكت وأبكت من حولها ، وبعد انتهائها من شكايتها قضى عليها ، فلما سئل عن ذلك قال : إن البكاء لا يُكسِب حقا . لقوله تعالى فى إخوة يوسف :

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ .

مع ارتكابهم ما ارتكبوا ، والله سبحانه الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

(١) الشخصية المعتلة Psychopathic personality .

المرأة والشهادة في الفقه الإسلامي

د/ عبد السميع عبد الوهاب أبو الخير(*)

تقديم :

من البديهي أن الحديث عن أهلية المرأة للشهادة في الفقه الإسلامي يفترض ابتداء كون المرأة مستجمعة للشروط التي لابد من توافرها في الشاهد بصورة عامة ، وهي تلك التي تتمثل في ضرورة كون الشاهد مسلماً ، بالغاً ، عاقلا ، حراً ، رشيداً ، غير محجور عليه لسفه أو نقص في عقله ، وكونه عدلا ضابطاً للمشهور ؛ عالماً به علم يقين ؛ لا مجرد ظن وتخمين ، فضلا عن وجوب تعدد الشهود - إلا في مواضع على سبيل الاستثناء - واتفاقهم في مضمون الشهادة والإدلاء بها في مجلس القضاء ، وذلك بالإضافة إلى بعض الشروط الأخرى التي كانت موضع خلاف بين الفقهاء ، كما هي الحال فيما يراه الفقه الحنفي من ضرورة كون الشاهد بصيرا ، وكونه ناطقاً ، خلافاً لما يراه جانب آخر من الفقه .

بيد أن ما اشترطه جمهور الفقهاء من ضرورة كون الشاهد ذكراً في بعض الحالات كان محلا للتشكيك فيه ؛ بل والتهجم عليه من البعض بدعوى أن المشرع الإسلامي قد انتقص بذلك من أهلية المرأة ، وأنه قد أنزلها منزلة أدنى من الرجل إلى آخر ما يُقول به البعض افتراء على المشرع الإسلامي . ومن منطلق الرغبة في إبراز الحقائق الفقهية في وضوح يستهدف إجلاء ما غم على البعض استيعابه من أحكام الشرع الشريف ، وتفنيداً لمزاعم سَوَّل الهوى لبعض آخر ترويجها

(*) أستاذ القانون المدني - كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر .

تنشر مجلة الأزهر الشريف هذا المقال حول أهلية المرأة للشهادة ومداها فى الفقه الإسلامى رغبة فى الهداية إلى الخير ، ودفعاً لشبهات نشأت عن سوء إدراك لمقاصد الإسلام . ولاشك أن إبراز موقف الفقه الإسلامى من هذا الموضوع يتحدد على ضوء المجال الذى ينتمى إليه الحق المتنازع فيه ، وذلك هو ما يقتضى تحديد مدى أهلية المرأة للشهادة فى كل مجال من المجالات الآتية :

١ ـ فى مجال الأمور الخاصة بالنساء والتى لا يطلع عليها الرجال فى الغالب كالولادة والبكارة مثلا .

٢ ـ فى مجال الأمور المتعلقة بالأسرة كالنكاح والطلاق والرجعة والعدة .. الخ .

٣ ـ فى مجال الحالات المتعلقة بالأمور المالية وما يؤول إليها كالبيع والإجارة والرهن ... الخ .

٤ ـ فى مجال الأمور المتعلقة بالحدود والقصاص .

وفيما يلى عرض موجز لموقف الفقه الإسلامى إزاء مدى أهلية المرأة للشهادة فى تلك المجالات :

أولا : أهلية المرأة للشهادة فى مجال الأمور الخاصة بالنساء :

(أ)موقف الفقه الإسلامى من مدى أهلية المرأة للشهادة فى هذا المجال . يجمع الفقه الإسلامى على قبول شهادة النساء فى الأمور الخاصة بهن ولو كن منفردات[1] .

ويتأسس إجماع الفقه الإسلامى على ذلك فيما روى أن الرسول ﷺ قال : « شهادة النساء جائزة فيما لا يستطيع الرجال النظر إليه »[2] ، وذلك فضلا عن ضرورة قبول شهادتهن فى هذا المجال صوناً للحقوق من التجاحد لعدم اطلاع الرجال على تلك الأمور فى الغالب .

ومن المسلم به ـ فقهاً ـ أن قبول شهادة النساء منفردات فى هذا المجال لا يحول دون قبول شهادة الرجال فيه ، إذ أن عدم حضور الرجال فى الحالات المتعلقة بهذا المجال ـ وإن خرج مخرج الغالب ـ إلا أن ذلك لا يمنع من مباشرة الرجال للأعمال الخاصة بتلك الأمور كما هى الحال فى ممارسة الأطباء لأعمال التوليد والجراحات مثلا ، وسواء كانوا منفردين أو كانوا مع غيرهم من النساء[3] .

(١) انظر فى ذلك الاجماع . المبسوط للإمام السرفسى جـ١٦ ص١٤٢ ـ حاشية ابن عابدين جـ٥ ص٢٦٤ ـ الشرح الكبير وحاشية الدسوق عليه جـ٤ ص١٨٨ ـ شرح الخرشى جـ٧ ص٢٠٢ ـ المهذب للإمام الشيرازى جـ٢ ص٣٣٥ الأم للإمام الشافعى جـ٧ ص٤٣ ـ المغنى لابن قدامة جـ١٠ ص٢٢٤ ـ المحلى لابن حزم جـ٩ ص٣٩٦ المسألة ١١٨٦ ـ البحر الزخار جـ٤ ص٣٧٧ ـ جواهر الكلام جـ٩ ص٤٣٨ ـ شرح النيل وشفاء العليل جـ٦ ص٥٩٠ .

(٢) نصب الراية جـ٣ ص٢٦٤ .

(٣) المبسوطة جـ٦ ص١٤٣ ـ المهذب جـ٢ ص٣٣٥ ـ تبصرة الحكام جـ١ ص٢٩٣ .

(ب) العدد اللازم لقبول شهادة النساء منفردات فى هذا المجال .

على الرغم من إجماع الفقه الإسلامى على قبول شهادة النساء منفردات فى هذا الصدد من حيث المبدأ إلا أن الفقهاء ـ رضى الله عنهم ـ قد اختلفوا حول العدد اللازم لإثبات الحق المدعى به فى مثل تلك الأحوال . وقد برز فى هذا الصدد الاتجاهات الفقهية التالية :

الاتجاه الأول : يرى كفاية شهادة الواحدة من النساء شريطة موافقة مضمون الشهادة لأصل ثابت أو تأيدها بمؤيد آخر . وذلك هو ما ذهب إليه الحنفية[٥] والزيدية[٦] والمشهور عند الحنابلة[٧] وأحد القولين عند الإباضية[٨] .

وقد تأسس ما يراه هذا الاتجاه على ما روى أن رسول الله ﷺ قد أجاز قبول شهادة القابلة ، وهى تلك التى تباشر أعمال التوليد ، ويقاس على ذلك سائر ما لا يطلع عليه الرجال غالباً لانعدام الفرق بين الولادة وما كان على شاكلتها من الأمور التى لا يطلع عليها الرجال فى الغالب .

الاتجاه الثانى : يرى أن نصاب الشهادة المقبولة فى تلك الأحوال لا يجوز أن يقل عن اثنتين اللهم إلا فى حالتين وردتا على سبيل الحصْر ، وهما : حالة استهلال المولود للحياة ، وحالة الرضاع ؛ إذ يكفى فى تلك الحالتين شهادة امرأة واحدة على سبيل الاستثناء . وذلك هو ما يراه إجماع الفقه المالكى[٩] والقول الثانى فى الفقه الحنبلى[١٠] والفقه الاباضى[١١] .

وقد استند هذا الاتجاه إلى دليل قياسى مفاده : أنه إذا كان المشرع يستلزم صدور الشهادة عن اثنين من الرجال لاثبات الحق المدعى به فأولى هنا أن يستلزم المشرع صدور تلك الشهادة عن اثنتين من النساء على الأقل ، وذلك فضلا عن أنه إذا كان اعتبار الذكورة فى الشهادة قد أسقطه المشرع فى تلك الأحوال لضرورة تقتضيه ؛ فإن اعتبار العدد يبقى قائماً[١٢]

الاتجاه الثالث : يرى أن نصاب الشهادة المقبولة من النساء فى تلك الأحوال ، لا يجوز أن يقل عن أربع نسوة ، اللهم إلا فى حالة الرضاع حيث يكتفى فيها بشهادة واحدة منهن على سبيل الاستثناء ، وذلك هو ما ذهب إليه الشافعية[١٣] والظاهرية[١٤] والإمامية[١٥] . وقد استند هذا الاتجاه إلى أن المشرع قد جعل شهادة المرأتين مساوية لشهادة رجل واحد ، ولما كان الأصل فى

(٥) حاشية ابن عابدين جـ٦ ص٤٦٥ ـ البحر الرائق جـ٧ ص٦١ .
(٦) البحر الزخار جـ٤ ص٣٧٧ .
(٧) المغنى جـ١٠ ص٢٢٥ ـ كشاف القناع جـ٤ ص٢٧١ .
(٨) شرح النيل وشفاء العليل جـ٦ ص٥٩٠ .
(٩) شرح الخرشى جـ٧ ص٢٠٢ ـ الفروق جـ٤ ص٩٦ .
(١٠) المغنى فى المرجع والموضع السابق .
(١١) شرح النيل فى المرجع والموضع السابق .
(١٢) الفروق فى المرجع والموضع السابق ـ التاج والإكليل حـ٦ ص١٨٢ .
(١٣) المهذب جـ٢ ص٣٣٥ ـ شرح المنهاج جـ٤ ص٣٢٥ .
(١٤) المحلى جـ٩ ص٣٩٩ ، ٤٠٣ .
(١٥) جواهر الكلام جـ٦ ص٤٤٠ .

نصاب الشهادة يقتضى صدورها من رجلين على الأقل ، فإن النصاب المطلوب فى هذا المجال لا يجوز أن يقل عن أربع منهن .

تقدير هذه الاتجاهات :

على الرغم من أن أسانيد تلك الاتجاهات تنبىء عن عمق التأصيل الفقهى لكل وجهة منها إلا أنه يبدو لى ترجيح ما يراه أنصار الاتجاه الثانى وهو القائل بكفاية صدور الشهادة عن اثنتين فى هذا المجال . وذلك تأسيساً على المرجحات التالية :

١ ـ إن جمهور الفقهاء يرى بحق أن العدد يمثل شرطاً أساسياً لقبول الشهادة من الرجال سواء كانوا منفردين ، أو كانوا مع غيرهم من النساء[١٦] ، فمن باب أولى اشتراط العدد فى شهادة النساء وحدهن .

٢ ـ إنه على فرض صحة ما رآه البعض من جواز الاكتفاء بشهادة الواحدة[١٧] ، إلا أنهم اشترطوا لذلك تأييد تلك الشهادة بمؤيد آخر ، أو اتفاقها مع الأصل ، وذلك هو ما يبرز ضرورة توافر العدد فى شهادة النساء فى هذا المجال .

٣ ـ إن الحالات المشهود عليها فى هذا الصدد غالباً ما تتم فى حضرة جمع من النساء وتحت أسماعهن وأبصارهن ، وليس بمستبعد أن يعترى بعضهن ما يعترى سائر النساء غالباً من نسيان وهو ما حدا بالمشرع إلى اشتراط تعددهن فى مجال الأموال ـ كما سنرى ـ

٤ ـ إن القول بضرورة صدور الشهادة عن أربع نسوة كشرط لقبول الشهادة فى هذا المجال قد يستتبع حرجاً ومشقة وذلك هو ما يتعارض مع حرص الشارع على تيسير إثبات الحقوق وما يترتب على ذلك من أحكام .

ثانياً : مدى أهلية المرأة للشهادة فى الأمول المتصلة بشئون الأسرة :

ومجمل القول فى ذلك : إن الفقه الإسلامى قد انقسم إلى اتجاهين إزاء مدى قبول شهادة المرأة فى هذا الصدد .

الاتجاه الأول : يرى أنه من الضرورى صدور الشهادة فى هذا المجال عن رجلين ، وذلك هو ما ذهب إليه المالكية[١٨] والشافعية[١٩] والحنابلة[٢٠] والإمامية[٢١] .

وقد استدل أنصار هذا الاتجاه بما يلى :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾[٢٢] .

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة : ان لفظ (اثنان) قد وصف بقوله « ذوا عدل » وهذا

(١٦) بدائع الصنائع جـ٦ ص٢٧٧ ـ تبيين الحقائق جـ٤ ص٢١٢ ـ شرح الخرشى جـ٧ ص١٧٥ ـ شرح المنهاج جـ٤ ص٣٢٤ ـ تحفة المحتاج جـ١٠ ص٢٤٥ ـ المغنى جـ٩ ص٢٧٠ ـ كشاف القناع جـ٤ ص٢٦٩ ـ المحلى جـ٩ ص٣٩٦ ، ٤٠٢ البحر الزخار جـ٤ ص١٠٨ ـ الروضة البهية جـ١ ص٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(١٧) اعلام الموقعين جـ١ ص١٠١ ـ الطرق الحكيمة ص٦٧ ، ٧٥ ، ٨٥ .

(١٨) مواهب الجليل جـ١ ص١٨١ ـ الشرح الكبير على هامش حاشية الدسوق جـ ص١٨٧ .

(١٩) الأم جـ٧ ص٧٦ ـ تحفة المحتاج جـ١٠ ص٢٤٨ .

(٢٠) المغنى جـ٩ ص١٤٩ .

(٢١) جواهر الكلام جـ٦ ص١٤٩ .

(٢٢) جزء من الآية رقم ١٠٦ من سورة المائدة .

الوصف إنما يكون لمذكر . فدل ذلك على ضرورة صدور الشهادة من رجلين فى الأمور المتعلقة بشئون الأسرة بحسب أن الوصية هى موضوع الآية الكريمة .

٢ ـ ما روى أن الرسول ﷺ قال بصدد عقد الزواج : « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل » .

ولاشك أن كلمة « شاهدى » للمذكر . فدل ذلك على ضرورة صدور الشهادة من رجلين فى هذا المجال .

الاتجاه الثانى : يرى جواز قبول شهادة رجل مع امرأتين فى هذا الصدد ، وذلك هو ما ذهب إليه الحنفية[٢٣] والزيدية[٢٤] والظاهرية[٢٥] .

وقد استدل أنصار هذا الاتجاه بما يلى :

١ ـ عموم قول الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[٢٦] .

٢ ـ قياس الأحكام المتعلقة بشئون الأسرة على الأحكام المتعلقة بالأموال بجامع عدم سقوطهما بالشبهة ، وهو ما يستتبع القول بجواز قبول شهادة رجل مع امرأتين فى الأمور المتعلقة بشئون الأسرة .

ويبدو لى رجحان ما ذهب إليه هذا الاتجاه الأخير نظراً لكثرة وقوع المسائل المتعلقة بشئون الأسرة بحضرة النساء فضلا عن أنه لا فرق بين الأمور المتعلقة بهذا المجال والأمور المتعلقة بالشئون المالية كما هى وجهة الفقه الحنفى ومن نهج نهجه من أنصار هذا الاتجاه الأخير .

ثالثاً : مدى أهلية المرأة للشهادة فى مجال المعاملات المالية وما يؤول إليها .

على الرغم من أن المشرع الإسلامى قد قضى بقبول شهادة النساء فى هذا المجال إلا أنه قضى كذلك بضرورة صدور تلك الشهادة عن رجلين أو رجل وامرأتين وهو ما كان محلا للإجماع الفقهى عليه[٢٧] وإن كان الإمام ابن حزم يرى مع ذلك قبول الشهادة الصادرة عن أربع نسوة فى هذا المجال بحسب أن الشهادة الصادرة عن اثنتين منهن تقوم مقام الشهادة الصادرة عن رجل واحد[٢٨] .

ولقد حلا للبعض أن يتخذ من ذلك ذريعة للتهجم على الشارع الإسلامى بزعم أن الإسلام قد انقص بذلك من حقوق المرأة وأنه أنزلها منزلة أدنى من منزلة الرجل إلى آخر ما زعمه المتهجمون على الشارع الحكيم .

ونود فى هذا الصدد الإشارة إلى الحقائق التالية :

١ ـ اننا ـ دِيناً ـ نحسن الظن بكل مسلم ، ونفترض فيمن تَقَوَّل على الشارع بذلك أنه طالب للحقيقة التى غم عليه البصر بها ، وأنه قال ما تَقَوَّلَ به لشبهة تستأهل ضرورة إزالتها .

٢ ـ إن ما نص عليه المشرع بخصوص شهادة

(٢٣) تبيين الحقائق جـ٤ ص٢٠٩ .

(٢٤) التاج المذهب جـ٤ ص٦٧ .

(٢٥) المحلى جـ٩ ص٢٩٧ .

(٢٦) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٢٧) المبسوط جـ١٦ ص١١٥ ـ الشرح الكبير للدردير جـ٤ ص١٨٧ . حاشية الشرقاوى جـ٢ ص٥٠٢ ـ المغنى جـ٩ ص١٤٥ .

(٢٨) المحلى جـ٩ ص٣٩٩ وما بعدها .

المرأة فى هذا الصدد إنما هو ثابت بمقتضى قول الله ـ تعالى : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾(٢٩) .

ومن ثم فإن هذا الحكم يكون ثابتاً بدليل قطعى فى ثبوته وفى دلالته مما يستتبع القول بأن مثل هذا الحكم غير قابل للاجتهاد فيه لكونه أصبح من قبيل ما هو معلوم من الدين بالضرورة أى أنه حكم متعلق بالنظام العام الإسلامى .

٣ ـ إن المرجع فى تقرير هذا الحكم لا يعود إلى نقص فى إنسانية المرأة أو نقص فى كرامتها ، إذ أن الإسلام قد اعتبر إنسانية المرأة مساوية لإنسانية الرجل سواء بسواء ، بيد أن طبيعة المرأة ووظيفتها قد اقتضت تقرير هذا الحكم ، إذ من الحقائق المعلومة بالضرورة أن المرأة بحسب فطرتها ووظيفتها لا تشتغل ـ غالباً ـ بالأمور المالية وإنما يشغلها ـ بحسب الأصل ـ شئون بيتها إن كانت زوجة وشئون الأولاد إن كانت أماً .. إلخ ونظراً لذلك فإن ذاكرتها ـ بحسب الغالب ـ تكون أضعف فى شئون المعاملات المالية لقلة خبرتها ـ غالباً ـ فى هذا المجال .

ولا يغض من ذلك الأصل كون بعض النساء على درجة من الضبط أكثر من ضبط الرجال إذ من المعلوم أن الأحكام توضع للغالب وهو ما يعبر عنه قانوناً بالمعيار الموضوعى .

٤ ـ إن المرأة بحسب ما يعتريها من دورة شهرية تكون أشبه بالمريضة وذلك هو ما يؤدى إلى انحراف مزاجها واضطراب أجهزتها مما يستتبع عدم تركيزها وشعورها بالارتباك مما قد يؤدى إلى نسيانها للوقائع المشهود عليها ، ومن المسلم به أنه لا فرق فى هذا الصدد بين المتعلمة وغير المتعلمة فتلك هى فطرة النساء كافة ، وما من شك فى أن وجود امرأتين على الأقل يساعد فى التعاون على الإدلاء بالحقيقة التى هى غاية المشرع من أدلة الإثبات كافة .

وذلك هو ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله ـ جل وعلا : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ إذ من المسلم به أن المقصود بالضلال هنا النسيان والغفلة عن حقائق الأمر المشهود عليه .

٥ ـ إنه لا يسوغ القول بأنه كان من الممكن الاكتفاء بشهادة رجل وامرأة واحدة ، ويقوم الرجل بتذكير المرأة إذا نسيت ، إذ أن ذلك سوف يفضى فى النهاية إلى الحكم بشاهد واحد بحسب أن تذكير الرجل للمرأة يجعل الشهادة منسوبة إليه ومن ثم جعل الله تعالى أمر التذكير منوط بامرأة أخرى لتكون شهادتهما كشهادة رجل واحد .

رابعاً : مدى أهلية المرأة للشهادة فى مجال الحدود والقصاص :

يذهب جمهور الفقه الإسلامى إلى القول بأن شهادة المرأة غير مقبولة فى مجال الحدود والقصاص . مستدلين على ذلك بطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة التى حصرت ـ من وجهة نظرهم ـ قبول شهادة المرأة فى المجال الأول

(٢٩) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

والثالث وإن كان بعضهم يرى قبولها فى المجال الثانى على نحو ما سبق عرضه ، وقد رتب جمهور الفقهاء على ذلك ما ذهبوا إليه من عدم قبول شهادة المرأة فى مجال الحدود والقصاص .

وثمة أمر آخر كان موضع نظر جمهور الفقهاء وهو أن المرأة بحسب فطرتها يعتريها ما يعترى سائر النساء مما سبقت الإشارة إليه ولا ريب أن ذلك يولد شكاً فى قدرتها على وصف الحقيقة مما يستتبع درء إقامة الحد لما هو معلوم من أن الحدود تدرأ بالشبهات وذلك هو ما عبر عنه المبدأ القانونى الشهير من أن الشك يفسر لصالح المتهم .

وفضلا عن ذلك فإنه من المعلوم يتعين أن رقة احساس المرأة وشدة عاطفتها وضعف أعصابها عن التحمل يجعل من الصعب عليها وصف الجرائم بدقة ووضوح إما لاغماض عينها هرباً من مشاهدة الجريمة ، وإما لمحاولة ابتعادها عن مسرح وقوعها وهو ما يورث شكاً يدرأ إقامة الحد والقصاص مثله فى ذلك .

ومع هذا : فإن الفقيه ابن حزم يرى قبول شهادة النساء منفردات فى هذا المجال عدا حد الزنا مع التقيد بتلك القاعدة الشرعية التى تقضى بجعل شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد . وقد استدل الإمام ابن حزم على ذلك بعموم النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى طلب الشهادة وقياساً على قبول شهادة المرأة فى مجال الأموال على النحو السالف ذكره وهو كذلك ما ذهب إليه طائفة من الفقهاء كعطاء وحماد بن سليمان[٣٠] . وتأسيساً على أن كل قول لهؤلاء الفقهاء الأجلاء هو من رسول الله ﷺ ملتمس ؛ فإنه لا تثريب علينا إذا ما تخيرنا من آرائهم أقواها سنداً وأقربها إلى غاية التشريع ؛ وذلك بحسب أن « مقصود الشارع إقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط فأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى من الدين ليست مخالفة له »[٣١] .

وما أصدق قول الإمام ابن تيمية من أنه « إذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأى طريق فثم وجه الله » .

ومن ثم فإنه يبدو لى رجحان ما ذهب إليه ابن حزم لاعتبارين أساسيين :

الاعتبار الأول : ان هناك كثيراً من الجرائم تقع فى الأماكن التى لا يرتادها الرجال عادة كما هى الحال فى حمامات النساء والأعراس وغير ذلك مما اعتاد الناس أن يجعلوا فيه للنساء أماكن خاصة ، فلو اعتدت إحداهن على أخرى بقتل أو جرح أو كسر ، وشهد عليها شهود منهن فهل تهدر شهادتهن فى مثل هذه الأحوال لمجرد أنهن إناث ؟ أو تطلب شهادة الرجال فى مجتمع لا يحضرون فيه عادة ؟

الاعتبار الثانى : ان الجريمة فى هذا العصر تنوعت طرائق وقوعها والظروف التى تحيط بها فلم يعد الليل مثلا هو التوقيت الوحيد للسرقة بل انها تتم ليلا ونهاراً وقد تقع تحت سمع النساء وبصرهن مما يحسن معه قبول شهادة النساء فى هذه الأحوال وإن كان الأمر يستلزم بلا شك التقيد بالعدد المنصوص عليه شرعاً .

والله يقول الحق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

(٣٠) المحلى جـ٩ ص٣٩٦ .

(٣١) الطرق الحكمية ص١٤ .

التكافل فى المجتمع الإسلامى ..

للاستاذ الدكتور/ عبدالعزيز الخياط (*)

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد :

فهـذا بحث عن « التكافـل فى المجتمـع الإسلامى » كتبته للأخوة الكرام بناء على طلب الصديق الأستاذ الدكتور/جمال أبو السرور ؛ ليلقى فى مؤتمركم هذا ، وأنا سعيد أن أتشرف بالاشتراك معكم والحديث إليكم ، وهذا البحث خلاصة لبحث مطول كتبته فى مائة وعشر صفحات ، وقد أضفت عليه بعض ما تقتضيه طبيعة المؤتمر من الأمور المتعلقة بالمشكلات السكانية فى عالمنا الإسلامى قبل زيادة السكان أو قلتها والتكافل الاجتماعى للحفاظ على الأطفال وحماية الأسرة وغيرها لعل أخوتى العلماء الدعاة يرون فى ذلك تنويرا لجانب مهم من جوانب الإسلام العظيم .

ومع اهتمامى ببيان وجهة نظر الإسلام من ناحية نظرية ، فإننى أود أن أربط ذلك بواقع حياه ، ومعيشة نمارسها ؛ فإن عرض النظرية وحدها لا يكفى ، فما أكثر ما كتب الكاتبون عن الإسلام وعن التكافل فى المجتمع الإسلامى؟ ، ولكن تظل الفائدة منقوصة ما لم توضع الحلول أمام المعنيين لمعالجة المشكلات التى نعانيها ونحتاج إلى شىء من الجرأة فى عرضها وأن نجمع بين الأصالة والحداثة ، فقد كان فقهاؤنا السابقون أبناء عصرهم فى اجتهاداتهم وبيان وجهة النظر الإسلامية فى معالجة مشكلاتهم ، ونحن كذلك ينبغى أن نكون معاصرين لمشكلاتنا فى إطار القواعد الإسلامية ، وخطوط الإسلام العريضة وضمن تعاليمه ومقاصده المشروعة .

التكافل :

التكافل معناه : التساند والتضامن ، ويكون بين المجموعة الإنسانية التى تكون مجتمعا لمجموعة من الناس تعيش فى مكان واحد ، ويجمعها قانون واحد ، وتنظمها عادات وأعراف واحدة . وقد يكون بين الفرد وذاته ، وبين الإنسان وأسرته ،

(*) الكاتب : ا.د. عبدالعزيز الخياط وزير الأوقاف وعميد كلية الشريعة فى الأردن سابقا ، ونائب رئيس المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) وهذه الكلمة أحد بحوث المؤتمر الدولى لعلماء الدين والدراسات السكانية .

وبين الناس فى البلدة الواحدة ، أو الوطن الواحد . أو بين الناس الذين تجمعهم دولة واحدة .

والتكافل : قد يكون ماديا وقد يكون معنويا . ولكنه فى كليهما ينبغى أن يقوم على أسس صحيحة تضمن فيه مصلحة الفرد والجماعة للفرد كيانه وميزاته وإبداعه مما يؤدى إلى أن يكون عضوا نافعا عاملا لمصلحته ضمن مصلحة الجماعة ، فإذا تعارضت المصلحتان قدمت مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ؛ ولذلك كانت وسائل منع الجريمة والعقوبات على الجرائم من الأفراد ، وبعد تحقيق معنى التكافل للفرد ، وهذا واضح من النصوص الشرعية كقوله ـ تعالى ـ « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ »[1]

وقوله ـ تعالى ـ « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ »[2]

وقوله تعالى « وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ »[3]

وقوله ، ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[4] وقوله ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[5] .

أسس التكافل ومقوماته :

قبل البحث فى أنواع التكافل وعناصره لابد من معرفة الأسس التى قام عليها التكافل فى مجتمع إسلامى ، وأن نعرف ما هو المجتمع من وجهة نظر الإسلام .

أما أسس التكافل ومقوماته فنلخصها فى الأمور التالية :

أولا :

العقيدة الإسلامية السمحة التى تحمى الإنسان من جرائم الفساد ، وتبعده عن الخرافات والأوهام والوثنية وتقديس الأشخاص « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها** »[6] .

ثانيا :

الدين موجه للحياة ، والحكمة لله رب العالمين ، فالسيادة للقانون المستمد من الشريعة الاسلامية ، والسلطان للشعب يمارس حقه فى الحكم والتطبيق ضمن القانون ، والاجتهاد لحلول المشكلات يعتمد على قواعد الشريعة ، وتوجيه الحياة ، إنما يكون بتعاليم الإسلام من غير كهنوتية أو انغلاق أو تضييق أو انحراف أو تعصب ، أو طغيان ، أو ظلم ويكون الدين موجها للإنسان للعمل والبحث والإنتاج والاختراع واكتشاف

١ ـ سورة الأنبياء /٩٢

٢ ـ سورة طه ١١٨ ـ ٢١٩

٣ ـ سورة المائدة /٢

٤ ـ رواه البخارى .

٥ ـ أخرجه البخارى فى صحيحه فى باب الشركة .

٦ ـ سورة الروم /٣٠

أسرار الكون بحيث تكون لخير الإنسانية وتكافل المجتمع .

ثالثا

التمسك بالأخلاق الفاضلة المنبثقة عن العقيدة ، والتزام القيم العليا مثل التضحية والإيثار والطمأنينة والأمن والتحرر من الخوف والاستقرار ، وأعلاها رضوان الله ـ عز وجل ـ « وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ »(٧) « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة** »(٨) ، والأخلاق والقيم ثابتة لا تمليها المصلحة ولا تسيرها المنفعة ، وإنما هى صفات وغايات تحكم الإنسان وتهديه وتقوده للحياة فى المجتمع المتكافل حياة رشيدة .

رابعا :

الأنظمة التى تنظم علاقات الأفراد بعضهم مع بعض ، وتشمل الأنظمة التجارية والاقتصادية والمعاملات وأنظمة الأسرة والقضاء والوصايا والميراث والنفقات ، وأنظمة الحكم والسياسة والعقوبات وغيرها ، وكلها يجب أن تكون مستمدة أو مستوحاه أو مسترشدة بالقرآن الكريم وما صح من سنة رسول الله ﷺ ومستنبطة بطريقة الاجتهاد ودليل القياس والإجماع أو الاستحسان أو المصالح المرسلة أو الأعراف السليمة .

ولابد من تنفيذ هذه الأنظمة وتطبيقها ، وإلا فلا معنى للتكافل إذا لم تنفذ أنظمته أو لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، ولا فائدة من نظرية أو أنظمة لا يلتزم بها الناس ولا تنفذها الدولة ، ولا تحكم تصرفاتهم ، وإلا ظلوا منفصلين لا يربطهم نظام ولا يكونون مجتمعا . قال سبحانه « إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ »(٩)

وقال « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا »(١٠)

خامسا

العادات والأعراف السليمة التى لا تتناقض أو لا تتعارض مع تعاليم الإسلام ؛ إذ لابد أن تكون مشاعر الأمة وعواطفها وأذواقها واحدة بحسب عقيدتها وأنظمتها والأعراف تتحكم فى سلوك الناس وتعاملهم ـــ كالأخلاق ـــ ولها السيطرة على كثير من علاقات الناس ، والقاعدة الشرعية أن العادة محكمة ، والمقصود بالعرف ما استقر فى النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عن الطباع السليمة(١١) ، والعرف السليم ما وافق الشرع ، وما خالفه كتعاطى المحرمات ، فلا اعتبار له .

وهذه جميعا تكون المجتمع ، إذ المجتمع لا يتكون من أفراد فقط ، وإنما لابد أن تجمعهم

٧ ـ سورة الليل ١٩ ـ ٢٠ .

٨ ـ سورة القصص /٧٧

٩ ـ النساء /١٠٥

١٠ ـ سورة النساء /٦٥

١١ ـ رسالة نشر العرف فى بناء الأحكام على العرف لابن عابدين /١١٤ طبع استانبول .

رابطة من الدين والأنظمة والأخلاق والعادات والتقاليد .

أنواع التكافل :

قد يكون التكافل بين الفرد وذاته فى تهذيبها وتزكيتها وإلزامها تقوى الله ، قال ـ سبحانه ـ : « **قد أفلح من زكاها** » ، وإيجاد الوازع الباطنى عنده وهو التقوى ، وقد يكون التكافل بين الإنسان وأسرته فى إحسانه إلى زوجته وأولاده وذوى رحمه ، وقيامه بالواجبات نحوها وقيامها بالواجبات نحوه ، ورعاية الأطفال بتربيتهم والإنفاق عليهم وتعليمهم وتنشئتهم تنشئة صالحة والإنفاق على الزوجة وتخفيف العبء عليها فى مساعدتها فى شئون البيت وتنظيم الأسرة معا يدفع عنها الضرر كما قال ـ تعالى ـ : « لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ »[12] وعدم الضرر بأن لا تكون الزوجية والتربية والإنفاق عبئا تنوء به الزوجة وينوء به الزوج ويؤدى إلى إرهاقهما وإتعاس حياتهما .

وقد يكون التكافل مع الجماعة على اختلاف أنواعهم ، وليس فى الأمور المادية وحدها ، ولكن فى الأمور المعنوية أيضا .

ولهذا فإنى أرى أن التكافل يعم فى الأمور التالية :

١ ـ توفير الحريات للإنسان والمجتمع .
٢ ـ حق الملكية وتنمية الموارد المالية .
٣ ـ إيجاد العمل لكل مواطن .
٤ ـ حق الحياة الكريمة .
٥ ـ بناء الأسرة بناءً كريما .
٦ ـ حراسة الرأى العام (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .
٧ ـ العدل والمساواة .
٨ ـ منع العنصرية والطبقية .
٩ ـ إيجاد التوازن فى المجتمع .
١٠ ـ إيجاد الضمير عند الفرد والجماعة .

توفير الحريات :

كفل الإسلام الحرية لجميع المواطنين وجعلها أساساً لترابط المجتمع وتكافله ، ومناط التكليف لكل فرد فيه ، سواء أكانت الحرية فى التخلص من استعباد الأشخاص والشعوب وإذلالهم كما قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مستنكرا هذا الاستعباد : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟!!

أو كانت حرية الذات فى احترام الذات الإنسانية وتكريمها قال ـ سبحانه ـ : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ »[13] ، والتى تكفل للإنسان أن يعيش آمنا لا يتعدى عليه أحد أو يعتدى هو على الآخرين ، وأن يتصرف فى شئون نفسه ويتحمل المسئولية وحده « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ » البقرة ٢٨٦ فى حدود ما أمر الله به ونهى عنه .

١٢ ـ سورة البقرة /٢٣٣
١٣ ـ سورة الإسراء /٧٠

أو كانت فى حرية المأوى فى بيته ووطنه فقد كفل الإسلام له أن يمنع عنه السلب والنهب والترويع واقتحام بيته والتجسس عليه فى عقر داره ، قال ﷺ : « من اطلع فى دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه »[١٤] وأوجب الاستئذان فى دخول البيوت ومنع تتبع عورات الناس .

أو كانت حرية الاعتقاد والتفكير ما دام ذلك ليس طعنا فى الدين ولا كفرا بالله ، ولا إلحادا أو انتقاصا لنبى أو رسول ، ودعا الإسلام إلى استعمال العقل والتفكير فيما خلقه الله والاستفادة منه ، وترك الناس أحرارا فى عقائدهم وعاداتهم وطقوسهم لا يجبرون على التخلى عنها قال ـ تعالى ـ : « لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ »[١٥] . ،

كما أعطى الإسلام الحرية للعلماء فى الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من النصوص والإجماع والاعتماد على القياس ، وترك النصوص والإجماع والاعتماد على القياس ، وترك للناس التفكير وإبداء الرأى فى شئون الحياة كلها . قال ـ تعالى ـ : « قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ »[١٦] ، وليس هناك أى تعارض بين حرية الرأى والاستقامة وبين نصوص القرآن بل تلازم وتواؤم كما قال غوستاف لوبون : « إن العرب أول من علَّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »[١٧] ، وحرية الرأى السياسية نوع من أنواع التكافل فى المجتمع ؛ فللإنسان الحرية لتوجيه الحاكم ونقد الوزراء والموظفين وله الحرية فى إنشاء الأحزاب وعملها ضمن الإطار الإسلامى العام .

أو كانت فى التعليم وكفالته لكل طالب علم ، بل من الواجب على كل إنسان أن يتعلم ويقرأ لقوله ـ تعالى ـ : « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ » وقال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[١٨] ، وقال : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »[١٩] ، وأبواب التعليم مفتوحة فى الإسلام لكل الناس فى الدولة على اختلاف أديانهم وقومياتهم وطوائفهم .

أو كان التكافل فى المجتمع الإسلامى بإباحة التملك بالطرق المشروعة وبمقياس الحلال والحرام ، لا المنفعة .والإسلام لا يمنع الغنى فى المجتمع ، ولكن يمنع الفقر ، ويفرض فى مال الغنى ما يكفل الحياة الكريمة للفقراء والمساكين . ولم يلجأ الإسلام إلى تحديد التملك بالكم وإنما حددها بالكيفية فحرم التملك بوسيلة القمار ، أو السرقة أو الاختلاس أو الغبن الفاحش أو الغش أو الاحتكار أو السحت ، وأباح من طريق البيع والشراء والكسب والإجارة والزراعة والسقى والميراث والهبة والوصية والعمل وأمثالها ، ولا يسمح بالضرر ولا الإضرار . ونظرة الإسلام

١٤ ـ رواه أبو داود وابن حنبل والبيهقى ورواه آخرون بروايات مختلفة

١٥ ـ سورة البقرة /٢٥٦

١٦ ـ سورة يونس /١٠١

١٧ ـ شبهات حول الاسلام لمحمد قطب/١٦١ الطبعة السادسة

١٨ ـ رواه البيهقى

١٩ ـ رواه البخارى ومسلم .

إلى التملك أنه وظيفة اجتماعية لأن المال مال الله والإنسان أمين موظف لتنميته وتوظيفه فى الخير والإنفاق منه على الآخرين كما فعل عمر فى عام المجاعة يقول ـ سبحانه ـ :

« يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ »[٢٠]

والملكية : « القدرة على التصرف ابتداء إلا لمانع »[٢١] ، أو هى حكم شرعى مقدر فى عين . أو فى منفعة يقتضى تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو بالاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك[٢٢] ، وتعريف القانونيين متفق مع تعريف الفقهاء فهى عندهم « سلطة تمكن صاحبها من استعمال الشىء والإفادة منه » .

والملك إما أن يقع على ذات الشىء أو يقع على منافعه كالوقف والبيوت المستأجرة وإما أن يقع على ذاته ومنافعه كملك البيت وسكناه معا .

وتقتضى ملكية الاستهلاك أن يوفر للإنسان حقه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن بإيجاد العمل لكل مواطن بأن تهيأ له أسباب العمل فى الأرض أو المتجر أو الشركة أو المصنع أو بالبيع والشراء أو الصنعة كالنجارة والبناء أو التعليم أو الوظيفة أو أى أسلوب آخر مباح . قال ـ ﷺ ـ « إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده »[٢٣] ، وقال « إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال »[٢٤] .

ومن التكافل أن تعمل الدولة على تهيئة العمل لمواطنيها بتشجيع الصناعة والتجارة والزراعة وتنمية الموارد الاقتصادية واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن ونفط وفحم وغيرها ، واستغلال الغابات والمراعى وتربية المواشى وغيرها ، وأن تعمل على منع البطالة بأى شكل قال عليه الصلاة والسلام : « البطالة تقسى القلب »[٢٥] .

ومن التكافل وضع التشريعات اللازمة لحماية العامل فلا يرهق لقوله ـ تعالى ـ : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »[٢٦] ، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون »[٢٧] ، ولا يبخس الأجر بل يتكافأ مع جهده ، ولا يحرم من حق فى المعالجة والمكافأة أو التأمين فى حال ضعفه عن العمل بشيخوخة أو إصابة أو المعونة فى حال الزواج أو اتخاذ المنزل أو أداة النقل ، بأى طريقة مشروعة كالتطوير الحضرى أو مشاريع الإسكان أو الإقراض أو المكافأة أو أى طريقة مستحدثة لا تتعارض مع أحكام الإسلام قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « فإن كلفتموهم فأعينوهم »[٢٨] وقال « إن شر الرعاء الحطمة »[٢٩] .

(الحديث موصول)

٢٠ ـ سورة البقرة /٢١٥

٢١ ـ فتح القدير على الهداية للكمال بن الهمام ٥/٧٤

٢٢ ـ الفروق للقرافى ٢/٢٠٩

٢٣ ـ رواه الإمام أحمد

٢٤ ـ مجمع الزوائد ١٠/٢٠٠ كنز العمال ١٩١٩ ، ٩٢٣٩

٢٥ ـ حديث حسن /رواه القضاعى عن ابن عمرو

٢٦ ـ سورة البقرة /٢٨٦

٢٧ ـ رواه مسلم

٢٨ ـ رواه البخارى فى باب الإيمان

٢٩ ـ رواه مسلم

الغارة التنصيرية على أندونيسيا المسلمة

في أندونيسيا يزرعون الكنائس كما يزرعون الأشجار

للأستاذ / محمود السباعي عبد الله

بالرغم من أن التحرك التنصيري المكثف الذي حول مجموعات من الأندونيسيين إلى النصرانية قد تباطأ سيره في الأيام الأخيرة .. إلا أن الكنيسة الأندونيسية بوجه عام قد سجلت لنفسها نموا وسط أضخم الشعوب الإسلامية عددا في العالم .

ويعود تاريخ استفحال النشاط التبشيري للنصارى في أندونيسيا إلى الفترة التي انفرد فيها (سوكارنو) بالسلطة المطلقة في أوائل الستينات وفي غيبة حزب (ماشومي) الذي حله سوكارنو وهو الحزب الإسلامي صاحب الأغلبية الإسلامية الساحقة والذي كان له إسهام كبير في دعم الاستقلال ومقاومة الاستعمار .

فبعد تحييد حزب ماشومي واستقلال أندونيسيا أصبحت أندونيسيا هدفا لحملات التبشير والتنصير المكرسة من جميع أنحاء العالم .

إن الغارة التنصيرية على أندونيسيا المسلمة قائمة على قدم وساق وفي سباق مع الزمن لتحقيق هدفها وهم في مخططهم هذا وضعوا أولويات لعملهم بناءً على ما قرره مؤتمرهم الذي عقد في مدينة (مالانج) الأندونيسية سنة ١٩٦٧ بأنه يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين في جزيرة (جاوا حيث ٦٥ مليون نسمة) خلال الأربعين سنة القادمة وأن ينتهوا من تنصير أندونيسيا خلال ستين سنة ولو بشراء المسلم بأموالهم وبخاصة وأن الحالة الاقتصادية في هذا البلد كما يزعم التقرير سيئة للغاية .

يقول القس (أردى سوريابانتو) رئيس كنيسة جاوا الشرقية : إن جزيرة جاوا تشهد ازدهار الكنيسة الأندونيسية وإن هذه الجزيرة مكتظة بالسكان وتعتبر قطب الرحى للسياسة الأندونيسية وموطن ٦٥ مليونا من سكان أندونيسيا البالغ عددهم (١٦٠) مليون نسمة ثم يستطرد قائلا : ومؤكدا أن جزيرة (جاوا) مهيأة جدا لتوسع نصرانى باهر .

وهذه إحصائيات بين أيدينا نضعها بين يدى المخلصين من أبناء ومؤسسات هذه الأمة لعلهم يدركون هذا الخطر الذى ينشد استئصال هذه الأمة من جذورها .

(* إحصائية سنة ١٩٩٠ لمجلس كنائس أندونيسيا لطائفة البروتستانت) توضح أنه يوجد فى أندونيسيا .

١٥٨١٩ ــ كنيسة بروتستانتية

٦٩٩٧ ــ قسيس بروتستانتى

٢٠٢٠٣ ــ مبشر متفرغ

(* إحصائية سنة ١٩٩٠ للكنيسة الكاثوليكية فى أندونيسيا)

توضح :

١٠٥٢٠ ــ كنيسة كاثوليكية .

٨٠٧٣٠ ــ قسيس كاثوليكى .

١٠١١٦ ــ مبشر متفرغ .

ليس هذا فحسب فإن مؤسسات التنصير فى منطقة (كاليمنتان) الغربية فقط تملك (٢٧) مطارا وأسطولا من الطائرات العمودية وأسطولا من السفن وضع تحت تصرف المنصرين للانتقال بها بين المدن والقرى والثلاثة آلاف جزيرة التى تتكون منها أندونيسيا .

والمبشرون يملكون دور النشر الكبرى فى أندونيسيا والمطابع الجديدة لطباعة مختلف كتب الأطفال والقصص المصورة بالإضافة إلى المكتبات العامة ومطابع الإنجيل المتداول لطباعة الإنجيل وتوزيعه مجانا .

(أكبر مطبعة لهم فى مدينة (بوكور) على بعد ٦٠ كيلومترا من جاكرتا)

كما تستخدم شبكة مواصلات لاسلكية على أحدث طراز لتنسيق أعمال الإرساليات والبعثات التبشيرية للمواصلات الاضطرارية ، ولها مطارات فى (سنتانى) ، (نايير) ، ياواساكور) .

المبشرون يسيطرون على وسائل الإعلام ولديهم الإذاعات المحلية والتبشيرية موزعة فى شتى أنحاء أندونيسيا ويملكون الصحف اليومية الكبرى .

للتبشير عشرات المعاهد والجامعات والمستشفيات الكبرى والمستشفيات المتنقلة (كلينو موبيل) .

ويكفى أن تعلم أن مؤسسة تنصيرية واحدة تقوم على ١٨٠ مستشفى ، ١٢٩ مستوصف ولادة ، ٣٤٥ صيدلية ، ٤٥ عيادة متنقلة .

كما قرر مجلس الكنائس العالمى والفاتيكان الإسهام فى أعمال التنمية فى أندونيسيا تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمع) وأنشأ هيئة مجلس الكنائس للمساهمة فى أعمال التنمية كمدخل جديد للوصول إلى قطاعات لا يستطيعون أن يصلوا إليها بالطرق التقليدية .

وهذا التقرير الذى ننشره فى هذه المتابعة يبين بعدا جديدا فى هذه الحملة الصليبية الشرسة على أندونيسيا .

وهذا التقرير قد أعدته هيئة يطلق عليها اسم : (برامج مساعدات التنمية للمؤسسات التطوعية العاملة فى أندونيسيا عن نشاط البعثات التنصيرية فى أندونيسيا وقد قامت بنشره دار تبادل معلومات المساعدات الفنية التابعة للمجلس الأمريكى للخدمات التطوعية .

ويوجد نسخة من هذا التقرير لدى الأمم المتحدة بنيويورك ويتبين من خلاله أن العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية المدرجة أسماؤها فى هذا التقرير تحصل على دعم من العديد من الوكالات التابعة للأمم المتحدة .. مثل منظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظمة اليونسكو ، واليونسيف ... الخ فى تقديمها برامج مساعداتها فى مجال الغذاء والتعليم والطب إلى الجماهير فى الدول النامية .

وتقدم لهذه المنظمات التبشيرية مساعدات الأمم المتحدة (المدفوع جزء كبير منها من خلال الإسهام السخى للدول العربية والإسلامية كما لو كانت هذه المساعدات ترد من مصادر هذه المنظمات التبشيرية فى الوقت الذى تستخدم فيه البعثات التبشيرية مثل هذه التسهيلات فى دعم برامجها التنصيرية .

والجدير بالذكر أن كافة المنظمات المدرجة بالتقرير المذكور منظمات أمريكية وبعضها لا يعرف عنه بوضوح أنه من المنظمات التبشيرية النصرانية وبعضها يعلن صراحة هويته التنصيرية التبشيرية والحقائق الواردة فى هذا التقرير عبارة عن موجز عن أعمال بعض المنظمات الأمريكية غير الحكومية التى تضمنها التقرير .

١ ــ مجلس الإرساليات الطبية الكاثوليكية ويعمل من خلال الطب والصحة العامة .

٢ ــ خدمات الإغاثة الكاثوليكية .

وهى منبثقة عن المؤتمر الكاثوليكى الأمريكى وهى تعمل من خلال الطب والصحة وتنمية المجتمع والمعونات المادية والرعاية الاجتماعية فى الجزر الرئيسية بأندونيسيا .

٣ ــ صندوق الأطفال المسيحى .

ويقوم بنشاطه التبشيرى من خلال التعليم والتنمية الصناعية والإدارية والرعاية الاجتماعية .

٤ ــ خدمات الكنيسة العالمية .

وتعمل فى مجال خدمة البيئة والنشاط الاجتماعى .

٥ ــ جمعية الرحمة الدولية .

وتعمل فى رعاية الأيتام والأطفال اللقطاء وتنظيم الأسرة والرعاية الاجتماعية .

٦ ــ جمعية التبشير الخارجية المعمدانية المحافظة .

وتعمل من خلال الطب والصحة العامة .

٧ ــ إرسالية التحالف الإنجيلى .

وتقوم بإدارة مدرسة ابتدائى فى (ابريان جايا) وتهتم أيضا بالطب والصحة والتعليم .

٨ ــ الخبرة بالمعيشة الدولية .

وتهتم بالتعليم وبرامج اللغة الإنجليزية والتوجيه الثقافى .

٩ ــ برامج آباء الرعاية .

وبقدم منحا دراسية للأطفال الأندونيسيين وتساعد الأسر التى لديها أطفال ــ تعانى من الفقر .

١٠ ــ مؤسسة هيلين كيلر .

وهى تقوم بخدمة الأطفال المعوقين وتهتم بالطب والصحة العامة والبحوث .

١١ ــ الكنيسة اللوثرية فى أمريكا .

وتعمل من خلال التعليم والصحة العامة .

١٢ ــ أخوات (راهبات الإرسالية الطبية)

وتعمل من خلال الطب والصحة والتعليم .

١٣ ــ اللجنة المركزية (للمينونايت) .

وتهتم بالتعليم والمساعدات المادية وتقديم المعدات والصحة والتعليم .

١٤ ــ منظمة الغوث المسيحية .

وهى تقوم بدعم النشاطات التبشيرية النصرانية التى تعمل فى المناطق النائية فى ايريان جايا وكاليمينان وسولويزى وتيمور وهذه الجمعية تملك أسطولا من الطائرات والحاويات وعددا من الطائرات الهليوكبتر وتملك ١٨ مهبطا للطائرات وتملك ميزانية ضخمة تغطى نفقاتها .

١٥ ــ المنظمة الكاثوليكية للتنمية .

وتعمل من خلال تنمية المجتمع والإنتاج الزراعى .

١٦ ــ المركز التعليمى الكاثوليكى .

ويهتم بالتعليم ويساعد فى وضع البرامج والمناهج الدراسية ويقوم بطبع الكتب المدرسية والثانوية والجامعية .

١٧ ــ الإرسالية اليسوعية العاملة .

وتهتم بالتعليم والطب والصحة العامة .

١٨ ــ المركز الثقافى اليسوعى الكاثوليكى .

ويهتم بالتعليم ويشرف على عدد كبير من المدارس الخاصة واللغة الإنجليزية .

١٩ ــ منظمة الرؤية العالمية للإغاثة .

وتعمل من خلال تنمية المجتمع وتقديم المساعدات المالية والمعدات والزراعة والرعاية الاجتماعية .

٢٠ ــ إرساليات الآباء اليسوعيين .

وتعمل من خلال تنمية المجتمع ويعمل بها ستون قسيسا من جنسيات مختلفة وبعثات تبشيرية متجولة .

بالإضافة لهذه المنظمات فإن هناك العديد من المدارس والجامعات والمستشفيات ومراكز الشباب والحركات التعاونية وملاجىء الأيتام ودور العجزة وكبار السن النصرانية الكاثوليكية التى تتبناها وترعاها منظمات تبشيرية فى هولندا (وهى الدولة التى كانت تستعمر أندونيسيا من قبل) وبريطانيا ،واستراليا وفرنسا وألمانيا والدول الاسكندنافية ،وإيطاليا وكندا .. الخ .

كما أن لمجلس الكنائس العالمى الذى يقع مقره الرئيسى فى جنيف للفاتيكان ممثلين رسميين فى أندونيسيا يدعمهم متخصصون من أعلى المستويات يحملون درجات علمية عالية ويسهمون بنشاط فى تخطيط وتنفيذ النشاطات التبشيرية فى أندونيسيا .

وبعد هذا العرض الموجز السريع لنشاط المؤسسات التنصيرية على أندونيسيا نوضح حقيقتين على درجة فائقة من الأهمية .

الأولى :

هى أن الإرساليات التبشيرية لم تترك بابا إلا طرقته ولا طريقا إلا سلكته لتحقيق أملها فى تنصير أندونيسيا وهو أمل للأسف يتحقق ببطء ولكن بشكل مؤكد .

فالتغلغل التنصيرى لمس كل أعصاب الحياة هناك ونما وترعرع فى كافة أشكال النشاطات الإنسانية ، بل إنه يشرك الأجهزة الحكومية وبعض الهيئات الإسلامية معه فى تنفيذ بعض البرامج مما يعطيه قدرا من السلطة .

والأهم من ذلك قدرا أعظم من المصداقية .

أما الحقيقة الثانية .

فهى أن ازدهار النشاط التبشيرى فى أندونيسيا يعنى غياب أو تقاعس المسلمين هناك والمسلمين القادرين على تقديم العون فى كل أنحاء العالم .

وهذه اللمحة عن النشاط التنصيرى فى أندونيسيا إذا تمعن فيها المؤمن سيدرك مدى الخطر الذى يحيق بأمة الإسلام ومدى الجهد الذى يتعين أن يبذل ضمن إطار مخطط مدروس للتصدى لهذا المد التنصيرى .

واذا أجرينا إحصاء لبقية المنظمات التنصيرية الأمريكية فى أندونيسيا نجد أنه توجد ٤٧ منظمة أخرى إضافة إلى تلك التى تعمل والتى أشرنا إليها فى صدر هذا التقرير ، وكلها تعمل تحت غطاء واحد أو أكثر من النشاطات الحيوية كالمواصلات أو تنمية المجتمعات وأعمال التشييد والإسكان والتخطيط والتعاونيات وجميعات الائتمان والإقراض والتخطيط الاقتصادى والتخطيط الإنمائى والتعليم والمساعدات المادية وتقديم المعدات والإنتاج الغذائى والزراعى والتنمية الصناعية والطب والصحة العامة والتغذية وخدمات السكان والخدمات الأسرية وإدارة الأعمال والإدارة العامة والرعاية الاجتماعية ومجالات المرأة والشباب .

إن هذه الإرساليات ما هو إلا استعمار جديد يهدف إلى التحكم فى الموارد السياسية والاقتصادية للعالم الإسلامى وكذلك السيطرة على عقول وثقافة المسلمين .

إن هدف هذه الجهود فى النهاية ترمى إلى تكبيل أبناء أندونيسيا ووضعهم تحت مظلة التبشير بشكل أو بآخر لتحقيق هدفهم النهائى : وهو تحويل أندونيسيا كلها إلى النصرانية وهذا لن يكون بإذن الله .

إن محنة المسلمين فى أندونيسيا هى محنة المسلمين فى كل أنحاء العالم ويستوجب الأمر أن يكون التصدى على نفس المستوى وبنفس القدر من التنظيم والتخطيط والتنفيذ والمتابعة والإخلاص .

المصادر :

١ ــ جريدة المسلمون العدد ٤٤٠ السنة الثامنة .

٢ ــ مجلة الجامعة العربية العدد ٦٠ السنة ١٢ .

٣ ــ مجلة منار الإسلامى العدد السابع السنة التاسعة .

٤ ــ جريدة العالم الإسلامى السنة الخامسة .

٥ ــ مجلة الرابطة .

٦ ــ كتاب مستقبل العالم الإسلامى د. محمد مورو .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد : ع . ف . ح :

لم يرزق أبى سوى أربع بنات فقط ، وكانت المشكلة بالنسبة له هى وضع أشقائه بالنسبة لنا بعد وفاته وأنهم من الممكن أن يحجروا علينا ويأخذوا نصيبنا من الميراث .

فهل من الممكن أن يكتب لنا ممتلكاته أم فقط ما يساوى حقنا الشرعى ، مع العلم بأن أشقاءه قد استولوا على جزء من نصيبه الشرعى فى ميراث جدى .

الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ، وبعد .

فبالاطلاع على سؤال السيد : ع . ف . ح بشأن إمكان كتابة ممتلكاته لبناته الأربع ، أو كتابة ما يساوى حقهن بالميراث الشرعى فقط ، علما بأن أشقاءه قد استولوا على جزء من نصيبه الشرعى فى ميراث والده .

بعد الاطلاع على هذا : أوَدُّ أن أورد ـ قبل الإجابة ـ على هذا السؤال : حديث النعمان بن بشير ، الذى يتلخص فى « أن عمرة بنت رواحة ـ أم النعمان بن بشير ، سألت أباه « بشيرا » أن يهبه بعض ماله ، فوهبه غلاما ، فقالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابنى ، فأخذ بيده ـ وكان يؤمئذ غلاما ـ فأتى رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، إن أم هذا بنت رواحة ، أعجبها أن أشهدك على الذى وهبته لابنها ، فقال له رسول الله ﷺ : « أأعطيت سائر ولدك مثل ذلك » ؟ قال : لا . قال : « اذهب فأشهد على هذا غيرى ، فإنى لا أشهد على جور : اتقوا الله ، واعدلوا فى أولادكم ، ألا يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء » ؟ قال : بلى . قال : « فإنى لا أشهد » . هذا ملخص حديث « النعمان بن بشير » كما يؤخذ من عدة روايات يكمل بعضها بعضا .

يقول « النووى » الشافعى فى شرح صحيح مسلم « ج ١١ ـ ص ٦٦ » تعليقا على هذا الحديث : « فلو فضل بعضهم ـ يريد بعض الأولاد ـ أو وهب لبعضهم دون البعض» .

فمذهب الشافعى ، ومالك ، وأبى حنيفة : أنه مكروه ، وليس بحرام ، والهبة صحيحة وقال طاووس ، وعروة ، ومجاهد ، والثورى ، وأحمد ، وإسحق ، وداود : هو حرام . واحتجوا برواية « لا أشهد على جور » وبغيرها من ألفاظ الحديث .

واحتج الشافعى ، ومن وافقه : بقوله ﷺ : « فأشهد على هذا غيرى » قالوا : ولو كان حراما ، أو باطلا ، لما قال هذا الكلام ، فإن قيل : قاله تهديدا .

قلنا : الأصل فى كلام الشارع غير هذا .. ثم قال : وأما قوله : « لا أشهد على جور » فليس فيه أنه حرام ، لأن الجور ، هو الميل عن الاستواء ، والاعتدال ، وكل ما خرج عن الاعتدال ، فهو جور ، سواء أكان حراما ، أم مكروها » .

وارتضى النووى : أنه مكروه كراهة تنزيه ، كما قال **أصحاب الشافعى** : يستحب له أن يهب الباقين مثل الأول ، فإن لم يفعل إستحب ردّ الأول .

قال العلماء : ومحل الحرمة ، أو الكراهة فى التفضيل : إن لم يكن ذلك لسبب شرعى ، فإن كان لسبب شرعى ، كأن كان أحدهم مريضا ، أو مدينا ، لا يستطيع الكسب ، والوفاء ، وحده بما يلزم ، أو كان ذا عيال كثيرة ، أو كان طالب علم ، يحتاج إلى معونة فذلك جائز .

ويحمل على هذا ما ورد من تفضيل بعض الصحابة ، بعض أولادهم على بعض ، فإن أبا بكر فضل عائشة على غيرها من أولاده ، وفضل عمر إبنه عاصما ، وفضل عبد الله بن عمر بعض أولاده على بعض .

مما سبق : يتضح : أن هبة الوالد لولده ، أو تمييزه أحد أولاده على بقيتهم ، جائز شرعا ، بدون كراهة ، إذا كان ذلك لحاجة ، ومكروه شرعا ، إذا كان لغير حاجة ، ولكنه مع كراهته نافذ ، متى كان المتصرف غير مريض مرض الموت ، وغير محجور عليه . وكان تصرفه منجزا ، أما إذا كان المتصرف مريضا مرض الموت جال تصرفه المنجز ، أو كان تصرفه ـ وهو مريض ، أو صحيح ـ مضافا لما بعد الموت . فإنه يعتبر حينئذ وصية ، ولا وصية لوارث إلا أن يجيزها باقى الورثة بعد موت مورثهم .

وإذا جاز هذا بالنسبة لبعض الأولاد مع بقيتهم ، فإنه ـ من باب أوْلى ـ يجوز بالنسبة للأولاد مع الإخوة ، والأخوات ، فللأب أن يهب بناته الأربع كل تركته ، أو بعضها ، مادام غير مريض مرض الموت ، وغير محجور عليه ، وكان تصرفه منجزا ، أى غير مضاف لما بعد الموت ، ولم يقصد به الاضرار بالباقين ، لأن حق الورثة لا يتعلق بتركة المورث . إلا إذا مات ، أو كان مريضا مرض الموت وهو « الذى يكون منه الموت فى الظاهر » .

فلا مجال للقول : بأن تصرف الشخص الصحيح غير المحجور عليه ، المنجز حال حياته ، ولم يقصد به إضرار الباقين ، ينافى حكمة

التوريث ، ويتعارض معها ، لأن التوريث إنما يكون بعد موت المورث ، والتصرف قبله فى وقت لم يكن لأحد من الذين يحتمل أنهم سيرثون بعد الموت ـ حق فى تركة المتصرف .

فحرمة الملك مكفولة ، وحكمة التوريث محققة لاتنافى ، ولاتعارض صحة التصرف المنجز ، الصادر من الشخص الصحيح ، غير المحجور عليه ، ولم يقصد به الإضرار بالباقين . وإن كنت مع هذا أفضل عدم التصرف فى كل التركة ، والابقاء على شىء منها ، يفى بحاجته ، وحاجة زوجته ، ان وجدت ، محسوبا فى هذا الشىء الذى يستبقيه ، الجزء الذى استولى عليه إخوتـه ـ إن صح ذلك ـ صونـاً له ـ فى المستقبل ـ عن الذل ، والهوان ، وحفاظاً على الود ، والقرابة ، والرحم ، بينه ، وبين إخوته ، حال حياته ، وبين بناته ، وأعمامهن بعد وفاته .

والله تعالى أعلم ، وبه الهداية ، ومنه التوفيق .

السؤال من/ مسجد الإيمان بالعجوزة ـ القاهرة :

ـ هل يجوز وضع المنبر فى غير يمين القبلة (فى أى موضع فى المسجد) .

ـ وما حكم ذلك ؟

افيدونا افادكم الله .

تحدث العلماء عن مصلى النبى ﷺ ، أى المكان الذى كان يلازم الصلاة أو يكثرها فيه ، وكان كثير من الناس ، وبخاصة بعد وفاته ﷺ يحرصون على الصلاة فى مصلاه .

أما المنبر فنحن نعلم أنه ﷺ كان يخطب أول الأمر واقفاً وإذا تعب أستند إلى جذع نخلة ، ثم انتهى الأمر إلى بناء منبر له يستريح عليه .. وحصل تطور فى هذا المنبر .

ولكن أين وضع ؟ هل على يمين مصلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ؟

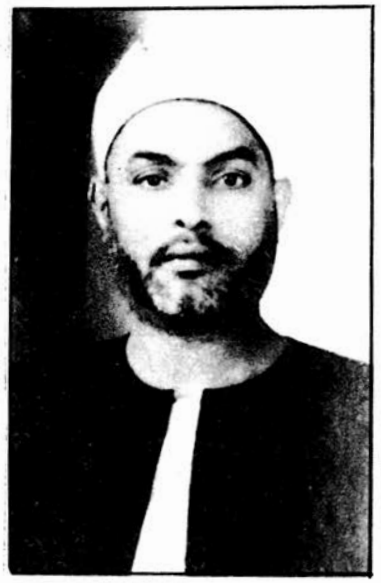
يقول المطرى أحد المؤرخين للمسجد النبوى : ورد أن الواقف فى مصلى النبى ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن ، وجاء فى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى أن المصلى فى مصلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجعل عمود المنبر حذو منكبه الأيمن .

من هذا نرى أن منبر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان على يمين المصلى ـ القبلة أو المحراب ـ لكن هل هذا الوضع واجب الالتزام ؟

لم يرد نص بالالتزام ، وإنما الكلام الوارد بيان للوضع للمنبر ، وهو لا يدل على الوجوب ، وإن كان يدل على الندب إقتداء بما كان عليه الحال فى أيام الرسول ﷺ . وليس بحرام أن يوضع المنبر فى أى مكان ، والمهم هو وجود شىء مرتفع يساعد الخطيب على إسماع الناس .. وقد يستغنى عنه بمكبر الصوت وتؤدى الخطبة من وقوف على الأرض وجلسة على كرسى كما يحصل أحيانا فى بعض المساجد فى خطبة العيد .

إن الأمر سهل لا ينبغى أن يشتد فيه الخلاف ، وإن كان من الأوفق أن يراعى المأثور عن السلف فى ذلك ، وهو وضع المنبر على يمين المحراب .

من أعلام الأدب



المؤرخ الملتزم

محمد صادق عرجون

- ٢ -

للدكتور / محمد رجب البيومى

ألّف الأستاذ صادق كتابه عن خالد بن الوليد عقب تأليفه كتاب عثمان وقد جمعت بين الرجلين الكبيرين مشابة دعت إلى الحديث عنهما ، إذ أن ما قيل عن عثمان من شبه يماثل فى بعض مناحيه ما قيل عن خالد ، وليست هذه المماثلة تعنى المشابهة فى الاتهام بل تعنى أن كليهما قد أرجف به وحملت بعض أعماله على غير وجهها الصحيح ، وإذن فروح الدفاع التى تجلت فى كتاب عثمان هى نفسها روح الدفاع التى تجلت فى كتاب خالد .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه « والصورة التى يراها القارىء فى هذا البحث لبطل الإسلام خالد بن الوليد هى صورة من صنع الإسلام للنماذج الإنسانية فى ميادين الجهاد ، وقد سلكنا فى عرض الملامح المقوّمة لشخصية خالد طريقنا فى تتبع الروايات التاريخية ، ونقدها على ضوء الخطـــوط الأولى للشخصية المصورة ، وناقشنا حوادث وأحداثا اضطربت فيها الروايات ، وانحرف بها التاريخ ، فكانت مزلقة لبعض كبار الباحثين ممن جانبهم التوفيق فى دراستها ، وأتينا بها إلى مكانها من الحق فى سجل التاريخ على قدر ما وسعته الطاقة واتسع له مجال البحث » .

وقد وفّى المؤلف بما قال عن حَمِية وغيرة نعهدهما فى قلمه الصوال ؛ فتحدث عن خالد قبل الإسلام ، وعن خالد فى طريقه الى الإسلام ، وعن جهاد سيف الله أيام الرسول ، وخصّ جهاده فى فتح مكة بفصل خاص ثم عن بلائه فى حروب الردة وفى البعوث المختلفة ، وكان مصيباً كل الإصابة فى وصف معارك اليمامة ، ثم فى معارك فارس والروم ، ووقف وقفات قضائية ذات حيثيات موضوعه فى مسألة عزل خالد عن القيادة بأمر الفاروق ، منتقلا الى تفنيد ما رآه الدكتور محمد حسين هيكل فى دواعى هذا العزل وملابساته ، موضحا وجهة نظر مخالفة ، وهذا من حقه حين بدا له ما يخالف رأى الدكتور هيكل فى تحليل هذا الموقف ، ولكن الذى ليس من حقه أن يتطاول على الدكتور هيكل وأن يسرف فى هذا التطاول إسرافا مبالغا حين يقول :

« الحق أن قارىء كتاب الفاروق يخرج من قراءته بصورة لعمر بن الخطاب جديدة كل الجدة على معارف المسلمين وتنكرها عقولهم وتنفر منها قلوبهم »[1] وحين يقول .. « إن الدكتور هيكل وأضرابه لا يفهمون الإسلام بروح الإسلام ، وإنما يكتبون عن الإسلام بأقلام غريبة عن الإسلام أو على الأقل يكتبون بروح تتعبد بتقليد أساتذتهم المستشرقين »[2] أو يقول : « هذا التحليل وذلك التحقيق سداه ولحمته هدم ما بناه الإسلام من شخصيات فارعة العظمة وتشكيك الناس فى حقائق التاريخ التى تصوّر عظماء الإسلام فى حقيقتهم العليا »[3] وهذا كله تجن لا مبرر له فقارىء مؤلفات هيكل الإسلامية يخرج بانطباع صادق يوحى بغيرة الكاتب الكبير وإخلاصه وما قاله عن خالد وعمر قاله من قبله كتّاب التاريخ من لون الطبرى الى يومنا هذا ، وإن اختلفوا فى التعليل والاستنتاج اختلافا لا يجعلنا نلج الى السرائر فنحكم عليه بما لا نعلم ، ولم يكن الدكتور هيكل فى كتبه الإسلامية تلميذ الاستشراق بل كان المهاجم الألد لما افتروه وكتبه « حياة محمد » و« فى منزل الوحى » « والفاروق عمر » ، « ناطقة » بذلك فى غير خفاء ! وقد اثنى الإمام المراغى على كتاب حياة محمد ثناءً مستطابا فى مقدمته المنصفة ، كما لم يشك الإمام المراغى فى صدق يقينه وقوة إخلاصه إذ عبر

(١) خالد بن الوليد ص ٣٠٣

(٢) خالد ص ٣٠١

(٣) خالد ص ٢٩٨

عن ذلك بقوله فى تقريظ كتاب « فى منزل الوحى »[1] :

« وفى الكتاب تنويه » بسمو المعانى الروحية وتوجيه النظر إلى عظمة ذات الله والاستحضار لجلالها فى موقف الحج والأسف على ما أصاب المسلمين فى حياتهم الدنيّة التى أصبحت أشبه بنظام آلى فارغ من الروح وتملك هذا الشعور على نفس المؤلف جعل خاتمة كتابه فصلا مسهبا عقده لبيان جلال الايمان بالله والتنّه على ما (لتوحيد) ذاته من الآثار العظيمة الخطر فى الحياة والاجتماع يصدِّر فيه بقلمه عن إلهام صادق يرتفع به فى هذه المقامات الى صفوف المتصوفة وذكر صبوة الحياة الروحية إلى الوحدة » .

لقد كفانا الإمام المراغى ـ وهو من هو ـ مؤونة الدفاع عن كاتب أصيل جاء بما لا يرضى الأستاذ صادق من التحليل لبعض المواقف فتسرع باتهامه فى صدقه الدينى وإخلاصه الفكرى ، وهذا كله بعيد كل البعد عن جوهر النقاش من ناحية ، وعن أدب الجدل من ناحية ثانية ، وأنا أؤكد هذه الحقيقة لأواجه قوما نعرفهم الآن بسيماهم ، ينكرون مواقف التبريز على كبار الكتاب دون دليل ، ثم يلجون الضمائر المستترة ليتحدثوا عن البواعث والنيات أو بعضهم ـ وحاشا الأستاذ عرجون ـ يريد أن يصرف القراء عن آثارهم الرائعة لحاجة فى نفس يعقوب !

وجاءت قمة أعمال الأستاذ عرجون التاريخية ممثلة فى هذا الجهد الضخم الذى كتبه فى أربعة مجلدات تحوى أكثر من ألفين وسبعمائة صفحة عن سيرة رسول الله ﷺ ـ منهجا وتحقيقا ورسالة وتبليغا ، إذ عكف عشر سنوات متوالية على دراسة كلّ ما أمكنه دراسته مما كتب عن رسول الله فى القديم والحديث ليبدى رأيه فيما يراه من روايات تتفق تارة وتتعارض أخرى ، ولم تكن كتب السيرة النبوية وحدها مجال التمحيص والتحقيق بل أضيفت إليها كتب التفسير القرآنى وشروح الحديث النبوى وصحف التاريخ الإسلامى لدى الكثرة من كاتبيه ، ويا له خضما زاخرا خاض الأستاذ عبابه عن مقدرة وإحكام ، وله رأيه الصوال ذو الحجة البالغة التى تمتد وتتصل حتى لتبلغ خمسين صفحة أحيانا فى المسألة الواحدة يقول الأستاذ متحدثا عن صنيعه[2] بدأت من جديد أقرأ ما كتب عن محمد رسول الله ﷺ فى مؤلفات القدامى والمحدثين وأحكم فيه القرآن بما جاء فيه عن محمد رسول الله ﷺ فصادفتنى فجوات (وَهَاوٍ) فى روايات أصحاب السير لا تنسجم مع هواية القرآن ، وألحَّ علىّ الشك فى هذه المؤلفات وتوجهت الى كتب الحديث أقرأ فيها عن محمد رسول الله وإذا بى كلما أمعنت فى القراءة إزدادت علىّ مضايق الفكر من كثرة الاختلاف بين الروايات ، وكثرة الأغاليط فى الحقائق والمعانى .

(١) مجلة الاسلام ١٩٣٨/٣/٤ تحت عنوان (من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى الى معالى الدكتور محمد حسين هيكل

(٢) محمد رسول الله ﷺ ـ منهج ورسالة بحث وتحقيق ص ٧ جـ ١ من المقدمة

إلى أن يقول[1] « ورجعت أقرأ ما جمعت وما سجلت وأنقيه من غلس الأساطير ، ليبرز منه منهج الرسالة فى معالمها الواقعية فى التطبيق السلوكى الشامل لعناصرها فى الكليات والجزيئات .. وفى هذا الفصل تتجلى قوة الصراع بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والعواطف ، إذا قلما صادفتنى رواية فى معناها وموضوعها لم تعارضها رواية أو روايات أخرى ، وهنا تظهر عثرات الأكابر من ذوى الهالات المشهرة فى تاريخ التراث الإسلامى ولا سيما فى رصد روايات السيرة النبوية وأحاديثها وأحداثها وتتغلب العواطف على العقل ويقف العقل كالمتهم البرىء الذى لا يجد ناطقا بحجته ، وأخوض هذه اللجة حذراً من المزالق وجلًا ممن أناقش لأنه اقتعد ذروة الشهرة والاستسلام لما يقول وحسبه عند المتعالمين أنه (فلان) ومن الذى يرد على فلان روايته أو قوله) .

وقول الأستاذ : إنه كان وجلًا ممن يناقش لأنه اقتعد ذروة الشهرة والاستسلام لما يقول لا يطابق ما نراه فى تحقيقاته إذ كان جسورا جريئا غير هياب مع أعلام كبار من أمثال الطبرى وابن حجر والإسماعيلى والواقدى وابن تيمية وأبى حيان وابن اسحاق وابن كثير والزرقانى والسهيلى وابن القيم وأبى عبيد بن سلام وغيرهم ، كما اختص الأستاذ الإمام محمد عبده بمناقشات كثيرة اتسع فيها الى غير ما حدّ ولم يكن وجلا فى موقف ما من مواقفه الجهيرة وقد قرر ـــ فيما قرر ـــ أنه يرفض التلفيقات المفتعلة والاحتمالات الواهية فى كتابة السيرة المطهرة حيث يقول له[2]« وليس بمثل هذا التلفيق وفرض الاحتمالات الواهية والتأويلات المتعسفة تُحلّ إشكالات الروايات ، وتجمع الأقوال وكان يجب فى شرعة البحث الممحص الوقوف عند روايات الصحيح . فإذا وقع فيها التعارض ، فلا يجوز أن يقحم عليها غيرها مما ليس فى قوتها سندا ، بل يجب الترجيح بأسباب .تقتضى الترجيح ، ورد ما عسى أن يكون فيه عرضة للوهم » .

هذا ما قاله الأستاذ وقد التزمه فى كثير مما أيّد وبدّد ولكنى أخذت فى مقال كتبته تحت عنوان « من أخطاء كتاب السيرة »[3] أنه لم يلزم هذه الخطة فيما كتبه فى عرضه لبعض الروايات المدخولة عن لقاء الراهب النصرانى برسول الله ﷺ فى نفرٍ من أشياخ قريش ، وكان معه ـــ فيما تقول بعض الروايات ـــ أبوبكر وبلال ورأى الجماعة غمامة تظل الرسول فى مسيره والشجر يمدّ ظله عليه فى مقبله » .

أقول مرددا ما قلته من قبل هذه الرواية ظاهرة الخطأ لذكر أبى بكر وبلال بها إذ أن أبا بكر رضى الله عنه لم يصحب رسول الله ﷺ فى رحلة ما قبل الهجرة وبلالا لم يكن فى حوزة أبى بكر قبل الإسلام فقد استخلصه من العذاب بعد أن آمن بالرسالة فكيف يكون مع أبى بكر فى رحلة قام بها رسول الله وهو غلام صغير ، وهذا النقد الواضح قال به كثير من المحققين وضعف الحافظ الذهبى ما لفقته الرواية

(١) محمد رسول الله ص ٨ جـ ١

(٢) محمد رسول الله ص ٤٢٤ جـ ٣

(٣) مجلة المنتدى شعبان سنة ١٤١٤ هـ

وقال ما نصه قوله : « وبعث معه أبوبكر بلالا » ضعيف ، لأن أبا بكر إذ ذاك لم يكن قد اشترى بلالا وأزيد عليه ولم يكن فى رحلة أبى طالب .. ولكن الأستاذ صادق الذى يكره التلفيق وينأى عن الاحتيال فى محاولة التوفيق بين الروايات المتضاربة يقول[1] « ما الذى يُبعد أن يكون أبوبكر قد خرج فى هذه السفرة وهو غلام على نحو ما خرج عليه رسول الله ﷺ مع عمّه أبى طالب ، أو أن يكون أبوبكر قد آجر نفسه لبعض تجار قريش يكون معه حارسا أو مناولا ، أو رسولا كالذى نراه فى متعارف الناس .. وأما بلال فالاحتمال فى وجوده فى هذه السفرة أرجح ، إذ ما المانع أن يكون قد خرج فى هذه السفرة على صغره ليخدم بعض ساداته إذا كان قد استرق منذ الطفولة ، أو أن يكون أجيرا مع بعض أهله أو غيرهم ، ولما عرض حديث الراهب مع رسول الله رغب أبوبكر الى بلال رغبة رفيق الى رفيق » .

كم احتال الأستاذ فى تصحيح رواية لا تقف على قدمين ! وكيف وقع فيما حذر منه ! ولعله بهذا التلفيق يعذر من ينقدهم إذ هم بشر مثله ! أقول ذلك لا لأضائل من جهد الأستاذ الفخم فى تحقيق أحداث النبوة ولكن لأقرّر أن كل كاتب يخطىء ويصيب !

ونترك مجال التاريخ الى مجال آخر وَالَى الأستاذ جهوده العلمية فى محيطه وهو الحديث عن يسر الإسلام وسماحته فى معاملة غير المسلمين وكانت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف وقد طلبت منه بحثا صغيرا يوجز الحديث عن سماحة الإسلام مع من لا يعتنقونه وحددت موعدا قريبا فنهض الأستاذ بكتابة بحث مركز ولكنه فى مرحلة الإعداد وجد من الأحكام والأحداث والوقائع ما يمتد بالبحث الموجز الى كتاب كبير ؛ فأخذ على عاتقه أن يستقل بدراسة هذا المنحى دراسة شاملة محيطة ترضى ضميره العلمى ، بعد أن وقف على ذخائر مطوية فى ثنايا الكتب تحتاج الى جلاء كاشف ، وأخذ يُوالى البحث عاما بعد عام وهو فى كل قراءة مستوعبة يضيف الجديد الى ما يعلم حتى استوت له بعد اثنتى عشرة سنة موسوعة حافلة فى جزءين كبيرين بادرت دار سجل العرب يطبعهما تحت عنوان « الموسوعة فى سماحة الاسلام » ولك أن تقدر حرص الباحث الكبير على الاستيفاء المتسوعب دون تفريط ؛ هذا الاستيفاء الذى تقاضاه أثنى عشر عاما لا يكلّ ولا يهدأ عن قراءة تجلب نفعا ، وقارىء التراث القديم يدرك صعوبة البحث فى مطاوى الكتب الفقهية ذات التعبير الدقيق ، ويزيد الأمر خطورة أن تكون بعض هذه الكتب مخطوطة متآكله متخرمة فلا تلقى ثمرها إلا بعد عناء كارب يطول ولا يقصر ، لقد كانت أهمية هذا الموضوع حافزة للأستاذ على البدأب حين (تتكاءده) المصاعب الثقيلة إذ رأى الأمر واجبا إسلاميا مفروضا على من يستطيعه فى وقت ظهرت فيه بعض البحوث الحمراء تفترى على الإسلام من التعصب ما هو منه براء ، وكل أدلتها المملولة مقتطفات من أحداث شاذة وقعت فى عصور الاضطراب والفوضى وقام بها من ينتسبون للإسلام اسما دون أن يدركوا سماحته الحانية ، وعدله الرحيم .

(١) محمد رسول الله جـ ١ ص ١٦٩ .

وأكثرهم أعاجم ربوا تربية عسكرية لا صلة لها بالروح الإسلامى وتنكروا لأولياء نعمتهم ممن تربوا فى أحضانهم فدّبروا لهم مكايد القتل أو النفى الأبدى !! أفيؤاخذ هؤلاء على ما ارتكبوه مضافا الى شخصياتهم البغيضة ، أم يؤاخذ الإسلام وهو منهم براء .

هذا وللأستاذ فى حقل التفسير القرآنى جهد لا ينكر فقد قام بتفسير سور : الأنعام والروم والسجدة والتوبة ولقمان فى حلقات تليفزيونية خارج مصر ولم تجمع بعد فى كتب خاصة ، والذين يعرفون اهتمام عرجون بكل ما يقوله يدركون مايضم هذا التفسير من أفكار مضيئة لا سيما إذا كان للأستاذ منهج خاص فى تفسير كتاب الله دعا إليه ملخصا مكررا فى كتابه المبسوط « القرآن الكريم هدايته وإعجازه فى أقوال المفسرين » وفى كتابه الموجز « نحو منهج لتفسير القرآن » وكلاهما متداول مطبوع وتدور فكرتهما بدءا على ضرورة الاهتمام بكتاب الله باعتباره مصدرا للهداية الانسانية ومنتقدا للبشرية التائهة فى أودية البغى والفساد ! قبل أن يكون مجالا لمناقشات علمية تتعلق بالنحو والصرف ومباحث علم الكلام وضروب اللجاج بين الطوائف المتنازعة إذ تحاول كل طائفة أن تصطاد من آيات الكتاب ما تحسبه ناصرا لها فى ميدان الجدل السياسى أو العقدى حتى اختفى الوجه المشرق لمعانى القرآن فى ضباب كثيف يصد القارىء عن صراط الله المستقيم ! وهذه الدعوة النبيلة قد ارتفعت فى هذا العصر على لسان الأستاذ الامام محمد عبده رحمه الله وقد طبقها تطبيقا جيدا فيما أثر عنه من تفسير لكتاب الله حواه تفسير المنار معزواً إليه . كما استقل به تفسير جزء عم إذ هو على إيجازه الدقيق مثل شاخص لما يرجوه أصحابه هذا المنحى الجليل وقد تعرض الأستاذ صادق الى مؤاخذة الإمام المراغى والامام محمد عبده فيما اتجها إليه من تفسير بعض الآيات الكونية فى ضوء ما تمخض عنه العلم الحديث والأستاذ صادق نفسه قد جند هذا الاتجاه بشروط دقيقة لم تكن من ابتكاره الخاص ؛ بل كانت مما أشار إليه الأستاذ الإمام محمد عبده موجزا ووضحه الإمام المراغى تفصيلا فى المقدمة العلمية التى كتبها فى صدر (الاسلام والطب الحديث) وهو كتاب جيد نشر تباعا بمجلة الأزهر ثم جمعه مؤلفه الدكتور عبدالعزيز اسماعيل باشا وصدره الإمام المراغى بكلمته الواعية إذ دعا الى أن تكون الحقائق العلمية ثابتة لا تقبل النقض ، وأن تكون موضع الإجماع من العلماء بحيث لا يأتى الزمن بما ينقضها ، فنضطر الى تعسف التأويل ، كما دعا المراغى الى ان يكون النص صريحا كاشفا لايحتاج الى تأويل يتفق به مع المقررات الحديثة !! فإذا كان الإمامان الكبيران قد احتاطا كل الاحتياط ، فقد أوضحا الطريق، وأرى أن الأستاذ صادق فى مجال التطبيق قد وافقهما حين تحدث فى كتاب (نحو منهج لتفسر القرآن) عن بعض الآيات الكونية مهتديا بحقائق العلم الحديث .

هذه إشارات موجزة الى جهود الأستاذ صادق عرجون فى ميادين مختلفة من نواحى الثقافة الإسلامية ونحن نلفت إليها النظر لندفع قارىء اليوم الى استشراف هذه الجهود فى مظانها المتداولة ، ليقف على ماتضم من ثمرات دانية القطوف وارفة الظلال .

من
روائع الماضى
بمجلة الأزهر

كيف نحيى المولد النبوى ؟

يوم لفز جبروت الدنيا الكافرة أفلا تهز ذكراه قلوب المسلمين ؟!

للأستاذ / أمين الخولى .

إعداد وتقديم ١٠. عبد الفتاح حسين الزيات

كلما هلّ هلال ربيع المبارك ، هز نوره وبهاؤه قلوب المسلمين حبا لرسول الله ـ ﷺ ـ واحتفاء بمولده الكريم ؛ فالمسلمون فى شتى أنحاء الأرض قد اجتمعوا على حبه ـ ﷺ ـ فهو القائل : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .. » .

نعم فالمؤمن الحق يحب رسول الله ـ ﷺ ـ أكثر من نفسه التى بين جنبيه .

ولكن التعبير عن هذا الحب ـ فى صورة الاحتفال بمولده ـ ﷺ ـ يختلف باختلاف مشاعر المسلمين فى شتى بقاع الأرض ، ويختلف باختلاف عاداتهم ...

ومع هذا الاختلاف تتباين صور الاحتفاء بمولده ـ ﷺ ـ ؛ فيأتى ما هو حسن محمود ، ويأتى ما يشوبه بعض أخطاء تنبى عنها الشريعة السمحة .

وقد تناول هذا الموضوع فضيلة الشيخ أمين الخولى ، يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ :

على هدى الذكرى ، تشيم عيون البصيرة ، ومآقى القلوب ، نور النبوة ، فإذا طهر أطهر ، وبهاء يبهر ، ونبل يغمر . هذا سنا السماء ، قد محا ظلام الغبراء ، وإنها للمحة يلمحها الحديد البصر ، ونفحة يتنسمها الملهم الحذر . فيأيها الشعراء بالحياة ، عشاق النور ، أولياء الحق ، هذا نعيم النفس فاغتبطوا ، ثم ما هذا النور المتألق ؟ ما هذا الجمع المتدفق ؟ أكلهم يهيم ويشيم ؟ واخجلتاه ! إنما هى جفان الثريد المترعة ، وبضع اللحم المشرعة ، وأقداح الشراب المروقة ، تتحلب لها أشداق ملتهمة ، وتضاحكها أفواه شرسة . هذا اهتزاز الممسوسين ، واختلاج المرورين ، وخداع الأفاكين ، يصطنع أكثرهم دل الصوفية ، ويتصنع سمت الصالحين . هذه أعلام لا للكتائب ، ومراكب ليست من النجائب ، وجموع لا لحول ولا لصول ، ولا لخير من عمل

أو قول ؛ لكنها داهية البطون الدهياء ، وفتنة الأوهام العمياء .

وهكذا فى دنيا الكهرباء ، وأسرار الكون مجلوة ، ودقائق العلم مفترعة ، والحياة متلهفة متطلعة ، مناضلة مكافحة يبتهج المسلمون على هذا النحو ، بذكرى سر النهوض ، وإكسير الغلبة والظفر ، وميلاد الدين والدولة والحضارة والمدنية ، فى شخص محمد ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ . فأعذنا اللهم من شر خذلانك ! .

حدثوا أننا تجددنا ، فرحنا نجدد قصة المولد ، نلتمس موقع الحقيقة من التاريخ ، ونصيب الحق من الرواية ؛ لنقول رشدا ، ونؤيد صوابا ـ عفا الله عنا ـ ! هل فهمنا ذكرى المولد ، ووجدنا ريح النبوة ؟ ليت ذلك يكون ! .

وإنى لأسوق هنا حديثا قديما معادا ، يفهم منه الحديث الأخير المجدد ؛ فقد حدثوا أنه لما ولد ـ عليه السلام ـ ، خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، فأضاءت له قصور الشام وأسواقها ، وقد رأى العباس رضوان الله عليه ، بعد أكثر من نصف قرن ، هذا النور ، واستضاء به ، مرجعه من غزوة تبوك ، إذ أراد مدح الرسول ـ عليه السلام ـ ، فقال :

وأنت لما ولـــدت أشرقت ال
أرض وضاءت بنـــورك الأفـــق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ
ـــور وسبـــل الـــرشاد نختـــرق

أما والله لقد كان نورا سارت الدنيا على ضوئه ، واخترقت سبل الرشاد بهديه ؛ فلن يهول الحق أن يقال : سقطت شرفات الإيوان لذلك المولد ؛ ففى الحق أن قد سقط الإيوان كله بعد حين بذلك المولد . ولن يضير التاريخ أن يقال : خمدت نار فارس بهذا المولد ؛ ففى التاريخ أن قد امحت نار فارس بعد يسير بذلك المولد ؛ وكذلك يأبى المؤرخ المدرك سنن الله فى كونه أن يرد الأحداث لساعتها ، ويعللها بأقرب مما باشرها ؛ وفى مثل هذا من إدراك السبب الصحيح ، والأصل الأول ، يتفاضل الدارسون ، ويتفاوت المفكرون .

وما إخال هذا القديم من حديث النور فى شعر العباس ، إلا أحدث ما يفهم به سر التاريخ وعلل الأحداث .

فهل نفهم المولد على ضوء هذا النور ؟ وهل نحيى المولد على هدى ذلك النور ؟!

ألا لو أنا ندرك البعيد بالقريب ، ونقيس الغائب على الشاهد ، ونحس وراء ظواهر الدنيا حقائق تسير هذه الظواهر ، ونواميس تتحكم فى هذا المتبادر ، لأدركنا النور النبوى إدراك العباس له ، وفسرناه تفسير العباس له ، ولأدركنا من قرب أن الشرق قاصيه ودانيه ، قد ألهته ظواهر الكون ، وخفيت عنه معانيه ، ولشعرنا أننا اليوم فى أضيق مما بين حجرى الرحى ، وأقطع من شقى المقص ، وما هو إلا نفس غاز خانق ، وآخر محرق ؛ فإذا نحن حديث فى التاريخ ، وعبرة لمن يدرك الحياة ، ويشعر بمكانه فيها .

لو أدركنا أن وراء السطح معانى ودقائق ، لأحلنا يوم المولد أجل من يوم عطلة ، ولعبة حلوى ، وقصعة ثريد ، وثريا نور ، وخرقة ملونة ، وهزة مجذوب ، وموكب ذكر ،

وموسم نكر . وأن نترك بعض ذلك والسائغ منه للأطفال والسذج والأغرار . فأين من إحياء هذه الذكرى نصيب المفكرين الكبار ، والمجاهدين الأحرار ؟!

ألا إن هذا المولد ذكرى ميلاد دين ، وأول حياة دولة ، ومشرق حضارة ، ومطلع حرية ، وبشرى اتحاد كلمة ، واجتماع شمل ، وتكون أمة .

وما للشرق اليوم من ذلك كله قل ولا كثر ، فهل يلتمس عقلاؤه مواسم لمولده الجديد ، ومبعث عزه العتيد ، أجل وأسمى ، وأقرب إلى القلوب من موسم ذلك المولد !

فمتى ينتهى إحياء الكبار لهذا المولد وذكراه إلى عمل يوائم جلالته ، ويلائم عظمته ؟

ومتى نتناول الحياة تناولا جديا ، وننظر إليها نظرا عمليا ، ونعرف موقف الإسلام ورسالته فيها ؟

ومتى نستشعر عظمة تلك البطولة ، ونكبر تقاليدها ، ونقتبس من نورها ، وندرك أنها إنما كانت إحياء للحياة ، وتسييرا للدنيا ، فيكون إحياؤنا لعيدها مظهر إدراك سرها ، وآية فهم لبابها ؟

متى نوقن أن الإسلام خطة فى الحياة ، وشرعة للمجد ، وسبيل إلى العزة ؟؛ فمواسمه جولات فى الحياة ، وأعياده محافل للمجد ، وذكرياته مظاهر للعزة .

متى يكون إحياؤنا للمولد ، إن قولا ، فقول نافع ، لا لغو ذاهب مع الريح ، قول يزيد ثروة المعرفة ، فهو مثلا قول فى تأليف ناضج يقدم يوم المولد عن دور من أدوار حياة الرسول عليه السلام ، أو تاريخ عصر من عصور تلك الحياة ، أو درس لجانب من جوانب عظمة تلك الشخصية ، فيظهر فى ذلك اليوم فيمنح جائزة تجمع ما تفرق من جهد رجال القول اللاغى ، والصحافة الثرثارة ، فى تكرار أقوال معادة مملولة ، ليس فيها جديد ولا بينها مفيد ؟ .

ومتى يكون إحياؤنا للمولد ، إن عملا ، فعمل من الإحسان المنظم ، يصرف ما يبدد فى الهواء من أموال الاحتفاء الساذج بهذا المولد ، فى موضع الحاجة من حياتنا ، ويسد عوزنا ، من الصحة ، والخلق ، والدين ؟ لقد ولد ـ عليه السلام ـ يتيما ، فما أجمل أن يكون مولده مفتتح منشأة تقى اليتامى وتستحييهم ، وترد على الأمة ضائع نبوغهم واستعدادهم .. وعاش ـ عليه السلام ـ فقيرا يجاهد للفقراء ، فما أجمل أن تكون ذكرياته عملا فى مطاردة الفقر ، وتأسيس معاقل القضاء عليه ، وصون ما يبدد من جهد ، وعقل ، وخلق ؛ فكذلك تحيا الذكر ، ويخلد الأثر !

ثم متى يكون إحياؤنا لمولد الأمة والدين والحضارة إحياء لجانب من وجودنا ، وإعدادا لما نستطيع من قوة ، ومن رباط الخيل ، نلقى به عوادى الدهر ، وأحداث الزمن ، وجور الظلم ، فنبتهج فى تلك الذكرى بما هو خليق بها من خطا جديدة فى مسيرنا نحو الغاية النبيلة التى كان مولد الرسول ـ عليه السلام ـ الخطوة الأولى فى الاتجاه إليها ؟!

ثم متى يكون هذا المطلب فى إحياء المولد خطة عاملة ، يؤيدها عزم أولى العزم منا ، وتفيض عليها بركة البطولة المحمدية ، وقوة الإرادة النبوية ؟!

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فى المولد النبوى

شعر عُمَر عَسَل (*)

يارسول الله هل تقبلُ بعد الشيب شعرى؟
وصبايا كان وهما مفرطا فى كل أمرى
ملأ العشقُ قصيدى ناطقا فى كل شطر
خلق الله فؤادى شاعرا بالحسن يدرى
كانت الأقلام نايات وأحلامى وعطرى
أطلق اللَّحْنَ شجيا فى ربا الأهرام يسرى

وأتى الشيب فأبكانى على زلات عمرى
يارسول الله لى ماض يعذبنى ويزرى
رحمة أنت لكل الخلق تمحُو كل عسر
هذه الليلة نورٌ منه قد أحظ بيسر
وأنا أنظر حولى فأرى الأفاق يثرى
رغم هذا كنت عبدا شاكرا بؤسى وفقرى
أعبد الله بلا شرك ولاظلم وكفر
أقرأ القرآن أدعو أن ينير الله قبرى
أطلب العفو وأرجو منه أن يقبل عذرى

(*) عضو اتحاد الكتاب .



للشاعر/ محمد التهامي

الديـــن عنـــدك ملـــة سمحـــاء ... والحق نار فى الـــورى وضيـــاء
يا صاحب الديـــن الحنيـــف تحيـــة ... تجزى بها آلاؤك الغـــــراء
لما حملت البينـــــات تلألأت ... فى الخافـــــقين من الهوى أضواء
وشرعت منهاج الصواب وطـــالما ... ضل الطريـــــق مشرع وقضاء

● ● ●

حطـمت أوهـام العبيـد فكلهـم ... والمالكـــون رقـــابهم أكفـــاء
ما ضرهـــم أن قد تفـــرق لونهم ... فجميعهـــم فيمـــا شرعت سواء
لا القـــوة الرعنـــاء تحكـــم بينهم ... أبـــدا ولا تتحكـــم الأهـــواء
فالنـــاس كل النـــاس فرد واحـــد ... لا فرق إلا تلكـــــم الأسماء

● ● ●

لا الفقـــر يزرى بالفـــقير ولا الغنـــى ... يُطْغـــى الغنـــىَّ فتهلك الفقـــراء
فالمال فى عنـــق الغنـــى أمانـــة ... يسعـــى بها فيمـــا سعـــى الأمنـــاء
فعليـــه من حق الـــزكاة فريضة ... ولكـــل من طلب العطـــاء عطـــاء
فالمال مال الله فى عليائـــــه ... والنـــاس فى ملك الـــورى شركاء

● ● ●

وفـــرضت أيـــام الصيـــام ليلتقـــى ... أهـــل الغنـــى فى الجوع والبـــؤساء
وجعـــلت للحـــج المنـــاسك يلتقـــى ... فى ظلهـــا وجـــلالها الغربـــاء
ولـــديك للآباء من أبنائهـــم ... فى غير كفـــر طاعـــة عميـــاء
والأسرة البـــيضاء تخلـــق أمـــة ... فى أصلهـــا وفعـــالها بيضاء

● ● ●

حالفت أصحـــاب الكتـــاب فضمهـــم ... والمسلـــمين تعاهـــد وإخـــاء
وأخـــذت للحلفـــاء كل حقوقهـــم ... ممن هديت فكلهـــم نظـــراء
سيـــان عنـــدك فى الـــقضاء أميرهـــم ... والعبـــد إن ضم الجميـــع قضاء
ومشى القـــوى لدى لوائك صاغـــرا ... لما احتمـــى بلـــوائك الضعفـــاء

● ● ●

يا سيـــدى حنت إلـــيك جوانحى ... وتـــدلهت فى حبك الأحنـــاء
واهتاجنـــى أنى إذا غسق الدجـــى ... وذكـــرت إسمك فالظـــلام ضيـــاء
يا سيـــدى إنـــا نسير بقفـــرة ... زاد الهجير بها وقـــل الماء
يا سيـــدى كن للنجـــاة شفيعنـــا ... يا خير من شهـــدت له الشفعـــاء

يتساقطون تساقط الزهر

مهداه إلى روح الأدب والصديق الأستاذ / محمد محمود فرغلى

للدكتور / سعد ظلام

يتساقطون تساقط الزهر ... فى ميعة الإيراق والعُمْر
يتساقطون كأنهم ثمر ... من أفرع فينانة الثمر
يا « فرغلى » وأى فاجعة ... نالت من الأغصان والشجر
لما نعيت كأن صاعقة ... دكت حشودى من حس ومن فكر
فاعتلت الألوان فى صورى ... وارتاعت الألحان فى وترى
ومشى النعى على مشاعرنا ... مشى الخريف بخطوهِ العثر
الموتة الخرساء فى بصرى ... والظلمة السوداء فى قمرى

يوم الوداع .. ولا أصوره ... والحزن مرسوم على الصور
ما كان أثقله على وجداننا ... والهول يقدح فيه بالشرر

حملـــوك فى يـوم الـــوداع مكفنـــا ... بالعـلم فى معـــــراجه النضـــــر
حملـــوا شـــــهيدا ما يزال يراعـه ... فى حـــومة الأفـــكار والســـهر
حملـــوك مثـــل الأوليـــاء طهارة ... مُتَعطّـــراً بعطـــائك العطـــر
كل الصحـــــاب وأنت عطـــرهم ... يستبشـــعون مـــرارة الســـفر
يبكـــون فيـــك سواكـــب المطـــر ... وتبلـــج الإحســـاس والوتـــر
وأخا صدوقـــا ما تغيـــر وده ... والدهـــر مجبـــول عـــلى الغيـــر
قلـــب عـــلى مجـــرى النعيـــم مرابط ... يفتـــر بالآيـــات والـــدرر
ينســـاب كالأضـــواء محتشـــدا ... ويلـــذ مثـــل عـــذوبة النهـــر

قد كنـت للحـــق العظيم منـــارة ... والحـــارس اليقظـــان فى الســـحر
متواضـعا كالحـــــب .. إلا أنـه ... ريـان من كأس الســـنا الســـكر
والأزهـــر المعمـــور ينعى عالمـــا ... مـازال ملء الســـمع والبصـــر
ينعـاك فلـذته .. وبحـــراً زاخـــراً ... بالـرأى والإفتـــاء والفكـــر
ركـن من الأركـان مـال بنـــاؤه ... وانـدك تحـــت معـــاول الخبـــر
من للشـــريعة فقههـــا وأصـولها ... بعـد الفقيـــه الحـــافظ الذكـــر

من للشـــريعة معلمـــا وريـــادة ... « كالفرغـــلى » الحـــاذق الحـــذر
أنا لا أصـــدق أن رحلـــت .. فلـم تزل ... فينـــا بـروح رائم خضـــر
أنا لا أصـــدق أن رحلـــت فلـم تزل ... فينـــا بعـــلم وارف نضـــر
تتلـــو .. وتشـــرح أو توجـه طالبـــا ... وتجـــول بين الذكـــر والأثـــر
أحرمـت معتمـــرا يتـــوق لربه ... شـــوقا .. وذاك لبـــاس معتمـــر
ماذا نقـــول .. وانـه قـــدر ... ما أجمـــل الإيمـــان بالقـــدر

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

لما أشرف عقبة بن عامر الجهنى – رضى الله عنه – على الموت – وهو فى مصر – جمع بنيه فأوصاهم ، فقال : يابنى أنهاكم عن ثلاث فاحتفظوا بهن : لاتقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة ، ولاتستدينوا ولو لبستم العباء[1] ، ولاتكتبوا شعرا فتشغلوا به قلوبكم عن القرآن .

الحاسد

يقول ابن المعتز : الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده .

الندم الحق

يقول ابن مسعود – رضى الله عنه – :. ما ندمت على شيء ندمى على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلى ، ولم يزد فيه عملى .

(١) العباء : كساء تفتوح من الأمام .

اختيار الله

اختار الله للفقراء ثلاثة أشياء . وللأغنياء ثلاثة أشياء ، اختار للفقراء : راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفّة الحساب .

واختار للأغنياء : تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب .

دار باقية

لا دار لِلْمَرْء بعد الموت يسكنها
إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت
أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى مادمت مجتهدا
وأعلم بأنك بعد الموت لاقيها

حقاً

قال بعض الصالحين :

طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وارتجاء الشفاعة بلا اتباع السنة نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة الله مع المعاصى حمق وجهل .

تحدث إلى أحد ثلاثة

ولا تكلم الرابع

الناس أربعة ، فَكَلِّمْ ثلاثة ولا تكلم الرابع :

رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلمه ، ورجل يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه ، ورجل لا يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلمه ، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلمه .

جاء فى أخبار الصالحين :

إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكاذبين ، فأما توبة الصادقين ؛ فإنها شاملة لستة أمور :

الندامة على الماضى من الذنوب .

والإعادة لما ضاع من الفرائض .

ورد المظالم .

وإذابة النفس فى الطاعة .

وإذاقتها مرارة الطاعة كما ذاقت حلاوة المعصية .

والبكاء مقابل كل ضحك ضحكته .

حقيقة

لكل داء دواء يستطب به

إلا الحماقة أعيت من يداويها

الصبى .. أخوف منا

كان شيخ يمشى على شفا نهر ، فرأى صبيا يتوضأ وهو يبكى ، فقال الشيخ : ياصبى ما يبكيك ؟ فقال الصبى : قرأت القرآن حتى جاءت هذه الآية : « **يأيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا** » الآية ، فخفت أن يُلقينى الله فى النار ، قال الشيخ : ياصبى أنت معصوم ؛ فلا تخف ، إنك لا تستحق النار ، فقال الصبى : ياشيخ أنت عاقل ؟ ألا ترى الناس إذا أوقدوا نارا لحاجتهم وضعوا أولا صغار الحطب ، ثم وضعوا الكبير ، فبكى الشيخ بكاءً شديدا ، وقال : إن الصبى أخوف منا من النار ، فكيف يكون حالنا ؟!!

دعاء

اللهم لا تدعنا فى غمرة ، ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين .

العلوم الكونية

نعمة الماء أصل الحياة وأكسيرها

بقلم م. د/ أحمد فؤاد باشا

الماء بين العلم والقرآن :

لاحظ الإنسان منذ القدم أن الأحياء النباتية والحيوانية تكون رطبة طالما هى حيَّة ، فإذا ماتت جفت ، ومن هنا أحس بفطرته السوية التى خلقه الله عليها بأن الماء وثيق الصلة بالحياة وأهلها . وعندما نزل القرآن الكريم كان موافقاً لما أحسه الإنسان بالفطرة النقية ، فقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

سورة الأنبياء

أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وأخذ العلم يكشف رويداً رويداً عن بعض جوانب هذه الحقيقة القرآنية إلى أن تأكد للعلماء بما لا يدع مجالا للشك أن نعمة الماء ضرورية لوجود الحياة التى نعرفها وسبب رئيسى لاستمرارها ، فلا حياة بلا ماء ، حتى إن بعض العلماء يصفون الحياة بأنها « ظاهرة مائية » ، إذ لا يوجد بين الأحياء كائن واحد ، دق أو كبر ، يستطيع الحياة بدون ماء . ولا يوجد تفاعل كيميائى واحد يحدث فى جسم كائن حى إلا وللماء دور أساسى فيه . وكان هذا من أسباب الاهتمام المتزايد فى عصرنا ـ بعد تقدم أبحاث الفضاء ـ بالبحث عما يدل على وجود الماء فى كواكب أخرى غير الأرض حتى يرجح احتمال وجود مظاهر للحياة فى هذه الكواكب .

ولا يفوتنا أن ننبه فى هذا المجال إلى أن إشارات القرآن الكريم فى آياته الكونية إلى حقائق يوافقها العلم الصحيح جاءت لكى تشوق الإنسان إلى طلب المعرفة بحقائق الأشياء ، وتستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية لاستقراء لغة الكون وقراءة الآيات المنبثة فى جنباته ، باعتباره كتاب معرفة للباحث المؤمن الموصول بالخالق الواحد سبحانه وتعالى . وهذا يعنى أن الإنسان مطالب بمواصلة البحث العلمى السليم لتجلية المزيد من الحقائق المتعلقة بكل ما خلق الله فى هذا الكون ، بدءاً من الأرض التى يعيش عليها ، فهى أصل وجوده ، من ترابها ومائها خلق ، وعلى صدرها وخيراتها يعيش ، وإليها يعود ويتلاشى تراباً فى ترابها ، ومنها يبعث تارة أخرى ، قال تعالى :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ طه : ٥٥

وقال عز من قائل :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

الملك : ١٥

ولقد جلى العلم الحديث بعض الحقائق المتعلقة بالماء وخصائصه الفريدة التى تؤهله للقيام بدور لا غناء للأحياء عنه . ومن يتعمق الأمر يجد أن أسرار الإعجاز فى خلق الماء تكمن فى أسلوب تكوينه وتصميم بنيانه .

تركيب جزىء الماء :

من المعروف أن جزىء الماء يتألف من ذرة واحدة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين . وهنا يتجلى الإعجاز الإلهى فى خلق الماء من الهيدروجين الذى يشتعل بسرعة فائقة ، والأكسجين الذى يساعد على الاشتعال ، بينما الماء المكوَّن منهما يستخدم لإطفاء النيران .

ومع أن جزىء الماء ككل يعتبر متعادلا من الناحية الكهربية ، أى لا تظهر عليه آثار الشحنة الكهربية ، إلا أن نواة ذرة الأكسجين الأكبر حجماً تجتذب من الألكترونات السالبة عدداً أكبر مما تجتذبه كل من ذرتى الهيدروجين . ويمكن تمثيل جزىء الماء هندسياً فى الفراغ بشكل رباعى تكون فيه ذرتا الهيدروجين غير موزعتين توزيعاً متماثلا ، حيث ترتبطان كلتاهما بذرة الأكسجين من جهة واحدة . ويشكل هذا الوضع بنياناً هندسياً عليه شحنة كهربية سالبة فى جانب وشحنة موجبة فى

الجانب المقابل ، أى يكون لجزىء الماء قطبان كهربائيـان مختلفـان ، ومـن ثم يوصف بأنـــه « قطبى » أو « ذو قطبين » . ويعزى إلى ظاهرة « القطبية » هذه تفسير العديد من خصائص الماء الفريدة مثل قدرته الفائقة على اذابة عدد كبير من المواد ، وما لا يستطيع الماء إذابته تماماً لأى سبب من الأسباب يستطيع فى كثير من الأحيان تفكيك دقائقه وحمله معلَّقاً أو مستحلباً فيه .

ومقدرة الماء الهائلة على اذابة المواد تؤهله للقيام بوظيفته الكبرى كحامل وناقل فى جسم كل كائن حى ، وتؤهله أيضاً لاداء دور رئيسى فى كل التفاعلات الحيوية ، وفى التخلص من السموم والنفايات ، وهذا كله فضلا عما يقوم به الماء فى التربة من إذابة المواد اللازمة لتغذية النبات ، وعمله الدائب فى تشكيل سطح الأرض وتحويل مكوِّناتها من حال إلى حال .

تماسك جزيئات الماء :

يواصل الباحثون دراساتهم الفاحصة لتركيب جزىء الماء ، فيكتشفون أن شحناته الكهربية تستطيع جذب الشحنات المخالفة فى الجزيئات المجاورة ، حيث تتجاذب أطراف الهيدروجين الموجبة مع أطراف الأكسجين السالبة وترتبط الجزئيات مع بعضها البعض بروابط تحفظ حالة السائل وتماسكه فى درجات الحرارة المعتادة . وهنا يتميز الماء بخاصية جديدة تجعل قوة تماسك جزئياته أقوى من تماسك أى سائل آخر ، فيما عدا الزئبق ، ولكن الماء يفضل الزئبق فى أنه ينتشر على الأسطح ويجرى عليها بسهولة ، فهو يجمع بين التماسك وقابلية الالتصاق ، بعكس الزئبق الذى يمنعه تماسك جزئياته الشديد من الالتصاق بأى سطح .

ولتماسك جزيئات الماء مظهر آخر يبدو فيما يعرف بظاهرة التوتر (أو الشد) السطحى التى تجعل سطح الماء أشبه بغشاء قوى مرن . فإذا وضعت إبرة من حديد فوق سطح الماء برفق لظلت محمولة بغشاء يحول دون أن تغوص بالرغم من زيادة كثافتها كثيراً عن كثافة الماء . وكثير من صغار الكائنات ، مثل البعوض ، تستطيع أن تمشى فوق سطح الماء أو تتدلى منه بطريقة مدهشة . وأبسط وسيلة لإيضاح تماسك الماء وتوتـــره السطحى هى ملاحظة شكل قطرات الماء التى تتساقط من الصنبور تباعاً فى تؤدة وبطء وكأنها مشدودة إلى بعضها بسلك فضى !!

وبفضل تماسك الماء وقابليته للالـــتصاق يكتسب خاصية ثالثة بالغة الأهمية تجعله يصعد تلقائياً فى الأنابيب الشعرية الدقيقة ضد جاذبية الأرض ، وهو ما يعرف باسم « الخاصيـــة الشَّعْرية » .

ويعزى العلماء إلى هذه الخصائص مجتمعة كل الأعمال الخارقة التى يقوم بها الماء عندما يرتفع من أطراف جذور النباتات المتعمقة فى باطن الأرض إلى قممه السامقة فى الفضاء والتى قد تبلغ فى مداها نحو أربعمائة متر فى بعض أنواع الأشجار العملاقة . وهذه الخصائص ، بالاضافة إلى صغر كثافته وضآلة لزوجته ، هى التى تيسِّر حركته بين الخلايا فى النبات والحيوان وتساعده على المرور من أغشيتها ، كما أنها تمكن الدم من أن يتم دورته فى الأجسام لضخ القلب له .

السعة الحرارية للماء :

يعمل الماء على تنظيم توزيع الحرارة فى الأحياء وبيئاتها بفضل ما يتمتع به من قدرة عالية على اكتساب الطاقة الحرارية والاحتفاظ بها . وتقاس هذه القدرة بكمية فيزيائية تسمى « السِّعة الحرارية النوعية » ، فكلما كانت السعة الحرارية للمادة الكبيرة ، كما فى حالة الماء ، كان معدل تسخينها وتبريدها أقل . وهذه الخاصية هى التى تجعل مياه البحار والمحيطات متميزة بثبات مستقر فى درجة حرارتها يساعد على حماية أحياء كثيرة من تلقبات الجو . وهذا هو ما يحدث أيضاً فى جسم الكائن الحى ذاته ، فإذا عرفنا أن التفاعلات الكيميائية الحيوية تتم على نحو أمثل فى حدود ضيقة من تغير درجة الحرارة لأدركنا قيمة هذا الثبات الحرارى للأحياء .

والسعة الحرارية الكبيرة للماء تعنى أيضاً أنه يتطلب مقداراً عظيماً من الحرارة لكى يتبخر . وهذه نعمة كبرى لكثير من الأحياء عندما يتبخر الماء من فوق جلودها مستنفداً من حرارة أجسامها مقداراً كبيراً فيبردها بالقدر اللازم لثبات حرارتها ، كما أنه يعينها على العيش إذا ارتفعت حرارة الجو من حولها دون أن تتعرض للهلاك . ويعتمد الإنسان وكثير من الثدييات على الغدد العرقية فى إخراج الماء اللازم لتبريد الجسم بالتبخر .

فضلا عن هذا كله ، يبقى الماء على حالته السائلة فى جميع أنحاء الأرض فى مدى واسع من درجات الحرارة المعتادة بفضل سعته الحرارية الكبيرة ، وبذلك يظل صالحاً للقيام بوظائفه الضرورية فى حياة الأحياء وبيئاتها ، إلى جانب دوره الحيوى بالنسبة لكوكب الأرض فى جملته ملطِّفاً من قسوة التقلبات العنيفة فى حرارة الهواء واليابسة .

كثافة الماء لا تنصاع للقاعدة :

المعروف علمياً أن جميع السوائل تزداد كثافتها كلما بردت حتى تتحول إلى الحالة الجامدة ، والماء فقط هو الذى يشذ عن هذه القاعدة العامة عندما يقترب من درجة التجمد . ذلك أن كثافته تزداد كلما بَرُد حتى تبلغ أقصاها عند درجة ٤°م ، ولكنها لا تلبث أن تقل مع حدوث زيادة فى الحجم عندما يتجمد الماء عند درجة الصفر المئوى . ويُعد هذا الاستثناء إعجازاً فى إحكام تدبير الخالق سبحانه وتعالى ، حيث تترتب عليه نتائج هامة للأحياء . فعندما يتجمد الماء ويزداد حجمه فإنه يخف ويطفو فوق أسطح البحيرات ونحوها ويكون طبقة عازلة تحفظ الماء تحتها من ازدياد برودته وتجمده ، فتظل الأحياء فيه حيَّة سابحة مسبحة بقدرة خالقها وواسع رحمته . ولو كان الماء قد انصاع للقاعدة العامة لكان الثلج أثقل فغاص فى الأعماق ولا ستعصى على الانصهار عند دفء الجو ، ومن ثم كانت البحار والأنهار والبحيرات فى المناطق الباردة تزداد تجمداً عاماً بعد عام حتى تصبح مناطق جليدية دائمة لا تصلح للحياة ، فضلا عن أنها تكون قد اختصرت جزءاً كبيراً من رصيد الأحياء عامة من ماء الحياة .

الماء مصدر متجدد للطاقة :

يعتبر الماء أحد مصادر الطاقة المتجددة التى تعلق عليها البشرية آمالها ، خاصة وأن المصادر التقليدية من الفحم والبترول والغاز الطبيعى توشك على النفاد . وتتركز الدراسات التى يقوم بها الباحثون فى هذا المجال حول طرق الاستفادة من الفرق فى درجة حرارة مياه البحار والمحيطات ، وحركة أمواج البحر ، وظاهرة المد والجزر ، وطاقة المياه الساقطة نتيجة عبورها حاجزاً طبيعياً كالشلالات أو حاجزاً اصطناعياً كالسدود ، والطاقة الملحية الناتجة من امتزاج مياه الأنهار العذبة بمياه البحار الملحة ، والطاقة الحرارية المختزنة فى البرك الشمسية الضحلة المعرَّضة للإشعاع الشمسى ، وطاقة البخار المتصاعد من الينابيع الحارة ، وعملية التحليل الكهربى للماء لإنتاج الهيدروجين واستخدامه كوقود .

وأهم ما يميز كل صور الطاقة المتولدة من المياه أنها نظيفة ، فلا تسبب أى تلوث صحى ، كما أنها لا تهدد بالأخطار التى يتوقع حدوثها من مصادر أخرى كالطاقة النووية مثلا .

الماء مصدر متجدد للأكسجين :

إذا كان الأكسجين اللازم لتنفس الأحياء يمثل جذوة الحياة ، فإنه أيضاً يأتى من الماء فى عملية البناء الضوئى التى تقوم بها النباتات الخضراء لتكوين غذائها . ولعل أبلغ مثل على العلاقة العضوية بين الماء والحياة ما نراه من الصحراء الجرداء بعد هطول الأمطار عليها ، فإنه سرعان ما تدب فيها الحياة وتكتسى بالخضرة والزهر والثمار من كل لون وينشط فيها عديد من أنواع الحيوان فتبارك الله الحكيم الخبير القائل فى محكم التنزيل

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ﴾

سورة الحج

هذه بعض الحقائق العلمية التى كشفت عن بعض جوانب الاعجاز فى خلق الماء وصفاته الفريدة ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾

لقمان : ١١

أسانيد المقال :

١ ــ د. عبدالحافظ حلمى محمد ، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم ، عالم الفكر ، المجلد الثانى عشر ، الكويت ١٩٨٢م .

٢ ــ د. أحمد مدحت إسلام ، الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨م .

٣ ــ د. محمد رأفت إسماعيل رمضان ود. على جمعان الشكيل ، الطاقة المتجددة ، دار الشروق ١٩٨٦م .

من أمراض الطفولة:

الحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

ليس مرض الطفل كمرض « الراشد » فإن هذا الأخير يمكنه أن يحدد ألمه ومدى إحساسه به ، ويتعاون مع طبيبه إذا ما طرح عليه أعراضه ، وإذا ما طلب إليه التزام أحوال معينة فى طعامه وشرابه ودوائه .

إننا نفتقد فى الطفل ذلك كله .

من هنا ظفرت أمراض الطفولة من الطب والأطباء بأكبر جهد من العناية ومواصلة البحوث حتى يتمكن الطبيب المعالج من التشخيص الدقيق السليم أمام هذه الأجساد الغضة التى قد تكون فى سن لا تنطق فيها ولا تبين .

من تلك الأمراض التى تصيب الطفولة مرض : « الحمى الروماتيزمية » .

● ● ●

والحديث عن هذه الحمى يتعين أن يتجه إلى الآباء ، بتبصيرهم بواجبهم حيال هذا المرض ، وما يستوجبه من واجب نحو المريض تجنباً لمضاعفات خطيرة يؤدى إليها التهاون إزاءه .

وكان ـ حتماً أيضاً ـ أن يتجه إلى التعريف بهذا المرض : « الحمى الروماتيزمية » حتى تعى الأسرة منه ما تقف به على العلم بخطورته ، وواجبها نحوه ، وما ينبغى أن تسرع بعمله .

● ● ●

(*) . ماجستير فى طب الأطفال .

الحمى الروماتيزمية مرض عضوى ، يصيب أعضاء كثيرة هامة فى جسد الطفل أهمها :

القلب ، والمفاصل ، وأجزاء معينة من الجهاز العصبى المركزى ، والجلد ـ والأنسجة الكامنة تحت الجلد .

وتكمن خطورته عندما يصيب القلب ، وبخاصة إذا تكررت الإصابة بهذا المرض .

يصيب هذا المرض المفاصل محدثا بها « إلتهابا » يشفى منه الطفل بعد فترة وجيزة من الزمن .

كذلك الحال بالنسبة لإصابته الجهاز العصبى المركزى ، حيث يبرأ الطفل منه بعد فترة من الزمن ، قد تطول أو تقصر ، غير مخلف أية آثار مزمنة ، أو تلف ، فى أنسجة المخ .

أسبـــاب ، وكيفيـــة حدوث ، الحمـــى الروماتيزمية :

تنجم « الحمى الروماتيزمية » عن تضافر عوامل عدة تتلخص فى الآتى :

أولا : العامل « الميكروبى » :

يسبق حدوث الحمى الروماتيزمية ، إصابة الطفل بنوع من « البكتريا » الواسعة الانتشار ، التى تعرف « بالبكتريا المكوّرة السَّبَحية حالَّةِ الدم : Group A – beta – hemolytic strepto cocci .

هذه البكتريا تحتوى على عدة بروتينات ، أهمها : « البروتين (م) » M-Protein الذى يُعدُّ مسئولا ـ مع الطبقة الخارجية المغلّفة للبكتيريا The Gapsule ـ عن مقاومة البكتيريا للالتهام ، بواسطة كرات الدم البيضاء .

وتصيب هذه البكتيريا الطفل فى أول الأمر ، بالتهاب اللوزتين الحاد ، أو البلعوم ، وإذا أهمل العلاج ، فقد يترتب على ذلك ـ فى بعض الأحيان ـ إصابة الطفل : بـ « الحمى الروماتيزمية » .

كيفية حدوث الإصابة :

أمام الطبّ ثلاث نظريات طُرحت على بساط البحث ، لمحاولة تفسير كيفية تأثير هذه البكتيريا ، بعد إصابة الطفل بها ، محدثة الحمى الروماتيزمية ، بعد مرور فترة من الزمن ، تتراوح ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع حيث تؤدى إلى :

إتلاف عضلة القلب Myocardium .

وبطانة القلب Endocardium .

والغشاء المفصلى Synovium .

وأجزاء محددة من الجهاز العصبى المركزى : The central nervous system .

أولى هذه النظريات : « نظرية الغزو المباشر Direct Invasion Theory » وتفترض هذه النظرية أن إصابة القلب تحدث نتيجةً لتلف صمامات القلب ، بعد إصابتها بالغزو البكتيرى مباشرة ، وتستند هذه النظرية إلى تجربة تَمَّ فيها زراعة أجزاء من أنسجة قلب بعض المرضى بالحمى الروماتيزمية ، بعد وفاتهم فأظهرت وجود هذه البكتريا فى المزرعة غير أن المزيد من الدراسات والفحوصات الدقيقة لم تستطع أن تجزم بالبرهان القاطع صحة هذه النظرية .

ثانى هذه النظريات « نظرية التأثير المباشر للإنزيمات والسموم ، التى تفرز من البكتيريا المكـــوّرة السبحيـــة حالّـــةِ الـــدّم Theory of Direct effect of Strepto coccal toxins and enzymes وتفترض هذه النظريـــة أن المرض يحدث نتيجة للتأثير المباشر للإنزيمات والسموم ، التى تفرز من هذه البكتيريا وبخاصة السم الذى يُؤدّى إلى تحلل الدم « Streptoly sin O » ومما يؤيد هذه النظرية ، أن الحمى الروماتيزمية لا تحدث نتيجة لإصابة الجلد بهذه البكتيريا ، حيث يتم إبْطال مفعول هذا السم بمادة الكوليسترول الموجودة بكثرة فى الجلد ، ولكن هذه النظرية لم تثبت أيضاً بالدليل القاطع .

ثالثا وأهم هذه النظريات : « النظرية المتعلقة بالمناعة Immunological » وتفترض هذه النظرية وجود علاقة مَنَاعيَّة مماثلة بين « الأنتيجين ـ أو مُولّد المضاد Antigen » ، الخاص بهذه البكتيريا ، وذلك الخاص بأنسجة القلب .. وعندما يتعرض جسد الطفل للإصابة بهذه البكتيريا فإنه يبدأ فى تكوين أجسام مضادة تتفاعل مع أنسجة القلب مسببة لها الإتْلاف ، وتستند هذه النظرية على عدة براهين أهمها : مرور فترة من الزمن ـ تتراوح ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع ـ بين الإصابة بالبكتيريا وحدوث الحمى الروماتيزمية ، حيث يتم تكوين الأجسام المضادة بواسطة الجهاز المناعى لجسد الطفل فى هذه الفترة .

● ● ●

ثانياً : العوامل المتعلقة بالإنسان المصاب : The host وتشمل :

١ ـ سنّ المصاب :

يعتبر السن الأكثر عرضة للإصابة بهذا المرض الوبيل هو السن الذى يتراوح بين خمس سنوات وخمسة عشر عاماً ويندر حدوث هذا المرض للأطفال فيما دون الخمس سنوات ، وكذلك للبالغين بعد سن الثلاثين .

٢ ـ جنس المصاب :

عادة ما تكون الإناث أكثر تعرُّضاً إلى حد ما ، للإصابة بهذا المرض .

٣ ـ العامل الوراثى :

لوحظ عند أخذ التاريخ العائلى للمرض أنه فى بعض الأحيان يوجد أفراد من نفس العائلة مصابون بالمرض ،مما أدى إلى الاعتقاد بأن هذا المرض يخضع لعوامل وراثية جينيَّة ، ولكن هذا العامل لم يتم إثباته بالدليل القاطع بعد .

٤ ـ العوامل الاجتماعية :

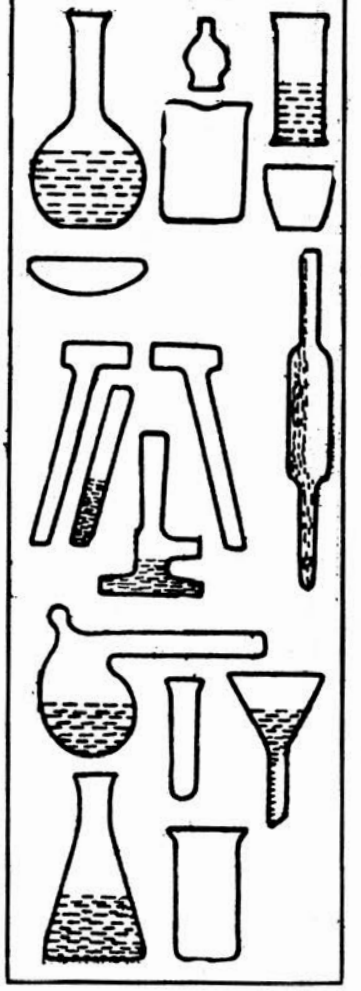
مما لا شك فيه أن هذا المرض ينتشر بكثرة فى الدول النامية وخصوصاً بين أفراد الطبقات الفقيرة ، وتعليل هذا شديد الوضوح : حيث إن الفقر ، والازدحام الشديد ، والمنازل الغير صحية ، وإهمال علاج الطفل عند إصابته بالتهاب الحلق ، كُلّ ذلك يؤدى إلى حدوث هذا المرض فانتشاره .

وفى المقال التالى سوف نُلْقى الضوء على أعراض ووسائل تشخيص مرض الحمى الروماتزميّة ، ثم نُتْبع ذلك بالحديث عن وسائل الوقاية والعلاج .

(يتبع)

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد د/ بثوى السيد أحمد



١ ــ جهاز جديد لقياس سكر الدم

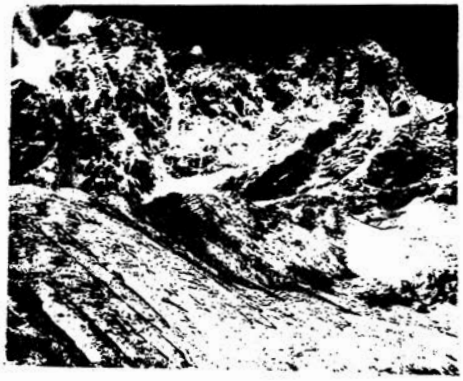
تم إنتاج أحدث وأصغر جهاز لقياس نسبة السكر فى الدم بدون عينة من الدم حيث يوضع أصبع مريض السكر فى الجهاز الذى يصدر نبضات من الأشعة تحت الحمراء تتحلل عند اختراقها للأصبع وبواسطة تحليل إحصائى معين يمكن معرفة نسبة السكر فى الدم .

٢ ــ حاسب آلى لكفاءة شبكات التليفونات

ابتكر خبراء الاتصالات بفرنسا نظاما الكترونيا حديثا يؤدى إلى تحسين الخدمة التليفونية . ويتكون هذا النظام من حاسب آلى يتحكم فى أكثر من ألف مكالمة تليفونية فى نفس اللحظة ويمنع حدوث

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

تداخل بينها ، كما يستطيع تحديد الأعطال التليفونية وأماكن حدوثها وتحديد طبيعة كل عطل مما يساعد على زيادة فاعلية عمليات الإصلاح والصيانة .



٣ ــ صخور القمر لتوليد الطاقة .

أكد أحد العلماء بالمعهد القومى اليابانى لعلم الاندماج النووى إمكانية استخراج غاز « الهليوم ٣ » من صخور القمر والهيدروجين من ماء البحر وادماجهم تحت درجات حرارة فائقة لتوليد طاقة رخيصة تكفى هذا العالم دون إشعاع نووى ضار ، واقترح إنشاء محطة فضائية دائمة على سطح القمر لقطع الأحجار ونقلها إلى الأرض .

٤ ــ الألياف الصناعية لانتاج دراجة جديدة .

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية لصناعة الدراجات دراجة جديدة مصنوعة من الألياف الصناعية الكربونية يبلغ وزنها أقل من ٢ كيلوجرام ورغم خفة وزنها إلا أنها أقوى صلابة من الدراجات العادية .

٥ ــ جهاز تحذير من النوبات القلبية .

صممت إحدى الشركات اليابانية جهاز تحذير من النوبات القلبية على هيئة ساعة يد ينبه باقتراب الاصابة بنوبة قلبية وذلك قبل ساعة من حدوثها مما يتيح الوقت الكافى لاتخاذ الاجراءات الوقائية المطلوبة ، حيث تقوم الساعة برصد الكترونى لاشارات القلب من خلال النبض عند الرسغ ، وعند حدوث أى تغييرات مفاجئة تقوم باطلاق الجرس التحذيرى .

٦ ــ أجهزة دقيقة لتصوير التضاريس فى قاع المحيط .

أنتجت احدى الشركات البريطانية المتخصصة أجهزة تصوير دقيقة تستطيع تصوير تضاريس الأرض تحت المياه بكفاءة عالية ويمكنها ان ترسل موجات صوتية من تحت الماء ثم تستقبل انعكاسات طبيعة الأرض البحرية وتعطى صورة شاملة واحصائيات مكتملة وتفصيلية لتضاريس الأرض على شاشات الكمبيوتر ، ويمكن لسفينة تسير بسرعة خمسة عشر كيلومترا فى الساعة أن تجرها وتصور فى العمق لمسافة ستين كيلومترا من أرضية البحر .

٧ ــ فاكس « جيبى » جديد .

تمكنت إحدى الشركات اليابانية للألكترونيات من انتاج فاكس جيبى جديد صغير الحجم حيث بلغت أبعاده ٢,٨×٥,٨×٨,٥ سم ويزن حوالى ١٠٠ جرام ، وتنحصر مهمته الأساسية فى ضغط الرسائل لتتناسب مع حجمه ، كما أنه يقوم من تلقاء نفسه بكشف الأخطاء ويستقبل الفاكسات المختلفة ويرسلها بسرعة .

٨ ــ خلايا شمسية متطورة .

تمكّن عالمان يعملان بالمعهـــد السويسرى الاتحادى فى لوزان من إنتاج خلايا شمسية متطورة تتفوق الى حد كبير على الخلايا الشمسية الحالية سواء من جهة التكاليف أو انتاج الطاقة ويمكنها تحويل ضوء الشمس الى طاقة بكفاءة عالية حتى أثناء انتشار السحب وتتكون الخلية الشمسية الجديدة من سطح خشن من ثانى أكسيد التيتانيوم شبه الموصل ومغطى بطبقة خفيفة من صبغة ماصة تقوم بامتصاص مختلف أطوال موجات الضوء المرئى ، وبذلك تستطيع أن تعمل بطريقة أفضل فى الأماكن التى تغيب عنها الشمس .



٩ ــ عدسة بلاستيكية للعين .

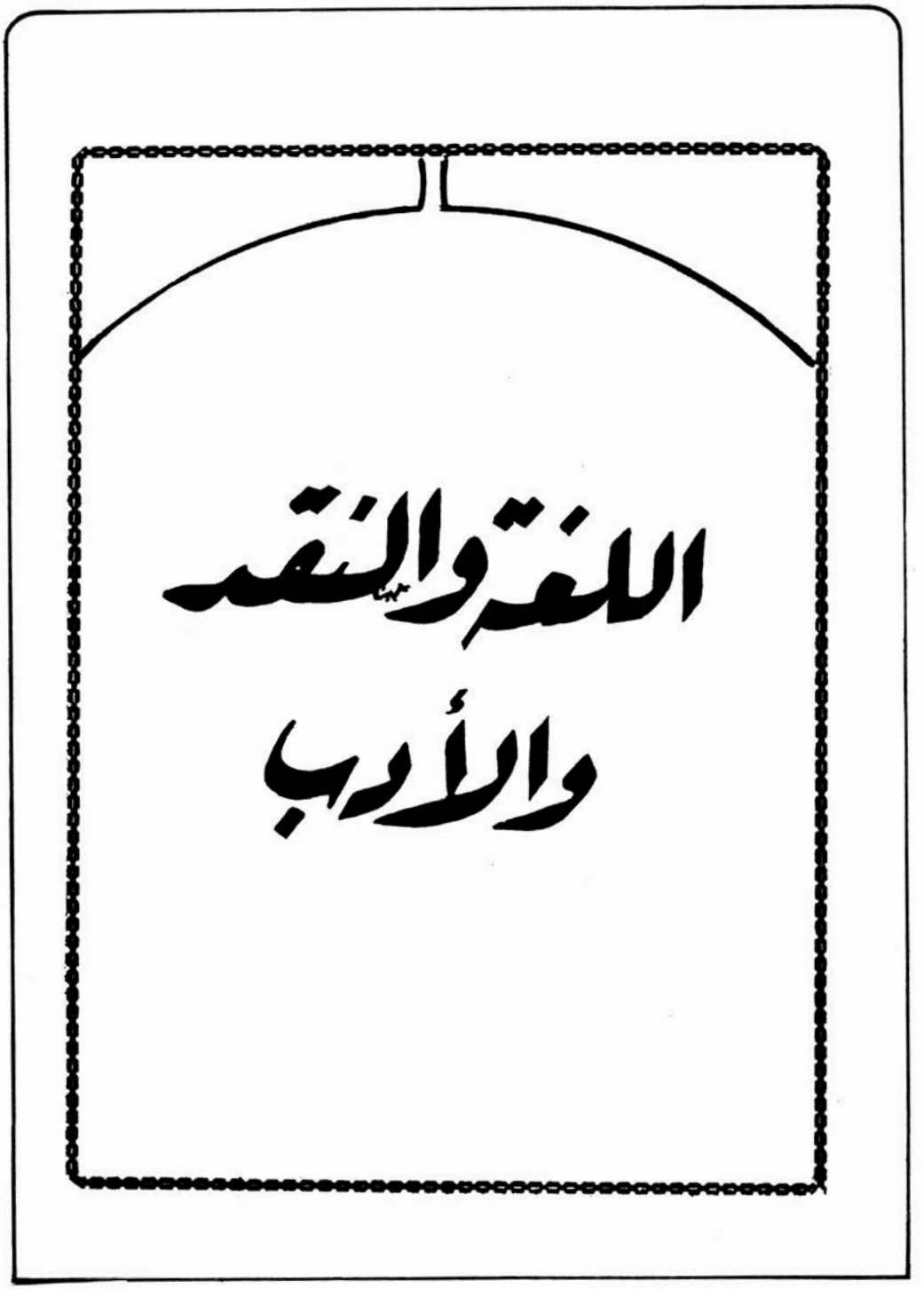
طورت إحدى المعامـــل الأمريكيـــة عدسة بلاستيكية دقيقة جدا وتستطيع تركيز الضوء بالعين سوف تحل محل العدسة الطبيعية للعين التى تكون مصابة بالإعتام نتيجة المرض واستخدم الباحثون إشعاعات أيونية لحفر تجاويف دائرية صغيرة فى العدسة حيث تقوم حواف التجاويف بتحييد الضوء وتركيزه على الشبكية ، ويمكن للجراحين زراعة هذه العدسة فى العين المصابة أو استخدامها كعدسة لاصقة لتقوية النظر .

١٠ ــ الضو، يؤثر على الجينات النباتية .

الضوء بالنسبة للنباتات ليس مجرد مصدر للطاقة فى التركيب الضوئى بل إنه أكثر من ذلك فهو يملى على النبات موعد تبرعمه وكيفية نموه ، ومتى يزهر ؟ ومتى يهرم ؟ ولكى يقوم بهذه الأمور جميعا لابد له من أن يؤثر فى جينات النبات . وقد تم التوصل الى تحديد أجزاء من « د. ن. أ » DNA تقوم بدفع الجينات للعمل أو توقفها وذلك استجابة للضوء وسوف يساعد هذا الاكتشاف العلماء على هندسة محاصيل أفضل .

١١ ــ شبكة حاسوبية جديدة لبيئة الأرض .

قام بنك معلومات الموارد الأرضية بالولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء شبكة حاسوبية جديدة لدراسة خصائص الأرض . ينظم هذا المركـــز المعلومات البيئية التى تجمع من مصادر مختلفة من العالم ويحللها ثم يخزنها وبعد ذلك يحولها الى معلومات مفيدة يسهل الحصول عليها فى شكل خرائط أو جداول أو صور تظهـــر جميعهـــا على شاشة الحاسوب ، ولا يتوقف عمل هذه المنظومة على تحديد منطقة تجمّع الموارد وتوزيعها ، بل تسمح بتحليل وتفاعل عدد كبير من المتغيرات البيئية مثل الحدود السياسية والطبيعية والارتفاعات والأتربة وسقوط الأمطار والأوزون والتغيرات الجوية والكثافة السكانية وغيرها .


اللغة والنقد
والأدب

الأزهر والمراصفة والأدب

١

الشيخ حسين أحمد المرصفى

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

شَهِدَ الأدب العربى ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، ثلاثة من أمراء البيان ، يمثلون أضلاع المثلث الذهبى ، فى الشعر ، والنثر ، والنقد الأدبى . هم حسب هذا الترتيب : محمود سامى البارودى (١٨٣٨ هـ ـ ١٩٠٤م) وعبدالله فكرى (١٨٣٤ ـ ١٨٨٩) وحسين بن أحمد المرصفى (١٨١٥ ـ ١٨٨٩) .

وكانوا ـ مجتمعين ـ هم عُمُد النهضة التى شهدها الأدب العربى فى العصر الحاضر ، وكل منهم يُكمل صاحبيه ، وجاءوا جميعاً ، بعد فترة الجمود والركود التى رانت على الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، فى ذلك الوقت ، وتفاعلت خلال قرون العصر العثمانى فى مصر .

كانوا ثلاثتهم بمثابة رد فعل ثقافى للحملة الفرنسية على مصر ، بعدما أحدثته ـ بالمكتبة والمطبعة والصحيفة ـ من أثر بعيد المدى ، وبصفة خاصة ، على الحياة الثقافية .

وسنقتصر اليوم على الحديث عن الشيخ حسين ابن أحمد المرصفى، الذى يكبر البارودى ويسبقه فى الميلاد بثلاثة وعشرين عاماً ، كما يكبر عبد الله فكرى بتسعة عشر عاماً ، ومن ثم فقد كان البارودى وعبد الله فكرى بمثابة تلميذيْن للمرصفى ، وكيف لا وقد « أخذ عنه كبار الأدباء فى عصره من أمثال البارودى وعبد الله فكرى ، وصاحبوه ولازموه ، وعرضوا عليه بيانهم ، فَهَدَى ونقَّح وهذَّب ... »[1] .

أما ما ذهب إليه الدكتور جمال الدين الرمادى فى اعتباره أن الدكتور طه حسين قد تتلمذ على

١ ـ انظر كتاب (المفصل فى تاريخ الأدب العربى) للأستاذ أحمد الاسكندرى وآخرين ط سنة ١٩٣٤ ج ٢ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

الشيخ المرصفى صاحب (الوسيلة الأدبية) وأنه تعلم منه فنون الأدب القديم ، ودفعه إلى الانتهال من معين التراث العربى التليد ، ولزمه أربع سنوات ، ولم ينقطع عن دروسه أو يتخلف عن مجلسه إلخ »[٢] فقول مجانب للصواب ؛ لأن طه حسنين ولد عام ١٨٨٩ أى فى السنة التى انتقل فيها حسين المرصفى إلى رحمة الله ـ تعالى . ولا شك أن الأمر قد التبس على الدكتور الرمادى ، فخلط بين الشيخ حسين المرصفى ، وأحد (المراصفة) الآخرين ، وهو الشيخ سيد بن على المرصفى المتوفى عام ١٩٣١ ، الذى كان أستاذاً لطه حسين بالفعل ، ولصاحبيه : أحمد حسن الزيات ومحمود زناتى ، وعنه يقول طه حسين فى كتابه (تجديد ذكرى أبى العلاء) : « أستاذنا الجليل سيد بن على المرصفى ، أصح من عرفت بمصر : فقهاً فى اللغة ، وأسلمهم ذوقاً فى النقد ، وأصدقهم رأياً فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام »[٣] .

حياتـــه ونشـــأته :

ولد بقرية (مَرْصِفَى) مركز « بنها ـ قليوبية » عام ١٨١٥ م ـ وقد أنجبت هذه القرية العديد من الأدباء والشعراء الذين لُقِّبُوا باسمها ؛ من أمثال :

الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، الذى كان زميلاً للشيخ حسين المرصفى فى التدريس بدار العلوم ، لمادتى التفسير وعلم مصطلح الحديث .

والشيخ زين المرصفى أستاذ السلطان حسين قبل توليه حكم مصر .

والشيخ محمد نائل المرصفى صاحب مجلة (الجديد) التى أصدرها منذ ستين عاماً .

والشيخ سيد بن أحمد المرصفى ـ الذى تحدثنا عنه آنفاً ، أستاذ طه حسين وصاحبيه : الزيات وزناتى ، وصاحب كتاب « رغبة الآمل من كتاب الكامل » للمبرد ، بأجزائه الثمانية ، وكتاب « أسرار الحماسة » الذى شرح فيه ديوان الحماسة لأبى تمام .

حفظ الشيخ حسين المرصفى القرآن الكريم ، وكان مكفوف البصر ، « جىء به إلى الأزهر ، فأخذ العلم عن كبار شيوخه ، وتصدر للتدريس فيه ، وكان هواه الشديد إلى علوم العربية وآدابها ، فجدّد فى مُدارستها وقلب الذهن فى منازع بلاغاتها ، ولم يسترح إلى ذلك الأدب الذى كان شائعاً فى عصره ، بل كان من أوائل من تفطنوا فى هذه البلاد إلى قدر الأدب القديم ، فراح يقرأ كتب أعلام البلاغة ، ودواوين متقدمى الشعراء ، ويتروَّى منها بالحفظ والاستظهار ، ويروض قلمه على البيان القوى ، حتى أصبح الأديب التام ، ودرَّس الأدب فى دار العلوم للسابقين الأول من طلابها الذين كان منهم : حفنى ناصف وأترابه »[٤] .

٢ ـ انظر كتابه (من أعلام الأدب المعاصر) ط دار الفكر العربى ص ٥ .

٣ ـ أنظر كتاب النهضة الاسلامية فى سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومى طبعة مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٨٠ ج ٢ ، ص ٨٥ .

٤ ـ راجع (المفصل فى تاريخ الأدب العربى) ج ٢ ص ٣٩٩ ط سنة ١٩٣٤ .

مؤلفاته : له رسالة دعاها : (الكلمات الثّمان) ، تحدث فيها عن معان ثمانية ، هى : ١ ـ الأمـة ٢ ـ الوطـن ٣ ـ الحكومـة ٤ ـ العـدل ٥ ـ النظـام ٦ ـ السيـاسة ٧ ـ الحرية ٨ ـ التربية .

ويستهل هذه الرسالة ، بقوله « على الرغم من أنه لم يؤثر عنه قول الشعر ـ غير ما قاله فى مدح البارودى :

أرجو قبـول هديـة لقّبتهـا الكلـم الثمان
أهديتهـا لأولى النهى فحيان أبنـاء الزمـان

وفى الكلم الثمان ـ كما يقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن :

« تظهر ملامح كثيرة من معرفة الشيخ المرصفى باللغة الفرنسية (وقد تعلمها على طريقة بريل) ، ففيها عبارات واصطلاحات ، وتعريفات معربة عن الفرنسية ، كما جرى فيها قلم الشيخ بأسلوب مترسل ، فى عصر كان السجع والزخرف اللفظى فاشيا فيه »[٥] .

« ومن غرائب المفارقات أن الشيخ حسين المرصفى كان يترسل فى نثره ، فى الوقت الذى كان يجرى فيه معاصره : عبد الله فكرى باشا على طريقة السجع والمحسنات ، وبهذا سبق المرصفى إلى أسلوب الترسل ، الذى استعمله بعد ذلك بقليل ، الشيخ محمد عبده ، الذى يُعدُّ صاحب فضل فى تخليص الكتابة العربية ، فى أخريات القرن التاسع عشر ، من السجع وبعض المحسنات » .

٢ ـ وله كتاب « دليل المسترشد فى فن الإنشاء » وهو مخطوط فى ثلاثة مجلدات تقع فى نحو ألف صفحة وهو ليس ـ كما يتبادر للذهن نصاً فى الإنشاء المدرسى ـ ولكنه مجموعة من المحاضرات فى النثر الفنى ، تناول فيه الشيخ المرصفى علوم عدة وفنون شتى ، تتصل من قريب أو بعيد بفن الكتابة ، من مثل : الأدب وتاريخه ونقده ، وعلم النفس ، والمنطق ، والتربية ، والفقه ، وعلم الحياة »[٦] .

٣ ـ وكتابه الكبير ، صاحب الأثر العميق فى ثقافة العصر بصفة عامة ، هو كتاب : (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) بجزئيه ، الذى اشتهر به المرصفى شهرة كبيرة واسعة ، حتى قال أحد نقادنا المعاصرين (الدكتور عبد العزيز الدسوقى) عنه :

.. واذا كان كتاب (فن الشعر) للفيلسوف اليونانى (أرسطاطاليس ، قد أثّر فى النهضة الأدبية فى أوربا بصورة واسعة ، واعتبر إماما لكل النقاد الذين حملوا مشعل التجديد فى الأدب الأوربى الحديث ، فإننى أعتقد أن كتاب (الوسيلة الأدبية) له لعب هذا الدور فى النقد الأدبى الحديث ، وأثر أساتذة الأدب والنقد ، الذين حملوا لواء النهضة الأدبية فى لغتنا العربية ، مع فارق واحد ، هو أن (فن الشعر) طبع مئات المرات ، وتُرجم الى معظم اللغات ، واهتم به النقاد والدارسون ، أما (الوسيلة الأدبية) فلم

٥ ـ انظر كتابه (مؤلفات رائدة لمؤلفين رواد) ط دار الهلال سنة ١٩٨١ ص ٩٢ ـ ٩٣ .

٦ ـ راجع مقال (رائد النقد الأدبى فى مصر) للدكتور ابراهيم عوضين بعدد مجلة الأزهر الصادر فى شعبان سنة ١٤٠١ هـ ، وكتاب (روضة المدارس) للأستاذ محمد عبد الغنى حسن والدكتور عبد العزيز الدسوقى ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ص ٣٥٣ .

يعبأ بطبعه إنسان (لعل الدكتور الدسوقى يقصد .. إعادة طبعه) ، على الرغم من إشادة الجميع بفضله ، واعترافهم بأستاذية مؤلفه »[٧] .

طبع الكتاب المذكور ، لأول مرة عام ١٨٧٢ م ، ويقع الجزء الأول فى مائتين وخمس عشرة صفحة من القطع الكبير ، وطبع الجزء الثانى بعده بثلاثة أعوام (سنة ١٨٧٥) ويقع فى ٧٠٣ صفحة من القطع الكبير أيضا .

وقد تحدث المرصفى فى الجزء الأول عن العلوم التى سيتناولها بالدراسة ، ومنهج دراسته لها ، ثم تحدث عن الأدب وتعريفه له ، وعلم المنطق ، ودواعى وضع (علوم العربية) ، وفقه اللغة ، وأقسام اللفظ بحسب وضعه ، وحسب الاختصاص والاشتراك ، والحقيقة والمجاز ، وبيَّن أقسام اللفظ باعتبار الترادف والتباين ، ووقف عند المطلق والمقيد ، وتحدث عن (علم الصرف) وأبوابه ، ثم انتقل إلى علم (النحو) واختتم الفصل الأول بالحديث عن كيفية تحصيل علوم العربية ، على حسب اختلاف العصور .

خصص المرصفى الجزء الثانى للحديث عن فنون البلاغة ، وتحدث عن (المجاز) و (الاستعارة) و (الكناية) وفن المعانى ، وفن البديع :

حسن الابتداء ، والجناس ، والاستطراد إلخ .

ثم تحدث عن العروض والقوافى ، وفن المُوَّال والموشح[٨] وكان فى خلال ذلك كله يسوق العديد من الشواهد والأمثال العربية ، وطائفة من عيون القصائد لفحول الشعراء فى شتى عصور العربية . بما فى ذلك العصر الحديث ، حيث ألقى أضواء كاشفة على شعر البارودى الذى كان يفتتن به غاية الافتتان ، ثم يعقد موازنات لقصائد البارودى التى عارض بها بعض القصائد المشهورة لكبار شعراء العربية فى العصور المتقدمة ، وأظهر المرصفى مقدرة البارودى فى المعارضة وأشاد بموهبته الفذة فيها ، ومن نصائح المرصفى فى هذا الكتاب الفذ ، أنه لابد لكل شادٍ فى رياض الأدب : « أن يحفظ كثيرا من الأمثال العربية ، وغيرها من الأقوال الصادرة عن الحكماء ، فإنها خزائن الحكم ، ومستودعات المعانى ، ومنها تعرف حسن الايجاز ، وبراعة العبارات .. »[٩] .

كما أوصى المرصفى من يهفو إلى العزف على قيثارة الشعر أن يحفظ أكبر قدر من شعر الفحول ، فى شتى العصور : « حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ الحر النقى الكثير الأساليب ، ومن كان خاليا من المحفوظ فنَظْمه قاصر ردىء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه ، أو عَدُم .. لم يكن له شعر ، وإنما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أوْلَى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال قبل النظم ، وبالإكثار منه ، تستحكم ملكته وترسخ »[١٠] .

٧ ـ المصدر السابق ص ١٩٦ .

٨ ـ المصدر السابق ص ١٩٧ .

* الخزامة : حلقة لشد مجموع يتناثر .

٩ ـ الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٢٠٤ .

١٠ ـ راجع الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٤٦٤ .

وقد أصاب الرافعى كبد الحقيقة ، حينما قرر فى فصله عن شوقى ، أن « الكتاب الأول الذى راض خيال شوقى وصقل طبعه ، وصحح نشأته الأدبية ، هو بعينه (الوسيلة الأدبية للمرصفى ـــ الذى كانت منه أيضا بصيرة (حافظ)[11] وقد ذكر شوقى فى حديث له مع مندوب جريدة الأهرام : أنه قرأ كتاب (الكشكول) للعاملى ، على الشيـــخ حسين المرصفـــى ، فى دروس خاصة ، وأضاف أن الشيخ كان يحب هذا الكتـــاب كثيرا ، ويفضلـــــه على غيره من الكتب[12] .

مهما يكن من أمر ، فإن عبقرية المرصفى تكمن فى ذوقه الرفيع فى الانتخال والاختيار ، من باقات الأشعار ، وقدرته الفذة على الشرح البليغ والتحليل الدقيق البارع ، الذى يحيط بشتى جوانب النص الشعرى الذى ينبرى لدراسته ، ليفتح عيون المستمعين إليـــه من التلاميـــذ والأصفياء ، على ما فى النص من روعة سَبْك ، وحُسْن بيان ، وما يتعين أن يبذله الأديب والشاعر من جهد فى المراجعة والتنقيح ، ليصل إلى ذروة ما يصبو إليه من إجادة وإبداع ، بما يذكر بقول العماد الأصفهانى : « إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه ، إلا قال فى غده :ـــ لو غَيَّرَ هَذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُسحسن ، ولو قدِّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

١١ ـ وحى القلم الرافعى ج ٣ ص ٣٥٢ .

١٢ ـ راجع كتاب (شخصيات فى حياة شوقى) للأستاذ عبدالمنعم شميس ص ٤٣ .

وقفة مع ديوان

شراع في بحر الهوى

للشاعر/ ابراهيم عيسى

بقلم الشاعر/ محمد عبد الوهاب

يبرز الشعر فى ساحة الأدب ، كسيد للقول الإنسانى ، ذلك لما فى بنائه من تكثيف للصور والمعانى ، وتأثير موسيقى خلاب ، يحمل المُتلقى من عالم الواقع ، إلى عالم سحرى رائع ، ابتدعه الشاعر ابتداعا .

و (بحر الهوى) الذى يستوقفنا فى عنوان الديوان الذى نلقى عليه الأضواء اليوم ، لا صلة له بـ (الهوى) الدنيوى العاطفى أو الغزلى ، ولكنه (الحب) .. حب الله العظيم ، فقد جاء فى الذكر الحكيم قول الله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران الآية / ٣١)

والشاعر إبراهيم عيسى ، فى وَجدْه الصوفى ، يقول فى قصيدة (أهل الهوى) واصفا حاله وحال القانتين لرب العالمين ، إنهم :

(١) انظر كتاب النقد الأدبى للدكتور شوقى ضيف ـ (٢٦) سلسلة مكتبة الدراسة الأدبية ـ دار المعارف ١٩٨٩م

طـاروا بأجنحـــة الصـــلاة ، كأنهـم طيرٌ أتى نبـــع الحقيقـــة ، فاســـتقى

ثم يقول بنجوى العبد الخاشع لربه :

وعـــلى عيـــون الشـــمس أسْدَلْتَ المســـا ءَ ففـاضَ نـــوُرك فى الضـــلوع وأغـــدقَا

ونلاحظ أن إبراهيم عيسى فى هذه القصيدة ـ وفى غالبية شعره ـ يُغرق فى السبك الفنى لمعانيه وألفاظه ، حتى تصل القصيدة إلى المتلقى . وهى أقرب إلى التحفة الفنية المتكاملة ، إطارا ومضمونا .

★★★

حيـاة الشـاعر :

يحدثنا الشاعر ـ نفسه ـ فى مقدمة ديوانه أنه نشأ فى أسرة يكثر الحديث فيها عن الله والرسول ﷺ ، أى أنه نشأ فى بيئة صالحة منذ نعومة أظفاره ، وكان والده يعمل رئيسا لقسم الكيمياء بالجمعية الزراعية المصرية (الملكية سابقا) ، بما يتبين منه أن الأسرة كانت ميسورة الحال ، بسبب مركز عائلها الوظيفى المرموق ، وكانت والدة الشاعر تحفظ الكثير من الأمثال الشعبية ذات الإيقاع المسجوع مما استهوى الشاعر فى بواكيره ، وكان بمثابة البذرة الأولى ، لإنبات شاعريته ، فيما بعد .

ومن عجب أن الشاعر يعترف فى مقدمة ديوانه أنه كان ضعيفا فى اللغة العربية ، وأنه تَعَرَّف على (الشعر) فى النصوص المقررة ، ومال إليه ، واستوعب الكثير من ذخائره من كتاب (المنتخب من أدب العرب) الذى كان مقررا على طلاب جيله فى أثناء مرحلة الدراسة الثانوية .

كانت محاولات الشاعر الأولى ـ كما يحدثنا فى المقدمة ـ تعتمد على التقليد للقصائد التى تروقه ـ دون معرفة مسبقة بعلم القوافى والعروض ـ تلك القصائد التى وردت بأجزاء (ألف ليلة وليلة) الأربعة ، كما ينبئنا أنه انكب بعد ذلك على قراءة أمهات الكتب ودواوين الشعر ، وكتب العروض والقوافى ، لتنمية مداركه ، وتثقيف نفسه بنفسه ، أثناء المرحلة الجامعية ، التى إنتهى منها إلى الحصول على (بكالوريوس التجارة) ، وكانت صلته بدار الكتب ، أقوى من صلته بكلية التجارة حيث تيسر له الاطلاع دون إرهاق مالى ، الأمر الذى كان له تأثيره العميق عليه ، يقول الشاعر : « ولكن اقتناء تلك الكتب لم يكن أمرا ميسرا لى فى ذلك الوقت ، فكنت أتغيب عن دراستى التجارية ، لأتوجه إلى دار الكتب بميدان باب الخلق ، لأقرأ وأقرأ .. حتى استقر الكثير منه بوجدانى » .

ثم يستتلى الشاعر فى الحديث فيقدم لنا المعلومة الطريفة التالية : « وظللت أتردد على دار الكتب

عامين متصلين ، نجحت فيهما فيما حصلت من قراءة أدبية ، ولكنى .. رسبت فى دراستى التجارية ! فكان حتما على أن أتفرغ لدراستى فى العام الثالث ، حتى لا أفصل .. ونجحت » .

وهكذا يتبين لنا مدى شغف الشاعر بالقراءة ، وتضحيته فى سبيلها بعامين من حياته قضاهما فى فصل دراسى واحد ، وكان من علامات النبوغ لديه فى طريقه إلى الإجادة التقاؤه بالشاعر الوجدانى (أحمد رامى) الذى كان يعمل موظفا بدار الكتب فى ذلك الحين فنشأت بينهما صلة أدبية وطيدة .

وقد وقف الشاعر طويلا أمام آثار : أبى العلاء وأبى نواس ، ومهيار الديلمى ، كما تعشق شعر (طاغور) و (بودلير) ، ومن المعاصرين كان إعجابه الشديد بشوقى وحافظ ، ثم بأستاذه الذى كان له أكبر الأثر على اتجاهه فى إبداع الشعر : على محمود طه ، فقد افتتن الشاعر بدواوين (على محمود طه) افتتانا شديدا ، واستظهر معانيها وألفاظها وتراكيبها مرارا ، وسار على منوالها فى بواكيره حتى استقل بعد ذلك بلغته وأسلوبه .

ويعترف الشاعر بأن الشاعر (محمود حسن إسماعيل) هو القمة الشعرية الشامخة ، التى استطاعت تثبيت فكرة الصورة الشعرية عنده .

هذا ، وقد بدأ الشاعر فى نشر قصائده الشعرية منذ عام ١٩٤٨م . وحينما أعلنت جريدة الزمان فى صفحتها الأدبية عن مسابقة شعرية للشعراء الشباب ، قام الشاعر بالاشتراك فى تلك المسابقة ، وحصل على جائزتها ، مع شاعرين من زملاء تلك المرحلة أحدهما : رابح لطفى جمعة .

وكان مطلع قصيدة إبراهيم عيسى الفائزة والتى يتحدث فيها عن الريف ، وحياة الفلاحين فى تلك الآونة قوله :

معـــذَّب فى حيـــاة كلهـــا كـــدرُ ... قـــد قـــدّمته إلى الحـــرمان قـــرباناً

يروح يروى ظمـــاء النـــاس من ظمـــأ ... وبات وهـــو بقـــرب النبـــع ظمـــأناً

فى كفّـــه الخيـــرُ فيّـــاضٌ ، ومن عَجَـــبٍ ... يُمسى ويُصـــبحُ عُـــرْيانا وجـــوعاناً

وتبدو لنا سماحته وسعة أفقه ، حين يقول تعقيبا على هجوم الشاعر (محمد الأسمر) عليه وعلى أول قصيدة نشرت له بالصفحة الأدبية بجريدة الزمان يومى ٢٢ و ٢٩ يونيو ١٩٥٠م ، فقد سر الشاعر بهذا الهجوم ، على عكس ما كان متوقعا منه ، فيقول : « شعرت بأضعاف سعادتى

الأولى ـ (عندما فاز بالجائزة الثانية فى مسابقة جريدة الزمان ، كما تقدم) ـ لأننى علمت من هذا الهجوم ، أن شعرى أصبح مقروءا ، وأصبح يؤثر على القراء ، بالقبول أو بالرفض ، وكلاهما أمر مرغوب فيه »[1] .

وبعد ذلك يقرر الشاعر أن إحدى قصائده كادت تنتهى به إلى غياهب السجن ، بعد نشرها بجريدة اليقظة العراقية الصادرة ١٩٥١/١٠/٩م ، وأثناء استجوابه بأحد مكاتب البوليس السياسى بالقاهرة ـ عقب نشر القصيدة ـ لم يُنقذه إلا قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م ، بعد انتهاء التحقيق بأيام قلائل ، وفى هذه القصيدة يقول مخاطبا النظام الملكى ، تحت عنوان (صرخة شعب) :

يا ساكن القصر مَنْ سوّاك سوّانا ... فلستَ وحدَكَ بين الخلقِ إنسانا
الخيرُ خيرى .. ومِنْ كفى مغارِسُهُ ... ومِنْ كَفاحى وهبتُ المجدَ عنوانا
نحن الأعاصيرُ إنْ ألقَتْ بصاعقة ... لم تُبْقِ للظلم تيجانا وسُلطانا

باتت تُفَزّعُنا فى مصرَ أدغالٌ ... والناسُ صنفان : ذُؤبانٌ ، وأحمالُ
قالوا : القناعة كنزٌ ، قلتُ : ويحكموا ... إنَّ القناعة .. أصفاد وأغلالُ
وتلك فلسفةُ الباغى ، وغايتُهُ ... يشدو بها كعويل الريح ضَلّالُ

سمات شعره الفنية :

ينتمى (حصاد عُمْرٍ) شاعرنا إبراهيم عيسى للـ (مدرسة الرومانسية) ، فى معظمه ، وللخيال دور كبير فى اصطياد أوابده ، وللصياغة دورها فى إبراز قصائده فى صورة جميلة متقنة ، ولابد لنا من إلمامة سريعة بالمذهب الرومانسى ، ومباينته للمذهب الكلاسيكى الذى كان سائدا فى عصر الإحياء ، منذ البارودى وشوقى وحافظ ، لإمكان النظر إلى شعر إبراهيم عيسى على ضوء هذه الإلمامة .

يقول (بوالو) فى تمجيد العقل ، والخضوع له فى العملية الإبداعية ، وليس للعاطفة والخيال ، وهو يدافع عن الكلاسيكية :

(١) أنظر ديوان (شراع فى بحر الهوى) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢ .

Amiez dans la raison : que toujours vos lustre et leur prix. « أحبوا العقل دائما ، ولتستمد منه وحده مؤلفاتكم كل ما لها من رونق وقيمة »[٢] .

ويقول أيضا الكلاسيكية :

Que votre âme et vos moeurs peintes dans vos ouvrages, n offrent jamais de vous que nobles images« لا تقدموا نفوسكم وعاداتكم فى أعمالكم الأدبية ألا فى صورها النبيلة » .

ويمثل الرغبة فى الهروب من الحاضر قول : (لامرتين) فى قصيدة (العزلة) (Lisolement) .

« ترى .. لماذا أظل فى أرض المنفى ، وليس بينى وبين هذا العالم (الذى يعتبره المنفى) أية رابطة أو صلة » .

Sur la terre d'exil. pourquoi reste,
encore ? Il n'est rien de commun entre ce monde et moi.

وقد يتبادر إلى الأذهان أن (الواقعية) أو (الالتزام) هما البديل عن الإغراق فى الرومانسية الحالمة .. ولسنا إلى هذا نقصد ، فالالتزام ، أو الإلزام ، كثيرا ما يأخذ الطابع الدعائى ، فيصبح الشاعر بمثابة (بوق) للتعبير عما يتطلبه المجتمع من رغبة فى رفع شعارات معينة ، أو مواكبة اتجاه معين ، لأن هذا ـ إن تم ـ يكون بمثابة ضغث على إبّالة ، لأن الصدق الفنى ، والاختلاج الشعورى لابد منهما لتحقيق الأصالة فى العمل الفنى ، وبعبارة أخرى ، لابد أن يكون الشاعر مخلصا مع نفسه فى كل ما يبدع ، سواء كان يعمد إلى تصوير تجربة ذاتية شعورية ، أو ينفعل بحدث ما ، خارج إطار (رومانسيته) الحالمة ، ليشارك أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه : آمالهم وآلامهم واهتماماتهم ، وهذا بالضبط هو ما وفق إليه شاعرنا فقد أخذ من كل من الكلاسيكية والرومانتيكية أحسن ما فيهما . ولم يخرج على الإطلاق على عمود الشعر العربى الأصيل ، خذ مثلا قوله :

يا خافقى .. الله لك ... تطلب ما لا تحملك
ما حيتى وكلما ... عدت إليه .. قتلك
وبالهوى وشوقه ... حرّرته .. فكبّلك
فرحت تهدى بالمُنَى ... ورحت أبكى طَلَلَك

وهو يعنى بهذا التمهيد فى مستهل قصيدته ، مجاهدة العابد لنفسه التى بين جنبيه ، وهو يحاول أن يرقى لذرى التنسُّك والقرب من الله ـ عز وجل ـ ويحاول أن يطرد (الجسد) وهو به متعلق ، كما يقول الرافعى .. ونستطيع أن نتبين ذلك بوضوح حين يستهل الشاعر قائلا :

وأطبق الليل ونا ... حت غربة ترتعد
والفجر فى أحشائه ... طفل جناه المولد

(٢) أنظر كتاب (قضايا الشعر المعاصر) للدكتور سعد دعيس ط دار الفكر العربى ١٩٨٥م ص ١٩ .

فكلمـــا امتـــدت إلى النســـــ ـورمـــــــن النـــــفس يدُ
يشدنى .. يجذبنـــــــــــــى إلى التـــــــــراب الجسدُ

وبعد تصوير الصراع الرهيب بين معارج الروح ، ووهاد الجسد يقول :

وسال طيـــــف من شعـــــاع فى كهـــــوف ظلمتـــــى
وأبْصَرَتْ روحـــــــــــى فى أحداقـــــه .. طفولتـــــى
وقيـــــــــل : يارب فضجّ الصمتُ حول دمعتـــــــــى
والتـــــفت القـــــلب يزف للهُـــــدَى .. بَقِيَّتـــــى

ورغم الصياغة القوية والاتشاح بالرمزية فى تصوير التجربة الصوفية لدى شاعرنا إبراهيم عيسى إلا أنها فى متناول المتلقى ، بلا غموض كثيف أو مباشرة تقليدية كما هو الشأن فيما نقرؤه لشعراء هذا الزمان ، شعراء المزاحمات .. التى يضيع فى خِضَمّها الشعر الأصيل .

وثمة جوهرة أخرى يطالعنا الشاعر بها فى قصيدته التى تحمل عنوان : (الوهم والحقيقة) وهى نجوى رفيعة المستوى للذات الإلهية ، تذكرنا بكبار الشعراء الصوفيين من أمثال : ابن عربى وعمر بن الفارض وغيرهما ، يقول شاعرنا فى هذه الدرة المحلقة :

يا خالقـــى .. عبث الدجـــى حولى .. وضجت طينتـــى[٣]
وعـــوى الظـــلام وولـــولت ريح تنـــوح بحيرتى

ثم يقول برصف لفظى بديع ، لا نجده عند سواه :

ودنـــا السنـــا وجثـــا فؤادى فى رحاب سريـــرتى
وسقـــى سقـــاة النـــور ظلمـــاتى .. فتـــابت حيرتى
وشدا الرعـــاة .. وكلمـــا مروا ببـــاب تلفتـــى
أبكـــى بعين بصيرتى .. وتقـــول دمعـــة ذلتـــى
يا خالقـــى .. لك قد تعـــرت فى الضمير خيبتـــى

أى تحليق ، وأى جمال وإشراق .. إن من كان هذا إيمانه يستحق كل الحب وكل التقدير . وهذا قوله فى ختام قصيدته :

يا خالقـــى وأنـــا بقـــربك قد عرفت سكينتـــى
أنـــا ذلك الوهـــم الكـــبير .. وأنت أنت حقيقتـــى

هذا وإن كنا نقر بإعجابنا الصريح بشاعرية وتمكن شاعرنا نرجو أن يتسع لنا صدره . لنهمس له ببعض الهمسات الصغيرة ، فإن الكمال المطلق لله العظيم وحده .

(٣) أنظر الديوان ص ١١٣ ، ص ١١٤ .

وحتى نعطى النقد حقه نقول : فى قصيدة « بلدى والشعر » يقول شاعرنا :

الليـــل يحتضن الغـــروب وينثـــى بخطـــاً بطيئـــة
والنجـــم مصبـــاح تدلى كابتسامـــات مضيئـــة

ليت الشاعر استبدل بالغروب « السكون » فى البيت الأول ، و « البدر » بدل النجم فى البيت الثانى .

وفى قصيدة « شابت الدموع » يقول :

وجـــفَّ بى الموج حتـــى غدوتُ يَبابـــاً يحنُّ لِظـــلٍ وَرِىّ

وياليته قال : « وأبعدنى الموج » بدلا من « وجفَّ بى الموج » ، لأن الموج ـ أولًا وأخيراً ـ ماءٌ متدفق ، فكيف يجف ؟

ثم يختتم القصيدة بقوله :

ونقـــلت خطـــوى فى عـــالم يمـــوت بـــه كلُ حـــر أبى
ومـــا راعنـــى الموت لكننـــى عجـــبت لأنى مازلت حى

وأرى الشاعر هنا لم يخدم هدفه ؛ بل على العكس بدا مستسلماً لليأس حين ألحق الموت بالأحرار والأباة الذين كان يتعين أن يثوروا وينتفضوا ، لا أن يخضعوا ويخنعوا لأى جبروت كان .

ويقول فى مستهل قصيدة « مع الأيام » :

طفـــل على غصن الحيـــاة يزقـــزق

فماذا لو قال « فرخ » بدلا من (طفل) ، والغصن أقدر على حمل الفرخ والزقزقة من صفات الفرخ ، لا الطفل .

ويقول شاعرنا :

فبكى ببسمته ، وكم من بسمة .. الدمع فى رَنَّاتها يترقـرق

وليته قال فى الشطر الثانى : الدمع فى وجناتها ـ بدلا من ـ رَنَّاتها ، حيث أن البسمة ليس لها صوت ، أو رنات ، ولكن لها اتصال بالوجنات ، والرنات لا تكون إلا فى الضحكات المجلجلة .

فطويتـــه وحملتـــه ولثمتـــه فى هدبـــه

هذا ، وإن كنا قد أبدينا بعض الملاحظات العابرة حول خفقات قلب شاعرنا ، التى أودعها صفحات ديوانه الرائع ، فإننا نطمح إلى المزيد من نتاجه الخصب ، والدواوين الممتازة المُحلِّقة .. وبالله التوفيق .

من شعر أبي طالب

دفاعاً عن رسول الله ﷺ والإسلام

للباحثة أسماء أبوبكر محمد

أبو طالب من رجال بنى هاشم العظماء ، وهو أحد الأبطال الميامين الذين ساندوا وأيدوا محمداً رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ ودعوته الصادقة الخالدة ، وأسهموا فى تثبيت أركانها ، ونشرها بين القبائل العربية ، واسمه (عبد مناف بن عبد المطلب) وهو عم رسولنا الهادى البشير ـ ﷺ ـ وكافله بعد جده عبدالمطلب منذ صباه[1] .

وفى (أسد الغابة) يروى أن عبدالمطلب لما حضره الموت جمع بنيه ، وأوصاهم برسول الله ـ ﷺ ـ فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يكفل محمد ـ ﷺ ـ فأصابت القرعة أبا طالب العم الطيب فأخذه إليه ، وقيل : بل اختاره محمد ـ ﷺ ـ على الزبير ، وكان ألطف عميه به وقيل : أوصى عبدالمطلب أبا طالب به فرعاه حق الرعاية ، وحدب عليه ، ولم يفارقه صغيراً ولا كبيراً ، ودافع عنه ، ورد محاولات قريش فى النيل منه عندما بشر بدعوته الإسلامية ، فكان له خير معين ، وخير حام بمكانته وشخصيته وشعره ، فقد كان العم الطيب ذا مكانة ومنزلة رفيعة بين قومه ، وكان شاعراً تتجلى لنا شاعريته فى الدفاع عن الهادى البشير ـ ﷺ ـ ورد قريش وتفنيد دعواهم ، وصدق إحساسه وشعوره المعبر عما يكن لمحمد ولدينه الخالد من معاضدة وتأييد ومناصرة[2] .

(١) عن مقالة للباحث العراق الأستاذ حسين الحمدانى تناولت شخصية أبى طالب ، ونشرت بمجلة العربى الكويتية عدد ١٦٧ ، أكتوبر ١٩٧٢ م .

(٢) عن كتاب (أسد الغابة) ـ ١٥/١ بتصرف من جانبنا .

وشعر أبى طالب كثير جداً متفرق فى بطون كتب الأدب والتاريخ ، ولكن الباحث يقف حائراً أمام الكلام الذى قاله ابن رشيق صاحب (العمدة) عندما قال : « فأما أبو طالب ومن شاكله فلم أذكر لهم شيئاً » وابن رشيق هو الذى ذكر فى كتابه شعراً لحمزة بن عبدالمطلب (أسد الله) ، والإمام على بن أبى طالب ، والعباس ، وعبدالله بن عبدالمطلب ، وجعفر بن أبى طالب ، والحسين بن على ، وعبدالله بن العباس ، وكثير من الصحابة !![٣] .

اتفق رجال قريش الذين ناهضوا محمداً ـ ﷺ ـ وما جاء به ، فمشوا إلى أبى طالب بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وطلبوا منه أن يسلمهم ابن أخيه (محمد) ليقتلوه ويأخذ ابن الوليد مكانه ، فقال : « والله لبئس ماتسومونني ، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ، هذا والله لايكون أبداً » فيرد عليه المطعم بن عبدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى ، وهو أحد الذين قدموا إليه : « والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً » ويقول أبوطالب لمطعم « والله ما أنصفونى ، ولكنك أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك »[٤] ولم يكتف العم الطيب فى هذا الرد ومرارة الخيبة التى ألحقها بالمطعم بن عدى وبقية الوفد ، وإنما يعرض لنا ذلك فى شعره فيقول معرضاً بالمطعم بن عدى وجماعته ويسفه آراءهم وعقولهم:

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظى من حياطتكم بَكْرُ[٥]

وبعد أن يصف (البكر) وهى من الإبل يمضى قائلًا :

أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا : إلى غيرنا الأمْرُ
بَلَى لهما أمر ولكن تَجَرْجَمَا ... كما جَرْجَمت من رأس ذى علقٍ صَخْرُ
أُخصُّ خصوصاً عبد شمس ونوفلًا ... هما نبذانا مثل ماينبذ الجمر
هما أغْمَزَا للقوم فى أخويهما ... فقد أصبحا منهم أُكُفُّهُمَا صِفْرُ
هما أشركا فى المجد مَنْ لا أباله ... من الناس إلا أنْ يُرَسَّ له ذكر
وَئِيمٌ ومَحْزُومٌ وزهرة منهم ... وكانوا لنا مَوْلًى إذا بُغِى النصر

(٣) كتاب (العمدة) لابن رشيق القيروانى ٣٧/١ (بتصرف) .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، ط : ١٩٥٥ م ، ١ ـ ٢٦٧/٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

فو الله لاتنفـــك منـــا عـــداوة ولامنهُـمُ ما كان من نسـلنا شـفْرُ
فقـد سـفُهتْ أحـلامهم وعقولهـم وكانـوا كَجَفْـرٍ بِئْسَ ماصَنَـعَتْ جَفْرُ

وتستمر قريش فى محاربة النبى ـ ﷺ ـ وتمعن فى إيذائه وتعذيب أصحابه ، وتشن عليهم حملة قاسية شعواء من الفتك والتمثيل بهم أينما وجدتهم فيخشى أبو طالب أن ينال الأذى محمداً ، ويدعو بنى هاشم ليمنعوه ويحموه وينصروه ، وقد يستجيب لدعوته الذين دعاهم ، فيقول شعراً يمدحهم فيه ، ويشيد بهم ، ويعيب قريشاً على ما ذهبت إليه من إيذاء المؤمنين الصادقين ومحاولة ردهم عن دينهم الجديد ، ويفخر بالهادى البشير ـ ﷺ ـ بين قومه ، ودفاع بنى هاشم عن قريش قبل الدعوة يقول العم الطيب :

إذا اجتمعت يوماً قريـش لمفخـرٍ فعبـد منـاف سـرها وصميمهـا
فـإن حُصِّـلت أشـراف عبد منافها ففـى هاشـم أشـرافها وقديمهـا
وإن فخـرت يومـاً فإن محمـداً هو المصـطفى من سـرها وكريمهـا
تـداعت قريش غثهـا وسـمـينها علينـا فلم تظفر وطاشـت حلومها
وكنـا قديمـاً لا نقـر ظُلامـة إذا ماثنـوا صـعر الخدود نقيمهـا
ونحمـى حماهـا كـل يـوم كريهـة ونضـرب عـن أمجادها من يرومهـا
بنـا انتعش العـود الـذواء وإنمـا بأكنافنـا تنـدى وتنْمِـى أُرُومُهـا

ولم يكتف أبوطالب بدعوة بنى هاشم والمطلب جميعاً لمساندته فى الذود والدفاع عن محمد ـ ﷺ ـ [ويمدحهم بل إنه لم يقطع فى شعره أسباب الرجاء ، أو يغلق الأبواب فى وجوه قريش فيبقى الطرفان (المعسكران) على فرقة وتناقض] فذهب إلى بيت الله الحرام وموطىء إبراهيم الخليل يستعيذ بربه من أذى المشركين وطعنهم ، ومحاولات أعدائه بث الباطل والنيل من الدين الجديد ، فيرسل لنا ماتجيش به خواطره من غيرة وحب لمحمد ـ ﷺ ـ وأصحابه ودعوته ، فى شعرٍ نابض بالحياة ، والولاء فى الدفاع عن الإسلام ، ويذكر فيه بعضاً من رجال قريش وأشرافها يستعطفهم ، ولكنه يذكرهم ـ أيضاً ـ بأنه لم ولن يتخاذل عن نصرة محمد ـ ﷺ ـ ولن يتهاون فى شىء من أمره أبداً ومن بين الذين ذكرهم مستعطفاً (المطعم بن عدى) الذى كان قد عرض به فى مناسبة سابقة فنراه يقول فى أبيات (لامية) :

ولمـا رأيـت القوم لا ودَّ فيـهـم وقـد قطعـوا كل العرى والوسـائل[٦]

(٦) المرجع السابق ، ص٢٧٢ .

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
واحضرتُ عند البيت رهطي وأخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل

إلى أن يقول :

أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو مُلح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق في الدين مالم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المُسْوَدّ إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافياً غير ناعل

.....

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل منْ مُعيذٍ يتقي الله عاذل

وبعد أن يذكر العم الطيب بعض الشعائر والأماكن وبعض القبائل ، يوجه خطابه إلى مناوئيه من المشركين وأعداء محمد ـ ﷺ ـ فيقول :

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نُبْزى محمداً ... وَلَمّا نُطاعِن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ويوجه حديثه إلى (المطعم بن عدى) ..

أمطعم لم أخذلك في يوم نجدةٍ ... ولا مُعْظِمٍ عند الأمور الجلائل

●

وعندما هاجر المسلمون الأوائل هجرتهم الأولى إلى أرض الحبشة ، وعلى رأسهم (جعفر بن أبى طالب) أرسل أبو طالب إلى النجاشى أبياتاً يحضه فيها على إكرام المهاجرين الأوائل ويبين له فيها منزلة نبى الله محمد ـ ﷺ :

ليعلم خيار الناس أن محمداً ... نظير لموسى والمسيح ابن مريم
وأنك ما تأتيك منا عصابة ... بفضلِك إلا أرجعوا بالتكرم

●

ولم تترك قريش أمر المهاجرين إلى الحبشة أو تدعهم دون أن تحاول بكل الطرق استرجاعهم

كأسرى ، وتأليب النجاشى عليهم ليطردهم من بلاده ، فأرسلت وفداً على رأسه عمرو بن العاص لهذه المهمة ، من أجل ان يسلم النجاشى المهاجرين إلى قريش ، ولكن العم الطيب يبعث له فى هذه الأبيات مناشدة كى يحضه على حسن الجوار للمهاجرين والدفاع عنهم وعدم تلبية أمر قريش :

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشى جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادى نفعها والأقارب[٧]

ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى أرض الوطن ، دخل أبو سلمة بن عبدالأسد فى جوار أبى طالب ، فأقابل قومه على أبى طالب يستردون منه أبا سلمة فقالوا له : « يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فما لك ولصاحبنا تمنعه عنا ؟! . قال : أنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإن لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توبثون عليه فى جوارة من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . فانصرفوا خشية أن يخذلهم أبو لهب ، وقل أبى لهب هذا جعل أبا طالب يطمع فيه فيقول فيه شعراً يحضه على تأييده وأن ينضم إلى جانب الحق[٨] .

إن امرأ أبو عتيبة عمه ... لفى روضة ما إنْ يُسام المظالما[٩]
أقول له ـ وأين منه نصيحتى : ... أبا مُعْتب بثت سوادك قائما
لا تقبلن الدهر ما عشت حُطّة ... تسب بها إما هَبَطْتَ المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم ... فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى ... أخا الحرب يُعْطى الخسف حتى يُسالما
وكيف ولم يَجنوا عليك عظيمة ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارماً
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... وتيما ومخزوما عقوقاً ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألْفَةٍ ... جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً ... ولما تروا يوماً لدى الشِّعْبِ قائما

(٧) سيرة ابن هشام : ط : ١٩٥٥ م ، مجلد ١ ـ ٣٣/٢ .
(٨) نفس المصدر ص ٣٧١ ـ بتصرف من جانبنا .
(٩) سيرة ابن هشام : ط ١٩٥٥ م ، ص٣٧١ .

وأخذ الإسلام الحنيف يدب دبيب النور والإشراق بين جحافل الظلام ، وانضم إليه بعض أعاظم الرجال ، ومنهم الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ولم تُجْدِ نفعاً مقاومة المشركين من قريش ومؤمراتهم ، فأخذوا يدبرون أمرا آخر للحِد من انتشار نور الإسلام وكسر شوكة المسلمين ، فقد اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً (معاهدة) يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، على أن لاينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولايبيعوهم شيئاً ولايبتاعوا منهم ، اجتمعوا على ذلك وكتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على تنفيذ هذه المقاطعة[١٠] .

فقال العم الطيب أبو طالب هذه القصيدة التى يشيد فيها بالنبى ـ ﷺ ـ وبمنزلته بين أصحابه ، ويندد بما اجتمع عليه معسكر الشرك ، ويؤكد مرة أخرى أنه لم ولن يتهاون فى نصرة ابن الأخ ، أو يسلمه لأحدٍ ينال منه ، أو يتركه بين القبائل لتنال منه أو تؤذيه ، حتى وان أدى ذلك إلى خوض غمار الحرب :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا ... لُؤيًّا وخُصَّا من لُؤي بنى كعب[١١]
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبياً كموسى خط فى أول الكتب
وأنَّ عليه فى العبادِ محبة ... ولا خير ممن خصه الله بالحب[١٢]
وأن الذى ألْصَقْتُمُ من كتابكم ... لكم كائن نحساً كَرَاغِيَةِ السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ... ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً ورمتها ... أمَرَّ على من ذاقَهُ حَلَبُ الحرب
فلسنا ورب البيت نُسْلِمُ أحمدا ... لِعَزَّاءَ من عض الزمان ولاكرب

ثم يقول :

أليس أبونا هاشم شد أزْرَهُ ... وأوصى بنيه بالطِعان وبالضربِ
ولسنا نَمَلُّ الحربَ حتى تَمَلَّنَا ... ولا نشتكى ماقد ينوب من النكبِ
ولكننا أهل الحفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب

● ● ●

ثم كان بين قريش من ضاق بصحيفة المقاطعة فسعى إلى إبطالها وتمزيقها ، فى مقدمتهم أبو

(١٠) المرجع السابق ، ص٣٥٠ ـ بتصرف .
(١١) نفس المصدر ، ص٣٥٢ .
(١٢) أى : ولا أخير وأفضل من الذى خصه الله تعالى بالحب .

البحترى ، ثم هشام بن عمرو بن ربيعة ، وانضم إليهما زهير بن أبى أمية ، والمطعم بن عدى وزمعة بن الأسود ، وقد مدحهم أبو طالب كما مدح النجاشى الذى آوى المهاجرين ، قال أبو طالب :

ألاَ هل أتـى بَحْـرِيَّنَا(*) صـنـع ربنـا ... على نأيهم والله بالنـــاس أرْوَدُ(١٣)
فيخبرهـم أن الصـحيفـة مـزقت ... وأن كـل مالم يرضـه الله مُفْسَـدُ
تَرَاوَحَهـا إفْـكٌ وسـحر مجمـع ... ولم يُلْفَ سـحر آخـر الـدهر يصـعد
تـداعى لها من ليس فيـها بقرْقـر ... فَطـائرهـا فى رأسهـا يتـردد
وكانـت كِفَـاءَ وَقعـة بأثيمـة ... لِيُقْطَع منهـا سـاعـد ومُقَلَّـد

ثم يقول مادح وداعياً للذين قاموا بتمزيق هذه الصحيفة بجزاء الله تعالى الحسن له ، ويشيد بمفاخرهم وشجاعتهم :

جـزى الله رهطـاً بالحجون تَتَـابَعُوا ... على مـلأ يهـدى لحـزم ويرشـد
قعوداً لـدى خطْـمِ الحجـون كأنهم ... مَقَـاوِلَةٌ بَـلْ هُـمْ أعـز وأمجد
أعـان عليهـا كلُّ صَـقْرٍ كأنـه ... إذا مامشـى فى رفـرفِ الدرع أحرد
جـرىء على جُلَّـى الخطـوب كأنـه ... شـهـاب بكَفَّـىْ قابسٍ يتوقـد
من الأكرميـن من لـؤى بن غالـب ... إذا سـيم خسـفاً وجهـه يتربـد

● ● ●

ويوصى العم قومه قبيل وفاته باتباع الهادى البشير ـ ﷺ ـ وتصديقه ، وعندما اشتد به المرض دعانى عبدالمطلب فقال : إنكم لن تزالوا بخير ماسمعتم قول محمد واتبعتم أمره ، اتبعوه وصدقوه وهكذا نرى أبا طالب شاعراً متمكناً يذود بشعره عن الإسلام ويدافع عن ابن أخيه المبعوث هدى ورحمة للعالمين دفاع الأبطال الميامين .

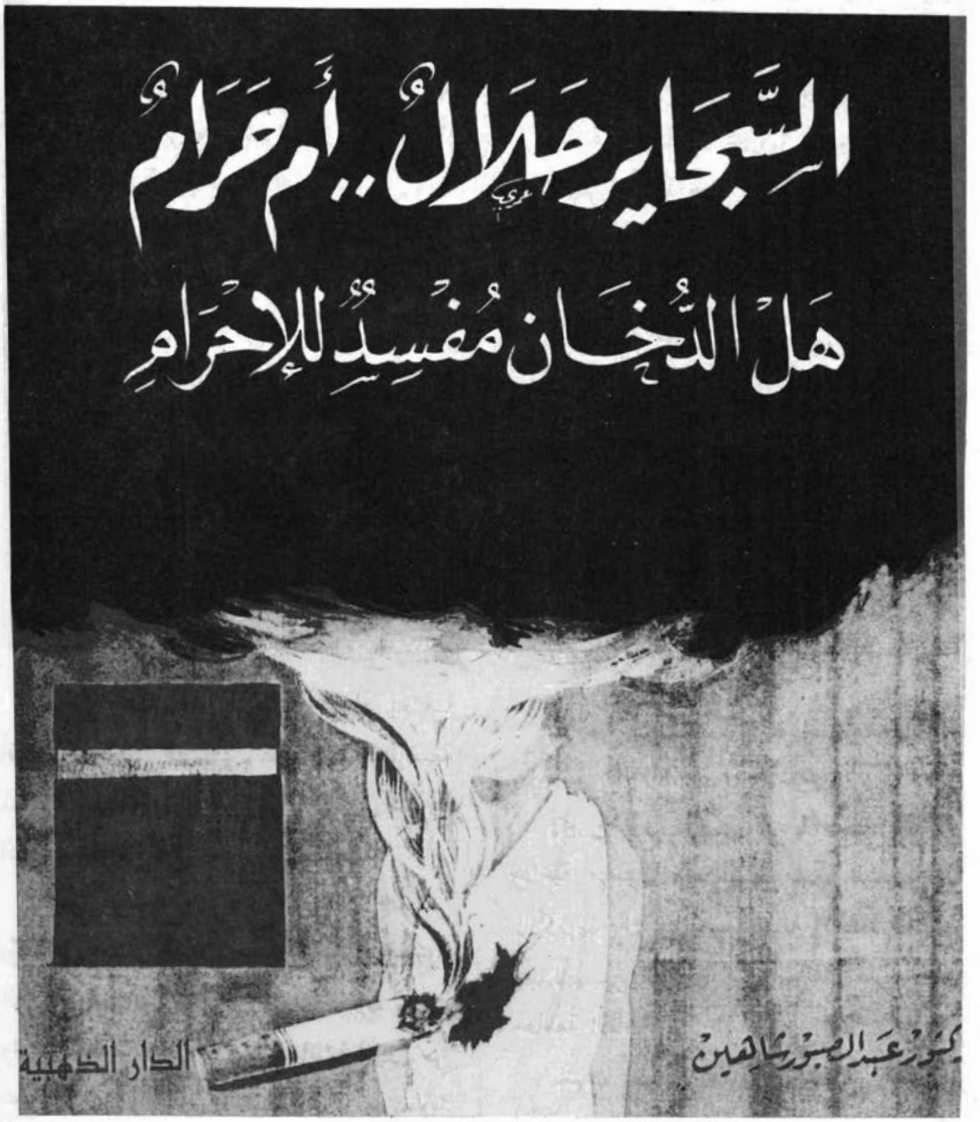
وبعد : أما آن الأوان لأن نجمع شعر العم الطيب (أبو طالب) من بطون أمهات المراجع والمصادر الأدبية والتاريخية ؟ أما آن الأوان لأن نحققه التحقيق العلمى المنهجى ؟! أما آن الأوان لأن نتناوله بالشرح والتحليل والدراسة ضمن شعر الدعوة الإسلامية ؟ نأمل أن يوفقنا المولى ـ سبحانه وتعالى ـ إلى ذلك ـ والله ولى التوفيق .

(١٣) سيرة ابن هشام ص٣٧٨ .

(١٤) راجع أسد الغابة ١٩/١ بتصرف من جانبنا .

(*) جمع الشيخ محمد خليل الخطيب ـ رحمه الله ـ شعر أبى طالب وأصدره فى ديوان تام ... مجلة الأزهر .

(*) بَحْرِيَّنَا : يقصد مهاجرة الحبشة الذين هاجروا إليها عن طريق البحر .



عرض وتقديم الأستاذ / عبد السلام ناصف

ترى :

ما لمدمنى « التدخين » يضيقون ويسخطون إذا قيل لهم : التدخين حرام .

ولماذا يثور بعضهم ــ فى غرور قاتل ومحاولات مستميتة أن يخترقوا حاجز البدعة بسوفسطائية تتلاعب بألفاظ تثير فى وجه الحرمة ماليس حراما حتى عند نفس مثيريها .

وإذا كان ضرر التدخين ليس محل شك ، فما يضير المدمنين أن يقول قائل : هو حرام .. ثم يودون أن يرسموا للعلماء منهجا لايروق إلا المدمنين .

ثم أولئك النفر من المدخنين .. الذين هم أعلم الناس بالحل والحرمة .. وفى مقدمة القدوة وأعلامها : لماذا يدخنون ؟ وهلا إذا ابتلوا استتروا .

وهلا تمثلوا قول عائشة بنت الصديق ــ رضى الله عنها ــ فى وصفها لرسول الله ﷺ فى اقتدائه بأمر الله تعالى إنه « قرآن يمشى على الأرض » .

إن الذكرى تنفع المؤمنين .

ولنمض الى الكتاب .

تعرض المجلة لهذا الموضوع الهام بعدما أفردت له بعض الصحف مساحات متواضعة لمناقشة سلبياته وآثاره غير أنها لم ترق الى الدرجة التى يستحقها .

فهو موضوع يمس مصيرى حساس يؤثر على امتثال الفرد لأحكام عقيدته ومستواه الصحى وبنيانه الاجتماعى وعلاقته بربه وأسرته ومجتمعه ولقد شارك فى هذه المناقشة لفيف من علماء الدين والقانون والطب والفكر بين مؤيد ومعارض وبين متحمس ومحايد .

غير أنهم جميعا وبلا استثناء قد أجمعوا على أن التدخين ضار بالصحة متلف للمال ، مقزز الرائحة مؤذ للجليس والمخالط ، سيء العاقبة .

وما من أحد منهم إلا ويرجو رحمة ربه أن يعينه على الإقلاع عن التدخين .

وكانت البداية فتوى شرعية لأستاذ جامعى وداعية مرموق وخطيب مفوّه مشهود له بالكفاءة والتعمق هو فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين من أساتذة دار العلوم جامعة القاهرة .

نشرتها جريدة الأخبار صباح يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ١٤١٤ هـ الموافق للثانى والعشرين من ابريل ١٩٩٤ م .

يلفت فيها نظر الحجيج إلى أمر يغفل عنه الكثير ويظنونه حلالا وهو حرام . ألا وهو التدخين أثناء فترة الإحرام .

وينصحهم بالامساك عن التدخين وهم محرمون .. فقد وجد أن هناك علاقة وثيقة بين التدخين وبين معاقرة الخمر ـ ففى كل سيجارة نسبة من الكحول نتيجة ان الدخان ينصح فى براميل محكمة منقوعا فى العصائر المتخمرة ولمدة ثلاث سنوات حتى يتحد الدخان بالكحول .. فالدخان خمر مجففة ولذلك فالحكم فى التدخين هو التحريم وإذا دخن الحاج المحرم بطل إحرامه وإذا كان الإحرام يحرم بعض الحلال فكيف لا يحرم الحرام .. ؟!

ولقد ألزم نفسه بتوضيح أسباب (تحريم التدخين) بأدلة وبراهين نجملها فيما يلى :

أولا : ما ثبت من أن التبغ الأخضر يتم إنضاجه فى نقيع من عصائر الفاكهة التى تُعتّق فى أوانى محكمة الاغلاق لنحو ثلاثة أعوام لإتمام عملية التشبع الكامل بالكحول وبالنيكوتين لونا ومذاقا وهذه حقيقة تُفسر سهولة اشتعال « السيجارة » واستمرار هذا الاشتعال وتأثير ذلك يصل إلى الدورة الدموية مباشرة عبر حويصلات الرئتين والكحول عنصر قطعى التحريم .

ثانيا : أن النص القرآنى بتحريم الخبائث ينطبق على التدخين باعتباره من أنكر الخبائث وسبب كل إدمان وهو بهذا محرّم بنص القرآن .

أما ما أشيع ـ خطأ ـ عن اعتبار التدخين مكروها لعدم الاحساس بتأثيره المسكر أو « المغيب » فيؤخذ على مروجيه أنهم يكارهون الله فى كل لحظة يشعلون فيها « سيجارة » .

فالكراهة كانت من سبيل المجاملة لمدمنى التدخين أو دفع الحرج أو الإحساس بعمومية البلوى ... إلخ .

حيث يمثل الدخان مصدراً من مصادر الجمارك .

أما ما يقال عن أضرار السمن والسكر واللحم ـ فالضرر ليس ناشئا عن ذات هذه المواد وإنما عن خلل فى بعض وظائف جسم متناولها ولذا فهى إن لم تصلح لفرد تصلح لآخر ومن ثم فلا يمكن إخراجها من تصنيف « الطيبات » وإدراجها فى « الخبائث » .

أما عن لحم الخنزير فتحريمه القطعى تشهد به جامعات الدنيا فأحدث الكشوف العلمية بجامعة « لبون » بباريس تقرر أن تناوله يعجل بتدمير الأجهزة الهضمية والعصبية للإنسان كما تثبت بحوث (كومبيصل) بالاسكندرية أن لحم الخنزير ينال من فحولة الرجال .

ويؤكد فضيلته أن للدخان سبيلين إلى الخمر .

الأول : إتحاد التبغ مع العصائر والخمائر حتى درجة التشبع لتصير لفائفه هشة مشحونة بالسموم والكحول مما يساعدها على الاشتعال .

الثانى : إضافة مركزات « النيكوتين » لزيادة درجة إدمان المدخنين فقد اتضح للجنة التحقيق التى شكلها الكونجرس الأمريكى أن

هنـاك (٥٩٩) مادة كيميائيـة من بينها « الخميرة » و « الخمر WINE » و « النوشادر » ومركزات « النيكوتين » وبعض مبيدات حشرية .

ولعلنا جميعا نؤمن أن إضافة الخمر لصناعة الدخان فيه حرمة واضحة كما أن تعرض لفائف التبغ لحمامات الخمر لتنديتها تزيد من درجة امتزاج الدخان بالخمر ـــ مما يؤكد حرمته .

وإذن فالمسألة ليست هوى يُفْتَى به وإنما هو دفاع عن الدين وعن أمة الإسلام ، فالدخان حيث هو من الخبائث وهو محرم لقوله تعالى ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ (الأعراف ١٥٧) .

أما جزئية الخمر فيه فمحرمة بنص القرآن فى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ ، سورة المائدة

ويؤكد فضيلته أن الدخان خمر بل أبشع منه لأنه يدخل إلى الحويصلات الهوائية مباشرة فأثره مباشر على الدورة الدموية التى يخترقها ومن جهة أخرى فالتدخين إيذاء للمخالطين .. مما يجعل التدخين سلوك غير إجتماعى ويعدد فضيلته أكثر من ستين مرضا تسببه هذه السموم .

وبعد :

فإننا مع الدكتور المؤلف فى إتجاهه إلى أن يصدر التحريم عن مصدر فقهى أصولى (ص ١٥) يَعُمَّ به الحكم وترتفع به البلوى .

أما ما جاء فى الكتاب ص ١١ :

« وإذا دخن الحاج المحرم بطل إحرامه » فهو حكم لا نوافقه عليه .. ومثل هذا أيضا يجب أن يرد إلى مصدر فقهى أصولى ليقرر شأنه .

ونحمد للمؤلف توثيق مادته بنشر القائمة السرية الطويلة التى أعدتها شركات التبغ بالمواد القاتلة بناء على طلب الكونجرس الأمريكى . وهذا نصها والمنشور أصلا بالكتاب ص ٣٣ ، ٣٤ ثم نص الوثيقة عن مشتملات التبغ من النيكوتين والزفت والقطران والخمور المنشورة أصلا بالكتاب ص ٣٥ .

القائمة السرية الطويلة

التى أعدتها شركات التبغ بالمواد القاتلة بناء على طلب الكونجرس الأمريكى وبثتها عدة وكالات عالمية للأنباء

واشنطن ـ أذاعت مؤسسات صناعة التبغ القائمة السرية الطويلة لـ ٥٩٩ مادة مضافة إلى التبغ أثناء صنع السجاير .. وذلك أثناء جلسة خاصة بالكونجرس الأمريكى .. وكانت قد وجهت اتهامات إلى صناع التبغ بالتلاعب بمستويات النيكوتين لإيجاد حالة من الإدمان عند المدخنين ..

وقد احتفظت صناعة التبغ بهذه القائمة سراً لفترة طويلة .. ويقول القائمون على صناعة التبغ : إن هذه المواد لا ضرر منها على صحة المدخنين [وهذا يخالف ما يعلنونه جميعاً على صفحات الصحف والمجلات وكل وسائل الإعلام من ضرر التدخين] ولكن النائب الديمقراطى عن كاليفورنيا (هنرى واكسمان) يشكك كثيراً فى هذا الادعاء ، ويطالب بفحص المواد الـ ٥٩٩ بواسطة (خبراء سموم) لا يعملون بشركات التبغ ، ويعلن أنه لا يثق فى حكم خبراء شركات التبغ بسلامة هذه المواد المضافة إلى التبغ .. ويضيف السيناتور :

« إن شركات التبغ ظلت تكذب على المستهلك على مدى السنين مدعية أن السجاير تساعد على الاسترخاء .. فلماذا نصدقها عندما تدعى أن هذه المواد غير ضارة ، وأنها لا تتلاعب بمستويات النيكوتين فى السجاير لإيجاد حالات إدمان عند المستهلكين » .

ولقد أعلنت شركة (رينولدز للتبغ) أن ٩٨٪ من هذه المواد موافق عليها من « منظمة الغذاء والدواء » الأمريكية ، وأذاعت بياناً من ستة علماء يشهدون بسلامة المواد المضافة إلى الدخان .. يأتى هذا الصراع فى وقت يحتدم فيه الهجوم على هذه الصناعة بشكل لم يسبق له مثيل .. فالأماكن التى يمنع فيها التدخين .. سواء فى القطاع العام أو القطاع الخاص فى ازدياد مستمر .. والكونجرس يطالب برفع الضرائب على التبغ لتمويل الخدمات الصحية أمام ضرر التدخين المستفحل بشكل خطير .. ويأتى الآن مستر واكسمان ليطالب بإدراج مادة التبغ على قائمة المواد الممنوعة لأنها تسبب الإدمان .. وفيما يلى بعض الأمثلة من القائمة السرية الطويلة :

١ ـ ميجاستيما ترينون .

٢ ـ ديهيدرو منتو فيولاكتون .

٣ ـ إيثيل فيوروات .. وهذا يسبب ضرراً بنسيج الكبد .

٤ ـ ماليتول .

٥ ـ سكاربوليد .

٦ ـ خلاصة التبغ .. وتستعمل لزيادة النكهة .. وبالطبع تحتوى على كميات أخرى من النيكوتين .

٧ ـ النشادر .

٨ ـ الميثوبرين .. وهو مبيد حشرى يعمل على إيقاف نمو الحشرات .

٩ ـ الخميرة .
١٠ ـ الخمر .
١١ ـ الكافيين . شمع العسل .
١٢ ـ البيتاكارونين .
١٣ ـ الشيكولاتة .
١٤ ـ زيت جوز الهند .



نص المقال « الوثيقة » عن مشتملات التبغ من النيكوتين والزفت والقطران و « الخمور »

Cigarette makers release ingredients

Compiled from news services

WASHINGTON—The tobacco industry Wednesday made public a long-secret list of 599 cigarette ingredients as a key U.S. Congressional critic released a report that he said bolsters charges the industry manipulates nicotine levels to hook smokers.

The tobacco industry, which for years had closely guarded the chemical lists as a trade secret, released the list of chemicals and said independent experts had deemed them safe in the quantities used.

But California Democrat Henry Waxman, who is having the chief executive officers of the leading U.S. tobacco companies give unprecedented testimony in his House Health and the Environment Subcommittee Thursday, said he does not trust the industry's assertions on the safety of its ingredients.

"The list is one that we will have to have really independent toxicologists review," Waxman said. "I wouldn't trust these so-called independent experts the tobacco industry has paraded out to the public and the Congress over the years to tell us things like tobacco smoking is really good for you because it relaxes you, or there is no connection between cigarette smoking and addiction, and of course their latest one that they don't manipulate the nicotine levels."

According to a statement from R.J. Reynolds Tobacco Co., one of the leading cigarette makers, 98 percent of the ingredients are approved as food additives by the Food and Drug Administration and all the ingredients "are not hazardous under the conditions of use."

It also released a report by six scientists attesting to the safety of the ingredients and said news reports last week about potentially unsafe ingredients included chemicals that are not used at all by the major cigarette makers.

The renewed controversy over cigarette ingredients comes as the industry is under ever-stronger attack and smokers face greater social disapproval. Smoking bans have become more common in both the public and private sectors, tobacco taxes are being widely discussed in Congress as a means of financing health care reform, and Waxman and other lawmakers have called for government regulation of tobacco products.

■ Megastigmatrienone: a flavoring tobacco companies contend is found naturally in grapefruit juice and considered safe by the food industry. The U.S. government's Food and Drug Administration couldn't confirm that.

■ Dehydromenthofurolactone: a flavoring tobacco companies say is found in peppermint and considered safe by the food industry. FDA couldn't confirm that.

■ Ethyl furoate: found naturally in coffee, kiwi and peanuts. FDA hasn't formally ruled on the issue, but said the food industry considers it safe. But a toxicologist last week said the chemical can cause liver damage in laboratory animals.

■ Maltitol: a sweetener used in chewing gum and diabetic candy. The food industry considers it safe, but FDA hasn't ruled on a petition questioning the safety.

■ Sclareolide: a synthetic form of a naturally occurring tobacco element. The food industry considers it safe.

■ Tobacco extract: used to boost flavor of reconstituted tobacco; companies say it does contain a small amount of nicotine.

■ Ammonia: a processing aid. FDA considers certain forms of ammonia safe in foods but couldn't comment on the type in cigarettes.

■ Methoprene: an insecticide that toxicologists say is biodegradable and works by stopping insects from growing to adulthood. Tobacco companies say FDA allows it in dried fruits, but FDA couldn't confirm that.

More common items added to cigarettes:

—Yeast
—Wine
—Caffeine
—Beeswax
—Beta carotene
—Chocolate
—Coconut oil

نص المقال « الوثيقة » المنشور بجريدة (العالم) الأمريكية
والتى تشتمل على بعض ما تضيفه صناعة الدخان إلى التبغ
وفى مقدمة هذه المكوّنات : الخمر

الإسلام كبديل



د. مراد هوفمان
سفير ألمانيا - بالرباط

عرض وتقديم
الأستاذ/
عادل رفاعي خفاجة

مؤسسة باقاريا
مجلة النور الكويتية

برغم ما شنَّهُ الغرب على العالم الإسلامي من حروب متتالية سواء فى الشرق الأوسط ، أو فى البلقان ، أو فى شمال افريقيا والهند وبرغم ما يشنه ـ حتى الآن ـ من حروب اقتصادية أو عسكرية ـ حسبما تمليه طبيعة الموقف ؛ فإن العالم الغربى لم يحفل بمعرفة كنه الإسلام وهناك من ينبرى ـ فى الوقت نفسه ـ لتشويه صورة الإسلام أو على الأقل يسعى لتعتيم صورته ؛ ليبقى محتجبا فى الشرق بعيدا عن عقول الغربيين وبعيدا عن المنصفين من مفكريهم .

ولعل كتاب «الإسلام كبديل» لمؤلفه د/مراد هوفمان سفير المانيا ـ بالرباط ـ محاولة لرفع هذا الحجاب عن الشرق أو بمعنى أدق لرفع الحجاب عن الإسلام ، الذى يدين به الشرق.

وقد تقدم لنا عنه حديث نتمه فى هذا الجزء .

السماحة والتسامح أم العنف ؟

فى هذا الجانب يقرر المؤلف أن الإسلام هو دين السماحة المطلقة بلا منازع ، وأن هذه الحقيقة يصعب على الغرب تصديقها !!

ويبرهن على ذلك أنه فى حين تزعم العقيدة الكاثوليكية أنه (لا خلاص بدون الكنيسة الكاثوليكية) فإننا نجد القرآن يقرر أن اختلاف البشر أمر طبيعى فيقول :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا .. ﴾

الآية ٤٨/المائدة

ثم يذكر عددا من آيات القرآن الكريم التى تدور حول سماحة الإسلام وعدم الإكراه فى الدين . غير أنه فات المؤلف ، أن النجاة فى الأخرة وقف على الايمان الخالص بالله وحده .

مبرهنا ص١١٦ على أن الإسلام لا يرضى التبشير العدوانى على غرار الارساليات النصرانية .

ثم يتساءل : ما العمل إذا كفر المسلم ، أو ارتد عن الإسلام اليوم ؟ وهو يعتقد ـ وهذا خطأ ـ أن من يرتد اليوم عن الإسلام فهذ شأنه ، ولا يجب قتله ، وأن ردته لا يجب أن تتساوى مع هؤلاء الذين ارتدوا أيام أبى بكر رضى الله عنه ؛ لأنه إنسان مسالم فارتداده نوع من رفض الهداية التى لا تصل الى درجة الكفر !! وهو فى ذلك يستند إلى أنه لا يوجد نص فى القرآن الكريم كحد للمرتد ، وفات المؤلف أن الحديث النبوى الصحيح تشريع مقرر بنص القرآن الكريم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

النور ٥٦

وهناك أكثر من حديث نبوى شريف يبين أن القتل عقوبة المرتد .

وكم نأسف لعدم رجوع المؤلف إلى أحاديث رسول الله ﷺ وهو يعلم أنها مصدر له أولويته فى التشريع ، وقد ورد فى ص ٤٣ من هذا الكتاب ما يلى : « ... فضلا عن أن القرآن ليس وحده الأساس المحتكم إليه فى فهم الإسلام ؛ لأن الرسول ﷺ أوتى القرآن ومثله معه ، أى السنة النبوية التى تشرح فيما تشرح المجمل وغير المجمل فى القرآن ، لِيَفْقَهَهُ المسلم ، فالسنة هى المصدر أو النبع الثانى الذى لا غناء للمسلم عنه ، وكذلك لمن يريد فهم القرآن والإسلام » .

وقد قال ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود .

ثم يتساءل مرة أخرى :

إذا كانت هذه هى سماحة الإسلام ، فأين هذا التسامح عمليا ؟ ويستطرد :

أليس الإرهاب العربى الفلسطينى انتقاما مستضريا يستبيح دم الضحايا أرضا وبحرا وجوا دون تفرقة بين ضحاياه ؟!

ثم يجيب عن ذلك بأن هذا الإرهاب تحكمه عوامل مختلفة منها المحلى والسياسى .. ولكن الإسلام برىء من الإرهاب .

ثم يضرب أمثلة للإرهاب فى مناطق مختلفة من العالم مثل « جماعة التحرير الدينى لجنوب أمريكا » وأعضاء « جناح الجيش الأحمر » الألمانى وحزب « التعامل مباشرة : إكتسيون ديركت » فى فرنسا و« الهيئات الحمراء : بريجاته روسّي » .

ثم ينهى المؤلف هذا الفصل بأن التسامح فى الإسلام مبدأ يشمل المسلم وغير المسلم .

ملكية وراثية ، أم جمهورية ؟!

وفى حديثه عن شكل الحكم فى الإسلام :

يرى أن الفروض المبنية على « لو » مثل : لو كان كذا لكان كذا ، وماذا لو كان كذا ؟ ... إنما هى من سفسطة القول ومن ثم يكف فى هذا الجانب عن سفسطة القول وعن تساؤلات « مثيرة للدوار » .

ثم يوضح المؤلف مجاهدة النبى ﷺ لاستئصال شأفة العصبية الجاهلية التى استبدت بالناس فى أحلاف قامت على الدم حتى ألغاها ؛ فأصبح الرسول ﷺ قائدا لكافة الأحلاف غير المرتبطة بوشائج القربى والدم فى المدينة(*) ، وأصبحت أخوة الإيمان أولى من أى علاقة أخرى .

بقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ الآية ١٠٣/آل عمران .

ثم يقدم بعد ذلك بعض الفروق بين أهل السنة والشيعة ويختتم هذا الفصل بقوله :

« أخيرا ، فانه ينبغى علينا التنبيه إلى أن المسلمين من أهل السنة يحبون النبى ﷺ ويحبون عليًا ـ رضى الله عنه ـ كل الحب ، ويجلونهما كل الإجلال وذلك فى حدود الإطار الذى فرضه الإسلام ، وارتضاه نبى الإسلام ، لا الحب والإجلال المفرط المؤدى إلى التقديس والتألية ، وحسبك أن الله أمر الرسول ﷺ أن يقول : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فصلت/٦ .

وبهذا يتبين : أمام أتقى الاتقياء ، والغالى الضال المضل على السواء : حدود الحب والإجلال ، التى لا يجوز تخطيها بحال من الأحوال » .

وفى الفصل العاشر :

الدمج المتساوق أو : الدولة فى الإسلام

يرى المؤلف أن الدولة فى الإسلام هى ذلك الدمج بين الدولة والدين فالدولة يحكمها الدين ، والدين ينظم الدولة . كنظام يختلف عن النظام الديمقراطى الذى يرى أن فصل الدين عن الدولة فصلا تاما شرط أساسى لابد من توافره لإقامة نظام ديمقراطى حقيقى شرعى دستورى .

لذا أرى ـ أى كاتب هذه السطور ـ أن موقف الغرب من عقيدته يدل على إيمان مواطنيه بأن عقيدتهم المتداولة بينهم لا ديمقراطية فيها . ولكن ما علينا .. فلنعد إلى فكر المؤلف الذى يرى أن الإسلام يقدم نموذجا تمحَّى فيه الفواصل بين الدين والدولة فى نطام حكم قائم على الديمقراطية كذلك .

وبهذا يملأ الإسلام حياة الإنسان أو يحتويها بكافة نواحيها .

ثم يوضح أن هناك ثلاثة عناصر يمكن استخلاصها بشأن ماهية الدولة ، وهى :

١ ـ مبدأ القيادة الفردية : أى أن الحاكم ليس لجنة .

* فى هذا التعبير للمؤلف تجاوز فإن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مدح الحلف الذى يقوم على نصرة الضعيف والعمل بالحق والانصاف فأما ما كان من حلف على الطريقة الجاهلية فقد ألغاه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال : « لا حلف فى الإسلام » رواه البخارى

٢ ـ مبدأ الشورى : وهو يتيح ويُخوِّل للحاكم مباشرةِ السلطات التنفيذية والتشريعية على أساس الشورى .

٣ ـ مبدأ الإسلام دينا رسميا للدولة : كون الحاكم مسلما ، ومصدر التشريع القرآن .

[وكان ينبغى هنا إضافة السنة إلى هذا المصدر الكريم ، وما ترتب على ذلك من اجتهاد يواكب العصر] .

ثم يتساءل فى نهاية هذا الفصل : ما التصور المحدد للدولة الذى يراه ويريده أولئك المطالبون بالإسلام دينا ودولة ؟ خاصة أنهم خلعوا على الإسلام فى العالم العربى وجها سياسيا واضح الملامح ؟.

ثم يجيب عن هذا التساؤل قائلا :

« ... إن الذين وراء تلك الحركات الإسلامية يبتغون ـ بالتأكيد ـ إعادة تحقيق الكرامة لشعوبهم ، وتحقيق استقلالها السياسى والثقافى والاقتصادى استقلالا تاما عن قوى الاستعمار القديم والحديث ، لكنهم ينبذون عن غير قصد ـ نبذا يكاد يكون تاما ـ المكاسب الديمقراطية أو صيغ الديمقراطية الغربية والتى كانوا قد عرفوها منذ عهد الاستعمار ـ سابقا ـ بصفتها أداة القمع الاستعمارى ، ووسيلته فى تشويه الإسلام ، وتنصير غير النصارى تنصيرا لا يتورع عن شىء ، كما عرفوها ـ أيضا ـ وسيلة قائمة فعلا فى التمهيد للإلحاد .

فى معترك هذا التوجيه الارتكاسى تتعاظم أهمية الإسلام وتزداد ، ليس نقط ؛ لانه يخدم قضايا وضع الحدود المميزة الفاصلة عن الغرب ، واكتشاف الملامح الذاتية ومقومات الشخصية والهوية الإسلامية ، واستعادة الكرامة واحترام الذات .

وإنما لأن الإسلام اليوم أكثر من أى وقت مضى ، يبين الطريق الثالثة ، بين الطريقين الرأسمالية والاشتراكية التى يجب أن تُسْلَك للخروج من وهدة الارتكاس إلى الاستقلال الفكرى الحضارى ، قولا وعملا .

وفى الفصل الحادى عشر :
المعاملات الاقتصادية الإسلامية :

يوضح المؤلف أن الأسس الاقتصادية المذكورة فى القرآن كافية لاقامة أهم الإطارات والشروط الاقتصادية التى يجب توافرها فى كل نظام اقتصادى إسلامى .

هذه الأسس :

احترام حق الملكية الخاصة .

التزام المسلم بأن يسعى سعيا شريفا ، باسهامه فى العمل المنتج ، ويشمل هذا التجارة المستهدفة للربح فى إطار الأسعار الحرة التى تسمح بها الاسواق غير الاحتكارية .

على الدولة أن تشرع القوانين اللازمة لمنع الاحتكار والغش(*) .

المسلم مطالب بالاعتدال .

* مسألة التسعير فى الإسلام بالنسبة للحكومة غير مطلقة .

ثم يذهب الى القول بأن علم الاقتصاد الإسلامى الحديث بدأ فى التخطيط والتصميم لإقامة نظام اقتصادى إسلامى مميز ، بمهمة كبير إلا أن النجاح المرتقب لم يتحقق إلا بصورة ضئيلة جدا .

ويرى المؤلف أن قيام النظام الاقتصادى الإسلامى المثالى ، يحتم وجود الأمة الإسلامية لمثالية مسبقا .

ويعلق فى جانب الربا وهو محرم قائلا :

« ... بالرغم من تحريم شريعة موسى للربا ، وبالرغم من تحريم عيسى له ، وبالرغم من تحريم القرآن له تحريما صارما .. إلا أننا نرى العديد من الدول الإسلامية لا يتورع عن ايداع طائل الثروات فى البنوك الغربية بالفوائد المغرية » .

ويخلص فى النهاية إلى أن المطلوب لنجاح هذا النظام هو كفاءة وقدرة سوق رأس المال غير ذات الفوائد أو الأرباح على القيام بحشد رأس المال وتوجيهه الى المشاريع المربحة الطيبة الريع .

ثم ينهى هذا الفصل بتساؤل :

أما آن لفرد واحد أن يهتدى إلى نظام اقتصادى حقيقى فعَّال ، سداه ولحمته هَدى الإسلام وأخلاقياته ، اقتصاد إنسانى ؟!

وفى الفصل الثانى عشر :

الإسلام والبيئة :

وقد تضمن هذا الفصل قضية البيئة وتلوثها ، ومناداة الغرب بالحفاظ على البيئة ، وتناول المركز الإسلامى فى « آخن » فى مايو ١٩٨٩م هذه القضية بالدراسة التى أوضحت حرص الإسلام على البيئة وعدم الإفساد فيها ، ويخلص المؤلف إلى أن حل مشكلة التلوث لا يتأتى باتباع المنادين بالرجوع إلى الطبيعة مثل « هولجر شلايب » ، وغيره ، ولن يتأتى بالرومانسية التى يروج لها ساسة الخضر ؛ ذلك أن العواقب الوخيمة لتجاهل وجود الله أخطر ما يتهدد الطبيعة . ولا يدفع هذا الخطر عنها تأليه البعض لها والتغنى بحبها .

إن إنفاق الطبيعة يتطلب تغييراً جذرياً تاماً لن يتسنى له النجاح إلا إذا فهم المسلم أنه عبد لله ، بكل ما فى الكلمة من معنى .

ولعل ذلك ما أدى إلى دخول أفواج من الخضر فى الإسلام . وفى ذلك يقول المؤلف :

« هكذا تدخل أفواج من الملتمسين الاصلاح فى السياسة التى ينادى بها الخضر ، فى الإسلام ، بعدما تيقنوا أن الحل البديل الذى تصوروه ليس البديل المأمول ، وبعد أن أسلموا أنفسهم للخوف من الخوض فى مغامرتهم حتى النهاية ، بشكل يكاد يكون حتمياً ومضحاً .. فإذا كانت مخاوفهم بادىء الأمر عَرَضاً مرضياً لأزمة القيم فى المجتمعات الغربية ، فقد تبدلت تلك المخاوف ذاتها إلى حوافز قوية باحثة عن السلام ، فى الخشوع لله ، باعتناقها للإسلام ديناً ، ففيه ضالتها وهداها .

وفى حديثه عن التصوير والفن فى الإسلام :

يوضح المؤلف فى هذا الفصل أن اتخاذ العرب ـ قبل الإسلام ـ الأصنام آلهة ، هو ما يجعل الإسلام يحرم التصوير .

أما ما يتخذ للعب الأطفال فلا يدخل فى هذا التحريم ، خاصة أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تلعب فى صباها وأول عهدها بالزواج

بعرائس ، ولم يحرم الرسوم – صلى الله عليه وسلم – ذلك .

ثم يقول « وازدهار فن الخط والزخرفة وفن العمارة الإسلامى كذلك ، حقائق تشهد بتشجيع الإسلام للفن الراقى الرفيع » .

إن أى دين يؤمن بالحياة الآخرة بعد الموت ، كالإسلام لا يرضى أو يشجع التطور الفنى إذا كان سادراً مطلق الحدود غير ملتزم مثل مذهب « الفن للفن » ؛ فوقت المسلم محسوب عليه ، وليس له أن يضيعه هباء فى غير جدوى .

لذا ، فالفن الإسلامى ينبثق من رؤية دينية معينة وهذا ما يشكل الملمح الفارق الذى يجعله فريداً فى نوعه ، أو يجعله نسيجاً وحده .

وفى فصله عن « علم الفقه فى الإسلام »

أشار إلى أهم ثلاث مدارس للقانون وهى : الرومانية والانجلوسكوسونية والإسلامية ، ورأى أن مدرسة القانون الإسلامى استقرت فى القاهرة حيث نبغ الإمام الشافعى (٧٦٧ – ٨٢٠) .

ثم أوضح أن الشعور الضخم بالمسئولية أدى أحياناً بالزج بعلماء الفقه الإسلامى فى السجون مثل : الإمام أحمد بن حنبل ، ثم يقول :

ان تلك المنزلة لا يمكن أن تقارن بمنصب الأسقف الألمانى مثلاً ، ولكن لنا أن نقارنها بسلطات قاضى المحكمة العليا فى الولايات المتحدة الأمريكية .

هذه الظاهرة يمكن أن تلاحظها فى كفاءة الفتاوى التى يصدرها شيخ الأزهر أو المفتى فى المشاكل الحديثة مثل « إعارة الأمومة » .

وعن المذاهب الأربعة يقول :

« إن نشأة المذاهب الفقهية لم يكن بحال من الأحوال عرضاً مرضياً من أعراض الطائفية والتشيُّع فِرقاً ، وإنما كان ولا يزال دليلاً قاطعاً على الحيوية والسماحة اللتين صبغتا الفكر الجمعى الخلاق فى الإسلام والذى تمثله وأخرجه للناس إخراجاً عبقرياً الراسخون من الفقهاء ، مثل : أبو حنيفة – ومالك – والشافعى – وابن حنبل – رضى الله عنهم أجمعين – .

وفى الفصل الخامس عشر :

حقوق الإنسان فى الإسلام :

يقرر المؤلف أن المعَّول عليه فى قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله : فإذا أنكر امرؤ وجود الله ، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته ، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حينا من الدهر .

بيد أن العصر الحديث شهد صياغة أخرى لحقوق الإنسان تتمثل فيما ينبغى على الدولة عمله لتضمن لكل فرد عملاً وسكنا ورعاية صحية ، والاستمتاع بالطبيعة ، وبحظه من الحياة ... إلخ .

لقد أدى هذا إلى الإفراط والتضخم فى حقوق الإنسان وإلى توسيع رقعة اختصاص الدولة .

ونرى فى أيامنا هذه من يطالب بأن يكون هناك « حق أساسى فى الخوف » ويتلو هذا الحق حقوق أخرى ، ولا عجب .

إن الإسلام برىء من هذا العبث ، علماً بأنه من أسبق الأنظمة الشامة لحقوق الإنسان .

والحقوق فى الإسلام كلها سواء ، لا تفريق فيه بين أولوية أحدها على الآخر ؛ فالحق حق . لهذا لا تنفرد حقوق الإنسان فى مراجع مستقلة .

ويختتم المؤلف هذا الفصل بقوله :

بعد كل هذا يتبقى أن نعيد أنه لا تعارض أو تناقص فى الجوهر بين الإسلام وبين مبادىء حقوق الإنسان ، بل العكس يجب أن يذكر ، لبيان عظمة الإسلام بوصفه نظاماً شاملاً متكاملاً فى احترامه لحقوق الإنسان وتأكيدها .

وفى الفصل السادس عشر ـ المرأة فى المجتمع :

يصدر المؤلف هذا الفصل بتصوير « فرجيل غيورغيو » لمكانة المرأة العربية فيقول :

« المكانة التى تحظى بها المرأة لدى العربى ، لا تكاد تحظى بها لدى سواه من الرجال على ظهر هذه الأرض » .

ثم يعقب بعد عدة براهين وطول شرح ـ بقوله :

هل يبقى بعد ذلك مجال لامرىء فيظن ظناً أن أولئك العرب الجاهليين كانوا يحقرون المرأة ويمتهنونها قبل الإسلام ؟

ثم يتناول موضوع « تعدد الزوجات » ، وأن هناك استثناءات يجوز فيها التعدد : كحالة الحرب وسقوط غالبية الرجال صرعى[1] .

لذا يرى أنه ليس تعدد الزواج ـ دائماً ، وفى كل حالة ـ منافياً للقيم والعادات حتى فى نظر القانون الألمانى اليوم ؛ لهذا فإن اتهام تعدد الزوجات فى الإسلام اتهاماً مطلقاً غير أخلاق اتهام باطل ، بل إنه يدل على عدم البصر أو قصر النظر .

وبعد عرضه لعدد من القضايا التى يلوكها المستشرقون ويهاجمون بها الإسلام يقول ص ٢٠٥ :

على أننى أخشى أن هذا الباب الذى يعالج (وضع) المرأة فى الإسلام لن يجد قبولاً على الاطلاق لدى بعض القراء الأوروبيين ؛ لأنه لا يوائم روح العصر الذى يسود ... وماذا عسى فلسفة الأخلاق (الملتزمة) المقيدة للإباحة الجنسية أن تبلغ أو تنشد فى عالم سادر لا يعرف محركاً أو ممنوعاً فى هذا الميدان ؟![2] .

ويختتم هذا الفصل بقوله :

« إن الإسلام ليس موجةً فى (الموضة) أو اتجاهاً إن الإسلام لقادر على الانتظار والانتصار » .

وجاء فى الفصل السابع عشر :

« الشرق من وراء حجاب »

حيث يذكر المؤلف عدداً من المستشرقين الذين يرى أن جهودهم ساهمت فى التعرف على صورة أوضح للشرق والإسلام ، فذكر منهم : « كارل بروكلمان » ـ « ألفريد فون كريمر » ـ « أوجست ميللر » ... إلخ .

كذلك يذكر عدداً من الذين تناولوا الإسلام من وجهاتهم الشخصية ـ كالتنصير مثلاً ـ مثل : « سير هملتون جب » .

(١) فى الواقع إن الإسلام لا يبيح التعدد عند هذه الحالة فقط ، إنما يفرض الإسلام وجود العدالة بين الزوجات ، وبخاصة العدالة المادية ونحوها .

٢ـ لعله ـ وهو يقول : « لا يوائم روح العصر الذى يسود » يريد لا يوائم أولئك القراء الأوروبيين المتعصبين ضد الإسلام .

وعن صورة الشرق يقول المؤلف ص ٢١٤ ، ٢١٥ :

« فى وسط هذه الصورة عن الشرق تبرز صورة النقاب أو الحجاب الذى يُبرز وجود المرأة المسلمة بالفعل فى الشرق ، وهذا ما يأباه الغربى ؛ لأنه مخالف لتصوره عن الشرق الغارق فى الملذات ، فالحجاب نقيض تصور الغربى ؛ لأنه دليل على العفة التى تريد المرأة إبرازها وتأكيدها ، ورمز للالتزام الخلقى الذى لا يسمح للغرائز الجنسية أن تتبرج كما يحلو للبعض أن يراها ويعيشها فى الغرب ، أو قل : لا يريد الغرب أن يفهمها ، فضلاً عن أنه لا يريد أن يعترف للإسلام بأنه دين يدعو للفضيلة والأخلاق الحميدة ... »

ثم يتكلم عن أزمة الحجاب التى حدثت فى فرنسا سنة ١٩٨٩م وينهى هذا الفصل بقوله ص ٢٢١ :

« ... إن تلك المسلمة ذات الخمار أو الحجاب إنما تريد أن تقول لمن حولها فى البيئة التى تعيش فيها : « أيها الناس ! إننى امرأة لى كرامتى ، عليكم أن تأخذونى مأخذ الجد ، وليس لكم أن تنظروا إلىَّ أو إلى ساقىَّ نظرة رخيصة خبيثة » .

وفى الفصل الثامن عشر :

القانون الجنائى أو رجم الأميرة .

يستهل المؤلف هذا الفصل ببيان سبب إفراد فصل فى هذا الكتاب للحديث عن المسائل الجنائية . وأن هذا السبب إنما يكمن فى شغف الإعلام الغربى بتصوير الإسلام وكأنه يسعى سعياً إلى قطع يد السارق ورجم النساء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ثم يبيِّن مغالطة هذا الادعاء . فيقول :

« ... أنىَّ (للمتهم)[1] أن يأتى بأربعة شهود ممن ترضى شهادتهم من العدول الرجال ليؤيدوا دعواه ، مع مخاطرة أولئك الشهود بتعرضهم للجلد ... ويكفى لذلك ثبوت كذب واحد من الشهود الأربعة » .

ويخلص من ذلك إلى أن من توافرت فيه الشروط لإقامة الحد عليه فى مثل هذه الجريمة ، إنما هو فاسق ماجن مستهتر ، قصد قصداً الاستفزاز وتحدى الشريعة الإسلامية والجماعة الإسلامية وأنظمتها جهراً » .

ثم يختتم هذا الفصل بقوله ص ٢٢١ :

إن المسلم يرى فى العقوبات التى نص عليها القرآن حدوداً حدها الله ـ سبحانه ـ بحكمته الإلهية ، وإن لم يستطع العقل البشرى ـ دائماً ـ أن يقفه الحكمة منها ، وأن تلك الحدود ليست نوعاً من الوصايا لمن شاء أن يعمل بها ، أو أن لا يعمل بها » .

وفى الفصل التاسع عشر :

« الحرب المقدسة فى زعمهم » .

يبدأ المؤلف هذا الفصل بقول فصل ، فيقول :

« الإسلام لا يعرف الحرب المقدسة ، بل ولا يقر هذه الصياغة » .

ثم يقدم إحدى مغالطات الأب الكاثوليكى هانز فوكنج حيث يقول ص ٢٣٢ :

(١) يقصد : المدعى .

« إن من يزعم أن الجهاد لا يعنى سوى مجاهدة الأعداء دفاعاً عن النفس والوطن وغير ذلك ، أو أنه جهاد النفس ، إنما ينكر ما نص عليه القرآن ، وما أقرته السنة فيما انتهت إليه » .

والأب الكاثوليكى إنما يريد إظهار المسلمين فى صورة من يسعون إلى سفك الدماء سعياً ، وأن دينهم يحثهم على ذلك ؛ فيقدم الآيات :

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾

التوبة ـ ٥

ثم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾

التوبة ـ ٧٣

ويعقب المؤلف على ذلك بقوله ص ٢٣٢ :

« ولا تعليق هنا إلا أن نذكر أن هذه الطريقة الفجة فى البرهنة على أن شن الحروب على غير المسلمين بلا هوادة فرض على كل مسلم ومسلمة ، طريقة ... متجنية ، فليس من البرهنة العلمية أن يقتطع أحد آية أو آيتين مجرداً ذلك من السياق الكلى ومن المناسبة التاريخية وأسباب النزول ، ثم يبنى على ذلك حكماً ظالماً كالذى زعمه الأب الكاثوليكى ... » .

أما الفصل العشرين :

القانون الدولى :

ففيه يوضح المؤلف أن القرآن وضع الأساس الأول لقيام التبادل التجارى النشط وذلك فى قوله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... ﴾

المائدة ـ ١

حيث إن تعهد أحد أفراد الأمة بالجوار ملزم للأمة جميعاً باحترام الجار(*) .

فتلك القوانين القرآنية للأقليات غير المسلمة تدل على سماحة الإسلام ، ويشهد لذلك الحياة المزدهرة للأقليات اليهودية على امتداد العالم الإسلامى ، وفى ظلاله منذ العصور الأولى للإسلام وحتى القرن العشرين من المغرب إلى اليمن وتركيا .

ثم ينهى هذا الفصل الأخير بتساؤل يقول :

هل ينبغى لنا أن نتكلم عن قانون دولى إسلامى بالمعنى العلمى الضيق لهذا المصطلح ؟

إن من الممكن لمثل ذلك القانون الدولى الإسلامى الجزئى أن يتطور مراعياً ما سبق اتخاذه من قرارات وأحكام اجتماعية استقرت مسبقاً ـ ليكون بمثابة قواعد انتقالية تنظم العلاقات بين الدول الإسلامية القائمة فعلاً ، وأن تكون لذلك القانون صلاحية ملزمة ، وذلك إلى أن تتحقق

* راجع فى الجوار ـ هدية صفر ١٤١٥ مجلة الأزهر .

الوحدة المنشودة بتحويل الدول الإسلامية جميعاً إلى الأمة الإسلامية الواحدة التى يعنيها القرآن الكريم .

ويلحق بالكتاب فصلا يشمل : « ما كتبته بعض الصحف عن د. هوفمان وكتابه الجديد .

نذكـــر منها : « دبلومـــاسى ألمانى يروِّج للقرآن » .

« سفير ألمانى يصرح : يجوز ضرب الزوجات » .

وقد عرض هنا عرض شيئاً مما تعرض له السفير وزوجته التركية المسلمة من أذى بواسطة بعض الصحف الرخيصة .

واشتمـل هذا الفصل ـ أيضاً ـ تعريف السفير الألمانى وأنه أسلم قبل ثلاثة عشر عاماً فأصبح منذ ذلك الوقت مسلماً سنياً .

وقد ذكر السفير ذلك وكيف أسلم فى كتابه المنشور عام ١٩٨٥م بالألمانية « يوميات ألمانى مسلم »(*) ولم يهتم أحد بإسلامه .

كما يشتمل هذا الفصل ـــ أيضاً ـ على بيان وزارة الخارجية فى ١٩٩٢/٤/٢٥م والذى ينتهى إلى أنه :

« .. قد أسلم السفير المذكور عام ١٩٨٠م ، وله الحق ككل مواطن آخر أن يعتنق الدين الذى يؤمن به ، أما أقوال السفير وكتابه « الإسلام هو الحل البديل » فليسا خروجاً على واجبه الوظيفى بصفته سفيراً » .

وبعد ، فإن الكتاب يعد بياناً طيباً يحق الحق صدرت عن قلب رجل مؤمن بالله وملائكته ورسله ، يود أن ينشر ما تيسر له من علم بالإسلام ـ بين بنى جلدته ـ ويقارعهم الحجة بالحجة .

كرده الواضح على « أزمـــة الحجـــاب » بفرنسا .

هكذا ، نجده مسلماً ممحصاً ، يتنقل بين الموضوعات بتبصر وترو ، ينشد الحق ويهدى إليه .

وفى حديثه عن الإسلام أتى بالكثير النافع العلمى المفيد ، وإذا كان هنـاك هنـات فيمـا كتب ، فإن رأى الأزهر قد أوضحها ووزعت مع الكتاب .

* يمكن الرجوع إلى عرض هذا الكتاب بقلم الأستاذ عبد السلام ناصف بمجلة الأزهر عدد المحرم ١٤١٥ هـ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

الإسلام قادم

على الرغم من أن الإسلام لم ينج من أعدائه بعد أن لمزوه واتهموا علماءه ، إلا أنه قادم يزداد صلابة فى نفوس أهله ، وينتشر انتشارا كبيرا فى أوربا وأمريكا وغيرهما من قارات العالم .

وما من يوم إلا وتطالعنا الأنباء بأسماء العديد ممن أعلنوا إسلامهم ، وما من يوم إلا ويشهد الأزهر المعمور عشرات الوافدين عليه ممن أشرق نور الاسلام فى قلوبهم ، فتسموا بأسماء المسلمين وجاءوا يشهرون دخولهم فى الإسلام ، وهكذا .. « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » الصف ٨ .

حول هذا المعنى تلقى الباب كلمة الأستاذ/ عباس محمد الملاح من سيدى غازى بالبحيرة جاء فيها :

إن العالم يسير بخطاً واسعة نحو الإسلام الحنيف لكى يحتمى به ويستظل بدوحته الوارفة ، ويستضىء بنوره من ظلام الحياة التى طغت ماديتها حتى أعمت النفوس وأيقظت المطامع وأماتت الروحانية فى القلوب والضمائر .

ذلك لما فى هذا الدين من عطاء متجدد ومرونة جادة وحيوية فائقة وتناغم مع الكون والحياة ومسايرة لأطوارهما على اختلاف الأشكال والأزمان والمواقف ، فضلا عن اتفاقه مع الفطرة بعد توجيهها إلى بارئها لتسير على الطريق المستقيم بالتزامها بالخير والفضائل والعمل الصالح .

وهو — أى الأسلام — بهذا يربط بين الدنيا والدين والآخرة برباط متين فى مجتمع فاضل متماسك يمثل نموذجا فريدا هيهات أن تصل إليه النظرة الأرضية والقوانين الوضعية .

أولويات إعلامية

ليس من شك فى أن الصورة الإعلامية العامة فى مجتمعاتنا تدعو فى كثير من مادتها إلى الانحلال الخلقى وتفشى الرذيلة بما تحمله من دعاوى الشر وإثارة الغرائز ، وفى واقع الإعلام وما نرجو أن يكون عليه كتب الأستاذ محمد أبو اليسر عبدالهادى ـ بكلية التربية النوعية بمنية النصر ـ يقول :

« إننا نتعرض لغزو فكرى وثقافى رهيب يختلف فى مضمونه عن ثقافة الإسلام وقيمه وحضارته ، ويحمل بين طياته كل ملامح الانفتاح الأخلاقى أو ما يسمى « بالمجتمع المتحرر » عن أى شرع أو دين .

وقد انعكس ذلك على شبابنا بصورة واضحة ، حتى أصبح يعرف عن أخبار الممثلين والممثلات فى الداخل والخارج أكثر مما يعرف عن الإسلام ، فقد جعلته الثقافة الإعلامية الحاضرة ذا أمية كبيرة بمتطلبات دينه .

ونحن بصدد تشخيص الداء نجد أن عوامل كثيرة تداخلت ثم اتحدت فأسفرت عن هذه التراكمات ، وربما أتى على رأس هذه العوامل السلبية تقليص الدور التوجيهى فى الرسالة الإعلامية ـــ وهو الدور الذى يُمَكِّنُ النفوس من دحض الرذيلة ومقاومة دعاوى الشر .

فقد غاب هذا الدور ـــ أو أوشك ـــ وحل محله فى إعلامنا المطبوع والمرئى أكوام كثيرة من القيم الفاسدة عبرت إلينا من الأغانى الهابطة والأفلام المخلة والإعلانات المثيرة .

كم أتمنى أن تكون مساحة الدين كبيرة فى إعلامنا ، فمن المؤكد أن الإعلام لن يحدث تأثيره المرجو فى الجماهير إلا من خلاله .

دور الثقافة الإسلامية

نشرتم فى عدد المحرم ١٤١٥ هـ كلمة لى تحت عنوان « دور الثقافة الإسلامية » وقد طلبت المجلة إيضاحا منى لمضمون عبارة « إن الأمة فى حاجة إلى فكر متجدد اقتصادى وسياسى وتعليمى ينهض بها » أوضح بها مايدور فى فكرى .

إننا ياسيدى نخلفنا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .. لماذا ؟ لأن معالم الطريق للعديد من الأنظمة العربية تتحرك بخليط من الليبرالية والماركسية والعلمانية .

فأين يقظة الأداء فى العمل الإسلامى حتى تضىء كل الزوايا المظلمة ليصبح عام ١٤١٥ هـ مبشرا بالانفراج ، لذا ينبغى أن يكون التحرك السياسى والاقتصادى والتعليمى سائرا فى إطار رؤية اسلامية شاملة جامعة .

إن التجديد المطروح هو أن نستجيب لقرآننا وسنة نبينا ، ففيهما منهج حكمنا ودستور حياتنا ونشكر الله ـــ تعالى ـــ على ذلك ونتهيأ لما هو آت .

يحيى السيد النجار
الحزاوى ـ دمياط

معهد جديد للدعاة في ماليزيا

افتتحت المؤسسة الإسلامية بـ (كلنتان) معهدا للدعوة والإمامة في « نيلم فورى بمدينة كوتاباهارو ـــ عاصمة ولاية كلنتان الماليزية » .

يقبل المعهد خريجي المعاهد الإسلامية الثانوية وتستغرق مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ، يحصل الدارس بعدها على دبلوم الدراسات الخاصة ، يقوم المعهد بتزويد الدارسين بالثقافة العالية والأخلاق ، والآداب الإسلامية والقيم الرفيعة المستمدة من عقيدة الإسلام وشريعته المطهرة ، ومن ثم فإن المعهد **لايزال في حاجة ماسة إلى الجهود المادية والمعنوية لاستكمال منشآته وتكوين مكتبة إسلامية ضخمة تكون مرجعا للباحثين والدراسين .**

يستهدف المعهد تخريج قيادات مهرة قادرة على نشر الاسلام ومن ثم فقد وضعت المناهج الدراسية بدقة وعناية بحيث تغطي كافة العلوم العربية والشرعية ، فضلا عن اللغات الأجنبية وتقنيات العصر الحديث ، ولقد اشترطت المؤسسة للالتحاق بالمعهد مايلي :

حمل شهادة الثانوية العامة الماليزية أو مايعادلها مع شرط الحصول على درجة جيد على الأقل في مادة اللغة الملايوية .

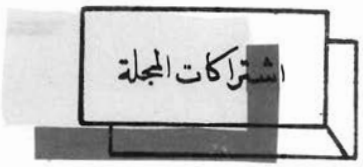
حمل شهادة الثانوية الدينية العالية أو مايعادلها .

الا يقل عمر الطالب أو الطالبة عن ١٨ سنة في يوم التسجيل .

واجتياز الامتحان الخاص والمقابلة الشخصية والنجاح فيهما بدرجة لاتقل عن ٥٠٪ .

وقد اختير الأستاذ « حسن بن متليح (محمد صالح) الماليزى ـــ وهو ممن حصلوا على درجة الماجستير من الأزهر عام ١٩٦٦ م ـــ لادارة هذا المعهد » .

ومجلة الأزهر تهنيء ماليزيا بهذا الصرح الإسلامي الجديد وتتمنى له وللقائمين عليه تمام التوفيق .



على كل من يرغب في الاشتراك بمجلة الأزهر ، مراسلة « إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة » لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة (١٢) عدد ، تكون على النحو التالي :

- **٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .**
- **٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربي .**
- **٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربي .**

بأقلام القراء

رسالة إلى البوسنة

بوسنتى الحبيبة :

أبدى إليك ندمى وأسفى على ما راح منك ضحية للغدر والعمالة والخيانة ، يا أرض البوسنة عينى بصيرة ويدى قصيرة وماذا أفعل وقد تفرق أولادى فى الدنيا منكبين على غرورها ، متكالبين على شهواتها ، فنسوا إخوانهم ، وأخشى أن يذوقوا بذلك العذاب ، ولكن لا تقنطى من رحمة الله ــ تعالى ــ سوف ينصرك الله ولو بعد حين ، وستظل راية الإسلام مرفوعة فوق ربوعك .

إن كان أعداؤك سلبوا منك الأمان فلن يسلبوا منك الإيمان ، فاصبرى على البلاء ، فلابد للصبح أن ينجلى .

عادل على على اسماعيل
قورص ــ اشمون ــ منوفية

أمل ورجاء من محافظ سيناء

الشيخ محمد الذمياطى (رحمه الله تعالى) علم من أعلام الإسلام كما هو علم من أعلام سيناء أيضا ، فقد بنى فيها أول مسجد فى شمال سيناء بجوار قلعة العريش فى عهد السلطان سليمان القانون .

زار قبره مفتى الشام « عبدالغنى بن اسماعيل النابلسى » ــ رحمه الله تعالى ــ منذ حوالى ٣٠٠ عام وأرّخ لذلك بصفحة ١٧٢ من كتابه « الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز » حيث ذكر فيه بالحرف أنه « زار قبر ولى الله الشيخ محمد الدمياطى تلميذ الشيخ نور الدين الدمياطى صاحب « الدمياطية » وصلى العشاء فى مسجده المعمور بجوار قلعة « العريش » .

آمل من محافظ سيناء إطلاق اسم هذا الشيخ الجليل على إحدى مدارس العريش إلى جانب إطلاق اسمه على مسجده ــ تكريما له باعتباره أحد أعلامها البارزين .

محمد وسيم أبوعزب
المدرس بشمال سيناء ــ العريش

سير على باب أهل الجنة

هو سيدنا الحسين ــ رضى الله عنه ــ بن الإمام على كرم الله وجهه وحفيد رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا فقد قال عنه : « حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا » رواه الترمذى وقال حديث حسن راجع ٥ / ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

والدته هى السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة .

روى البخارى ومسلم والترمذى عن النبى ﷺ أنه قال : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » أم الحسن والحسين .

ولد الإمام الحسين رضى الله عنه بالمدينة المنورة فى الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة وقد حنكه جده عليه الصلاة والسلام بريقه ، وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه « حسينا » وعق عنه بكبش وأمر بحلق شعره والتصدق بوزنه فضة .

اشتهر ـ رضى الله عنه ـ بالحكمة والبلاغة والفصاحة ورقة الإحساس وعدم الخشية فى الحق ، ومن أقواله رضى الله عنه :

ـ إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقماً .
ـ من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه غدا .
ـ إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وأبليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهى لا يكون من الكريم إلا الكرم .

وبينما كان « ابن عباس » يحدث الناس قام إليه « نافع الأزرق » مقاطعا وقال له « تفتى الناس فى الثملة والقملة ، صف إلهك الذى تعبد » وكان الإمام الحسين جالسا ، فقال إلىَّ يا ابن الأزرق قال لست إياك اسأل ، قال ابن عباس إنه من بيت النبوة وهم ورثة العلم ، فأقبل نافع تجاه الإمام الحسين فقال : يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل دهره فى التباس ، أصف لك إلهى بما وصف به نفسه ، وأعرفه بما عرّف به نفسه ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق بعيد غير منتقص ، يوحد ولا يبعض ، معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال[1] .

استشهد ـ رضى الله عنه ـ فى شهر المحرم يوم عاشوراء وهو ابن ٥٦ سنة فى معركة (كربلاء) بالكوفة ـ فى العراق ـ على يد جيش يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى معركة غير متكافئة فجزاه الله عن جهاده خير ما جازى به مجاهدا عن دينه .

رمضان ابراهيم الأقرع
خطيب بطنطا ـ اخناواى

(١) الحدائق الوردية : عبد المجيد بن محمد الخانى ـ دمشق ـ للناشر عبد الكريم الدورلى ص ٣٣ .

نبضات الذكر

شعر : سمير عبدالله محمد حسنين

القَـلْبُ يَنْطِـقُ بالنَّـبضَات : الله ... وَالطَّيْـرُ رَدَّد بالتَـرنيم نجْـواهُ
وَالنَّـفْسُ تَذْخَـرُ بالأسْرَارِ يُدرِكُهَـا ... قَلْبٌ سَلِيـمٌ وربُّ العـرْش أهَـداهُ
وَالنَّجْمُ يُسْجُدُ فِي الأفَـلاكِ يَذْكُـرُهُ ... والكُـلُّ يذْكُـرُ بالتَّسْبِيـح ربَّـاهُ
لئـن يأتِ بالنكـران جاحـده ... لَهُ الجَحِيـمُ وَنَـارُ الخُلْـدِ مأْواهُ

* * *

يَاسَعْـدَ مَنْ عَرَفَ الرَّحمٰـنُ تَقْـوَاهُ ... فَاتَ المَنَـامَ وبالأسْحَـارِ ناجَـاهُ
فَهُـوَ اليَقِيـنُ لمَـنْ قَدْ شَاءَهُ أمَـلًا ... وَهُوَالضِّيَـاءُ لِمَـنْ قَدْ شَاءَ أهَـدَاهُ
قَدْ أبْدَعَ الخَلْقَ فالأكْـوَانُ تَذْكُـرُهُ ... وَيَعْلَـمُ الغَـيْبَ فِي الأَلْوَاحِ أخْفَـاهُ
عُمْـرُ الأنَـامِ كَذَا الأرْزَاقَ قَدَّرَهَـا ... فَالمَـرْءُ يَسْعَـى وَلِلْمَكْتُـوبِ مَرْسَاهُ

ردود وتعليقات

● يرد لنا من حضرات القراء موضوعات يذكرون فيها أحاديث مسندة إلى رسول الله ﷺ دون ذكر لمصدرها ، فلم يقولوا مثلا : رواه البخارى ، رواه مسلم ، رواه أحمد .. الخ .

● وللمجلة بشأن الأحاديث نهج يلزم الكاتب إلى المجلة بضرورة ذكر المصدر مع الحديث ، ولذلك نأسف لعدم نشر الكلمات التى ترد فيها الأحاديث النبوية دون تخريج .

● القارىء/ شحاته أحمد أبو بكر ..

الحديث الذى أوردتموه عن المصطفى ﷺ « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل .. الخ » أورده الترمذى بالمجلد الخامس ص ٢٦ برقم ١٦٤١ ، وقال عنه « حديث مفسَّر غريب » ، كما أن تأويلكم لمعناه فيه تعسف .

القارىء/ابراهيم حفناوى ـ قرين /شرقية .

نرجو أن يتاح لنا مستقبلا الدعم اللازم للمسابقات الشهرية فإن ميزانية المجلة لا تسمح فى الوقت الحالى ، وفى انتظار ابداعاتك .

● القارىء/محمد محمد عبدالجواد عبدالفضيل .. من المنيا :

نشكركم على رسالتكم التى تفيض إيمانا بعظمة الإسلام وتعاليمه ، ونتمنى — معكم — أن يعود علماء الدين إلى زيّهم الدال على علمهم وفقههم وإمامتهم ، وبذلك يُعرفون بين الناس فَيُسْتَفْتَوْنَ ويقتدى بهم ، وما أحوجنا بالفعل — حكومة وشعبا — إلى العمل على ما يبقى المجتمع متماسكا قويا سائرا على نهج الكتاب والسنة ومجانبة أبواب الضعف والوهن والشرور والفتن .

● القارئة/فاتن شوقى على — قسم اللغة العربية — بكلية آداب المنصورة .

تلقينا رسالتك الكريمة وقصيدتك التى تبثين فيها ألمك وحزنك مما آل إليه وضع أخواتنا البوسنيات ، وبإذن الله — تعالى — نعمل على عرضها فى العدد القادم .

● القارىء/أبوالخير سيد عبداللطيف مرسى — مدرس التربية والتعليم فى بنى سويف .

مرحبا بك صديقا للمجلة وفى انتظار ما تجود به قريحتك من إنتاج فكرى .

● القارىء/مصطفى محمود عبدالمقصود على — من سيدى بشر بالاسكندرية .

تلقينا — بعظيم الامتنان تحيتكم الرقيقة ودفاعكم المنظوم عن رسالة الأزهر تحت عنوان « الأزهر .. منار الشرق » شكرا لكم وفى انتظار خواطر أخرى .

● القارىء/عادل على إسماعيل من قورص — منوفية .

« علم العروض » من العلوم التى تحتاج الى أستاذ متمرس فى هذا المجال ، يكون على يديه التمرين والمتابعة والتصحيح .

● القارىء/محمد عباس محمد — من اسيوط — الواسطى .

نفيدكم بأن « مسابقة الشيخ الشعراوى » للجميع وليست للخاصة .

● وبمشيئة الله — تعالى — سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .

● **رجاء خاص بالسادة الكتّاب :**

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكُتّاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسندا إسنادا علميا ، بما فى ذلك تخريج ما ورد به من الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية — كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .



مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

كلمة فضيلة الامام الأكبر لمساندة الشعب الليبى

إن جميع الدول العربية والاسلامية ومن بينها جمهورية مصر العربية بصفة خاصة ، وكذلك المنظمات العالمية : جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، الجميع يساندون ويتضامنون مع الشعب الليبى وقد بذلوا جهدا كبيرا فى هذا المجال ، وبخاصة السيد رئيس الجمهورية السيد محمد حسنى مبارك الذى قام بدور كبير فى سبيل تخفيف حدة التوتر بين أمريكا والدول الأوربية وبين قادة ليبيا ، ولا تزال الشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها على موقفهم من التضامن والمساندة لهذا الشعب العريق الذى يقف صامدا وصابرا فى هذه المحنة وفى ظروف المقاطعة القاسية التى فرضت عليه .

وقد مر على الشعب الليبى وهو فى محنته هذه فترة طويلة ووقت ليس بالقصير .

وإن الأزهر الشريف يهيب بالرأى العام العالمى وبمنظمة الأمم المتحدة والدول الكبرى ، أن يتعاطفوا جميعا مع هذا الشعب الكريم لإنهاء هذه المقاطعة الجائرة ، وعلى جميع الدول الاسلامية والعربية والافريقية ودول عدم الانحياز أن تقف جميعا لمناصرة هذا الشعب وتسانده بجميع الطرق السلمية الممكنة ، حتى يستجيب المجتمع الدولى لنداء الشعب الليبى ويتعاطف معه ويساعده للخروج من هذه المحنة التى طالت وأضرت به ضررا كبيرا .

لا تفريط فى حقوق مسلمى كشمير

أكد فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف حرص الأزهر الشريف على قيام علاقات مودة وحسن جوار بين المسلمين وجيرانهم فى الهند وكشمير وغيرها ، وضرورة أن تتاح الفرصة للشعب الكشميرى فى التعبير عن رأيه وتقرير مصيره فى حرية تامة ، لأن قضية الشعب الكشميرى المسلم ما زالت معلقة فى الأمم المتحدة دون حل منذ عام ١٩٤٨ ولابد من إيجاد حل عادل لها يضمن حقوق الشعب الكشميرى المسلم فى الحرية وتقرير المصير .

كما أبدى فضيلته استنكار الأزهر الشريف لما يحدث فى الهند من عدوان على المساجد وتضييق على المسلمين .

وقال إن الأزهر الشريف يرغب فى إيفاد علمائه إلى مسلمى الهند تلبية لطلب المدارس الاسلامية ، ولكن السفارة الهندية بالقاهرة تضع العقبات فى طريقهم .

جاء ذلك خلال استقبال فضيلته لوفد هندى برئاسة الدكتور محمد شفيع علوانى رئيس جامعة جواهر لال نهرو بالهند ومعه ممثل السفارة الهندية وقد وعد مسئولو السفارة بتذليل العقبات أمام من سيتقرر سفرهم من المدرسين .

تحت رعاية السيد الرئيس ورئاسة شيخ الأزهر الأمة الاسلامية حاضرها ومستقبلها

تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك يبدأ المؤتمر العام السادس للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية دورته بالاسكندرية فى الفترة من ١٦ ــ ١٩ أغسطس ١٩٩٤ تحت عنوان (الأمة الاسلامية حاضرها ومستقبلها) :

يرأس المؤتمر فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

يناقش المؤتمر ٥ محاور رئيسية .

المحور الثقافى/المحور الاقتصادى/والمحور السياسى والاجتماعى والدينى وكيفية التعاون بين الأمة الاسلامية وغيرها من الأمم .

ووجهت الدعوة الى وزراء أوقاف الدول الاسلامية وممثلين عن الهيئات والمنظمات الاسلامية فى دول العالم ، كما يحضر المؤتمر كبار الشخصيات من المُعنيين بالدعوة الاسلامية والفكر والثقافة الاسلامية فى مصر وخارجها .

فضيلة الامام الأكبر يستقبل السيد نائب رئيس حكومة ولاية كلنتان بماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد نائب رئيس حكومة ولاية كلنتان بماليزيا وبصحبته كلٌ من السيد/يحى الحاج عبد الرحمن مسئول الشئون الإسلامية والسيد/محمد داود على عضو المجلس التشريعى المحلى .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر ودولة ماليزيا بصفة عامة وولاية كلنتان بصفة خاصة حيث تقدم الوفد بطلب معادلة شهادة معهد كلنتان الماليزى بشهادة المعاهد الأزهرية .

وقد وعد فضيلة الامام الأكبر بتحقيق ذلك بعد دراسة المواد المؤهلة للطالب الماليزى بنظيرتها فى المعاهد الأزهرية مؤكدا على أن الأزهر لا يدخر وسعا فى تلبية طلبات مختلف ولايات ماليزيا وأنه على استعداد بتزويد تلك الولايات بالمعلمين والكتب حتى يتمكنوا من مواصلة دراستهم للغة العربية والدين الاسلامى الحنيف .

وفى ختام اللقاء قدم الوفد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا ، حيث وعد فضيلته تلبيغها فى أقرب فرصة ممكنة .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى رئيس الادارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر .

الامام الاكبر يستقبل السيد مدير التعليم العربى بدولة النيجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ موسى سليمان عمر مدير التعليم العربى بدولة النيجر وبصحبته السيد/دان جمعة سكرتير اول سفارة النيجر بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم الأزهر للعملية التعليمية بالنيجر حتى تسير وفق المناهج المتبعة بالأزهر وامداد النيجر بالمدرسين والدعاة والكتب الدراسية والثقافية .

معهدان أزهريان لأبناء العريش

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إنشاء معهدين أزهريين بمدينة العريش عاصمة محافظة شمال سيناء لخدمة أبناء المحافظة .

جاء ذلك خلال اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالأزهر الشريف الذى ترأسه فضيلة الإمام الأكبر وحضره فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

الإمام الأكبر يلتقى ورئيس المجلس الإسلامى بجنوب إفريقيا

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٩٤/٧/١٨ بالسيد/ رام سالوجى رئيس المجلس الإسلامى بجنوب إفريقيا ونائبه السيد/ إسماعيل كالا . تم خلال اللقاء بحث سبل دعم الأزهر للمسلمين فى جنوب إفريقيا ، حيث عرض الضيف بعض الاحتياجات فى مجال التعليم والتى تتمثل فى المنح الدراسية وإمداد المدارس هناك بالمناهج الدراسية والكتب وإيفاد المدرسين من الأزهر لتدريس العلوم العربية والشرعية والثقافية .

وقد طلب فضيلة الإمام الأكبر من الضيف توجيه تلك الطلبات والاحتياجات عن طريق السفارة المصرية فى جنوب إفريقيا حتى يمكن بحثها والعمل على تلبيتها دعما للمسلمين فى جنوب إفريقيا .

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر المسلمين فى جنوب أفريقيا على الوحدة والارتفاع فوق الاختلاف ونبذ المذاهب المنحرفة التى تفرق جمعهم .

وفى نهاية اللقاء أعرب الضيف عن عظيم تقديره وجزيل شكره للأزهر الشريف ممثلا فى شخص فضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به من دور عظيم نحو المسلمين فى كل انحاء العالم وبخاصة فى جنوب إفريقيا .

على هامش

المؤتمر الأول للدعوة والدعاة

إعداد الأستاذين :-

عمر بسطويسى

مصطفى عبد المجيد

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أعمال المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية وأئمة المساجد فى مصر الذى عقد فى الفترة من ١٧ ـ ٢٠ يولية ١٩٩٤ بقاعة المؤتمرات بمدينة نصر بالقاهرة .

بدأت أعمال المؤتمر بالجلسة الافتتاحية التى عقدت صباح يوم الأحد ١٧ يولية وشهدها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر .

كذلك شهدها السادة :

الأستاذ الدكتور يوسف والى	نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة .
فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف	ونائب رئيس المؤتمر
فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى	الداعية الإسلامى الكبير .
الأستاذ صفوت الشريف	وزير الاعلام .
الأستاذ عمرو موسى	وزير الخارجية .
الأستاذ الدكتور صبحى عبد الحكيم	رئيس مجلس الشورى الأسبق .
الاستاذ الدكتور مصطفى السعيد	وزير الأقتصاد الأسبق .
الأستاذ الدكتور كمال أبو المجد	وزير الإعلام الأسبق .
فضيلة الشيخ سيد سعود	وكيل الأزهر
فضيلة الدكتور عبد الفتاح الشيخ	رئيس جامعة الأزهر
فضيلة الشيخ محمد الغزالى	عضو مجمع البحوث

فضيلة الدكتور عبد الرشيد سالم وكيل وزارة الأوقاف ومقرر عام المؤتمر
فضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى رئيس الإدارة المركزية لشئون مكتب شيخ الأزهر
فضيلة الشيخ محمد البشير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية
فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى الأزهر
فضيلة الدكتور محمد إبراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
ولفيف من أساتذة وعلماء الأزهر وجامعته والأوقاف .

وقد افتتحت الجلسة الأولى بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم ألقى فضيلة الشيخ / سيد عبدالعال قبيصى نقيب الأئمة كلمة الدعاة حيث أشاد بالجهود التى تبذلها الدولة فى مجال رعاية الدعاة اجتماعيا ومجال الدعوة بصورة لم يسبق لها مثيل مؤكدا على أهمية دور الدعاة فى النهوض بالأمة فى شتى مجالات الحياة .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر كلمة جامعة أكد فيها على أن الأئمة والدعاة مطالبون بعدم الانسياق وراء خلط الأوراق وأصحاب الأهواء مشيرا إلى أن الإسلام يواجه بقضايا فرعية لينشغل الناس عن دين الله .
كما أكد فضيلته على أنه ليس هناك حكومة دينية وحكومة مدنية فالإسلام دين ودنيا .

وطالب فضيلته العلماء بأن يبتعدوا عن الكلمة المنفرة حتى يقبل الناس عليهم وأن يتشاوروا فيما بينهم دائما فى مواجهة القضايا التى تعوق عملهم حتى يكونوا جميعا على مستوى العصر الذى يعيشونه مؤكدا على أن علينا جميعا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر من خلال القول الحسن والتحاور بالكلمة الطيبة وتصحيح المسيرة أولا بأول وفق ما تفرضه ظروف الناس ومسيرة المجتمع مؤكدا على ضرورة عدم مجابهة الناس بأخطائهم فى حدة وشراسة مشيرا فى هذا الصدد إلى ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ وهو أسوتنا الحسنة وقد كان إذا أراد أن يصحح خطأ واحد من الناس لا يسميه باسمه ولكنه ﷺ يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » فهذا الأسلوب يجعل الناس يقبلون على العلماء .

كما أشار فضيلته إلى أن على العلماء اليوم عبء الدعوة إلى الخير والإصلاح والاستقرار حتى نستقيم حياة الناس فتستقيم معها حياة الأمة وترقى وتتقدم إلى مصاف الأمم المتقدمة .
وفى ختام كلمته طالب فضيلته الدعاة بأن يكونوا أسوياء فى القيام بمهمة الدعوة إلى الله محاورين ومتحاورين للوصول إلى الحقيقة متمسكين بالكلمة الطيبة وأن يتأسوا بأدب الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الدعوة إلى الله دون إفراط ولا تفريط وأن يقولوا للناس حسنا .
ثم القى بعد ذلك فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة نقل فى بدايتها تحية

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وتقديره للدعاة والعلماء باعتبارهم حراسا للعقيدة وأمناء على الوطن .

وأضاف وزير الأوقاف أن الإسلام يتميز بالوسطية التى لا تعرف الشطط أو الغلو أو التطرف مؤكدا على أن الإسلام لا يعرف التعصب أو ضيق الأفق وأن دنياه تتسع لكل الناس من يدينون به ومن يدينون بغيره .

وقال الوزير إن مصر بقيادتها وحكومتها وشعبها لم تبخل يوما على الدعوة والدعاة بل قدمت وأعطت بكل سخاء حتى تظل المساجد والمنابر مراكز للإشعاع الفكرى والثقافى والاجتماعى ، فمصر أمة وسط ما عرفت يوما العنف والتطرف طوال تاريخها كله بل أحيت العدل والاعتدال وشعبها يحرص على الدين فى غير مغالاة أو عنف أو تشدد .

وأكد وزير الأوقاف أن هذا المؤتمر بداية لمرحلة جديدة فى مسار الدعوة الإسلامية تقوم على استيعاب دعاة مصر لمختلف القضايا والمفاهيم التى طرأت على المجتمع مؤكدا على ضرورة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مشيرا إلى أن تعثر جهود الدعوة فى الفترة الماضية كان من أسبابه انعزال الداعية عن قضايا وهموم عصره ومجتمعه .

وطالب الوزير فى ختام كلمته بإعادة النظر فى نظام الدعوة مؤكدا على أنه بدون إعادة النظر فى سير الدعوة وتطوير فكر الدعاة لن نتمكن من محاصرة التطرف والفكر الإرهابى بالبلاد .

ثم ألقى بعد ذلك فضيلة الداعية الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى كلمة مؤكدا أن الدعاة هم ورثة الأنبياء وحملة الأمانة فى بيان منهج الله للناس مطالبا الدعاة بالبحث والرد على كل ما يثيره الملاحدة وأشباههم فى مثل هذه الأمور ، وكذلك ما يثيره بعض المنتسبين إلى الإسلام من أبنائه ، لأن فعلهم سيكون حجة على الإسلام .

كما طالب فضيلته الدعاة بالتزام الصبر والحكمة تجاه موجات الاجتراء على الدين والتطاول على أهله والسخرية والاستهزاء بهم ، وقال أنه يجب ألا نضيق بهؤلاء الساخرين والمستهزئين لأن الذى لا يناله أذى من الدعوة يكون قد نقص حظه من ميراث النبوة .

ثم تحدث بعد ذلك فضيلة الشيخ محمد الغزالى حيث عرض فضيلته لتجربته الشخصية فى مجال الدعوة إلى الله داخل مصر وخارجها مؤكدا على أهمية الثقافة الشاملة والواعية لدى الداعية ليواجه بها جمهور المتلقين مؤكدا فى هذا الصدد على أن أعدى أعداء الإسلام رجل يشتغل بالدعوة دون علم بها .

وطالب فضيلته بضرورة عرض الإسلام عرضا حسنا يتناسب وتطورات الزمان على أن يعرض من منابعه الأصلية الأولى « القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة » محذرا من الأخذ بالأحاديث الموضوعة والدخيلة على الفكر الإسلامى .

وأشار فضيلته فى ختام كلمته إلى أن الإسلام فى مصر الأزهر يأبى أن يتطرف يمينا أو يسارا مؤكدا على أن المسلمين فى مصر يعيشون وسطية الإسلام السمح المعتدل .

وفى الجلسة المسائية لليوم الأول التقى الأئمة والدعاة بالأستاذ الدكتور مصطفى السعيد وزير الاقتصاد الأسبق ورئيس اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب الذى أكد فى حديثه إلى الدعاة على أن الحكومة نجحت فى تحقيق المرحلة الأولى من الإصلاح الاقتصادى والخاصة بضبط الجوانب النقدية والمالية مشيرا إلى انخفاض التضخم من ٢١٪ إلى ٣٪ .

وقال سيادته إن المرحلة القادمة من الإصلاح خاصة بتشجيع الاستثمار والتنمية الحقيقية بمزيد من الاستثمارات والمشروعات .

وأكد الدكتور مصطفى السعيد فى ختام حديثه إلى الدعاة على ضرورة استمرار الدولة فى أداء دورها فى جذب وتنمية الاستثمارات خلال العشر سنوات القادمة وأن يلعب قطاع الأعمال دورا بارزا فى هذا المجال .

وفى نفس الجلسة تحدث الأستاذ الدكتور كمال أبوالمجد وزير الإعلام الأسبق عن آداب الدعوة إلى الإسلام مشيرا فى هذا الصدد إلى ضرورة توخى الحذر ومراعاة عدم الإساءة للآخرين وعدم التعالى على الناس أو التشدد عليهم حتى لا يعرضوا عن طريق الحق ، وفى مجال وظيفة الكلمة الحرة فى التعبير عن الرأى تحدث سيادته محذرا من بعض أنصاف المتعلمين من الشباب الذين يحرفون بعض أقوال العلماء ويفسرونها حسب أهوائهم .

وأضاف سيادته أن صلاح العلماء ودعم مسيرة الدعوة لا يكون برفع الرايات والشعارات وإنما يكون بالعمل الجاد قائلا إن الداعية صنف مخصوص من الناس مؤتمن على رسالته ومكلف بأمانة التبليغ والتعريف بالإسلام السمح ، والداعية مبلغ رسالة الله إلى الناس والإسلام نعمة كبرى من الله ـ تعالى ـ للبشرية كلها ، والداعية الحق هُوَ مَنْ يحسن التعرف على الإسلام فمعرفة الدين لا تنتهى عند حد .

وقال إنه مما يعاب على العرب والمسلمين أنهم يتكلمون كثيرا فى حين يعمل غيرهم ويتقدم والإسلام لم يعزل المسلمين عن الدنيا ، بل حدد مهمتهم فى الحياة وأن يعطوا للدنيا لصالح الناس تعميرا واتقانا وتجويدا .

وفى اليوم الثانى للمؤتمر وفى الجلسة الصباحية شهدت القاعة الرئيسية بمركز المؤتمرات حوارا أخويا اتسم بالهدوء والصدق بين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر والسيد صفوت الشريف وزير الإعلام حول برامج الإذاعة والتليفزيون .

وقد أعلن السيد وزير الإعلام فى بداية الجلسة أن العلماء والدعاة فى مصر هم مشعل التنوير الحقيقى فى المجتمع وأمامهم تحديات كبيرة وصعبة حتى يتم استقرار المجتمع ، ولهذا فإن كل قيادات الدولة وعلى رأسها الرئيس محمد حسنى مبارك ترعى العلماء ، ويشاركهم الرئيس بنفسه احتفالات

عديدة مشيرا إلى أنه إذا فقد الإعلام المصرى القدرة على الريادة فقد الإعلام العربى والإسلامى قدرته وريادته على الساحة الدولية .

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر وطلب من السيد وزير الإعلام ضرورة أن تهتم برامج الإذاعة والتليفزيون بمتابعة الظواهر الجديدة فى المجتمع وإبراز وجهة نظر الإسلام فيها وقال فضيلته إن التخوف الذى يبديه البعض من هذا التوجه لا أساس له لأننا إذا تحدثنا للجميع بأسلوب الإسلام الصحيح وبمعالجة الحوادث الاجتماعية برؤية إسلامية واضحة فإن ذلك يسهم فى دعم الأخلاق الفاضلة ومنع الانحرافات والتنبيه إلى خطورة التجاوزات .

كما طلب فضيلته بإعادة النظر فى مواعيد إذاعة الأحاديث الدينية التى توضع أو تعرض فى الوقت « الميت » مشيرا إلى أن الأولى أن تحيا هذه الأحاديث فى الوقت الذى ينفع المشاهدين ، كما أشار فضيلته إلى ضرورة منع السلوكيات والمشاهد الهابطة والخليعة المصورة في الأعمال المستوردة نظرا لخطورتها على القيم والعادات مؤكدا على ضرورة الاهتمام بكل ما يشيع العفة ويمنع الابتذال فى المجتمعات .

وقد علق السيد الوزير صفوت الشريف على حديث فضيلة الإمام مؤكدا احترامه وثقته الكاملة فى الأزهر وشيخه باعتباره المصدر والمستشار فى كل الأمور الدينية مشيرا فى هذا الصدد إلى التنسيق الكامل بين جهاز الإعلام وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر واستجابة التليفزيون لرأى فضيلته وتعديل ما يقع من أخطاء مثلما حدث فى مسلسل « العائلة » الذى عرض فى شهر رمضان الماضى وما يحدث فى برامج الإذاعات الموجهة .

وقال وزير الإعلام إنه استجابة لكل ما جاء فى حديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فإنه سيتم إعادة النظر فى خريطة البرامج الدينية فى الدورة القادمة التى ستبدأ فى اكتوبر القادم وستوزع البرامج الدينية على الأوقات الحية طبقا لموضوعاتها وقال إننا سنظل حريصين دائما على القيم وتدعيمها .

ونفى السيد وزير الإعلام ما يردده البعض من تصورات خاطئة فى أن التليفزيون يحارب التطرف والمتطرفين على حساب التهجم على الدين مؤكدا أنه لن يسمح ولن يتم مطلقا تقليص مساحة البرامج الدينية مشيرا إلى أن أجهزة الاعلام تواجه الأفكار المتطرفة بصحيح الدين وبالحوار الهادىء .

وفى ختام حديثه أعرب السيد الوزير عن أمله فى تحقيق نوع من التنسيق والتعاون بين الدول الإسلامية فى مجال القنوات الفضائية وتوحيد الجهود المتناسقة حاليا فى هذا المجال بما يخدم الأهداف الحقيقية للإسلام والمسلمين .

وفى اليوم الثالث تحدث إلى الدعاة كل من الدكتور يوسف والى نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الاراضى والامين العام للحزب الوطنى الديمقراطى والاستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والدكتور صبحى عبد الحكيم ، وفى مساء نفس اليوم تحدث إليهم

السيد/عمرو موسى وزير الخارجية وقد دارت أحاديث السادة الوزراء عن سياسة مصر فى المجالات الاقتصادية والسكانية وسياسة مصر الخارجية .

وفى صباح اليوم الرابع للمؤتمر وجه السيد اللواء/حسن الألفى وزير الداخلية كلمة للمؤتمر ألقاها نيابة عنه السيد اللواء/منصور العيسوى مساعد وزير الداخلية ومدير أمن القاهرة ، وقد أكد السيد وزير الداخلية فى كلمته على أهمية الدور الذى يقوم به الدعاة فى مساندة رجال الأمن فى المواجهة الحاسمة لقضية الإرهاب مشيرا إلى أنه على الرغم من النجاحات التى حققتها أجهزة الأمن فى المواجهة مع الإرهاب إلا أنها على حذر دائم طالما بقيت منهم بعض الجذور .

وفى نهاية كلمته وجه السيد وزير الداخلية الشكر للجماهير على تعاونها الصادق مع الشرطة فى المواجهة الأمنية .

ثم أعلن بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الرشيد سالم وكيل وزارة الأوقاف ومقرر عام المؤتمر القرارات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر ومن أهمها :

أولا : فى مجال الدعوة والدعاة يرى المؤتمر ضرورة أن يوفر المجتمع للداعية كل ما يمكنه من التفرغ لعمله تفرغا كاملا ويحفظ له كرامته ومكانته مع التأكيد على ضرورة تحقيق المزيد من التنسيق والتعاون بين المسجد ومؤسسات الإعلام والتعليم لبناء المواطن الصالح وتدعيم قيم الولاء والانتماء مع التأكيد على ضرورة تحقيق الارتباط الكامل بين المسجد والمجتمع بأنشطته المختلفة .

ثانيا : فى مجال الأسرة والسكان طالب المؤتمر بضرورة العمل على النهوض بالأسرة المصرية وتنظيمها ليكون النسل قويا لأن الأمم لا تفاخر بالكثرة الهزيلة الضعيفة ، كما طالب المؤتمر بضرورة تضافر الجهود وتعاون الأجهزة لضبط قدرات الأسرة الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية وذلك بالطرق العلمية والعملية تحقيقا للتوازن بين الموارد والاحتياجات .

كما طالب المؤتمر بأن تولى الدولة المرأة العاملة مزيدا من الرعاية حتى تجد الفرصة المناسبة لتربية الجيل ، وأعرب المؤتمر عن تقديره لما قدمته الدولة للمرأة فى مجالى العلم والعمل ومن فرص متكافئة فى مختلف الميادين ، وأوصى المؤتمر الأفراد باحترام المرأة وتقديرها وتقدير الدور الذى تقوم به كجناح فى حركة الحياة .

ثالثا : فى مجال الإعلام أوصى المؤتمر وسائل الإعلام بمراعاة خصوصية المجتمع المصرى وتقاليده فيما يعرض من مسلسلات وأفلام وبرامج وضرورة الحفاظ على كرامة الداعية ومكانته وألا تظهر بمظهر يسيىء إليه وتنال من هيبته كما طالب الكتاب بمراعاة المبادىء الإنسانية الرفيعة فى الإسلام الحنيف والتمسك بهوية الأمة الإسلامية والتعبير عنها .

وقد أعرب المؤتمر فى ختام توصياته عن تقديره الكامل لدور القيادة السياسية الفعال فى القضايا الإسلامية .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمدى عبد الحميد بشير

لبنان

أشاد الشيخ محمد رشيد قبانى مفتى لبنان بدور مصر والأزهر الشريف فى تقديم المساعدة للمسلمين فى بلاده ، ووصفها بأنها مساعدة قيمة تستحق الإجلال والإكبار لمصر وعلماء الأزهر الأفذاذ .

جاء ذلك خلال الاحتفال الذى أقامه فضيلته لأعضاء بعثة الأزهر هناك .

براونای

تقرر تحويل المركز الإسلامى فى براونای إلى ثلاث كليات هى كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية ، وسيقوم وفد من جامعة الأزهر بوضع برامج وخطط الدراسة فى هذه الكليات الوليدة كما هو متبع فى جامعة الأزهر الشريف .

أندونيسيا

يقام فى العشرين من أغسطس الحالى فى أندونيسيا المؤتمر السابع للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بحضور لفيف من العلماء المتخصصين فى البحوث القرآنية من شتى أنحاء العالم .

الخرطوم

عُقد فى الخرطوم مؤتمران :

المؤتمر الأول : المؤتمر الدولى لتلاوة القرآن وكان من أهدافه العمل على تخريج مليون قارىء للقرآن ، واستمر المؤتمر أسبوعا وقد شارك فيه عدد كبير من علماء المسلمين .

المؤتمر الثانى : فقد كان بعنوان : (الذكر والذاكرون) وشارك فيه ثلاثمائة من علماء المسلمين وتم خلاله عقد ندوات وإلقاء محاضرات مسّت قضايا الإسلام الجوهرية ، ومثل مصر فى هذا المؤتمر الدكتور عبد الصبور شاهين .

تركيا

صرح رئيس المركز الإسلامى فى تركيا أنه بصدد إتمام خطة طموحة بالتعاون مع الجامعات المصرية ووزارة الأوقاف ووزارة الثقافة لنشر الثقافة والوعى الإسلامى ويدخل فى إطار هذه الخطة إعداد كتاب للصور الفوتوغرافية للمدن المصرية فى القرن التاسع عشر لتوضيح الآثار

الإسلامية التى تذخر بها مصر ، وأضاف أن المركز سيصدر سلسلة مراجع فى مجال التاريخ الإسلامى وسلسلة أخرى عن الحضارة الإسلامية يتم ترجمتها لعدة لغات لتعريف الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية بحضارة الإسلام .

أنقره

عُقد فى أنقره بتركيا فى يوليو الماضى الملتقى الإسلامى الثانى حول (استراتيجيات) إدارة الموارد البشرية فى المصارف الإسلامية .

صرح بذلك مدير عام المعهد العربى للدراسات المالية والمصرفية بعُمان وقال إن الملتقى كان يستهدف التعرف على تجارب واستراتيجيات المصارف الإسلامية فى إدارة مواردها البشرية وتكوين رؤية شاملة وموضوعية حولها ..

هذا وقد نظم ذلك الملتقى ضمن خمسة برامج يقيمها المعهد المذكور .

القـــاهرة

طالبت المجالس القومية المتخصصة بضرورة إنشاء معهد عال مستقل لتعليم اللغة العربية وما يتصل بها من دراسات إسلامية للطلاب الوافدين من غير الناطقين بالعربية . يكون تحت إشراف الأزهر حيث يقوم المتخصصون فيه بتعليم اللغة العربية ويتم تدعيمه بالإمكانات البشرية والمادية .

هذا وقد التقى رئيس جامعة الأزهر بوفد المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا حيث تناول اللقاء دعم التعامل بين الأزهر وجامعته مع مسلمى جنوب أفريقيا وزيادة المنح الدراسية للطلاب المسلمين هناك .

وقد وافق رئيس جامعة الأزهر على تلبية احتياجاتهم وإمدادهم بأعضاء هيئة التدريس والكتب ، هذا وقد أشاد الوفد بالأزهر ودوره المعروف .

تونس

قرر الرئيس التونسى إنشاء جائزة للدراسات الإسلامية بهدف تنمية البحث فى العلـــوم الإسلامية ، وذكر وزير الشئون الدينية بتونس أن قيمة الجائزة خمسة آلاف دولار يقوم الرئيس التونسى فى احتفال يقام كل عام بجامع الزيتونه فى اليوم السادس والعشرين من شهـــر رمضان المعظم .

تصحيح

جاء بالصفحة رقم (١٨٠) من عدد صفر فى نهاية العمود الثانى اسم سماحة الشيخ الحوتكى ، وهذه التسمية خطأ وصحته الحبنكى رجاء التصحيح ... مجلة الأزهر .

eut cessé tout commerce avec son épouse, Nous te l'avons donnée pour femme afin qu'il n'y ait plus de faute à reprocher aux croyants au sujet des épouses de leurs fils adoptifs, quand ceux-ci ont cessé tout commerce avec elles).''(1)

L'Islam établit ainsi une nouvelle règle de conduite concernant les fils adoptifs et réalisa également des réformes de portée lointaine, dans sa façon d'agir envers les esclaves et les affranchis. En effet Muhammad Hamidullah déclare :

''Je ne connais pas, par exemple, de cas de dynasties de roi esclaves-affranchis dans des communautés autres que l'Islam: les Mamlouks en Egypte, Les Ghulâmâns dans l'Inde du Nord les Adil Ghâhides et les Qutb-Châhides dans l'Inde du Sud, étaient de vrais esclaves affranchis qui s'élevèrent jusqu'à fonder des dynasties impériales, et furent acceptés comme rois sans la moindre hésitation de la part de Musulmans nés libres, sans parler des affranchis remplissant des fonctions moins élevées, comme ministres, commandants, etc ...''(2)

Djuwayriyya fille d'al-Harith, de la tribu Banu-l-Mustalik, hostile aux Musulmans. Lors de la bataille du Fossé, le Prophète fit des centaines de prisonniers pour la plupart, des femmes et des enfants. Djuwayriyya était la fille du chef vaincu, elle déclara sa conversion à l'Islam au Prophète (b.s.) et demanda son aide pour acheter sa liberté. Le Prophète eut pitié d'elle et lui proposa le mariage, elle consentit sans la moindre hésitation. A cette nouvelle, aucun combattant musulman ne voulut retenir un parent du Prophète (b.s.) en esclavage: tous les prisonniers furent libérés, ceux qui avaient fui même, se rendirent et embrassèrent l'Islam. Par la suite Djuwayriyya fut une bonne musulmane, réputée par sa piété, ses prières et ses jeûnes. Ainsi, par ce mariage, le Prophète (b.s.) réalisa deux buts d'une grande importance pour l'Islam. Tous les Arabes prisonniers de guerre furent libérés et la grande tribu des Banul-Mustalik adhéra à l'Islam.

Ôm Habîba fille de Abu Sufyan de la tribu des Banou Umayya... Elle fut parmi les premières femmes à se convertir à l'Islam et se réfugia avec son mari en Abyssinie. Là-bas son époux se fit chrétien et usa de tous les moyens pour la pousser à faire de même. Lorsqu'il mourut, le Prophète (b.s.) épousa sa veuve. Le père d'Om Habîba, Abu Sufyan menait une lutte acharnée contre l'Islam, après le mariage de sa fille il devint moins hostile comme l'avait prévu le Coran dans ce verset :

(Allah établira peut-être de l'amitié entre vous et ceux d'entre eux que vous considérez comme des ennemis. Allah est tout Puissant, Il est Celui qui pardonne, Il est Miséricordieux).(3)

Ôm Habîba fut une bonne musulmane et elle rapporta à la postérité un certain nombre de traditions.

1) XXXIII — Les Factions — 37. قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا

2) Muhammad Hamidullah — Le Prophète De l'Islam, Sa vie, Son Oeuvre — op. cit. Volume II — p. 621.

3) LX — L'Epreuve — 7. قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الممتحنة : عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(Ô vous, les hommes; Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle. Nous vous avons constitué en peuples et en tribus pour que vous vous connaissiez entre vous. Le plus noble d'entre vous, auprès d'Allah, est le plus pieux d'entre vous). (1)

Le prophète (b.s.) voulut aussi imposer ce mariage à Zaynab et à son frère qui tous deux le refusaient

(Lorsqu'Allah et Son Prophète ont pris une décision, il ne convient ni à un croyant ni à une croyante de maintenir son choix sur cette affaire. Celui qui désobéit à Allah et à Son Prophète s'égare totalement et manifestement). (2)

Zaynab se jugeant supérieure à Zayd par son origine et sa beauté, accepta ce mariage à contre-coeur, mais comme elle dédaignait son mari, elle le maltraita et finalement ils divorcèrent.

Après le divorce, le Prophète l'épousa, mais non parce qu'il fut ébloui par sa beauté, puisqu'elle était sa propre cousine: il la connaissait depuis toujours et si elle lui plaisait tellement il aurait pu l'épouser au lieu de la donner en mariage à Zayd. Le Prophète (b.s.) l''épousa pour établir une nouvelle règle parmi les Musulmans: pendant la "djahiliyya" les fils adoptifs jouissaient des mêmes droits que les vrais fils, l'Islam vint alors abolir la coutume qui défendait au père adoptif de prendre en mariage la femme du fils adoptif.

(Il n'a pas fait que vos épouses que vous pouvez répudier soient pour vous comme vos mères, ni que vos enfants adoptifs soient comme vos propres enfants). (3)

Cette ancienne coutume était ancrée depuis des siècles en Arabie, les hommes ne pouvaient l'ignorer après la révélation de ce verset, il fallait une application pratique par le Prophète, modèle pour tous les musulmans(4)**. Muhammad (b.s.) devait donc donner l'exemple aux autres hommes mais il craignait de le faire. A cette occasion ce verset fut révélé :**

(Quand tu disais à celui qu'Allah avait comblé de bienfaits et que tu avais comblé de bienfaits : "garde ton épouse et crains Allah", tu cachais en toi-même, par crainte des hommes, ce que Allah allait rendre public : mais Allah est plus redoutable qu'eux, puis quand Zayd

1) XLIX — Les Appartements Privés — 13. قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الحجرات :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ

2) XXXIII — les Factions 36. قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا

3) XXXIII — Les Factions — 4. قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ

4) Ahmed Al-Hufy · Limadha Adada Al-Nabiyu Zawgatahu (Pourquoi Le Prophète Eu-il Plusieurs Epouses) Le caire — Al-Khalidi al-Arabi — 1989 — 1409 — voir page 41.

de l'Islam auprès des femmes; 'Aïsha avait toutes ces qualités. D'aute part, elle était la fille de son plus grand ami. Pendant neuf ans, elle fut la personne la plus intime du Pophète (b.s.) et un grand nombre de traditions sur la vie de Muhammad (b.s.) nous sont parvenues grâce à elle.

Hafsa bint 'Omar ibn al-Khattäb, mecquoise de la tribu 'Adiy. Elle était mariée à Khunays Ibn Hudhafa. Ils devinrent musulmans de très bonne heure et se réfugièrent en Abyssinie. Son époux mourut plus tard, à la bataille d'Ohud et Hafsa devint veuve à l'âge de vingt deux ans. Son père, 'Omar Ibn al-Khattab, un des compagnons les plus proches du Prophète chercha pour elle un mari parmi les plus éminents des Musulmans, mais ni Abu Bakr ni 'Othman Ibn 'Affan n'acceptèrent la proposition de 'Omar. Celui-ci en fut chagriné, se plaignit au Prophète (b.s.) qui l'épousa. Hafsa était une des rares femmes de son époque qui savait lire et écrire. Elle aussi nous rapporta un grand nombre de traditions.

Zaynab fille de Khuzaymа, une nadjdite vivant à la Mecque. Sa tribu, 'Amir ibn Sa'sa'a était une des tribus les plus puissantes de l'Arabie à cette époque. Les rapports du Prophète avec cette tribu étaient troublés à cause du massacre par traîtrise des missionnaires musulmans envoyés à cette tribu et aussi à cause du meurtre de deux des convertis de cette tribu par un missionnaire échappé au massacre qui ignorait qu'ils étaient musulmans. Zaynab venait aussi de perdre son époux, un Musulman tué dans le combat de Badr. Le Prophète l'épousa pour mettre fin à l'hostilité des membres de cette tribu vis-à-vis de l'Islam.

Om Salama — fille de Abou Omayya ibn al-Moghira, est une mecquoise de la tribu Makhzum. Elle et son mari avaient embrassé l'Islam et s'étaient réfugiés en Abyssinie. Son mari fut tué dans un combat et elle en fut très malheureuse. Le Prophète (b.s.) eut pitié d'elle et bien qu'elle fût d'un certain âge et qu'elle eût plusieurs enfants, il l'épousa.

Zaynab bint Djahsh, le mariage du Prophète (b.s.) avec sa cousine Zaynab fut parmi tous ses autres mariages, celui qui a été le plus controversé par les Orientalistes pour qui ce mariage semble prouver que le Prophète (b.s.) ne recherchait que les plaisirs des sens. D'après Maxime Rodinson(1), le Prophète (b.s.) après le mariage de Zaynab avec Zayd fut attiré par sa remarquable beauté et manifesta le désir de l'épouser et c'est pour cette raison que Zayd la répudia. Telles sont les circonstances qui menèrent à ce mariage.

Le Prophète (b.s.) avait en effet poussé sa cousine Zaynab à épouser son fils adoptif Zayd Ibn Haritha, un esclave affranchi, pour réaliser ainsi l'égalité sociale entre tous les membres de sa communauté, les esclaves, les affranchis et les nobles. Zaynab, la cousine du Prophète (b.s.) jeune, belle, et issue d'une bonne famille épousait ainsi Zayd l'affranchi. Le Prophète (b.s.) avait choisi sa propre cousine pour abolir cette ancienne coutume qui interdisait qu'une noble épousât un esclave affranchi et afin de mettre en application le verset coranique établissant l'égalité entre tous les hommes.

1) Maxime Rodinson — Mohamad — op. cit. p. 150.

«La polygamie en Islam»

par Dr. Magda Mahmoud Salem

Nous pouvons distinguer dans la vie privée du Prophète quatre périodes. Depuis sa naissance jusqu'à l'âge de vingt cinq ans, il resta célibataire et était réputé pour sa vertu parmi les membres de sa tribu.

A l'âge de vingt cinq ans, il épousa Khadïdja et fut pendant plus de vingt ans monogame et le mari exemplaire d'une femme de quinze ans son aînée, jusqu'à sa mort.

Après la mort de Khadïdja, il vécut plusieurs années dans une continence totale et ce n'est qu'à cinquante trois ans qu'il commença à être polygame. Il contracta de nombreux mariages soit avec les filles de ses principaux compagnons, soit avec des veuves de martyrs ou encore avec les filles de certains chefs de tribus.

Une fois l'Islam bien établi, le Prophète (b.s.) offrit à ses épouses de choisir entre une vie austère avec lui ou la séparation.

> *(Ô Prophète ! Dis à tes épouses : "Si vous désirez la vie de ce monde et son faste, venez: je vous procurerai quelques avantages puis je vous donnerai un généreux congé).*(1)

Aucune, bien sûr, ne choisit la séparation. Elles préférèrent toutes mener une vie austère avec lui.

Nous passerons alors en revue les mariages du Prophète afin de connaître les raisons qui le poussèrent à être polygame.

Khadïdja bint Khuwaylid, mecquoise de la tribu Assad, fut la première épouse du Prophète (b.s.) Au moment du mariage elle avait quarante ans et Mohammad en avait vingt cinq. Pendant vingt cinq ans et jusqu'à la mort de Khadïdja il resta monogame. Elle lui donna trois fils qui moururent en bas âge et quatre filles.

Sawda bint Zam'a, mecquoise de la tribu 'Amir ibn Lu'ay. Elle s'était convertie à l'Islam, poussa son mari à se convertir. Lors de la persécution des Musulmans à la Mecque, ils furent parmi les premiers à se réfugier en Abyssinie où son époux se fit chrétien et mourut. Sawda dut rentrer à la Mecque mais ne pouvait rejoindre sa famille dont elle craignait la persécution. La fermeté de sa foi impressionna fortement le Prophète (b.s.); il voulut lui témoigner son estime en l'épousant. Elle avait à cette époque cinquante ans.

'Aisha fille de Abu Bakr, mecquoise de la tribu Taym, n'avait que sept ans lorsque le Prophète (b.s.) l'épousa et ne se rendit chez lui qu'après avoir atteint l'âge de la puberté. Il avait besoin d'une femme intelligente et enthousiaste pour répandre les lois

1) XXXIII — Les Factions-28

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الأحزاب :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

Au mois de Chawwal en l'an 35 de l'Hégire, les révoltés quittèrent Baçra, Koufa et l'Egypte par petits groupes. Ils étaient environ un millier de personnes par province. Ils marchèrent sur Médine et campèrent à quelques kilomètres de la ville. Certains d'entre eux vinrent retrouver Âlï pour qu'il accepte d'être leur chef, mais Ali refusa. Quant à Othman, lorsqu'il fut informé de leur présence, il tenta de les persuader de sa sincérité, et demanda à Ali de les persuader de se retirer en promettant d'apporter les changements nécessaires.

Ali alla à la rencontre des insurgés et les convainquit de se retirer; il leur donna l'assurance que, dorénavant, les choses iraient mieux. Ils furent satisfaits, et les gens de Baçra se retirèrent, suivis de ceux de Koufa et d'Egypte. Mais voilà qu'une lettre mystérieuse fut interceptée par ceux d'Egypte : c'était soi-disant un courrier du calife adressé à son gouverneur d'Egypte et qui contenait l'ordre de tuer les chefs révoltés à leur arrivée au pays. Ces derniers, pleins de colère, rebroussèrent chemin et retournèrent à Médine. Ceux de Koufa et de Baçra les rejoignirent de nouveau. C'était la pleine révolte. Médine fut investie ses artères occupées et la maison du calife assiégée.

La situation s'aggravait de jour en jour, et Othman refusait de donner l'ordre à ceux qui le gardaient de combattre. Il tenta à maintes reprises de parler aux insurgés, du haut de sa maison. Il leur rappela qui il était, et comment il s'était joint au messager d'Allah (b.s.), mais personne ne voulait l'écouter. Comme la saison du pélerinage allait bientôt s'achever, les insurgés craignirent que le calife ne reçoive de l'aide, ils décidèrent donc d'attaquer la maison du calife. Ils escaladèrent la maison par derrière sans que ceux qui gardaient la maison ne s'en aperçoivent, et ils se précipitèrent dans la chambre du calife qui venait de faire ses ablutions et de prier deux Rakaas et qui s'était mis à lire du Coran. Un des insurgés lui plongea le poignard dans le cou, près de l'oreille. Le sang jaillit sur le Coran ouvert et sur ce verset : "certes Allah vous suffit. Il entend et sait tout". (1)

Un autre des insurgés nommé 'Omar Ibn Al Hamiq se jeta sur lui et lui asséna neuf coups de poignard.

Le jour de sa mort, Othman jeûnait. La veille, il avait vu en rêve le Messager D'Allah (salut et bénédiction sur lui) qui l'invitait à dîner avec lui le soir-même.

La nouvelle de l'assassinat de Othman laissa perplexes les compagnons du Prophète, (b.s.) car personne, a-t-on dit, ne s'imaginait que les insurgés pourraient commettre un acte aussi ignoble.

Othman mourut victime de l'injustice en se refusant d'être une cause de violence et de division entre musulmans, et fut enterré au cimetière d'Al-Baqui. La mort du calife Othman (qu'Allah soit satisfait de lui) est survenue le 18 du mois de Dhoul-Hidja en l'an 35 de l'Hégire après la prière d'Al 'Asr; il était âgé de 82 ans et son califat a duré 12 ans. Qu'Allah bénisse le calife Othman. Nous prions Allah le Tout-puissant de le combler de Ses Bienfaits.

La mort de Othman a affecté l'union des musulmans et n'engendra que désolation et division dans la communauté et le quatrième calife Ali Ibn Al Tâlib en paiera les frais.

Note : On peut voir au musée Topkapi d'Istamboul (Turquie) le Moshaf taché du sang de Othman qui a été poignardé pendant qu'il lisait.

L'assassinat de Othman Ibn Affan

par Hoda Hussein Cha'rawi

Nous sommes à Médine, en l'an 35 de l'Hégire, au mois de Dhoul-Hidjja, des insurgés assiègent la maison du calife Othman Ebn Affan et le privent d'eau et de provisions. C'est la pleine révolte ! Mais pourquoi le calife Othman n'ordonne-t-il pas de les réprimer? Car, Othman refuse d'être une cause de violence et de division entre les musulmans. Il veut que la nation de califat reste intacte, et ce au prix de sa vie.

Mais que lui reprochent les insurgés?

1 — La politique financière du calife.

2 — La gestion administrative de l'Etat que Othman confia à ses proches parents. Essayons d'examiner de près ces reproches. Quand Othman accède au califat, c'était dans la période la plus difficile qu'ait connu ce jeune Etat : le territoire venait de s'agrandir énormément, des éthnies et cultures variées se trouvaient rassemblées, et aux frontières, Perses, Romains et Turcs se soulevaient.

D'un côté, les peuples nouvellement acquis à l'Islam craignaient de retomber sous la coupe de seigneurs et de rois injustes, et se montraient à priori suspicieux envers le calife et les agents de l'Etat.

D'un autre côté, les anciens chefs de clan de Qoraïch, à qui Othman a permis de s'installer dans les territoires nouvellement acquis, se sont enrichis et n'ont plus respecté l'autorité du calife, alors que l'intention du calife, en leur autorisant ce que Omar Ibn Al-Khattab leur avait interdit, était de faire d'eux des éléments de stabilité et de bon conseil dans l'Etat.

Pris entre deux feux, Othman a choisi une position qui était logique, mais peut-être critiquable dans son principe : il s'est mis à compter sur ceux qui ne pouvaient pas le trahir : les membres de sa famille. Quand il a compris l'ampleur des critiques à ce sujet, il a décidé de changer de politique : mais on ne lui laissa pas la possibilité de le faire.

REVUE AL AZHAR

Vol. 67, Part III
Rabiu Awal, 1415 Hijrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

It is also understood that Islam, in its method to reconcile between the husband and wife, insists on the principle that divorce is the last thing a couple should resort to. Besides, keeping his divorcee under his sight as a notice for the reunion, the discovery that the woman is pregnant may make the husband forget everything and revoke divorce.

THE WISDOM BEHIND MAKING DIVORCE REVOCABLE TWICE :

The wisdom behind the legislation of making divorce revocabe twice is that repudiation may be due to a quick decision made by an unexperienced husband in a moment of tension which is usually, and especially, in the case of the youngesters, followed by individual or reciprocal feeling of sorrow, repentance and forgiveness.

The second repudiation is a decisive warning to both parties that they should avoid the causes of marital breach, that the husband should be careful in taking the decision of separation : and that their married life is henceforth endangered, otherwise they would encounter in irrevocable divorce.

It is from these two chances of reconciliation that Islam is persistent on protecting the whole family from disintegration and on keeping in particular the children from vegrancy and corruption.

MINOR IRREVOCABILITY (BAYNUNA SUGHRA) :

Minor irrevocability or (baynuna sughra) is the term given to the case of divorce in which the husband loses the power of recantation of the marital rights and duties. If the couple wish to return to each other, a fresh marriage of a new contract, dowry and witnesses is necessary for them to reunite.

This type of divorce is applicable in the following cases :

a. When a woman is divorced before the marriage is consummated with her husband. The woman so divorced is entitled to the half of the dowry.

b. When the husband pronounces one or two repudiations, after the consummation of marriage, and does not exercise the right of return on his repudiated wife within the waiting period.

c. In the case of Khul' (REDEMPTION OR DIVORCE OF COMPENSATION) in which the woman gives the husband a sort of compensation to let him divorce her, provided the proposal of divorce does only emanate from the wife not from the husband.

MAJOR IRREVOCABILITY (BAYNUNA KUBRA) :

Major irrevocability (baynuna kubra or final divorce is the case in which the three repudiations have been exhausted. The phase of divorce dissolves marriage finally. The woman so divorced cannot be made a lawful wife again to her former husband unless she first marries a different man and is then divorced by the man of his own free will and her waiting period after the second marriage has been observed.

No doubt the final divorce is so binding that the reunion is extremely difficult. The resort to the third repudiation is but a clear evidence that the disagreement between the couple has reached its culmination and all attempts to bring the couple together again have failed.

The wisdom of this restriction lies in the fact that an honourable person prefers to restrain himself to the best extent and refrains from propouncing the third repudiation rather than to divorce his wife finally and then take her back after being dealth with sexually by another husband.

DIVORCE IN ISLAM (7)

CLASSIFICATION OF DIVORCE :

by : Muhammad Hijab

Islam has not legislated divorce to be final separation. On the contrary, it has taken into consideration the fact that man and woman are human beings of different dispositions, tempers and tastes. Therefore, it has constituted divorce in the form of three phases :

a. The phase of revocability,
b. The phase of Minor irrevocability, and
c. The phase of major irrevocability

The revocable divorce is that in which its repudiation takes place after an actual consummation of marriage between the husband and wife, provided the repuidation is not counted the third one, and the proposal of divorce has not emanated from the wife.

The rules laid down for the revocable divorce are :

1. Marriage subsists between the two parties during the waiting period.
2. The husband retains his marital authority over his wife, and he may have access to her and treat her as his wife, but this actually amounts to his exercising the right of return.
3. The husband is under legal obligation to maintain his wife in his house.
4. The couple are still entitled to inherit their due share of each other's property on the death of either of them.
5. The husband can exercise the right of return with his wife by word of mouth such as : "I take you back." or by action which is the sexual communication.

It is clear from this point that the reunion between the man and woman during the waiting period may take place with neither dowry nor entering into a fresh marriage contract. In this respect, the Qur'an says :

> *"Divorced women must wait, keeping themselves from men, three menstrual courses. It is unlawful for them, if they believe in Allah and the Last Day, to hide what He has created in their wombs : in which case their husbands would do well to take them back, should they desire reconciliation." (Sura 2:228).*

It is understood from the text quoted above that the divorced woman who is observing her iddah (waiting period) may happen to be with child, in which case she should inform her husband who is exhorted by the Qur'an to take her back if she appears to have been pregnant. Such a reunion, recommended by the Qur'an, is not only to take place because of the wife, but also because of the new comer who might bring about happiness and comfort to the couple.

But if you do not abstain from usurious dealings, then Allah, the Almighty, and His Messenger will wage war against you! How horrible such a war may be with man, that helpless weak creature on the one side and Allah, the Omnipotent and the Allpowerful on the other ! The imam in a Muslim society is commissioned to fight those who insist on usury dealings and disobey God in the same way as the Caliph Abu Bakr fouht those who refused to pay alms. Our Prophet Muhammad — Allah glorifies him — ordered his servant in Mecca to fight those who insist on usurious dealings.

However, the war waged by Allah and His Messenger against usurers is of a more general character. It is a war declared against every communjity that adopts usury as the basis for its economic and social order. It is an all-out and overrriding war : war on nerves and hearts, war on blessing and welfare, war on happiness and reassurance. Allah instigates those who are disobedient to His order and course against each other. War breaks out among them because of oppression and defraudation brought about by usury. Usurers who own world capitals set fire to such wars directly and indirectly.

Lenders have right to their principals i.e. the sums they lent. This is fairness. Money augmentation has its clean and innocent means in Islam. There are joint-ventures based on the Islamic principle of risk-sharing under which the owner of the capital (the lender) and the investor (the borrower) both share profits and losses. Money may be deposited in banks — but without interest; and banks may submit such money to commercial and industrial enterprises provided that these dealings be based on the risk-sharing principle. Banks may take appointed wages for management.

But what about the insolvent who can not pay their debts ?

> *"If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay.*
> *But if ye remit it by way of charity, that is best for you if ye only knew.*(1)
>
> *Verse 280 — The Cow (2)*

Here is the dewy clemency of Islam. Islam is the shady shelter to which humanity resorts from the stifling heat of egocentrism, niggardliness and greediness and rapaciousness. In Islam, a debtor in difficulty may not be harassed by his creditor who is called by Allah to give up his debt in charity if he volunteers. Moreover, the insolvent are entitled by verse 60 of Repentance sura (9) to part of charities.

> *"Alms are for the poor and the needy, and those employed to collect them; For those who have recently been converted to Islam and need encouragement.*(1)*; For those in bondage and those in debt; In the cause of God; and for the wayfarer; so God ordains; God is All-knowing, All-wise."*(2)

(1) to consolidate their faith
(2) I relied here on the Translation of the Glorious Qur'an by Yusuf Ali.

Usurers at the time of our Prophet Muhammad - Allah glorifies him — objected to the prohibition of usury saying that trafficking is like usury. They argued that trafficking brings profit and interest in the same way as usury does. Their reasoning, however, is corrupt because trafficking transactions are subject to profit and loss while usury transactions have in every case predetermined and guaranteed profit. Herein lies the main difference between trafficking and usury which makes the first legal and the second illegal.

Islam handled the economic conditions prevailing at the time of its advent in a realistic way and without making an economic or social shock. It did not confiscate any property in whose making usury played a part. The application of its order began after the promulgation of its legislation :

> *"Whosoever receives an admonition from his lord and gives over, he shall have his past gains, and his affair is committed to God. "verse 275, The Cow.*

According to Islam, legisation is enforced only after its promulgation. Under Islam there may be no retroactive laws — a principle adopted by modern legislation.

But many people may be tempted to carry on usurious dealings because the time of the day of reckoning is unknown. The Glorious Koran, however, warns them that Allah will blot out usurers both in this life and in the next world. It states that only freewill offerings may grow. "God blots out usury, but freewill offerings He augments with interest. God loves not sinful unblievers." verse 276-The Cow. God's warning and promise came to be true. Any community dealing with usury suffers the absence of blessing, of welfare, of happiness and of feelings of security and reassurance. Allah blots out usury so that it may produce nothing but leanness, dearth and misery. Life has become burdensome and people's nerves have been overstrained; their money, their lifetime and their health are not blessed; and they accordingly, lost their peace of mind. The end of the verse is noteworthy : "God loves not guilty unbelievers." It is definitive and decisive : those who carry on usury dealings are guilty unbelievers whom God does not love.

We come to verses 278 and 279 of the same sura (The Cow) :

> *"O believers, fear you God; and give up the usury that is outstanding, if you are believers.*
> *But if you do not, then take notice that God shall war with you, and His Mesenger; yet if you repent, you shall have your principal, unwronging and unwronged."*

The text makes the truthfulness of the faith of the believers dependent upon abandoning whatsoever remains of their usurious dealings. They are not believers unless they fear God and give up usury. The text excites and stirs in their hearts the feeling of God-fearing — this feeling which Islam inculcates within the human soul as the inherent guarantee for the fulfilment of its legislation in addition to external control.

ISLAM'S OUTRIGHT PROHIBITION OF USURY

"Why Western Banks are pondering the applicability of Islamic finance"

PART III

by : Muhammad Atris Ebrahim

Koranic verses dealing with usury :

"Those who devour usury shall not rise again except as he rises, whom Satan of the touch prostrates; that is because they say, 'Trafficking is like usury'. God has permitted trafficking, and forbidden usury. Whosoever receives an admonition from his lord and gives over, he shall have his past gains, and his affair is committed to God; but whosoever reverts· those are the inhabitants of the fire, therein dwelling forever."(1)

Verse 275-The Cow (2)

Those who devour usury are not only those who receive usurious interest. They include also all the individuals of usurious community. The Prophet Muhammad — Allah glorifies him — cursed those who devour usury, serve it, testify to it and write it; and said : "All of them are equal" i.e. in bearing responsibility and punishment. Those people rise and move only like mentally deranged persons since they live in tension and anxiety; and never enjoy peace of mind, serenity or tranquility.

Our world today suffers from inner conflict, stress, depression, dejection and fear. Neurotic and psychological diseases are spreading everywhere despite the superficial materialistic prosperity which is of no value. It does not provide repose, satisfaction or reassurance. In the most prosperous countries — and especially the U.S.A. and Sweden — people are wretched and miserable. They are savaged by anxiety, worry and concern. Monotony feeds on their life and they try to dump it in boisterousness, profligacy, eccentric fashions and in sexual perversion. They feel irresistible need to flee from themselves and from the psychological emptiness and dreariness they live in — they flee to perversion, to madness and to suicide.

The main reason of their misery is the hollowness of their souls. These are empty of belief in Allah and lack the sublime humanitarian feelings and principles established by such belief in the souls of the faithful. Economy based on usury develops for the benefit of a handful of usurious financiers who lend trade and commerce at predetermined and guaranteed interest regardless of the devastation such lending may cause to millions and millions of people and the suspicions and fears it plants in their lives.

Under Secretary The People's Assmebly

I relied here on : "The Koran Interpreted" by : Arthur J. Arberry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part III
Rabiu Awal, 1415 Hijrah

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1. **Islam's outright prohibition of usury**
 By : Muhammad Atris.
2. **Divorce in Islam part 7**
 By : Muhammad Higab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● الافتتاحية (أثر الإسلام فى حياة بريطانيا الحديثة)
للدكتور على أحمد الخطيب ٢٧٣

● لجنة الفتوى بالأزهر والـــزى المدرسى المفروض ٢٧٥

● مع الإمام الأكبر :
ـ الأسوة الحسنة ٢٨٠
ـ فتوى فى شروط من يتصدى للفتوى ٢٨٣

● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى ٢٨٦

● قبس من أنوار النبوة (نماذج ثلاثة ممن يحبهم الله)
لفضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٢٩٠

● لا إيمان لمن لا أمانة له
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون .. ٢٩٣

● المؤمن ليس من أهل الأهواء والتفرقة
لفضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان .. ٢٩٨

● التأسى بإمام الأنبياء وخاتم المرسلين .
للشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح .. ٣٠٢

● شهادة المرأة .
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ٣٠٨

● المرأة والشهادة فى الفقه الإسلامى .
ا.د/ عبدالسميع عبدالوهاب ٣١٠

● التكافل فى المجتمع الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز الخياط ... ٣١٧

● الغارة التنصيرية على إندونيسيا المسلمة
للأستاذ/ محمود السباعى عبدالله ٣٢٣

● الفتاوى إعداد الاستاذ/ عبدالمنعم فودة ٣٢٨

● من أعلام الأزهر (محمد صادق عرجون)
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٣٣١

● من روائع الماضى (للأستاذ أمين الخولى)
إعـــداد الأستـــاذ/ عبدالفتاح الزيات٣٣٧

● باب الشعر ●

● فى المولـــد النبـــوى : للشاعـــر عمـــر عسل ٣٤٠

● محمد ﷺ للشاعر/ محمد تهامى ٣٤١

● يتساقطون تساقط الزهر
للدكتور/ سعد ظلام ٣٤٢

● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٣٤٤

● العلوم الكونية ●

● نعمة الماء أصل الحياة وإكسيرها
ا.د/ أحمد فؤاد باشا ٣٤٦

● من أمراض الطفولة
للدكتورة/ جيهان أحمد مصطفى ٣٥١

● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ٣٥٤

● باب اللغة والنقد والأدب ●

● الأزهر والمراصفة والأدب .
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٣٥٨

● وقفة مع ديوان شراع فى بحر الهوى
للشاعر/ محمد عبدالوهاب ٣٦٣

● من شعر أبى طالب دفاعا عن رسول الله
للباحثة أسماء أبو بكر محمد ٣٧٠

● السجاير حلال أم حرام :
عرض وتقـــديم للأستـــاذ عبـــدالسلام ناصف ٣٧٧

● عرض لكتاب (الإسلام كبديل)
عرض وتقديم الأستاذ عادل خفاجة ... ٣٨٣

● بين المجلة والقارىء
إعداد الدكتور/ محمد عبدالحكيم ... ٣٩٣

● أنباء الإمام الأكبر ٤٠٠

● على هامش المؤتمر الأول للدعوة والدعاة
إعـداد الأستاذين : عمـر البسطـــويسى ـ مصطفى عبد المجيد ٤٠٣

● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد ٤٠٩

● القسم الفرنسى ٤١٧

● القسم الانجليزى ٤٢٣

٢٢٢٦٦ ع
دوريات

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي غفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت ٥٩٩٢٦٣٨ - ٥٤٧٣٩٠

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

الغرب والنسل

في العالم الثالث

هلَّا تساءلنا — في مودة وإخلاص — عن سر اهتمام الغرب بكثرة النسل في العالم الثالث .. ؟

وهلا تساءلنا : لماذا — في إخلاص أيضا — عما يضيره من هذا النسل .. ؟

ثم تساءلنا : لماذا يقفز — بعد قضية النسل — إلى هدفه المستميت في إرادته إشاعة العلاقات الشاذة بين أبناء المجتمع الاسلامي .. وإباحة ما سماه بـ « الأسر المثلية » التي تنشأ بين رجلين ، أو بين امرأتين .. إلى إباحة الإجهاض .. إلى ما هو أضل سبيلا من هذا وذاك حتى ينتهي الحال بالمجتمع الإسلامي أن يكون طبقا للأصل من العالم الغربي في ظل قوانينه الوضعية التي جعلت الجسد ملكا لصاحبه : رجلا كان أو امرأة .. ؟ .

لماذا كل ذلك : أعطفا على العالم الثالث ، أتحضرا له ، أتخلصا من ثقله السياسى وامتداده الجغرافى ، أخوفا منه ، أتدميرا له .. ؟

الأسئلة كثيرة ، والشك مرتقب ، والإخلاص من الغرب ــ معدوم ، حتى على ألسنة العامة من شعب مصر التى تردد : « ما جاء من الغرب ما يسر القلب » .

والإجابة عما تقدم من أسئلة سهل يسير ، يمكن أن نسوقه فى هذه الكلمات ، التى تضع الإجابة واضحة بين أيدينا :

تقلص موارد الغرب الطبيعية :

هذا التقلص الذى خطط الغرب لملافاته منذ عام (١٩٠٧م) على يد رئيس وزراء بريطانيا « كامبل بترمان » الذى قام بتشكيل لجنة علمية مكونة من أساتذة فى التاريخ ، ورجال فى القانون والسياسة ليس من بريطانيا وحدها ، وإنما من دول غربية عدة ووجه إليهم خطابا حدد فيه مهمتهم ، جاء فيه[1] :

إن الأمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر إلى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا وتزول . والتاريخ ملىء بمثل هذه الأمثلة ، وهى لا تتغير بالنسبة لأية إمبراطورية ، أو أمة ، فهناك إمبراطوريات : روما وأثينا والهند والصين وقبلها : بابل وآشور والفراعنة وغيرها ، فهل يمكن الحصول على (أسباب) أو (وسائل) تحول دون سقوط الاستعمار الأوربى وانهياره ، أو تؤخر مصيره المظلم **بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن أصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها ، وشاخت معالمها** ، بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ... ؟ .

وبعد سبعة أشهر من الدراسة قدم العلماء نتيجة أبحاثهم فى هيئة تقرير سرى إلى وزارة الخارجية نقتطف منه باختصار ــ نقلا عن نفس المصدر بتصرف ــ مايأتى :

(١)راجع للأستاذ الدكتور أحمد شلبى « مقارنة الأديان .. اليهودية » ص ١٠٠ ط ٨ عام ٨٨ مطابع سجل العرب .

(ا) يكمن الخطر على الاستعمار فى شواطىء البحر الأبيض : جنوبه وشرقه حيث توجد أمة تتوافر لها وحدة الدين والتاريخ واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط فضلا عما لها من ثروات طبيعية ونزعات ثورية ، ستكون خطرا ماحقا على الغرب إذا استخدمت الوسائل الحديثة وإمكانيات الصناعة الأوربية ، وانتشر بها التعليم ــ ستكون خطرا تحل به الضربة القاضية على الاستعمار الغربى .

(ب) على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وتأخرها ، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتخلف .

(جـ) ضرورة فصل الجزء الإفريقى بهذه المنطقة عن الأسيوى بإقامة حاجز بشرى قوى وغريب يحتل الجسر الرابط آسيا بإفريقيا ، وعلى مقربة من قناة السويس ؛ ليكون قوة صديقة للاستعمار ومعادية لسكان المنطقة .. اهـ .

فى ضوء ما **قدمنا نتبين ــ بإقرار مسئول** ــ تقلص موارد أوربا ، ثم نعلم لماذا قامت إسرائيل ، وزرع هذا الجسم الغريب صديق الاستعمار فى المنطقة .

نقص التعداد البشرى :

فى ظل التطبيق الدقيق لوصايا التقرير ، تحولت الثروات الطبيعية البكر الغنية للعالم الثالث لتصب فى الغرب ، وليعيش غرب أوربا بالذات فى رفاهية لا مثيل لها ، وفى ظلال قوانين ودساتير ساقت الحرية لشعوبها دون روابط خلقية حملت نقمة الله العزيز الخفية على هذا العالم ، فبدأ تعداده البشرى فى تناقص مستمر : نالت المرأة من الحرية ما جعلت جسدها ملكا يخصها فاندفعت بأكثرية ساحقة إلى شهوات الدنيا وزينتها متخلصة من أعباء الحمل والولادة وواجب الأمومة .. الأمر الذى كان سببا مباشرا فى نقص التعداد عاما بعد عام .. ثم صحب هذا الوضع إقرار العلاقات الجنسية المثلية فزاد الطين بلة .. وتمردت عجلة القيادة على الصراط المستقيم ، وتزايدت السرعة فى طريقها

المظلم المليء بالعثرات .. ولم تنجح مظاهرة طالبت فيها نساء السويد أن يُعْدُن إلى عصر الجدات ، ولم تجد لها نظيرا يعضدها فيما حولها من بلاد الغرب ، بل فوجيء العالم بما هو أنكى وأمر .. بمباركة بعض الكنائس للزواج المثلى ، وفى ٦٦/٢/١١ وافق مجلس العموم البريطانى بأغلبية أربعة وستين ومائة صوت ضد سبع ومائة على جعل الشذوذ الجنسى بين البالغين من الذكور قانونيا بعد موافقة مجلس اللوردات عليه فى ٢٣ من المحرم ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥/٥/٢٤ ، وكان من أشد معارضيه « رجال » على رأسهم « لورد مونتجمرى أوف علمين » الذى ضاع صوته وأمثاله أمام طلب إقرار هذا الشذوذ من خمسة من الأساقفة جحوا فى ضم أصوات ثلاثة من اللوردات إليهم فى ١٠ من المحرم ١٣٨٥ ـ ٦٥/٥/١١ ، وفى نفس الشهر تقدم نساء بريطانيات إلى الحكومة طالبات إباحة الإجهاض فى ٢٠ من المحرم ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥/٥/٢١[٢] .

وبدأ التعداد البشرى فى التنازل ، ثم استشرى ، كانت السويد فى أوائل الدول التى تنبهت لخطورته وسعت لعلاجه ، وبذلت مكافآت سخية لمن تنجب طفلا ، إذ لم تعد تنجب الأطفال إلا من يشتد شوقها لإشباع غريزة الأمومة ، وفى الحق ليس كل الغرب فى هذا النقص سواء ، فقد يكون وجوده ضئيلا جدا فى شرق أوربا ، لكنه موجود على أية حال ، ولتدارك النقص سعت بعض الدول الغربية إلى إيواء اللقطاء من بعض دول العالم الثالث ، إذ اللقيط ـ من وجهة نظرها ـ يتمتع بميزتين : أولاهما : أنه ـ حتما ـ لا يعرف والديه ، وثانيهما : أنه يكون أشد ولاء للدولة التى احتضنته ، وفى اللقطاء ـ إن أمكن ـ ما يكفل طرح فكرة شراء الأطفال ، فليست ذات نتيجة مرجوة ثم ألقى الفاتيكان بثقله فى القضية فأعلن رئيسه عن تشكيل لجنة لدراسة تحديد النسل فى ٦٦/٢/١٣[٣] ، وفى ختام عام ١٩٦٨ أعلن تحريم التحديد ، واستمع العالم الكاثوليكى ، وتبعته كنائس آخر صيحة بابا الفاتيكان :

« الولد نعمة من الله ملعون من رفض نعمة الله » .

وبرغم احتضان الكنائس لهذا الصوت ظل الحال على ما هو فى الغرب .

وذلك الموقف يفسر حملة الفاتيكان العنيفة على مؤتمر السكان ، وعلى تحديد النسل

(٢) انظر على الترتيب :
الأهرام صفحة ١ عمود ٥ فى ١٩٦٦/٢/١٢ .
الأخبار صفحة ١ عمود ٥ فى ١٩٦٥/٥/٢٥ .
والأخبار ص ١ عمود ٦ فى ١٩٦٥/٥/٢٦ .
الأهرام صفحة ١ عمود ٥ فى ١٩٦٥/٥/١٢ .
الأخبار صفحة ٢ عمود ٧ فى ١٩٦٥/٥/٢٢ .

(٣) الاهرام فى ٦٦/٢/١٤ ص ٥ عمود ١

وتنظيمه ، وإعطاء المرأة وحدها حق الإجهاض .. الخ وإن كانت حملته قد تأخرت ربع قرن عما قرره مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى المنعقد بالقاهرة فى المحرم ١٣٨٥ ــ مايو ١٩٦٥[٤] ، وأذاعت لندن حملة الفاتيكان هذه صباح الأربعاء الثانى من صفر ١٤١٥ ــ ١٠/٨/١٩٩٤ .

ويالله العجب : هوجم الأزهر بشراسة ، ولم يهاجم الفاتيكان مع أن الموقف واحد. والقضية واحدة .

هجرة نحو الغرب :

وفى ظل قوانين الهجرة منذ أكثر من ربع قرن ــ وامام استمساك الدول الاستعمارية بروابط مع دول استقلت عنها سياسيا سمحت ــ لأمر أو لآخر ــ بالهجرة إلى بلادها حتى بلغت الملايين .. متمثلة هذه الهجرة فى رجال أو نساء يعلمون ويعلمن حق الوطن الأم[٥] ، ونشأ من الجميع جاليات ضخمة كسبت ــ بمرور الوقت .. ثقلا سياسيا فامتدت أصواتها بمطالب تتفق وقوميتها ، واستجابت بعض الحكومات لشىء منها ... ثم بدأت أوربا تضيق بهذا الوضع ، وتعتبره كابوسا أو استعمارا لبلادها أحق بِنِعَمِهِ أبناؤها ، وظهر ذلك جليا فى شعار الانتخابات فى الغرب التى كتبت وخطبت تعلن خطتها لمواجهة (الغرباء) وبدأت قوانين الهجرة تنكمش عما كانت عليه ، وزاد الضنك الاقتصادى من اتساع هذه النظرة ثم عمقها ثم النظر ــ بعيدا ــ إلى نسل العالم الثالث بترقب وحذر تحت شعارات جديدة تدور حول مخزون الغذاء العالمى ... !!!!

ونحمد الله الجليل الحفيظ على أن مؤتمر السكان هذا لا يستطيع أن يفرض على مصر ما يخالف دينها وشريعته كما قال السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد ...

د. على أحمد الخطيب

(٤) تجد القرار منشوراً بصفحة من هذا العدد .

(٥) على العكس من اللقيط .



السيد الرئيس محمد حسني مبارك

في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الأخوة والأخوات : ليس من لقاء أحب إلى نفسي من هذا اللقاء الروحي الحميم ، الذي تجمعنا فيه مناسبة تعتبر من أمجد معالم تاريخنا العظيم .. إنها مناسبة ذكرى ميلاد منقذ البشرية ورسول الإنسانية ، سيدنا محمد ﷺ ، وعلى إخوته أنبياء الله ورسله أجمعين .

إن الاحتفال بهذه الذكرى العطرة ، يعبر عن الوفاء والعرفان ، لم قدم لنا ـ وللإنسانية معنا ـ ما يستحق منا أجزل الحمد وأعظم الثناء .. كما أن الاحتفال بهذه الذكرى المتجددة يوقظ ضمائر الضالين ، وينبه قلوب الغافلين ، يجسد أمامنا المثل الأعلى الذي يشحذ الهمم للانطلاق إلى ما فيه خير الحياة ، ويدفع المسيرة إلى المضي في الطريق المستقيم

الإحتفال بهذه الذكرى العطرة المتجددة ، استحضار لشخصية صاحبها الباهرة ، واستجلاء لسيرته الطاهرة ، وقراءة متجددة لتاريخه الحافل ، وتمجيد واجب لنضاله الباسل ، من أجل نجاح دعوته وتحقيق غاية رسالته . على أن ذلك كله لا يتحقق على وجهه الصحيح ، إلا من منطلق الحب للرسول الكريم ، الذي هو أهل لأصدق الحب وأسمى الإجلال والتعظيم .

رسالة الإسلام منقذة وحضارية

والرسول العظيم سيرة قدوة ، ودعوة منقذة ، ورسالة حضارية خالدة ، والاستجابة لدعوة صاحب الذكرى تكون بالتأسي بسيرته القدوة ، وبالتلبية لدعوته المنقذة ، وبالأخذ بقيم رسالته

الحضارية الخالدة ، وسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .. من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الرجولة والكهولة .. مثل أعلى إذا اقتدينا به ربحنا لأمتنا طفولة صحيحة نقية ، وصبا واعدا سويا ، وشبابا قويما قويا ، ورجولة فاضلة مثالية ، وكهولة باهرة عبقرية . ودعوة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، دعوة إلهية ، تقصد إلى خير البشر فى دنياهم وأخرتهم ، لأنها دعوة خالق البشر ، الذى يعلم ما فيه صلاحهم وسعادتهم ، ويدرك ظاهرهم وباطنهم ، ولا تخفى عنه نزعات نفوسهم وهواجس ضمائرهم .

هذه الدعوة الإلهية قد كرمت الإنسان ووضعته فى أعلى مكان وجعلته خليفة الله فى أرضه ، وسخرت كل شيء فى الوجود من أجله .

مبادىء إنسانية سامية

ومن أبرز مظاهر هذا التكريم ، الدعوة إلى تحرير الإنسان جسدا وروحا ، وعقلا ونفسا .

ومن مظاهر هذا التكريم ـ أيضا ـ ، الدعوة إلى بناء الإنسان ماديا ومعنويا ، وخلقا وسلوكا . ومن مظاهر هذا التكريم كذلك ، الدعوة إلى توجيه الإنسان إلى ما يرقى به ويرفعه ، وإلى ما يحقق له السعادة فى الحياة ، وما يرجى معه فى الأخرة الفوز والنجاة . كل ذلك جاءت به دعوة الإسلام التى أنزلت على محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تلك الدعوة التى تنظم العقيدة الصحيحة ، والشريعة السمحة ، والعبادات التى تربط الإنسان بربه ، وتجعله دائما مستشعرا مراقبة خالقه ، ملتزما بالحدود التى رسمها له من أجل سعادته فى دنياه وآخرته .

ورسالة الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد جاءت بمبادىء إنسانية سامية ، وقيم حضارية عالية ، وأرست الأسس الثابتة والأهداف الأساسية التى فيها خير البشرية وسعادة الإنسانية ، وتركت للناس حرية التفكير والاجتهاد فى اختيار ما يحقق هذه الثوابت ، ويوصل إلى تلك الأهداف . بهذا تميزت الرسالة المحمدية بالحيوية ، وملاءمة التطور ، والمساعدة دائما على الحركة والتقدم ، حيث فتحت الطريق رحبا للاجتهادات الواعية والتطبيقات الصحيحة ، التى لا تخرج عن الأصول المقررة والنصوص القطعية ، التى جاء بها الكتاب الكريم ، ودعمتها سنة الرسول العظيم .

السنة : ركائز ومنطلقات

ومن أدق وأعظم ما جاء فى رسالة نبينا فاتحا لباب الاجتهاد المواكب للتطور ، قوله ﷺ « ما رآه المسلمون حسنا ، فهو عند الله حسن » ، وقوله لأصحابه ، فى أمر دنيوى لا علاقة له

بالدين : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . هكذا كانت سيرة الرسول القدوة ، ودعوته المنقذة ، ورسالته الخالدة هى المنطلقات الصحيحة الرشيدة ، التى انطلق منها المسلمون الأوائل ، فخرجوا بها من ظلمات الجاهلية البائدة ، إلى نور الإسلام الهادى ومن القبلية التى تفرق بين الناس بالصراع والعداء ، إلى المدنية التى تؤلف بين القلوب بالسلام والمحبة والاخاء .

كانت سيرة الرسول هى الركائز التى جذبت إلى الإسلام شعوبا شتى ، دخلت جميعا فى دين الله أفواجا ، اقتداء بسيرة محمد ، واستجابة لدعوته ، وإيمانا برسالته ، كانت تلك الركائز هى التى أقامت المجتمع الإسلامى على دعائم الحرية والديمقراطية ، والمساواة والعدل ، وأرست العلاقات بين أبنائها على الإخاء والتراحم ، والتعاون والتكافل ، وأسست الحياة على مبادىء إجلال العلم النافع ، واحترام الفن الرفيع ، وتقديس العمل الجاد ، وتقدير الإنتاج الجيد الوفير . على هذه القيم والركائز ، قامت حركات التنوير والتحرير منذ القرن الماضى ، التى قادها مفكرون مستنيرون ، وعلماء مجتهدون ، ومصلحون واعون ، وزعماء مخلصون عملوا جميعا على تصحيح مسيرة الأمة نحو أهدافها الجليلة ، عن طريق الأخذ بالقيم الإسلامية النبيلة ، فهى القيم التى كانت أساسا لنهضة الآباء ، وهى خير ضمان لنهضة الأبناء ، وضمان التقدم لهم والرقى والسعادة .

جوهر الدين الحنيف

وإذا كانت أمتنا تقترب من غاياتها فى استعادة مكانتها ، بدأت من جديد .. وبكل أسف .. بعض عوامل النكوص وبعض ظواهر الانحراف . تلك العوامل والظواهر أبعدت الأمة ـ أو بعض أبنائها ـ عن جوهر الدين الحنيف ، الذى يدعو إلى الترابط والتآزر ؛ ويحض على الإخاء والتراحم ، ويدفع إلى المحبة والتسامح ، ويحث على نبذ العصبيات القبلية ورفض الصراعات المذهبية والدعاوى الجاهلية ، كما يحث على التشبث بأسباب الحضارة الراقية ، والأخذ بأساليب المدنية السامية ، التى هى غاية الرسالة الإسلامية الإنسانية الخالدة . وهكذا مالبثنا أن رأينا على ساحة أمتنا فى السنوات الأخيرة ، سلبيات خطيرة ، أعاقت مسيرتها ، وغرست الأشواك فى طريق استكمال نهضتها واسترداد مكانتها ، ومن أبرز هذه السلبيات ، التورط فى الصراعات ، وتزييف الشعارات ، وإهمال ترتيب الأولولويات ، ثم الجمود والانغلاق على الذات .

أما التورط فى الصراعات ، فقد أخذ أشكالا شتى وأدت إلى دوافع مختلفة .. فهو أحيانا صراع قبلى من أجل تحقيق السيطرة ، وأحيانا صراع مذهبى من أجل فرض الرأى ، وهو تارة

صراع سياسى من أجل الوثوب إلى السلطة ، وتارة أخرى صراع أنانى من أجل العدوان على حقوق الغير .

بل قد وصل الأمر ـ كما رأينا ـ إلى نشوب الحرب بين الأخوة فى البلد الواحد ، وإلى عدوان الجار على الجار فى الأقليم الواحد ، وإلى ترويع الشقيق للشقيق من أبناء الدين الواحد .

دعوة إلى الاعتصام

ولعل أشد ما يوجع ويخجل فى هذا الذى يجرى ، أن مقترفيه ينتسبون إلى أمة الإسلام ، ويزعمون أنهم يفعلون ما يفعلون من أجل الإسلام . بل أنهم يلوون النصوص الدينية لتأييد مزاعمهم ، ويحرفون الكلم عن مواضعه لتبرير أعمالهم . ويعرف كل من له حظ من الفكر الإسلامى الصحيح ، أن هذه الصراعات ـ بكل أشكالها المتعددة ودوافعها المختلفة ـ بعيدة كل البعد عن مبادىء ديننا الحنيف ، الذى نعرف جميعا ـ من سيرة نبيه وتعاليمه الغراء ـ أنه دين التوحيد والتوحد ، دين الحرية والديمقراطية ، دين المحبة والتسامح والإخاء ، لا دين الكراهية والصراع والعداء ، هذه الصراعات إثم كبير ، وتسترها بالدين إثم أكبر .

فالدين قد أكدت نصوصه المطهرة الدعوة إلى الترابط والتآخى ، طلبا للقوة والعزة ، وتحقيقا للأمن والأمان ، ورفضا للضعف والضياع والهوان .

حسبنا أن نتذكر قول ربنا جل شأنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ وقوله عزّ من قائل : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ . وحسبنا كذلك أن نتدبر قول نبينا صلوات الله وسلامه عليه : « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله** » .

وأما تزييف الشعارات ، فقد جاء مرتبطا بالداء السابق ، لأنه مبرر من مبرراته وداعية من دعائه ، فالذين يتورطون فى الصراعات يلجأون إلى تبرير مسالكهم بشعارات زائفة ، يرفعونها خداعا وتضليلا ، أو يضعونها اقنعة على وجوههم لتستر رغباتهم الطائشة ، ونزعاتهم الطامعة .

ففى مجال السياسة يرفعون مثلا شعار « الحرية » بينما هم يصادرون كل حرية إلا حريتهم هم فى العدوان والبطش وفرض الرأى ، وفى مجال الدين يرفعون مثلا شعارات زائفة عن الحكم بأصول الدين والشرع ، بينما هم يريدون الحكم لأنفسهم ، ويبتعدون عن كل ما يريده الله للناس من أمن واستقرار ، وللحياة من تقدم وازدهار .

وفى مجال الإصلاح يرفعون أيضا شعار « الأصولية » ويزعمون أنهم يريدون أن تكون كل شئون المجتمع وفق الأصول التى أقرها وعاش عليها السلف ، بينما هم فى الواقع بعيدون كل البعد عن « الأصول » الحقة ومنابعها المتفتحة ، لأنهم يريدون أن يسجنوا المجتمع فى سجن مظلم من أفكارهم

البالية المتخلفة ، ومزاعمهم الرجعية المتجمدة ، التى هى أبعد ما تكون عن روح الإسلام وتعاليمه وهى أبعد ما تكون عن مآثر السلف الصالح .

فأصول الإسلام الحق ، لا ترفض التطور ، ولا تقف فى وجه التقدم ولا تعادى المعاصرة والتحضير .

الجهاد وإكراه الآخرين

وفى مجال الدعوة يرفعون كذلك شعار « الجهاد » وهو فى زعمهم : إرغام الآخرين على اعتناق الدين ، وقهر المخالفين ليغيروا سلوكهم صاغرين ، وهذا الإرغام أو القهر يصل إلى حد قتل المخالف فى العقيدة أو المغاير فى المسلك .

شعار « الجهاد » على هذا الوجه شعار مضلل زائف ، لأن الجهاد الأكبر ـ كما عرفناه من سيرة الرسول ودعوته ورسالته ـ هو جهاد النفس وتطهير الذات وتنقية السريرة ، وهو لا يصل إلى حد القتال ، إلا أن يكون حربا دفاعية أو وقائية ، أو تحريرية ضد طغاة يستعبدون الناس ويحولون بينهم وبين الحرية فى اختيار الدين الذى يرتضونه .

والجهاد الحق لا يعنى أبدا العداء للمجتمع بسبب المخالفة فى الرأى كما يفعل المتطرفون ، ولا يصل ـ من باب أولى ـ إلى درجة الصدام والترويع والقتل من أجل فرض الرأى كما يفعل الإرهابيون . فلا التطرف جهاد ، ولا الإرهاب جهاد ، وإنما الأول انحراف فى الفكر يحتاج إلى تصويب وإصلاح ، والثانى جنوح فى السلوك يستحق العقوبة والقصاص ، حسبنا أن نتذكر ما فاضت به الآيات القرآنية المقدسة والأحاديث النبوية المطهرة من نصوص ترفض فرض الدين أو فرض الرأى ، أو الدعوة إلى الله عن طريق العنف ، فضلا عن الترويع والارهاب والقتل حسبنا أن نتذكر قول الله جل علاه : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ، وقوله الكريم لنبيه العظيم : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر** ﴾ .. وحسبنا أيضا أن نتذكر قول ربنا لنبيه ولكل داعية يسير على نهجه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وأما اهمال الأولويات ، فقد ابتليت به أمتنا كداء متصل بالداءين السابقين ـ داء هذا الداء فى كثير من المظاهر وعديد من التصرفات التى تحيد بالبعض عن الطريق الصحيح ، وتجرهم إلى متاهات تبدد الجهد ، وتضيع الفرص ، وتهدر الطاقة . كثير هم الذين لا يسعون إلى تلبية ضرورات الأمة الرئيسية ، ولا يهتمون باحتياجاتها الملحة ومطالبها الأساسية ، وإنما يقفزون إلى أمور وتطلعات لا مكان لها إلا بعد تحقيق الضرورات والوصول إلى الأساسى من الغايات كثير هم الذين يهملون ضرورة تعليم الأمة العلم الراقى ، ويتجنبون إنماء اقتصادها الإنماء الكافى ويستهينون باستقرار الأمة الاستقرار المطمئن ، ويستهجنون سعى الأمة إلى السلام العادل ويقفزون إلى أمور لا تخرج الأمة من

أمية الغالبية من أبنائها ، ولا تجنبها تهديد الفقر والمجاعات لكثير من بقاعها ، ولا تحول بينها وبين القلاقل والصراعات ، التى تريق الدماء فى عديد من أصقاعها .

حاجَتنا إلى العلم النافع

إن هؤلاء ينسون ـ أز يتناسون ـ الأولويات وترتيبها ، والضرورات والحاجات ووجوب البدء بها ، وبذل أقصى الجهد فى سبيل تحقيقها هؤلاء ينسون ـ أو يتناسون ـ أن أمتنا تحتاج ـ أو ما تحتاج ـ إلى علم نافع ينير العقول ويضىء السبل أمام مسيرة التقدم ، فمن العار أن تظل نسبة الأمية فى أمتنا من أعلى النسب فى العالم ، على حين دعا ديننا إلى العلم ، وكانت أولى سور كتابنا المقدس هى سورة العلق ، التى تبدأ بقول المولى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ . كذلك ينسى أو يتناسى الذين يهملون الأولويات ، أن أمتنا تحتاج ـ بالدرجة الأولى ـ إلى اقتصاد قوى ، يتحقق بالعمل الجاد ، والانتاج الجيد الوفير ، والإفادة من كل ما منح الله للناس من ثروات طبيعية ، وقوى بشرية ، وخبرات علمية ، حتى يتحقق للأمة حظها من الكفاية والوفرة ، وحتى تتهيأ لها الحياة الكريمة الجديرة بأمة عريقة عظيمة .

والقرآن الكريم يحث فى كثير من آياته على ما يحقق هذه الغاية الحياتية الضرورية . وكذلك السنة النبوية المطهرة ، التى تزخر نصوصها بكل ما يوصل إلى هذه التنمية الاقتصادية الأساسية ، وما أروع قول الرسول العظيم : « **إذا قامت الساعة ، وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل** » .

كذلك ينسى أو يتناسى المهملون للأولويات ، أن الأمة لكى ترقى علميا وتزدهر اقتصاديا ، لابد لها من الأمن والاستقرار الذى يسمح بالرقى والازدهار ، ولا استقرار إلا بالسلام العادل ، الذى يمكن المجتمع من مواصلة السير إلى الأمام .

وليس أضيع للفرص من القلاقل ، وليس أضر بالأمم من الحروب التى لا يربح فيها إلا تجار السلاح ، وهواة إراقة الدماء وإزهاق الأرواح .

حول مؤتمر السكان والمنزلة الدولية لمصر

والرسول الكريم صاحب الذكرى العطرة قد دعا إلى الاستقرار ومجد السلام فسيرته صلوات الله عليه تفيض بالتعايش السلمى مع الآخرين ، ولم يلجأ إلى الحرب إلا استثناء لرد عدوان غادر أو

إبطال تآمر مدبر ، والله تعالى يقول فى كتابه الحكيم : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ويقول : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ . وأما الانغلاق والجمود ، فداء مزمن ومظهر سلبى مؤسف أدى إليه التشدد الجامد ، والادعاء المظهرى المزايد ، وهو ـ أيا كانت أسبابه ـ يتنافى مع الحرية العقلية والسماحة الفكرية والرحابة الحضارية ، التى عرفتها أمتنا الإسلامية فى عهود الازدهار .

هذا الداء المعوق يغلق نوافذ النور عن أمتنا ، ويقطع الجسور بينها وبين العالم الذى نعيش فيه ، بل كثيرا ما يفوت عليها فرص الانتفاع بما وصل إليه الآخرون من عوامل سمت بالفكر وارتقت بالاقتصاد ونهضت بالمجتمع ووفرت له صحة البدن ورقى العقل وعافية النفس ، وسعادة القلب . لقد وصل الأمر بهذا الداء إلى أن حدا بالبعض إلى رفض مجرد الحوار مع الغير ، أو الاستماع إلى ما يطرح من أراء وما يقدم من أفكار ؛ خشية أن يكون فى تلك الآراء والأفكار ما يخالف قيمنا أو يغاير بعض مبادئنا .

وأقرب صورة لهذه الظاهرة السلبية المؤسفة تلك الزوبعة التى أثيرت حول « مؤتمر السكان » الذى سوف يعقد بالقاهرة فى الشهر القادم ، وهو مؤتمر علمى تنموى عالمى وإنسانى يهتم ببحث قضايا البشر والأرض . اختيار أرض مصر ليعقد هذا المؤتمر عليها ، شهادة لها بالمنزلة الدولية المرموقة التى تحتلها ، وبالمكانة العلمية الرفيعة التى تمثلها ، وبالقوة الفكرية الصلبة التى تتسلح بها فلا تخشى الحوار ، ولا تضعف أمام رأى أو فكر مهما كان .

استند المعترضون على هذا المؤتمر إلى أن ورقة الإعداد له ـ التى طرحتها الأمم المتحدة ـ قد تضمنت بعض محاور للبحث قد تصطدم مع مبادئنا وتتنافى مع أخلاقياتنا . نسى هؤلاء المعترضون ـ أو فاتهم ـ أن هذا المؤتمر هو : أساس للحوار حول أنجح السبل لتجنب خطر الانفجار السكانى ، وللربط بين حجم السكان وبين أهداف التنمية ، وبين نمو البشر ، وتنمية الموارد الطبيعية .

وسوف تطرح فى هذا المؤتمر ـ من غير شك ـ حلول مقبولة لهذه المشكلة السكانية ، تفيدنا وتساعدنا فى تجنب هذا الخطر الذى يهددنا ، وليس من المستبعد أن تطرح فى المؤتمر أفكار وآراء غير مقبولة بالنسبة لنا . ولا يمكن أن يتصور أحد أننا سوف نقر هذه الأفكار أو نأخذ بهذه الآراء ، بل إننا على أتم الاستعداد لكى نرد على كل ما يخالف ديننا أو يمس أخلاقياتنا ومبادئنا ، نحن على أتم الاستعداد لإحقاق الحق ، وإبراز جوهر ديننا المضيء ، ومبادىء إسلامنا الإنسانية الحضارية المشرفة .

نحن على أتم الاستعداد لهذا كله بفضل مفكرينا الواعين المستنيرين وبفضل علمائنا الأجلاء الراشدين . لا توجد قوة تفرض علينا رأيا لا يرضاه ديننا ولا يستطيع أحد ـ مهما كان ـ أن يجبرنا

على حل مشكلة بما يتنافى مع شريعتنا الغراء ومبادئنا القويمة ، وليس مجرد عقد المؤتمر على أرضنا يلزم لنا بكل الأفكار التى تطرح فيه ولا بجميع الآراء التى تبدى على ساحته .

لامساس بمبادى الدين والأخلاق

اننا من منطلق التفتح والثقة بالنفس وعدم الخشية من أى حوار .. ومن منطلق الإيمان بديننا والتشبث بمبادئنا ، واستشعار القدرة على عرض ما لدينا من مبادىء ديننا الخالد وشريعتنا السمحة .. ومن منطلق حرصنا على المكانة التى عرفها المجتمع الدولى لمصر ، والتقدير الذى أقره العالم لعلم مصر وعلماء مصر .. ومن منطلق الأمل فى أن يساعدنا العالم فى التغلب على مشكلة من أخطر مشاكلنا ـ دون أن يكون فى ذلك أى مساس بمبادئنا وديننا وأخلاقياتنا ـ من هذه المنطلقات جميعا ، رحبنا بعقد هذا المؤتمر على أرضنا .. ونرجو أن نظفر بخير ما يقدم ، وأن نفيد من هذا الخير فى معالجة تلك المشكلة الاجتماعية والاقتصادية والتنموية الخطيرة .

وما أظن ـ ولا يظن أحد يعرف جوهر دينه ـ أن إهمال هذه المشكلة أو التغاضى عنها مما يرضى الله أو مما يقره الدين الحنيف ، فالله جل شأنه ، يريد لعباده أن يكونوا أقوياء أسوياء . وأن يعيشوا موفورين سعداء والدين الحنيف لا يرضى لأتباعه أن يكونوا ضعافا ، ولا أن يعيشوا محتاجين تعساء . فالنبى الكريم قد قال : « **المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » وقال أيضا : « **لأن تدع أبناءك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس** » .

فإذا كان الانفجار السكانى مؤديا إلى الضعف والفقر كانت مقاومته من الأمور المباحة ؛ بل يصل الأمر إلى أن يكون من الأمور الواجبة فقد استعاذ النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من « جهد البلاء » وحين سئل عنه قال ما معناه : « هو كثرة العيال مع قلة المال » .

ولن أخوض هنا فى بحث علمى لبيان كيفية مواجهة تلك المشكلة فهذا شأن العلماء الأجلاء ولكنى أردت أن أشير إشارة عابرة بمناسبة تلك الزوبعة التى أثيرت مؤخرا حول « مؤتمر السكان » وأحب أن أذكر بما سبق أن أشرت إليه من أن ديننا الحنيف قد أرسى ثوابت وأصولا يجب ألا تمس ورسم غايات يجب أن تقصد ، وترك للمسلمين حرية الاجتهاد فيما يوصل إلى هذه الغايات ولا يتعارض مع الاصول الثوابت . من هنا فتح باب الاجتهاد فيما لا يمس الاصول الثابتة والنصوص القطعية الواضحة وأذكركم مرة أخرى بقول الرسول الكريم : « **ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن** » وقوله لأصحابه فى أمر من الأمور الدنيوية التنموية « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر العلماء الأجلاء .. الأخوة والأخوات .. هذه السلبيات الأربع ـ التى أبرزتها على سبيل المثال ـ قد أضعفت الأمة وأخرتها حضاريا وشوهت صورتها عالميا لهذا

لابد من تصويب هذه السلبيات وعلاج هذه الأدواء والبحث لها عن ناجع الدواء .. لابد من صحوة جديدة لأمتنا ذات الحضارة المجيدة ، إن أهم ما يحقق هذه الصحوة المأمولة لأمتنا هو التمسك بجوهر الإسلام الذى يتمثل فى سيرة الرسول القدوة ودعوته المنقذة ورسالته الخالدة ، أجل .. سيرة الرسول بكل ما تحمل من مثل عليا فى الخلق والسلوك والعطاء ، ودعوة الرسول بكل ما تضم من قيم عظمى تسمو بالإنسان وتضمن له التقدم .

ورسالة الرسول بكل ما تحوى من شريعة حضارية إنسانية ؛ تتآزر مبادؤها لصنع الفرد الصالح فى المجتمع الصالح فى الأمة الصالحة الجديرة بان توصف بأنها « خير أمة اخرجت للناس » .

مسئولية الدعوة الإسلامية

هكذا يكون انتفاعنا بالذكرى ويكون احتفالنا بها استعادة لسيرة صاحبها واستحضارا لمبادىء دعوته وجوهر رسالته ، ثم استضاءة بهذا كله فى مراجعة أمور أمتنا وتصحيح مسيرتها وتصويب خطاها لتحقيق صحوتها والوصول ـ بعون الله ـ إلى عزتها ونهضتها ولعلكم توافقوننى فى أنه على كل واحد من أبناء أمتنا واجب ـ بقدر طاقته ـ فى تحقيق هذه الأهداف النبيلة والوصول إلى هذه الغاية الجليلة .

ولعلكم توافقوننى بعد هذا كله على أن أول من يتحمل شرف هذه المسئولية هم الدعاة والعلماء والمفكرون والأدباء ، فعليهم جميعا ان يبصروا الأمة بما يتهددها من هذه السلبيات وبما يصيبها من هذه الأمراض حتى تنجو من ويلاتها وتعود إلى مسيرتها الظافرة ، وحتى يغلق الطريق أمام المتورطين فى الصراعات والرافعين لزائف الشعارات ، والناسين ـ أو المتناسين ـ لترتيب الأولويات ، والمصرين على الجمود والانغلاق على الذات .

هذه دعوة أوجهها إلى جميع أخوتى المسلمين بمناسبة احتفالنا بذكرى ميلاد رسولنا الأمين .. وأتوجه بدعوتى بصفة خاصة إلى كل المسئولين فى أمة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها كما أتوجه بدعوتى بصفة أخص إلى المتورطين فى الصراعات وحمل الشعارات وأعمال العنف وأقول لهؤلاء : اتقوا الله فى شعوبكم واتقوا الله فى أمتكم . واتقوا الله فى دينكم ..

الأخوة والأخوات أبناء أمتنا فى كل مكان ..

انتهز هذه الفرصة لأهنكم بذكرى مولد رسولنا ولأناشدكم أن تتأملوا السلبيات التى تعوق مسيرتنا ولأدعوكم أن تنتفعوا بهذه الذكرى العطرة للرسول الكريم بالعمل على تحقيق الصحوة لأمتنا أملا فى استعادة نهضتنا ومكانتنا « ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » ..!! وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بالإسكندرية

آن لنا أن نتبع الأسوة الحسنة للرسول صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

السادة الحضور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

اعتاد الناس أن يحتفلوا بذكرى مولد الرسول ﷺ فى شهره شهر ربيع الأول ـ هذه الذكرى التى تمر بالمسلمين تذكرهم بأن الرسول ﷺ كان قدوة لهم حسبما قال الله :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » كان صادقا وأمينا قبل النبوة وشاع صدقه وأمانته بين قومه ، فكانوا مع خلفهم معه فيما يدعو إليه لا يكذبونه ويأتمنونه على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم حتى إنه ليلة الهجرة استخلف عليا ـ رضى الله ـ عنه مكانه ليفى بالأمانات التى ببيته فأين نحن من صدقه وأمانته .. هل شاع بيننا الصدق فى التعامل ؟ وفى القول وفى أداء الأمانات ؟ العمل أمانة والعبادة أمانة « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

الرسول ﷺ كان عفا عفيفا ما نطق بكلمة سوء وما سخر من أحد ، وما اعتدى على أحد فهل اقتدينا به فى هذا ؟ أم أن قالة السوء قد انتشرت بيننا ؟ وسخرية بعضنا من بعض قد أساءت الصلة التى ينبغى أن تكون نقية طاهرة ؟ فهل بخلقنا للأسوة به كسبنا وربحنا أم خسرنا ؟ .

هذا رسول الله ﷺ يعلمنا الأمانة فى كل شىء .

حين جاءه أحد ولاته ومعه أموال جمعها من المسلمين من زكاة وغيرها ثم قال : ما بال الرجل نوليه مما ولانا الله . فيقول هذا لكم وهذا لى هلا جلس فى بيت أبيه وأمه لينظر ما يهدى إليه .

هل اقتدينا برسول الله ﷺ فى هذا . فى حرصنا على العفة والعفاف ؟ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فهل لنا أن نتبع الأسوة الحسنة ؟ كل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فتوى
للإمام الأكبر

في التحكيم في شئون المضاربة

وبيان ما إذا كان المحكّم ملزماً ، ومتى يكون ذلك ، وهل لأطراف النزاع الالتجاء إلى القضاء في شأن موضوع التحكيم ، وهل يختلف نظام التحكيم في القانون الخاص به برقم ٢٧ لسنة ١٩٩٤م عما جاء في الفقة الإسلامي ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من الدكتور مهندس/إبراهيم مصطفى كامل ، جاء بها :

مقدمة : مضاربة إسلامية أقرضت جزءا من رأس مالها لطرف آخر وجارى تحصيل قيمته ، وعلما بأن شروط المضاربة نصت على التحكيم حسب الشريعة الإسلامية أمام جهة محددة عليه .

السؤال الأول :

هل يحق لكل أو أى من أرباب المال أو المضارب تجاهل التحكيم واستصدار أوامر على عريضة من أى محكمة معنية ؟

وما موقف المضارب من تلك الأوامر على عريضة أيا كان مضمونها ؟

السؤال الثانى :

هل يحق لكن أو أى من أرباب المال أو المضارب توزيع حصيلة تسديد القرض الحسن أو أى من أموال المضاربة على أرباب المال قبل تسديد ديونها للغير وكلفة عمل المضارب ؟

وما هو الموقف لو كان هناك شرط بهذا في شروط المضاربة ؟

السؤال الثالث :

رغم استمرارها في مباشرة نشاطها هل يحق لأى من أطراف المضاربة دون الاتفاق مع الطرف الآخر أو التحكيم استصدار أمر على عريضة من محكمة مدنية بتصفية المضاربة وتعيين مصفى قانونى لها ؟

السؤال الرابع :

إذا ثبت أن تصرفا لأحد أو مجموعة من أرباب المال أضرت ماليا ومعنويا بمصالح المضارب وباقى أرباب المال فهل يحق لمن أضر في ماله تعويض خسارته خصما من نصيب من أضر به في أموال المضاربة ؟

السؤال الخامس :

هل يحق لأطراف المضاربة فى حالة عدم القدرة على اللجوء إلى جهة التحكيم المتفق عليها أن تطلب من فضيلتكم تعيين ثلاثة محكمين للتحكيم بين الأطراف المتنازعة فى المضاربة ؟

شاكرين لفضيلتكم تفضلكم بالإجابة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توقيع عن المضاربة

دكتور مهندس/إبراهيم مصطفى كامل

(والجـــواب)

التحكيم لغة : مصدر حَكَّمَهُ فى الأمر والشىء ، أى جعله حكما ، وفوض الحكم إليه .

وهو مشروع فى الإسلام ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى جوازه بقوله تعالى فى سورة النساء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾(١)

ومن معانى التحكيم فى اللغة : الحكم .

وفى الاصطلاح : التحكيم : تولية الخصمين حاكما يحكم بينهما .

مشروعية التحكيم :

يدل على هذا قول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾(٢)

وفى السنة النبوية ما يدل على مشروعية التحكيم وجوازه ، فقد رضى رسول الله ﷺ بتحكيم سعد بن معاذ ـــ رضى الله عنه ـــ فى أمر اليهود حين جنحوا إلى ذلك ورضوا بالنزول على حكمه كما جاء فى البخارى .

ومقتضى فقه مذاهب الأئمة الأربعة جواز التحكيم فى النزاع فى شأن الأموال كالمسألة المعروضة فى مقدمة هذا السؤال .

ومتى أصدر الْحَكَمُ حكمه صار الحكم ملزما لأطراف النزاع وتعين إنفاذه دون توقف على رضا الخصمين ، وقد جرت بذلك أقوال فقهاء المذاهب وقالوا : إن حكم الْمُحَكَّمِ كحكم القاضى متى استوفى شرائطه .

وهذا الإلزام الذى يتصف به حكم المحكم ينحصر فى الخصمين فقط ولا يتعدى إلى غيرهما ؛ ذلك لأنه صدر بحقهما عن ولاية شرعية خاصة نشأت عن اختيارهما الحكم المحكم فى النزاع فيما بينهما .

وتجيز نصوص الفقه لمن لم يرض بالحكم من الخصمين أن يرفع الأمر إلى القضاء ، وللقضاء أن يقر حُكم المُحكم أو نقضه فى نطاق الأحكام الصحيحة تماما كما يطعن على حكم القضاء أمام الدرجة الثانية ولم يختلف أحد فى هذا من الفقهاء .

لمَّا كان ذلك كان الجواب عن السؤال الأول : أنه يحق لأى من أرباب المال فى المضاربة

(١) من الآية رقم ٦٥ سورة النساء .

(٢) من الآية رقم ٣٥ سورة النساء .

والمضارب الالتجاء إلى القضاء بالطرق المقررة فى القانون وحسب قواعد الاختصاص النوعى والمكانى أو حسب الاتفاق إن كان ، ولكل من الطرفين تبادل الدفاع بالإجراءات القانونية .

وعن السؤال الثانى :

لا يحق لأى من أرباب المال أو المضارب التصرف فى شىء من أموال المضاربة أو القرض الحسن المشار إليه فى مقدمة السؤال إلا بعد الوفاء بديون الغير على أموال المضاربة ومن هذه الديون نفقات المضارب ، ويستوى فى هذا أن يكون فى المضاربة شرط نصى بهذا المعنى أو لم يكن .

وعن السؤال الثالث :

أنه متى طرأ نزاع بين أطراف المضاربة كان لمن شاء منهم عرض النزاع على القضاء أو بالتحكيم إذا اشترط ذلك ، وكان له سلوك كل الطرق القانونية ومنها طلب تصفية المضاربة وتعيين مصف قانونى لها مالم يحدد صك المضاربة طريقا أو طرقا محددة ؛ لأن المسلمين عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا كما ورد عن رسول الله ﷺ[٣] .

وعن السؤال الرابع :

إن ثبوت هذا يقتضى الالتجاء إلى القضاء الذى يدقق فى واقعات النزاع ويستظهر الأدلة ويطبق القاعدة الشرعية التى هى نص حديث شريف (لا ضرر ولا ضرار)[٤] ولكن ليس لأحد الطرفين أن يكون خصما وحكما فى وقت واحد .

وعن السؤال الخامس :

إن الأصل فى الالتجاء إلى التحكيم هو التراضى بين الخصوم على مبدأ التحكيم ، ثم على اختيار المحكمين أو المحكم أو التفويض إلى طرف آخر فى اختيار الحكم .

فإذا حدث واتفق أرباب النزاع على أن يطلبوا إلى الأزهر تعيين ثلاثة محكمين جاز النظر فى ذلك متى كتبوا بطلب التحكيم وبالرضا بثمرته التزاما بذلك .

هذا وقد نظم القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٩٤ فى شأن التحكيم فى المواد المدنية والتجارية قواعد التحكيم وإجراءاته بما لا يتناقض مع أحكام الفقه الإسلامى فى الجملة ويحسن الرجوع إليها قبل أو بعد تحرير مشارطة التحكيم استئثارا لضوابطه وإجراءاته باعتباره عملا قانونيا نظاميا ترجى فائدته فى فحص النزاع والوصول إلى العدالة فيه .

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ٣ ص ٦٣٤ ، ٦٣٥ ط/دار الكتب العلمية .

(٤) رواه أحمد وابن ماجة ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ٧، ص ٣٦٩ .





بشأن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية

المؤتمر يستهدف فى أكثر من مادة :

- **تبنى نقيض ما شرع الإسلام لمقومات الأسرة الأساسية .**
- **وحماية العلاقات الجنسية الشاذة بين الجنس الواحد ــ أو الجنسين المختلفين دون علاقة شرعية .**
- **وهدم قيم الأديان السماوية لإشاعة الفاحشة والأمراض الخبيثة .**

توشك الأمم المتحدة أن تعقد فى القاهرة خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٤م ، مؤتمرها الدولى للسكان والتنمية ؛ لتناقش فيه مشروع برنامج عمل أعد من قبل ، تناول فى شق منه .

بعض أحكام الأسرة .

والعلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم .

ومدى الحق فى الإجهاض .

وحق المراهقين فى النشاط الجنسى .

والمطلع على هذا المشروع يرى أن مازخر به من تعبيرات فضفاضة ، وعبارات مطلقة ، ومصطلحات مبتدعة ، يوحى بأنه يرمى إلى تبنى نقيض ماوضعه الإسلام من مقومات أساسية للأسرة ، ويسمح بالإجهاض فى غير الحالات التى تسمح فيها الشريعة الإسلامية بذلك ، ويهدف إلى حماية العلاقات الجنسية التى تثور بين الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين عن غير طريق الزواج الشرعى ، بما يهدم القيم التى تحرص عليها الأديان السماوية جمعاء ، ويؤدى إلى أن تشيع الفاحشة ، وتتفشى الأمراض الوبيلة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، انطلاقا من تحمله تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن دوافع مسئوليته عن بيان الرأى فيما يحدث من مشكلات اجتماعية أو غيرها ، قد اجتمع فى يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٩٤ م للنظر فى مشروع برنامج العمل المشار إليه ، وخلص إلى تأكيد الحقائق التالية :

أولا : فيما يتصل بالأسرة :

إن الإسلام ليجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة[١] ، ويسوى فيها بين المرأة والرجل لتساويهما فى الإنسانية[٢] ، ويعطى لكل منهما الحق فى إنشاء الزواج واستمراره ما وسعهما أن يقيما حدود الله[٣] ، مع أمرهما بالصبر على ماقد يكرهون فيه عسى أن يكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا[٤] ، ويطالب بتنشئة الناشئة فى الأسرة على الإيمان بالله والثقة فى حكمته وحكمه ؛ ليكون ذلك الإيمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد فى خطواته من طفولته إلى شيخوخته[٥] ، ويجعل الرجل قواما على الأسرة بحكم مسئوليته عنها ، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها[٦] ، وحماية النشء ، وحملهم على الصلاة[٧] ، حتى تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فلا تنحرف بهم الطريق إلى الهاوية بسبب قلة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم ، وتوهج الغرائز فيهم .

ولا ريب أن هذه المقومات تتنافى مع التشكيك فى اعتبار الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع كما جاء فى المبدأ رقم ١٠ من المشروع ، كما تتنافى مع مطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين على غير طريق الزواج ، مع الرضاء عن هذا النشاط واعتباره سرا لا يحق لأى منهم التدخل فيه ، بما يحمل على إغراء المراهقين بالاندفاع وراء غرائزهم ، ويعرضهم بالتالى للأمراض الفتاكة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى[٨] .

ثانيا : فيما يتصل بالعلاقات الجنسية :

لا يقر الإسلام أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعى ، الذى يقوم بين الرجل والمرأة . بشروط وأوضاع لا يؤتى ثماره دونها ، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط ، ولو تم بالرضا من الرشيدين ، ويمنع المقدمات التى تفضى إليهما كالخلوة والاختلاط الفاجر ، بل إنه ليأمر كلا من الذكر والأنثى بغض بصره حتى لا ينساق إلى طريق الغواية والضلال[٩] ، وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص ـــ كما حرصت سائر الأديان السماوية ـــ على استقرار المجتمع على الطريق القويم

(١) انظر الآية رقم ٢١ من سورة الروم

(٢) انظر الآية رقم ٧١ من سورة التوبة ، والآيات أرقام ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ من سورة النجم .

(٣) انظر الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة

(٤) انظر الآية رقم ١٩ من سورة النساء

(٥) انظر توصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية

(٦) انظر الآية رقم ٣٤ من سورة النساء

(٧) انظر الآية رقم ١٣٢ من سورة طه والآية رقم ٢٩ من سورة العنكبوت

(٨) انظر على سبيل المثال المادة السابعة من مشروع برنامج عمل المؤتمر فى فقراته الثانية والثالثة ، والثالثة والأربعين والخامسة والأربعين

(٩) انظر الآيتين ٣٠ ، ٣١ من سورة النور

الذى يكفل له القوة والمتعة صحيا ونفسيا واجتماعيا .

ومن ثَمّ فإن مما يناقض الإسلام أن يسمح بأشكال اقتران أخرى غير الزواج ، كما تشير إلى ذلك الفقرة الخامسة من المادة الخامسة من المشروع ، أو بتمتع الأفراد غير المتزوجين بحياة جنسية مرضية ، كما تشير إلى ذلك المادة السابعة فى فقرتيها الأولى والثانية ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية ــ بما فى ذلك تنظيم الأسرة ــ فى متناول الجميع دون اشتراط الزواج كما توحى بذلك المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

ثالثا : فيما يتصل بالإجهاض :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل محرم إسقاطه مطلقا ، (ولو نتج الجنين عن زنى أو اغتصاب) ، إلا إذا كان هناك سبب طبى يقتضى المحافظة على حياة الأم ــ لأنها أصل وحياتها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل فى الحياة ، كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته بعد ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها [١٠]، ومن ثم فإن إباحة الإجهاض فى غير الحالة الموضحة آنفا ، يتناقض مع حكم الإسلام ، ولو كان تحت مسمى تنظيم الأسرة أو صحة الإنجاب أو الصحة الجنسية [١١] .

ومجمع البحوث الإسلامية إذا كان قد خص بالذكر ما يتصل بالمسائل الثلاث السابقة ، فذلك لا يعنى أن المشروع قد برىء من مخالفة الشريعة فيما عداها فقد سرت فيه بعض العبارات التى توحى بأمور غير مقبولة ، من أمثلة المساواة بين الذكر والأنثى فى حقوق الميراث الذى تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة الرابعة ، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج مع إتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر ، كما جاء فى الفقرة الثانية والعشرين من المادة الرابعة بما قد يفهم على أنه دعوة إلى تسهيل الدعارة .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة إلى تعديل صياغة المشروع وضبط عباراته حتى لا تشتمل ــ ولو فى مفهومها ــ على ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ــ وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية ــ وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور . ويلفت النظر بشكل خاص إلى ما حوته المادة السابعة بفقراتها المتعددة ، وما انساب منها إلى سائر أجزاء المشروع من عبارات واصطلاحات تستلزم التغيير ضبطا للصياغة وإحكاما لها ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تُلْزَم الأمة الإسلامية بشىء منه .

شيخ الجامع الأزهر الشريف
رئيس مجمع البحوث الإسلامية
جاد الحق على جاد الحق

(١٠) انظر قرار مجمع البحوث الإسلامية الصادر فى جلسته رقم ٧ دورة ٣٠ المنعقدة بتاريخ ١٩ شوال ١٤١٤ هـ الموافق ٣١ مارس ١٩٩٤م .

(١١) انظر على سبيل المثال ما تشير إليه المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة

من قرارات مجمع البحوث الإسلامية

بشأن تحديد النسل وتنظيمه

في مؤتمره الثاني

المحرم ١٣٨٥هـ - مايو ١٩٦٥م

وهو المؤتمر الذى مثل علماؤه المسلمين من اليابان حتى البرازيل
وأجمعت هذه الصفوة على الآتى

يقرر المؤتمر ما يلى:

١ - أن الإسلام رغب فى زيادة النسل وتكثيره ، لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتماعياً واقتصادياً وحربياً وتزيدها عزة ومنعة .

٢ - إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة ، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه .

٣ - لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ - أن الإجهاض بقصد تحديد النسل ، أو استعمال الوسائل التى تؤدى إلى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعاً للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم فى كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

بيان من جبهة علماء الأزهر

بشأن

برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه .

اطلعت جبهة علماء الأزهر على البيان الذى أصدره « مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف » فى شأن برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة فى المدة من ٥ ـ ١٣ سبتمبر ١٩٩٤ .. وعلى البيانات الأخرى لبعض هيئات الأزهر ، وعلى برنامج عمل المؤتمر (فى نسخته باللغة العربية).

والجبهة أداءً منها لواجب الأمانة الدينية والعلمية ، وانطلاقاً من واجباتها التى نصّت عليها لائحة تأسيسها منذ إنشائها فى سنة ١٩٤٦ ، والتى منها العملُ على إعزاز الإسلام والمسلمين ، وتوجيه القوانين فى مصر الوجهة الإسلامية التى تتفق مع « الإسلام » دينها الرسمى ، ونشر الثقافة الإسلامية بكل الطرق المشروعة ـ تُصْدِرُ هذا البيانَ بلاغاً منها لكل المسلمين والمتديِّنين .

إن برنامج عمل المؤتمر فى بعض بنوده يمثل تهديداً لمقومات الأمة الإسلامية وقيمها الأصلية الراسخة ، مما يعنى التدرجَ إلى طمس الهوية الذاتية لكل المجتمعات النامية بما فيها المجتمعات الإسلامية .

وقد رأت الجبهة أن تساند وتؤكد ما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية وبعض هيئاته من بيانات ومناشدات .

وفى الوقت نفسه تعتز الجبهة بما صدر عن السيد رئيس الجمهورية من تصريح يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن مصر لا يمكن أن توافق على ما يخالف الشرائع السماوية ، وهذا التصريح معدود فى حسنات سيادته إن شاء الله .

وتطرح الجبهة عدداً من الأمور والمسائل التى تناولها برنامج المؤتمر :

أولًا : أشار البرنامج إلى الربط بين الزيادة السكانية والفقر على أنه نتيجة حتمية لها ، وفى مواجهة ذلك تبرز جبهة علماء الأزهر ما قررته العقيدة الإسلامية من أنَّ الله ـ عز وجل ـ قدَّرَ الأقوات وضمِن الأرزاقَ لكل ما يدب فى الأرض ، ولكن واقع ما تعانيه البشرية الآن من فقر وحرمان مرده الأساسى إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستغلاله إياه ، فضلًا عن الاستهلاك

المفرط فى البلاد الغنية واستنزافها موارد البلاد النامية .

ثانياً : حتم البرنامج ضرورة حماية جميع أشكال الأسرة ومنها الأسر التى تنشأ بين رجلين أو بين امرأتين أو بين رجل وامرأة بدون زواج شرعى .

وجبهة علماء الأزهر تعلن أن الإسلام لا يقر مفهوم الأسرة إلا إذا نشأت بين زوجين بعقد شرعى يتوافر فيه التراضى وإقامة حدود الله .

ثالثاً : توجَّه البرنامج إلى رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية ، والتربية السويَّة ، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس ، والاحتفاظ بسلوكياتهم الشخصية فى سِرِّيةٍ عن آبائهم ، وتنبه الجبهة إلى أن تعاليم الإسلام تجعل الرجل راعياً فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، وليس من الرعاية المسئولة تركهم للشذوذ الجنسى .

رابعاً : دعا البرنامج إلى ضرورة المساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث ، وهذا أمر قد حسمه القرآن الكريم وحكم فيه حين قال : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ولا تنازل عن حكم الله ومفاده ،ـ ليعلم القاصى والدانى ـ التزام الرجل بالنفقة والقوامة ، وهى قوامةُ مسئولية ، وليست قوامة تسلط .

خامساً : روَّج المشروع لما أسماه (الإجهاض الآمن) من منطلق صحة التكاثر ، وإننا نؤكد على حكم الإسلام فى تحريم الإجهاض ، واعتباره عدواناً على نفس بشرية تقررت العقوبة الشرعية على اقترافه ، ما لم يكن لضرورةٍ معتبرة شرعاً لإنقاذ الأم الحامل من ضرر مُحَقَّقٍ يقرره الطبيب المعالج وليس أحدٌ غيرُه .

سادساً : دعا البرنامج إلى رفع الحد الأدنى لسنِّ الزواج ،والإسلام من تعاليمه تشجيعُ الزواج المشروع عند قيام القدرة والاستطاعة ، وذلك من منطلق حرصه على قيام مجتمع العفَّة والطهارة ، وتصفية ثغرات الفساد والشذوذ الجنسى ، بحيث لا يوجد فى المجتمع المسلم عَزَبٌ ولا عانِسٌ ، وذلك فضلًا عن أنَّ تأخيرَ سن الزواج يؤدى إلى زيادة الأطفال اللقطاء ، وانتشار الاقتران غير المشروع الذى يؤدى إلى ضياع حقوقِ النساء والأطفال وتفاقم مشكلاتهم .

وإنَّ جبهة علماء الأزهر وهى تضع هذه الحقائقَ تحت سمعِ الأمة وبصرِها ـ تأمل من ممثلى الدول الإسلامية الأعضاء فى هذا المؤتمر ضرورة التصدى لكل ما يناهض قيم أمتها الحضارية ، ويمس معتقداتها الدينية ، وتهيب بحكومة مصر ـ بما لها من دور ريادى ـ أن تحشد إلى جانبها من يناصرون الفضيلة ومجتمعاتها .

والله ولى التوفيق

رئيس الجبهة

الأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود

بيان من جبهة علماء الأزهر

بشأن حجاب الفتاة المسلمة

أصحاب الفضيلة أعضاء الجبهة ـ علماء الأزهر الشريف .

نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين .

وبعد ، فقد رأى مجلس إدارة الجبهة فى اجتماعه بتاريخ ٦ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ١٤ من أغسطس ١٩٩٤ م إصدار هذا البيان ، وهو البيان الأول والوحيد الذى تصدره الجبهة فى شأن الفتاة المسلمة ، بمناسبة القرار المنسوب إلى السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم خاصاً بالزى المدرسى .

ثم أما بعد ؛

فإن الإيمان بالإسلام ديناً ، وبالقرآن وحياً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولًا يقتضى التسليم والرضا بحكم الله ، ولا سيما إذا كان نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

[سورة النور]

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الأحزاب

وقد جاء القرآن الكريم بالأمر الصريح للرجل وللمرأة أن يغض كل منهما البصر ويحفظ

الفرج ، وزاد بالنسبة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها إلا ما ظهر منها ـ وهو عند الجمهور الوجه والكفان ـ كما طلب منها أن تغطى رأسها بالخمار فقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ سورة النور (٣١)

وفى هذا التعبير القرآنى ما يعنى الامتثال والخضوع من قبل المؤمنين والمؤمنات ، فهم بمجرد أن يقول لهم الرسول ﷺ ذلك فإنهم يَغُضُّونَ البصرَ ويحفظُونَ مواطن العِفَّة . وقد بدأ الله عز وجل بزوجات الرسول ﷺ وبناته قبل نساء المؤمنين حين أمرهن بأن يرخين ثيابهن ستراً لسيقانهن وأرجلهن فقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

وبعد أن نبه الناس ـ كل الناس ـ إلى نعمة الستر واللباس أوصى بتقوى القلب ليتحقق للإنسان الشكلُ الوقورُ والجوهرُ المستنيرُ من فتن الشيطان ومحاولاته المستميتة فى إغراء بَنى آدمَ وحثهم على التعرى والتكشف وإظهار العورات المؤدى إلى فساد الأخلاق وشيوع الفاحشة فقال سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ [الأعـــراف ٢٧]

وأمام هذه النصوص الواضحة استقر فى ضمير الأمة المسلمة ، وفى سلوكها على مدى الأجيال أنَّ هذا أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة لا يجادل فيه مسلم يدين بكتاب الله . واعتماداً على هذه النصوص وغيرها أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بيانها لضرورة الالتزام بشرع الله فى ستر الرأس والصدر والسيقان بثياب لا تكشف ولا تصف لكل فتاة بلغت سن المحيض ، وبأن هذا الأمر لا يحتاج إلى إقرار من ولى الأمر أو إذنٍ من إدارة التعليم ، إذ أن الآمر به هو رب العالمين ، ولا يعقل أن يُستأذن عبد فى أمر صدر من ربه ، ثم إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وما كان للجنة الفتوى أن تخفى حكم الله ، أو تقول على الحرام حلالًا ، وإلا دخلت فيمن يفترى على الله الكذب ، وفيمن يكتمون ما أنزل الله .

وبإزاء ما شغل به بعضُ الكُتابِ أنفسهم وأقلامهم ، قاصدين الخوض فى هذه المسألة على غير وجهٍ من الحقِّ والحقيقة ، حتى إنَّ عدداً منهم نفخ فيها نار الفتنة والإرهاب ، وهؤلاء ندعوهم إلى أن يراجعوا أنفسهم وموقفهم من الله وآياته ، وأن يفيئوا إلى الحق ـ والحق أحق أن يتبع ـ ونسأل الله لنا ولهم وللجميع الهدى ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦]

والله ولى التوفيق

رئيس جبهة علماء الأزهر

الأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود

تعقيب وإيضاح لفضيلة الإمام الأكبر

على مانشرته أكتوبر

نشرت مجلة أكتوبر فى عددها الصادر يوم الأحد ٧ من أغسطس ١٩٩٤ م مقالا بعنوان (هل هى خومينية جديدة ؟) تحدث فيه الكاتب عن البيان الذى نشرته إحدى الصحف عن قرار وزير التعليم بخصوص الزى المدرسى ورأى لجنة الفتوى فيه .

وبصرف النظر عن رأى الكاتب ـ فى هذه الصحيفة وفى الاتجاه الدينى وفى الحجاب ، الذى نشره من قبل ونشرت أراء تعارضه ـ فقد تناول فى آخر المقال رأى لجنة الفتوى ، ووصفه بأنه خومينية جديدة آتية لا محالة « أى أمام دولة دينية يتحكم فيها رجال الدين ويفرضون على مجتمعنا ما يشاءون عن طريق الفتاوى فتسطيع لجنة الفتوى بالأزهر أن تفرض وصايتها على نظامنا السياسى وترسم له ما تراه متفقا مع الدين وما تعتبره مخالفا للدين .. فتخضع الدولة لهذه الفتوى وتكون الخطوة التالية أن يزيح رئيس لجنة فتوى الأزهر رئيس الدولة من مكانه ويمارس سلطاته الدستورية من خلال الفتاوى ، ثم تصدر لجنة الفتوى بالأزهر فتوى بإعادة مجتمعنا إلى الوراء أربعة عشر قرنا ، فاذا لم يعد اعتبر كافرا » .

ونود أن يعرف الجميع أن علماء الأزهر الشريف حين يبينون للناس حكم الدين فيما يجد من الأمور إنما ينطلقون فى ذلك من عدة منطلقات :

المنطلق الأول دينى ، حيث فرض الله عليهم الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال سبحانه « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » سورة آل عمران : ١٠٤ .

وكما قال « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » سورة التوبة : ٧١ .

والمنطلق الثانى وطنى ، فهم يؤدون واجبهم نحو الوطن العام وهو ما تعيش فيه الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها قال تعالى « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون » سورة

الأنبياء : ٩٢ ونحو الوطن الخاص وهو مصر ذات المركز الممتاز فى العالم ، والذى اختاره الله ليكون فيه الأزهر الشريف الذى ربط به العالم الاسلامى كله .

والمنطلق الثالث دستورى ، حيث إن الدستور المصرى جعل الدين الإسلامى هو الدين الرسمى ، فهم يباشرون مهمتهم الدينية فى ظل الدستور .

والمنطلق الرابع قانونى ، حيث جاء فى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م أن الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وأن شيخ الأزهر الشريف هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية .

من هذه المنطلقات أعلن علماء الأزهر الشريف ويعلنون وسيظلون يعلنون حكم الدين فى كل ما يجد من الأمور حتى لا تحق عليهم اللعنة التى حقت على من فرطوا فى ذلك من الأمم السابقة ، وحتى يؤدوا الضريبة الواجبة عليهم نحو الوطن ، ويحافظوا على شخصيتهم المتميزة التى امتازوا بها منذ أكثر من عشرة قرون ، يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله .

والتاريخ على ذلك خير شهيد .

إن الأزهر الشريف حين ينشر هذا البيان ـــ كما يخول له القانون ـــ « يدفع بالتى هى أحسن الاتهامات التى وجهت إليه فى المقال المشار اليه » يعلن ما يأتى :

١ ـ إن لجنة الفتوى جزء من الأزهر الشريف مسئولة عن كل ما يصدر عنها من فتاوى وعلماؤها موثوق بعلمهم وأمانتهم وإخلاصهم ، ورئيسها معروف بحكمته واعتداله وهو محل ثقة فى كل الأوساط التى يعمل بها فالاتهام الوارد فى المقال دسيسة رخيصة .

٢ ـ يستنكر الأزهر الشريف ما جاء فى المقال المذكور شكلا وموضوعا ، أسلوبا ومادة ، فالأزهر الشريف فيما يصدر عنه من أحكام دينية هو متخصص فيها يعرض ولا يفرض ، ويعرف لكل إنسان قدره ، ويحترم اختصاصه ، مؤمنا بتوزيع المسئولية وحتمية التعاون . ورجاله مشتركون فى المجالس التشريعية التى ترسم سياسة الدولة بما يتفق مع الشريعة كما ينص الدستور ، الذى لا يعد الرجوع إلى الشريعة رجوعا إلى الوراء أربعة عشر قرنا ، فكيف يتهم الأزهر وحده بذلك ؟ وهو يحارب التكفير العشوائى ، ويصحح الأفكار التى تؤدى إلى انحراف السلوك .

٣ ـ إن المسئولين فى أهم القطاعات يصرحون برفض كل فكر يأتى من الخارج ويكون معارضا للشريعة ، وأولى أن يكون هذا الرفض لأى فكر ينبع من الداخل احتراما للدستور ، وتوجيها لحرية الرأى حتى لا نضل الطريق .

٤ ـ الأزهر الشريف فى دعوته إلى الحق يلتزم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن دون عنف أو إكراه أو إرهاب . وفى بيانه للأحكام الشرعية يتحرى الصدق ويتخير الرأى الاجتهادى المناسب ، بعيدا عن الظنون والخيالات ، وينشره بأسلوب نمطى ليس فيه إثارة ولا إسفاف ولا اتهام بالباطل فكل إناء بالذى فيه ينضح ، وإناؤه بحمد الله نقى طاهر نزيه .

٥ ـ إن حب الوطن يفرض على كل مواطن ، بالقدر المناسب والجهد المستطاع أن يرشد غيره إلى الخير ، فالدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم كما صح فى الحديث الشريف ، وأن يضيء شمعة تتفادى بها العقبات التى تعترض مسيرة الإصلاح ، فالتخاذل والسلبية والتضليل وتزيين الباطل وإيثار المصلحة الشخصية كل ذلك خيانة صريحة للوطن لا تخفيها المسوح والشعارات ، فالحق أبلج والباطل لجلج ، وستبدى الأيام كل مجهول ، والله بكل شيء عليم .

« وبعـــد »

فلنتق الله فى ديننا ووطننا ولنتعاون جميعا على ما فيه الخير ، ولنتأدب بأدب الإسلام فيما نقول ونفعل ، ولنعلم ـــ كما صح عن الرسول ﷺ أن من أراد الله به خيرا جعل له صاحبا يأمره بالخير ويحضه عليه ، إن نَسِيَ ذَكَّرَهُ ، وان ذكر أعانه ، ولنضع أمام أعيننا قول الله سبحانه ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سورة فصلت : ٤٦

وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ سورة الأحزاب : ٥٨ .

نرجو الله أن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير ..

مؤتمر السكان

كلمة أخيرة

للأستاذ/ السّيد عَبدالرؤُف

فى الكلمة التى ألقاها الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ، تحدث الرئيس طويلا عن : مؤتمر السكان والتنمية المقرر عقده بالقاهرة يوم ٥ سبتمبر القادم .. وكان الرئيس حريصا فى كلمته على أن يحسم الخلاف حول هذا الموضوع بكلمات واضحة محددة رغم أنه سبق أن تحدث فى الموضوع وأدلى بتصريح أثناء عودته من زيارته السريعة للسعودية ، قال فيه : أن مصر لن تسمح بأن يصدر عن المؤتمر ما يخالف الشريعة الإسلامية أو يصادم القيم والأخلاق المستمدة من الإسلام .

ورغم هذا التصريح فإن الجدل حول المؤتمر لم يتوقف .. المؤسسات الدينية فى مصر وبصفة خاصة « مجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى والمركز العالمى لبحوث السكان بجامعة الأزهر » حذرت من بعض ما حوته وثيقة المؤتمر .. بينما ارتفعت أصوات أخرى معروفة التوجهات والانتماءات تدافع عن المؤتمر دون تمييز بين الحرص على التنمية ورفاهية الإنسان وحقه فى نصيب عادل من الثروة والخدمات الصحية والتعليمية وفرص العمل كمبادىء وأهداف لا خلاف عليها وبين السبل والوسائل التى يمكن اتباعها لتحقيق هذه المبادىء والوصول إلى تلك الأهداف .. جاهلين أو متجاهلين أنه من الناحية الدينية والأخلاقية فإن الغاية لا تبرر الوسيلة ، وأن الغايات النبيلة لا يتم التوصل إليها بطرق أو وسائل غير نبيلة .. أو بمعنى آخر فإن الأهداف المادية التى تحقق الرفاهية العادية لا يصح ولا ينبغى أن يكون الوصول إليها بطرق منافية للأخلاق متجاهلة للفضيلة .. ولم تتوقف هذه الأصوات والأقلام عن الدفاع عن المؤتمر وتبرير الصياغات المرفوضة عن وثيقته بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فهاجمت المؤسسات والهيئات التى أبدت رأيا معارضا فى هذا الشأن .

وكان المؤتمر السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد بالاسكندرية الأسبوع الماضى .. ورغم أنه كانت للمؤتمر محاور محددة سلفا وأبحاثا أعدت مسبقا ، ورغم أن العنوان العريض

للمؤتمر كان « واقع الأمة الإسلامية ومستقبلها » .. ورغم أن كل البحوث وأوراق العمل كانت تتعامل مع هموم الأمة الإسلامية العامة والخاصة فإن أحد الهواجس الرئيسية التى سيطرت على المؤتمر كان هاجس مؤتمر السكان ووثيقته وما يمكن أن يصدر عنه من قرارات وتوصيات ، وقد تناولته بعض أوراق العمل بشكل غير مباشر وتناوله بعض المتحدثين بشكل مباشر .. البعض رأوا أن الوثيقة صيغة وضعتها عقول غربية للقضاء على الأمة الإسلامية فى المدى الطويل .. وآخرون رأوا أنها تعبير عن رغبة الغرب فى الاستئثار بثروات العالم والحفاظ على رفاهية المواطن الغربى على حساب أبناء الدول النامية ومن بينها الدول الإسلامية بالطبع .. ولكن كل المتحدثين أجمعوا على أن مصر الإسلامية لا يمكن أن تسمح بأن يصدر عن مؤتمر يعقد فى عاصمتها عاصمة الأزهر الشريف ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية أو يضر بالأمة الإسلامية .

وكانت المفاجأة أن ممثلى الكنائس المصرية المشاركين فى المؤتمر قدموا ورقة للمؤتمر تلاها الأنبا يوحنا أكد فيها إجماع ممثلى الكنائس على تأييد كل جهد مبذول من أجل رفاهية الإنسان والحفاظ على مستوى من التنمية المتواصلة وإقرار تنظيم الأسرة بما لا يتعارض مع القيم والأخلاق المستمدة من الدين والحرص على الأسرة باعتبارها الصيغة الشرعية المحترمة والمعترف بها لإقامة العلاقات الجنسية السوية من ناحية ؛ وباعتبارها الخلية الأولى فى المجتمع من ناحية ثانية .. وأكدت الورقة أن الكنائس تتفق فى ذلك مع ما أعلنه الأزهر الشريف .

ولم يكن مفاجئا ولا غريبا أن يؤكد الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف لأعضاء المؤتمر حرص الرئيس مبارك على الالتزام بالشريعة الإسلامية وعدم صدور ما يناقض الشريعة أو المبادىء والأخلاق الإسلامية من مؤتمر تحتضنه مصر ، رغم أن توصيات المؤتمر ليست قوانين ملزمة ، وأن للدول حرية الأخذ منها بما يناسب شرائعها بل وظروفها المحلية .

وكانت تأكيدات الرئيس حاسمة فيما يخص التزامات مصر نحو دينها وأمتها ومستقبل أجيالها .. وكانت واضحة فيما يتعلق باستقلال القرار المصرى فى هذا الشأن .. ولعلنا بعد ذلك لم نعد بحاجة لمزيد من الجدل .. ولعل الأقلام والأصوات التى ارتفعت بالهجوم على الأزهر تعود إلى جحورها .. ولعل الوفود العربية والإسلامية فى المؤتمر تصر على أن تعاد صياغة الوثيقة المقترحة للمؤتمر بما يحافظ على أهداف التنمية دون المساس من قريب أو بعيد بالأسس العقائدية والهياكل الأساسية للمجتمع .. ولعلنا ندرك أن الأمم المتحدة : ليست هى مجلس إدارة الكرة الأرضية ، وأن قراراتها العامة أو الخاصة كثيرا ما اتصفت بالعجز وكثيرا ما اتصفت بالنفاق .. وأنه من حقنا بل ومن واجبنا أن نقول : لا .. لما نراه غير متفق مع مصالحنا أو مع مبادئنا ..

الإجهاض

لقاء صحفى مع الأستاذ الدكتور الجميلى

أجراه الأستاذ/ جمال رفاعى حنفاجمة

كان لابد لنا من أن نلقى نظرة طبية على الإجهاض ، لاسيما وقد علمنا حكم الإسلام بشأنه ، فقد حرمه ولو كان الحمل من سفاح ، فكيف به إذا كان من نكاح شرعى ارتضاه الله وشرَعه ، ودعا الناس إليه ، ورغب رسول الله ﷺ فيه . حتى أصبح من المعلوم بالضرورة لكل مسلم أن الإجهاض لا يباح إلا فى حالة واحدة أن يكون فى الحمل ضرّ أكيد على صحة الأم بحيث يتوقف أمر نجاتها منه على الإجهاض .

من هذا المنطلق ، وأمام ما يحمله مؤتمر السكان من بند أو أكثر يتعلق بالإجهاض رأت المجلة أن تعود إلى الطب لتضع بين يدى القارىء آثار الإجهاض العضوية والنفسية التى تصاب بها المرأة المجهضة .

من هنا التقيت بالسيد الأستاذ الدكتور/السيد إبراهيم الجميلى أخصائى واستشارى الأمراض الباطنية والقلب ليضع بين أيدينا الحقائق الطبية التى تصاب بها المرأة المجهضة كان فى مقدمة أسئلتى للأستاذ الدكتور هذا السؤال :

نرجو تعريفاً دقيقاً للإجهاض ..؟

قال سيادته : الإجهاض : إنزال الجنين قبل اكتمال نموه ، وللإجهاض أسباب عديدة وملابسات غامضة فى كثير من الأحيان ، وفى حالة السواء الطبيعية لا يلجأ إليه ، وقد تكون ـ فى حالات محددة ـ أمراً مشروعاً إذا كان بتحفظات مخصوصة ، وفى إطار المباحثات التى تقررها الضرورات ؛ فقد يكون الإجهاض

مشروعاً فى أى طور من أطوار الحمل ، حتى ولو كان الجنين مكتمل النمو ، لإنقاذ حياة الأم ، وكل ما يتصل بمجالات الإباحة يكون أيضاً مقيداً بضوابط أخرى . فإن الضوابط محكومة بضوابط فلا يترك لآحاد الناس أن يقرروا ضروراتهم بأنفسهم فى حالات كهذه ، فلابد أن يكون المبيح ثقة طبيباً خبيراً بمهنته ، عارفاً بالضوابط الشرعية المرعية . ودقيق التقدير للحالة الصحية للأم ومدى احتياجها للإجهاض .

● **السيد الدكتور : تستخدم النساء أحياناً وسائل من عند أنفسهن للإجهاض، فما تلك الوسائل المعتادة لدى المرأة عندما تمارس إجهاض نفسها؟**

يجب ألا أفصح عن هذه الوسائل سواء كانت يدوية أو باستعمال أدوات مخصوصة وأعتذر عن بسط القول فيها ؛ حتى لا يتيسر العلم بها عند من لا يَعْرِفْها ، وحتى لا تقع المرأة فى الأخطار التى قد يُتعرض لها فى مثل هاتيك المحاولات من نزيف حاد يصعب التحكم فيه أو إنفجار الرحم ... الخ .

● **سيادة الدكتور نرجو تحديداً دقيقاً لما يصيب المرأة عضوياً عند إجهاضها لنفسها**

أولا : النزيف الحاد الذى قد يهدد الحياة كلية

ثانيا : الالتهابات الرحمية التعفنية التى قد تمتد من الرحم إلى باقى أجزاء الجسم .

ثالثا : الجلطة الرئوية وهى شائعة الحدوث بعد عديد من حالات الإجهاض الذاتى . والأنيميا الحادة وفقر الدم ـ وإنهاك القوى .

● **وتحديداً دقيقاً أيضاً ـ من سيادة الدكتور ـ لما يصيب المرأة نفسياً إزاء هذه الجريمة . وإلى أى مدى تظل المرأة مصابة بالأمراض العضوية والنفسية عقب الإجهاض ؟**

تشعر المرأة المجهضة ذاتياً بالإثم فى قرارة نفسها وإن كانت تبدو متماسكة فى بعض الأحيان إلا أن مخالفتها للفطرة والناموس الطبيعى يجعلها تلوم نفسها بنفسها بدليل ان النساء يستفتين العلماء بعد الإجهاض وكأن المفروض الاستفتاء قبله .

● **هل هناك حالات تسعى ـ إزاءها ـ المرأة للإجهاض فى غير حال التخلص من الجنين السفاح ؟**

هناك حالات تسعى النسوة فيها إلى الإجهاض غير حالات السفاح المعروفة :

أهم هذه الحالات :

(أ) اتفاق الزوجة والزوج على تنظيم الأسرة باسلوبهما الخاص من غير استشارة طبية أو فتوى شرعية أو رقابة ومتابعة من المعالجين الأطباء الأخصائيين .

(ب) بعض النساء يلجأن إلى الإجهاض كوسيلة للمحافظة على الوزن والرشاقة ؛ لأن أوزانهن تزيد مع الحمل .

(جـ) بعضهن يلجأن إلى هذه الوسيلة لمجرد الشعور بشىء من التعب أو ظهور بعض المضاعفات لبعض الأمراض المزمنة . كتسمم الحمل ودوالى الساقين وارتفاع ضغط الدم وتكرار الفشل القلبى ، وبعض حالات الالتهابات الكلوية المزمنة .

ولو أن هناك طبيباً مشرفاً لأمكن علاج مثل هذه الحالات . والأهم أن يعمد كثير منهن إلى ذلك خوفاً من المستقبل وحرصاً على الرزق وهذا يتعارض مع قوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾

سورة الأنعام الآية ١٥١

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾

سورة الإسراء الآية ٣١

● بم تتوجهون سيادتكـــم إلى المرأة لإقناعها بخطورة الإجهاض ؟

نظراً للأخطار التى أسلفنا الكلام عليها فإذا كانت المرأة قد رأت وجهاً مقبولا يجيز الإجهاض أو سبباً سائغاً لذلك أو كانت متفقة مع زوجها على ذلك فعليها أن تستفتى العلماء أولا لتقرير وجه الضرورة ؛ لأن الضرورة مُقدرة بقدرها . ثم بعد إباحة العلماء ترجع إلى الأطباء للإشراف وتعهد المسألة . حتى تكون فى جانب الأمان .

● هل تودون إضافة شيء دينى بهذا الموضوع ؟ أمام الدعوة الغربية « إجهاض حسب الطلب » .

نحن محكومون بضوابطنا الشرعية المستقاة من كتاب الله وسنة المعصوم ﷺ فما كان موافقاً لهذين الأصلين الثابتين قبلناه على العين والرأس وما كان متعارضاً معهما طرحناه ولا نبالى . وليس معنى هذا أننا أعداء خصمون للغرب ولا للشرق ولا لمؤتمر بذاته فنحن لنا عقائنا ولهم عقائدهم وكما لا نتدخل فى عقائدهم فنحن فى حل من توصياتهم التى لا تتفق ومبادىء ديننا الحنيف ، وأهلا بهم وليتخذوا ما شاءوا من قرارات ولنطرح نحن ما نشاء من قرارات فكما أن الحرية مكفولة فى إقرار التوصيات فهى أيضاً مكفولة .. على كل الأصعدة من حيث أنها وحدة واحدة .

ولا يمنع أن نأخذ بالتوصيات النافعة التى نستفيد بها ، وكلمة الرئيس فى هذا الصدد وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تعطينا اطمئناناً لسلامة جانبناً من أى من المخاوف .



التيسير في العبادة

م. محمد زين العابدين العزازي

« إن ديننا الحنيف نهى عن الغلو وحث المؤمنين على الاقتصاد في الأعمال ورسم لهم طريق العمل الموصل إلى الخير » .

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة المائدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة المائدة

وأشياء جمع شيء أو أسم جمع ، وهي أعم الألفاظ الدالة على الوجود .

قال الإمام البخاري .. حدثنا شعبة عن موسى بن أنس بن مالك قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، وقال فيها : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا . قال : فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين ويروى خنين[1] » بالخاء . فقال رجل : منْ أبي ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية « لا تسألوا عن أشياء » .

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » الآية ١٠١ / المائدة

قال : (إن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله ﷺ سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال : « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين أمر قد حضر ، فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلًا لافاً رأسه وهي تشمل السؤال عن الأحكام الشرعية ، والعقائد والأسرار المتعلقة بالأعراض وغير ذلك من الأشياء التي يحتمل أن يكون إظهارها سببا للمساءة : إما بشدة التكاليف وكثرتها ، وإما بظهور حقائق تفضح أهلها .

وحذف مفعول لا تسألوا يدل على العموم فيتضمن النهي عن السؤال النهي عن الفضول وما لا يعني المؤمن .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أسباب كثيرة منها ما ذكره ابن كثير في تفسيره من ان : هذا تأديب من الله لعباده ، ونهى لهم عن أن

(١) الحنين : هو خروج الصوت من الفم ، والخنين هو خروجه من الأنف . وهما نوعان من البكاء .

يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم فى السؤال والتنقيب عنها ؛ لأنها إن ظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءهم إظهارها وشق عليهم سماعها ، **كما جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : لا يبلغنى أحد عن أحد شيئا إنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ـــ رواه الإمام أحمد فى مسنده .**

وروى عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال :

خرج رسول الله ـــ ﷺ ـــ وهو غضبان محمارٌ وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال : أين أبى ؟ قال : فى النار ، فقام آخر فقال : من أبى ؟ فقال « أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ، وبالقرآن إماما ، إنا يا رسول الله ـــ حديثو عهد بجاهلية وشرك ـــ والله أعلم من آباؤنا ، وقال : فسكن غضبه ، ونزلت هذه الآية : « ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾

وفى تفسير القرطبى بعد أن ذكر الحديث مختصرا كما روى البخارى ومسلم قال : قال ابن عبد البر : عبد الله بن حذافة أسلم قديما وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدرا وكانت فيه دعابة ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى كسرى بكتاب له ، ولما قال : من أبى يا رسول الله قال أبوك حذافة : قالت أمه ، ما سمعت بابن أعق منك . أأمنت أن تكون أمك قارفت ما يقارف نساء الجاهلية فتفضحها على أعين الناس . فقال : والله لو ألحقنى بعبد أسود للحقت به ،

وفى الحديث أيضا أن رجلا قال : أين مدخلى يا رسول الله ؟ قال النار .

وقد أخرج الدار قطنى عن أبى عياض عن أبى هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ قال ، قال رسول الله ﷺ (يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقام رجل فقال : فى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، ثم عاد فقال : فى كل عام يا رسول الله ؟ فقال من القائل ؟ قالوا : فلان . قال : والذى نفسى بيده لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما أطقتموها ولو لم تطيقوها لكفرتم ، فاتركونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه) .

وقال الحسن البصرى فى هذه الآية ، سألوا رسول الله ﷺ عن أمور الجاهلية التى عفا الله عنها ، ولا وجه للسؤال عما نهى الله .

وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ : (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) ..

قال كثير من العلماء : المراد بقوله « وكثرة السؤال » التكثير من السؤال فى المسائل الفقهية تنطعا وتكلفا فيما لم ينزل . وقد كان السلف يكرهون ذلك ، ويرونه من التكليف ، وترك هذا إعلاء للمؤمن .

قال مالك : أدركت هذا البلد وما عندهم علم غير الكتاب والسنة ، فاذا نزلت نازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه أنفذه وأنتم تكثرون المسائل ، وقد كرهها رسول الله ﷺ

وذكر الزهرى قال : « بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصارى كان يقول اذا سئل عن الأمر : أكان هذا ؟ فان قالوا : نعم قد كان . حدث فيه بالذى يعلم . وان قالوا : لم يكن قال فذروه حتى يكون .

قال الدرامى : حدثنا ابن فضيل عن عطاء عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن فى القرآن ، منهن (يسألونك عن الشهر الحرام) ويسألونك عن المحيض) وشبهه ما كانوا يسألون إلا ما ينفعهم .

قال ابن عبد البر : السؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم أو تحليل من أجله فمن سأل مستفهما راغبا فى العلم ، ونفى الجهل عن نفسه باحثا عن معنى يجب الوقوف فى الديانة عليه فلا بأس به ، فشفاء العى السؤال ، ومن سأل متعنتا غير متفقه ولا متعلم فهو الذى لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره .

قال ابن العربى : الذى ينبغى للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة . وإيضاح سبل النظر وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد فإذا عرضت نازلة . أتيت من بابها ، ونُشدت فى مظانها ، والله يفتح فى صوابها .

ثم يقول المولى سبحانه وتعالى (وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ) أى : ان تسألوا عن هذه الأشياء التى نهيتم عن السؤال عنها حين ينزل الوحى على رسول الله ﷺ تبين لكم ، وقيل : لا تسألوا عن اشياء قد ينزل بسبب سؤالكم عنها تشديد أو تضييق ، فقد روى مسلم عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ (ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسألته) قال أبو الفرج الجوزى . هذا محمول على من سأل عن الشىء عنتا وعبثا فعوقب بسوء قصده .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه الحاكم وغيره (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها) ..

ثم قال : قد **سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** أى : قد سأل هذه المسائل المنهى عنها قوم من قبلكم فأجيبوا عنها ، ثم لم يؤمنوا بها فأصبحوا كافرين أى : بسببها بعد أن بنيت لهم فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد بل على وجه الاستهزاء والعناد .

وذكر عكرمة ــ رحمه الله ــ أن المراد بهذا النهى عن سؤال وقوع الآيات ، كما سألت قريش رسول الله ﷺ أن يجرى لهم أنهارا ، وأن يجعل لهم الصفا ذهبا وغير ذلك ، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا الى غير ذلك .

لما كان ذلك وكان ديننا الحنيف نهجه التيسير لا التعسير ؛ نهى المؤمنين عن الغلو فى العبادة لئلا يهلك الناس لعدم استطاعتهم .

عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، فقال : من هذه ؟ قالت : فلانة ، تذكر من صلاتها ، فقال : عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه .. أخرجه البخارى .

وأحاديث النهى عن الغلو كثيرة :

منها حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها أى : عدوها قليلة ؛ فقال أحدهم : أنا أصلى الليل ولا أرقد ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج . فقال لهم رسول الله ﷺ : (أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) أخرجه الشيخان .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة) ـــ متفق عليه.

ومن هذا يتبين لنا أن أساس هذا الدين : اليسر فى عقائده وأخلاقه ، واليسر فى أعماله وأفعاله وفى تركه .

أما من شدد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به رسول الله ﷺ ولا بما علمه للأمة وأرشدها إليه . وأوغل فى العبادات . فان الدين يغلبه ، ويكون آخر أمره العجز والانقطاع ، ثم أوصى بالتسديد والمقاربة وتقوية النفوس بالبشارة بالخير وعدم اليأس ؛ ليصل الإنسان إلى ما يبغى من رحمة الله ، ثم قال : (واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة) ، وهذه الأوقات الثلاثة من الأسباب التى تصل الإنسان بخالقه وهى فى مجملها سهلة ميسرة معتدلة . قال الله تعالى : (وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا) ـــ آية ٧٧ من سورة القصص .

أباح الله سبحانه الطيبات من الرزق والزينة والتوسع فى التمتع بدون إسراف ولا كبرياء وبشرط الاعتدال والقصد مع حسن النية .

قال ـــ تعالى :

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ سورة الأعراف

فقد أرشد الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ إلى استعمال المال فى الأمور النافعة ، لأن الله ـــ تعالى ـــ جعله قواما للعباد تقوم به أحوالهم الخاصة والعامة ، فجعل استعماله فى المأكل والمشرب والملبس والأمور التى يحتاج إليها الإنسان ومن تجب عليه نفقته بدون إسراف ولا فخر قال ـــ سبحانه ـــ : (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾) سورة الفرقان

أى : ليسوا بمبذرين فى إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون فى حقهم فلا يكفونهم ، بل عدلا خيارا وخير الأمور أوسطها ، كما قال ـــ سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ)

آية ٢٩ من سورة الاسراء

نسأل الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أن يجعلنا وإياكم من المعتدلين المقتصدين فى أعمالنا وأقوالنا فى غير إفراط ولا تفريط . ولا إسراف ولا تقتير ، لأنه مولانا وهو نعم المولى ونعم النصير .



نعيم القبر وعذابه

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

روى أحمد بسنده الى محمد بن المنكدر ، قال: كانت أسماء تحدث عن النبى ﷺ قالت : قال ﷺ :

« إذا دخل الإنسان قبره ؛ فإن كان مؤمنا أحفَّ به عمله : الصلاة والصيام ، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ، ومن نحو الصيام فيرده ، قال : فيناديه : اجلس فيجلس ؛ فيقول له : ماذا تقول فى هذا الرجل ؟ ـ يعنى النبى ﷺ ـ قال: من ؟ قال: محمد ؛ فيقول : أشهد أنه رسول الله ، فيقول : وما يدريك، أدركته ؟ قال : أشهد أنه رسول الله، يقول : على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث .

قال : وإن كان فاجرا أو كافرا جاءه الملك ، وليس بينه وبينه شىء يرده فأجلسه ويقول : ما تقول فى هذا الرجل ؟ قال : وأى رجل ؟ قال : محمد ، فيقول : والله ما أدرى ؟ سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ؛ فيقول له الملك : على ذلك عشت وعليه مت ، وعليه تبعث .

قال : وتسلط عليه دابة فى قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل غرب البعير[1] ـــ تضربه ما شاء الله ، صماء لا تسمع صوته فترحمه .

رواه أحمد والطبرانى

إذا كان الموت نهاية كل حى ، وإذا كانت كل نفس ذائقة الموت . وإذا كان كل من مات فقد قامت قيامته ، فإن هذا القبر أول مراحل الآخرة وإنه كما قال رسول الله ﷺ ـــ فيما رواه الترمذى : القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة .

ويرحل الإنسان عن هذه الدنيا ويصحبه عمله إلى قبره ، فيسأل عنه ، ويحاسب عليه ، ويستقر بصحبته فيه على أحسن صورة إذا كان العمل عمل خير وبر وطاعة لله رب العالمين ، وعلى أسوأ هيئة إذا كان عمله عمل فجر وظلم ومعصية للخلاق العظيم .

ومَنْ تَمثَّلَ نهايته لابد منها ـــ طال عمره أو قصر ـــ سارع إلى عمل الصالحات فى دار العمل ليكون عمله أنيسه فى قبره فملأه عليه نورا ، ومنجيا له من فتنة القبر وعذابه وعند البعث وشدة

(١) الغَرْبُ : الدلو العظيمة .

الموقف بين يدى الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

روى ابن ماجه قال : قال ﷺ : « إن الميت تحضره الملائكة ؛ فاذا كان الرجل صالحا قالت : اخرجى أيتها النفس الطيبة فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : فلان فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان .. فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له : فيم كنت ، فيقول : كنت فى الإسلام . فيقال له : ماهذا الرجل ، فيقول : محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه .. ثم يفرج له فرجه قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ، ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ـ إن شاء الله ..

يقال له ذلك : لأنه آمن ايمانا ممتزجا باليقين ، إيمانا ملتزما بالطاعة ، إيمانا متصلا بالعمل الصالح الذى يثمر سلوكا طيبا مع الله ، ومع الناس ، ورضا الله هو الغاية فى النهاية ، يؤدى الفرائض مخلصا لله رب العالمين .

والعمل الصالح كما يكون فى أداء الفرائض ، يكون كذلك فى كل عمل اجتماعى ما دام صاحبه قصد به تفريج كربة مكروب ، أو تضميد جرح مجروح ، أو شدّ أزر مظلوم ، أو أقال عثرة مغلوب ، أو أخذ بيد فقير ذى عيال ، أو علّم جاهلا ، أو أبعد أذى عن طريق . كل ذلك عبادة وقربة الى الله عز وجل .

ومن معالى الحكمة فى المؤمن : إنَّ من أخلاق المؤمن : قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصا فى علم .. وشفقة فى مِقة (محبة) وحلما فى علم .. وقصدا فى غنى .. وتجملا فى فاقة .. وتحرجا عن طمع .. وكسبا فى حلال .. وبرا فى استقامة .. ونشاطا فى هدى .. ونهيا عن شهوة .. ورحمة للمجهود .. وإن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض .. ولا يأثم فيمن يحب .. ولا يضيع ما استودع .. ولا يحسد .. ولا يطعن .. ولا يلعن .. ويعترف بالحق وإن لم يشهد به .. ولا يتنابز بالألقاب .. فى الصلاة متخشعا .. إلى الزكاة مسرعا .. فى الزلازل وقورا ، فى الرخاء شكورا قانعا بالذى له .. لا يدعى ما ليس له .. ولا يجمح فى الغيظ ، ولايغلبه الشح عن معروف يريده ، يخالط الناس كى يعلم ، ويناطق الناس كى يفهم .. وإن ظُلِم وبُغى عليه صبر ، حتى يكون الرحمن هو الذى ينتصر له » .

إن العبد المؤمن الذى عمل بما أمر الله وانتهى عن محارم الله تحف به الصالحات وتقول للملائكة العذاب : لا سبيل لكم عليه ، إليكم عنه .

جاء فى إحياء علوم الدين[٢] : قال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة : الصلاة والصيام ، والحج ، والجهاد ، والصدقة .. قال : فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فلا سبيل لكم عليه ، فقد أطال بى القيام لله عليهما ، فيأتونه من

(٢) الجزء الخامس عشر ص ٢٩٣٤ .

قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا ، فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده ؛ يقول الحج والجهاد: فقد أنصب نفسه ، وأتعب بدنه وحج وجاهد لله ؛ فلا سبيل لكم عليه . قال : فيأتونه من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى ؛ فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه ، فلا سبيل لكم عليه .

قال : فيقال له : هنيئا طبت حيا وطبت ميتا . قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ، ودثارا من الجنة ، ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيىء بنوره إلى أن يبعثه الله من قبره .

هذا حال المؤمن قدم أعمالا صالحة ، وابتغى بها وجه الله ، وغالب نفسه وهواه ، وانتصر على شياطين الإنس والجن ، واستقام على ذلك . أما غير المؤمن ، أما رجل السوء ، أما المنافق والفاجر والكافر فيقال لروحه كما جاء فى حديث ابن ماجه : « اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة ، وأبشرى بحميم — الشديد الحرارة — وغساق — ضده — أى الشديد البرودة — وآخر من شكله أزواج — ألوان من العذاب — فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج .. ثم تصير إلى القبر .. فيجلس الرجل السوء فى قبره فزعا مشعوفا فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول: لا أدرى . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك .

ويفرج له فرجة إلى النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال : هذا مقعدك على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله .

— وفى رواية أحمد وأبى داود والحاكم — « فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى قال : فيقولان له : ما دينك فيقول : هاه هاه لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى ؛ فينادى مناد من السماء . أن كذب فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف — تتداخل — فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ؛ فيقول : أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : من أنت فوجهك الوجه القبيح يجىء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث » .

فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى .. وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى . الآيات من ٣٧ — ٤١ .

وإنما خص حديث الباب فريضة الصلاة لأن فريضة الصلاة هى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت فاز ونجح وإن فسدت خاب وخسر .

وأما الصيام فهو السر الذى يدل على مدى مراقبة العبد لربه وقوة يقينه وحين قال من سأل عن الفرائض وأرشده الرسول إلى فريضة الصلاة وفريضة الصوم والزكاة .. وهو يقول هل على غيرها .. والرسول ﷺ يقول له لا إلا أن تطوع فقال الرجل والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص فقال النبى ﷺ : أفلح إن صدق .

عمل المرأة بين التشريع الإسلامي والقانون المصري

د/ زينب الأشوح (*)

تعتبر الشريعة الإسلامية هى المهيمن الذى يجب أن يتحكم فى ضبط عملية تشغيل المرأة المسلمة وتوجيهها وفقا لما أمر به الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

هذا بينما يمكن اعتبار التشريع القانونى المحلى بمثابة الأداة العملية التى يتم بواسطتها توجيه عملية تشغيل المرأة إلى مساراتها المستهدفة فى الخطط والسياسات القومية فى المجتمع . فإذا كان الوضع يتعلق بدولة إسلامية ما ، فإنه يكون من المتوقع والمنطقى أن تتم صياغة القواعد القانونية المتعلقة بتلك القضية بما يتفق والشريعة الإسلامية .

ومن هذا المنطلق ، تبدأ الدراسة الحالية باستعراض الأبعاد المختلفة لقضية عمل المرأة كما تضمنتها الشريعة الإسلامية .

ويلى ذلك محاولة التعرف على ما يراه القانون المصرى فى تشغيل النساء وكيفية معالجته التطبيقية لهذا الموضوع .

وذلك ما سوف يتم تناوله بالتتابع من خلال القسمين التاليين :

١ ـ النظرة الإسلامية لعمل المرأة :

كما هو متفق عليه ، فإن القرآن يعد المصدر الأساسى للتشريعات والأحكام والدراسات الإسلامية يليه السنة الصحيحة كمصدر تال أكثر تفصيلاً لا شك فى صحته . فإذا ورد نص فى أى من هذين المصدرين فعلينا ـ نحن المسلمين ـ أن نأخذه أمراً مسلماً به .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين الرجل والمرأة وقضية المساواة أو التمييز بينهما ـ فإن الدراسات التى تناولتها لم تتفق بعد حول رأى واحد بشأن تلك العلاقة ، فمنها ما يقر ـ بل يستوجب المساواة المطلقة بين الجنسين ، وفريق آخر يرى المرأة كمخلوق أدنى مرتبة من الرجل ، وبين هذا وذاك تتأرجح الآراء الأخرى !

والواقع أن الاختلاف فى هذا الأمر يثير العجب خاصة وأن الإسلام قد قدم لنا رأيا صريحاً ، واضحاً ، ومحدداً فى هذا الشأن .

ولنبدأ بقوله تعالى :

(*) مدرس اقتصاد ـ كلية التجارة ـ جامعة الأزهر ـ بنات .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة النساء

وعن سبب نزول هذه الآية قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن أبى النجيح عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ، ولنا نصف الميراث ؛ فأنزل الله ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وذلك للنهى عن تمنى عين النعمة .

وقال السدى ـ فى نفس الآية ـ إنَّ رجالا قالوا : إنا نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الشهداء ؛ فإنا لا نستطيع أن نقاتل ، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا .

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ تفضيل البعض على البعض الآخر أمر مختوم ، غير أن كلا من الجنسين سوف يجزى على علمه بحسبه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ إذن فلكل من الجنسين نصيب وله أن يتصرف فيما أعطاه الله . وتتجلى الحكمة من النهى عن تمنى ما خص الله به كلا من الجنسين أن ذلك يسبب الحسد والبغضاء مما يؤثر على الترابط الأسرى (تفسير ابن كثير ، جـ ١ ، من ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ـ صفوة التفاسير من ص ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

أما عن الآية الأخرى التى تحسم الجدل فى قضية المساواة بين الرجل والمرأة فتنص على أن

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .. ﴾ سورة النساء ـ الآية : ٣٤

وقد أكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على تفضيل الرجال على النساء فى قوله تعالى :

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ .

وقد ورد عن ابن جرير بسنده إلى جعفر بن محمد ، عن أبيه عن على قال : أتى رسول الله ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له ، فقالت : يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصارى ، وأنه ضربها فأثر فى وجهها ، فقال رسول الله ﷺ « ليس له ذلك » فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أى فى الأدب فقال رسول الله ﷺ : « أردت أمراً وأراد الله غيره » .

(تفسير ابن كثير ، جـ ١ ، ص ٤٩١) .

وبناء على ما سبق ؛ فإنه يتعين علينا أن نبدأ مناقشتنا بضرورة إقرار عدم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، بل ويجب الإذعان إلى الحكم الإلهى بتفضيل الله ـ سبحانه وتعالى ـ للرجل على المرأة فى بعض الأمور .

فتلك هى الإرادة الإلهية التى يجب ألا تعلو عليها إرادة .

ثم بعد : فلنبدأ فى عرض أهم ما ورد فى الدراسات المتخصصة حول عمل المرأة وموقف الإسلام من تلك القضية .

بالخوض فى مجال الدراسات الإسلامية ،

نلاحظ أن هناك من يرون : أن عمل المرأة محرم فى حد ذاته لكراهة خروجها من المنزل أساساً ؛ قال تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ... ﴾ سورة الأحزاب ٣٣.

غير أن فريقاً آخر من علمـــاء الإسلام يذكرون : أن عمل المرأة مباح فى ذاته ، ولكن المحرم هو أن تستخدم عملها وسيلة للانحراف ، والبعد عن أمـــر الديـــن أو للإضرار بالأسرة وبالأطفال . وما بين هذا الرأى وذاك يوجد فريق ثالث يرى : أن المرأة يباح لها العمل فى بعض الحالات ، ولكنه يحرم فى حالات أخرى . وفى محاولة لتكوين صورة إجمالية غير متحيزة عن موقف الإسلام ومعالجته لقضية عمل المرأة ، سيتم تناول الاتجاهات الثلاثة المشار إليها سابقاً بشىء من التفصيل فى الصفحات التالية .

١ ـ تحريم عمل المرأة والآثار السلبية له :

قال ـ تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ... ﴾ .

سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣

يعتبر هذا الجزء من الآية الشريفة الأساس الذى تتكىء عليه الآراء المتضمنة تحريم عمل المرأة كقاعدة عامة . كذلك تعتبر ـ تلك المجموعة من الآراء ـ المنزل هو المقر الطبيعى للمرأة ، والقيام بمهامه وإدارة شئونه على خير وجه وهو الأصل فى العمل الموكل للمرأة . كما أن تربية النشء مهمة خطيرة يمكن أن تستغرق كل وقت المرأة ، ومن ثم فما عدا ذلك يكون بمثابة شىء طارىء أو سلوك مكروه أو استثناء يمكن أن يباح فى بعض الحالات الخاصة . وفيما يلى بعض الآراء المميزة التى انتهجت هذا الاتجاه .

يذكر الشيخ متولى الشعراوى (١٩٩٠) أن الرجل والمرأة من نوعين مختلفين فى الجنس ، ولهما مهمتين مختلفتين حددهما الله ـ سبحانه وتعالى ـ وميز بين هاتين المهمتين كما ميز بين مهمتى كل من الليل والنهار ، وفرق بينهما ، وذلك فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾ .

سورة الليل ـ الآيات : ١ ـ ٤

ويدعم الشعراوى رأيه ـ فى فرضية الشريعة الإسلامية للفصل بين المهام والمسئوليات التى يجب على كل من الرجل والمرأة ـ بالحديث الشريف « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » .

ويوضح الشعراوى أن الإسلام قد وَكل مهمة أساسية للمرأة ، هى أن تكون سكنا للرجل ، وأن تتولى مهمة الحفاظ على المودة والرحمة فى الأسرة ورعاية الأطفال ، أما الرجل فمهمته الأساسية هى الكفاح . ولقد جعل الشقاء من نصيب الرجل لا المرأة مستشهدا بقوله تعالى :

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾

سورة طه ـ الآية : ١١٧

وقد أجاز الشعراوى عمل المرأة فى حالات استثنائية شديدة الإلحاح على ألا يكون فيها مزاحمة

للرجال ، وأن تلتزم المرأة العاملة بالتعاليم الإسلامية .

ولقد أوجز العالم الإسلامى رأيه فى قضية عمل المرأة فى كلمات منطقية قوية تستلزم من أى رأى معارض أن يذكر كيف يمكن أن يكون خلاف رأى الشيخ هو الصحيح الذى يمكن أن يبقى الكيان الأسرى فى شكله الطبيعى المترابط بنفس تلك القوة والمنطقية التى اتسمت بها كلمات الشعراوى الذى قال : « لا الرجل يصلح لمهمة المرأة فى إنجاب الأطفال ورعاية البيت وتربية الأولاد والعناية بهم ، ولا المرأة مهمتها الأساسية أن تسعى فى سبيل الرزق .. لتوفر لقمة العيش للرجل .. » (محمد متولى الشعراوى ، ١٩٩٠ ، ص ١٥) .

ولقد أشار أحد مؤيدى هذا الاتجاه (عبد الرب نواب الدين ، ١٩٨٦ ، ص ٩٣ ـ ٩٧) إلى أن المرأة تكفيها عظم المسئولية الملقاة على كاهلها فى بيتها ، ولقد استدل على أنه يجب أن يمثل الموطن الرئيسى لنشاطها اتباعاً لنص الحديث الشريف الذى تضمن أن « .. المرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم »

أو كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى عن ابن عمر ، جـ ٩ ، ص ٧٧) ، ويضيف هذا الرأى إلى أن الأمر فى قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ لا يعنى عدم مغادرة المرأة للبيت على الإطلاق ، وإنما هو إيماءة لطيفة إلى أن البيت هو المكان الطبيعى لوجود المرأة . وينوه إلى أن من أهم أهداف القرار فى البيت للمرأة هو : أن تحقق الأنس الروحى والحِسّ الأنثوى والسكن والمودة والرحمة التى يجب أن تكون عليها الزوجة مع زوجها ، تلك المعانى السامية التى يرى المؤلف أنها يمكن أن تضيع فى زحمة العمل وإرهاقه الشديد .

السؤال الهام الذى ينتظر إجابة المتخصصين هو : ماذا إذن عن الوضع بالنسبة للمرأة غير المتزوجة ؟

وعن أهمية التزام المرأة بالقرار فى بيتها ، واعتباره من أهم أعمال الجهاد فى سبيل الله ، روى الحافظ البزار عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ وقلن : يا رسول الله : ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله تعالى . فقال رسول الله ﷺ : « من قعدت ـ أو كلمة نحوها ـ منكن فى بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى » . (أبو ذر القلمونى ، ص ١٨٤) .

وفى إحدى الدراسات التى تناولت عمل المرأة فى الإسلام : (أميمة فؤاد مهنا ، ١٩٨٤ ، من ص ٦٢ ـ ٦٤) ، أشير إلى أن الشيخ محمد الغزالى يرى أنه لا بأس من عمل المرأة فى حالات معينة مثل : تعليم الأطفال إلا أن ذلك يجب أن ينظر إليه على أنه نوع من الاستثناء ؛ لأن وظيفتها التى يجب أن توليها عنايتها الأساسية هى رعاية منزلها .

ويبدى كل من أبى الأعلى المودودى والشيخ أبى زهرة رأياً أكثر تشدداً مصرحين بأنه : ليس لنشاط الرجل والمرأة دائرة واحدة ، ومن ثم فهما يرفضان مشاركة المرأة للرجل فى مجالات عمله مما يعد ضد واجباتها الفطرية (أميمة فؤاد مهنا ،

١٩٨٤ ، ص ٦٢ ، حسين شحاته ، ١٩٩٠ ص ١٠٢) .

وينوه عباس العقاد إلى أن عمل المرأة يتناقض مع مقومات المجتمع المثالى الذى ينفى أنه « ليس هو المجتمع الذى تضطر فيه المرأة إلى الكدح لِقُوتِهَا وقوت أطفالها ، وليس هو المجتمع الذى تعطل فيه أمومتها وتنقطع لذاتها .. » . وفى هذا يشير السيد/ محمد فريد وجدى إلى أن عمل المرأة تأباه الفطرة ، ويحذر سيد قطب ـ فى توكيد منه للرأيين السابقين اللذين تضمنتهما دراسته ـ بأن خروج المرأة لتعمل « كارثة » على البيت قد تبيحها الضرورة ، أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها فتلك هى اللعنة التى تصيب الأرواح والضمائر والعقول (سيد قطب بدون تاريخ ، ص ٢٨٥٩) .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الفقهاء كان يجيز عمل المرأة ـ من وجهة نظر الإسلام ـ فى البداية ، ثم تراجعوا عن إجازتهم تلك مشيرين إلى أن عمل المرأة مكروه إلا فى الحالات الملحة . (أميمة فؤاد مهنا ، ١٩٨٤ ص ٦٤) .

ومن هؤلاء محمود بن الشريف الذى عَدَّلَ مفهومه لعمل المرأة ورأى أنه فى الواقع يحرم على المرأة أن « تهجر ميدانها الطبيعى بدون عذر ـ وهو ميدان لا يجدى فيه سواها ـ إلى ميدان يعمره الرجل بكل كفاية وقدرة حيث لا حاجة إليها » .

كما يصحح توفيق محمد السبع وجهته فى هذا الموضوع فيذكر أن « جذب المرأة إلى الوظائف لتغيب عن جو الأسرة وتستقر فى الوظيفة عمل عدوانى ضد طبيعتها ، وضد الدين ، وضد الحضارة ، وهروب من واجب مقدس هو تربية الأطفال وتنشئة الأجيال .. فلتعد المرأة سريعاً إلى بيتها راضية بما قسم الله لها .. ولترعى بقلبها شئون الأسرة ، وذلك أشرف وظائف المرأة » .

ومن بين الأسباب التى يستند إليها الفريق المعارض لعمل المرأة فى الدراسات الإسلامية (منها : أبو ذر القلمونى ، ص ١٨٤ ، عبد المنعم حسن ، ١٩٨٥ ، ص ٦٠ ، ١٦٥ ، الغزالى حرب عبد الرب عبد التواب ، ١٩٨٦ ، ص : ١٠٩ ـ ١١٣) يمكن أن نوجز ما يلى :

ـ إن المرأة التى تعمل خارج بيتها تحتل فى كثير من الحالات مكان الرجل الذى قد يكون زوجها أو أخاها بينما تترك فى البيت مكانا خالياً لا يملأه أحد .

ـ أن ذلك يؤدى إلى إهمال الأطفال وعدم تخصيص وقت كاف لرعايتهم .

ـ الاعتياد على ترك المرأة لمنزلها بصفة مستمرة ولفترات طويلة يضعف من روابط الأسرة ، ومن أواصر المحبة والمودة بين الأم من ناحية وزوجها وأولادها من ناحية أخرى .

ـ المرأة العاملة . أكثر بذخاً فى إنفاقها عن غير العاملة خاصة فيما يتعلق بمظهرها الخارجى .

ـ الدورة الشهرية وأعباء الحمل وتربية الأولاد والميول العاطفية لفكر المرأة كلها ـ وما شابهها ـ عوامل ذات أثر سىء على إنتاجية المرأة فى ميدان العمل ، ويجعلها فى موقف أضعف مقارنة بالرجل الذى يمكن أن يعمل فى نفس المجال طالما أنه

لا يعانى من تلك الظواهر الطبيعية التى خلقت عليها المرأة .

ـ المرأة بطبيعتها تركز اهتماماتها على حالات خاصة مما يجعلها متحيزة فى تقديم خدمات عملها إلى جزء ـ ليس كل ـ من الطالبين لتلك الخدمات عكس الحال بالنسبة للرجل ، فيذكر عبد المنعم حسن (١٩٨٥) أنه عادة يهتم بتطبيق المبدأ العام مما يجعله أكثر واقعية فى التعامل مع الأمور وأقل تحيزا فى توجيه خدماته وتتجلى أهمية تلك الخاصية بشكل خاص فيما يتعلق ببعض المهن مثل أعمال القضاء .

ـ كما أن قوامة الرجل ـ كما هو ثابت فى الدين الإسلامى ـ تجعل من عمل المرأة فى بعض المجالات شيئاً منافياً للفطرة السليمة كإمامة الرجال فى الصلاة على سبيل المثال .

ـ ويرى عبد الرب عبد التواب (١٩٨٦ ص ١٠٩ ـ ١١٣) أن المرأة إجمالا تعانى من التقلبات وعدم الثبات فى حالاتها النفسية وتصرفاتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين نتيجة لتكوينها الفسيولوجى مما يؤدى إلى آثار سيئة على أدائها الوظيفى .

ـ ويؤكد الغزالى حرب (١٩٨٦ ، ص ٩٩) على أن الرجال هم المكلفون برعاية النساء ، وتولى جميع شئونهن ؛ ولذلك فهم الذين يجب أن يكدوا ويكدحوا لكسب المال الذى ينفق على الأسرة وليس النساء . ويؤكد ذلك الرأى عبدالرب عبدالتواب (١٩٨٦ ، ص ١٠١ ـ ١٠٥) ولكنه يضيف : أن المرأة لا تضطر إلى العمل إلا فى حالة عدم وجود رجل قادر على القيام به « وأبونا شيخ كبير » فكما تدل الآية الكريمة ، فإن ما دفع الفتاتين للعمل هو كبر الأب وعجزه عن العمل والتكسب . وفى حديثه عن الجدوى الاقتصادية لعمل المرأة خارج بيتها ينتهى الباحث إلى أن « الفقر » يمكن أن يمثل المبرر الوحيد لعمل المرأة المسلمة .

٢ ـ إيجاز عمل المرأة والآثار الإيجابية له :

وعلى جانب آخر ، نجد فريقاً ثان يشير إلى أن الشرع يعتبر عمل المرأة فى اكتساب الرزق من الأشياء المباحة ؛ بل إنه ـ أصلاً ـ حق ثابت لها ما لم يترتب على القيام به شىء محرم . وبناء على هذا الرأى فيجب فقط تحرى الأحكام الشرعية عند ممارسة أى عمل .

ومن الأشياء الطريفة التى يرى محمد سعيد البوطى (بدون تاريخ ، ص ٤٨) أنها تجعل عمل المرأة محرم أن يكون الهدف منه الاختلاط بالرجال . فذلك ـ كما يرى ـ يؤدى إلى الإخلال بالميزان الشرعى الذى يسير عليه قانون الزواج فهو يجعل المرأة ـ نتيجة زيادة عرضها فى سوق العمل ـ هى الباحثة عن الزوج والمبادرة إلى طلبه ، وذلك مما يجعل الرجل زاهدا فيها ؛ مما يؤدى بدوره إلى شيوع الفاحشة وغياب الشكل والنظام الشرعى للأسرة .

ويعدد توفيق محمد شاهين (١٩٨٨ ، ص ٤٠) الأعمال التى يجب أن تكون حكرا على المرأة مما يستوجب ضرورة دخولها فى سوق العمل فيذكر ـ على سبيل المثال ـ طب النساء وتدريس الفقه للنساء (حيث توجد بعض المسائل التى لا يجوز للرجل شرحها للمرأة بالأسلوب المعتاد لأن الحياء شعبة من الإيمان) ، وكذا التمريض فى

أقسام النساء حتى لا تنكشف عوراتهن على الرجال .

وقد احتجت أميمة مهنا (١٩٨٤ ، ص ٩٦) على محاربة عمل المرأة على اعتبار عدم ورود نص صريح فى القرآن يحرم عمل المرأة خارج البيت . وقد اتفق معها سالم البهنساوى (١٩٨٦ ، ص ٧٨) ، بل إنه أضاف أن هناك من النصوص والدلائل الشرعية ما يثبت إباحة عمل المرأة فى إجازته زمنها قوله الكريم :

﴿ لَآ أُضِيعُ عَمَلَ[1] عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ..﴾

سورة آل عمران ــ الآية : ١٩٥

فالآية تدل على تساوى المرأة مع الرجل فى العمل والثواب والتكاليف الشرعية .

ومن أهم العاملات فى العهد الأول[2] من الإسلام السلائى أدرجهن سالم البهنساوى (١٩٨٦ ، ص ٧٧ ــ ٨١) فى عرضه للأدلة على إجازة عمل المرأة واعتباره شيئاً طبيعيا نورد ما يلى :

ــ اشتغال زينب بنت عبد الرحمن الجرجانى بعلوم الفقه والحديث فكانت تروى عن كبار الصحابة المحدثين ، وظلت مشغولة بالعلم حتى توفيت عام ٦١٥ هـ .

ــ زينب بنت مكى الحرانى ، كانت من المشتغلات بالعلم وقد ازدحم بيتها بطلاب العلم حتى توفيت فى عام ٦٦٨ هـ .

ــ زينب بنت محمد الغزى التى اشتهرت بالعلم وقرض الشعر حتى تفوقت على أبيها وأخيها ، ثم توفيت عام ٦٩٨ هـ .

ــ لم يكن ، كما قد يبدو من الأمثلة السابق عرضها ، خروج المرأة فى صدر الإسلام قاصراً على الفقه والعمل بل إنه امتد لأنشطة أخرى كالبيع بدليل قصة بائعة اللبن التى كانت تغشه فمنعتها ابنتها ذاكرة لها أنه إذا كان الحاكم (عمر وقتذاك) لا يراها فإن ربها يراها[3] .

ــ وأيضاً من دلائل عمل المرأة كتاجرة فى عهد الرسول ﷺ ، ما يحكى عن تاجرة أنصارية : أنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ عند المروة بحل من عمرة له ، فجلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنى امرأة أبيع وأشترى فربما أردت أن أبيع سلعة فأستلم بها أكثر . فقال النبى ﷺ : « لا تفعلى إذا أردت أن تشترى السلعة ، فاستلمى بها الذى تريدين أن تأخذى به أعطيت أو منعت » . ولم ينهها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن العمل .

ــ وأخرى اتخذت لها صنعة فتقول للنبى ﷺ : « إنى امرأة ذات صنعة أبيع منها » ولم ينهها الرسول ﷺ عما صرحت به (عن كتاب شهيد المحراب عمر بن الخطاب ، ص ٥٠٢) .

(١) إنى لا أبطل عمل من عمل خيراً ذكراً أو أنثى .

(٢) التى تتوفى فى عام ٦١٥ هـ لا يقال عنها من عاملات العهد الأول من الإسلام ، ومثلها من بعدها .

(٣) الأمانة العلمية تقرر أن بيعها للبن كان ضرورة .

ـ وقد أوضح البهنساوى فى دراسته أن عدد المجاهدات فى عهد النبى ﷺ كان يزيد على ستمائة امرأة .

ـ كانت السيدة سكينة بنت الحسين ـ رضى الله عنهما ـ من أئمة العلم والأدب فى عصرها ، ولم يثبت أنها كانت تعطى العلم للنساء فقط .

وفى دراسة قام بها د. حسين شحاتـــــه (١٩٩٠ ، ص ٤٢٠٤١) أشير إلى أن المرأة فى عهد الرسول ﷺ قد اشتركت فى الغزوات والتمريض والتموين ونقل الجرحى ، كما أن النساء كن يشتغلن أيضاً بالتجارة والزراعة . وإلى جانب تلك الأمثلة ، تستدل الدراسة على جواز حق المرأة فى العمل بقوله تعالى :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٣٢

وعلى عكس ما ورد من آراء فى القسم الأول من هذا الفصل : فقد نوه محمد رأفت عثمان (١٩٩٢ ، ص ١ ـ ٧) إلى أن للمرأة حقها فى العمل مثل الرجل استدل على ذلك بالآيات الكريمة :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ .

سورة تبارك ـ الآية ١٥

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

سورة النحل ـ الآية : ٩٧

﴿ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ .

سورة آل عمران ـ الآية : ١٩٥

ففى جميع الآيات السابقة ، يوضح المؤلف أن الأصل فى عمل المرأة هو الإباحة ، وأن العمل حق مكفول للمرأة مثل الرجل بدون تمييز بين الجنسين . إلا أنه انتهى ـ مع ذلك ـ بتحفظ حول ضرورة أن يتم عمل المرأة فى إطار الضوابط الشرعية ، فمثلا لا يتم فى خلوة مع رجل أجنبى ، ولا يؤدى إلى الجور على حق الزوج والأسرة إلى جانب مجموعة أخرى من الشروط التى سنتناول المزيد منها فى جزء لاحق من هذا الفصل .

التكافل في المجتمع الإسلامي ... ٢

للاستاذ الدكتور/ عبدالعزيز الخياط (*)

حق الحياة الكريمة :

من حق الإنسان أن يضمن له أدنى مستوى من المعيشة وهو حق مقرر له في قوله ـ تعالى ـ : « وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ »(٣٠) ، وهو غير حق الزكاة المقرر في قوله ـ تعالى ـ : « وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ »(٣١) قال عبد الله بن عمر والشعبي والحسن ومجاهد « هو حق سوى الزكاة واجب في المال » ، وهو تأمين الضروريات من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والزواج والمواصلات ويضاف إليها اليوم ما يفرضه واقع الحياة من تأمين التعليم والتطبيب والعمل والأمن وغيرها قال ـ تعالى ـ : « فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(٣٢) .

بناء الأسرة بناءً كريما :

الأسرة أهم لبنات المجتمع وبصلاحها يصلح المجتمع ، ولذلك جعل الإسلام العناية بالأسرة زوجا وزوجة وأبناء وأخوات وإخوانا وأمهات وآباء ، فرضا يتحقق به التكافل في المجتمع وقد قرر ذلك في أحكام شرعية نوجزها فيما يلي :

١ ـ ساوى الإسلام بين الزوجين في الحقوق والواجبات العامة وكذلك بين أفراد الأسرة جميعا .

٢ ـ بين الواجب الملقى على الزوجة باعتبارها أنثى من الإنجاب والإرضاع وتربية الأطفال وتهيئة البيت وغيرها ، كما بين الواجب الملقى على الزوج في ضرورة توفير الحياة الكريمة للزوجة والأسرة والتعاون مع زوجته في التربية والأعباء .

(*) الكاتب : ا.د. عبدالعزيز الخياط وزير الأوقاف وعميد كلية الشريعة في الأردن سابقا ، ونائب رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) وهذه الكلمة أحد بحوث المؤتمر الدولي لعلماء الدين والدراسات السكانية .

٣٠ ـ سورة الذاريات /١٩

٣١ ـ سورة المعارج /٢٤ ، ٢٥

٣٢ ـ سورة الروم /٣٨

٣ ـ عنى الإسلام بالأولاد ذكورا وإناثا وساوى بينهم فى التربية والحقوق المالية والسياسية والاجتماعية والوظيفية ما عدا ما يتعلق بالميراث للذكر مثل حظ الأنثيين إذا كانوا إخوة وأخوات أو أبناء وبنات ، أما الأم فتتساوى مع الأب فى الميراث وتنفرد البنت بنصف التركة والبنتان بثلثيها إذا لم يكن أخ ، وذلك لترتب الأعباء المالية على الذكر .

٤ ـ أوجب الإسلام النفقة على الزوج لزوجته وأوجب على الأب الإنفاق على الصغار حتى يكبروا ، وأوجب النفقة على الأبناء للآباء والأمهات إذا طلبوها ، وأوجب النفقة للأقارب ، وصلة الأرحام ، وندب الإنسان أن يوصى من ماله للفقراء والمساكين ومشاريع الخير ولا سيما ذوى الأرحام تحقيقا للتكافل المادى .

٥ ـ أعطى البنت حقها فى اختيار زوجها ورضاها به ، وأوجب للزوجة والبنت ذمة مالية منفصلة عن الرجل حتى تتساوى المسئولية ويتحقق التكافل .

٦ ـ طلب الإسلام من الأبناء طاعة الأبوين واحترامهما والرحمة والرفق بهما والإحسان إليهما ، كما طلب من الآباء والأمهات حسن التربية للأبناء ، كما دعا إلى التراحم والمودة بين الزوجين وبين الأقارب تحقيقا لمعنى التكافل من تحسين النسل وتربية الأولاد تربية سليمة وللحفاظ على صحة المرأة وجمالها وقدرتها على التربية فأباح العزل واستعمال الوسائل المشروعة .

٧ ـ حرصاً من الإسلام على تكافل الأسرة حرم الزنا والشذوذ الجنسى وحرم الإساءة للزوجة أو الزوج أو الأولاد .

٨ ـ أباح الإسلام الاجتماع بين الجنسين لحاجة البيع والشراء والتجارة والزراعة والمعاملات جميعها والجهاد والزيارة بين الأسر ، ومنع الخلوة أى انفراد الرجل بالمرأة وحدهما فى مكان خاص وهو الاختلاط المحرم ، ولم يجعل صوت المرأة عورة(*)

حراسة الرأى العام :

ونعنى بحراسة الرأى العام التناصر بين أفراد المجتمع ورقابتهم بعضهم على بعض والتناصح فيما بينهم والتشاور فى الأمور كلها ، بين جميع أفراد المجتمع صغارا وكبارا وبينهم وبين الدولة لقوله ـ تعالى ـ : « وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »(٣٣)

وهذا من أقوى ما يحقق التكافل فى المجتمع ويؤدى به إلى التماسك والسير فى طريق قويم

العدل والمساواة بين الناس :

فرض الإسلام العدل على الناس ، وجعله أساسا للملك والحكم الصالح قال ـ سبحانه ـ : « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ »(٣٤) . وقال : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ

(*) قوله : « ولم يجعل صوت المرأة عورة » ليس على إطلاقه .

٣٣ ـ سورة التوبة /٧١

٣٤ ـ سورة النحل /٩٠

بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ »[٣٥] وقال : «وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ» [٣٦] ، والعدل : أن يعطى الحاكم كل ذى حق حقه من غير تفضيل ، وأن يعاقب المسىء أو المقصر من غير نظر إلى مكانته ، والعدل : الإنصاف ولو من نفس الإنسان وتحريم الظلم .

والمساواة : عدم التمييز بين الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم وأجناسهم وأديانهم قال ـ سبحانه ـ : « **إنما المؤمنون إخوة** »[٣٧] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** »[٣٨] .

منع الطبقية والعنصرية :

مما يتصل بالمساواة ويحقق التكافل فى المجتمع منع الطبقية المتميزة ، ومنع العصبية بغير حق ، وتحريم العنصريـــــة ، وفى الحديث إن الله ـ تعالى ـ **أذهب عنكم عيبة الجاهلية**[٣٩] **إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب** »[٤٠] وقال ـ سبحانه ـ : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ »[٤١] ، ونفى الطبقية والعنصرية يؤديان إلى تماسك المجتمع وتكافله فلا يكون فيه فرقة أو تمزق بل تعاون وإخاء .

إيجاد التوازن فى المجتمع :

المجتمع المتكافل هو المجتمع المتوازن ، المعتدل فى أموره كلها فلا غلو ولا تقصير ، ولا إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير ، وإنما اعتدال وقصد وتيسير ، قال ـ تعالى ـ : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** »[٤٢] أى خياراً وعدولا ، وقال : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك**»[٤٣] .

والتوازن يكون فى جميع الحياة فى العقيدة : فلا وثنية ولا انحراف ولا إيمان بالخرافات ، وفى حياة الإنسان الخاصة : الاعتدال فى المأكل والملبس والمشرب والعواطف والأخلاق ، والإحسان فى معاملة الوالدين والزوجة والأولاد والأقربين ، وفى المجتمع : التناصر بين الناس بالحق وولاية بعضهم لبعض ومنع الفساد فيما بينهم ، وفى المسلك إيجاد التوازن بين مطالب النزعة الإنسانية فى الاستمتاع بما خلقه الله للإنسان وبين مطالب الأشواق الروحية فى الزهد والجنوح إلى الرهبانية وقال ـ عليه السلام ـ : « **لا تشددوا فيشدد الله عليكم** »[٤٤] ، والتوازن فى المعاملة بإعطاء الفرص للجميع واعتبار أهل الكفاءة والإحسان إلى الناس جميعا صغيرهم وكبيرهم ، غنيهم

٣٥ ـ سورة النساء /١٣٥

٣٦ ـ سورة النساء /٥٨

٣٧ ـ سورة الحجرات /١٠

٣٨ ـ رواه أحمد وأبو داود والنسائى

٣٩ ـ العيبة : الكبر والفخر والنخوة

٤٠ ـ رواه الترمذى وحسنه ، وأبو داود وأحمد بن حنبل الترغيب والتهذيب ٥٧٣/٣

٤١ ـ سورة الحجرات /١٣

٤٢ ـ سورة البقرة ١٤٣

٤٣ ـ سورة القصص /٧٧

٤٤ ـ متفق عليه

وفقيرهم ، يتيمهم ومسكينهم باللطف والرفق والرحمة ومنع تجاوز الحد فى المعاملة قال ﷺ : لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (٤٥) ، وقال : من يحرم الرفق يحرم الخير كله » (٤٦) .

وحث الإسلام على :

الكسب الحلال وتقريب التفاوت بين الثروات ومنع الفقر والاحتكار والغش والأثرة ، ومن الضرورى التأكيد على أن للفقراء الحق فى المال لتأمين حاجاتهم الضرورية ، وأن جهد الناس يجب أن يعتبر : « وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (٤٧) ، وأن توزيع الثروات بالميراث والهبة والزكاة والتبرع والصدقة والإنفاق فى سبيل الله يؤدى إلى ارتفاع التكافل ، وزيادة التراحم وتماسك المجتمع .

إيجاد الضمير عند الفرد وعند الجماعة :

الضمير :

الضمير ما استتر فى داخل النفس ، وهو الوازع الباطنى الذى يرشد إلى الصواب ، ويمنع الإنسان أو المجتمع من الوقوع فى الخطأ ، ويوجه الناس إلى الخير ، وضمير الإنسان يتكون من عقيدته وإيمانه وأفكاره عن الحياة ، وضمير المسلم ينبع من إيمانه بدينه وتعاليمه ، وضمير الجماعة ينبع من التربية الاجتماعية المرتبطة بالدين والخلق والعرف السليم

وإن مما يوثق تكافل المجتمع أن يكون عند الفرد وازع داخلى من خشية الله يدفعه إلى الخير ومعاونة الناس ، ويمنعه من الشر ، وأن يكون لدى الجماعة وازع داخلى من إيمانها وقيمها الثابتة يحول بينها وبين الشر ، ويجعلها فى يقظة تامة ، تحاسب به نفسها ، وتراقب مسيرتها ، وتسبر ذاتها قال - تعالى - : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ » (٤٨) ، وقال : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (٤٩) .

من أسباب تكافل المجتمع :

١ - الصدقات :

سواء أكانت فرضا كالزكاة أو تطوعا قال - تعالى - : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » (٥٠)

وقال : « وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ » (٥١)

وهى تكون فى جميع سبل الخير ومشاريعه .

٢ - رعاية الصغار وحضانتهم وإحسان تربيتهم والقيام بحاجتهم فى رحمة ورفق .

٣ - رعاية الأيتام « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ » (٥٢) ، وتنمية أموالهم وحفظها لهم والإنفاق عليهم منها أو تطوعا .

٤ - رعاية اللقطاء وحمايتهم وتربيتهم ، واللقيط : هو الولد الصغير الذى لا يعرف له أب ولا أم ، فيجب إيواؤهم فى بيوت الناس أو فى الملاجىء ، وما ذنبهم إذا جاءوا للحياة نتيجة خطيئة غيرهم ؟؟

٤٥ - رواه البخارى ومسلم
٤٦ - رواه مسلم فى كتاب البر والصلة
٤٧ - سورة الأعراف /٨٥
٤٨ - سورة الأنفال /٢٩
٤٩ - سورة الأعراف /١٢٨
٥٠ - سورة التوبة /١٠٣
٥١ - سورة البقرة /١٧٧
٥٢ - سورة البقرة /٢٢٠

٥ ـ رعاية أبناء السبيل ، وهم المسافرون الذين لم يتمكنوا من الرجوع إلى بلدانهم فيعطون من المال ما يرجعون به إلى بلدانهم ، ولا بأس من تشغيلهم لكى يجمعوا المال لرجوعهم .

٦ ـ رعاية الشيوخ والعجزة الذين لا كافل لهم ، بإيوائهم وإطعامهم ومعالجتهم والحنو عليهم .

٧ ـ إغاثة المنكوبين والمصابين . قال ﷺ : « من نفس عن مسلم كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه »(٥٣) .

٨ ـ رعاية الشواذ والمنحرفين ليسلم المجتمع من فسادهم .

٩ ـ رعاية الحوامل والمطلقات لسلامة المجتمع .

١٠ ـ رعاية المصابين بسبب طوارىء العمل وأمثالهم .

١١ ـ منع البطالة والتسول والتشرد .

وكل ذلك حماية للمجتمع من سوء الأخلاق والفساد والحيلولة بينهم وبين انتشار الانحراف والمخدرات والسكر وما إلى ذلك من فساد يخل بالمجتمع ويزعزع تماسكه .

وسائل التكافل :

إذا كان التكافل وسيلة إلى سعادة المجتمع فى الدنيا وسعادة أفراده فى الأخرى ، فإن له وسائل كذلك تحققه من أهمها :ـ

أولا :

الدولة التى تقوم على رعاية أفراد المجتمع فتؤمن لهم العمل ، وتمنع عنهم البطالة ، وتشجع الإنتاج ، وتيسر أسباب التجارة والزراعة ، وتثقف الناس وتعلمهم وتبصرهم بواجباتهم وحقوقهم وتحميهم من الأعداء ، وتطبق شريعة الله عليهم وتجبى الزكوات ، وتحث على البر والصدقة والوقف وتنشىء الملاجىء للعجزة والحوامل والشيوخ ، وتمنع التسول والتشرد ، وتؤمن العيش الكريم للمحتاجين من ذوى البطالة الاضطرارية وغير ذلك من الواجبات .

ثانيا :

جمعيات البر والمساعدة والخير ، فإنشاء الجمعيات المتعددة الأغراض الاجتماعية وأهمها مساعدة الفقراء والمحتاجين وإيواء العجزة والمشردين وتأهيل المعوقين والمصابين ، ومعالجة المرضى ، وتعليم الأميين ، ورعاية المعتوهين والمجانين ومعالجتهم ومنع أذاهم عن الناس .

ثالثا :

النقابات والجمعيات الحرفية وغرف الصناعة والتجارة وأمثالها ، فإنها وسائل لتنشيط الحرفيين وتجميعهم ومعاونتهم ، وتأمين الاقتصاد وحماية الصناعة وتنظيم التجارة وحماية التجار من طمعهم والمواطنين من جشع التجار ، وتسهيل الإنتاج وغير ذلك .

رابعا :

مؤسسات الزكاة ولجانها التى تقوم بجمع الزكوات من الأصناف المختلفة وتوزيعها على المستحقين لاسيما فى حالة تخلف الدولة عن

٥٣ ـ رواه أحمد بن حنبل والترمذى وأبو داود والبيهقى

جبايتها .

خامسا :

بنوك الاستثمار والإقراض المشروعين وهى التى تعين المحتاجين إلى المال للاستثمار والصناعة .

سادسا :

مؤسسات الضمان الاجتماعى التى تؤمن للعاملين والمشتركين ما يعينهم فى حال تركهم العمل أو شيخوختهم أو عجزهم .

سابعا :

مؤسسات الإسكان : التى تؤمن لذوى الدخل المحدود وغيرهم مساكن تؤويهم وأسرهم وتساعدهم على التخلص من أجور المساكن ولا سيما فى حال ارتفاعها .

ثامنا :

مؤسسة الوقف سواء أكانت فى وزارة أو جمعيات ، من مهمتها تشجيع وقف الأموال وتنميتها واستثمارها وإنفاق غلاتها فى وجوه الخير .

تاسعا :

مؤسسة النذور فكثيرا ما يقوم الناس بالنذر ويحتارون فى كيفية إنفاق ما ينذرون فهذه المؤسسة تنظم هذه النذور وتنفقها فى وجوه البر .

عاشرا :

مؤسسة الأضاحى ، فالإسلام سن الأضحية على الأغنياء بل يرى بعض الفقهاء وجوبها كما ورد فى قوله ـ تعالى ـ : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ »[٥٤] ، وكما ضحى ـ عليه السلام ـ بكبشين أقرنين[٥٥] ، وتنظيم توزيع الأضحيات وبيع جلودها وإعطاؤها للفقراء والمساكين أو المستضعفين الذين يقاومون احتلال أعداء الإسلام لبلادهم كما هو فى فلسطين أو يحاربون فى أوطانهم مثل مسلمى بورما والفلبين والبوسنة والهرسك .

حادى عشر :

مؤسسات المعونة أو الإغاثة التى تنشئها بعض الدول أو الشعوب لإغاثة المكروبين فى حالات الكوارث والطوارىء ، أو الحرب .

ثانى عشر :

جمعيات الهلال الأحمر التى تقوم بإسعاف الناس فى حالات الإصابة والكوارث والحروب ، وحماية المدنيين من عسف العسكريين .

ثالث عشر :

المراكز والجمعيات السكانية التى تقوم بحماية الأسرة وتنظيم حياتها وإنجابها وحماية أولادها من التشرد والضياع وتثقيف أفراد المجتمع بضرورة تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية صحيحة قوية .

كل هذه وأمثالها من وسائل الخدمة الاجتماعيه تؤدى إلى التكافل فى المجتمع المسلم .

وهناك تكافل مهم جدا وهو أن يسلم المجتمع فى عاداته وتقاليده من المنكرات والانحرافات فى العقيدة والفهم والمسلك ، وأن تقوم الدولة والجمعيات على اختلاف أنواعها بتصحيح الأعراف والتقاليد ، وتنقيتها من البدع والخرافات وإلزامها بأوامر الله ونواهيه ، وتقوية الاتجاه العبادى والفكرى فى المجتمع .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والصالحين من أتباعه إلى يوم الدين .

٥٤ ـ سورة الكوثر

٥٥ ـ رواه مسلم

محمد بن القاسم

قائد عسكرى فى دولة الإسلام

أضاعه أحقاد السياسة والحكم

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

شخصية إسلامية فذة وعبقرية عسكرية عالية ، كانت تجمع إلى فتاء السن حنكة الكهولة ، وإلى خشونة الجندى رقة الشاعر وإلى الحرص على الدنيا زهد الفيلسوف وطمأنينة الحكيم ، عرف بالصلابة والشجاعة كما أثر عنه الوفاء والطاعة لدولة الإسلام فلم يخن عهداً قطعه على نفسه فى سنى حياته القصيرة كما لم يغدر بأى أحد من خصومه .

ذلك هو الفتى الشهيد والفاتح العظيم والشاعر الرقيق محمد بن القاسم الثقفى ، الذى شرع فى غزو السند فى السابعة عشرة من عمره ، وأتمه ولما يتجاوز الثالثة والعشرين ، فأدخل بذلك فى بلاد شبه القارة الهندية الثقافة الإسلامية التى يدين بها الملايين فى الهند وباكستان وبنجلاديش فى زماننا المعاصر .

تاريخ مولده ونشأته :

ولد محمد بن القاسم سنة ٧٣ هجرية فى قبيلة ثقيف المشهورة فى الجاهلية والإسلام بمضاء العزيمة وقوة الدهاء وسعة الحيلة ، وتنسم رياح الصبا فى دولة الخلافة ، ونقع الحوادث مثار ، وريح الفتن فى اشتعال ، والسيوف يتجاوب صليلها فى فارس والعراق والحجاز وإفريقيا فتلقف صناعة الحرب سماعا وعيانا .

والعجيب أنه كان بجانب تلك الحياة السياسية القلقة المضطربة الخانقة حياة أخرى هادئة هى حياة الأدب الذى يتمثل فى الشعر الغنائى المأثور عن عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وكثير عزة

والنميرى وغيرهم من شعراء ذلك الزمان فعشا النظر الحائر لمحمد بن القاسم إلى ذلك النور الأدبى المشرق فورده وارتوى به .

وبذلك اعتدل مزاجه ورقت حواشى نفسه وأصبح — وهو فى السابعة عشرة من عمره — أشرف ثقفى فى زمانه كما يقول أبوالفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى وقد فطن له الحجاج بن يوسف رجل الدولة الأموى القوى ، وهو الفارس المعلى فى نقد الرجال وتمييز الكفايات ، فعقد عليه الآمال الكبار فى مهمة الفتوح الإسلامية التى جدد الخلفاء الأمويون سياستها بعد سكون الفتن وركود ريحها ، فغزا قتيبة بن مسلم « بلاد ما وراء النهر » وأوغل فيها ، وتوطد سلطان دولة الخلافة ببلاد عمان ، وغزا موسى بن نصير « المغرب » ، وقرع أبواب الأندلس نفسها مع مولاه طارق بن زياد[1] .

وقد أراد الحجاج بن يوسف أن تأخذ ثقيف بنصيبها فى شرف هذه الفتوح الجسام فأغزى ابن قبيلته محمد بن القاسم الثقفى « بلاد السند » التى هى مدخل ذلك العالم الزاخر بالناس والذى يسمى بلاد الهند[2]

بلاد السند وسياسة ملوكها فى ذلك الزمان .

كانت أرض السند عبارة عن حوض نهر السند العظيم وتنزلها قبائل عديدة قوية منها الزط والسيابجه والميد والبرهة ، وكانت بلدانها الكثيرة منتشرة فى أهضام الأودية ورءوس الجبال منها « الديبل » وكانت ثغر السند ، ومنها « برهمنا باذ وراور ، والملتان » وكانت هذه البلدان تنتشر فيها المعابد البوذية القديمة وخاصة معبد الملتان ذلك المعبد الذى كانت تهدى إليه الأموال ، وتنذر له النذور ، ويحج إليه أهل السند ، ويطوفون ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده .

أما من الناحية السياسية فكان يتوزع بلدان السند وقبائلها عدة حكام متقاطعى الكلمة مختلفى الأهواء وكان أقواهم سلطانا إبان غزو العرب ملك يقال له « داهر » تغلّب على قواد الحجاج الذين حاربوه سابقا وأذاقهم مرارة الهزيمة المرة بعد المرة عند إغاراتهم عليه[3]

سبب اندلاع الحرب بين المسلمين وملك السند

حدث أن ساءت العلاقات بين المسلمين وبين « داهر » ملك السند مما استدعى صداما مسلحا بينهما ، وسبب ذلك أن الحجاج بن يوسف والى العراق أرسل سعيد بن أسلم إلى « مكران » فخرج إليه (معاوية ومحمد) ابنا الحارث العلافى فقتلاه ، إذ كانا من الخارجين على سلطان الأمويين فى هذه الجهات ، وكانا قد لقيا عند داهر ملك السند البرهمى كل ترحيب حين لجآ إليه ومن كان معهما من الأعوان وما لبثا وقد نصراه فى بعض حروبه أن صارا من أصحاب الحظوة عنده .

وبلغ الحجاج الخبر فسأل الخليفة الأموى (وهو الوليد بن عبدالملك) وقتئذ أن يأذن له

(١) كتاب صور من التاريخ الإسلامى تأليف الدكتور عبدالحميد العبادى طبعة سنة ١٩٤٨ م

(٢) كتاب فتوح البلدان للإمام أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ سنة ١٩٠١ م

(٣) كتاب صور من التاريخ الإسلامى المرجع السابق

بمهاجمة السند ملجأ الخارجين على دولة الخلافة ولكن الخليفة لم يأذن له ، ثم حدث بعد ذلك أن تعرض قراصنة من « مدينة الديبل » لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (والتى دعيت جزيرة سيلان بعد ذلك) وفيها بنات وأرامل لتجار من المسلمين وافاهم الأجل هناك ، فأسر القراصنة هؤلاء النسوة ، ولما طلب الحجاج من « داهر » ملك السند تخليص نساء المسلمين من الأسر لم يستجب له وزعم أنه لا يسيطر على لصوص البحر هؤلاء فكان هذا وسواه باعثا للحجاج أن يُلحَّ على الخليفة ليثأر لهذا العدوان وليؤمِّن طريق التجارة ، وحدود البلاد الإسلامية من غارات المعتدين[٤]

إعداد الحملة العسكرية الإسلامية

لما استجاب الخليفة الأموى لرغبة الحجاج بن يوسف أعد حملة كبيرة لغزو بلاد السند قيل : إنها كانت عشرين ألفا من المسلمين الأشداء ، ووضع على رأس الحملة ابن قبيلته القائد الشاب محمد بن القاسم[٥] وقد انقسمت تلك الحملة إلى قسمين :

قسم منها كان أسطولا حمل المشاة والمؤن وعدد الحرب الثقيلة ، سار بطريق البحر ، والقسم الآخر سار بطريق البر وهو الذى قاده ابن القاسم ففتح فى طريقه بعض البلاد حتى التقى بسفنه المحملة بالجنود عند ميناء الديبل[٦] وعندئذ اتجه بجنوده إلى الشمال فخرت له الحصون والبلاد صلحا أو عنوة وأخيرا التقى بداهر ملك السند حيث كان يقود جيشا كثيفا تقدمته المئات من الفيلة واجه به جيش المسلمين فدارت بينهما معركة كبيرة انطلق فيها محمد بن القاسم كالمارد متقدما صفوف جيشه مقتحما صفوف أعدائه ضاربا بكل قوة وبمن معه من الجند تلك الجيوش .

أما الفيلة فقد اتقى شرها بقذائف النفط الملتهب يرميها بها هو وعساكره فهاجت واحترقت هوادجها بمن فيها من الجند .

وبعد اقتتال شديد قتل فيه داهر ملك السند وانهزمت جيوشه فتبعهم ابن القاسم بجيشه حتى تم له تمزيق جيوش أعدائه فاستولى على « مدينة راور » فمدينة « برهمناباذ » ثم زحف على « مدينة الراور » فحاصرها أشهرا ثم دانت له على أن يحقن دماء أهلها ، وأن يؤدوا إليه الخراج ، وقد وفى لهم بشرطهم ، وبنى بالمدينة مسجدا ثم قطع نهر بياس إلى « الملتان » أعظم بلدان السند فقاتله أهلها ولكنه هزمهم فى النهاية وفتحها .

وكان مما ساعد المسلمين على تحقيق النصر السريع ماوجدوه من عون من قبيلتى : « الميد والجات السنديتين » اللتين انضمتا للجيوش الإسلامية وأرشدتا إلى أيسر الطرق كما بذلتا عونا واضحا فى معارك القتال لما امتاز به رجالها من الشجاعة والجلد الشديد فى ميادين الحروب فضلا عن معرفتهم بمسالك السند ودروبها وأحوال أهلها وأساليبهم فى الضرب والنزال وكانت هاتان القبيلتان قد هاجر أكثر أفرادهما إلى خارج السند لفرط ما كانوا يعانونه من سوء معاملة حكومة « داهر » البرهمية إذ كانوا فى عداد المنبوذين الذين

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية — الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا المجلد رقم ٨ تأليف الدكتور أحمد شلبى

(٥) كتاب صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية تأليف الدكتور عبدالحليم عويس

(٦) الديبل هى مدينة كراتشى حاليا

لا يباح لهم من المهن والحرف إلا أحقرها كما كان يحرم عليهم ارتداء غالى الثياب أو امتطاء الدواب[٧] .

سياسة ابن القاسم مع جنده ومع أهل البلاد التى فتحها .

لاشك أن الحجاج بن يوسف كان موفقا عندما عهد إلى محمد بن القاسم بقيادة تلك الحملة الخطيرة لفتح بلاد السند فإن ذلك القائد العربى بحداثة سنه وصدق فروسيته قد ملك زمام جنده فلم يسع واحد منهم إلى خلاف معه أو عصيان أمره .

ثم إنه بهذه الخلال نفسها وبرجاحة عقله وسعة حلمه اجتذب قلوب أهل السند أنفسهم فقد قارنوا بينه وبين ملوكهم المترفين المتجبرين المتخاذلين فلم يتمالك كثير منهم ومن قبائلهم أن أعطاه الطاعة وناصره فى قتاله كما أكرم رؤساء الهنادكة من رجال الدين عندهم ، ويروى أنه عندما شرط عليه أهل مدينة الراور ألا يقرب معبدهم وفّى لهم بذلك وقال (ما المعبد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نار المجوس) وأطلق للناس حرية العبادة وكانت حكومته إياهم عادلة رفيقة إذا قيست بحكومة ملوكهم وأمرائهم فقد تقدم إلى عماله بهذه النصيحة (أنصفوا الناس من أنفسكم وإذا كانت قسمة فاقسموا بالسوية وراعوا فى فرض الخراج مقدرة الناس على أدائه ولا تختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد)[٨] .

الأعمال التى أفاد بها ابن القاسم دولة الإسلام

كان ذلك القائد النابه مدركا كل الإدراك أن عليه واجبين عظيمين :

أولهما أن عليه أن ينشر فى البلاد التى فتحها الثقافة الإسلامية .

ثانيهما : أن يصل مابين الشرق والغرب الإسلاميين .

من أجل ذلك كان إذا فتح مدينة أنزلها بعض أصحابه وبنى بها مسجدا ثم نقل طوائف من قبائل الزط والسيابجه إلى العراق فأنزل الحجاج بعضهم كورة كسكر بفارس ووجه بقيتهم إلى الخليفة الأموى فأنزلهم « إنطاكية » وسواحل الشام لينتفع بخبرتهم البحرية فى قتال الروم كذلك أرسل إلى الحجاج فيلة من أفيال السند سميت ببعضها مشرعة الفيل التى كانت بمدينة واسط بالعراق ، كما بعث إليه آلافا من الجواميس السندية فأطلق الحجاج بعضها فى آجام كسكر وكور دجلة وبعث كثيرا منها إلى الخليفة فأطلقها فى الآجام التى بين « إنطاكية والمصيصة » واتقى بها سباع تلك الآجام وكانت قد كثرت وأخافت السابلة وقد نمت هذه الماشية بالعراق على مر الزمن حتى أصبحت من أسباب ثروته الاقتصادية فى وقتنا الحاضر[١٠]

النهاية المحزنة لقائد حملة السند

فى الوقت الذى كان فيه ابن القاسم ينتقل من نصر إلى نصر مؤملا أن يضم إلى دولة الإسلام

(٧) طبعة عام ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ ك دار الكتاب العربى بمصر موسوعة التاريخ الإسلامى المجلد رقم ٨ المرجع السابق وكتاب فتوح البلدان المرجع السابق

(٨) كتاب صور من التاريخ الإسلامى المرجع السابق

(١٠) كتاب صور من التاريخ الإسلامى المرجع السابق ١١ ، كتاب فتوح البلدان المرجع السابق

مملكة الهند الشمالية وعاصمتها (قنوج) جاءه خبر وفاة والى العراق « الحجاج بن يوسف » عام ٩٥ هجرية وبعده بقليل جاءه خبر وفاة « الخليفة الوليد بن عبدالملك » (وكان سنده وسند ابن قبيلته الحجاج بن يوسف) وتولية « سليمان بن عبدالملك » إمارة الخلافة الأموية وكان عدوا للحجاج وأسرته لضغائن قديمة بينهما فولى صالح ابن عبدالرحمن على العراق ـــ وكان الحجاج قد قتل أخاه كما ولى الخليفة الجديد يزيد بن أبى كيشة السكسكى ولاية السند بعد أن أمر بعزل محمد بن القاسم والقبض عليه وحمله إلى العراق مقيدا بالسلاسل حيث سجن فى مدينة واسط[١١]

فكان لذلك أثره البالغ فى نفوس أهل السند فتحركت عليه قلوبهم وبكوه أحر البكاء وصوره أهل الكيرج بمدينتهم التى كان شخوصه منها ، وانطلقت ألسنتهم ترثيه فقال أحدهم :

إن المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
ياقرب ذلك سؤدداً من مولد

أما هو فقد رثى نفسه وهو فى سجنه فقال من شعره الرقيق :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها
رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب قينة فارس قد رعتها
ولرب قرن قد تركت قتيلا[١٢]

ولقد تلقى ـ رحمه الله ـ المحنة صابرا محتسبا ، والغريب أنه على إخلاص أصحابه له ، وعطف أهل السند عليه لم تحدثه نفسه بالخروج والانتقاض على سلطان دولة الخلافة ويبدو أنه أيقن أنه قد أدى واجبه فى نشر الإسلام ، وأن الحياة قد أصبحت بعد ذلك لغوا وفضولا لاطائل فيه ، ولو أراد الثورة لشق على أعدائه احتواؤه وفى ذلك يقول :

ولو كنت أجمعت القرار لوطئت
إناث أعدت للورى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا
ولا كان من عك علىّ أمير
ولا كنت للعبد المزونى تابعا
فيالك دهر بالكرام عثور

وهناك فى مدينة واسط بأرض العراق حبس وسجن ثم اقتيد للقتل بأمر الخليفة ليشفى غيظه بدلا من الحجاج بن يوسف الثقفى الذى لم يتمكن من الانتقام منه بعد أن حال الموت بينهما[١٣] وهكذا كانت تلك خاتمة فتى فتيان العرب وسيد فرسانهم فى وقته ولم يكن لمهارته فى القيادة أو لانتصاراته الرائعة فى الهند أى قيمة أمام السياسة التى تلعب بمصاير كبار القادة والرجال فتقضى عليهم مع أنهم كانوا رجالا عظاما خدموا دولة الإسلام خدمة كبرى وكانوا أحق بالتكريم والتبجيل من القائمين على أمورها وسياستها فى ذلك الزمان أولئك الذين نسوا قول الله ـ تعالى ـ فى قرآنه العظيم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١٤]

(١١) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ سنة ١٩٨١ م بيروت ـــ لبنان

(١٣) كتاب صور من التاريخ الإسلامى تأليف الدكتور عبدالحميد العبادى المرجع السابق

(١٤) سورة الإسراء الآية رقم ١٥ ـــ جزء من هذه الآية



تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

من اليتيم ؟

كفالة الأطفال غير المسلمين

بعثت لجنة الفتوى بالأزهر هذا الرد إلى :

السيد الأستاذ الدكتور / أشرف عبدالعظيم، مدير اللجنة للإغاثة الإنسانية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)

فردا على الاستفتاء الوارد إلينا مع مندوبكم والخاص بشأن بيان حكم الشرع فى تحديد تعريف الطفل اليتيم ، إلى آخر الاستفتاء نفيدكم :

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول :

١ ــ اليتيم من فقد أباه وكان دون سن البلوغ لقول النبى ﷺ (لا يتم بعد حلم) .

٢ ــ الطفل الذى غاب أبوه منذ أكثر من عام لا يعتبر يتيما سواء كان أبوه معتقلا أو محاربا أو مفقودا ، ولا يعتبر الطفل يتيما إلا إذا حكم القاضى بموت أبيه ، ولكن تجوز كفالة هذا الطفل على أنه لا عائل له يتولى شئونه .

٣ ــ بالنسبة لأطفال غير مسلمين فإنهم إن لم يوجد لهم عائل من أهل دينهم يجوز أن يكفلوا من أموال المسلمين حتى لا يضيعوا ولأن عمر ــ رضى الله عنه ــ فرض ليهودى متقدم فى السن جزءا من بيت المال ، فهؤلاء الأطفال يجوز كفالتهم من بيت مال المسلمين حتى لا يضيعوا ، ولأن الأطفال إذا كانوا دون البلوغ فإنهم على فطرة الإيمان ما لم يُهَوِّدْهُم آباؤهم أو يُنَصِّرُوهُمْ .

٤ ــ أطفال غير المسلمين الذين يكون آباؤهم مسالمين أو محاربين ولا يوجد لهم عائل فالكل سواء بالنسبة لوجوب كفالتهم على المسلمين ؛ لأنهم كذلك على الفطرة إلى أن يبلغوا والله تعالى أعلم .

فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

ترد لنا أسئلة تتعلق بحكم المال العائد من أرباح البنوك الربوية سواء فى مصر ، وغيرها .

ما موقف الوارث لهذا المال منها ؟ نرجو إيضاحا شافيا ولكم الشكر .

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

الفائدة التى تعطيها البنوك للمودعين أموالا عندها تعتبر ربا محرما لا يحل لأى أحد تناوله ، وقد حذر القرآن الكريم والسنة المطهرة من أكل الربا فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ سورة البقرة

وقال النبى ﷺ : لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وقال هم فيه سواء .. رواه البخارى وغيره .

والذى يتعامل مع هذه البنوك إنما يقرضها المال المودع ويأخذ عنه فائدة ، وكل قرض جر نفعا فهو ربا ، وهذه الفائدة يجب التصدق بها على الفقراء ولا يحل تناولها لصاحب رأس المال ، وهذه الصدقة لا أجر له فيها ، إنما يفعلها ليبرىء ذمته من الله وليتخلص من هذا المال الحرام ؛ حتى لا يعذبه الله عليه ، والوارث لهذه الفوائد يجب عليه سرعة التصدق بها ولا يحل له تملكها والله تعالى أعلم .

السيد صاحب الفضيلة / مدير لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد .

مقدمه لفضيلتكم / س.م.م من القاهرة ..

توفيت سيدة مصرية متزوجة من رجل أردنى الجنسية وكانت تقيم بالأردن قبل الوفاة ، لها ابنة واحدة متزوجة ومعها طفلان وتقيم أيضا بالأردن وهذه السيدة المتوفاة لها : أم على قيد الحياة وأربعة أشقاء منهم اثنان ذكور ومتزوجين واثنان إناث متزوجات ومقيمات بمصر وجميعهم على قيد الحياة .

تركت هذه السيدة المتوفاة مبلغ من المال كوديعة فى بنك من بنوك مصر بالفائدة ولها منقولات بيتها بالأردن .

فما حكم الشرع فى التصرف فى هذه المتروكات التى توجد بالبنك والفوائد والمنقولات ؟ .

أفيدونا أفادكم الله ..

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوج الربع فرضا وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى للأخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى وذلك فى كل ما تركته المتوفاة من منقولات ومبالغ مالية وذهب إن وجد والله ـ تعالى ـ أعلم ..

فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

انتشرت محلات حلاقة السيدات « الكوافير » وبالرغم من كثرة القضايا التى كان فى أطرافها بعض العاملين بهذه المحلات ، لا تزال فى ازدياد ..

نرجو إيضاح الحكم الشرعى فى عمل هذه المحلات ؟ .

على عبدالله المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محلات الكوافير إذا كان الذى يصفف شعر النساء رجلا فذلك عمل محرم ؛ لأن فيه لمس المرأة الأجنبية وذلك محرم لقول النبى ﷺ لأن يضرب رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له .

كما أن فى هذا الفعل تشجيعا على المعصية لأن المرأة تزين شعرها وتخرج به فى الطرقات فتغرى الناس بالنظر إليها والنظرة سهم من سهام إبليس القاتلة كما قال النبى ﷺ ، فإذا كانت التى تعمل فى محل الكوافير امرأة كان التحريم من ناحية المساعدة على الفساد ونشر الفتن فلا يحل ذلك شرعا أيضا ، أما إذا كانت العاملة امرأة والتى يزين لها شعرها إنما تفعله لزوجها فى بيتها فقط أما فى الشوارع فإنها تغطى شعرها ولا تظهره للناس فذلك جائز إذا كان بهذه الكيفية .. والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد / م.ف. موسى

افتتحت أمى وخالى محلا لتصفيف الشعر وأوصت والدتى نظير إدارتى للمحل وتربية أخوتى بأن يؤول النصف المخاص بها إلى بعد وفاتها ، وقد تم بالفعل ووفيت بكل ما طلبته والدتى ولذلك أصبح نصف المحل الخاص بوالدتى ملكا لى ولا يوجد أى دليل يجعل أخوتى يرثونى فيه ، لأن المحل باسمى ولكن طالب بعض الأخوة أن يشاركونى فى هذا الميراث بعد تحملى كافة مصاريف تعليمهم ورعايتهم حسب ما أوصت به والدتى ، ما الحكم ؟ .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد : بأن ما صدر من الأم لابنها يعتبر وصية ، وهى لا تنفذ إلا إذا أجازها باقى الورثة بعد وفاتها لقول النبى ﷺ : (لا وصية لوارث إلا أن يجيزها باقى الورثة) ومن أراد من الورثة . وهو مكلف شرعا التنازل عن حقه فى الميراث بكامل اختياره ، ورضاه فلا مانع من ذلك شرعا .

والله ولى التوفيق ..

من أعلام الأزهر



الشيخ / حسين بن على المرصفى

رائد النهضة الأدبية المعاصرة

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

شهد الأدب العربى الحديث ، العديد من الشخصيات المرموقة ، التى ظفرت بالدراسات المستوعبة لها ولأعمالها من جمهرة الباحثين ، غير أنه يوجد شخصيات أخرى لاتقل - إنْ لم تزدْ - عنها موهبة ونبوغا ، وبرغم ذلك ، لم تظفر بما هى أهل له من إنصاف وتقدير .

وفى مقدمة هؤلاء المرموقين ، شيخ الأدباء الأعلام فى مصر : سيد بن على المرصفى ، أحد أفذاذ المراصفة ، الذى يُعدُّ الامتداد الرائع ، لمواطنه الشيخ حسين المرصفى ، الذى تحدثنا عنه فى العدد الماضى من الأزهر .

وكم نتمنّى إعادة النظر فى التأريخ لأدبائنا الكبار المعاصرين حتى لا يجرفهم تيار الجحود ومروق القومية الذى تتمتع به أحوالنا الحاضرة ! التى غفلت عن أسماء بعينها ، وغفلت أيضا عن قادة لهم مكانتهم المشهودة ، خاصة وهم يمثلون الرعيل الأول فى النهضة الأدبية المعاصرة .

قضى الشيخ سيد بن على المرصفى حياته فى التنقيب بأمهات كتب التراث ، باحثا وناقدا ومُمحِّصا ، وأشعل فى نفوس تلاميذه حمية الاطلاع ، وحُسْن الاستعداد ، بما أفاض عليهم وقدَّم لهم من دراسات وبحوث ، حتى اقترن اسمه بـ (المبرد) ، بعد شرحه لكتابه : (الكامل) ، فى موسوعة من ثمانية أجزاء ، تحمل اسم : (رغبة الآمل من كتاب الكامل) وطبعت عام ١٩٢٧ .

وكتاب الكامل للمبرد أحد الكتب الأربعة ، التى قال عنها ابن خلدون : « سمعنا من شيوخنا ، فى مجالس التعليم ، أن أصول هذا الفن (يعنى فن الأدب) وأركانه أربعة دواوين ، هى : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى ، وماسوى هذه الأربعة ، تبع لها ، وفروع منها » .

وبرغم أن المبرد يقول فى مقدمته : « هذا الكتاب ألفناه ، جمع ضروبا من الآداب ، مابين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بارعة ، والنية أن نُفسِّر كل ماوقع فى هذا الكتاب ، من كلام غريب ، أو معنى مستغلق . وأن نشرح مايعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه ، مكتفيا .. وعن أن يرجع إلى أحد فى تفسير .. مُستغنيا » ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد قام الشيخ سيد المرصفى بشرحه شرحا وافيا لأبنائه الطلاب بالأزهر « على الطريقة التى كان يدرس بها أبو عبيدة والأصمعى ، يصل فيه المرصفى ما انقطع من أسانيد الكامل ، يُعرِّف برجاله فى إيجاز ، مع ذكر طرائف عنه ، ويورد القصائد التى استشهد المبرد بأبيات منها إذا وافقت ذوقه ، يشرح غريبها ويكشف أسرارها »[1] .

لقد قرأ الشيخ سيد المرصفى (الكامل) أمام الشيخ محمد عبده ـ كما يقول فى مقدمته ـ وجعله موضوع دراسته لتلاميذه فى الأزهر ، وكان جُلَّ اهتمامه « بيان ماحاد فيه المبرد عن سنن الصواب ، من خطأ فى الدراية ..» ذلك أن المبرد « كان كثيرا مايعتمد فى لفظه على جودة حفظه ، فربما نزع من غير قوسه فزاغ عن القصد سهمه ، أو صعد فى الأدب مرتقى ، نزل به إلى الحضيض قدمه » .

● ● ●

وحينما قام الدكتور زكى مبارك ، فيما بعد ، بتحقيق الجزء الأول من كتاب الكامل سنة ١٩٣٧ ، قال فى مقدمته : « تلقينا شرح كتاب الكامل عن أستاذنا وصاحب الفضل علينا ، سيد ابن على المرصفى ، وهو أفضل رجل عرفناه فى الأزهر الشريف ، وقد سمعنا عنه شرح الكامل مرتين ، مرة فى دروسه التى واظبنا عليها سبع سنين ، ومرة عند طبع « رغبة الآمل من كتاب الكامل » وكنا نعاونه على التصحيح » إلى أن يقول : « وقد اعتمدنا على شرحه كل الاعتماد ، فليس لنا من فضل إلا اختصار مافى شرحه

(١) انظر مقال الأستاذ عبدالغنى إسماعيل عن المرصفى وكتاب الكامل بالمجلد الثامن عشر من مجلة الأزهر عام ١٩٢٧ ص١٣٧ .

المطول ، ولم يتفق لنا الابتكار ، إلا فى مواطن قليلة جدا ؛ فإن رآنا القارىء نُصحِّح بعض أغلاط الشيخ المرصفى يرحمه الله فَلْيذكر أننا لم نصل إلى مؤاخذته ، إلا بفضل ما أخذنا عنه ، من أصول اللغة والبيان » ثم يضيف « وكنت أحب أن أتحدث هنا عن الشيخ المرصفى » ولكنى فَصَّلْتُ أخباره فى الطبعة الثانية من كتاب البدائع .

وبالرجوع إلى هذه الطبعة لم أجد بين يدى جديداً لما نبغى اضافته عن نشأة الشيخ المرصفى وحياته الأولى . ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر فى إتمامه تصحيح الجزء الثانى من (الكامل) للمبرد ، إنه قد اعتمد أيضا فى التحقيق على شرح الكامل المسمى : (رغبة الآمل) للأستاذ العلامة الكبير الشيخ سيد بن على المرصفى ـ رحمه الله ـ.

● ● ●

وقد اقترن اسم الشيخ سيد المرصفى أيضا بديوان الحماسة الذى جمعه أبو تمام من مختاراته ، وقام الشيخ المرصفى بشرحه فى كتاب اختار له عنوان : « أسرار الحماسة » ، وقال فى مقدمته (ط. عام ١٩١٣) : « رأيت نفوس القوم مصروفة إلى تحقيق المسائل العلمية ، والمباحث الفقهية بما عندهم من نظر فى الاستدلال ، وأكثر طرق الاحتمال .. ولو علموا ـ (هداهم الله تعالى) ـ ما علمناه من خصائص تلك اللغة الغالية فى أساليبها ، وما أودعت من لطائف الأسرار فى تراكيبها ، لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد ، واعتنقوا لغة القرآن المجيد ، والحديث الحميد » .

صفوة القول : أن الشيخ سيد بن على المرصفى يُعدُّ من الرواد الأوائل ، الذين أدخلوا فقه اللغة ، ودراسة الأدب ، إلى الدراسات الأزهرية[1] .

« فإذ امكن الأستاذ المرصفى أن يجعل مؤلفات المبرد ، وأبى على القالى ، وأبى تمام ، وابن عبد ربه .. تجد مكانها ، بين حواشى : الأسنوى والصبان والباجورى والسيوطى والعطار ، فذلك فضل كبير »[2] .

وقد قال عنه تلميذه الدكتور طه حسين فى كتابه : « تجديد ذكرى أبى العلاء : « أستاذنا الجليل سيد ابن على المرصفى أصح من عرفتُ بمصر : فِقْهاً فى اللغة ، وأسلمهم ذوقا فى النقد ، وأصدقهم رأيا فى الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولاسيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام . كان يدرس الأدب فى الأزهر الشريف ، وبدأت أختلف إليه ، ولم أعد السادسة عشرة فلزمته أربع سنين ، ما أذكر أنى انقطعت عن درسه ، أو تخلفت عن مجلسه ، ولم يقف الأمر بينى وبينه على مايكون بين الأستاذ والتلميذ من صلة ، بل نشأ بيننا نوع من المحبة ، يشوبها فى نفسى الإجلال والإكبار ، وفى نفسه العطف والحنان ، وتبعث كلينا على أن يتعصَّب لصاحبه ويناضل عنه ، على نحو مايكون بين الأبناء البررة ، والآباء المثقفين .

● ● ●

(١) انظر كتاب (المحافظة والتجديد فى النثر العربى المعاصر فى مائة عام) للأستاذ أنور الجندى ص ٢٣٣ .

(٢) انظر كتاب (النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين) جـ٢ ط ١٩٨٠ للدكتور محمد رجب البيومى ص٨٣ .

« سعدت بهذا الحب قديما ، وسأظل سعيدا به طول الدهر ، لأنه صادف قلبى فى غضارة الطفولة ، ونضارة الصبا ، ولأنه حبٌّ مصدره العلم ، لم تفسد عنصره المادة ، ولم تكدر جوهرة مآثم هذه الحياة : حب الأستاذ ودَرْسه ، قد أثَّرا فى نفسى تأثيرا شديدا ، فصاغاها على مثاله ، وكونا لها فى الأدب والنقد ، ذوقا على مثال ذوقه »[1] .

إلا أن الدكتور طه حسين لم يستمر على ولائه لأستاذه الشيخ سيد المرصفى ، فقد هاجمه بعد ذلك ، فى أيامه الأخيرة ، لأنه ـ أى المرصفى ـ كان عضوا فى هيئة كبار العلماء ، التى أصدرت حكمها على كتاب طه حسين الذى يحمل عنوان : (فى الشعر الجاهلى) بالإدانة ، والاستنكار ، لما جاء به . ومن تلاميذ الشيخ سيد المرصفى : الأساتذة المنفلوطى وأحمد حسن الزيات ، وعلى عبدالرازق وعبدالعزيز البشرى ، ومحمود حسن زناتى ومحمود محمد شاكر ومحمد محيى الدين عبدالحميد ، وأحمد محمد شاكر ومحمد الهياوى وعبدالرحمن البرقوقى وحسن الغاياتى وعلى الجارم ، وأحمد شفيع السيد وأحمد الزين ، وإبراهيم رمزى نظيم ، وإبراهيم الدباغ ، وحسن السندوبى .. وكنا نتمنى أن يقوم الأخير بالترجمة لأستاذه ، مع من ترجم له فى كتابه : (أعيان البيان فى القرن الثالث عشر الهجرى) إلى اليوم ط ١٩١٤ م ، فقد أجهدنا أنفسنا لنعرف تاريخ أو سنة ميلاده ، إلا أننا لم نوفق إلى ذلك ، وقد اقتصر الأستاذ سيف النصر عبدالفتاح الطلخاوى فى مقاله عن الشيخ سيد المرصفى بقوله عنه أنه : وُلد فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وتعلم فى كتاب والده « الشيخ على » القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وسجَّل اسمه فى أحد أروقة الجامع الأزهر ، بعد امتحان اجتازه بنجاح فى القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وجلس إلى أحد أعمدة الجامع الأزهر ، يتلقى دروس العلم المختلفة[2] .

وعلى رغم أن الشيخ سيد المرصفى انتقل إلى رحمة الله ـ تعالى ـ فى السادس من مارس سنة ١٩٣١ ، فإننا نعجب لأن أحدا من تلاميذه العديدين ، لم يفكر فى سؤاله عن تاريخ ميلاده : يوما وسنة ، كما أن الشيخ سيد المرصفى لم يكتب سيرة ذاتية لحياته ، واقتصر ماذكر عن مرحلة حياته الأولى ، على أنه نشأ فقيرا معدما ، ودخل الأزهر ، وحفظ المتون ، وراجع الشروح والحواشى ، وتلقى على يد الشيخ الشربينى العلم ، واتجه إلى الأدب ، فترك النصوص الأزهرية ، ونفر من دراسة الأراجيز ونسخها وشرحها[3] .

●●●

وقد أدى الشيخ سيد المرصفى ضريبة الوطنية ، حينما انتظم فى صنوف المجاهدين ، والثائرين من شباب الأزهر ـ فى الثلاثينيات من عمره ـ مؤازراً للزعيم أحمد عرابى ، وأنشد

(١) المصدر السابق ص٨٥ .

(٢) انظر عدد مجلة الأزهر الصادرة فى شوال ١٤٠٤هـ (يوليو ١٩٨٤م) .

(٣) راجع النثر العربى المعاصر فى مائة عام للأستاذ أنور الجندى .

قصيدة له فى هذا الصدد ، يقول فيها :

يا آل مصر تنبهو ، فمن الذى
يرضى بذلٍّ فى الخليفة أنكدِ
ياآل مصر علمتوا ما حلَّ فى
هند وتونس من بلاء سرمد

وقد تم اعتقال الشيخ سيد المرصفى ، فيمن اعتقلوا ، بعد هزيمة الثورة العرابية .

ولاشك أن الأثر الحميد أو المأثرة الكبرى للشيخ سيد المرصفى ، تكمن ـ كما يقول الدكتور زكى مبارك ـ فى أنه كان «أول رجل تسامى إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء ، وكان أول رجل أقر كرسى الأدب بالأزهر الشريف ، وكان أول رجل جعل للأديب ، مكانة بين جماعة كبار العلماء ، فكان بتلك الصفات أوحد عصره بلا جدال»[1] .

هذا فى الوقت الذى كانت فيه كتب الأدب ـ لعهد المرصفى أول هذا القرن ـ مَجْفوَّة مهملة ، كما يقول الأستاذ الدكتور رجب البيومى وكان أكثرها مخطوطا منسيا ، لايجد النور فيقع بأيدى الناس . وبعض المطبوع منها ـ على قلته ـ ردىء الطبع سىء التحريف كثير التصحيف ، فعمد المرصفى إلى أكثرها صعوبة ، وأوعزها مركبا ، فأخذ نفسه بدراستها دراسة نافذة فاحصة فكان الكامل بين يديه يتم قصائده ، ويشرح عويصه ، ويتعرض لنسبة الأبيات ، ويترجم لصاحب الأثر ، ويشرح ماتركه المبرد دون إيضاح .. وكانت أمالى أبى على القالى كذلك ، موضع اجتبائه ، يناقش لغوياتها المعماة ، ويعارض نصوصها المختلفة ، ويبحث فى المخطوطات ، المتآكلة ، عما غاب من القصائد ، فيكمل مانقص ، وقل مثل ذلك فى حماسة أبى تمام ، وعقد ابن عبدربه ، وأراجيز رؤبة والعجاج ، مما ترك أكثره مخطوطا فى ظلمات النسيان ! حتى جعل للأدب فى الأزهر ركنا متين الدعائم[2] .

وهكذا نجد الشيخ سيد المرصفى ينبرى ـ وهو مزود بعلم غزير ، واطلاع واسع عميق ، وذوق أدبى رفيع ـ لمناقشة آثار أقطاب وفحول العربية القدماء ، مناقشة النـد للنـد ، فأجاد وأفاد ، بنظرة جديدة متطوِّرة ، بعد الغبار والركام اللذين رانا على هذه الآثار ، خلال قرون التخلف فى العصر العثمانى فى مصر .. فاستخلص الذهب من تبره ، والألماس من منجمه .. ولولا الجهد الذى بذله فى تعبيد الطريق أمام تلاميذه ، لما استطاعوا أن يعبروه ويركضوا فيه ، ويشيدو البناء الشامخ الراسخ ، الذى أقاموه ـ بفضله ـ من بعده .

(١) انظر عدد مجلة الرسالة رقم ٣٩٨ .

(٢) انظر كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومى جـ٢ ص٨١ .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ كامل أمين محمد(*)

ريح الحجاز هززت الطلح والبانا ... ونبه الشوق قلبا كان نعسانا
فتحت عيني وعيس الحي نازحة ... والقلب يركض خلف الظعن ولهانا
لم يبق لي غير دمع فرَّ من مُقْلي ... لو كان يمشي إليهم سال غدرانا
لظبية دارهُا كانت بذي سَلَم ... ياليتها تركت للحيِّ عنوانا
أصمت فؤادي بأجفان لو انكسرت ... على الصفا رَقَّ حتى صار إنسانا

لما ذكرت رسول الله همتُ به ... وزادني عشقُه بالله إيمانا
وقلت للنفس تصحو من سلافتها ... لن أترك الراح بعد اليوم ظمآنا
كاس من الحب في الهادي وعترته ... تنسي الفؤاد الهوى في الغيد نسيانا
ياقوم إني بوعيي شاعر بأبي الزهراء مابالني مازلت نشوانا
والنور بالنور أولى أينما كانا ... والحق بالحق لايحتاج برهانا
كأنَّ غار حراء وهو يعبد فيه ... الله أصبح رَوْضاً في حنايانا
سَلْني عن العشق وانظر ما أكابده ولا تسل بعدما كابدت هيمانا
الراح من حبه بالله تسكرني ... وجدا وإن كان مثلي لم ير الحانا

قالوا التبتل خمر قلت لا أبدا ... بل التبتل ذكرى المصطفى الآنا
لا راح تُسْكِرُ بل فيض أهيم به ... والنور يبهر فيه العين أحيانا
من حدقت عينه في الشمس لم يرها ... إلا ضبابا وغضَّ الطرف حيرانا
ذرني ونور هدى المختار يغمرني ... أغيب آنا وأصحو بينه آنا
فما الصبابة شعر بل مكابدة ... والنبض ما كان أبياتا وأوزانا

ياسيدي يارسول الله معذرة ... إن قلت شعرا فكم رتلت قرآنا
عذري لديك كيان العبد في ملأ ... يلقاك جبريل فيه ليس يلقانا
شتان بين عباد يسمعون له ... وبين من جاهر بالتنزيل شتانا
هذا إلى الله عن جبريل متصل ... وذاك يرهف للتنزيل آذانا

(*) كامل أمين محمد عضو اتحاد الكتاب صاحب ملحمة السماوات السبع وملحمة القادسية وعضو لجنة النصوص بالإذاعة .

فى رحاب النور

للأستاذ/ رشاد محمد يوسف

اشرب من النور وامنح كل ظمآن ... هذا الرحيق سماوى وربانى
اشرب من النور حتى ترتوى ألقا ... وتستحيل بفضل الله نورانى
طف بالعطاشى وصب الكاس صافية ... من منبع زاخر بالفضل ريان
طف بالحيارى ورتل فى مسامعهم ... لحن الأمان لقلب خائف عانى
ياساق العود مازالت منابعنا ... تفيض بالود من روح وريحان
عهد النبوة مازالت ذخائره ... مضيئة فى حنايا كل إنسان
مازال صوت رسول الله ينفحنا ... بأطيب القول فى بر وإحسان
وكم نداء لنا لافضل بينكمُ ... إلا لقلب بتقوى الله ملآن
وكم نداء لنا كونوا سواسية ... وعطروا الكون من علم وعرفان
وكم نداء لنا لو أن فاطمة ... تجاوزتْ لأقمتُ الحد بالجانى
وكم نداء لنا هبوا ولا تهنوا ... لا تركنوا لضلال أو لطغيان
وكم نداء صِلُوا فالوصل مرحمة ... وجاركم فى حماكم آمن هانى
تراحموا ترحموا كل وما كسبت ... يمينه فى سجل عند رحمن
محمدى أنا يزهو بنسبته ... إلى نبى رفيع القدر والشان
محمدى أنا تعتز قافيتى ... بأحرف الاسم فى حب وتحنان
محمدى أنا والكون يعرفنى ... مذ أشرق الغار من آيات قرآن
أقفو خطاه واستهدى بسنته ... وأعزف اللحن من أوتار حسان

ياسيدى المصطفى والقلب فى كمد ... ينوء بالعيش فى هم وأشجان
تهنا وكم ضاع منا فى متاهتنا ... وكم تبدد من مجد وسلطان
نشتاق أيامك الخضراء تسعدنا ... نهفو إلى النبع من آن إلى آن
نسقى الرضاب به عزما وتبصرة ... ونجمع الشمل فى صدق وإيمان
يابارك الله فى يوم ولدت به ... وبارك الله فى قومى وإخوانى

قل للرسول تحيةً وسلاماً

لفضيلة الشاعر/ سيف النصر عبد العزيز المجلى

قل للـــرسول تحيـــةً وسلامـــا ... ممنّ بحبّك هام حتـــى هامـــا
من والـــهٍ بك ما تعلـــق قلبـــهُ ... بسواك فى هذا الوجـــود غرامـــا
بك قد تسامـــى حبـــه وشعـــوره ... فسمـــا وكم بك مثلـــه يتسامـــى
وأكاد ما لم تلـــق نفسى حظهـــا ... من فيض عطـــفك أن أصير رمامـــا
فأنـــل فؤادى رؤيـــة لك مرّةً ... تحيـــا بها نفسى مُنـــى وذمامـــا
أمـــل أؤمّلـــه فإن أنـــا نلتـــه ... أدركت أحلى ما أودُّ مرامـــا
ياسيـــدى .. ياخير من وطـــىء الثرى ... ياخير من عرف الوجـــود مرامـــا
يامصطفـــى ـ يا أحمد ـ ومحمـــدا ... يامـــن كشفت غياهبـــا وظلامـــا
يامـــن ـ بُعثتَ لكـــل حيرانٍ هدًى ... يهدى التُهـــى وينـــوِّر الأفهامـــا
قد جئت بالديـــن الحنيـــف شريعـــة ... وضاءةً فى نورهـــا تتسامـــى
أنت الـــرسول ختـــمت كل رسالـــة ... فأتيتنـــا للأنبيـــاء إمامـــا
وأزلت عن هذا الوجـــود دياجـــراً ... كم أسدلت فوق العقـــول قتامـــا
النـــور نورك مشرق طول المدى ... ومحقـــق ـ للمهتديـــن ـ مرامـــا
يامـــن يعـــمُّ ضيـــاؤه هذا الـــورى ... منـــى ـ إلـــيك ـ تحيـــة وسلامـــا

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعر/ عبد الحميد عبد المنعم فارس

يا سيّدى أنا قادمٌ ... والوجد راحِلَتى ورَكْبِى
فَلَقد دعوتَ فجئْت ملـ ... ـهوفاً على عجل ألبّى
وقد انقطَعتُ عن الديا ... ر تركتُ أكبادِى وصحْبِى
وقد انسلَختُ عن الوجو ... د سوى وجودك ذاك حَسْبِى
الدمْعُ يهْمِى فى الطريق ... فأينْعَت أزهار دربِى
وروى فؤادى جدولاً ... فاخضرّ منه كل جنْب
والطير فيه غرَّدَت ... لحنا من الجنات يسْبِى
وتَنَقلت بين الريا ... ض تَطَلُّعاً فى كلِّ رحْبِ
فغدا يهيم مع الهوى ... فيمن حباه الله ربِّى
يا سيّدى أنا من يذوب ... الآن فى نورٍ وحبِّ
قولى أحبك يا حبيـ ... ـبى لا توافى ما بقلبى
فالحبّ إن صح الهوى ... ذاب المُحِبُّ مع المُحَبّ
وأنا انتهيت إلى الحبيب ... وذاك ما أبغيه كسْبِى

فى بلاط سيف الدولة الحمدانى

شعر / أسامة كامل الخريبى

وَقَفْتُ عِنْـد بلاطِ الشِّعـرِ أنْتَـحِبُ ... والحزنُ يخنقنـى والدَّمْـعُ مُنْسـكبُ
ياسيدى .. ما أنا بالشِّعـر مُرْتَـزِقٌ ... وما بِغَرْسِ القوافى يُحْصَـدُ الـذَّهَبُ
ما جئت أرثى لأُختٍ قد رُزِئْتُ بها ... ولا لأُمٍ طَوَى أيامَهـا القـطَبُ
إنى أتـيتُ لأرثى أمـةً هبـطتْ ... عن المعـالى وداست مجدهـا النُّـوبُ
كانت هنـالك فوق الشمس عاليـةً ... واليـوم تضحك من مأساتها الحُـقُبُ
كانت تقـود زمـام الأرض عادلـة ... واليـوم يُمْعِـن فى إذلالها ذَنَبُ
قد امتطيت خيالى بعـد أن عجـزت ... عنك المطايا وحـالت دونها الحُـجُبُ
ما كنت أعلـم أنَّ النـاس فى وطنـى ... مُقَيَّـدون متـى أو أينما ذهبـوا
هذى هى الشامُ إنى قد نَزَلْتُ بها ... وعنـد بابِك كم تُسْتِعْـذَبُ الحُـطَبُ
وكم تألـق أفـذاذٌ هنـا شَعَـروا ... حتى نما الشعر وازدانت به الشُّـهُبُ
لكنما الشعـر فى أوطاننـا مِزَقٌ ... من التخاريـف لا وزنٌ ولا أدَبُ

الحال عنـدك ما زالت كحاضرنـا ... ووحدة العُـرْب مازالت هى الطـلَبُ
مازال كل ملـيكٍ فى دُوَيلتـه ... يأبى التسامح والبـغضاء تَلْتَـهِبُ
كلٌ يفكـر فى غدرٍ بإخوتـه ... ويستـعين بأعـداءٍ بهم سَـغَبُ
والفُـرْسُ تزحـفُ والرومـان قادمـةٌ ... حتـى القرامطـة الفجَّـار قد وثبـوا
نَفْسُ التـواريخ والأحـداثُ عائـدةٌ ... نَفْسُ النهايـة للأيـام تُرْتَـقَبُ
لا ينصر الله أشتاتـاً مبـعثرة ... وللهـزيمة فيمـا بيننـا سبب

يامَنْ فَجَـرْت حروبـاً كلهـا غَضَبٌ ... على الفضيلـة ما فى أرضنـا غضبُ
الخير سال بأرضٍ كنت تزرعهـا ... خَيْـلًا ويـأتى على أكتـافِكَ العَـلَبُ
وكـنت تفتـحُ بابَ النصر مقتـدراً ... فَيَنْـتَشى خَلْـفَكَ الإسلامُ والعـربُ
لو كنت تعلـم أنَّـا سوف نسكنها ... وسوف يرق على أعناقنـا لُعَبُ
وسوف نُسْلِمُ أرضَ القـدس عاريـة ... إلى العـدو وتجثـو عنـده الـرُكبُ
وسوف نَرْهَـن هذا الخير فى سَفَـهٍ ... وسوف يَعْـجب من أفعالنـا العَـجَبُ
لما ارتضيت بدفـنٍ فى مهازلنـا ... ولانتـفضت وثـارت فى الدُّنـا حَلَبُ

نداء الزيتون

للشاعرة / جليلة رضا

ألا أيها اللاجئون الحيارَى ... ومن شردّوا فى زوايا الطرقْ
أصيخوا ، فإن النجوم العذارى ... تُهدهد سِلْماً وشيكاً .. قلق
أصيخوا إلى الجبل المشرئبّ ... يحدّق فيكم وراءَ الأفق
لزيتونكم ، لشذا البرتقال ... إلى المخمل الأخضر المؤتلق
أصيخوا ، فإنّ الهواء السجين ... يودُّ - من الأسر - أن ينطلق
وفى كلّ ركن نداء حزين ... من البلد الكوكبى الألق
يقول : تعالوا تعالوا إلىَّ ... أكاد من الشرق أن أحترق

• • •

تعالوا إلىَّ أحبَّاءَ قلبى ... رجالى ، نسائى ، كنوزى الحبيبه
سألثم منكم جراح السنين ... وَأُزجى إليكم وِهاداً خصيبه
وأنسى بكم ذكريات الشقاء ... فإنّىَ من بعدكم كالغريبه
لُعنتُ لعنت ، إذا لم أجد ... لصرخة روحى .. قلوبا مجيبه

اللاجىء :

حنانك يا أمّ هذا النداء ... يحزُّ بأضلعنا كالنصالْ
أننساك ؟ وَاهاً .. أُتُنْسَى الحياة ... محال ، وإن رَفَّ ألْف خيال
غداً - « لاغدا فى قلوب التمنّى » - ... ولكن غدا .. فى أكفّ الرجال
غداً - « لا غدا فى نشيد المغنّى » - ... ولكن على ساحة للنضال
سنُقْصِى الشتات ، ونطوى السّجلّ ... فإمّا حياة ، وإمّا زوال
فيا أمّ لا تحبسى إنّنا ... مع الفجر سوف نشدُّ الرِّحال
ومُدّى ذراعيك عبر الحدود ... وضُمّى فتاك .. وقولى : تعال

الغزل

في شعر العلماء

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمي

من أفاضل الشعراء الذى نظموا فى الغزل بدون تحرج ، وهم على قدر كبير من الفضل والعلم والشرف الشاعر الكبير « أبوالحسن محمد بن الحسين المعروف باسم : الشريف الرضى » الذى ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وقد كان معروفا بالعلم والورع والتقوى إلى جانب شهرته شاعرا كبيرا ومفسرا وفقيها وكاتبا بليغا .

ومن شعره الغزلى هذه المقطوعة الجميلة التى حفظناها على مقاعد الدراسة :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا مدمعى الباكى
هبت لنا من رياح الغور رائحة ... عند الرقاد عرفناها بريّاك
سهم أصاب ورامية بذى سلم ... من بالعراق ، لقد أبعدت مرماك
أنت النعيم لقلبى والعذاب له ... فما أمرك فى قلبى وأحلاك

وله أشعار غزلية منها ما هو غاية فى الرقة والعذوبة ودفق العاطفة ، ومنها ما يثير الأشجان ويحرك كوامن المواجع ، ويحمل العيون على ذرف دموعها .

انظر إلى هذه الصورة الشجية من شعره الباكى :

قال لى صاحبى غداة التقينا ... نتشاكى حر القلوب الظماء :
كنت خبرتنى بأنك فى الوجد ... عقيدى وأن داءك دائى
ما ترى السفر والتحمل للبين ... فماذا انتظارنا للبكاء
لم يقلها حتى انثنيت لما بى ... أتلقى دمعى بفضل ردائى

ويتميز شعر الشريف الرضى بالجزالة فى اللفظ والقوة فى المعنى والروعة فى التصوير ، فهو يكاد يرسم لك لوحة تراها بعينيك عندما تسمع شعره ، فكأنك ترى الصورة ماثلة بين يديك .

وقد رأيت الصورة التى عبر عنها البيت الأخير من الأبيات السابقة .

لم يقلها حتى انثنيت لما بى ... أتلقى دمعى بفضل ردائى

فكأنك ترى الشريف الرضى أمام عينيك تنسكب دموعه غزيرة من عينيه فيتلقاها بردائه .

حتى عندما يتبع طريق القدامى من الشعراء الجاهليين فى الوقوف على الأطلال والديار ؛ فإنه لا يكتفى بمجرد التعبير التقليدى ، وإنما يرسم لوحة معبرة متحركة يكاد من يقرأ الشعر ، أو يسمعه يراها أمام ناظريه .

استمع إليه يقول :

ولقد مررت على ديارهم ... وطلولها بيد البلى نهبُ
فوقفت حتى ضج من لغب ... نضوى ، ولج بعذلى الصحبُ
وتلفتت عينى فمذ بعدت ... عنى الديار تلفت القلبُ

إن البلى يبدو فى صورة شخص عات عابث ينهب الطلول ويخربها ويجردها من حسنها وجمالها فتغدو خاوية ، والشاعر يقف يتأمل الطلول وما يفعل بها البلى ، وحصانه يتشكى من التعب ، ورفاقه حوله يضجون ويطلبون منه أن يسير معهم ، فيسير معهم وهو يلتفت إلى الوراء ، ويظل نظره معلقا بالطلول لا يفارقها ، حتى إذا بعدت عنه ولم يعد يراها بعينيه التفت إليها قلبه وظل يرنو إليها .

لقد صور القلب وكأنه محب مفارق ينظر إلى ديار أحبابه .

ومن الشعراء العلماء شيخ الحجاز وعالمه : « الشيخ العلامة محب الدين أبو جعفر حمد بن عبدالله بن حمد بن أبى بكر الطبرى ، المكى الشافعى من علماء الشافعية وأتقيائهم .

من شعره :

ما لطـــرفى عن الجمـــال براح ... ولقلبـــى به غُـــدى ورواح
كل معنـــى يلـــوح فى كل حس ... لى إليـــه تقـــلب وارتيـــاح

إلى أن يقول :

فيهمُ يعشق الجمـــالُ ويُهـــوى ... بوثـــوق الحمـــى وتُهـــوى الملاحُ
وبهم يعـــذبُ الغـــرام ويحلـــو ... ويطـــيب الثنـــاء والأمـــداحَ
لا تلـــم يا خلـــىُّ قلبـــىَ فيهـــم ... ما على من هـــوى الملاحَ جُنـــاحُ
ويح قلبـــى وويح طرفى إلى كم ... يكتم الحب والهـــوى فضَّـــاحُ
صـــاح عـــرِّجْ على المضـــيق وسَـــلِّمْ ... وقبـــاب فيها الوجـــوه الصـــباحُ

وفى هذه الأبيات من نسمات الحجاز وملامحه ما لا يخفى على القارىء الفطن .. وحسبنا أن نشير إلى بعض الكلمات والتعبيرات الحجازية ، فكلمة (براح) كلمة حجازية ما تزال مستعملة حتى الآن كجملة (الهوى فضاح) .

ومن العلماء الشعراء : « فخر الدين الشيبانى » عالم فاضل من علماء القرن الهجرى السادس :

من شـــعره :

كن كيـــف شئت فإننـــى بك مغـــرم ... راض بما فعـــل الهـــوى المتحكـــم
ولئـن كتمت عن الوشـــاة صـــبابتـــى ... بك فالجـــوانح بالهـــوى تتكلـــم
أشـــتـــاق من أهـــوى وأعـــلـــم أننـــى ... أشـــتـــاق من هـــو فى الفـــؤاد مخيم
يا من يصـــد عن المحـــب تدلـــلا ... وإذا بكى وجـــدا ، غـــدا يتبســـم
أسـكنتك القـلب الـذى أحرقتَـه ... فحـــذار من نـــار به تتضـــرم

والبيت الأخير يذكرنى ببيتين لا أذكر قائلهما وهما :

يا محرقا بالنـــار جســـم محبـــه ... مهـــلا فإن مدامعـــى (تطفيـــه)
أحـــرق بها جســـدى وكل جوارحـــى ... واحـــذر على قلبـــى فإنك فيـــه

ولعل من الأفضل أن نختم هذا الحديث الملتهب حتى لا تلسعنا نيرانه !!

العلوم الكونية

فريضة العلم الغائبة
فى العالم الإسلامى المعاصر

أ.د. أحمد فؤاد باشا

العلم النافع ومكانته فى الإسلام :

إن « لمعرفة العلمية » التى يحث الإسلام على تحصيلها والاستفادة منها تشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح ، ويزيد من صلته بخالقه ، ويمكّنه من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ،يستوى فى ذلك أن يكون « موضوع » العلم دينياً أو دنيوياً ، ما دام القصد من البحث فيه هو صالح الإسلام الذى جاء أساساً لترقية الحياة وهداية الإنسان فى كل زمان ومكان . فقد افتتح الله الوحى فى الدين الإسلامى بهذه الآيات المعجزة الخالدة التى تذكر القراءة والكتابة والقلم ، والتى تجعل من العلم على إطلاقه أساساً لقيام الإسلام وانتشاره ، دون تفريق بين مصدرىْ الآيات الإلهية فى القرآن والكون . قال تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

سورة العلق

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، نزل قوله تعالى :

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾

سورة القلم

وفى هذه المرة الثانية من الوحى بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم وما يسطّر به ، فكان أول قسم إلهى فى القرآن الكريم .

أما اسم كتاب الإسلام الخالد فإنه « القرآن » . يقول الراغب الأصفهانى : « قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لا لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النحل : ٨٩) .

وهكذا نجد أن القران الكريم بتسميته ، وبأول ما نزل من آياته ، وبأول قسم فيه ، يوجه الإنسان بطريق مباشر وبطريق إيحائى إلى الإتجاه نحو المعرفة العلمية : قراءة وبحثاً وتعليماً وتدويناً[1] .

كذلك ورد تحديد « العلم » النافع فى دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع » (رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى) . ومقياس النفع هنا فى التصور الإسلامى ليس ذلك المعيار الفردى « الذرائعى » الذى تقول به الفلسفة « البراجماتية » السائدة لدى الغرب ، وإنما هو صالح مجموع الأمة وإقامة أمر الدين .

البحث العلمى والتقنى فريضة إسلامية :

الواقع أن العلوم الدينية ، المعنية بأمور العقيدة والأخلاق والتشريع ، تأتى فى المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس فى كل دعوة دينية منذ أن كان الدين ، ومعرفة الإنسان بالله عن طريق رسله هى أسمى معرفة لأنها تحيى الضمائر وتغرس الفضائل وتوفر الأمن والأمان على الدماء والأموال والأعراض . لكن القرآن الكريم بيّن لنا أن الكون كله كتاب للعلم بالله سبحانه وتعالى ، وأوضح لنا أن التفكر فى الظواهر الكونية ، والتعرف على نواميسها الإلهية يؤدى إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة الخشية منه . قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

سورة فاطر

لقد دفع القرآن الكريم المسلمين دفعاً إلى مختلف مجالات المعرفة فى الكون ، وحثهم تسخير العلم الذى يحصلونه فى ترقية حياتهم على الأرض ، والإفادة منه فى تعميق إيمانهم بالخالق الواحد جل وعلا ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت : ٥٣)

وما من شك فى أن هذه الآيات الكونية هى ما يتواصل إليه الباحثون من علم نقنيه بعد مشوار

(١) الإمام عبدالحليم محمود ، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة ، مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

طويل من الملاحظة والتجريب والاستدلال . وبمقدار تعمق الإنسان فى العلوم الكونية على أساس من الإيمان تكون خشيته لله ، ذلك أنه يرى من نواميس الله فى الكون ، ومن الاتقان فى الخلق ، ومن الدقة فى الصنع ، ومن الحكمة فى التدبير ما يجعله يسجد لمبدع الكون ومنسقه . قال تعالى :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾

سورة الملك

ويصعب فى هذا الحيز استقصاء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحث على طلب العلم والبحث العلمى والتقنى بأسلوب منهجى سليم ، ويكفى أن الحث المتكرر على طلب العلم قد جعل منه فرضاً لازماً على أمة الإسلام . فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢] . وإذا كان العلماء يصنفون العلوم الكونية ضمن الفروض الكفائية التى يحتاجها المسلمون ، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم ، بل فى وجود العدد الكافى لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة ، والتخصصات العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع ، والإخلال بأحدها يؤدى إلى الإخلال بالواجب الأعظم ، وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض .

وهكذا نجد أن الواجبات الكفائية ، ومن بينها تحصيل العلوم الكونية وتقنياتها ، تتطلب من الدولة أن توفر المؤهلين الأكفاء للنهوض بهذه الواجبات كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة . وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يُختار العدد المناسب من أهل الاختصاص ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه[٣] ، وإذا لم يوجد من يقوم به على النحو المطلوب ، فإن التبعة عامة والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة ، وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين ، فإنها تكون قد قصرت فى أداء الأمانة إيما تقصير ، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة .

ازدهار العلم فى عصر الحضارة الإسلامية :

فطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بطلب العلم النافع وإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض

(٢) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب . راجع : فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه ، بقلم أبى عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان ، دار العلوم الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٣) محمد الغزالى ، مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣م .

سعياً إلى الهداية واليقين ، واندفع علماء الحضارة الإسلامية إلى أداء فريضة البحث العلمى كأحسن ما يكون الأداء ، وأخذوا بمنهج النظر العميق فى مختلف مجالات العلوم ، وقدموا للحضارة الحديثة رصيداً هائلاً من كتب وأبحاث واكتشافات وتقنيات ، لولاها لما وصل الإنسان إلى حضارة التقنية المعاصرة ، أو لتأخر سير المدنية عدة قرون . وسطعت فى سماء تاريخ العلوم أسماء علماء أفذاذ أمثال الكندى والبيرونى والهمدانى والخوارزمى والرازى وابن سينا وابن الهيثم وابن رشد وابن خلدون وغيرهم[٤] .

التخلف العلمى للأمة الإسلامية المعاصرة :

إن نظرة سريعة لواقع الأمة الإسلامية توضح أن جهداً ملحوظاً يبذل فى تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره ، لكن الدراسات التحليلية والتقويمية تؤكد لنا ـ مع الواقع الملموس ـ أن هذا التطور الكمى لا يواكبه تطور نوعى يفى باحتياجات الأمة ويقيلها من عثرتها ، وتعزى الدراسات العالمية المقارنة مثل هذا العجز الذى يصيب نظم التعليم إلى أن كثيراً من الدول النامية قد غدت معرضاً عالمياً كبيراً لأشتات من النماذج والفلسفات التعليمية الوافدة من كل أنحاء العالم الصناعى المتقدم ، وأنها تحاول تطبيقها كما هى ، أو مرتدية شعارات التجديد والتطوير فى بيئة تختلف عن بيئاتها الأصلية ، وهذا يعنى أن النظرية الإسلامية التى يجب الأخذ بها فى المجتمعات الإسلامية تكاد تكون غائبة منهجاً وتطبيقاً فيما يتعلق بإعداد الكفاءات العلمية المؤهلة لإنقاذ الأمة من مستنقع التخلف العلمى والتقنى الذى تسربلت فيه زمناً طويلاً .

وربما يكون هناك من يقول : إن الأمة الإسلامية غنية بثرواتها الطبيعية والبشرية التى تمكّنها من تحقيق نهضة علمية كبيرة ، وهذا صحيح فى واقع الأمر ، فالأمة الإسلامية تمثل رُبع سكان العالم تقريباً ، وتشغل أكثر من رُبع مساحة اليابسة فى موقع متوسط من العالم يمتاز بسهولة الاتصال وتعدد الثروات وتكامل التضاريس والمناخ وتنوع مصادر المياه ، ويطل على مسطحات مائية عديدة ، كذلك يمتلك العالم الإسلامى حوالى ٧٥٪ من احتياطى النفط العالمى ، وأكثر من ٢٥٪ من احتياطى الغاز الطبيعى ، بالإضافة إلى حوالى ٨٪ من احتياطى الفحم ونسب متفاوتة من المواد المشعة ومعادن القصدير والكروم والمنجنيز والرصاص والزنك والحديد والنحاس والألومنيوم والكوبالت والنيكل والذهب والفضة وأملاح الفوسفات والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم وغيرها .

وفى الوقت الذى تعانى فيه البشرية الآن من مشكلات التلوث البيئى ونضوب مصادر الطاقة واستنزاف الموارد الطبيعية ، نجد أن الأمة الإسلامية قد حباها الله شمساً ساطعة خلال أغلب أيام السنة ، وهى مصدر هام من مصادر الطاقة النظيفة ، بالإضافة إلى مصادر الطاقة المائية والهوائية والهيدروجينية وغيرها .

(٤) د. احمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تأريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤م .

من ناحية أخرى ، تضم الأمة الإسلامية آلاف العلماء الأكاديميين وملايين المهنيين من المهندسين والأطباء والعلميين والفنيين ، وهذا على الرغم من تفشّى الأمية فى قطاعات مختلفة من المجتمع الإسلامـــى . أضف إلى ذلك آلاف المتعلمين والباحثين من الأجيال التى تتخرج من أكثر من ٢٣٠ جامعـــة و ٣٣٥ معهـــــداً متخصصاً ، وتسعمائة مركز وأكاديمية للبحوث العلمية والتقنية موزعة فى مختلف دول العالم الإسلامى .

لكن هذه المقومات المادية لا تكفى وحدها لأداء فريضة البحث العلمى على النحو الذى يحقق التقدم ، ولا يمكن أن تؤتى ثمارها فى التنمية والتطوير دون بعث المقومات المعنوية والروحية . ذلك أن اجتياز حالة التخلف العلمى والتقنى يجب أن يصبح هدفاً عزيزاً على الأمة بأكملها ، ولا يمكن أن يتحقق هذا الهدف إلا إذا آمنت الأمة بكل مشاعرها ووجدانها بدور العلم فى صنع التقدم ودعت إلى الأخذ به بنية ومنهجاً وأسلوب حياة ، انطلاقاً من تعاليم الإسلام الحنيف الذى حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد ، وجعله فريضة على كل مسلم .

ومن الطبيعى أن يبدأ الإصلاح بنظام التعليم ومناهجه ، بحيث يكون إزكاء الطموح الدينى والقومى ومحو الأمية العلمية وإعداد كوادر الباحثين فى مقدمة العوامل التى تلهب حماس المتعلمين وتكسبهم تأهيلاً علمياً قوى الأساس فى ممارسة العلوم البحتة والتطبيقية . هذا ما حدث مثلاً فى اليابان عندما أقسم امبراطورها إبان الثورة أن يكون هدف عهده تحصيل المعرفة حيثما وجدت فى أى مكان من الأرض فى سبيل رفعة اليابان . وهذا ، أو شئ قريب منه ، هو ما حدث منذ عهد قريب فى إسرائيل عندما نبّه المجلس الوطنى للبحث والتطوير إلى أن الدولة ستحتاج فى عام ١٩٩٥م إلى ٨٦٠٠٠ من الكوادر التى تعدها الجامعات فى مجال البحث والتطوير بالمقارنة مع ٣٤٨٠٠ فى عام ١٩٧٤م ، أى بزيادة قدرها ٥٠٠٪ ، وهو ما يقارب العدد الموجود فى الدول الإسلامية مجتمعة .

مقومات لا بدّ منها :

لا شك أن غياب التنسيق العلمى بين مختلف المؤسسات العاملة فى ميدان البحث العلمى والمتصلة به يأتى فى مقدمة المعوقات التى تحول دون نهضة علمية إسلامية متكاملة ، ويمكن التغلب على هذه العقبة بإنشاء « اتحاد علمى إسلامى » يضع السياسات العلمية والتقنية الدقيقة والمستقرة من واقع الإمكانات المتاحة للأمة الإسلامية ، ويعمل على تحقيق التكامل بين البرامج العلمية الإقليمية ، ويقضى على « العزلة » القائمة حالياً بين العلم الإسلامى والعلم العالمى ، ويسهل متابعة كل ما يستحدث فى مجال إنتاج المعرفة . وهذا يتطلب بطبيعة الحال رعاية مالية سخية من القادرين ، دولاً وأفراداً ومؤسسات ، خاصة وأن العلم فى عصرنا أصبح صناعة ثقيلة ومكلّفة .

وقبل هذا كله ، لا بد من توافر الإرادة القوية لدى أبناء الإسلام لتغيير واقعهم المرير واستيفاء أركان فريضة العلم الغائبة والجهاد من أجلها ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد : ١١)

من أمراض الطفولة

الحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

٢

تطرقنا فى المقال السابق ، إلى الحديث عن « الحمى الروماتيزمية » فتحدثنا عن ماهية المرض ، وكيفية حدوثه ، ونستأنف الحديث ـ فى هذا العدد ـ عن أعراض المرض ووسائل تشخيصه .

أعراض الحمى الروماتيزمية :

تختلف أعراض هذا المرض وشدته من مريض لآخر ، وبالدراسة المتواصلة لأعراض هذا المرض تم تقسيمها إلى : « أعراض إكلينيكية ـ عظمى » ، وأخرى صغرى ، وهما :

أولا : الأعراض الإكلينيكية العظمى ، وتشمل خمسة أعراض :

١ ـ الالتهاب المفصلى المتعدد : POLYARTHCITIS

يحدث الالتهاب المفصلى المتعدد فى حوالى ٧٠٪ من المرضى ، وبالرغم من كونه أكثر الأعراض حدوثا فهو ، يُعد أقلها خصوصية فى تشخيص المرض وتختلف شدة الإصابة من مريض لآخر ، ويُصاب المفصل بتورم وسخونة ، واحمرار ، مع ألم شديد يعوق القدرة على تحريك المفصل ، ويصيب هذا المرض عادة المفاصل الكبيرة ، خاصة مفصل الركبة ، والكاحل ولكن قد يصيب ـ أيضا ـ مفصل الرسغ والكوع ، وفى القليل من الأحيان ، يصيب مفصل الحوض ، ومفاصل اليد والقدم ، وتصاب المفاصل بشكل متنقل MIGRATORY) (FASHION بمعنى أن يصيب المفصل ، وبعد أن يبرأ هذا المفصل ، فإنه ينتقل لمفصل آخر ، ولكى يُعد الالتهاب المفصلى عرضا ، للمرض لابد أن يصيب على الأقل مفصلين .

ومن حسن الحظ أن إصابة المفصل مؤقتة ، حيث إنه لا يؤدى إلى تشوهات بالمفصل ، ويصبح سليما بعد عدة أيام .

٢ ـ التهاب القلب : CARDITIS

يحدث التهاب القلب فى حوالى ٥٠٪ من

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

المرضى ، ويعد أخطر عرض ، إذ إنه قد يؤدى إلى الوفاة فى الحالات الحادة ، ويعتبر أكثر الأعراض خصوصيةفى تشخيص المرض .

وفى بعض الأحيان يسبق التهاب المفاصل بأسبوع أو بأسبوعين ، وتوجد علاقة عكسية بين شدة الالتهاب المفصلى وشدة التهاب القلب ، ويظهر التهاب القلب أولا فى صورة « لغط بالقلب » يصيب الصمام الميترالى أو الأورطى أو الاثنين معا وقد لا يسبب التهاب القلب أعراضاً ، وفى هذه الحالة قد لا يتم تشخيص المرض غالبا وقد يكتشف المرض ، وبمحض الصدفة بعد فترة من الزمن عند الفحص الإكلينيكى للقلب ، وقد يؤدى إلى أعراض تتمثل فى : صعوبة التنفس ، وخفقان فى القلب PALPITATION نتيجة لزيادة سرعة نبضات القلب TACHY CARDIA ، ألم بالصدر نتيجة لالتهاب غشاء القلب PERICARDITIS ، وفى الحالات الشديدة قد تؤدى إلى هبوط فى القلب HEART FAILURE

٣ ـ الرَّقاص أو الكوريا (الاضطراب العصبى) SYDENHAM'S CHOREA :

وهو يحدث فى ١٥٪ من المرضى ، نتيجة إصابة الجهاز العصبى المركزى ، خاصة العقد القاعدية BASAL GANGLIA حيث يقع من المريض حركات لا إرادية INVOLUNTARY MOVEMENTS غير هادفة ، تصيب كل عضلات الجسد ، خاصة عضلات الوجه ، والأطراف ، حيث يصبح المريض متململا عابسا باستمرار ، وتحدث هذه الحركات اللاإرادية عندما يكون المريض مستيقظا ، خاصة عند حدوث ضغط نفسى ، وتختفى أثناء النوم ، وعندما يقوم الطفل بعمل حركات إرادية ، ويصبح المريض أيضا متوترا سريع الانفعال ، سريع البكاء .

ويحدث نقص فى التوتر العضلى HYPOTONIA ، وفى الحالات الشديدة ، يؤدى إلى عدم القدرة على الحركة .

ويصعب على المريض القيام بالأعمال الدقيقة ، مثل الكتابة ، فك الزرايز ثم إعادتها للعراوى ، ويلاحظ المعلم قلة مقدرة الطفل على التركيز ، .

ولحسن الحظ ، إن الطفل يشفى تماما فى معظم الأحيان ، حتى بدون علاج ، فى خلال أسبوع أو أسبوعين وقد يستمر فى بعض الحالات الشديدة ، لمدة ثلاثة شهور ، ونادرا ما قد تستمر لمدة سنتين .

٤ ـ عُقَـدٌ صغيرة : تحت الجلد SUBCUTANEOUS NODULES :

وهى عقد صغيرة صلبة ، غالبا ما توجد فوق النتوءات العظمية فى الغشاء الوترى ، وعلى ظهر القدم واليد ، فى نِسْبَة قليلة من المرضى ، ووجودها يرتبط دائما ، بحدوث التهاب القلب .

٥ ـ الحُمامى الهامشى ERYTHEMA MARGINATUM

يعنى هذا حدوث احمرار فى الجلد ذى حافة محددة ، ومركز أبيض يتغير شكله باستمرار ، فوق الجذع أو الأطراف ، فى نسبة قليلة من المرضى ، وقد يستمر بعد اختفاء الأعراض الأخرى .

ثانيا : الأعراض الصغرى ـ وهى تفتقر إلى الخصوصية فى تشخيص المرض ـ وتشمل :

(ا) الأعراض الإكلينيكية :

١ ـ ارتفاع فى درجة الحرارة FEVER :

ويحدث فقط فى المرحلة المبكرة من المرض ، وهو لا يخضع لنموذج خاص وتتراوح درجة حرارة المريض مابين ٣٨,٥°م و ٤٠°م .

والجدير بالذكر أن ارتفاع درجة الحرارة لا يحدث لمرضى « الكوريا » .

٢ ـ ألم بالمفاصل ARTHRALGIA :

وهو مجرد ألم فقط غير مصحوب بتغيرات باثولوجية أو عُضوية بالمفصل ، وهو يحدث غالبا فى المفاصل الكبيرة ، وفى بعض الأحيان يكون الألم شديدا ، بحيث إنه يعوق المريض عن الحركة .

٣ ـ أعراض أخرى نادرة الحدوث :

مثل نزيف الأنف ، وألم بالبطن ، وألم بالصدر ، وهذه الأعراض قد تصاحب المرض ، ولكنها لا تعتبر من الأعراض التى تُشَخِّص المرض .

(ب) مَعملياً :

١ ـ ارتفاع سرعة التـرسيب ERYTHROCYTE SEDIMENTATION RATE (ESR) .

٢ ـ ارتفاع نسبة البروتين التفاعلى « س » ـ C REACTIVE PROTEIN (CRP) من مصل المرضى .

ويحدث هذا فى معظم الأحيان عندما يكون المريض لم يعالج بـ « الكورتيزون » أو الاسبرين بعد .

٣ ـ تغيرات فى رسم القلب ELECTRO CAR DIOGRAM (ECG) :

تحدث هذه التغيرات فى حوالى ٢٥٪ من المرضى الذين يُعانون ، أو لا يعانون ، من التهاب القلب .

٤ ـ فقر الدم : ANEMIA نتيجة لأن المرض يؤدى إلى منع تكوين كرات الدم الحمراء ERYTHRO POIESIS .

ومن الجدير بالذكر أنه لتشخيص المرض لابد من توافر اثنين من الأعراض الإكلينيكية العظمى ، أو واحد من الأعراض العظمى ، واثنين من الأعراض الصغرى ، خاصة إذا كانت مسبوقة بإصابة الجسد بالبكتريا المكورة السبحية حالّة الدم ، بفترة من الزمن ، تتراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع .

● ● ●

تشخيص المرض :

يعتمد تشخيص المرض أساسا على أخذ تاريخ المرض بدقة من المريض ، مع التشخيص الإكلينيكى ومع القيام بعدد قليل من الاختبارات المعملية ، ومن الجدير بالذكر ، أنه لا يوجدُ أى اختبار معملى يجزم بالدليل القاطع على وجود المرض ..

● ● ●

أولا : الاختبارات المعملية :

١ ـ تشخيص إصابة الجسد بالبكتريا المكورة السبحية حالّة الدم : ويتم هذا بطريقتين :

(ا) أخذ مزرعة من حلق المريض ، لعزل « البكتريا » ، ولكن عند بدْء حدوث المرض ،

فإن نتيجة المزرعة تكون سلبية ، وأيضا توجد هذه البكتريا فى حلوق نسبة غير قليلة من الأطفال الأصحاء .

(ب) قياس نسبة الأجسام المضادة للسموم ، التى تفرز من البكتريا حيث تكون مرتفعة ـ فيما عدا مرضى « الكوريا » ـ وأكثر الاختبارات استخداما هو تحديد نسبة الأجسام المضادة للسم الذى يفرز من البكتيريا ، ويؤدى إلى تحلل الدم ANTISTREPTO LYSIN —O— TITER (ASOT) وترتفع نسبة الأجسام المضادة إلى أكثر من (٣٣٣) وحدة / مليمتر فى مصل الأطفال .

٢ ـ اختبارات تدل على حدوث التهابات فى القلب والمفاصل والأنسجة الكامنة تحته وبعض أجزاء من الجهاز العصبى المركزى ، وتشمل قياس سرعة الترسيب ، والبروتين التفاعلى « ا س » حيث يرتفعان عند معظم المرضى أثناء المرحلة الحادة ، ماعدا مرضى « الكوريا » .

ومن الجدير بالذكر أن سرعة الترسيب لا ترتفع عند إصابة المريض بهبوط فى القلب ، وعندما يبرأ منا الطفل ترتفع مرة أخرى .

وقد تنخفض أيضا نسبة « الهيموجلوبين » بالدم ، مع تغيرات فى عدد كرات الدم البيضاء .

ثانياً : الاختبارات الإشعاعية وتشمل :

١ ـ أشعة سينية على الصدر X – RAY CHEST :

وذلك لتحديد حجم القلب حيث إنه فى بعض المرضى يكون هناك تضخم بالقلب ، وأيضا قد يكون المرض مصحوبا بوجود سائل فى غشاء القلب PERICARDIAL EFFUSION .

ولكن عندما لا يوجد أى تغيرات فى الأشعة ، لا ينفى هذا وجود المرض .

٢ ـ موجات فوق صوتية على القلب DOPPLER ECHOCARDIOGRAPHY

ويعتبر أكثر أهمية من الأشعة السينية فى تشخيص المرض ، وقد يظهر التهاب فى عضلة القلب MYOCARDITIS عن طريق تحديد درجة الانقباض لعضلة القلب ، ويتم كذلك تحديد حجم البطين ، وقد يظهر أيضا وجود ارتجاع بالصمام الميترالى ، أو الأورطى ، وأيضا وجود سائل فى غشاء القلب .

ثالثا : رسم القلب :

ويتم عمله فى البداية ، عدة مرات ، للمتابعة .. وقد يظهر تغيرات مثل اضطراب فى سرعة نبضات القلب DYSRHYTHMIA وفى كثير من الأحيان لا يوجد أية تغيرات برسم القلب ، ما عدا زيادة فى سرعة النبض ، وهذا لا ينفى وجود المرض DYSRHYTHMIA وفى كثير من الأحيان لا يوجد أية تغيرات برسم القلب ، ما عدا زيادة فى سرعة النبض ، وهذا لا ينفى وجود المرض .

● ● ●

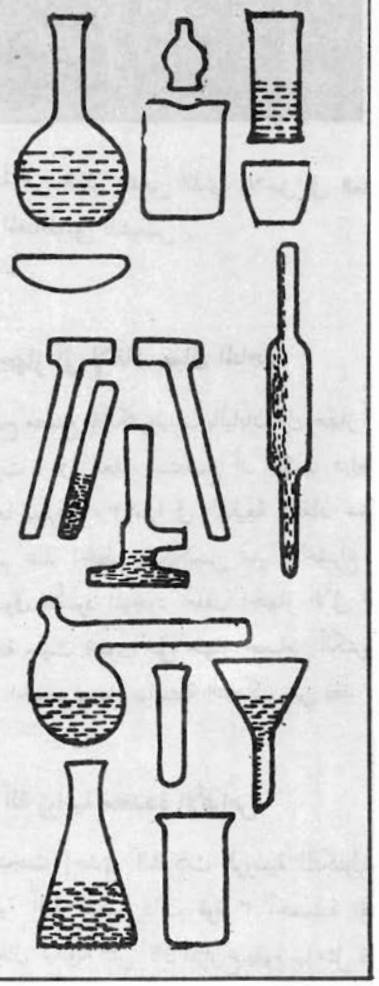
وفى المقال التالى سوف نلقى الضوء على طرق الوقاية من المرض والعلاج .

(يتبـــع)

الجديد في العلم والتقنية

« ويخلق ما لا تعلمون ... »

إعداد . د/ نجوى السيد أحمد



١ ـ الطحالب البحرية للتشخيص الطبى :

قامت إحدى الشركات الفرنسية لإنتاج المستحضرات الطبية بتحضير بعض المواد الطبية من مستخلصات الطحالب البحرية عبارة عن بروتينات فلورية تعرف باسم « الفيكوبيلبروتينات » ، وعند مزجها ببروتينات أخرى وبخميرة أو بأحماض أمينية معينة يمكن استخدامها فى الاختبارات المتعلقة بالمناعة وفى قياس الخلايا المتدفقة . وتتميز هذه المواد بأن لها خصائص أفضل من المواد التقليدية التى تستخدم فى الصبغات الطبية .

٢ ـ اكتشاف « الجين » المسئول عن أحد أشكال مرض السكر :

اكتشف باحثون فرنسيون « الجين » (المورّث) المسئول عن أحد أشكال مرض السكر والذى يعرف باسم « الداء السكرى غير المعتمد على الأنسولين » وقد دلت الدراسات على أن هذا الجين هو المسئول عن إنتاج أنزيم الجلكوكيناز «Glucokinase» الذى يحافظ على نسبة السكر فى الدم ، فإذا

تعرض هذا « الجين » لطفرات يتأثر نشاط هذا الأنزيم ويؤدى إلى ظهور هذا النـوع من مرض السكر . وسوف يؤدى هذا الاكتشاف إلى إيجاد طرق علاجية جديدة لهذا المرض .

٣ ـ الشاى مفيد طبياً للجهاز العصبى والأسنان

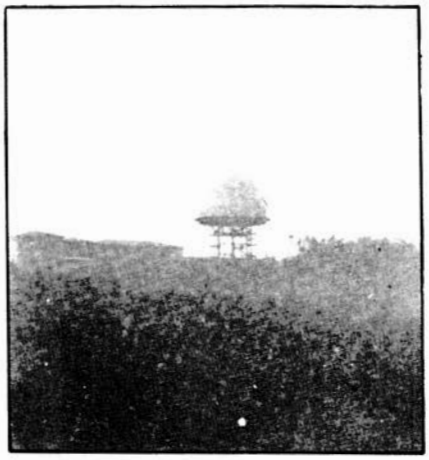
أكدت دراسة علمية أجراها عدد من الأطباء السوفيت أن شرب الشاى بدون غلْيه للحفاظ على المواد العضوية التى يحتويها يُؤدى إلى الوقاية من بعض الأمراض العصبية ، كما أنه مفيد فى قتل الميكروبات التى تضر بالأسنـان ويقـوى الجهـاز العصبى للأسنان .

٤ ـ الجديد فى تقنية الخلايا الشمسية

صممت إحدى الشركات اليابانية خلايا شمسية من السليكون عديد البلورات يمكنها تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربية ، كما تتميز بانخفاض تكلفتها عن الخلايا الحالية . تم بناء الخلية الشمسية الجديدة بوضع طبقة رقيقة من السليكون عديدة البلورات بسمْك يوازى عشرات الميكرون على طبقة عازلة (الميكرون جزء من مليون جزء من المتر).

٥ ـ إمكانية تصوير كسوف الشمس

نجح العلماء بمرصد هاواى فى تصوير كسوف الشمس بواسطة الضوء المرئى وبمساعدة موجات لاسلكية . حيث قام العلماء بمراقبة الهالة الشمسية واستخدموا المرشحات لتصوير التركيب الـداخلى لهذه الهالة حيث ظهرت الأجزاء المتدفقة من الهالة



والمكونة من الغاز المتأين الذى يلاحق فى العادة المجال المغناطيسى للشمس .

٦ ـ جهاز آلى لإنقاذ عمال المناجم

أنتج مصنع للألكترونيات باليابان أول جهاز آلى « روبوت » فى العالم يستطيـع أن يركب دراجـة ويقودها بسرعة ٣٠ مترا فى الدقيقة لإنقاذ عمال المناجم عند الخطر . ويكمـن سر الاختـراع فى الصندوق الأسود الموجود خلف الجهاز الآلى على الدراجة حيث يحتوى على جهاز حساس ألكترونى صغير الحجم يعمل بواسطة التحكم عن بعد .

٧ ـ آلة زراعية متعددة الأغراض

أنتجت إحدى الشركات الروسية للتكنولوجيا الزراعية آلـة صغيرة ذات قوة ٣ أحصنـة تقـوم بالأعمال اليدوية التى كان المزارع يقوم بها مثل قطع

الحشائش فى المساحات الصغيرة التى يصعب وصول الجرّار إليها ، وقطع الأغصان الجافة المتبقية بعد حصد المحاصيل ، وأيضا جمع أوراق الأشجار المتساقطة على الأرض ، والآلة مزودة بأدوات مختلفة ملحقة بينها سلاح القطع ووعاء قمعى الشكل ومضخة لشفط الهواء ولها خرطوم عرضه ٥ بوصات وطوله ٧ أقدام

٨ ـ الفيروسات لإنتاج المبيدات الزراعية :

اخترع العلماء فى معهد العلوم البيولوجية بانجلترا مبيداً بيولوجياً جديداً يتكون من أحد الفيروسات التى تهاجم الآفات التى تضر المحاصيل الزراعية . ولزيادة فاعلية هذا المبيد أضاف العلماء « مورّثاً خاصاً » إلى تركيب الفيروس الوراثى ليجعله يفرز السم القاتل فيشل حركة الحشرة فتتوقف عن مهاجمة المحاصيل الزراعية . ويتميز هذا المبيد بتأثيره على الآفة الزراعية المضرة فقط ولا يؤثر على المحاصيل الزراعية .

٩ ـ الجرعات الصغيرة من الإشعاعات تؤثر على مناعة الجسم

توصل الباحثون السوفييت إلى معلومات تؤكد تأثير الجرعات الصغيرة من الإشعاع على صحة الإنسان عكس ما كان معتقداً سابقاً . وأثبتت الأبحاث التى أجريت على مجموعة من الأفراد الذين تعرضوا لجرعات صغيرة من الإشعاعات تغييراً فى مناعة أجسامهم حيث إنهم يصابون باستمرار باختلال عضلة القلب وارتفاع ضغط الدم وأمراض بالجهاز العصبى والغدد الصماء والإصابة بالأورام الخبيثة .



١٠ ـ أحدث جهاز لأشعة إكس .

تم إنتاج أحدث جهاز لأشعة إكس يمكن حمله باليد والانتقال به إلى أى مكان لتصوير الأشعات للمصابين والمرضى ويعطى نتائج لا تقل كفاءة عن أى صورة يلتقطها جهاز كبير . والجهاز الجديد يزن حوالى ٤ كيلو جرامات ولا يحتاج إلى فنى أو طبيب لتشغيله .

١١ ـ غواصة متطورة لاكتشاف المحيط

يقوم حالياً فريق بحثى من اليابان باستكشاف أعماق المحيط الهادى ومعرفة أسراره باستخدام غواصة متطورة فى شكل الحوت ، وتحتوى على أجهزة فيديو تقوم بالتقاط صور دقيقة لسطح قاع المحيط وما تحتويه البيئة من كائنات ، ومزودة بذراعين يسمحان لها بجمع الطين والمعادن من قاع المحيط . وقد استغرقت الغواصة حوالى ساعتين ونصف الساعة للوصول إلى عمق ٦٥٠٠ متر تحت سطح البحر .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

معنى الإنسان فى مختلف الآيات

لصاحب الفضيلة الدكتور/ طه الزينى (*)

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

سيظل القرآن معجزة خالدة أنزلت على النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كنزا لا تنفد عجائبه ولا تنقضى غرائبه ولا يُسْبر غوره ؛ لأنه فوق الإحاطة وأكبر من الشمول ، وتلك خصائص انفرد بها القرآن دون باقى الكتب السماوية : فلا تكرار بغير هدف ولا إعادة دون فائدة ، فكل ما جاء موحيا بذلك فهو لغاية تغياها المولى ـ سبحانه وتعالى ـ وما على الذين يقرأون القرآن إلا أن يتدبروا معانى آياته فيتأكدوا أنه وحى يوحى فلا يلعب الشيطان بعقولهم أو يضع لهم علامات إستفهام لبعض أياته . وما كان الله ليذر عباده نهبا لوساوس الشيطان ، فسخر من يشاء من عباده ليجلو الغامض ويوضح المبهم ويزيل ما فى النفس مما حاك بها من لبس .

قال الأستاذ رحمه الله :

من علوم القرآن :

معنى الإنسان فى مختلف الآيات

أصل معنى « الإنسان » هذا الجنس البشرى الذى يعمر الأرض ، وفى تعريف المناطقة « الحيوان الناطق » . وقد أطلقت كلمة « الإنسان » فى القرآن الكريم على هذا المعنى الأصلى وعلى معان أخر بينها وبين المعنى الأصلى مناسبة ، وإن كان إطلاقها على غير المعنى الأصلى فى بعض الآيات ليس نصا وإنما يحتمله بعض التفاسير .

* الأستاذية فى النحو والصرف .

وسأذكر هنا أنواعاً من معنى الإنسان فى القرآن ، وصلت إليها بعد استقراء هذه الكلمة فى جميع الآيات ، واستعنت على ذلك بقراءة كتب التفسير المختلفة وبعض الكتب التى كتبت فى معانى القرآن .

١ ــ قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾

يجوز أن يراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس البشرى كله ، ويكون الحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً هو مدة الحمل ، ولكن هذا المعنى لا ينطبق على آدم أبى البشر عليه السلام . لأنه لم تكن له مدة حمل . ويجوز أن يراد بالإنسان آدم عليه السلام ، والحين الذى لم يكن شيئاً مذكوراً هو المدة التى كان فيها صورة من الطين قبل أن ينفخ الله فيه الروح ، ويكون إطلاق لفظ الإنسان عليه مجازا علاقته الكلية إذ أطلق الكل وأريد به الجزء ، ولما كان آدم أبا البشر وأصله جميعاً فكأنه الجنس كله . و« هل » فى الآية معناها قد .

ومثل هذه الآية قوله ــ تعالى ــ فى سورة المؤمنين

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

ومثلها ــ أيضاً ــ قوله ــ تعالى ــ فى سورة الرحمن

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

ولكن إطلاق الإنسان فى هاتين الآيتين على آدم وحقيقة وعلى آدم وبنيه مجاز ، علاقته الجزئية ، لأن آدم جزء من الجنس ، وصح إطلاق اسم الجنس كله عليه ؛ لأنه أصله فكأنه جمعية ، والذى يدعونا إلى اعتبار المجاز أن بنى آدم لم يخلقوا من صلصال وإنما خلقوا من نطفة ، وآدم وحده هو الذى خلق من الصلصال ومن سلالة الطين .

٢ ــ قال ــ تعالى ــ فى سورة ق :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، أو آدم عليه السلام . ولكن إرادة الجنس أرجح .

٣ ــ قال ــ تعالى ــ فى سورة الدهر :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية أولاد آدم ، لأنهم المخلوقون من النطفة .

٤ ــ قال ــ تعالى ــ فى سورة « التين » :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، وقيل : الوليد بن المغيرة ، وقيل : كل كافر ، ومعنى أسفل سافلين أرذل العمر على الأول ، وعلى الأخرين النار .

ومثل ذلك قوله ــ تعالى ــ فى سورة الزمر :

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ، وقيل : الوليد بن المغيرة أو هشام بن المغيرة أو كل كافر .

٥ ــ قال ــ تعالى ــ فى سورة العاديات :

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله فإن من طبيعة الإنسان جحد نعمة الله عليه وعدم توفيتها حقها من الشكر ، وهو شهيد على نفسه بذلك ، وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه يجحد نعمة الله عليه فيكفر به ولا يعبده ويعبد غيره ، ويصرف إليه الشكر ، والله أولى بعبادته وشكره ، وقيل قرط بن عبد الله .

٦ ـ قال ـتعالى ـ فى سورة العلق :

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ، أو أبو جهل بن هشام ، فإن من طبيعة الإنسان الطغيان والاستكبار عندما يستغنى بالمال والجاه عن غيره ، وكذلك أبو جهل لما وجد نفسه غنياً ذا جاه طغى واستكبر وأراد أن يكون السيد الذى لا ينازعه أحد فى رياسة قريش ، وحارب رسول الله ﷺ ﴿ حربا مريرة ، ولكن الله خذله وقتله وهو قاهر الطغاة ، مذل المستكبرين .

وروى أنها نزلت فى أبى جهل حين نهى النبى ﷺ عن الصلاة ، فأمره الله بالصلاة فى المسجد وأن يقرأ باسم ربه الذى خلق .

٧ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة « الإسراء » :

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ؛ لأن من عادة الإنسان أن يدعو لنفسة بالخير إذا كان راضياً ، فإذا ضجر دعا على نفسه بالشر ، لأنه عجول لا يصبر على الشر ، ويستعجل دائماً الخير ، ورب شر أنفع من خير ، ولكن الإنسان من طبعه إيثار العاجلة على الآجلة ، وقد أحسن الشاعر وصف النفس الإنسانية بقوله :

إنى لأرجو منك خيراً عاجلا
والنفس مولعة بحب العاجل

وقيل المراد بالآية النضر بن الحارث .

٨ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة الحشر :

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٧ ﴾

المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الناس جميعاً بالكفر ، فمن كفر منهم قال له : إنى برىء منك أخاف الله رب العالمين . أو المراد بعض الجنس ، وهم الذين استجابوا لإغواء الشيطان فكفروا بربهم وقيل : المراد شخص واحد من الجنس هو برصيصا العابد الذى كان فى أيام الفترة ، وله قصة تناقلها بعض المفسرين .

٩ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة المعارج :

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾

المراد بالإنسان هنا الجنس كله ، لأن من طبيعته الهلع والجزع والضجر وعدم الصبر إذا مسه الشر ، ومن طبعه الحرص والشح ومنع أصحاب الحقوق حقوقهم ، ولكن الله هذب هذه الطبيعة بما أرسل به رسوله ﷺ من الحث على الصبر وبيان جزائه العظيم والحث على الاستهانة بالدنيا فى سبيل الله ، وإعطاء كل ذى حق حقه سواء كان دينا أو أجر عمل أو زكاة مال أو غير ذلك ، ولذا استثنى الله المتأدبين بأدب القرآن من هذا الحكم فقال تعالى : ﴿ إلا المصلين ... ﴾ الآيات ، وقيل : المراد الأخنس بن شريق .

١٠ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة الانفطار :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾

قيل المراد بالإنسان فى الآية الجنس كله ، فإن طبيعته الطمع فى رحمة الله والاغترار بما آتاه من نعمة ، وما أفاض عليه من كرمه ، فينفق صحته وماله فى معصية ربه ، وكان الأجدر به أن ينظر إلى نفسه ، ويتأمل فى صورته وما وهبه الله من قوة فى الجسم وحسن فى الصورة ، فيشكر على ذلك بالتقوى ويتقرب بالطاعات ، وقيل : المراد بعض الجنس وهم الكفار الذين اغتروا بفضل الله وكرمه عليهم فنسوه وعبدوا غيره وحاربوا رسله ، وكان الواجب عليهم عبادته وطاعته ومساعدة رسله على نشر دعوتهم وتبليغ رسالتهم ، وقيل : المراد أسيد بن خلف أو الوليد بن المغيرة أو أبى بن خلف .

١١ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة البلد :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾

الكبد : المكابدة . قيل المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، فقد خلقه الله وجعله ملازما للشدة والبأس والتعب ، وسلط عليه نفسه ، وأمره بمقاومتها ، وأرسل عليه المصائب فى الدنيا يبتليه بها ، ثم بعد ذلك يقاسى أهوال الآخرة من الحساب والعقاب على ما اقترف من السيئات ، ولخوفه وهمه يوم القيامة أشد مما لاقى فى حياته كلها . وقيل : المراد بالإنسان كلدة بن أسيد .

١٢ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة الفرقان :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩ ﴾

قيل : المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الإنسان ثم يخذله بعد أن يطيعه ويتبرأ منه . وقيل : المراد بالإنسان الكافر ؛ لأنه أحب الإنسان إلى الشيطان ومع ذلك فهو يخذله ويتبرأ منه يوم القيامة ، ويقول كما حدث الله على لسانه ﴿ فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ﴾ . وقيل : المراد عقبة بن أبى معيط ، وكان قد أسلم فرده عن الإسلام أبى بن خلف ، وعلى ذلك فهو المراد بفلان فى قوله تعالى : ﴿ لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ . وعلى التفسيرين الأولين يكون المراد بفلان كل شخص يتخذه الكافر أو العاصى خليلا يخضع له فى مقارفة الكفر والمعصية .

١٣ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة القيامة :

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ ﴾

قيل : المراد بالإنسان الجنس كله لان الإنسان يعظم عنده ـ بحسب تفكيره الضيق ـ جمع عظامه بعد بلاها ، وعودته حياً كما كان ، وقيل : المراد عدى بن ربيعة الذى أنكر البعث وقال : أبعد أن أموت وأصير ترابا يعيدنى الله ويحاسبنى ؟ هذا حديث خرافة . وقيل : المراد كل كافر ينكر البعث ، ولا يؤمن بقدرة الله على إعادة الخلق .

١٤ ـ قال ـ تعالى ـ فى سورة يس

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

قيل : المراد بالإنسان فى هذه الآيات العاص بن وائل أو أبى بن خلف الجمحى على الخلاف فى ذلك ، روى أنه أنكر البعث واستعظمه على الله ، وزعم أن الإنسان بعد أن تبلى عظامه لا يحيا . وأخذ عظماً رميما ففتته أمام الرسول ﷺ وقال له : أترى يحيى الله هذا بعد ما بلى ورمّ ؟ فقال له ﷺ : « نعم ويدخلك النار » .

وقد رد الله تعالى عليه فى الآيات أبلغ رد فقال تعالى : ﴿ ونسى خلقه ﴾ وقال :

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

ويجوز أن يراد بالإنسان الكفار الذين ينكرون البعث ويقولون : كيف يحيى الله الناس بعد موتهم .

وينبغى أن يلاحظ أن لفظ الإنسان إذا استعمل فى الجنس كله فهو حقيقة ، وإذا استعمل فى بعض الجنس فهو مجاز وتختلف علاقات المجاز باختلاف الاستعمال كما سبق بيانه فى بعض الآيات .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الشهداء على الناس

الشهداء على الناس سبعة :

الأول : الملائكة لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ .

والثانى : الأرض لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ .

والثالث : الزمان كما قال فى الخبر : « ينادى كل يوم : أنا يوم جديد ، وأنا على ما تعمل شهيد » .

والرابع : اللسان لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ . سورة النور

والخامس : الأركان لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ سورة يس ٦٥

والسادس : الملكان الكاتبان لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ . سورة الانفطار

والسابع : الديوان لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ . سورة الجاثية

للمؤمن خمسة أعياد

قال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : للمؤمن خمسة أعياد :

الأول : كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد .

الثانى : اليوم الذى يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد .

والثالث : اليوم الذى يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة ، ويخلص من أيدى الخصوم والزبانية فهو يوم عيد .

والرابع : اليوم الذى يدخل فيه الجنة ، ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد .

والخامس : اليوم الذى ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد .

حقاً

إن الجديدين فى طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس

حبر الأمة عبد الله بن العباس ـ رضى الله عنهما ـ يتحدث عن نفسه !!

همّ رسول الله ﷺ بالوضوء ذات مرة ؛ فما أسرع أن أعددت له الماء ، فسرّ بما صنعت .

ولما هم بالصلاة أشار إلىّ : أن أقف بإزائه فوقفت خلفه ، فلما انتهت الصلاة مال علىّ وقال : « منعك أن تكون بإزائى يا عبدالله ؟ » فقلت : أنت أجلّ فى عينى وأعزّ من أن أوازيك يا رسول الله .

فرفع يده إلى السماء ، وقال : « اللهم آته الحكمة » وقد استجاب الله دعوة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فآتى الغلام الهاشمى من الحكمة ما فاق به أساطين الحكماء .

حد .. الزهد

قال أبو يزيد البسطامى : ما غلبنى أحد إلا واحد من أهل « بَلْخ » قدم علينا ، فقال لى : يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم ؟ قلت : إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ؛ فقال : تفعل هذا كلاب بلخ ؛ قلت : فما حد الزهد عندكم ؟ قال : إذا فقدنا صبرنا ، وإذا وجدنا آثرنا .

نصـــيحة

قال شعبة : عقولنا قليلة ، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإنى لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل منه عقلا فأمقته .

معنى .. الاستقامة

سئل سيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ عن الاستقامة فقال : أن لا تشرك بالله شيئاً .

وقال سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ، ولا تروغ عنه روغان الثعالب .

وقال سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ : الاستقامة : الإخلاص .

وقال سيدنا على ـ رضى الله عنه ـ : الاستقامة أداء الفرائض .

هموم إبليس

روى عن أحد الصالحين : « أن إبليس ظهر له فى صورة شخص يعرفه ، فإذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العين ، فقال له : ما الذى أبكى عينيك ؟

قال : خروج الحاج إليه بلا تجارة .

قال : فما الذى أنحل جسمك ؟

قال : صهيل الخيل فى سبيل الله ، ولو كانت فى سبيلى كانت أحب إلىّ .

قال : فما الذى غير لونك ؟

قال : قول العبد أسألك حسن الخاتمة .

وأحسن الله عزاءكم

دخلت عجوز على قوم تعزيهم فى ميت لهم ، فرأت فى الدار عليلا ، فرجعت ، وقالت : أنا والله يشق علىّ المشى ، وأحسن الله عزاءكم فى هذا العليل أيضاً .

اللغة والنقد والأدب

ملاحظات على كتاب

عرض ونقد

الأستاذ الدكتور، علي أحمد مرعي

تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة

د. صفوت حسن لطفي

د. محمد عبد العظيم علي

جلال يحيى كامل

تقديم: يحيى كامل أحمد



قرأت الكتاب فإذا هو ملىء بالأخطاء العلمية والمزاعم الباطلة ، والتشكيك فى الثوابت التى اتفق عليها العلماء وأجمعت عليها الأمة ، إذ يعرض إسلاماً يتفق مع هواه ، ويهاجم المخالفين لفهمه فيصفهم بما يشينهم ، وينكر الاجتهاد ـ كما يخلط بين المعانى اللغوية والمصطلحات الخاصة ويرى استحالة الوصول إلى حكم الله أو تطبيقه .. الخ . ويمكننا أن نجمل أهم ملاحظاتنا فيما يلى :

الملاحظة الأولى :

يقصر الكتاب المرجعية لمعرفة الأحكام الشرعية على القرآن الكريم فيقول فى ص ١٢ : « **القرآن .. الكتاب المنزل من عند الله .. المرجع الأول والأخير لكل من يدين بالإسلام** » .

وهذا كلام جد خطير ، والأخطر منه هو السماح بنشره بين عوام الناس . **ومكمن الخطورة فيه : أنه كلام مخالف لنصوص القرآن وإجماع الأئمة** . فالقرآن الكريم أمر بطاعة الله ، وطاعة الرسول ، وطاعة أولى الأمر من المؤمنين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ .

والقول بإنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار بالقرآن هو قول غالية الرافضة ـ على ما ذكره السيوطى فى مفتاح الجنة ص ٣ ـ لأنهم يعتقدون أن النبوة لعلىّ ، وأن جبريل أخطأ فى نزوله على سيد المرسلين محمد ـ ﷺ .

قال ابن حزم ـ مبيناً خطورة القول بالاقتصار على ما جاء فى القرآن :

« ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا فى القرآن كان كافراً بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ، ولا حَدَّ للأكثر فى ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال ، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن اجتمعت الأمة على كفرهم » الأحكام لابن حزم ٢/٨٠ .

الملاحظة الثانية :

يرى الكتاب وجوب عرض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ على القرآن الكريم ، ويعتبر ذلك هو المنهج السليم الدقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأقاويل الموضوعة ، ويرمى المخالفين لهذا المنهج بالإلحاد وسوء المقصد . فيقول فى ص ١٢ « الكتاب المنزل من عند الله .. المرجع الأول والأخير لكل من يدين بالإسلام .. فكل أحاديث حضرة سيدنا رسول الله مرتبطة به ولا تنفك عنه أبداً ودليل ذلك ـ هكذا يقول ـ قول رسول الله ـ ﷺ ـ « إنكم ستختلفون من بعدى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو منى وما خالفه فليس عنى » فهذا الحديث الشريف يعد بحق المنهج السليم الدقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأقاويل الموضوعة ..

ثم يقول ص ١٢ : « إلا أن بعض الملاحدة زعموا أن هذا الحديث « فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ..» من وضع الزنادقة ليُبيحُوا لأنفسهم عدم التقيد بآيات القرآن ، للتقول ـ فى أمور الدين بما يشاءون .. الخ » .

وهكذا يموه الكتاب .. فإن كان لابد من الأحاديث فيجب أن تعرض الأحاديث على كتاب الله . فليست السنة أصلًا بذاتها ـ فى نظر الكتاب . ثم يزعم استناده فيما ذهب إليه إلى حديث ينسبه للنبى ﷺ ، ومن المعلوم لدى علماء الحديث ـ وهم فى نظر الكتاب ص ١٢ ملاحدة ، يبيحون لأنفسهم عدم التقيد بآيات القرآن الكريم للتقول فى أمور الدين بما يشاءون .. أقول : من المعلوم لدى علماء الحديث أن ما ذكره الكتاب حديثاً : ليس بحديث بل هو من وضع الزنادقة والخوارج .

يقول العلامة ـ الدكتور / عبدالغنى عبدالخالق ـ فى بحثه القيم : (حجية السنة) .

أما عن أحاديث العرض ـ عرض السنة ـ على كتاب الله : فكلها ضعيفة لا يصح التمسك بها ، فمنها : ماهو منقطع ، ومنها ما بعض رواته غير ثقة أو مجهول . ومنها ما جمع بينهما.

وقد بين ذلك ابن حزم فى الأحكام جـ ٢ ص ٧٦ ـ ٧٩ ، والسيوطى فى مفتاح الجنة ص ٦ ، ١٤ ، ١٩ نقلًا عن البيهقى بالتفصيل .

وقال الشافعى فى الرسالة ص ٢٢٥ : « ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صَغُر ولا كَبُر .

وقال ابن عبدالبر ـ فى جامعه جـ ٢ ص ١٩١ ـ : « قال عبدالرحمن بن مهدى : « الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث » .

ثم قال : « وهذه الألفاظ ـ الآمرة بعرض السنة على القرآن ـ لا تصح عنه ـ ﷺ ـ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه » .

وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم ، وقالوا : نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله

قبل كل شيء ونعتمد على ذلك . قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله ، لأنا لم نجد فى كتاب الله أن لا يقبل من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ إلا ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى به [أى بالرسول ﷺ] والأمر بطاعته ، ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال . الأحزاب ٢١.

قال الله ـ تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .. ﴾

وقال :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٣٢]

وقال :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

سورة النور

الملاحظة الثالثة :

ينكر الكتاب الاجتهاد الذى هو بذل المجتهد وسعه وطاقته للوصول إلى حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط ـ ويعيب الكتاب على القائلين بمشروعيته ، ويصفهم بأشنع الصفات . فيقول ص ١٥ : « ومن ذلك كله تدرك أنه لا يؤمن بقول الاجتهاد فى الفتيا هذا إلا من زاغ قلبه وأراد الإلحاد فى آيات الله ، وتنكب طريق الحق وغاض من قلبه نور الهدى والإيمان ، وقبع فى ظلمات نفسه فظلم نفسه وظلم غيره ..

ويقول ص ١٣ :

« ولقد توارثت الأمة الإسلامية عبر القرون الكثير جداً من المفتريات والأقوال المفسدة بقصد تقويض الإسلام من داخل الأمة الإسلامية نفسها على ألسنة الملحدين مثل قولهم (إن للمجتهد أجرين إذا أصاب ، وأجراً إذا أخطأ) .

والذى عليه الأمة سلفاً وخلفاً أن للاجتهاد أهمية بالغة فى كل العصور ، وهو ضرورة ملحة ؛ لأن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية ، وما يتناهى لا يضبط مالا يتناهى ؛ فكان الاجتهاد لاستنباط أحكام ما يستجد من الحوادث ضرورياً . وقد ذهب جمع من علماء الأصول إلى أن الأرض لا تخلو من مجتهد أبداً حتى يأتيها أمر الله ؛ إذ لابد من وجود مجتهد قائم بحجج الله ، يبين للناس حكم الله فى كل ما يستجد من أحداث ، ولو خلا زمان من قائم بحجة الله لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة وحاشا لله من ذلك ـ وقد أثنى الله ـ تعالى ـ على داود وسليمان ـ وهما من الأنبياء على حكمهما باجتهادهما فى المسألة التى عرضت عليهما ، وذكرها القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

[الأنبياء : ٧٨ ـ ٧٩]

وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

وقد وقع الاجتهاد من الصحابة فى عصر النبى ـ ﷺ ـ فى مواقف معينة ولم ينكر عليهم

منها : أنه لما هم النبى ﷺ ـ بغزو بنى قريظة أمر مؤذنا فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة ... وتحرك المسلمون نحو قريظة ، وأدركتهم العصر فى الطريق ، فقال بعضهم : لا نصليها إلا فى بنى قريظة كما أُمِرنا ، حتى إن رجالًا منهم صلوا العصر بعد العشاء الآخرة . وقال بعضهم : لم يُرِدْ منا ذلك . وإنما أراد سرعة الخروج ، فصلوها فى الطريق ، فلم يعنف واحدة من الطائفتين . (الرحيق المختوم ٣٧١) .

وقد اشترط العلماء فى المجتهد شروطاً تضمن أن يكون الاجتهاد مؤسساً على علم ، وغير صادر عن هوى أو جهل . وأهم هذه الشروط :

١ ـ العلم بنصوص الكتاب والسنة .
٢ ـ العلم بمسائل الإجماع .
٣ ـ العلم بلسان العرب .
٤ ـ العلم بأصول الفقه .

ومن أوضح ما يستدل به العلماء على مشروعية الاجتهاد فى استنباط الأحكام قول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

[سورة النساء : ٨٣]

قال أبو بكر الرازى المعروف بالجصاص : فى هذه الآية دلالة على وجوب القول بالقياس واجتهاد الرأى فى أحكام الحوادث ، وذلك لأنه أمر برد الحوادث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فى حياته إذا كانوا بحضرته ، وإلى العلماء بعد وفاته والغيبة عن حضرته ـ ﷺ ـ وهذا لا محالة فيما لا نص فيه ، لأن المنصوص عليه لا يحتاج إلى استنباطه ، فثبت بذلك أن من أحكام الله ما هو منصوص عليه ، ومنها ما هو مودع فى النص قد كلفنا الوصول إلى الاستدلال عليه واستنباطه . (أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ١٨٣) وانظر القرطبى فى تفسيره ص ١٨٦٢ ط الشعب .

الملاحظة الرابعة :

يفسر الكتاب القرآن الكريم بالهوى دون الإلتزام بقواعد التفسير وأسسه ودون النظر لأقوال المفسرين ، فتراه يحمل آيات القرآن الكريم ما لا تحتمله ، ويحملها على غير ما يدل عليه ، وهذا واقع فى الكتاب فى مواطن كثيرة ، بل فى أكثر مواطنه ، ولا يتسع المقام هنا لذكر الأمثلة كلها ، ويكفى فى هذا المقام الإشارة إلى ما يدل على ما ذكرنا . فمثلا :

١ ـ فى ٧٣ يذكر الآية الكريمة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ .

[المائدة : ١٠٥]

ثم يقول ـ مبيناً المراد من الآية : « والذى يتبين منه ـ يعنى من القرآن ـ أن المولى ـ عز وجل ـ لم يكلف الذين آمنوا بالسعى لتغيير المنكر فى الذين ضلوا عن سبيل الله . وإن الذين آمنوا لن يضاروا فى أنفسهم وإيمانهم بضلال الضالين » .

والكتاب ـ بهذا التبين الخاطىء ـ قد وضع الآية على غير موضعها ـ كما قال الصديق أبو

بكر ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه الإمام أحمد بسنده . « قام أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾

وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « إن الناس إذا أرادوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله ـ عز وجل ـ أن يعمهم بعقابه » .

كما أن حمل الآية على النحو الذى نحاه الكتاب والإستدلال بها على عدم التكليف بالسعى لتغيير المنكر يتصادم مع صريح القرآن الكريم ـ حيث يقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾
[آل عمران : ١١٠]

ويقول :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٤]

كذلك يتصادم منحى الكتاب لآية المائدة مع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ ففى الحديث الذى أخرجه الترمذى وحسنه وابن ماجه عن حذيفة بن اليمان أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » .

وكذلك يتصادم منحى الكتاب لآية المائدة مع روح الشريعة الإسلامية . **ووجه ذلك** :

أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ كما قال الفقيه الشافعى محمد بن محمد بن أحمد القرشى المعروف بابن الأخوة : هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهمة التى ابتعث الله بها النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، وانتشر الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد » .

هذا والقول فى القرآن بالرأى والهوى المخالف للحق والمجانب للصواب ظاهر فى الكتاب فى مواطن كثيرة . انظر ـ على سبيل المثال ـ ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٨٧ ـ ومابعدها .

الملاحظة الخامسة :

يفسر الكتاب أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ على وفق هواه ، تفسيراً لا سند له من لغة ، ولم يسبقه به أحد من العلماء بأحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ وهذه الملاحظة ـ كسابقتها مكررة فى أكثر من موضع من الكتاب ـ ونكتفى هنا بالمثال ؛ إذ لا يتسع المقام للحصر .

فى ص ٧٢ يذكر حديث رسول الله ـ ﷺ ـ الذى أخرجه الإمام مسلم ـ وغيره ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ

ﷺ ـ قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » . ويذكر آراء العلماء فى معنى الحديث ثم يُخَطِّئُ هذه الآراء ويزعم أن « الإدعاء بأن الحديث يأمر من يرى فى غيره منكراً أن يسعى لتغييره ولو بالقوة هو دعوة صريحة لإشاعة الفتنة والفوضى فى الأمة الإسلامية » .

ويعلل ذلك بقوله : « إذ أن ما يراه البعض منكراً ، قد يرى آخرون أنه من الدين ، وتختلف الآراء فى المنكر وتتعدد بتعدد الفرق فى الأمة ، ويعدد الآراء والاجتهادات ... الخ .

ثم يرى ص ٧٥ أن الأمر بتغيير المنكر ـ أيا كانت وسيلة التغيير ـ لا يستقيم مع قوله تعالى :

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

[الإسراء : ١٥]

ويتعارض كذلك مع قوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

[النحل : ١٢٥]

ويذكر غير ذلك من الآيات ، يوهم بظاهرها انحصار مسئولية المكلف فى نفسه ولا يلزم بشىء تجاه الآخرين .

وهو بذلك يضلل القارىء ويوهمه تعارض نصوص الشرع فيما بينها ويشككه فى أبجديات دينه التى استوى فى علمها الخاصة والعامة .

ثم نرى الكتاب يأتى ـ على حد زعمه ـ بالمعنى الصحيح للحديث فيأتى بالعجب العجاب الذى لم يقله واحد ممن ينسبون إلى العلم من قريب أو من بعيد ؛ فيزعم أنه :

١ ـ لا يمكن فهم حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده .. الخ » فهما صحيحا إلا فى ضوء الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ص ٧٩ .

٢ ـ أن كلمة اليد التى وردت فى الحديث تشير إلى قدرة الإنسان على تغيير ما تدعوه إليه نفسه من ارتكاب المعاصى .. فالحديث « أمر للمؤمن إذا رأى فى نفسه ولو أدنى بادرة منكر .. حيث يجب عليه أن يغير هذا المنكر الذى رآه فى نفسه بهمة الحريص على دينه مستخدماً يد القدرة التى أعطاها الله للإنسان على نفسه لتغيير ما بها من منكر » هكذا يقول ص ٨٠ ، ٨١ .

٣ ـ وقوله ـ ﷺ ـ فى الحديث : « فإن لم يستطع فبلسانه » خطاب لمن لم يكن له من قوة الإيمان ما يجعل من صفة القدرة يداً تعينه ويتمكن بها من تغيير ما يراه فى نفسه منكراً .. إذ يأمر سيدنا رسول الله من كان ذلك هو حاله أن يذكر نفسه بما أمر به المولى ـ عز وجل ـ لعلها ترتدع .. وأن يلوم نفسه على ما بها من منكر .. عسى أن تستجيب ويتغير ما بها من منكر بلسان الحجة فى داخل النفس هكذا يزعم . ص ٨١ .

٤ ـ وقول سيدنا ـ رسول الله ﷺ ـ فى نهاية

الحديث « فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » هو بيان لواقع حال من لم يكن من قوة الإيمان ما يمكنه أن يستخدم يد قدرته على نفسه ليغير ما بها من المنكر .. ولم يكن له ـ أيضاً ـ من الإيمان ما يجعل للسان الحجة أثراً فى نفسه .. فذلك يدل على أن مثل هذا الإنسان بقلبه المرض الذى هون عليه الاستمرار فى المنكر وزين له حب الشهوات وذلك ـ قطعاً ـ دليل على أن إيمانه هو أضعف الإيمان .

هكذا يحرف الكلم عن مواضعه انظر ص ٨١ ـ ٨٢ . والذى يظهر لنا أن الكتاب قد بدل وغير فى هذه القضية تبديلًا وتغييراً لا يقره عليه عالم يعول على رأيه . فمن المسلمات ـ التى حاول الكتاب أن يهيل عليها التراب ـ فى قضية إنكار المُنْكَر ما يأتى :

١ ـ إن التغيير باليـــد : يراد به القـــوة والسلطان . وهو للحاكم وللأفراد كل فى حدود ولايته . ومن الولاية ما ذكره الجصاص فى أحكام القرآن جـ ٢ ص ٣١ قال : « وإزالته ـ يعنى المنكر ـ باليد تكون على وجوه منها : أن لا يمكنه إزالته إلا بالسيف ، وأن يأتى على نفس فاعل المنكر فعليه أن يفعل ذلك ، كمن رأى رجلًا قصده ، أو قصد غيره بقتله ، أو أخذ ماله ، أو قصد الزنا بامرأة أو نحو ذلك ، وعلم أنه لا ينتهى إن أنكر بالقول ، أو قاتله بما دون السلاح ، فعليه أن يقتله ، لقوله ـ ﷺ ـ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » فإذا لم يمكنه تغييره بيده إلا بقتل المقيم على هذا المنكر فعليه أن يقتله فرضاً عليه ، وإن غلب فى ظنه أنه إن أنكره بيده ودفعه عنه بغير سلاح انتهى عنه لم يجز له الإقدام على قتله » .

٢ ـ الأمر الثانى ـ الذى أغفله الكتاب ـ أن هناك أموراً ليس من حق الأفراد العاديين القيام فيها بالتغيير باليد ، مثل العقوبات التى قدرها الشرع حقاً لله كقطع يد السارق وجلد شارب الخمر .. وغير ذلك من سائر الحدود وكذلك ليس من حق أحد أن يعاقب أحداً بعقوبة التعزير إذا لم تكن له ولاية ، وثمة فرق بين تغيير المنكر والعقوبة على منكر وقع من قبل . فلو ترك للأفراد توقيع العقوبة على المجرمين لانقلب الأمر فوضى ، وشاعت الفتن التى تؤدى فى الغالب إلى سفك الدماء والإعتداء على حقوق الآخرين . وإناطة هذا الأمر بالحاكم فيه صيانة لحقوق الناس وتوفير الحماية لهم حتى لا يعاقب برىء .

وكذلك يجب أن لا يكون التغيير باليد مؤديا إلى فتنة أو منكر أشد من المنكر الموجود .

٣ ـ الأمر الثالث ـ الذى تجاهله الكتاب ـ أنه لا إنكار فى المسائل التى اختلف فيها العلماء . وعلى ذلك فلن نهدر الحقوق او تشاع الفتن والفوضى ـ كما زعم الكتاب .

٤ ـ الأمر الرابع ـ الذى أغفله الكتاب ـ وهو فى غاية الأهمية فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ وقد اهتم به العلماء اهتماما شديدا : هو أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب أن لا يقوم به إلا من كان عالما بذلك حتى لا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف .

هذا ـ وفهم حديث تغيير المنكر على النحو الذى زعمه الكتاب فضلا عن مخالفته لشرح

الحديث ؛ فإنه يمثل دعوة الى السلبية المفرطة التى تشجع المجرمين على التمادى فى جرائمهم ، وإشاعة الفاحشة فى المجتمع .. الأمر الذى ينتفى معه الأمن ويزول به الاستقرار وتضيع فى ظله الفضيلة وتنتشر الرذيلة ؛ وإلا ، فماذا يكون حال مجتمع يرى اللص فيفسح له ، ويسمع المستغيث المعتدى عليه فلا يغيثه بل يقول نفسى نفسى ، ويرى المال العام ينهب والمرافق العامة تخرب فلا يتحرك بل يقول : عليك نفسك نفسك نفسك لا يضرك من ضل إذ اهتديت .

اقول وهل يكون المرء من المهتدين وهو يجالس المقيمين على المنكر ، يؤاكلهم ويشاربهم ويسامرهم ولا ينكر عليهم ؟

اللهم لا ؛ فقد أخرج أبو داود والترمذى وابن ماجه عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلة وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

ثم قال :

« كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا وتقصرنه على الحق قصرا » .

ومع وضوح النصوص الشرعية فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واتفاق العلماء على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو مهمة الأنبياء ، وهو ميراث هذه الأمة عن نبيها محمد ﷺ لإصلاح الفرد والمجتمع ، نرى الكتاب يغالط ويصر على مخالفة الحقائق وتغييرها فنراه يقول : فى ص٧٣ : « إن المولى ـ عز وجل ـ لم يكلف الذين آمنوا بالسعى لتغيير المنكر فى الذين ضلوا عن سبيل الله » . « وان الذين آمنوا لن يضاروا فى أنفسهم وإيمانهم بضلال الضالين » . « وان الادعاء بأن الحديث ـ (حديث من رأى منكم منكرا فليغيره) . يأمر من يرى فى غيره منكرا أن يسعى لتغييره .. فيه دعوة صريحة لإشاعة الفتنة والفوضى فى الأمة الإسلامية » .

الملاحظة السادسة :

ينكر الكتاب مشروعية ما انعقد إجماع الأمة على مشروعية وبيان ذلك بإيجاز شديد كما يأتى :

أولا ـ ينكر ـ الكتاب ـ وجود الناسخ والمنسوخ ووقوع النسخ فى القرآن الكريم فيقول ص ١٤٤ « ولما كان ما سُمّى (بعلم الناسخ والمنسوخ) يتأسس على الافتراض الباطل بوجود تعارض حقيقى بين آيات القرآن كما ورد فى كتب الناسخ والمنسوخ فان كل ما ترتب على هذا الأساس من أقوال ودعاوى مشككة فى الدين تسقط بالتبعية . فما تأسس على الباطل فهو باطل مهما ألبس ثوب الحق وأدخل على علوم القرآن ..

فضلا عن ذلك فان قوله ـ تعالى ـ ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سورة ق ٢٩ .

يقطع بأن المولى ـ عز وجل ـ لا يبدل كلامه ، ولا يستبدل أحكامه فى قوله لعباده بقول آخر .. وطالما ثبت لنا بالدليل القرآنى الذى هو قطعى الثبوت ، قطعى الدلالة أن المولى ـ عز وجل ـ لا يبدل لعباده .. فمن ثم فلا ناسخ ولا منسوخ » .

قلت : الصحيح ان النسخ واقع بإجماع المسلمين ، لم يخالف فيه إلا أبو مسلم الأصفهانى ، وقوله كما قال ابن كثير فى تفسيره جـ ١ ص ١٥١ ـ ضعيف مردود مرذول . والأدلة على وقوع النسخ كثيرة فمنها :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ البقرة ١٠٦ والآية صريحة فى وقوع النسخ .

ب ـ قوله ـ تعالى :

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ النحل ١٠١ .

والآية واضحة فى تبديل الآيات والأحكام ، وهو يشتمل على رفع واثبات :

جـ ـ أمر الله المتوفى عنها زوجها بالاعتداد حولا كاملا فى قوله ـ تعالى ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ سورة البقرة ٢٤٠ ـ ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر كما جاء به قوله ـ تعالى ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ سورة البقرة ٢٣٤ .

د ـ قال الله ـ تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

الانفال ٦٥ ، ٦٦ .

ففى الآية الأولى أمر الله ـ تعالى ـ بثبات الواحد للعشرة ، ثم جاء التخفيف فى الآية الثانية حيث الأمر بثبات الواحد للاثنين وهى صريحة فى نسخ الحكم الأول .

قال القرطبى ـ رحمه الله ـ « معرفة هذا الباب (الناسخ والمنسوخ) أكيدة ، وفائدته عظيمة لا تستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء ، لما يترتب عليه فى النوازل من الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام » . (تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٥٧) .

ومن المعلوم عند علماء الأصول انه لا يجوز القول بالنسخ لمجرد دفع شبهة تعارض دليلين ؛ بل لابد من دليل شرعى صحيح يدل على النسخ ، كأن يكون فى أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما كما فى المثال (جـ ، د) أو ينعقد إجماع من الأمة فى أى عصر من عصورها على تعيين المتقدم نزولا من النصين والمتأخر منهما . أو يثبت من طريق صحيحة عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ ما يفيد تعيين أحد النصين المتعارضين للسبق على الآخر أو التأخير عنه فى النزول . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .



تأليف : ا.د. محمد سيد محمد
الناشر : دار الفكر العربي
ط ١ : (١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٤ م)
عرض وتقديم:
د/ محمد عبد الحكيم محمد

كتاب يكشف للأمة مكامن الخطر ... لتأخذ الحذر

بدأ الصراع بين الغزو الثقافي والمجتمع العربي منذ «عهد محمد علي والحملة الفرنسية على مصر» ، ثم في عهد إيفاد البعثات الى أوربا وانتشار التعليم بأسلوب أوربي ومن ثم حفلت الأوساط الثقافية عندنا بصراع فكري كبير دار حول قضية جوهرية واحدة تعددت فيها الزوايا حيث برزت من خلال أفكار فرعية منها : « الأصالة والمعاصرة » ، و« التغريب والتعريب » و« التراث والحداثة » ، و« العلمانية والأصولية » الى آخر هذه المصطلحات والشعارات التي تعتبر جزئيات في منظومة الغزو الثقافي وكم كان اهتمام الغرب كبيرا « بإيفاد البعثات الى أوربا » كقناة مرحلية يعتمد عليها ــ منذ زمن بعيد ــ في تصدير إعصاره الثقافي الى عالمنا العربي بغية تشويه الحياة الإسلامية وتمييع العقل المسلم وتقليص دوره تمهيدا للقضاء عليه .

ولعل في اعتراف الوجودي الفرنسي « جان بول سارتر » تحليلا أوسع لهذه الحقيقة ، إذ يشير في مقدمة صدّر بها كتاب المفكر الأفريقي « فرانس فانون » : (المعذبون في الأرض) إلى أسلوب صناعة المفكر الشرق في الغرب ومجال استخدامه ، فيقول :(١)

(١) مجلة الأمة : العدد الخمسون ــ مقال شابانا في وجه الإعصار الغربي ــ ص٢١ .

« كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام فى امستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويتعلمون منا طريقة جديدة فى الرواح والغدو ، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا وكنا ندبر لبعضهم أحيانا زيجات أوربية ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية ، كنا نضع فى أعماق قلوبهم الرغبة فى أوربا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأى بلاد !؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائما فى وجوهنا ، ولم نكن نجد منفذا إليها ، كنا بالنسبة إليها رجسا ونجسا .. لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم ، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس « الإخاء البشرى » فيرتد إلينا رجع أصواتنا من أقاصى أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالى أفريقيا .. كنا نقول : « ليحل المذهب الإنسانى أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة » وكانوا يرددون .. هذه أصواتنا من أفواهم وحين نصمت يصمتون ! إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين (!!) لايملكون كلمة واحدة يقولونها غير ماوضعنا فى أفواههم » .

فهذه شهادة من أهلها عن كيفية صناعة المبعوثين العرب فى أوربا منذ بداية البعثات كقناة فعَّالة لتغريب العقل الاسلامى ، تلك الصناعة التى أتت بعض ثمارها من خلال دعوات « سلامة موسى » و« طه حسين » وغيرهما ممن حذا حذوهما وسار على نهجها إلى يومنا هذا .

فماذا عن أساليبهم فى التغريب بعدما تطورت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام ومراكز المعلومات فى السنوات التى أعقبت عهد ماسمى بالتنوير وإيفاد البعثات الى أوربا وانتشار التعليم وتحديثه ؟ لم تعد هناك حاجة لأخذ المسلم الى « لندن وباريس وأمستردام » من أجل التحكم فى عقله وعواطفه ، إذ أن وسائل إعلامهم — بشتى صورها — تغرق الآن المجتمعات العربية والإسلامية عبر الأقمار الصناعية ، بل وتقتحم عليهم بيوتهم لتسهم بدورها فى تشكيلهم وصياغة عاداتهم وتوجيه أذواقهم وعلاقاتهم بما يتفق وقيمهم ومعاييرهم .

ومن ثم تظهر أهمية جهود قادة الرأى فى مجتمعاتنا العربية من أجل مقاومة الأثار الضارة للثقافات الأجنبية الغازية من جهة ، وحماية شخصيتنا الإسلامية والحضارية من جهة أخرى ، مع توجيهها الوجهة الصحية التى تؤكد ذاتيتنا وتحافظ على هويتنا وتحشد طاقاتنا للتنمية والتطور إلى الأفضل .

ضوء على الكتاب والمؤلف

فى ضوء ماتقدم تظهر لنا أهمية القضية التى يتناولها الكتاب ، وهى كما يكشف عنها العنوان « الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر » تلك التى عالجها المؤلف فى (٤٠٠) أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، وصاغها فى إطار علمى محكم يكشف لنا عن رؤيته العربية والإسلامية لهذه القضية التى باتت تؤرق مجتمعنا المعاصر لا سيما بعد التطور الهائل فى وسائل الإعلام .

وإذا كانت القضية تناولها هذا السفر العلمى مهمة ، فإن المؤلف أيضا يكتسب أهمية خاصة من ناحيتين .

الأولى : أنه أحد خبراء الإعلام(٢) المسلمين الذين يمتلكون الموهبة والقدرة على تلقى المعلومات وشرحها وتفسيرها بما يتفق مع دينه ومصالح مجتمعه وآماله .

الثانية : أنه جاب الأقطار العربية أستاذا وزائرا ومحاضرا منذ توليه أعباء مسئولية التدريس فى كلية الإعلام بجامعة القاهرة منذ أوائل السبعينيات حتى يومنا هذا ، وبذلك يكرس خبراته فى البحث العلمى والعمل الاجتماعى فى خدمة هذا البحث .

يقوم البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : إجابة عن السؤال الجوهرى « ما الغزو الثقافى » ؟

الفصل الثانى : عن وسائل الغزو الثقافى وأساليبه .

الفصل الثالث : **عن المنشور الغربى وغزو العرب** .

الفصل الرابع : عن استراتيجية المواجهة ووسائلها .

وتبوح فصول الكتاب بأسرارها فى معالجة تفصيلية موثقة لجوهر هذه المشكلة وأبعادها من خلال رحلة طويلة شاقة ينم عنها عدد صفحاتها الأربعمائة ، تلك التى أخرجها الكاتب الى النور وفق منهج تاريخى تحليلى قائم على الربط والاستدلال ، والذى نلمح معه من حين لآخر ملامح من المنهج المقارن . فهيا بنا نستعرض فى إطلالة سريعة محتوى هذا الكتاب .

محتوى الكتاب

أفرد المؤلف أول صفحة من الكتاب للآية : ١٠٤ من سورة الأنعام وهى قول الحق ــ تبارك وتعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ وكأنه أراد بها دعوة العرب والمسلمين إلى إدراك مكامن الخطر حتى يأخذوا الحذر .

وفى المقدمة (من ص ٥ ــ ١٤) تحدث عن مشكلة البحث وخطواته المنهجية وعن سعيه لتحقيق أهداف عدة من خلال هذا البحث ، الهدف الأول : رئيسى وهو توضيح الفرق بين « الغزو الثقافى » و« التفاعل الثقافى » وكيفية فرزهما بحكمة وبصيرة ، يلى ذلك : أهداف فرعية أخرى فرضتها الظروف المحيطة بالثقافة العربية المعاصرة ، كما تشير إلى حدود العلاقة بين مفهوم الغزو الثقافى ومفهوم المجتمع ومفهوم المعاصرة ، غير أن التساؤل الرئيسى الذى يطرحه الباحث (ص ٦) فى هذه المقدمة : كيف يميز القارىء العربى « الغزو الثقافى » وكيف يتجنبه ؟ وكيف يتعرف على « الاتصال الحضارى » وكيف يتفاعل معه ؟ ومن هذا التساؤل الرئيسى تنبثق عشرات الأسئلة التى تجيب عنها فصول البحث إجابات تحليلية .

الفرق بين الغزو والاتصال الثقافى

فى الفصل الأول (من ص ١٥ ــ ٤٨) يستعرض الباحث تعريفات عدة لمفهوم « الغزو الثقافى » لدى المفكرين والكتاب المعاصرين ،

(٢) تشهد بذلك مؤلفاته ودراساته المتعددة فى ميادين الإعلام والأدب والترجمة . وتوليه وكالة كلية الإعلام بالقاهرة .

لإيضاح الصورة الذهنية لهذا المفهوم ويخلص من ذلك العرض إلى أهمية التفرقة بين مفهوم « الغزو الثقافى » ونقيضه « الاتصال الثقافى » فإنهما وإن اشتراكا فى « اتصال أو مزج أو تداخل ثقافة أو حضارة بثقافة أو حضارة أخرى ، باستخدام وسائل إعلام واحدة » ، إلا أن كلا منهما يختص بوسائل إعلامية مخالفة لما عليه الآخر .

على أن الباحث يجمل هذه الفروق الجوهرية بينهما (ص ٢٥) فى ثلاث :

١ ــ الإكراه والإخضاع فى الغزو الثقافى ، مقابل التلقائية والإيجابية فى الاتصال الثقافى .

فمبدأ الحرية إذن هو المبدأ الأول الذى يفرق بينهما .

٢ ــ خلق الاستعداد للانفصال عن الجذور الثقافية والحضارية الوطنية ، بل والتنكر لها واحتقارها فى الغزو الثقافى ، مقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة فى الاتصال الثقافى .

فمبدأ عدم التنكر للتراث الحضارى والثقافى والانتقاء فى الوقت نفسه يمثل المبدأ الثانى فى التفريق بينهما .

٣ ــ صياغة العقول فى الغزو الثقافى ، مقابل الاضافة واستكمال البناء العقلى فى الاتصال الثقافى ، وهذا هو المبدأ الثالث فى التفريق بين المفهومين .

وبينما يفرق الباحث بين مفهومى « الغزو » و« الاتصال الثقافى » نجده يرى أن مصطلح « الحرب النفسية » أكثر المصطلحات قربا وتداخلا واشتراكا مع الغزو الثقافى (صفحات ٢٥ ــ ٢٦) لأن كليهما جزء من حرب الإنسان للإنسان ، تلك التى واكبت رحلة البشرية على ظهر الأرض ، فضلا عن أن « الغزو الثقافى » يشترك مع المسميات المتعددة التى تطلق على الحرب النفسية مثل : غسيل الأدمغة أو حرب الأعصاب أو الطابور الخامس أو الحرب السياسية أو حرب الأفكار أو الحرب الباردة .

وسائل الغزو الثقافى وأساليبه :

ويختص الفصل الثانى (من ص ٤٩ ــ ١٧٦) ببحث وسائل الغزو الثقافى وأساليبه ، وحتى لا يختلط المعنى ــ فى ذهن القارىء ــ بين الوسائل والأساليب ، نجد الباحث قد اهتم بكشف تباينهما قائلا (ص ٤٩) :

نحن نقول ــ فى لغتنا الإعلامية المعاصرة : وسائل الاعلام ونعنى بها : الصحيفة والراديو والتليفزيون والسينما والكتاب ووكالات الأنباء وما شابه ذلك من وسائل (تكنولوجية) جديدة كما نعنى بها المحاضرة والخطبة والندوة والمؤتمر وماشابه ذلك من وسائل قديمة ، ونحن نقول فى لغتنا التعليمية المعاصرة الوسائل التعليمية ، ونعنى بها الكلمة المنطوقة وأجهزة التسجيل والصور الشفافة والشرائح الفوتوغرافية والأفلام التعليمية والخرائط والرسوم وماشابه ذلك من وسائل التعليم .

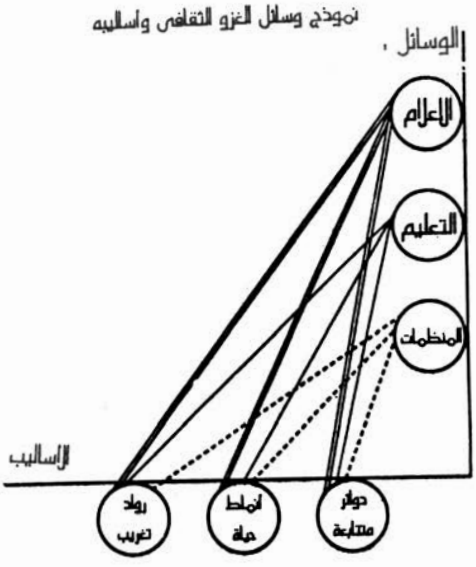
أما الأساليب فهى : الطرق والاختيارات التى أفرزها التفكير وأفرزها التخطيط لتحقيق أهداف معينة ومحددة ولزيادة وضوح مدلول الكلمتين يعقب الدكتور محمد سيد على ذلك بقوله : « فإذا كنت فى النقطة (أ) وهدفك الوصول الى النقطة (ب) فإن وسائلك هى الطائرة والباخرة والقطار

والسيارة والدراجة والسير على الأقدام ، وإن أساليبك أو طرقك هى الطريق البرى أو البحرى أو الجوهرى » وهكذا يظهر ذلك التقريب الذهنى ما بين « الأساليب والوسائل » من تباين وترابط .

نموذج للتفاعل بين الوسائل والأساليب

وقد استطاع الباحث (فى ص ٥١) صياغة نموذج لوسائل الغزو الثقافى وأساليبه يقوم على محورين : رأسى وهو مخصص لثلاثة من أهم الوسائل (١) الإعلام (٢) التعليم (٣) المنظمات ، وتشمل : الشركات والنوادى والهيئات والظواهر وماشابه ذلك ، وأفقى ، وهو مخصص لأهم الأساليب وهى ثلاثة أيضا (١) الدوائر المتتابعة (٢) أنماط الحياة (٣) رواد التغريب ، وهم حملة مشاعل أو حطب الغزو. وهو جميعا على النحو التالى :

نموذج وسائل الغزو الثقافى وأساليبه



وبالتفاعل المستمر بين الوسائل والأساليب فى هذا النموذج يحقق الغزو الثقافى أهدافه بطريقة تشبه الربح المركب أو تشبه المتوالية الهندسية ، بمعنى أن الاعلام يحقق أهداف الغزو فى الدوائر المتتابعة وفى أنماط الحياة وفى دعم رواد التغريب ، والتعليم يعمل نفس العمل فى الأساليب الثلاثة وهكذا يصبح التفاعل المستمر مثل تكاثر الجراثيم ومثل الأرباح المركبة ومثل المتوالية الهندسية ، ويصبح الجمهور المستهدف بالغزو الثقافى يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه .

عرض الوسائل

ويسهب المؤلف فى عرض وسائل الغزو الفكرى (من ص ٥٢ ــ ١٧٥) متوقفا عند كل وسيلة بما يتلائم مع أهميتها ، ودورها فى خدمة الهدف الذى استخدمت من أجله ، ومبينا ماينـدرج تحت كل وسيلة رئيسية من وسائل وقنوات فرعية أخرى :

ــ فوسيلة الإعلام : تشمل الكتاب والصحافة و(الراديو والتليفزيون) والسينما والإعلان ووكالات الأنباء .

ــ ووسيلة التعليم : تشمل التعليم ومناهجه بجميع مراحله بدءا من المرحلة الأساسية حتى المرحلة الجامعية .

ــ ووسيلة المنظمات : تشمل كل حركات التحريف والتشويه وقتل روح الإعلام ، كالعلمانية والماسونية والبهائية والبابية والاستشراق .

هذا وقد نجح الكاتب من خلال دراسته لهذه الوسائل فى بيان دورها وجاذبيتها فى الاتصال الإنسانى بصفة عامة ، وبيان خطرها وأبعادها فى

خدمة الغزو الثقافى للمجتمع العربى المعاصر بصفة خاصة ، وكيف أنها تتكامل وتتنافس فى موجة التشويه العالمية لصورة الإسلام والمسلمين ، غير أننا نتوقف قليلا مع المؤلف عند وسيلتين من وسائل الإعلام هما : (التليفزيون) و(وكالات الأنباء) لما تتمتعان به من قدرة فائقة على الإخلال بالتوازن الأخلاقى والاجتماعى والإخبارى .

أولا : وسيلة التلفاز

ويرجع خطر هذه الوسيلة إلى تخطى دائرة بثها حواجز الدول الجغرافية ، وكما يقول المؤلف (ص ٩٠) : أصبح نقل برامج التليفزيون فى العقد الأخير من القرن العشرين عن طريق الأقمار الصناعية حافزا لمحطات تليفزيونية عديدة لأن تبث إرسالها عالميا وفضائيا ، وأن يستقبل المشاهد العادى هذه البرامج العديدة بإضافة (إيريال) ـــ أى هوائى على شكل طبق ـــ إلى جهاز التليفزيون العادى وأصبحت هذه الظاهرة تسمى ظاهرة الأطباق ، وصارت حديث الناس فى الوطن العربى وحديث الخبراء وحديث الآباء ، لأن بعض المحطات الأوربية والتجارية منها بخاصة ـــ تبث برامج جنسية و(أفلام) عرى تضر بصحة الشباب العربى جسديا ونفسيا .

العلاقة بين التلفاز والغزو الثقافى

ويستطرد الباحث فيرى أنه على الرغم من أن الجمهور العربى الذى يتعرض لهذا البث التليفزيونى محدود إلا أن الظاهرة فى سبيلها إلى الإنتشار وسوف تقدم التكنولوجيا تسهيلات جديدة تجعل البث بالأقمار الصناعية للتليفزيون قليل التكاليف ، ثم يقوم بتوضيح العلاقة بين التلفزيون والغزو الثقافى للمجتمع العربى المعاصر ويجعلها فى ثلاث نقاط جوهرية :

النقطة الأولى : تكمن فى البث المباشر بالأقمار الصناعية وهذا هو الأحدث والأسرع والأكثر اثارة وانتباها .

النقطة الثانية : وتكمن فى البضاعة الأمريكية بصفة عامة ، والأوربية وغيرها مما تبثه محطات التلفزيون العربية والاسلامية .

النقطة الثالثة : وهى صورة العرب والمسلمين المشوهة فى المحطات التلفزيونية الأمريكية والأوربية .

وفيما يتعلق «بالنقطة الأولى» المتعلقة بالبث التلفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية وتأثيره على المشاهد العربى يتبنى الباحث فكرة «تجديد الثقافة الوطنية الراكدة[٣] ـ فى بعض الأحيان ـ وتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة تتعلق بالإبداع والأداء الرفيع والإيقاع السريع » وفكرة : تطوير وسائل الاتصال المحلية وبالذات التلفزيون حيث تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها .

سياسة وضع السم فى العسل :

وفيما يتعلق «بالنقطة الثانية» المرتبطة بما تبثه محطات التلفزيون العربية والاسلامية من بضاعة أمريكية وأوربية ، نقل إلينا شهادة د. مصطفى

(٣) كنا نود تحديدا أكثر وضوحا لمدلول « الثقافة الوطنية الراكدة » وتصورا لهذه النماذج والاطلاعات العصرية . حتى تخرج الفكرة من الاطار النظرى إلى حيز التطبيق .

محمود(٤) عن خطر المسلسلات الغربية التى تنقلها هذه المحطات الغربية » وهى بحق نظرة تحليلية فاحصة تعكس لنا المردود السيىء لدى المتلقى المسلم ومن ثم ننقلها بنصها :

« كل ما يتسلسل أمامنا من أحداث هى جرائم قتل واختلاس واغتصاب وانحلال وعهر وتبذل ، ولكن تلك السفالات نراها ملفوفة فى أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأرق الأجسام وأنور الوجوة وأحلى القدود وأشهى الخدود وكل ماتقع عليه العين فى المسلسل نظيف ولامع وباهر ومتألق وجذاب وخلاب فلا نملك إلا أن نبتلع الجريمة بما فيها من سموم ونحتضن المضمون بما فيه من انحلال دون أن نفطن إليه ، ويتمنى الساذج منا أن يكون مثل هؤلاء الأبطال وأن يمتلك مثل تلك البيوت ، ويرتدى مثل تلك الثياب ويعيش فى تلك الوفرة ويستمتع بذلك الثراء ــ وهكذا يأكل الطعم الذى يهدف إليه هذا اللون من الفن والطعم هو أن تحتال وتسرق وتقتل وتخون وتكذب وتطعن فى تغبط الظُّهر وتتآمر فى الظلام مثل مايفعل الأبطال الذين تراهم لتكون لك تلك الوفرة وتلك المتع ولتعيش حياة فيها كل ذلك البريق .

ويغرق الأبطال فى تلك السفالات ، مع أنهم بخير وأصحاب ملايين ، ويمرحون فى النعمة والرزق الوفير والمال الكثير . ولكن هذا ضرورى لمثل تلك الفنون . فمن الضرورى أن يكون المجرم أنيقا ومهذبا ومعطرا ، وعنده يخت ، وأسطول سيارات وفى جيبه مليون جنيه ليبدو فى عينك نموذجا ومثالا تشتهيه ، ولايجوز أن يكون مثل مجرمى الصعيد الحفاة المطاردين من البوليس .

إن شخصية بطلنا (محمود المليجى) لا تنفع لأنها قد تعطى عبرة .. وهم لا يريدونك أن تخرج بعبرة بل يريدونك أن تتقمص تلك الشخصية الإجرامية فى حب وعشق وتذوب فيها .

يريدون أن يستلوا منك هويتك ويلبسوك هويتهم وأن تلبس ثوبهم بمزاجك واختيارك ، وهذا هو التنويم الثقافى الرفيع الشيك .

ولو ارتفع صوت ينقد هذا اللون من المسلسلات ، فسوف يخرج عليه مليون صوت يرجمونه بالحجارة ، ويتهمونه بالرجعية والتخلف والانغلاق والتحجر وسوف تنتفض قبيلة من النقاد الأكابر يدافعون عن حرية الفن وحرية الإبداع وحرية الخلق .. الخ . الخ ثم يقول :

فى السوق الغربية التى تبيع هذا اللون من المسلسلات نجد ألوانا أخرى من الثقافة الجيدة والفنون الرفيعة ، ونجد ألوانا رائعة من البرامج الوثائقية والأفلام العلمية والأفلام التاريخية والدراما الراقية لا تقل عنها إقناعا مع فارق كبير أنها لاتقدم هذه النماذج الساقطة ، ولاتمتع المشاهد إمتاعا فارغا بل تثرى عقله وتفتح بصيرته وتعمق وجدانه ، وهى أولى بالاستيراد من هذه المسلسلات .

أثر الصورة المرئية :

أما ما يتعلق بالنقطة الثالثة ــ فى علاقة التلفزيون بالغزو الثقافى للمجتمع العربى المعاصر وهى تشويه الصورة العربية والاسلامية فى

(٤) الأهرام : ١٩٩٢/٤/١٨

التلفزيون الأجنبى ، فيرى الباحث (ص ١٠) أنه وإن اشتركت وسائل الإعلام الغربية فى هذا التشويه إلا أن الصورة التلفزيونيـــة لها تأثير مضاعف ، إذ أن الصورة تتعدد وتتحـــور وتتشكل فتصبح صورة كاذبة .. تجعل المغالطة أكثر إحكاما من الواقع ذاته .. على أن هذه النماذج والأمثلة التى يُقدم بها الاسلام فى وسائل الإعلام الأجنبية تحاول فرض أنماط وقيم ومعلومات خاطئة تفتقد الرؤية الأصيلة والصحيحة « غير ان المؤلف كخبير إعلامى يرصد الواقع يؤكد فى ص (١٠١) على أن «الضعف المهنى فى المحطات العربية هو الذى يسهل أهداف الغزو الثقافى الذى يقدم الى المشاهدين العرب » .

ثانيا : وكالات الأنباء

كما لم يعد أمر سيطرة وكالات الأنباء العملاقة على الإعلام العربى من أمور البحث العلمى فحسب ، إنما اصبح حديث المثقف العام فى بلدان العالم الثالث ، حيث سيطرت وكالات «رويتر الانجليزية» و«الأنباء الفرنسية» و«تاس السوفيتية» و«الأسوشيتدبرس واليونيتدبرس الأمريكيتين» على سوق الأخبار فى العالم بأسره .

ويرى الباحث فى (ص ١١٤ ، ١١٦) أنه بالرغم من التوسع فى انشاء وكالات أنباء وطنية فى معظم دول العالم العربى إلا أن السيطرة باقية وتزداد يوما بعد يوم لوكالات الأنباء العملاقة ، لقد شهد الربع الأخير من القرن العشرين انشاء وكالات أنبـاء وطنيـــة فى الـــدول الحديثـــة الاستقلال .. ولكن هذه الوكالات المحلية وإن تفاوتت قدرتها تظل محدودة التأثير .

إن معرفة دولة نامية أخبار جارتها تتم عن طريق وكالات الانباء الدولية والمشكلة تتعلق بالوقاية من تحريف الأخبار والإساءة الى المخلصين مثل تسمية المجاهدين بالمخربين وماشابه ذلك ، وتتعلق بأن القارىء فى البلدان النامية أو المستمع أو المشاهد لا يجد أخبارا تتعلق بواقعة إنما يجد سيلا من الاخبار المتعلقة بالدول الغنية المتقدمة والمؤسسات الدولية الكبرى .

وينص الدكتور / محمد سيـد على أن هذه الوسائل الإعلامية المختلفة المستخدمة فى الغزو الثقافى قابلة للتعدد والتجدد باختلاف الظروف ، فنجد البحوث المشتركة وتأثر المبعوثين ضعاف النفوس وتأثر المتزوجين بالأجنبيات من مرضى القلوب ، وغير ذلك من الوسائل التى تتنامى كلما وهن وضعف وارتخى النسيج الثقافى فى العالم العربى .

يتبع بالجزء الأخير

بين المجلة والقارىء

إعداد الأستاذ / عبد السلام ناصف

دراسة كتب المواجهة

فى رسالة قيمة بعث بها فضيلة الاستاذ الدكتور محمود توفيق سعد أستاذ ورئيس قسم البلاغة والأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع شبين الكوم يقترح فيها أن تقوم المجلة بدراسة ما يكتب فى سلسلة المواجهة والتنوير بأيدى علماء مجمع البحوث الإسلامية وهيئة كبار العلماء لتفنيد الباطل منها على غرار كتاب الفريضة الغائبة التى تم نشره فى هدية شهر المحرم عام ١٤١٤ هـ .

مع زيادة أعدادها وفتح أسواق جديدة لها فى مدن الصعيد وقراه ـ ففى ذلك نفع للأمة .

والمجلة تتقدم لفضيلته بخالص الشكر والتحية على اقتراحه راجية له دوام التوفيق .

الكتب التى غيرت وجه التاريخ

كان الكتاب ـ ولا يزال ـ أول وسيلة إعلامية ، وفى بحث علمى دقيق للأستاذ أحمد سلام بثقافة شبين الكوم يعدد فيه الكتب التى غيرت وجه التاريخ وعلى قمتها القرآن الكريم ثم كتب الأحاديث النبوية الشريفة والسيرة العطرة .

ولم ينس بعض كتب الغرب التى أثرت المكتبة العالمية وأثّرت فيها حيث حدد منها ثمانى كتب قيمة .

غير أنه يعود للتركيز على الكتب العربية القديمة التى نهل منها الأوربيون وكانت المورد لنهضتهم فيما عرف بعصر النهضة ـ حيث اختار أكثر من عشرين كتابا من أشهرها مؤلفات البيرونى والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ـ ومعجم البلدان للحمودى ـ ونزهة المشتاق للإدريسى ـ ومقدمة ابن خلدون ـ وتحفة النظار لابن بطوطة .

كما اهتم بكتب الطب والكيمياء والنبات واختار منها :

كتاب المناظير لابن الهيثم ـ وميزان الحكمة لابن الخازن ـ والحاوى للرازى ـ والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوى .

أما عن كتب الفلسفة والمنطق :

فقد ذكر أهل المدن الفاضلة للفارابى ـ والشفاء لابن سينا ـ وإحياء علوم الدين للغزالى .

ولم ينس كتاب الأغانى للاصفهانى ـ والبيان للجاحظ ـ وتاريخ الأمم للطبرى ولقد أنهى بحثه بالحديث عن كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوى الذى حوى أكثر من ثلاثين مقالة فى الطب فى فروع الجراحة والكسور والبتر وآلام الفاصل ـ وعلاج الشرايين ـ واستخراج الحصاوى وإخراج الجنين ، وحدد نوعية الآلات التى تستخدم فى ذلك .

ولقد طبع الكتاب بأكثر من لغة ودرس فى أكثر من جامعة وله الفضل فى بزوغ عهد النهضة .

أضرار التدخين

فى رسالة مطولة لفضيلة الشيخ مصطفى عبداللاه محمد يتحدث فيها عن أضرار التدخين ـ ويوضح فيها أن التدخين من الخبائث حيث يرى أنه محرّم ثم يعدد أضراره الصحية فيؤكد أن هناك دراسات أثبتت أنه يحمل أكثر من مائتى ميكروب منها ما هو خبيث ومنها ما هو قاتـــل ، وأن المدخن إنما يضر بصحته وصحة من حوله مخالفا قول الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ سورة البقرة ١٩٥ .

ومن أضراره المادية : إهدار المال فيما لايجلب نفعا بل يجلب الضرر والمرض حيث يُنفق على الدخان أكثر من مليارى جنيه فى العام عدا ما يتركه من آثار سلبية فى مجالات الإنتاج .

ومن أضراره الاجتماعية : انتشار الإدمان وإفساد تربية الأبناء عن طريق تقليد الآباء المدخنين وبذر بذور الشقاق بين الأزواج بسبب رائحته الكريهة التى قد تصل إلى حد الفراق والطلاق .

ومن أضراره الدينية : إيذاء المخالطين ، والحرمان من التوبة بعدم المقدرة عن الإقلاع وبالتالى الحرمان من الدعاء .

وينهى فضيلة الشيخ مقاله بالدعاء إلى الله أن يساعد المدخنين على الإقلاع عن التدخين وأن يشفى المدمنين منهم من هذا المرض الخطير .

افريقيا

فى رسالة مطولة من السيد يحيى النجار بدمياط تحوى بحثا عن افريقيا يوضح فيها أهمية هذه القارة المظلومة التى قسمها الاستعمار وزرع بين أقاليمها الشقاق وأشاع الفرقة بين أهلها .

ثم يطالب فى نهاية رسالته بالاهتمام بها ورعاية أهلها حتى لا تقع بلادها فى براثن التنصير .

والمجلة تشكر سيادته على هذا التنبيه وإن كان يسعدها أن تفيده بأن للأزهر بعثات رائدة فى أغلب أقطارها ، وافتتح بأغلبها معاهد أزهرية وهو فى سبيله إلى إنشاء جامعة أزهرية بها ، فضلا عن استقباله للكثير من أبنائها الذين يتلقون العلم فى معاهده مع تدبير الإقامة والإعاشة والرعاية لهم .

كما ينظم الأزهر دورات تدريبية لأئمتها مع أئمة مختلف دول العالم حيث لا تخلو دورة من أحد أبناء هذه القارة .. ونحن الآن فى الدورة السادسة والعشرين بمدينة البعوث الإسلامية .

ردودٌ.. وتعليقات

الأستاذ رفعت أوقودن ـ المعيد بقسم اللغة العربية بكلية الشريعة ـ جامعة سليمان دى ميرال ـ تركيا .

والأستاذ طويل بن يوسف ـ من ولاية معسكر ـ الجزائر :

يمكنكما الاتصال بمؤسسة الأهرام ـ بالقاهرة ـ شارع الجلاء حيث هى الجهة التى تقوم بتسويق المجلة وتحصيل الاشتراكات .

الأستاذ ياسين كخيا المعيد بكلية الإلهيات ـ جامعة حران ـ تركيا :

المجلة ترحب بالكتابات العلمية والإسلامية وغيرها ويمكنكم الاتصال بإدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر بالقاهرة لإمدادكم بما تطلبون .

الأستاذ شحاته أحمد أبو بكر ـ بنى سويف :

تتقدم المجلة بالشكر والتقدير لكم على أبحاثكم المتضمنة لهذه الأفكار الإسلامية السوية ـ وتتمنى معك تحقيقها ليستقيم الأمر ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

الأستاذ ناجح جاد عبد الرحيم ـ كلية التربية ـ جامعة أسيوط :

المجلة ترحب بأى بحث علمى ـ طالما كان هدفه خدمة الدين والمجتمع ونحن فى انتظار ما تجود به قريحتك بأى لغة .

الأستاذ عادل على إسماعيل ـ قورص ـ أشمون ـ منوفية :

لعلم العروض كتبه وأساتذته ـ ولا يمكن تدريسه بالمراسلة ـ ولكن يمكنك الاستعانة بأحد أساتذته بمعهد أشمون الأزهرى ـ ويعتبر كتاب اللباب للأستاذ كامل شاهين من أحسن ما كتب فى علم العروض مادة وأدبا .

القارىء الأستاذ محمد فتحى نعيم ـ كلية الهندسة ـ جامعة المنصورة :

لا نستطيع الحكم على كتاب لم نطلع عليه ـ وكنا نأمل المزيد من المعلومات عنه أو ارسال نسخة منه حتى يمكن تحويلها إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية لتحديد مدى صلاحية تداولها .

الأستاذ محمد عبد المجيد أبو الخير :

لم يصل للمجلة مع كتابكم الرقيق أى قصيدة شعرية ـ حيث لا نتوانى فى نشر أى إنتاج جيد صالح للنشر .

الأستاذ حسين عبد المطلب الأسرح ـ دراسات عليا ـ كلية التجارة ـ بنها :

يمكنك الاتصال بكلية التجارة ـ بجامعة الأزهر ـ وسوف تجد فيها ضالتك وما تصبو إليه ـ حيث أنها هى جهة الاختصاص بموضوع الاقتصاد الإسلامى ـ والله يوفق خطوك وإلى الأمام .

الأستاذ عبد الله أحمد يوسف ـ بالمملكة العربية السعودية :

ليس من مهام مجمع البحوث الإسلامية أو جامعة الأزهر منح شهادات علمية عن طريق

المراسلة ـ هذا وإدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية ـ بمدينة نصر بالقاهرة تتلقى أى بحث أو مقال أو كتاب لمراجعته وتصحيح مفاهيمه وتنقيته مما قد يشوبه من أى خطأ أو تحريف ـ ونحن فى انتظار إنتاجكم .

الأستاذ إبراهيم حفناوى ـ القرين ـ شرقية :

اقتراحكم تحت الدراسة ونتمنى أن يتحقق لصالح الجميع بمشيئة الله .

إلى الطبيبة ل.ا ـ بكلية الطب ـ جامعة الأزهر ـ قسم الرمد :

لعل أسعد لحظات المرء هى لحظة أن يعطى ـ وان تكون يده هى العليا ـ فاليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى .

فمزيداً من العطاء ـ ولا تهتمى بما يوضع من عقبات أو بيروقراطيات فى طريقك ـ فالله وحده عنده حسن الثواب .

إلى القارىء الأستاذ قطب سالم عوض الادارة الصحية ـ أبو حمص ـ بحيرة :

أولياء الله عباده المختارون ، لهم منا كل تقدير وإكرام ، والأزهرالشريف لايقف من ولى من أولياء الله إلا كل موقف كريم ، إيمانا منه بأن مايدور حول قبور الأولياء الكرام من بدع لاشأن للأولياء الكرام بها ، ولايقبل الأزهر مساسا بميت مسلم مهما كان أمره ، فقد أفضى إلى ماقدم ، ونسأل الله ـ سبحانه ـ هُدًى لمن يزور هذه القبور ، ليلتزم بسنة الزيارة كما ورثناها عن رسول الله ﷺ .

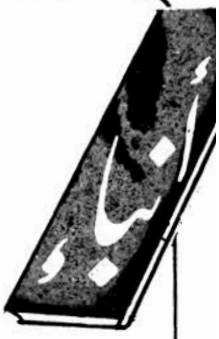
من ابداعات القراء

جاءنا من الطالبة فاتن شوقى على ـ بقسم اللغة العربية ـ بكلية الآداب ـ جامعه المنصورة ـ قصيدة نقتطف منها :

أشكو لمن ؟ والحزن صار كتومأم ... واليأس ينسى عشه فى أعظمى
والعين تأسى بالدموع ترقرقت ... والنطق يشكو بثه بترنم
وطنى ! وأسأله فكيف يجيبنى ... الخطب ينزف فى الحنايا بالدم
عرب تناثر بينهم إسلامهم ... ما بالهم يتحدثون كنوَّم
جسد العذارى فى سراييفو غدا ... نهبا لصرب فى حضيض تهجم
يصرخن لاعمٌّ يغيث ولا أخ ... اما فى شريعتنا غياث المسلم
ياقوم هبّوا فالمصائب جمة ... وتدبروا أحوالنا بتفهم
بالأمس « واغوثاه معتصماه » قد ... ساقت جيوشا كالقضاء المبرم
هيا لنعلى راية الإسلام فى ... وطن العروبة باحترام الضرغم
كان الجدود شموس مجد فى الورى ... كونوا بلألاء العلا كالأنجم

مع تمنياتنا بدوام التوفيق والدقة فى مراجعة النصوص الشعرية .


أنباء وآراء



مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى والسيد مستشار الرئيس السنغالى

والسيد رئيس وزراء السنغال الأسبق

● التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٥ من صفر ١٤١٥ هـ/ ٢٢ من يوليو ١٩٩٤م وسماحة الشيخ محمد مأمون ابراهيم نياس مستشار رئيس الجمهورية السنغالى للشئون الإسلامية ومؤسس جمعية روضة القرآن والتربية الثقافية بالسنغال .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة السنغال فى مجال التعليم وتخصيص المنح وإيفاد المبعوثين من الأزهر الشريف لدولة السنغال ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الاحتياجات التى تقدم بها الضيف والعمل على تلبيتها فى أقرب فرصة .

● والتقى فضيلته صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من صفر ١٤١٥هـ ٢٦ من يوليه ١٩٩٤ والحاج/حمادو ضيا رئيس مؤسسة السلام والتنمية ورئيس وزراء السنغال الأسبق ، والسيدة حرمه بحضور السيد محمد شمس الدين أندوى سفير السنغال بالقاهرة وعميد السلك الدبلوماسى الأفريقى بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم مؤسسة السلام والتنمية التى يرأسها الحاج حمادو ضيا فى المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية من خلال علاقات التعاون بين المؤسسة وهيئات الإغاثة الإسلامية والأزهر الشريف .

مفهوم الأمة الإسلامية موجود وباق

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر الشريف فى إحدى جلسات المؤتمر السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على أن مفهوم الأمة الإسلامية بكيانها الذى كانت عليه موجود وباق حتى الآن مشيرا إلى أن شكل الأمة الإسلامية قائم بالتزامها بدينها ، ولكنها فقدت الشكل السياسى الذى كان على رأسه أمير المؤمنين ، كان ذلك تعقيبا على ما أثاره الشيخ محمد رشيد قبانى القائم بأعمال مفتى لبنان من أن المسلم يشعر بغربة فى بلد إسلامى آخر لا يتحدث لغته وأن الشعوب الإسلامية لم تعد لديها الوحدة التى تجمعها .

ورأى فضيلة شيخ الأزهر أنه يجب على أعضاء المنظمة العالمية للأمم المتحدة القيام بواجبهم مؤكدا على أن أعضاءها هم الذين تخلوا عن حركتها ، وطالب الكتاب المخلصين لدينهم أن يساهموا فى علاج أمراض أمتهم بالحكمة والكلمة المستنيرة .

● تحدث فضيلة الإمام الأكبر فى جمع من الأئمة الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم للاشتراك فى الدورة السادسة والعشرين للأئمة والدعاة التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة الاسلامية بالأزهر الشريف ، فأكد فضيلته على أن المسلمين مأمورون بمعايشة كل الناس بحب وإخلاص من خلال علاقات إنسانية على أفضل صورة دون النظر إلى جنس أو لون أو دين .

وأشار فضيلته إلى أن كل مسلم مطالب بأن يمارس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى كتابه العزيز .

يشارك فى هذه الدورة عدد كبير من علماء الدعوة من كل من نيجيريا وساحل العاج والكاميرون وسيريلانكا واستراليا واوزبكستان ، كما ألحق للدراسة بهذه الدورة عشر طلاب من السنوات النهائية بكليات الشريعة واللغة العربية وأصول الدين من جنسيات مختلفة .

شهد الحفل الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى الأمين العام المساعد للدعوة بالأزهر والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة .

الإمام الأكبر يلتقى

وسماحة مفتى جبل لبنان

التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح الثلاثاء الموافق ٢٤ من صفر ١٤١٥ هـ وسماحة الدكتور محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى لبنان ، وقد طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيادة عدد أعضاء بعثة الأزهر فى لبنان نظرا لاعتماد المؤسسات الدينية هناك اعتمادا كليا على علماء الأزهر الشريف . وذلك لما لهم من مكانة خاصة فى نفوس المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

وفى نهاية اللقاء شكر الضيف للأزهر موقفه الرائد فى مطالبته برفع الحظر المفروض على تسليح المسلمين فى البوسنة والهرسك .

إيفاد علماء واساتذة من الأزهر للمشاركة فى مؤتمرات وندوات دولية

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ايفاد السيد الدكتور محمد محمد محمد رضوان أبو ليلة الاستاذ المساعد بشعبة الدراسات الاسلامية باللغة الانجليزية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر لحضور المؤتمر العالمى السادس للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم المنعقد فى باندونج باندونيسيا فى الفترة من ٢٠ ــ ٢٣ من ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ٢٨ ــ ٣١ من أغسطس ١٩٩٤م .

● كما وافق فضيلته على إيفاد كل من السيد الاستاذ الدكتور أحمد سعد الدين على البساطى عميد كلية الدراسات الاسلامية بدمياط وفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود محمد عسكر مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر إلى نيامى للمشاركة فى دورة تشكيل موجهين فى مجال الأسرة المزمع عقده فى المدة من ٢١ ــ ٢٣ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ٢٩ ــ ٣١ من اغسطس ١٩٩٤م .

إنشاء كلية جديدة بمحافظة كفر الشيخ

● ووفق على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنين تابعة لجامعة الأزهر مقرها مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ .

حركة ترقيات للعاملين بالازهر

اعتمد فضيلة الشيخ السيد سعود وكيل الأزهر الشريف حركة ترقيات واسعة شملت ٣٦٣ موظفا وعاملا بالدرجات الأولى حتى الخامسة تنفذ الحركة إعتبارا من السادس من ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ١٤/٨/١٩٩٤م .

وذلك وفق القرار رقم ١١٧٩ الذى أصدره فضيلة وكيل الأزهر الشريف فى ٦ من ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٤/٨/١٩٩٤م .

على هامش

المؤتمر السادس

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

افتتح الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء نائبا عن السيد رئيس الجمهورية المؤتمر العام السادس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد بمدينة الإسكندرية فى الفترة من ٨ ـ ١١ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ / ١٦ ـ ١٩ من أغسطس ١٩٩٤ م ، برعاية سيادته وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

بدأت أعمال المؤتمر بالجلسة الافتتاحية التى عقدت صباح يوم الثلاثاء ٨ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ / ١٦ من أغسطس ١٩٩٤ م ، وشهدها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر .

كذلك شهدها السادة :

ـ الأستاذ الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية .

ـ الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .

ـ الأستاذ الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

ـ الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

ـ الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأمين المؤتمر .

ـ السيد المستشار اسماعيل الجوسقى محافظ الاسكندرية .

وعدد من السادة الوزراء وكبار رجال الدولة ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف وأساتذة جامعة الأزهر .

وقد افتتحت الجلسة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأمين عام المؤتمر كلمة أكد فيها على الدور المؤثر الذى يمكن أن يقوم به العالم الإسلامى فى التوازن الدولى من خلال الرسالة الإلهية التى تتميز بالشمولية والوحدة الروحية والإيمانية ، والتى يمكن أن تؤثر بقوة فى مستقبل الإنسانية بصفة عامة والعالم العربى والإسلامى بوجه خاص .

بعد ذلك تحدث الدكتور على فهد الزميع وزير أوقاف الكويت فألقى كلمة الوفود التى أكد فيها على

أن العالم الإسلامى يواجه تحولات إقليمية وعالمية جذرية مشيراً إلى بعض االأقطار الإسلامية التى تئن تحت ضغوط وصعاب هائلة تتمثل فى انتشار الحروب والصراعات العرقية والدينية والمذهبية على جميع الأصعدة .

ثم تحدث السيد المستشار اسماعيل الجوسقى محافظ الإسكندرية مرحباً بالوفود المشاركة فى المؤتمر على أرض الاسكندرية مشيراً إلى أن هذا الحشد الإسلامى الكبير يعكس مدى التآخى والتلاحم بين الأمة الإسلامية مؤكدا على أن المتغيرات العالمية المعاصرة من حولنا تؤكد أهمية الوحدة والتضامن بين بلدان العالم الإسلامى .

كما ألقى الدكتور حامد الغابد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى كلمة عبر فيها عن شكره وتقديره للرئيس مبارك لرعايته لهذا المؤتمر ودعا خلال كلمته الدول الإسلامية إلى ضرورة التضامن والتعاون وتوحيد الجهود ليكون لها دور فى النظام العالمى الجديد .

ثم ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة أشار فيها إلى أن المؤتمر ينعقد فى فترة من أخطر الفترات وأهمها على الاطلاق ؛ حيث اختلطت فيها المفاهيم وزاغت الأبصار عن رؤية الحق .

كما أشار سيادته إلى أن عالم اليوم هو عالم الكيانات العملاقة والتقدم العلمى الكبير الذى لا مكان فيه للضعفاء والمتخلفين .

وطالب الوزير فى ختام كلمته الأمة بالتحرك فى كافة الاتجاهات ؛ لتسترد مكانتها بين الأمم والشعوب .

ثم كانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى أكد فيها فضيلته على ضرورة قيام علماء الأمة الإسلامية بوضع تشخيص دقيق لمشكلات الأمة من أجل وضع العلاج المناسب واللازم لها بما يمكنها من أداء دورها الفعال وأخذ مكانها الملائم فى مصاف الأمم والمجتمعات المتقدمة بما تملكه من حضارة وثقافة .

ودعا فضيلته الإمام الأكبر إلى ضرورة التنسيق والتعاون المشترك بين الدول الإسلامية فى مجالات التربية والتعليم والدعوة بهدف حسن إعداد الأجيال القادمة الواعية بأمور دينها .

وأوضح فضيلته فى ختام كلمته أهمية الدور الذى يقوم به الإعلام فى الدول الإسلامية من أجل حماية قيم ومثل المجتمعات الإسلامية خاصة فى ضوء ثورة الاتصالات والمعلومات .

بعد ذلك ألقى الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء كلمة السيد رئيس الجمهورية التى وجهها سيادته لأعضاء المؤتمر والتى دعا فيها المسلمين إلى الارتفاع فوق دواعى الأنانية وأوهام العزلة مؤكدا على أن توجيه الجهود وتنسيق الأعمال والانشغال بقضايا الأمة هو الطريق الوحيد لرعاية الأقطار المختلفة .

وقد وافق المؤتمر فى جلسته الافتتاحية على الاقتراح الذى تقدم به الدكتور محمود صفر وزير الحج السعودى أن تكون كلمة السيد الرئيس وثيقة عمل للمؤتمر وذلك لما اشتملت عليه من مبادىء ومقترحات لمواجهة مشكلات العالم الإسلامى .

وقد عقد المؤتمر تحت شعار « الأمة الإسلامية حاضرها ومستقبلها » . حيث شارك فيه أكثر من مائة عالم ووزير أوقاف يمثلون أكثر من مائة دولة مسلمة ، كما شاركت فى المؤتمر بعض دول غير إسلامية منها اليابان والصين وسنغافورة ومقدونيا وبورما وكوريا الجنوبية .

كما شارك فى المؤتمر مستشارين لرؤساء دول فلسطين والسنغال واوزبكستان .

وقد ناقش السادة الحضور على مدى أربعة أيام فى جلسات صباحية ومسائية أكثر من خمسة عشر بحثا عالجت ـ من خلال خمسة محاور أساسية ـ هموم وقضايا الأمة الإسلامية .

وقد اشتملت هذه المحاور على الجوانب الحضارية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية من خلال المنظور الإسلامى .

كما تناولت المناقشات التوجيهات العالمية الجديدة والتعاون بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم الأخرى .

وكان من أهم الموضوعات والأبحاث التى نوقشت فى اليوم الثانى للمؤتمر البحث الذى تقدمت به الدكتور أمنة محمد نصير عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية حول حقوق المرأة المسلمة بين الجمود الفكرى والمفهوم الحضارى .

كذلك البحث الذى تقدم به الدكتور عبدالصبور مرزوق حول مستقبل المسلمين فى العالم اليوم والذى انتهى فيه إلى ضرورة استمرار الحوار بين الشمال والجنوب الإسلامى لتذويب الفوارق والقضاء على التبعية لغير المسلمين ، كذلك البحث الذى تقدم به الأستاذ الدكتور السعدى فرهود والذى أكد فيه على ضرورة الاهتمام باللغة العربية « لغة القرآن الكريم » لتنشئة أجيال واعية قادرة على اتقان اللغة العربية .

كما نوقشت عدة أبحاث أخرى تقدم بها كل من الدكتور عبدالمجيد الطرابلسى وزير الأوقاف السورى ومصطفى السيسى مستشار رئيس جمهورية السنغال والدكتور محمد كريمات وزير شئون الحج فى بنجلاديش .

وفى اليوم الثالث للمؤتمر حفلت الجلسات بمناقشات هامة ومساجلات واعية وعميقة بين المشاركين حول قضايا ومشكلات العالم الإسلامى المعاصر ، وسبل حلها وكان من أبرز تلك القضايا ما أثاره الشيخ محمد رشيد قبانى القائم بأعمال مفتى لبنان أن المسلم يشعر بغربة فى بلد إسلامى آخر لا يتحدث لغته ، وأن الشعوب الإسلامية لم تعد لديها الوحدة التى تجمعها .

وقد علق فضيلة الإمام الأكبر على ما أثاره السيد رشيد قبانى مؤكدا أن مفهوم الأمة الإسلامية بكيانها وما كانت عليه موجود وباق حتى الآن مشيرا فى هذا الصدد إلى أن الأمة الإسلامية قائمة بالتزامها بدينها ولكنها فقدت الشكل السياسى الذى كان على رأسه أمير المؤمنين .

وحول اقتراح تقدم به أحد المشاركين فى المناقشات بأن يكون للمسلمين مقعد فى مجلس الأمن ، أشار فضيلته إلى أنه يجب على أعضاء المنظمة القيام بواجبهم مؤكدا على أن أعضاءها هم الذين تخلوا عن حركتها .

وطالب فضيلته الكتاب المخلصين لدينهم أن يساهموا فى علاج أمراض أمتهم بالحكمة والكلمة المستنيرة .

وقد عقد المؤتمر جلسته الختامية صباح يوم الجمعة الموافق ١٩ / ٨ / ١٩٩٤ حيث ألقى السيد الأستاذ الدكتور أمين عام المؤتمر البيان الختامى والقرارات والتوصيات الصادرة عنه .

وقد أشاد المؤتمر فى بيانه بموقف الرئيس محمد حسنى مبارك الواضح حول مؤتمر السكان والتنمية المزمع عقده فى القاهرة فى شهر سبتمبر الحالى وما أكده الرئيس مبارك من رفض مصر لكل ما يخالف الشريعة الإسلامية وما يتنافى مع قيم وتقاليد وأخلاق الشعب المصرى .

كما أعلن المؤتمر تأييده الكامل لكل ما جاء فى بيان مجمع البحوث الإسلامية الصادر حول وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ، وقد جاء هذا التأييد بعد مناقشة المؤتمر للوثيقة وموقف الأزهر ومجمع البحوث وما أثير فى الصحف حولها أثناء انعقاد المؤتمر .

وكان من أبرز القرارات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر ما يلى :

أولا : التأكيد على أهمية وضرورة الالتزام بأحكام الإسلام السمحة بجوانبها المختلفة العقائدية والتشريعية بعيدا عن الغلو والتطرف والتعصب المذهبى ، كما طالب المؤتمر الدول الإسلامية التى تأخذ بنظام الشورى تعميق مفاهيم ذلك النظام .

ثانيا : المطالبة بتكريم لغة القرآن (اللغة العربية) بحيث تصبح لغة دولية مطالبا فى هذا الصدد الدول التى لا تتحدث العربية وتعتنق الإسلام أن تعمل على نشر اللغة العربية مستقبلا . كما طالب المؤتمر بضرورة التنسيق بين برامج التعليم المختلفة ومنها الاهتمام بالقيم الدينية والأخلاقية فى مواجهة الغزو الثقافى والوقوف أمام عمليات التغريب والأفكار الهدامة المتطرفة .

ثالثا : التأكيد على عروبة القدس وأهميتها التاريخية والدينية وتحمل المسلمين مسئولية تحريرها كعاصمة تاريخية لفلسطين وحماية الأماكن المقدسة بها وكفالة حريتها لكافة الأديان .

رابعا : مناشدة المجتمع الدولى تحمل مسئوليته بإلغاء القرار الذى يحظر مدّ الشعب البوسنى بالسلاح لتمكينه من ممارسة حق الدفاع الشرعى وتقديم مجرمى هذه الحرب إلى المحاكمة الدولية

خامسا : دعوة منظمة المؤتمر الإسلامى وسائر المنظمات والبلدان الإسلامية والعربية إلى مضاعفة الجهد لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى لأجيال المغتربين من خارج ديار الإسلام .

سادسا : مناشدة العلماء والمفكرين وجهات النشر التصدى بالتصويب لكل ما يصدر من كتب ونشرات وأفلام وغيرها تشوه صورة الإسلام .

سابعا : الدعوة إلى مزيد من صور التآخى ومد الجسور للتعاون والتلاقى فى حوار هادف بين أبناء الديانات السماوية لاستخلاص المبادىء والقيم المشتركة بين أتباع الرسالات السماوية التى جاءت لإسعاد البشرية وإشاعة روح التسامح والمحبة والسلام بين أبناء البشر جميعا .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

خبر هام

قررت جامعة الأزهر اعتبار حفظ القرآن الكريم كاملا شرطا أساسيا للحصول على أى من درجتى الماجستير والدكتوراه من الأزهر .. وأصدر رئيس الجامعة قرارا بعدم السماح لطلاب الدراسات العليا بمناقشة رسائلهم إلا بعد اجتياز حفظ القرآن الكريم كاملا .

جزر القمر

أكدَّ رئيس جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية اهتمام حكومته بالتربية الدينية والتمسك بالهوية الإسلامية .

جاء ذلك خلال اللقاء الفكرى الذى جرى بينه وبين الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى .

كما أعرب سيادته عن شكره للرابطة على اهتمامها بتوثيق علاقات التضامن مع بلاده خصوصا فى مجال التعليم والثقافة والدين .

جامعة الأزهر

يجرى حاليا البدء فى إنشاء مبنى لكلية الشريعة والقانون وآخر للدراسات الإسلامية والعربية للبنين وكذلك إنشاء مستشفى تعليمى على أحدث مستوى لتدريب طلاب وطالبات كليات طب الأزهر بمدينة نصر ، وذلك فى إطار الخطة الجديدة لموازنة جامعة الأزهر هذا العام .

كينيا

قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إنشاء مركز إسلامى فى العاصمة نيروبى بالاضافة إلى

بعض المشروعات الخيرية والجدير بالذكر أن منظمة المؤتمر الاسلامى قدمت ٦٥ ألف دولار للمساهمة فى إنجاز هذه المشاريع الهامة .

الســـــنغال

أقيم مؤخرا بمدينة لوغا بالسنغال احتفال بمناسبة تخرج الدفعة الأولى من الطلاب الحاصلين على شهادة الثانوية العامة والإعدادية من معهد الحنفية الإسلامى .

الهنـــــد

تقوم حاليا لجنة من بعض العلماء المسلمين بالهند بإعداد الدراسات اللازمة لإنشاء جامعة الشيخ مظهر الحق العربية ، وذلك فى ولاية بتنا بالهند وستقوم هذه الجامعة بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية لأبناء المسلمين هناك .

باكستـــــان

يعقد فى باكستان فى الفترة من السابع الى الخامس عشر من اكتوبر المقبل الاحتفال العالمى الأول للحرفيين من العالم الإسلامى ، وينظم الاحتفال مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ومقره اسطنبول بتركيا بالتعاون مع وزارة الثقافة الباكستانية ، وسيقوم منظمو المؤتمر بعقد ندوات من البحث فى كيفية الحفاظ على الحرف اليدوية فى العالم الإسلامى وتطويرها .

هذا وسيتم منح (١١) جائزة للفائزين فى المسابقات المختلفة التى ستقام على هامش الاحتفال وذلك للحرف اليدوية المختلفة .

إلى الســـــادة الكتـــــاب

على السادة كتاب المجلة أن يتفضلوا فيرفقوا بمقالاتهم :

١ ـ اسم كل منهم مطابقاً تماماً لما تحمله البطاقة الشخصية أو العائلية أو جواز السفر .

٢ ـ ونوع عمله ، وتبعيته للمصلحة التى يعمل بها ، وإن كان من ذوى المعاشات ينص على ذلك .

٣ ـ يُدَوّن رقم حسابه الجارى بالبنك مع تحديد أقرب فرع لبنك مصر إليه .

وفى حالة عدم وجود رقم حساب يخطر إدارة المجلة بأقرب فرع لبنك مصر إليه .

هذا ويؤسف إدارة المجلة أن تعلن أن المقال الخالى من هذه المعلومات لن يلتفت إليه ، كذلك ليست المجلة مسئولة عن رده .

رئيس التحرير

son agresseur 'Omar dit : "Béni soit le seigneur. Qui a fait que mon assassin ne soit pas un musulman : je sais que les arabes n'auraient jamais pensé à me tuer".

On emporta le prince des croyants à sa maison et on lui dit : "permets-nous d'amener un physicien". Omar répondit : "Faites ce que vous voudrez" On fit donc chercher un physicien des Béni-Hârith, nommé Ka'b; c'était un homme savant. Cet homme lui fit boire de l'eau; elle sortit par la blessure qu'il avait sous le nombril; puis il lui fit boire du lait, qui sortit également. Alors le physicien dit : "Prince des croyants, fais ton testament, car ta fin est proche". "Omar répliqua : "Je l'ai déjà fait". Ensuite il fit appeler 'Ali, 'Othman, Zobaïr et Sa'd et leur parla en ces termes : "Le prophète, au moment de quitter ce monde, était satisfait de vous; il ne faut donc pas que vous soyez privés de cette succession. Délibérez, pendant les trois jours qui suivront ma mort avec Talha, s'il peut être présent, sinon à vous quatre, pour choisir l'un d'entre vous à qui vous imposerez la charge du gouvernement. Je recommande à celui qui aura été choisi d'être bienveillant envers les ançars, de traiter avec bonté les arabes, qui sont la force de l'islamisme. Je lui recommande aussi la bienveillance envers ceux qui appartiennent à d'autres religions". Après avoir prononcé ces paroles, 'Omar sentit faiblir ses forces; il fut hors d'état de parler, et il ferma les yeux. Il resta ainsi pendant quelque temps; puis il ouvrit les yeux et demanda à son fils 'Abdallah, qui était assis à son chevet, d'aller trouver 'Aïcha la mère des croyants (a.s.e) pour lui demander la permission de l'enterrer à côté du prophète; car cet endroit lui appartient à elle "Si elle donne la permission dit-il, enterre-moi là; si elle me la refuse, fais-moi enterrer au cimetière des musulmans". 'Omar rendit le dernier soupir et fut enterré à côté de ses deux compagnons : le Prophète (salut et bénédiction sur lui) et Abou-Bakr As-Siddik. Celui qui aura un jour le privilège de visiter Médine, qu'il salue le dernier des prophètes ainsi que ses deux fidèles compagnons enterrés à côté de lui. 'Omar (qu 'Allah soit satisfait de lui) est mort le 26 du mois de Dhoul-Hidjja de l'an 23 de l'Hégire. Il était âgé de 63 ans. Il légua à son successeur un Etat en plein essor, dont la superficie était aussi grande que la pénétration de l'Islam dans le coeur de ceux qui l'avaient rejoint.

Que «Allah bénisse Omar Ibn Al-Khattab» et le comble de Ses Bienfaits pour tout ce qu'il a fait pour la communauté.



Commentaire autour de l'assassinat de Omar Ibn Al-Khattab et l'assassinat de Othman Ibn Affan

par Hoda Hussein Cha'rawi

Le califat de Omar Ibn Al-Khattab a duré 10 ans et 6 mois. A la vingt-troisième année de l'Hégire Omar fit le pélerinage et emmena avec lui toutes les femmes du prophète (salut et bénédiction sur lui) et il préleva les dépenses de leur voyage sur le trésor public. Lorsqu'il rentra à Médine, vers la fin de l'année, il fut assassiné et mourut de la main d'un esclave d'Al-Moughira nommé Faïrouz, et surnommé Abou-Lou-Loua. Mais pourquoi cet esclave tua-il le prince des croyants? Ce Faïrouz était un esclave abyssin chrétien.

Cet homme était venu trouver 'Omar pour se plaindre de son tuteur Al-Moughira qui lui avait imposé le paiement d'une somme qui lui permettrait de s'affranchir et qu'il estima à deux dirhams par jour, et qu'il jugeaît trop lourde. 'Omar lui demanda ce qu'il savait faire. "Je suis, répondit l'esclave, charpentier, peintre graveur et je suis aussi forgeron 'Omar considéra que le montant de la taxe était logique par rapport à son savoir-faire. Alors Faïrouz s'en alla fâché en disant : "Tout le monde a droit à la justice sauf moi".

Lorsqu'il s'en alla, 'Omar fit remarquer à ceux qui étaient présents dans son assemblée que l'homme l'avait menacé; il ne se préoccupa plus de cela, et avait même l'intention de parler à Al-Moughira pour qu'il soit plus indulgent avec lui.

Trois jours après, un mercredi, avant la fin du mois de Dhoul-Hidjja, vers l'aube Omar se rendit à la mosquée pour la prière. Les compagnons du Prophète-salut et bénédiction sur lui-étaient tous présents et rangés en files. Abou-Lou Loua s'était placé au premier rang. Il avait un couteau abyssin, un couteau double, dont le manche est au milieu, avec une lame tranchante à chaque bout. Les Abyssins se servent de ces couteaux pour pouvoir frapper dans deux directions, vers la droite et vers la gauche. Il faisait encore sombre lorsque 'Omar passa devant Abou-Lou'Loua, qui se précipita sur le calife et le frappa de six coups de couteau, dans les côtés droite et gauche de son corps, sur le bras et sur le ventre, et un coup au-dessous du nombril, coup qui fut mortel. 'Omar était grièvement blessé mais ceci ne l'empêcha pas de désigner Abd-Arrahmâne Ibn Auf pour présider à la prière en assemblée. Lorsqu'il fut informé de l'identité de

12- L'Islam ne fait aucune différence entre le mâle et la femelle en ce qui concerne l'importance de l'éducation et de la surveillance. ils constituent les deux piliers essentiels dans la structure de la société.

D'ailleurs, l'Islam traite équitablement le mâle et la femelle en ce qui concerne les obligations et les droits prescrits par la religion selon les capacités et les responsabilités de chacun d'eux, et selon la coopération commune qui vise le bien-être de la famille et par conséquent de la société.

Le domaine des activités dans le domaine du développement pour chaque sexe est assez vaste, que ce soit au sein de leur foyer, ou à l'extérieur, tout en essayant d'harmoniser les différentes obligations.

13- L'Islam impose le maintien des bonnes moeurs, aussi bien pour les petits que pour les grands, afin de sauvegarder constamment la conduite de toute influence négative, et il réserve à l'idéal un rôle influent dans ce sujet.

Voici quelques directives qui doivent être prises en considération lors de la discussion des questions qui seront traitées au cours de la conférence sur la population et le développement.

Ces directives sont présentées par l'Azhar dans le cadre de sa mission sacrée qu'il accomplit depuis des centaines d'années.

Qu'Allah nous accorde Son Concours.

Le président du Comité de la"Fatwa"
à la Mosquée Al-Azhar.
Attia Mohammad Sakr
Membre de l'Académie des Recherches Islamiques

(1) Voir verset 21 de la Sourate "Les Romains".
(2) Voir verset 71 de la Sourate "L'immunité" et les versets 45, 46 et 47 de la Sourate "L'Etoile".
(3) Voir verset 229 de la Sourate "La Vache".
(4) Voir verset 19 de la Sourate "Les Femmes".
(5) Voir les recommandations de la 8ème conférence de l'Académie des Recherches Islamiques.
(6) Voir verset 34 de la Sourate "Les Femmes".
(7) Voir verset 132 de la Sourate "TA.HA" et le verset 29 de la Sourage "L'Araignée".
(8) Voir, comme exemple, les paragraphes 2, 3, 43 et 45 du 7ème article du projet de programme d'action de la Conférence.
(9) Voir les versets 30 et 31 de la Sourate "La Lumière".
(10) Voir la décision de l'Académie des Recherches Islamiques prise dans la séance no. 7, session no.30, tenue le 19 Chawal 1414 Hg (31 Mars 1991).
(11) Voir comme exemple, l'article 7, paragraphe 3, 4, 5, 6 et 8.

et l'autorité, déclarer les guerres qui avortent les efforts humains dans le domaine du développement, et dont les conséquences néfastes font souffrir aussi bien le vainqueuré que le vaincu: tandis que ces efforts auraient pu être orientés vers le bien-être de tous ceux qui travaillent pour vivre.

7- C'est temporairement que l'Islam approuve le contrôle des naissances, afin de résoudre les crises créées par l'extravagance du cerveaux humain, et par la suite permettre à l'Homme d'accomplir de nouveau sa mission d'une façon normale telle qu'elle lui a été prescrite par "Allah".

8- L'Islam condamne catégoriquement l'avortement - que la grossesse soit le résultat d'un mariage légitime ou d'un adultère - sauf en cas d'urgence, quand la vie de la mère est en danger.

De même, l'Islam refuse la stérilisation permanente - de l'homme ou de la femme - qui les empêche de remplir leur fonction naturelle, à savoir la préservation de l'espèce humaine.

9- L'Islam accorde un intérêt majeur à la famille, car elle constitue la première cellule dans le corps de la société. Il a procuré les lois qui lui garantissent son équilibre et sa sérénité et l'aide à accomplir sa tâche dans le cadre d'une surveillance nécessaire pour chaque groupe visant le bien-être de ses membres, assurant l'échange des points de vue et la coordination des efforts dans une atmosphère harmonieuse pour son intérêt et l'intérêt des autres groupes qui collaborent en fin de compte pour assurer l'intérêt de la société humaine.

10- La famille stable et productrice est celle qui est basée sur le mariage légitime qui préserve l'espèce humaine, et éduque les générations dans un milieu sain où les droits et les obligations sont respectés, et qui contribue affectivement au bien-être de l'humanité.

11- L'Islam rappelle constamment l'importance de l'éducation parfaite des générations pour qu'elles puissent accomplir leur mission après leurs parents. Les parents sont les premiers responsables de cette éducation basée sur la bonne conduite qui sera contrôlée minutieusement.

D'ailleurs l'Islam refuse catégoriquement d'accorder une liberté non contrôlée aux jeunes, surtout pendant les périodes critiques de leur vie, ce qui nécessite la coopération et la mobilisation de tous les services de l'Etat pour accomplir ce devoir. Certes, la conduite est influencée par plusieurs facteurs intérieurs et extérieurs. Ces différents facteurs doivent être harmonisés et orientés dans une seule voie.

direction héritée par l'humanité depuis le jour où Adam est descendu sur terre, quand "Allah" lui dit: " La Direction vous sera indiquée, de Ma part. Quiconque aura suivi Ma Direction ne s'égarera poas et il ne sera pas malheureux".

Nous trouvons aussi dans les textes de l'Islam - la religion de tous les temps et de tous les lieux - l'esprit qui nous incite au bien et à recourir toujours au meilleur, confirmant que le croyant fort est plus proche d'"Allah" que le croyant faible. C'est la religion qui nous ordonne à tenir à tout ce qui peut servir l'Homme dans le cadre de sa religion et au cours de sa vie.

2- Dans le cadre du développement économique, l'Islam invite au travail continu, prenant en considération la coordination entre le culte et les besoins de son existence par les voies légitimes, pour assurer la dignité à l'Homme d'une part et pour l'aider à accomplir sa mission réformatrice d'autre part, en dénigrant la pauvreté qui conduit à l'ignominie et à l'humiliation ou le pousse à dévier du droit chemin.

3- L'Islam affirme que les ressources créées par "Allah" sont infinies, car "Allah" l'Omniscient, le Judicieux, et le Miséricordieux a créé les moyens d'existence de chaque créature sur terre avant même sa création, et il lui en a facilité le chemin et l'a ordonné de les chercher partout sur la terre, dans la mer, ou dans quelque autre endroit.

4- Au moment où l'Islam incite l'homme au travail fructueux et sérieux par les moyens légitimes, il l'incite également à tirer le meilleur profit des ressources en les orientant aux domaines légitimes avec modération, plaçant toute chose à sa place, tout en respectant les priorités imposées par les circonstances du temps et du lieu.

5- "Allah" a imposé cette politique de développement et a chargé l'être humain de son exécution, pas de différence entre homme et femme, grand et petit, à condition qu'il ait la capacité et la compétence de l'accomplir, tout en assurant la coordination entre les efforts et les moyens, et mettre chaque personne à la place qui lui convient pour s'assurer de la perfection de sa production et de sa conduite.

6- La rationalisation de la consommation et le bon usage des ressources ne signifient pas uniquement le fait de contrôler les naissances, car la reproduction est essentielle pour que la vie continue jusqu'au jour du jugement dernier.

En effet, il y a d'autres facteurs d'une extrême importance en ce qui concerne la dilapidation des ressources et l'épuisement de l'effort humain comme l'excès du plaisir et du luxe, dépasser les limites légitimes dans la conduite comme la course incontrôlée pour l'armement, et la domination, se permettre tous les moyens en vue d'imposer le pouvoir

Au nom d'Allah
Celui qui fait miséricorde
Le · Miséricordieux.

Commentaire du Comité des consultations "Fatwa" de la Mosquée Al-Azhar à l'occasion de la Conférence sur la Polpulation et le Développement tenue au Caire.

Population et Développement sont l'une des causes importantes qui occupent actuellement le monde. Plusieurs conférences ont été tenues à ce sujet afin de créer l'équilibre entre les ressources disponibles et la croissance démographique. demande proclamée par "Malthus" et autres qui ont observé le ralentissement de l'augmentation des ressources d'une part et la croissance démographique d'autre part.

Une conférence sera tenue au Caire du 5 au 13 Septembre 1994 pour discuter ce problème. elle sera suivie par les points de vues et les commentaires relatifs à l'aspect religieux.

Cette conférence - comme les conférences précédentes - traitant du même sujet - est extrêmement importante car elle aura lieu en Egypte qui occupe une position distinguée dans le monde islamique.

Sa constitution stipule que l'Islam est sa religion officielle. en outre la Mosquée Al-Azhar. responsable de l'enseignement de la religion et sa propagation dans le monde entier siège en Egypte.

De ce qui précède. l'Azhar - vu sa position religieuse et la vocation qu'il assume de plus de mille ans - voudrait jeter la lumière sur l'opinion de la religion en ce qui concerne ces conférences; leurs décisions. ainsi que les commentaires qui les suivent.

L'Azhar a donc formé un comité des membres de l'Académie des Recherches Islamiques et des experts hautement qualifiés en la matière. afin de passer·en revue les recommandations et les opinions issues de ces conférences. Ce comité a également pris connaissance du programme d'action de cette conférence qui aura lieu au Caire en Septembre 1994.

Commentaires du Comité de la "Fatwa" sur le programme d'action de cette conférence:

1- L'Islam. est une religion qui ne s'oppose pas au progrès recommandé par la loi divine. bien au contraire. l'Islam encourage le développement global de l'Homme dans tous les domaines. dans le cadre de la bonne

REVUE AL AZHAR

VOL. 67 PART IV
Rabiu AL-AKHAR, 1415 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

"Every new-born is delivered on the right path but his parents change this doctrine into Judaism, christianity or Buddhism etc".

"Qur'an emphasizes the importance of saving one's Soul and his family from deviating from Allah's commands or committing forbidden actions in this verse" O You who believe' Fear the Fire, whose fuel is men and stones.

There is no doubt that, maintaining the children's Islamic intincts by acustoming them to prayers and fasting as well as teaching them the requiered of Islamic creeds and laws, would be their safeguard which is included in the above verse. In this case, permitting Muslim children or even forcing them to attend instructions on christian doctrine or any other religion would be considered an attack on their instinctive nature and distorting it. Therefore these children must be kept away from any teachings of polytheism which might keep them away from monotheism.

This is considered a crime against these pure Muslim children sinful act that their parents would be demanded to answer for infront of Allah.

Therefore parents are forbidden to let their children learn lessons on such doctrines which violate the religion of Islam. The one who allows his children to such classes will be considered a sinful person according to the system of education in London, as stated in the letter, parents can withdraw their children from any religious lessons different to Islam. Quran 66.6.

However, the parents should take extra care of their children and keep them away from such lessons and notify the concerned schools about their wishes. We request that Islamic centres and schools in London should attract and direct the attention of Muslims. Living away from Muslim oriented societies to this duty. This will help Muslims achieve their aim to keep and maintaen the Islamic instincts and creeds of their children and help in bringing them up on the principles and virtues of Islam.

May Allah Almighty guide us to the right path.

Signed by

Sheikh Al-Azhar

Gad El Haq Ali Gad El Haq

Legal opinion (Fatwa) Regarding

EDITED BY : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY PHD.

Translated by / Sheikh : Muhammad Mustafa Gemea'h.

Duties of the parents to safeguard their children in London or non-Muslim courtries, from learning other religions besides Islam.

The office of the Grand Imam. Sheikhul-Azhar has received a letter in English from Mr. Yusuf Islam, London. England requesting urgently the Fatwa from his eminence on the following :

"1-Is it permissible for Muslim children to attend state schools when under curriculum changes to be imposed soon, all children will be forced to learn over 50% about christianity in their RE lessons? Up until now, children learned about different faiths as well as the Christian religion including Islam.

2-Is it permissible for them to continue to attend the RE lessons when it is known that the lessons will teach them about other than the pure Tawhid of Islam (i.e. shirk)?

There is allowance in the law for parents to withdraw children from their lessons on religious grounds the problem is that many parents do not understand the importance of using this allowance.

The answer

The children whether males or females, are a gift from Allah Almighty. Parents should therefore look after them spiritually and physically. Moreover, they are responsible for raising up their children according to the true religion and sound instincts as well as protecting them from deviating away from the right path, Islamic aims and requirements of Islamic laws (shari'ah).

The prophet Muhammad (PBUH) said "Be kind to your children and teach them to bhave well". He also said : "You are all (like) shepherds and you are all responsible for your flocks the ruler is a shepherd and responsible for his subjects the husband is a shepherd and responsible for his family the wife is a shepherd and responsible in her husband's house the servant is a shepherd and is responsible for his master's property you are all sphepherds and all of you are responsible for your flocks".

Prophet Muhammad (PBUH) has shown in his Hadith that the newborn begins his new life with a pure instinctive nature represented in the faith in Allah. The One and only God, the Eternal, the Absolute, He begots not. Nor was he begotten and there is none comparable to him.

This instinctive nature is not in any way changed, ultered, distorted or corrupted except by the parents or guardians if they neglect them children and expose their pure instinctive nature to Judiasm Christianity or Buddhism. The Prophet's (PBUH) Hadith states :

therein convey unacceptable notions such as equal inheritance rights of male and female as indicated in paragraph 17 of Article 4, and obliging governments and non-governmental organizations to raise the minimum age for marriage as well as providing alternatives for early marriage as mentioned in paragraph 22 of Article 4 which could be interpreted as a call for facilitating the exercise of prostitution.

The Academy, therefore, calls upon the participating countries to amend the Draft and to revise its formulation so that it may not include, even by way of connotation, anything contradicting Islâmic Shari'ah or anything cherished by revealed religions and considered part of the traditional value system of Islamic countries throughout the centuries. The Academy draws attentions, particularly, to Article 7 of the Draft which contains several paragraphs imparting to the other sections of the Draft phrases and expressions that should be reformulated in a clearer and more precise manner. In this context the Academy underlines the fact that it rejects anything that goes against Islamic Shari'ah and recommends to express reservation thereupon so that Islamic community may not be bound to accept any part thereof.

Sheikh of Al-Azhar
President of the Islamic Research Academy
Gadul Haqq Ali Gadul Haqq

1- See verse 21 of Suratur "Rym"
2- See verse 71 of Suratut "Tawbah" and verses 45, 46 and 47 of Suratun "Najm"
3- See verse 229 of Suratul "Baqarah"
4- See verse 19 of Suratun "Nisaa".
5- See Recommendations of 8th Assembly of Islamic Research Academy
6- See verse 34 of Suratun "Nisaa"
7- See verse 132 of Suratu 'Ta-Ha" and verse 29 of Suratul "Ankabut"
8- See, for example, paras 2,3,43 and 45 of Article 7 of the Draft.
9- See verses 30 and 31 of Suratun "Nur"
10- See resolution of Islamic Research Academy during 7th meeting of 30 session held on Shawal 19, 1414 H., corresponding to March 31, 1994.
11- See, for example, paras 3,4,6 and 8 of Article 7.

punishments for the crimes of adultery and sodomy even in the case of mutual consent between adults. It also prohibits any advances leading to them such as outrageous association or secluded company between a man and a woman. It goes even further to order men and women to cast down their eyes in order to ward off any seductive attraction. In so doing Islam, like any other revealed religions, tries to ensure stability of societies on righteous foundations that secure health, psychological and social prowess.

Accordingly, it is against Islam to permit any modes of cohabitation other than marriage, as indicated in paragraph 5 of Article 5 of the Draft, , or to permit unmarried people to enjoy a full sexual life, as indicated by paragraphs 1 and 2 of Article 7, or finally to permit making the services of sexual and venereal care, including family planning, available to everybody regardless of marriage as a requirement for extending such services, as is understood from paragraphs 3,4,6, and 8 of Article 7.

III. Abortion:

The Islamic Research Academy of Al-Azhar has ruled definitively that abortion is absolutely illicit (even if it is the result of adultery or rape), except in cases where it is medically established that, otherwise, the mother's life is in danger, because she is the origin, and that her existence is established and her right to live is an independent one. She has certain rights and others are claimed upon her. It is logical then not to sacrifice the mother's life for the sake of an embryo whose life is not yet independent, and who is, generally considered, as one of the mother's organs. (10) It follows that permitting abortion in cases other than the abovementioned, contradicts with the rules of Islam, even if it is put under such denominations as family planning, reproductive health and sexual health. (11)

Though the Islamic Research Academy has limited this presentation to the three points discussed above, it does not, of course, mean that the Draft is free from contravening Islamic Shari'ah on other points. Certain expressions

I- On the Family:

Islam proclaimed the family to be the source of peace of mind and mutual affection and mercy (1), and considered male and female equal human beings in the family context (2), and granted either party the right to establish marriage and continue married life as long as the injunctions ordained by God are observed (3). In so doing both parties were ordered to put up with anything they may dislike in it for "it may be that they may dislike something, but God brings about through it a great deal of good". (4) Islam calls for bringing up children and develop their belief in God and trust in His wisdom and ruling so that this belief could serve as a hedge providing the individual with protection and security throughout his or her life from childhood to old age (5). Men are the protectors and maintainers of families by virtue of discharging responsibilities for sustaining them and meeting their needs (6), safeguardign younger generations and exhorting them to perform prayers (7) so as to be deterred from whatever is abominable or loathsome. Young Muslims thus shall not go astray because of their lack of experience, or multiple temptations surrounding them, or their growing instinctive desires.

These elements stand unquestionably against any attempt towards casting doubts upon the fact that the family is the basic unit of society; as it appears under "principle 10" of the Draft. They are also incompatible with the demand to parents to overlook extra-marital sexual activity of adolescents and accept such activity and consider it a private matter with which they may not intervene. This will inevitably push adolescents to drift with their instinctive desires thereby exposing themselves to sexually transmitted fatal diseases.

II. Sexual Relations:

Islam does not acknowledge any sexual relations outside legal marriage between man and woman which is governed by certain conditions without which it becomes null and void. Moreover, it prescribes most severe

In the Name of God Most Gracious, Most Merciful
Al-Azhar Al-Sharif

Statement of the Islamic Research Academy on The Occasion of The United Nations Conference on Population and Development in Cairo

The United Nations Organization is scheduled to hold, in Cairo during September 1994, the International Conference on Population and Development to discuss the Draft Programme of Action. The draft deals, inter alia, with a number of provisions governing family and sexual relations between married couples and others, the extent of the right of abortion, and the right of adolescents to sexual activity.

On perusal of the draft, one realized that it is full of undefined expressions, phraseology and coined terms which give the impression that it aims at adopting precepts contrary to those laid down by Islam as viable foundations for the family. Moreover, it aims at allowing abortion in cases other than those allowed by Shari'ah (Islamic law), protecting homosexual or heterosexual relations, outside the frame of legal marriage, thus undermining the values cherished by all revealed religions, which in turn, is conducive to the spread of fatal diseases which are sexually transmitted.

Proceeding from undertaking the responsibility to invite all to the path of God with wisdom and gracious preaching, and to give advice on social and other problems, the Islamic Research Academy of Al-Azhar held a meeting on Thursday, Safar 26, 1415 H. corresponding to August 4, 1994, to consider the above-mentioned Draft Programme of Action. The meeting reached the following conclusions:

الفهرس

● الافتتاحية « الغرب والنسل »
للدكتور على أحمد الخطيب ٤٢٥
● كلمة السيد الرئيس مبارك فى ذكرى
المولد النبوى ٤٣٠
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى ذكرى
المولد النبوى ٤٣٩
● فتوى لفضيلة الإمام الأكبر ٤٤٠
● بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن
المؤتمر الدولى للسكان والتنمية ٤٤٣
● قرار مجمع البحوث الإسلامية بشأن
تحديد النسل ٤٤٦
● بيان من جبهة علماء الأزهر بشأن
مؤتمر السكان والتنمية ٤٤٧
● بيان من جبهة علماء الأزهر بشأن
حجاب الفتاة المسلمة ٤٤٩
● تعقيب وإيضاح لفضيلة الإمام الأكبر ٤٥١
● مؤتمر السكان « كلمة أخيرة »
للأستاذ السيد عبدالرءوف ٤٥٤
● الإجهاض ـ للأستاذ عادل خفاجة ٤٥٦
● التيسير فى العبادة
للأستاذ محمد زين العابدين العزازى ٤٥٩
● قبس من أنوار النبوة
لفضيلة الشيخ : على حامد عبدالرحيم ٤٦٣
● عمل المرأة بين التشريع الإسلامى
والقانون المصرى
د. زينب الأشوح ٤٦٦
● التكافل فى المجتمع الإسلامى
أ د. عبدالعزيز الخياط ٤٧٤
● محمد بن القاسم
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٤٨٠
● الفتاوى ـ إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة .. ٤٨٥
● من أعلام الأزهر « سيد المرصفى »
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٤٨٨
● الشعر والشعراء ●
تقديم الأستاذ رشاد محمد يوسف ٤٩٣
ـ ذكرى الرسول ﷺ ٤٩٤
ـ فى رحاب النور ٤٩٥
ـ قل للرسول تحية وسلاماً ٤٩٦
ـ بين يدى رسول الله ٤٩٧
ـ فى بلاط سيف الدولة الحمدانى ٤٩٨
ـ نداء الزيتون ٤٩٩
● الغزل فى شعر العلماء
الفريق يحيى عبدالله العلمى ٥٠٠
● العلوم الكونية ●
● فريضة العلم الغائبة
أ. د. أحمد فؤاد باشا ٥٠٤
● الحمى الروماتيزمية « ٢ »
د. جيهان أحمد مصطفى ٥٠٩
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د. نجوى السيد أحمد ٥١٣
● من روائع الماضى
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح الزيات .. ٥١٦
● طرائف ومواقف
الأستاذ عبدالحفيظ عبدالحليم ٥٢١
● اللغة والنقد والأدب ●
● تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة
وشعارات الفتنة
عرض ونقد الأستاذ الدكتور على أحمد مرعى ٥٢٤
● الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر
عرض وتقديم د. محمد عبدالحكيم ٥٣٣
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ عبدالسلام ناصف ٥٤١
● أنباء وآراء ●
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين عمر البسطويسى
مصطفى عبدالمجيد ٥٤٦
● على هامش المؤتمر السادس ٥٤٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ٥٥٣
● القسم الفرنسى ٥٦١
● القسم الانجليزى ٥٦٧



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير.. إدارة الأزهر

بالقاهرة

ت ٥٩٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٩٠

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

الأرض ومنهج المؤمنين بالله

ومنهج المؤمنين هو المعرفة بحق الله ـ تعالى ـ وسلطانه ، والتسليم ـ عن إيمان ـ بأحكامه ـ عز شانه .

إنه ـ سبحانه «خالق كل شيء» تعالى سبحانه ـ ما خلق شيئا باطلا ؛ بل بحكمة العليم الخبير ، قال ـ سبحانه :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

[القمر : ٤٩]

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

[الفرقان : ٢]

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

سورة يس

تكفل ـ سبحانه ـ برزق عباده من كل شيء ، قال ـ عز شانه :

﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

[المؤمنون : ١٧]

ثم خلق الأرض ، وألزمها قوت ما دبّ على سطحها ، وما سرب فى جحوره من بطنها ، وسخّرها لذلك تسخيرا ؛ فأدت الأمانة ، ولم تعجزْ عنها ، فإنها ، والسماء

﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

[فصلت : ١١]

ولن تفقد الأرض طاقة مد البشر بهذا الرزق إلى يوم الدين . قال ـ تعالى :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ﴾

سورة فصلت

وقال ـ سبحانه :

﴿ ... وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١ ﴾ الحجر ١٩ ـ ٢١ .

لقد حملت الأرض قوت الإنسان ، وقوت الحيوان ، قوت من نستطيع أن نطعمه بأيدينا ، وقوت من لا نستطيع أن نطعمه ، على ذلك آمنّا وسلّمنا ، وعلى ذلك أدركنا حكمة ربنا فى تكليف الأرض أن تنبت فى بعض أقطارها مالا تنبته فى آخر ، ثم يُبْدِعُ الشوق فى نفوس خلقه إلى ما ليس بأرضهم فيطلبونه ـ بسبل التجارة ـ فينمو الرزق بنمو العمل . حكمة آمنا بها ، ونشهد الله ـ الجليل ـ على تسليمنا بها . قال محمد بن كعب ـ رحمه الله ـ تعالى ـ فى تفسير قوله ـ سبحانه :

﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ :

قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان ، أى أقواتاً تنشأ منها ؛ بأن خص حدوث كل قوت بقطر من الأقطار .. فـ .. جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المتولد فى تلك البلدة ، وبالعكس

فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس فى التجارات واكتساب الأموال ؛ لتنظيم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض ، فكان جميع ما تقدم من إبداعها وإيداعها ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على مقدار لا يتعداه ، ومنهج بديع دبره فى الأزل ، وارتضاهُ ، وقدَّره فأمضاه ، لا ينقص عن حاجة المحتاجين أصلًا ، وإنما ينقص توصلهم ، أو توصل بعضهم إليه ، فلا يجد .. حينئذ ما يكفيه ، وفى الأرض أضعاف كفايته » حاشية الجمل ٣١/٤ .

نعم ، وفى الأرض أضعاف كفايته ..

إذنْ . حديث خرافة أن يقال : البشرية يتهددها الموت جوعاً ..

وخرافة أن يقال : أجهدت الزراعة الأرض ..

وخرافة أن يقال : إنتاج الغذاء بما يكفى الزيادة التناسلية سوف يدمر البيئة ويقضى على الحضارة ..

فى الحق أن « الجوع » حولته أيد إلى سلعة .. أرباحها المالية تجاوزت كل تقديرات البشر .. ثم هى فى المقدمة وسيلة ضغط سياسية أقوى آلاف المرات من الاحتلال العسكرى .

جاء فى المُؤَلَّف الغربى «Food First, The Myth of Scarcity» أى « الطعام أولا ـ خرافة الندرة » للسيدة « فرانسيس مورلاييه » و « جوزيف كولينز » ترجمة الأستاذ أحمد حسان . سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٤ ص ١٤ :

« ما من بلد فى العالم يعد سلة غذاء ميئوس منها ».

ثم أشار الكتاب إشارة صريحة إلى وجوب الكشف عن النظام الذى يدمر غذاء العالم الذى تدعمه حكومات وهيئات . قال : « إننا بحاجة إلى اقامة حركة تكشف ـ حقيقة ـ أن نظاماً واحداً تدعمه الحكومات والهيئات ، ومجموعات النخبة المالكة للأراضى هو الذى يهدد الأمن الغذائى من بلداننا وبلدان العالم الثالث » اهـ . والله من ورائهم محيط .

د. على أحمد الخطيب


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ۝١ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور ۝٢﴾

مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

نزلت هذه السورة فى شأن خَوْلَةَ بنت ثعلبة ، وكانت زوجاً لأوس بن الصامت ، أخى عبادة ابن الصامت ، وكانت سيدة صالحة ، وكانت أيضاً حسناء جميلة ، رآها زوجها وهى ساجدة فى صلاتها ، فلما فرغت من صلاتها وانصرفت أرادها لنفسه فأبت لأمرٍ مّا ، فقال لها : أنت علىّ كظهر أمى ، قال ابن عباس : وكان الإيلاء والظهار فى الجاهلية من الطلاق ، فخافت خولة ، وذهبت إلى النبى ﷺ فقال لها : حرمت عليه ، فقالت : والله لم يذكر طلاقاً . قالت يا رسول الله : قد نسخ الله سنن الجاهلية ، وإن زوجى ظاهر منى ، فقال ﷺ : ما أوحى إلى فى هذا شىء ، قالت : يا رسول الله أوحى إليك فى كل شىء ، وطوى عنك هذا . فقال : هو ما قلت ، فأخذت تبكى وتشكو إلى الله ، وتراجع النبى ﷺ ، ومن كلامها :

أكل شبابى ونثرت له بطنى ـ أى أنجبت له أولاداً كثيرين ـ حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إنى أشكو إليك . أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى ووحشتى وفراق زوجى وابن عمى ، وقد نفضت له بطنى فما برحت حتى نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بآية :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾

أى فى شأنه .

قالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : تبارك الله الذى وسع سمعه كل شىء إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىّ بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول كذا وكذا ـ وفى رواية البخارى عن السيدة عائشة أنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾

وقبل أن نمضى فى تفسير السورة ، وما جاء بعد آية الظهار ، نذكر ما قيل فى شأن خولة نفسها ، فالمعروف أنها كانت خزرجية ، وقيل : ليست خزرجية صلبية ، وإنما هى خزرجية بالولاء ، وقد كانت أَمَةً لعبد الله بن أبىّ ـ رأس النفاق ـ .

وكان يكرهها على الزنا ؛ ليحصل على مال من زناها ، قيل : وفيها نزل قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ سورة النور

وقد مر بها عمر بن الخطاب ، وهو راكب على حمار والناس من حوله ، فاستوقفته طويلاً ، ووعظته ، وهو يستمع إليها ، قالت له : يا عمر ، قد كنت تدعى عميراً ثم قيل لك : يا عمر ، ثم قيل لك : يا أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ، فانه من أيقن الموت خاف الفوت ، ومن أيقن الحساب خاف العذاب ، ووقف عمر يستمع إلى كلامها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟! فقال : وأيم الله لو حبستنى من أول النهار إلى آخره ما نزلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ ـ إنها خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟؟

وقال رسول الله ﷺ : لأوس : أعتق رقبة ، قال : مالى بذلك يدان ، ـ أى لا أقدر ـ قال : فصم شهرين متتابعين . فقال : إنى إذا اخطأنى أن آكل فى اليوم ثلاث مرات يكل بصرى ، قال : فأطعم ستين مسكيناً قال : ما أجد إلا أن تعيننى منك بعونٍ وصلة ، فأعانه ﷺ بخمسة عشر صاعاً حتى جمع الله له ، إن الله سميع لكل نداء وصوت ، بصير بحال عباده .

ويؤيد حديثُ خولة قاعدة : « شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ما ينسخه » ؛ لأن رسول الله ﷺ : قال لها : ما أراك ، إلا حرمت عليه ، وقال : « ما أوحى إلى فى هذا شىء » ، وكان الظهار ـ كما سبق ـ طلاقاً فى الجاهلية .

والسورة تسمى سورة المجادلة (بفتح الدال) أى المحاورة والمناقشة ، وقرىء : ﴿ **قد سمع الله قول التى تحاورك** ﴾ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾ .

يُظَاهرون ، ويظَّاهرون . ويظَّهَّرون ـ كلها بمعنى، وقرىء بهنَّ . والظهار : تشبيه ظهر بظهر ـ وهو كناية عن الركوب ، والآدمية لا يركب ظهرها ، فكنى بالظهر عن البطن ؛ لأن ما يركب من الحيوانات يركب على ظهره ، فالتعبير به كناية عن الركوب ، ويقال : نزل الرجل عن امرأته بمعنى أنه طلقها ..

والظهار يقع بتشبيه الرجل امرأته بأى محرم من محارمه ، أمه أو أخته أو ابنته .. أو غيرهن ، وهو منكر من القول وزور ؛ لأن الزوجة المظاهر منها ليست أماً ، وجاء فى سورة الأحزاب :

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾

أى هن لسن أمهات ، وإنما هن زوجات .

وكان الظهار كثيراً بين العرب ، ولم يكن أوس ولا خولة وحيدين فى هذا ، فقد حدث لغيرهما ، ولكن السورة نزلت فى محاورة خولة .

وجاءت قصة خولة بوجه آخر غير ما ذكرنا ، جاء أنها قالت : فِىَّ وفى أوس أنزل الله صدر سورة المجادلة ، قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، فدخل علىّ يوماً فراجعته بشىء فغضب وقال : أنت علىّ كظهر أمى ، ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ، ثم دخل علىّ فإذا هو يريدنى عن نفسى ، فقلت : كلا ، والذى نفس خولة بيده لا تخلص إلىّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه ، فواثبنى فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيـــف ... ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت ، حتى جئت رسول الله ﷺ ...

وجاء فى هذا الحديث وصاة رسول الله ﷺ إياها بأوس ؛ إذ أعانه بفرق من تمر ، فقالت هى : سأعينه بفرق آخر ، قال : قد أصَبْتِ وأحسنتِ ، فاذهبى فتصدق به عنـــه ، ثم استوصى بابن عمك خيراً .

وظاهر سلمة بن صخر الأنصارى من زوجه بعد نزول سورة المجادلة ، قال : كنت أمرءاً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيرى ، فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ؛ حذراً من أن أصيب فى ليلتى شيئاً ، فأتتابع فى ذلك إلى أن يدركنى النهار ، وأنا لا أقدر أن أنزع ، فبينما هى تخدمنى من الليل تكشّف لى منها شىء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحت غدوت على قومى فأخبرتهم وقلت : انطلقوا معى إلى النبى ﷺ .

ولم يذهب معه قومه ، وخشوا أن ينزل فيهم قرآن ، أو يقول لهم النبى ﷺ شيئاً يورثهم معرة . وخرج هو فأخبر النبى خبره ، فقال له : أنت بذاك ، فكررها عليه ثلاث مرات ، وهو يجيب : أنا بذاك ، أى قد فعلت ذلك ، ثم قال : هأنذا فأمض فىّ حكم الله ـ عز وجل ؛ فإنى صَابر له ، قال : أعتق رقبة ، فضرب سلمة صفحة عنقه بيده ، وقال : لا والذى بعثك بالحق ما أصبحت أملك غير رقبتى ، قال : فصم شهرين متتابعين ، قال : وهل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ، قال فتصدق ، قال سلمة : والذى بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عَشاء قال له : اذهب إلى صاحب صدقة بنى زُرَيق فقل له فليدفعها إليك ، فأطعم عنك منها من تمر ستين مسكيناً ، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك .

ورجع إلى قومه ، فقال لهم : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة ، قد أمر لى بصدقتكم فدفعوها إليه .

هذا ، وكانت هذه القصة بعد حادث أوس وخولة .

وكان الجاهليون إذا ظاهر الواحد منهم من امرأته حرمت عليه إلى الأبد ، فهذا الحكم بالكفارة تخفيف من الله ورحمة .

قال ابن عباس أول من ظاهر من امرأته (فى الإسلام) أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً ، فأتت رسول الله ﷺ .

وفرَّع الفقهاء على هذه الآية أحكاماً فقهية عديدة ، نذكر بعضاً منها :أن الرجل إذا قال لامرأته : أنت علىّ كأمى وأختى ، ولم يذكر كلمة ظهر كان ذلك ظهاراً ؛ لأن قوام الظهار تشبهها بشىء محرم عليه ، وبذا لو قال : أنت محرمة على كبطن أمى أو رأسها كان ذلك ظهاراً ، والأمر كذلك لو شبه جزءاً منها بمحرم عليه فقال : فرجك أو يدك أو رجلك علىّ كظهر أمى ، وكذا لو شبهها بأى محرم عليه كالبنت والعمة والخالة ، وليس الظهار متوقفاً على كلمة الظهر ، فلو قال : أنت كأمى أو بنتى أو أختى كان ظهاراً .

وقال الإمام أبو حنيفة : إن شبهها بجزء من جسم أمه يحل له النظر إليه كالوجه واليد والرأس ، لا يقع بهذا التشبيه ظهار ، ولكن ناقشه من قالوا : إن نظر الناظر إلى يد أمه أو وجهها لا يكون على سبيل المتعة ، ولا يجوز له أن يفعل ذلك ، والمظاهر لا يقصد إلا تحريم الاستمتاع .

وإذا شبه زوجته بأجنبية ليست زوجاً له كأن قال لها : أنت علىّ كظهر فلانة ، فهى محرمة عليه أيضاً ؛ لأنه شبه محللاً بمحرم .

وفهم معظم الفقهاء من قصة خولة وأوس أن من كان له لَمَمٌ وظاهر فى حال انتظام ومعرفة الكلام يلومه الظهار ، والأمر كذلك فى حكم الطلاق ، ـ وطلاق الغضبان يلزمه أيضاً إلا إذا خرج عن وعيه نهائياً ، حتى لا يعرف الفرق بين الجمر والتمر .

ومن ظاهر من امرأته ، ثم جامعها قبل أن يكفر من ظهاره فعليه كفارة واحدة . وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلاً ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر فأتى النبى ﷺ ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : رأيت بياض خلخالها فى ضوء القمر فلم أملك نفسى أن وقعت عليها ، فضحك النبى ﷺ وأمره ألا يقربها حتى يكفر ـ وقصة سلمة بن صخر السابقة واضحة فى هذا ـ وجاء عن عمرو بن العاص : أنه إذا وطىء قبل ان يكفر فعليه كفارتان ومضى على هذا الرأى جماعة من الفقهاء .

وهذا ليس بجيد مع كثرة من أخذوا به ، وهو قد أثم فى وطئه امرأته المحرمة عليه ولا وجه لإعادة الكفارة ؛ لأنه لم يظاهر غير مرة واحدة .

وقد كان تحليل المظاهر منها بالكفارة رحمة من الله ورفقاً بهذه الأمة الإسلامية ، وقد عفا الله عنهم ما سبق من آثامهم المتصلة بالظهار .. إن الله لعفو غفور .. أى كثير العفو والمغفرة .

العمل بسهم المؤلفة قلوبهم

بقلم الدكتور عبدالله نجيب محمد

فرض الله ــ تعالى ــ فى محكم كتابه الكريم للمؤلفة قلوبهم سهما فى الزكاة ، فقال ــ جل شأنه ــ :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة التوبة ٦٠

وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يعطى المؤلفة قلوبهم هذا السهم من الزكاة على هذا النحو : جماعة منهم ليسلموا ويسلم قومهم بإسلامهم ، وجماعة أسلموا بضعف إيمانهم .. فكان يعطيهم لتقوية إيمانهم وترغيبهم ، وجماعة كان يعطيهم لدفع خطرهم وشرهم .

وظلت تلك سيرته حتى لحق بربه .

ولما ولى أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ الخلافة جاء بعض من المؤلفة قلوبهم لاستيفاء سهمهم كما كان الأمر على عهد رسول الله ــ ﷺ ــ فكتب أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ كتابا إلى عمر ــ رضى الله عنه ــ الذى كان خازن بيت المال ليعطيهم حقهم ، فذهبوا بكتابه إلى عمر ــ رضى الله عنه ــ فقال لهم : لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم ، فرجعوا إلى أبى بكر . فأقر ما فعله عمر .

راجع ذلك فى كتاب الجوهرة النيرة على مختصر القدورى فى الفقه الحنفى ص ١٦٤ من الجزء الأول ــ وقد ذكر هذه الحادثة غير واحد عند

حديثهم عن مناقب الخليفتين .

ومنذ ذلك الوقت استقر الأمر على منع المؤلفة قلوبهم من سهمهم هذا ، وصرفه إلى من عداهم ممن ذكروا فى الآية الكريمة .

قال الدواليبى : « لعل اجتهاد عمر — رضى الله عنه — فى قطع العطاء الذى جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم . كان فى مقدمة الأحكام التى قال بها عمر تبعا لتغير المصلحة بتغير الأزمان .. رغم أن النص القرآنى فى ذلك لا يزال ثابتاً غير منسوخ ، إيثاراً لرأيه الذى أدى إليه اجتهاده » ثم قال : « والخبر فى هذا أن الله — سبحانه وتعالى — فرض فى أول الإسلام — وعندما كان المسلمون ضعافا — عطاءً يعطى لبعض من يخشى شرهم ، ويرجى خيرهم . تأليفا لقلوبهم . وذلك فى جملة من عدَّدهم القرآن لينفق عليهم من أموال بيت المال الخاص بالصدقات فقال :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

وهكذا قد جعل القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم نصيباً فى جملة مصارف الصدقات وجعل لهم بعض المخصصات على نحو ما تفعله الدول اليوم من تخصيص بعض النفقات من ميزانيتها للدعاية السياسية قال : « غير أن الإسلام لما اشتد ساعده وتوطد سلطانه ، رأى عمر — رضى الله عنه — حرمان المؤلفة قلوبهم من هذا العطاء المفروض لهم بنصوص القرآن » ثم قال : وليس معنى ذلك أن عمر — رضى الله عنه — قد أبطل وعطل نصا قرآنيا ، ولكنه نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره ، واعتبر عطاء المؤلفة قلوبهم معللا بظروف زمنية ، أى مؤقتة ، وهى تألفهم واتقاء شرهم عندما كان الإسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الإسلام ، وتغيرت الظروف الداعية للعطاء ، كان من موجبات النص ، ومن العمل بعلته أن يمنعوا من هذا العطاء .

[محمد معروف الدواليبى فى كتابه « المدخل إلى علم أصول الفقه » دار العلم ١٣٨٥ هـ ، حيث ذكر أمثلة على تغير الأحكام بتغير الأزمنة . ص ٢٣٩] .

وعلى الرغم مما قاله الدواليبى آنفا ، وعلى الرغم من دعوى الإجماع على إلغاء هذا السهم التى ذكرت فى تفسير أبى السعود أول ص ١٥٠ من هامش الجزء الخامس من تفسير الرازى . وما ذكر مرسلا فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة . ص ٥٠٢ أخرجته وزارة الأوقاف المصرية تحقيقا لرجاء الملك فؤاد الأول إلا أننى أرى رأيا آخر .

فى رأيى أن الخليفتين لم يُلغيا — بعد النبى — ﷺ — سهم المؤلفة قلوبهم ولم يبطلا هذا الحق الواجب لهم بنص القرآن الكريم . ولم يخالفا الآية . وإن لم يعطيا المؤلفة يومئذ ، لأن الله — عز وجل — إنما جعل الأصناف الثمانية فى الآية مصارف الصدقات على سبيل حصر الصرف فيها خاصة دون غيرها . لا على سبيل توزيعها على الثمانية بأجمعها . وعلى هذا فمن وضع صدقاته كلها فى صنف واحد من الثمانية تبرأ ذمته . ومن

وزعها على الثمانية تبرأ ذمته كذلك وهذا مما أجمع عليه كثير من الفقهاء . فلا بأس بما فعله عمر وأمضاه أبو بكر على هذا الأساس ، دون القول بإلغائهما لهذا السهم نهائيا مما لا يتفق مع النص القرآنى الصريح .

وعلى ذلك فاعتبار المصلحة المتغيرة موجبة لالغـــاء نص — كما قال الدواليبـــى — ليست صحيحة ، والقول بالإجماع على إلغاء سهم المؤلفة قلوبهم ليس صحيحا كذلك .

هذا وقد قال الشافعية ، أنهم لا يعتبرون المصلحة ، فى تخصيص عام ولا فى تقييد مطلق ، إلا إذا كان لها فى الشريعة نص خاص يشهد لها بالاعتبار فإذا لم يكن لها فى الشريعة أصل شاهد باعتبارها إيجابا أو سلبا كانت عندهم (أى المصلحة) مما لا أثر له ، فوجود المصالح المرسلة وعدمها عندهم على حد سواء فى هذه الحالة .

أما الحنابلة ، فإنهم وإن أخذوا بالمصالح المرسلة التى لا يكون لها فى الشريعة أصل يشهد لها لكنهم مع ذلك لا يقفون بالمصالح موقف المعارضة من النصوص ، بل يؤخرون المصلحة عن النصوص .

أما المالكية ، فهم وإن أخذوا بالمصالح المرسلة ووقفوا بها موقف المعارضة للنصوص ، لكنهم إنما يعارضون بها أخبار الآحاد وأمثالها مما لا يكون قطعى الثبوت ، ويعارضون بها بعض العموميات القرآنية ، التى لا تكون قطعية الدلالة على العموم أما ما كان قطعى الثبوت وقطعى الدلالة فلا يمكن عندهم أن تقف المصالح المرسلة معارضة لها أبدا .

وعلى هذا ففى رأينا أن نص المؤلفة قلوبهم قطعى الثبوت والدلالة معا ، مما لا يبرر إلغاءه تحت أى حجة . وبالجملة فإن أصول الفقه على هذه المذاهب كلها لا تبيح حرمان المؤلفة قلوبهم على مبدأ تغير المصلحة حرمانا مطلقا ، وإنما تبيح تأجيله أو صرفه لصالح المصارف الأخرى لضرورة أو مصلحة مؤقتة لا إلغاؤه نهائيا كما قيل .

واذا صح هذا فإننى أرى ضرورة العودة إلى العمل بهذا السهم لتغير الظروف مرة أخرى عما كانت عليه أيام الخليفتين — رضى الله عنهما — فالمسلمون الآن قد أصبحوا ضعفاء ، يترصد لهم أعداؤهم فى كل سبيل وفى كل مكان من هذا العالم كما هو مشهود ومعروف ، ليس ذلك فحسب بل إن العرب قد قطع السبيل على الإسلام أن ينتشر فى مجالاته الطبيعية فى أفريقيا وآسيا ، وحاول ويحاول بكل الطرق والأساليب وعلى رأسها المغريات المادية والمساعدات . أن يحوّل ليس الوثنيين فحسب ، بل والمسلمين إلى دينهم ، وقـــد خصصت كل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أموالا ضخمة للانفاق على الفقراء ورعاية الأيتام وإنشاء المشاريع والمدارس فى عدد من الدول الافريقية والآسيوية بصفة خاصة ، تأليفا لقلوبهم ، وإدخالا لهم فى دينهم .

ومن تجاربى الخاصة ، عندما زرت عددا من الدول الإفريقية أننا لو تمكنا فقط من الإنفاق على عدد محدود جدا من الدعاة الذين تعلموا اللغة العربية والدين ، من أهل القبائل غير المسلمة فى هذه البلاد — وهم موجودون — لأمكن إدخال

الملايين من أبناء هذه القبائل فى الإسلام ، وقد رأيت بعينى رأسى ـ أيضا ـ دعاة متطوعين من أهل تلك البلاد ، لا يملكون حتى نسخا من كتاب الله الكريم لاستخدامها فى تعليم الداخلين فى الإسلام ، ورأيتهم أحيانا يتبادلون نسخة واحدة من القرآن الكريم .

إن الضرورة الآن تقتضى إنشاء مؤسسة خاصة . تتبع الأزهر الشريف ، ويمثلها ملحقون دينيون فى السفارات المصرية فى قارات العالم . خاصة افريقيا وآسيا ، على أن تتلقى هذه المؤسسة نسبة سهم المؤلفة قلوبهم من زكاة المسلمين والمتبرعين فى كافة أنحاء الوطن الإسلامى ، وأن تقوم بالإنفاق من هذا السهم على الدعوة وتأليف القلوب ، وتجربتى الشخصية تدعونى إلى القول بضرورة التدقيق فى اختيار هؤلاء الملحقين والدعاة الوطنيين بحيث تتوفر فيهم عدة شروط ، أولها : معرفة لغات القوم وتاريخهم والدراية بعلم الأنثروبولوجيا ، وأن يكونوا من الشباب القادر على الحركة والتجول ومخالطة الناس ، والقدرة على اكتسابهم واقناعهم وقيادتهم .

لو أمكن أن يتبنى الأزهر الشريف هذا الاقتراح والدعوة له ، وتأسيس مؤسساته فإننا بذلك نؤدى واجباً أهملناه طويلا ، ولا ننسى أن الدعوة واجب على كل مسلم ومسلمة .

وبالله التوفيق



بالنية

يكتب لك أو عليك ما لم تفعل

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

روى أبو كبشة الأنمارى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل .

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية . يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علما ، فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل .

وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فورر هما سواء .

رواه الترمذى ٥٦٣/٤ وأحمد ٢٣١/٤ واللفظ للترمذى ،وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

الناس فى هذه الحياة الدنيا فريقان :

فريق ساءت نيته فتعلق قلبه بالدنيا ، وغره زخرفها ، وسلب لبه متاعها الزائل وركز همه فيها ، فبذل وسعه وأفرغ جهده فى نيلها ، منهمكا فى شهواته مستغرقا فى غفلاته ، حتى يهجم عليه هادم اللذات ، ومقطع الآمال . فيقع فى الحسرة والندامة ويلقى يوم القيامة المذلة والملامة ، والحرمان من دار الرحمة والرضوان والكرامة .

ذكر القرآن هذا الفريق فى قوله تعالى :

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ سورة الإسراء

وفريق حسنت نيته فصاحبه التوفيق ؛ فسلك أقوم طريق ، وكان همه ونيته ومنتهى آماله الدار الآخرة ، جعل الدنيا سفينة موصلة لمقصوده ، ومطية تبلغه رضا الله ـ تبارك وتعالى ـ متسلحا بإيمان ثابت ، ونية صادقة ، وعمل صالح مع إخلاص لله ، وتحر لكل ما يرضى خالقه ، وما يزال مؤثرا ما يبقى على ما يفنى حتى يأتيه اليقين ؛ فيتمتع فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

تحدث القرآن عن هذا الفريق فى قوله سبحانه « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ » الإسراء

هذا الفريق المؤمن أقبل على عمل الصالحات ، مؤثرا آجل الآخرة الباقى على عاجل الدنيا الفانى .

وإذا كانت الأعمال تستمد قيمتها من النوايا التى تكمن وراءها . وهى التى تدل على صلاح العمل وفساده . والنية هى التى تميز المقصود بالعمل . فإن عظم النية وخطرها أنها يترتب عليها الثواب أو العقاب من غير أن يقترن بها عمل . فقد يكتب الرجل فى عداد الغزاة وهو على فراشه ، وقد يدخل فى زمرة المتعبدين وهو لم يصل ركعة .

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : كنا مع النبى ـ ﷺ ـ فى غزاة فقال : « إن بالمدينة لرجال ما سرتم سيرا ، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض » وفى رواية « إلا شركوكم فى الأجر » .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

وعن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : ما من امرىء تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم ؛ الا كتب له أجر صلاته ، وكان نومه صدقة عليه .

ابو داود والترمذى

بل قد يبلغ المؤمن بنيته منازل الشهداء ؛ فعن سهل بن حنيف ، أن النبى ﷺ قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » رواه مسلم .

ولو عمل العبد عملا يرضى به ربه ـ سبحانه وتعالى ـ إلا أنه وقع فى غير موضعه ؛ فلا يضيعه الله بصدق نيته .

روى الشيخان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : قال رجل : لأتصدقن الليلة بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ؟ فأصبحوا يتحدثون ، تصدق الليلة على سارق . فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية . فقال : اللهم لك الحمد . لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى . فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنى . فقال : اللهم لك الحمد ، على سارق وعلى زانية وعلى غنى . فأُتِىَ فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن

يستعف ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغنى فلعله أن يعتبر ؛ فينفق مما أعطاه الله ـ عز وجل .

ورب عمل يأخذ أجر عبادة ترجح به كفة الحسنات ، لأنه صدر من صاحبه بنية طيبة . روى الإمام مسلم . أن النبى ﷺ قال : « وفى بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

وكل عمل صالح صاحبته النية الخالصة لله يعد من الصالحات ما دام صاحبه يقصد به تفريج كربة مكروب ، أو تضميد جرح مجروح ، أو شد أزر مظلوم ، أو أقال عثرة مغلوب . ، أو أخذ بيد فقير ذى عيال ، أو علم جاهلا ، أو هدى حائرا ، أو أبعد أذى عن طريق كل هذه الأعمال عبادة وقربة إلى الله عز وجل .

بل النية الصادقة لعمل صالح لها قوة استبقاء الأجر لصاحبها إذا توقف عن عمله بضرورة أو علة حتى يقبضه الله أو يعافيه .

روى البخارى وأحمد وأبو داود عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ غير ما مرة ولا مرتين يقول : إذا كان العبد يعمل عملا صالحا ، فشغله مرض أو سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » .

والنية الخالصة لا تزال بصاحبها حتى تبلغه أعلى الجنان . ففى الحديث المتفق عليه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : النية الحسنة تدخل صاحبها الجنة وبالنية السيئة يخلد أهل النار فيها » .

وها هم الصالحون من عباد الله وصلوا إلى رفيع الدرجات : صنف بعمله ونيته ، وصنف بنيته فقط ، وأجرهما سواء ، وهما صنف بأفضب المنازل .

وثمة صنف عمل الشر ونوى السوء ، وصنف نوى السوء ولم يعمل فوزرهما سواء ، فهما بأخبث المنازل .

وفقنا الله تعالى إلى صالح الأعمال .. ورزقنا الإخلاص فى الأفعال وهدانا سواء السبيل .



لماذا يرس الغرب

تطبيق النظام المالي الإسلامي

م. محمد محمد عنتريس إبراهيم*

نشرت صحيفة « الإيكونوميست »(١) اللندنية العالمية ذائعة الصيت دراسة تحليلية عن الربا(٢) منذ بداياته وحتى يومنا هذا . وتترك الدراسة فى نفس القارىء انطباعاً عاماً بأن الربا كان ، دوماً ، شيئاً كريهاً مقززاً ومدمراً ؛ وأن المرابين كانوا ـ ولا يزالون ـ فى كل العصور ظلمة ومستغلين ومنعدمى الشفقة . ولنقتبس جملتين مما أوردته المجلة فى وصفهم : « إنهم يأخذون شيئاً فى مقابل لا شىء . والشعور بالاشمئزاز من الإقراض بفائدة الذى أحسته كل المجتمعات فى الماضى ، والذى تحسه كثير من المجتمعات اليوم ، هذا الشعور مازال بعضه قائماً فى الغرب » .

لقد لاق مقرضو المال ، بصرف النظر عن الحاجة إليهم ، احتقارا واسع النطاق . ففى العصور الوسطى كان الناس لا يقتربون منهم إلا بحرص وحذر ، إذ كانوا يفزعون منهم ويلعنونهم ؛ لأنهم يقومون بعمل الشيطان ، إنهم يفعلون شيئاً يتعارض مع صالح المجتمع ـ إنهم يتقاضون الفائدة ثمناً لإقراض المال !

فى عام ١٣١١ أصدر مجلس فينا الكنسى مرسوماً كانت له آثاره البعيدة ، إذ وصف أى استحلال للربا بالهرطقة والضلال . وفى القرن السابع عشر حرمته بريطانيا . وفى القرن الثامن عشر ربط الخيال الشعبى بين العمل المصرفى وبين التبذير الحكومى والضرائب المرتفعة والفساد . وفى أوائل القرن التاسع عشر أدان المتدينون الثروة العقيمة غير المنتجة لرجال المال فى بريطانيا ، ووقفوا إلى جانب قيم العمل ففيها الإنتاج والثمرة . وعلينا أن نلاحظ وصف ثروة رجال المال بأنها « عقيمة وغير منتجة » . فهذه تمثل

(*) وكيل الوزارة بمجلس الشعب .

(١) ٢٩ ديسمبر ١٩٩٣ ـ ٧ يناير ١٩٩٤ .

(٢) استخدمت المجلة المصطلح الإسلامى « ربا » مكتوباً بحروف لاتينية ـ فالمصطلح الإسلامى فرض نفسه فى الغرب .

واحدة من أقوى الحجج ضد الربا ، فالمرابون يجمعون الثروات من غير جهد يبذلونه .

وتـــواصل « الإيكونومـــيست » دراستها التحليلية وتقول : « وعندما وقع الكساد العظيم الذى أعقب الانهيار الاقتصادى الأمريكى عام ١٩٢٩ أخت أمريكا باللائمة على البنوك بحسبانها السبب فى ذلك الكساد . ونتيجة لذلك انهمرت على هذه البنوك التشريعات المقيدة لأنشطتها ، وحتى اليوم لا يزال العديد من الولايات الأمريكية يطبق قوانين الربا التى تحد من أسعار الفائدة . وفى وقتنا الحاضر لا يزال البعض على قناعته بأن رجال المصارف ـ وفى مقدمتهم اليهود والماسونيون ـ يتآمرون للسيطرة على العالم » .

وتضيـف المجلـة : إن الأديـان السماويـــة (اليهودية والمسيحية والإسلام) حرَّمت الربا . والحجج التى ساقتها ضد الربا هى :

١ ـ المرابون يأخذون شيئاً مقابل لا شىء .

٢ ـ الواجب على الإنسان أن يساعد أخاه من غير أن يرجو كسباً من وراء ذلك .

٣ ـ إنه لمن الأمور المنافية للطبيعة أن يُكثّر المرء أمواله بتقاضى فائدة عليها .

« إن الربا أكثر الأعمال منافاة لروح الإخاء والمودة . وباتت العناكب والضفادع وكل المخلوقات الشيطانية استعارات يكنى بها عن المرابى » .

وعلى امتداد القرون حفلت الثقافة الأوروبية بعداء لا يلين ولا يهدأ تجاه المرابين عموما واليهود خصوصا . ولا يمكن أن يكون هناك ذكر للربا دون الإشارة إلى عبادة اليهود للمال ، ونهمهم لإقراض المال بأسعار فائدة باهظة فادحة لا أثر فيها لوازع من خلق أو ضمير .

وتورد مجلة « الإيكونوميست » هذا المقتطف من الفصل ٢٣ من السفر الخامس[٣] من الكتاب المقدس : « ..لك أن تقرض الأجانب بفائدة ، لكن لا تقرض أخاك بفائدة » ، وتصف المجلة هذا التوجيه بأنه نذير شؤم وكوارث ـ ذلك أنه يوجه اليهود صراحة إلى أن يمارسوا التفرقة العنصرية مع غير اليهود . يضاف إلى هذا مشاعر الانتقام المتأججة فى نفوسهم . هذه السمات الشريرة يجسدها شكسبير فى شخص « شايلوك » المرابى اليهودى بطل مسرحيته الشهيرة : « تاجـــر البندقية » . فحبه الطاغى للمال ملك عليه كل مشاعره وحياته إلى حد أن المعيار الخلقى عنده أصبح معياراً مالياً . فهو يكره أنطونيو ، تاجر البندقية ، لأنه نصرانى[٤] ويكرهه أكثر « لأنه يقرض المال بدون فائدة ، ويتسبب بذلك فى خفض سعر الفائدة على إقراض المال عندنا فى البندقية » . لقد دمر شره اليهودى وحبه للمال كل المشاعر الإنسانية ، بل لقد دمر فى داخله مشاعر الأبوة تجاه ابنته .

(٣) يحوى القوانين الموسوية وحكايات قصصية .

(٤) لم يفت شيكسبير أن يشير إلى ما يكنه اليهودى من عداء وكراهية للنصرانى .

يقول شيلوك : « لو ظفرت يوماً بهذا النصرانى ، أنطونيو ، فلسوف أشفى إلى حد التخمة ـ غليل حقدى القديم عليه » .

ما قالته الإيكونوميست عن الإسلام والربا :

١ ـ لا يزال الأمر مختلطاً فى الأذهان حول الإجابة عن هذا السؤال : هل إقراض المال بفائدة خطأ أم صواب ؟ (أى أن المسألة لم تحسم بعد فى الغرب ـ فلا يزال الربا يحوك[٥] فى النفوس وفى العقول) .

٢ ـ النظرة إلى المعادن المستخدمة كوسائط نقدية لتبادل السلع على أنها خاملة وجامدة ، ومن غير الطبيعى تكثيرها وزيادتها بتقاضى فائدة عليها . (الذهب لا يلد ذهباً والفضة لا تلد فضة) .

٣ ـ سلكت المجتمعات الإسلامية دربا أيسر . واتبع كثير من المسلمين أوامر محددة جاءت فى القرآن الكريم تحرم الربا . وتنبع هذه الأوامر من مبدأ إسلامى أكبر هو : إن عنصر المخاطرة يجب أن يكون قسمة بين المقترض والمقرض[٦] (أى لابد وأن يشارك فيه الاثنان) .

٤ ـ العقود المالية المشابهة لتلك التى أقرها الإسلام كانت تقوم على أساس الفكرة القائلة بالمشاركة فى المخاطرة . ففى هذه العقود لا يأخذ المقرض الفائدة إلا كثمن لمشاركته فى المخاطر التى يتعرض لها المشروع التجارى .

٥ ـ تأسست عشرات البنوك الإسلامية على امتداد المسافة من الأردن شمالًا إلى جنوب أفريقيا . وهى تتمتع ، بفضل مبدأ المشاركة فى المخاطرة ، بمكانة اجتماعية أسمى بكثير عن المؤسسات المنافسة لها ـ إلى حد أن البنوك الغربية تدرس حاليا النظام المالى الإسلامى وتفكر بإمعان فى إمكانية تطبيقه ، وهذا نص العبارة :

Western banks are pondering the applicability of Islamic finance.

(ولربما جاء الإسلام من الغرب :

﴿ قُلْ لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾

سورة البقرة

إنه لا مناص للبشرية من أن ترجع إلى الإسلام وتعاليمه كى يتحقق لها الخلاص مما تعانيه من ويلات وعذابات .

لماذا يحارب الإسلام الربا ؟

الصدقة والزكاة تمثلان العون والرحمة ، والسماحة والنقاء ، والتعاون والتضامن ـ فهما نزول عن المال بلا عوض ولا رد . بينما يمثل الربا الشحّ والبخل ، والأنانية وحب الذات ـ ذلك أن الربا استرداد للدين ومعه زيادة غير مشروعة مستقطعة من جهد المدين إذا حقق كسباً ، ومن لحمه إذا لم يربح أو إذا خسر . وجاء القرآن الكريم يحث على الإيثار ويحذر من الشح :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

سورة الحشر

(٥) يرجع إلى حديث رسول الله ﷺ ـ عن البر والإثم : والإثم ما حاك فى صدره وكرهت أن يطلع عليه الناس .

(٦) لعل المجلة تقصد نظام المضاربة .

فالإيثار على النفس مع الحاجة قيمة عليا ، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية لها نظيراً . أما شح النفس فهو المعوق عن كل خير ؛ لأن الخير بذل : بذل فى المال ، وبذل فى العاطفة ، وبذل فى الجهد . وما يمكن أن يصنع الخير شحيح : يهم دائما أن يأخذ ، ولا يهم مرة أن يعطى .

ولقد رسم الإسلام للمرابين أشنع صورة :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

٢٧٥ ـ البقرة

هم يعيشون فى قلق وتوتر دائمين ، ويفتقدون دائما راحة البال وطمأنينة النفس . أما وعيد الله لهم فهو شر وأعظم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾

٢٧٨ ، ٢٧٩ ـ البقرة

ومن يتدبر حكمة الله يرى البشرية الضالة التى تأكل الربا وقد انصبت عليها البلايا : فى أخلاقها وصحتها واقتصادها . وتتلقى حربا من الله : حربا على الأعصاب والقلوب ، وعلى البركة والرخاء ، وعلى السعادة والطمأنينة ، وأخيرا حرب السلاح بين الأمم والجيوش ؛ فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالية هم الذين يوقدون هذه الحروب بطرق مباشرة وغير مباشرة . وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والصناعات ، ثم تقع فيها الشعوب والحكومات ، ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب ؛ أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم فيعم الفقر والسخط بين الكادحين ، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب[٧] .

والإسلام يقيم نظامه الاقتصادى على أساس أن الله هو خالق الكون ، وأنه المالك لكل الموارد والثروات والغذاء والطاقة .. الخ . وأنه استخلف الإنسان على الأرض بشرط أن يكون هناك تضافر وتضامن بين المؤمنين به سبحانه :

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

سورة الحديد

فالله جعل بنى الإنسان خلفاء فى الأرض متصرفين فيها بأمره . وهم يُدعَوْن إلى الانفاق ، ومع الدعوة لمسة موحية : فهم لا ينفقون من عند أنفسهم ، إنما ينفقون مما استخلفهم الله فيه من ملكه وهو الذى « **له ملك السماوات والأرض** » وهو الذى « **يحيى ويميت** » فهو الذى استخلفهم جيلا بعد جيل . فهذه الدعوة تقوم بدورها فى استثارة الحياء والخجل من الله ، فماذا هم قائلون حين يدعوهم إلى انفاق شىء مما استخلفهم فيه ومما أعطاهم ؟ وتقوم بدورها فى نهنهة[٨] النفوس عن الشح ، والله هو المعطى

(٧) وأيسر ما يقع ، إن لم يقع هذا كله ، هو خراب النفوس ، وانهيار الأخلاق ، وانطلاق سعار الشهوات وتدمير الكيان البشرى بما لا تبلغه أفظع الحروب الذرية .

(٨) نَهْنَهَ فلانا عن الشىء : كفّه عنه وزَجَره .

ولا نفاد لما عنده ؛ فماذا يمسكهم عن البذل والعطاء ، وما فى أيديهم رهن بعطاء الله ؟ فالأثرياء عليهم أن يعطوا جزءا من ثروتهم للفقراء ، والفريقان مأموران بأن يعملا بأقصى الجهد فى سبيل الرزق على ألا يكون هناك إسراف أو إفراط فى الانفاق أو الاستمتاع .

وتنمية الثروة يجب أن يكون بوسائل مشروعة لا تنطوى على ضرر أو أذى للغير ، ولا تعوق دوران رأس المال . يقول تعالى فى الآية السابعة من سورة (الحشر) :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾

فهذه الآية تضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى ، وهى : « كى لا يكون دولة[٩] بين الأغنياء منكم » أى كى لا يكون الفىء (والمال عموما) شيئا يتداوله الأغنياء ويتعاورونه فلا يناله أحد من الفقراء . فالملكية الفردية معترف بها فى الإسلام ، ولكنها محددة بهذه القاعدة : قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم دون الفقراء . وكل وضع ينتهى إلى ذلك يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية ، كما يخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعى كله . وجميع المعاملات فى المجتمع الإسلامى يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقى عليه إن وُجد .

ولقد أقام الإسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة ، ففرض الزكاة[١٠] . وحرم الاحتكار والربا ، وهما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء[١١] .

أما الربا فيقوم على أساس أنه لا صلة بين إرادة الله وحياة الإنسان . وأن الفرد حر فى أن يسلك ما يشاء من السبل لجمع المال والتمتع به دونما اكتراث بمصالح الآخرين . فالمال هدفه الأول والأخير . وفى النهاية يقيم الربا نظاما يسحق البشرية (أفرادا وجماعات ودولا) لصالح حفنة من المرابين يسيطرون على كل بنى البشر . فالمرابون يملكون ، إلى جانب المال ، النفوذ والسلطان يستخدمونهما فى تحقيق المزيد من استغلال الآخرين . وأسهل الطرق لزيادة ثرواتهم هى المشروعات التى تدمر الأخلاقيات وتلقى بالبشرية فى مستنقع الشهوات والإثارة الجنسية التى يضيع عليها الكثير كل ممتلكاتهم .

وقد لاحظ علماء الاقتصاد فى الغرب أن الربا نظام اقتصادى فاسد ومعيب . فى عام ١٩٥٣ قال دكتور شاخت عضو مجلس الإدارة المنتدب لبنك الرايخ الألمانى : إن كل النقود فى كوكبنا الأرضى سوف تذهب إلى جيوب عدد قليل جدا من المرابين . فالمرابى الدائن يكسب فى كل عملية بينما المدين يخضع لمبدأ الربح والخسارة . وعلى هذا

(٩) دَالَ يدول دَوْلًا : دار وانتقل من حال إلى حال . أدَالَ الشىء : جعلهُ متداولا ، والدُّولة : الشىء المتداول من مال ونحوه .

(١٠) يمكن الرجوع إلى مقادير الزكاة وأنصبتها فى مظانها من المراجع الفقهية .

(١١) انظر : كتاب « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » .

ستذهب كل الأموال فى نهاية المطاف إلى أولئك الذين يربحون طوال الوقت . أما المقترضون من ملاك الأراضى وأصحاب المصانع وغيرهم من الموظفين فهم لايزيدون على كونهم مجرد أجراء لدى المرابين . وأما المستهلكون فيدفعون ضريبة غير مباشرة للمرابين ، فالفوائد التى تتقاضاها البنوك لايدفعها المقترضون ، وإنما يدفعها المستهلكون لأن أسعار السلع تزاد بما يغطى تلك الفوائد على الديون .

حقائق أساسية حول إدانة الإسلام للنظام الربوى :

١ ــ لا إسلام مع قيام نظام ربوى فى مكان ؛ فالإسلام والربا متعارضان ولايمكن أن يتعايشا .

٢ ــ النظام الربوى كارثة على الإنسانية : فى إيمانها وأخلاقها ، وفى صميم اقتصادها وحياتها .

٣ ــ العلاقة وثيقة فى ظل الإسلام بين الأخلاق والحياة العملية ، ولايمكن أن يقوم اقتصاد ناجح بغير أخلاق .

٤ ــ لايمكن للمعاملات الربوية إلا أن تفسد ضمير الفرد وحياة الجماعة ؛ لأنها تنشر روح الجشع والخداع والأنانية والمقامرة . وهى توجه رؤوس الأموال لتستثمر فى مجالات الرذيلة (الأفلام والمطبوعات الإباحية والنوادى الليلية والمراقص والقوادة ... الخ) حيث الأرباح مضمونة تماما وعالية جداً ، وذلك كى يتبقى جزء منها للمدينين بعد دفع الفائدة .

٥ ــ عندما ينظم الإسلام حياة البشر طبقا لمنهجه ، ويقوم بإلغاء المعاملات الربوية ، فإنه لن يقوم بإلغاء المؤسسات الاقتصادية اللازمة ، وإنما سينقيها من دنس الربا ويضع القواعد السليمة لإدارتها .

٦ ــ على المسلم أن يعتقد اعتقادا راسخا بأن الله ، ــ جلت قدرته ــ ألا يحرم شيئا لازما لقيام الحياة وتقدمها ، وأن الخبائث لايمكن أن تكون لازمة لقيام الحياة وتقدمها . ولنأخذ المثل من أكثر البلاد رخاء وتقدما : من أمريكا ومن السويد ، فالناس هناك ليسوا سعداء . القلق يطل من عيونهم وهم أغنياء ، والملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون فى الإنتاج . وهم يغرقون هذا الملل فى العربدة والصخب تارة ، وفى « التقاليع » الغريبة الشاذة تارة ، وفى الشذوذ الجنسى والنفسى تارة . ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب ، الهرب من أنفسهم ومن الخواء الذى يعشش فيها ، ومن الشقاء الذى ليس له سبب ظاهر ــ فيهربون بالانتحار وبالجنون وبالشدود . لكن شبح القلق والخواء لايدعهم يستريحون أبدا !

لماذا ؟ السبب هو أن هذه الأرواح الضالة المعذبة خاوية من زاد الإيمان ومن الاطمئنان إلى الله ــ وخالية كذلك من الأهداف الإنسانية الكبيرة النبيلة التى ينشئها الإيمان بالله ، وخلافة الله فى الأرض وفق عهده وشروطه . وبسبب هذا البلاء الكبير ، (بلاء الربا) لاينمو الاقتصاد نموا سويا مستقيما تتوزع به خيرات نموه على البشرية كلها ، وإنما ينمو مائلا جانحا إلى حفنة الممولين المرابين .

وماذا عن الْمُعْسِر الذى لايستطيع سداد ما عليه من دين ؟

خص الله ــ سبحانه ــ بعض الناس بالأموال

دون بعض نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج سَهم (نصيب) يؤدونه إلى من لا مال له ، بتكليف منه سبحانه :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

سورة التوبة

وهى تبين مصارف[١٢] الصدقات . وقد تولى سبحانه أمرها بنفسه ولم يكل قسْمها لأحد غيره ، فجزأها ثمانية أصناف . وقدم الفقراء على البقية ؛ لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور كما جاء فى تفسير ابن كثير ، ويأتى بعدهم المساكين ثم العاملون عليها وهم السعاة الجباة الذين يبعثهم الإمام لتحصيل الزكاة . أما المؤلفة قلوبهم فمنهم من يُعطى ليُسْلِم ، ومنهم من يُعطى ليَحسُن إسلامُه ويثبت قلبه ، ومنهم من يُعطى لما يرجى من إسلام نظرائه . أما المصرف الخامس ففى الرقاب أى : فى فك الرقاب ، قال القرطبى : يجوز للإمام أن يشترى رقابا من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين ويكون ولاؤهم للمسلمين ، وإن اشتراهم صاحب الزكاة وأعتقهم جاز . والمصرف السادس « الغارمون » جمع غارم[١٣] وهو الذى عليه دَيْن ؛ فالغارمون المستحقون للزكاة هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به ، اللهم إلا من ادَّان فى سفاهة فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها ؛ إلا أن يتوب . وأما فى سبيل الله فهم الغزاة وموضع الرِّباط ، وهو قول أكثر العلماء وأضاف بعضهم الحجاج والعُمَّار . أما ابن السبيل فهو المسافر المجتاز فى بلد ليس معه شىء يستعين به على سفره ؛ فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده .

فالمدين المعسر له حق فى الزكاة كما قضى الله فى آية سورة التوبة . أما الآية رقم ٢٨٠ من سورة البقرة ، والتى تأتى فى ختام الحديث عن آيات الربا ، فتبين الحكم الخاص بالدين فى حالة الإعسار ؛ فليس السبيل هو ربا النسيئة ، أى : (تأجيل السداد مقابل الزيادة فى الفائدة على الدين) . ولكن السبيل هو إمهال المدين إلى حين ميسرة . بل خطا الإسلام خطوة أبعد ، فحبَّب فى التصدق بالدَيْن : « وإن كان ذو عُسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خيرلكم إن كنتم تعلمون » . إنها السماحة الندية التى يحملها الإسلام للبشرية ، إنه الظل الظليل الذى تأوى إليه البشرية المتعبة فى هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار .

روى الطبرانى عن النبى ﷺ أنه قال : « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فليُيَسِّرْ على معسر أو ليضع عنه »[١٤] . وروى مسلم فى

(١٢) جمع مصْرِف وهو مكان الصَّرف والإنفاق .

(١٣) والفعل غرم غُرما وغرامة . ويدور معنى المادة على الملازمة والملاصقة . والغُرم : أداء شىء يلزم كالدين ، والذى له الدين غريمٌ للزومه وإلحاحه على صاحبه .

صحيحه عن أبى قتادة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نفس[١٥] عن غريمه أو مَحَا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة » . وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن تُستجاب دعوته وأن تكشف كربتُه فليفرج عن مُعسر » . وروى البخارى ومسلم وابن ماجة عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال : ماذا عملت لى فى الدنيا ؟ فقال : ما عملت لك يارب مثقال ذرة فى الدنيا أرجوك بها ـ قالها ثلاث مرات ـ قال العبد عند آخرها : يارب إنك كنت أعطيتنى فضل مال[١٦] وكنت رجُلا أبايع الناس وكان من خلقـــى الجواز[١٧] فكـــنت أُيسر على الموسر وأنظر[١٨] المعسر ، قال : فيقول الله عز وجل : « **أنا أحق من ييسر ، أدخل الجنة** » . وروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ـ فتجاوز الله عنه » .



(١٤) وَضَع يضع عن غريمه : نقص مما له عليه شيئا .

(١٥) نفَّس عنه كربته ض فرّجها وكشفها .

(١٦) فَضَلَ الشيء يُفضُل فَضْلًا : زاد على الحاجة . يقال : أنفق من مَالِك ما فَضَلَ .

(١٧) الذى أراه : ما يُعطاه المدين المعسر من مهلة حتى يتيسر له السداد . وقد جاء فى « لسان العرب » تجاوز الله عنه أى عفا ، وقولهم : اللهم تجوز عنى ، وتجاوز عنى بمعنى .
وفى الحديث : « كنت أبايع الناس ، وكان من خلقى الجواز ، أى التساهل والتسامح فى البيع والاقتضاء » .

(١٨) أنظر الدين : أخره وأمهله . ويقال : أنظرتُ الدين وأنظرته الدين . والنَّظِرة : الانتظار .

أدب الحوار في الإسلام

لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

لقد شاء الله ـ تعالى ـ أن يجعل القرآن الكريم المعجزة الخالدة ، ليكون هذا الكتاب المبين هدى للمتقين ، ومنهاجا للمصلحين ، وهداية للحائرين ، وتقويماً لأخلاق المِعْوَجِّين ، وإرشادا للضالين ،

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

سورة الإسراء ـ الآية : ٩

وباتباعه تتسامى النفوس عن الخضوع المذل للنزوات الطائشة وتترفع عن ارتكاب الذنوب والعيوب ، لأن القرآن أنزله الله ـ تعالى ـ ليكون شِرْعَةً للناس ومنهاجا وجعله محفوظا ثابتاً لا يتبدل ولا يتغير لكيلا يتبدل الناس ولا يتغيروا ، فهو الذى ينقذ الحيارى من الجهالات والمتاهات :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾

سورة إبراهيم ـ الآية : ١٠

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

سورة الفتح ـ الآية : ٢٨

[قل آمنت بالله ثم استقم]

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام : فقال له : « قل آمنت بالله ثم استقم » : ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ قد أوتى جوامع الكلم

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾

سورة النجم ـ الآيتان : ٣ ـ ٤

وقد جعل الله تعالى طاعته من طاعته فقال عز وجل :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ... ﴾

سورة النساء ـ الآية ٨٠

وفى قول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ « قل آمنت بالله ثم استقم » قد جمع الإسلام فى جملة واحدة وهى أن الإسلام إيمان بالله واستقامة فى الحياة : فلا انحراف ولا فساد ولا عيوب ، ولا ضلال ولا التواء ، ولا غل

ولا رياء ، لكنه إيمان بالله واعتصام بحبل الله وتراحم وتعاطف ، وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، لأن المؤمنين إخوة : ربهم الله ؛ ورسولهم خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وقال له :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾

سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٧

[جبريل عليه السلام يعلمنا المثل الأعلى للحوار الدينى]

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يا محمد : أخبرنى عن الإسلام : فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال صدقت : قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ، قال : فأخبرنى عن الساعة : قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل : ، قال فأخبرنى عن أمَارَاتها : ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت مليا : ثم قال : يا عمر ، أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »

هذا هو الأدب الرفيع بين السائل والمجيب كما فى هذا الحديث الشريف الذى رواه سيدنا عمر بن الخطاب وهو ذلكم القدوة العظيم : وكان المعلم فيه سيدنا جبريل عليه السلام أمين الوحى الكريم ، ومتلقيه وهو المجيب عن تلكم الأسئلة « هو الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » هو خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ومنزلة هذا الحديث من السنة المطهرة كمنزلة أم الكتاب (الفاتحة) من القرآن الكريم . فمن عمل به سَلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم .

أرأيت كيف كانت هذه الأسئلة الهادئة الهادفة بإجابتها الرشيدة السديدة منهجا تربويا متكاملا ودرسا دينيا مثاليا شاملا وحوارا أمينا بين أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام وبين سيد المرسلين صاحب الخلق العظيم خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة للعالمين الذى بعثه ربه للناس كافة .

ولقد تكلم العلماء فى شرح السؤال عن الإسلام وعن الإيمان كذلك فقالو الإسلام لغة : هو الاستسلام ، يقال أسلم له قياده إذا استسلم وخضع ولم يعارض ولم يتردد . أما الإيمان ؛ فهو التصديق والإذعان مع الجزم به وعدم التردد فيه ومع الاطمئنان واليقين ، وقد جاءت النصوص فى الآيات والأحاديث تدل على وحدتهما كقوله جل جلاله :

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

سورة الذاريات ـ الآيتان : ٣٥ ، ٣٦

وتارة على تغايرهما مثل قوله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...﴾

سورة الحجرات ـ الآية : ١٤

ولكنهم اتفقوا على أن الإيمان والإسلام هما وإن تغايرا فى معناهما فلا يعتد بأحدهما دون الآخر ، فهما متلازمان فى الشريعة وإن انفكا فى المفهوم ؛ فليس بمسلم من لا يكون مؤمناً وليس بمؤمن شرعاً مَن لا يكون مسلماً ، نعم قد ورد فى السنة ما ظاهره ينفى الإيمان عن مرتكب الكبيرة مثل قوله ﷺ « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ...إلى آخر الحديث » فإن ظاهره يفيد انتفاء الإيمان عمن يفعل مثل هذا الإثم ، ولكن هذا الظاهر غير مقصود ، : وإنما المراد هو أنه لو لاحظ معنى الإيمان المستقر فى قلبه ، الكامن فى أعماق نفسه ، واستحضر مراقبة الله الذى يعلم ما تكسب كل نفس لمنعه إيمانه ودينه ويقينه من فعل السوء وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؛ لأن هذا الإيمان حارس أمين يمنع من فعل الخبائث والنقائص ذلك لأن المؤمن حقاً يمنعه الخوف من الله والحياء منه ؛ من معصية ربه علام الغيوب القاهر فوق عباده والإيمان المنفى « هنا » : هو الإيمان الكامل الذى يتفاوت فيه المؤمنون ،

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

سورة الذاريات ـ الآية : ٥٥

وقد ورد فى شأن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه أنه لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه .

وأما الاعتقاد الجازمَ وهو الإيمان الحق ـ إذا نقص بالتردد أو الشك فلا يكون إيمانا حقاً . وقد أجاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه فَبَيَّنَ بيانا شافيا كافيا حِينما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الإسلام وعن الإيمان موضحاً بذلك حقائق هذا الدين القيم وقواعد الإسلام الحنيف فى ذلكم الحديث الشريف .

وفى هذه توجيهات وعلامات من القرآن الكريم فى أوصاف وجزاء المؤمنين تقرن الإيمان بالعمل الخيرى الجاد الذى يرشد العقل السليم إلى سواء السبيل .

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

سورة الرعد ـ الآية : ١٩

أخبرنى عن الإحسان

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

سورة طه ـ الآية : ٧

وفى مراقبة الله ـ تعالى ـ سر الحياء الذى يصون المرء من ارتكاب المعصية . والله سيصرف السوء والفحشاء عن المخلصين من عباده المتقين ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فاعمل أنت ليراك الله ، فإن

الله يسمع ويرى وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، والإحسان يكون متعديا بإلى كقولك أحسن إلى جارك ، وبغير إلى كأحسن العمل ، أى أتقن العمل وهذا هو المراد هنا (وأخلص العمل فإن الناقد بصير) :

وهذا الإرشاد من أعظم طرق التربية والتعليم : بل هو من جوامع كلم سيد المرسلين والله يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

سورة النحل ـ الآية : ١٢٨

والسؤال عن الإحسان كان للاهتمام بقيمة الإحسان ، لرفعة شأنه وعلو قدره ؛ لأن الله يحب المحسنين وهو القائل :

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾

سورة القصص ـ الآية : ٧٧

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ .

سورة الرحمن ـ الآية : ٦٠

وتأمل الجواب وهو « أن تعبد الله كأنك تراه » وهو معكم أينما كنتم ، فاتق الله حيثما كنت : وكن ممن يخشون ربهم ، ولتكن موصولا بالله أينما حللت وأنىَّ وجدت .

﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

سورة طه ـ الآية : ١٣٢

والله يقول :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ .

سورة النازعات ـ الآيتان ٤٠ ـ ٤١

ويقول الله تبارك وتعالى :

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

سورة الأحقاف ـ الآية : ٣١

ويقول :

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

سورة الزمر

والله يرى ويعلم ويسمع ويبصر ، (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وسيرى عمل كل عامل ذكرا كان أو أنثى ولا يضيع أجر من أحسن عملا : « لا يذهب العُرفُ بين الله والناس » .

« قال فأخبرنى عن الساعة »

قال صلوات الله وسلامه عليه : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » : وهذا هو الجواب البليغ ، والذى لا يناسب جواب غيره ولا يستطيع أحد أن يأتى بجواب مثله ، من حيث البلاغة والفصاحة ودقة البعير وقوة الإقناع ووضوح الأمر لأولى الألباب وأهل الفصاحة والبيان العالمين بأسرار البلاغة .

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ .

سورة العنكبوت ـ الآية : ٤٣

« قال فأخبرنى عن أمارتها »

فأجابه ﷺ عن الأمارات وفى رواية عن أماراتها موضحا أشراطها . فقال : أن تلد الأمة ربَّتها : أى سيدتها ، وكأن التأنيث جاء لمراعاة معنى النفس الآدمية ذكرا كان أو أنثى ، والأمارة (العلامة) وفسر العلماء هذا بأنه كناية عن كثرة عقوق الأولاد للأمهات فكأن المرأة بدل أن تلد إبنا بارا أو البنت

البارة ـ التى تتقرب إلى الله بطاعة أمها وترى أن الجنة تحت أقدام الأمهات ـ تلد من الأولاد من يتسلط ويتحكم فيها ويرى أنه كأنه سيدها وهى أمته وغير ذلك من أقوال الشّراح باجتهادهم فى هذا : ولا شىء أكثر ارتياحا من أن علم الساعة عند الله ـ تعالى ـ وقد استأثر هو وحده بعلمه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ .

سورة لقمان ـ الآية : ٣٤

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

(وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان) .

وهذا يشير إلى انقلاب الأحوال ويرمز إلى انتقال الأمرة والسيادة إلى طغام الناس : ومنهم الذين يستعمرون بغدرهم أرض الإسلام ويستأثرون بخيراتها وأصحاب الأوطان المسلمة لا هون وفى غمرة ساهون ، بعد أن قد مكّن الله لهم فى الأرض حينا من الدهر وخضعت لسلطانهم جبابرة الطغيان شرقا وغربا والتاريخ يحفظ هذا جيدا ويعيه ، والله يقول :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

سورة هود ـ الآية : ١١٧

والله يهب النعم لمن يشاء من العباد فإذا بدلوا نعمة الله كفرا بها أخذها منهم وأعطاها لغيرهم ممن لا يعتد بهم ممن كانوا بالأمس سوقة حفاة عراة عالة أذلاء فقراء فأصبحوا يتطاولون فى البنيان ليذل الله بذلك كبرياء الذين طغوا وبغوا .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ .

سورة طه ـ الآية : ٦١

وقد تبين لنا أن الإسلام لا يتحقق إلا بقبول الأوامر واجتناب النواهى فلا ينفك الإسلام عن الإيمان ولا الإيمان عن الإسلام ، وثمرات الإسلام تظهر بالعمل به ، ثم ما هو السر فى مجىء جبريل عليه السلام على هذا الوجه فى هذا الحديث . ؟ : السر هو أن ينبههم على أن يسألوا عما فيه فائدة لهم فى دينهم من معنى الإسلام والإيمان والإحسان فيقيسوا عليها السؤال عن المهم فى الأحكام وألا يسترسلوا فى السؤال عن غير المهم من الأمور ، وأما سؤاله عن الساعة فليعلمهم أنه لا سبيل إلى علمها فيكفوا عن السؤال عنها : وعن موعدها : وليهتموا بتطبيق الإسلام على أنفسهم عمليا وكذلك الإحسان وهو يكون بمراقبة الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، فلنقف بعقلنا المحدود ـ الذى لا يدرك اللا محدود ـ عند الحدود ؛ فما أوتينا من العلم إلا قليلا ، ولنتق الله ليعلمنا الله الذى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

سورة العلق ـ الآية : ٥

هذا هو الإسلام فى وضوح أدلته وشهادة بَيانه ؛ لأن عقائده لم ترهق العقول بما تعيا عن فهمه ولكنها ترشد الإنسان إلى ما تدركه نفسه ، ويقع عليه حسه ، ومن مظاهر نعمة الله أن يتعهد العقل بهداةٍ يقوّمونه إذا زل ويرشدونه إذا ضل ومعهم الأدلة الظاهرة والبراهين الساطعة والآيات الباهرة التى تدل على أنهم رسل من عند الله مبشرين ومنذرين .

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾

سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٩

وفى الشهادتين تبصير للنفس بتخليص العمل لله الذى لا يقال لغيره ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين .. اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

« **سورة الفاتحة** »

وفى إقام الصلاة تذكير للنفس ـ ليلا ونهارا ـ بعظمة الخالق والاستعانة به وحده فى كل شأن مع تعظيمه وإجلاله وتبجيله والخضوع مع الخشوع لله الواحد القهار ، وهو القائل :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

سورة العنكبوت ـ الآية :٤٥

قال ابن القيم : الذكر ثلاث درجات : أعلاها ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان ، ويليه ذكر بالقلب وحده ، ويلى هذا الذكر باللسان وحده وهو فى الدرجة الثالثة ، والله يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ الآيتان :٤١ ، ٤٢

نماذج اخرى من أدب الحوار :

سئل سيدنا أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن أحسن ما يعطى الله العبد ، قال . سعة علم . قالوا فإن لم يكن قال رجاحة عقل ، قالوا فإن لم يكن : قال صدق لسان قالوا فإن لم يكن . قال سكوت طويل قالوا فإن لم يكن . قال ميتة عاجلة .

أرسل سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بصرة فيها نفقة مع عبده إلى أبى ذر ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وقال لعبده : إن قبلها فأنت حر ، وكان سيدنا أبو ذر فقير المال ، ولكنه كان أبيا عفيفا ، غنى النفس نزيها ، فأبى أن يقبلها وردها إلى العبد ؛ فقال له اقبلها يرحمك الله ؛ فإن فيها عتقى ؛ فقال إن كان فيها عتقك ففيها رِقِّى . هذه نفوس عالية صنعها الإسلام ورباها القرآن :

يعز غنى النفس إن قل ماله

ويغنى غنى المال وهو ذليل

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم فقالوا:ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فيوسف ابن نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله . قالوا:ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألون ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا .

هذه نماذج من أدب الحوار الدينى بين السائل والمجيب ترتاح النفس وتطمئن القلب فلا شرود ولا شذوذ لكنه تيسير الإسلام وتوجيه القرآن وبيان سنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ .

سورة القمر ـ الآية : ١٧



حول حوار طاهر بن جلون عن الأزهر
جامعة التعصب !

أ.د/ محمد ابراهيم الفيومي

أحال الينا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر/جاد الحق على جاد الحق مقالا نشرته صحيفة « الربيوبليكا » الإيطالية بقلم الكاتب المغربى طاهر بن جلون مؤرخا بتاريخ ٩٤/٤/١٧ بعنوان : جامعة التعصب .. مصر الرائدة الثقافية فى العالم العربى ، ولكن عدم التسامح والرقابة التى يفرضها مركز الدراسات بالأزهر يطعن الكثير من المثقفين ، ومن بينهم نجيب محفوظ الحاصل على جائزة نوبل للسلام .

وحين طالعنا حواره مع الصحيفة لم نجد فيه سوى اتهامات مكذوبة على الله ، وعلى التاريخ ، وعلى مصر الأزهر بشعبها ، من كاتب عربى لا يملك حجة ولا برهانا ، أساء بها إلى نفسه وإلى وطنه العربى الأكبر وهو يته الثقافية .

ولقد بدأ حواره بدعوى جدلية مغلوطة ، تحمل فى باطنها معاول هدمها ، وهو يحسب معاولها دليل برهانه على دعواه .. ودعواه تنحصر فى قضيتين .

- الأزهر جامعة التعصب .
- الإسلام نصوص غير قابلة للتغيير والتاريخ يمضى قدما .

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الأزهر جامعة التعصب :

يرى الكاتب فى مقدمة حديثه عن الأزهر : أن جامعة الأزهر بالقاهرة من أهم الجامعات الإسلامية فى العالم ، كما أنها من أعرق الجامعات . خلال الاحتلال العثمانى شكلت نخبة أدبية وبصفة خاصة استثمرت تقاليد تعميق المعرفة . إنها جامعة مستقلة حيال الحكومة وأصبحت الوجدان المعنوى والثقافى للبلاد .

هذا ولا شك هو تاريخ الأزهر ، وتلك رسالته التى ما زال قائما عليها ، ويحرص على أدائها حرصا شديدا ، يتسم فى أدائها بعدم التعصب المذهبى أو الانحياز لرأى فقهى لنسبته إلى مذهب معين . إنما هو الرأى حيث الدليل والترجيح ، ومعياره دائما مع المذاهب والفرق : الكتاب والسنة ومناهج الاجتهاد . لكن الباحث خالف نفسه بعد ما قدم الأزهر ، حين قال : «ومع مرور الوقت وتطور الحركات الأصولية اتخذ موقف دفاع مؤكدا على تفهمها ومساندتها أيضا للمسلمين المتشددين ، واعتبر نفسه مستودعا للاسم» ، يتابع الباحث الإعلام الغربى والرأى الاستشراق حين استعمل مصطلح الأصولية فى مقابل العلمانية .. هذه المقابلة الثنائية تعنى لدى الغرب (القرون الوسطى) ، أى عصر النزاع بين الكنيسة والعلمانية التى على أساسها أقصيت الكنيسة عن قيادة المجتمع ، وأفسحت الطريق للعلمانية واسعا .. ولاشك أن الكاتب حين استعمل مصطلح «الأصولية» يعنى نقل رؤية الغرب لتاريخه الثقافى إلى الإسلام بينما تاريخ الإسلام الحضارى والثقافى ليس فيه ما يماثل ما وقع فى القرون الوسطى من النزاع بين العقل والنقل ، وليس فيه طبقة دينية أعلنت وصايتها على الدين ، تحرم فيه ما تشاء ، أو تحلل ما تشاء ، وتعلن وصايتها على العقل ومصادر معرفته ، فالمصطلح يرتبط تاريخه فى أوروبا بالعنف والتطرف والإرهاب .

حقيقة للأصولية معنى تنتسب إليه لا بسبب أى نوع من الخوف ، لأنه لا يوجد دين بلا أصول ، فيستطيع كل إنسان متدين يدعى أنه أصولى ؛ لأن تدينه يرجع إلى أصول . والأصولية بهذا المعنى ليس فيها ما يثير القلق والانزعاج ، لكن اللافت أن كلمة أصولية اكتسبت فى الفترة الأخيرة معنى مغايرا لحقيقتها اللغوية ، فبات يقصد منها معنى التطرف والانغلاق ، فالأصولى هو كل من يرفض التطور والتفاعل مع المدنية الحديثة مفضلا الرجوع إلى التراث مكتفيا به عازلا نفسه عن العالم . يصر الغرب والكاتب يتابعه فى إلصاق صفة التطرف بالمسلمين والعرب ويجعل الكاتب طاهر بن جالون الأزهر هو القيم على الأصولية بهذا المعنى ، وذلك ليس تأويلا تعسفيا منا لحديث الكاتب ؛ فهو قد استعمل مصطلح «الأصولية» مقرونا «بالحركات» ، وذلك يعنى بكل تأكيد إلصاق تهم الإرهاب والتطرف والعنف بالإسلام والأزهر ، وهذا ولاشك ضلال ثقافى حين يستعير مفاهيم الغرب التاريخية ؛ ليشوه بها واقعنا المعاصر ويخطىء

الباحث خطأ شديدا فيما ساقه من شواهد ينسبها إلى الأزهر تصفه بمحاربة الفكر ومصادرة الحرية الثقافية ، من هذه الشواهد :

× قضية نصر أبوزيد ودعوى إلزامه بتطليق زوجته .

× سلمان رشدى .. أسماء أخرى .

× مسلسل بيت العائلة .

× فيلم عادل إمام

ليس للأزهر دخل فى قضية نصر أبوزيد العلمية ؛ فهو موقف أكاديمى مع اللجنة العلمية الدائمة ــ جامعة القاهرة ــ وليست جامعة الأزهر كما يذهب الكاتب ، فما قاله الكاتب عن جامعة الأزهر لاينصرف إلى جامعة الأزهر . ولاشك أن قضية نصر أبوزيد تتعلق بالتقاليد الجامعية العلمية ومنهج البحث العلمى ، فإثارتها على الرأى العام تضر كثيرا بالأبحاث العلمية وقواعد المنهج الجامعية . وقضية الدعوى عليه بتطليق زوجته لادخل للأزهر فيها ، إنما هى دعوى أقامها عليه محام . ومازال نصر أبوزيد أستاذاً مساعداً بالجامعة يكتب ويحاضر ويعيش مع زوجته دون حجر عليه .. ثم لماذا كان رأى الصحافة هو الصحيح ؟ ورأى اللجنة العلمية هو الخطأ وهو الجمود ؟! هذا وأيم الحق منطق متحيز حين ينحى أهل الاختصاص لطائفة المزيفين .

كذلك سلمان رشدى قال فيه الكاتب والمفكر والروائى أنيس منصور:الروائى البريطانى الجنسية الهندى الأصل المسلم المرتد سلمان رشدى يستحق ضرب (الجزمة) وأكثر فقد تعمد أن يسىء إلى الإسلام والقرآن والرسول ــ عليه السلام ــ ، وهذه الإساءة لم تجىء عرضا فى جملة أو فى تفسير .. إنما فى الرواية كلها من أول صفحة حتى آخر صفحة رقم ٥٤٧ وهو سافل وحقير لاشك فى ذلك . الأهرام /١٩٨٩/٧ .

وإقحام اسم نجيب محفوظ لامبرر له ، وذلك لأنه حين أبدى الأزهر وجهة نظره فى قصته : «أولاد حارتنا» تقبلها الكاتب ، وكتب بذلك وقال : أنا لاأعنى هذه المعانى .

فيلم عادل إمام .. مازال يعرض واعترضت عليه دول عربية وقالت : إنه يسىء إلى الإسلام .

مسلسل العائلة .. عرض بكامله ، وعَدَّل الأزهر بعض القضايا الدينية واستجاب المؤلف واعتذر .

فأين تسلط الأزهر على الحرية الفكرية وعلى مصادرة الإبداع ؟

كيف نطلب حرية الفكر للآخرين بدعوى الإبداع والحرية الثقافية فى أن يكتبوا ما يحلو لهم ، ثم ننكر على الأزهر حين يتولى مسئوليته الإسلامية ويقوم بتصحيح ما يجب تصحيحه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وندعى عليه أنه يجمد الفكر ويصادر الإبداع ، فالأزهر هو الأزهر هوية إسلامية عربية ، لامذهبية ولاعصبية ، إنما هو تاريخ مشرف ، فهل الحرية الثقافية لاتكون إلا بالطعن فى الإسلام ؟ وهل الأزهر تجاوز سلطته فحارب الفكر ! أليس للأزهر رأيه فيما

يكتب عن الإسلام ؟ ندع لطاهر بن جلون أن يحدد اختصاص الأزهر .

القضية الثانية : النصوص الثابتة والحياة المتغيرة :

يقول الكاتب : إن الإسلام فى القرن الأول للهجرة القرن السابع الميلادى ليس إسلام اليوم ، أى أن النصوص غير قابلة للتغيير ، ولكن التاريخ يمضى قدمـــا ، وربما من الضرورى إدخـــال إصلاحات على النصوص الدينية التى تنظم لحياة اليومية .

يردد الكاتب ما يأخذه العلمانيون فى الغرب على الدين وهو : أن الدين يوصف بالثبات وعدم التغيير ، بينما الحياة الاجتماعية توصف بالتغير والتبدل ... فكيف يترابط الثابت بالمتغير ... والمفروض لدينا فى الإسلام ليس الترابط فقط ، بل المطلوب أن يقود الثابت (الدين) المتحرك (الحياة الاجتماعية والسياسية .. الخ) .

هذه الإشكالية أثارها الغرب ضد الكنيسة ، فانزوت عن الحياة ؛ إذ ليس لديها برنامج لمتغيرات الحياة ، وهى كما نسب إلى السيد المسيح : «مالقيصر لقيصر ، ومـا لله» ، وليس فى الإسلام مثل هذا النص .

أما هذه الإشكالية فقد أثارها السلف الصالح وقدم لها من الحلول المناسبة من خلال حركة عقلية نشطة تعاونت فيها الجهود الفكرية والفقهية ؛ لتحفظ للعقل وظيفته الفكرية ، وللنص صلاحيته لقانون التغير المستمر .

من هنا كانت نشأة علم أصول الفقه وتطبيقاته العلمية التى عرفت باسم الفقه الإسلامى ، أو علم الفروع ــ علم سلوك المسلم ــ تلبية دينية واجتماعية وثقافية ، مسايرة لمبدأ التوازن بين الإسلام ، وتطور الحياة ومشكلاتها ؛ كى لاينعزل المسلم بإسلامه عن الحياة ، ولاينعزل بالحياة عن إسلامه .. وكان هذا الجهد الفقهى تطويرا لمفهوم «الرأى» الذى أخذ به معاذ ، حين أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن ، وقد رضى عنه الرسول قوله وأثنى عليه ؛ ولهذا تطور الرأى بجهود الفقهاء إلى ما يعرف بالاجتهاد فى التشريع مراعاة لقانون التغير العام . وكان مبدأ الاجتهاد فى الإسلام ضروريا ؛ ليحفظ على العقل دوره الحضارى فى الإسلام فى تطبيق كليات الشريعة وتحويلها إلى حركة اجتماعية من خلال قواعد عقلية صنعها العقل ؛ لتحفظ عليه رشده من أن يقع تحت أهواء مهللة ، أو يقع تحت تأثير رؤية ذاتيـة ، ومـن تلك القواعـــد : القيـــاس ــ الإجماع ــ الاستحسان ــ المصالح المرسلة .. قواعد صاغها العقل لغاية دينية ، وذلك كله كان من جهود الفقهاء مراعاة لقانون التغير العام فى المجتمعات خلال انتقاله المستمر من زمن إلى زمن ، ومن حال إلى حال .

وبعد فقد أصبح الهجوم على الأزهر (موضة) العصر ، وهو حصن العروبة والإسلام وحامى الحرية ورمز الوطن والوطنية . فإذا ما استهدف بالنيل منه كيدا وبغضا فماذا يبقى لنا من الهوية الثقافية ؟

رحمة الله للرحماء

الرحمة ، رقة فى القلب ، تستلزم العطف بكل كائن حى ، وهى خلق يدل على نبل الطبع ، وسُمُوّ الروح ، وصفاء النفس ، ونقاء المعدن ، وكمال المروءة ، وعلوّ الهمة فى الإنسان ، تجعله يرقُّ لآلام الناس ، ويسعى لإزالتها جهد استطاعته ، ويتألم لأخطائهم ، فيتمنَّى لهم الهدى .. وديننا الحنيف أمر بالتراحم العام ، وجعله من دلائل الإيمان الكامل .. فالمسلم التقى يلقى الناس وفى وجهه إشراق وانبساط ، وفى قلبه حب وعطف ، وفى معاملته لين ويسر ، فهو يُرَحِّب بهم ، ويُخفِّفُ عنهم ما عساه أن يكون قد ألَمَّ بهم ، من صُروف الدهر ، ويتعاون معهم على فعل الخير وعمل البر ، قال رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة عامة »(١) .

لفضيلة الشيخ/
عبد المنصف محمود عبد الفتاح(*)

إن الإنسان : يَرِقُّ لأولاده ، حين يراهم ، ويهش لأصدقائه حين يلقاهم ، وذلك أمر يشيع عند الكثيرين من الناس ، غير أن المفروض فى المسلم : أن تكون دائرة رحمته أوسع ، لاسيما بالنسبة للضعفاء من خلق الله ؛ لكى يكون جديراً برحمة الله ، قال رسول الله ﷺ : « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن لا يغفر لا يُغفَرُ له** »(٢) .. وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « **من لا يرحم من فى الأرض ، لا يرحمه من فى السماء** »(٣) .

آثار الرحمة :

الرحمة : تجعل المسلم مرهف الحس ، رقيق المشاعر ، وتباعد بينه وبين غيره من الكائنات ،

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

(١) رواه الطبرانى .

(٢) أخرجه البخارى .

(٣) رواه الطبرانى .

التى تَعُجُ بها الحياة ، لأن تَبَلُّد الحس يَهْوِى بالإنسان إلى منزلة الحيوان الأعجم ، ويسلبه خير ما فيه ، وهى العاطفة الحية : النابضة بالحب والرأفة ، بل إن الحيوان والطير : قد تجيش فيه مشاعر مُبْهَمَةٌ : تُعَطِّفُهُ على ذراريه ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده ، تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل فى الأرض جزءا واحداً ، فمن ذلك الجزء : تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها ؛ خشية أن تصيبه »(٤) .. وروى عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ ، فى سفر ، فرأينا حُمَّرة(٥) .. معها فرخان لها ، فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تضرب بجناحيها ، من أجل فرخيها ، فقال رسول الله ﷺ : من فجع هذه بولدها ؟ رُدُّوا ولدها إليها » .

ومن ثَمَّ كانت القسوة : ارتكاسا بالفطرة ، لا إلى منزلة البهائم ، بل إلى منزلة الجمادات : التى لا حِسَّ فيها ولا حركة ، قال رسول الله ﷺ : « **إن أبعد الناس من الله ـ تعالى : القاسى القلب** »(٦) .

صفة من صفات الله ـ تعالى :

والرحمة : فى أُفُقها الأعلى ، وامتدادها المطلق : صفة من صفات الله ـ عز وجل ـ ، فإن رحمته : شملت الوجود ، وعمت الملكوت ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء ، أشرق معه شعاع الرحمة الغامرة ، قال الله ـ تعالى : « وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ »(٧) .

فهذه الآية الكريمة : عظيمة الشمول والعموم ، وهى كقوله ـ تعالى :

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ »(٨)

ويقول الله ـ عز وجل ـ فى حديث قدسى : « **رحمتى سبقت غضبى ، وحلمى سبق مؤاخذتى ، وعفوى سبق انتقامى ، أنا رءوف بعبادى ، وأرحم من الوالدة بولدها** » .

عموم الرحمة :

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « بينما النبى ﷺ جالس بين أصحابه فى خلاء ، جاءه رجل عليه كساء ، وفى يده شىء قد لَفَّ عليه كساءه وقال : يارسول الله إنى لما رأيتك أقبلت ، فمررت بشجر مُلْتفٍّ بعضه على بعض ، فسمعت فيه أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن ،

(٤) رواه البخارى .
(٥) طائرا أحمر اللون .
(٦) رواه الترمذى .
(٧) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٨) غافر : ٧ .

فاستدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن ، فسقطت عليهن ، فَلَفَفْتُها معهن بكسائى ، فهاهن معى يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : ضَعْهُنَّ ، فوضعتهن أمامه على الأرض ، وكشفت الكساء عنهن ، فأبت أمهن فراقهن ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون لرحمة أم الفراخ بفراخها ؟ قالوا : نعم ، قال : والذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها ، قم فارجع بهن حتى تضعهن (مكانهن) وأمهن معهن »[٩] .

إن كل ما نراه فى الأرض : من توادٍّ وتحاب ، وتعاطف وتآلف ، وتعاون وتراحم : إنما هو أثر من رحمة الله التى أودع جزءاً منها فى قلوب الخلائق .. فَأَرَقُّ الناس قلبا : أوفرهم نصيبا من هذه الرحمة ، وأرهفهم إحساسا بحاجات الضعفاء والعاجزين ، وأسمعهم إلى أَنَّاتِ الفقراء والمعوزين ، وأسرعهم إلى مساعدة اليتامى والبائسين .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه ، فقال ﷺ : « امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين »[١٠] .. وفى رواية أخرى : أن رجلا جاءه يشكو قسوة قلبه ، فقال له : « أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلين قلبك ، وتدرك حاجتك »[١١] .

الرحمة بالحيوان :

ومن الرحمة المطلوبة ، الرفق بالحيوان ، روى أن النبى ﷺ رأى رجلا يحدُّ شفرته ، وقد أضجع شاته . فقال له : (منكرا عليه) « أتريد أن تُميتها موتتين ، هلا أحددت شفرتك ، قبل أن تضجعها » ، وروى أن رجلا قال : يارسول الله « إنى لأرحم الشاة أن أذبحها ، فقال : « إن رحمتها رحمك الله »[١٢] .. ورأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رجلا يسحب شاة برجلها ، ليذبحها ، فقال له : « ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا » .

وليس من الرحمة : أن نقسو على الحيوان أو نستهين بآلامه ، أو نجيعه ، أو نُحمله ما لا يطيق .

وقد بين ديننا الحنيف : أن الإنسان ـ مع علو قدره ، وعظم شأنه ـ يدخل النار فى إساءة يرتكبها مع دابة عجماء ، قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار فى هرة ، ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض »[١٣] .

تكفير المعاصى بالرحمة :

كما بين أن بعض المعاصى قد تكفرها نزعة رحمة تغمر القلب ، ولو كانت بإزاء كلب ، قال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يمشى بطريق ،

(٩) رواه أبو داود .
(١٠) أخرجه الإمام أحمد .
(١١) رواه الطبرانى .
(١٢) أخرجه الحاكم .
(١٣) رواه البخارى .

اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، وإذا كلب يلهث : يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه ، حتى رقى ، فسقى الكلب فشكر الله ـ تعالى ـ له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ قال : فى كل ذات كبد رطبة أجر »[١٤] .

إن من آثار الرحمة وثمارها : البر والإحسان .. فالرحيم : هو البار بوالديه ، البار بأقاربه ، البار بإخوانه ، البار بجيرانه ، البار بالناس جميعا .. يقوم لكل هؤلاء بالحقوق الواجبة عليه ، وينفق من ماله : ما فرضه الله ـ تعالى ـ عليه .. يغيث الملهوفين ويفرج الكرب عن المكروبين ، ويتصدق على البؤساء والمساكين ، قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله : سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تطرد عنه جوعا ، أو تقضى عنه دينا » .

فعلى المسلم أن يؤدى حقوق أقاربه : يطعمهم من جوع ، ويؤمنهم من خوف ، ويتحمل إساءة المسىء منهم .. وأجدر الناس بجميل بره وعظيم إحسانه : **هما الوالدان** .

قال الله ـ تعالى :

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ »[١٥]

ثم أولاده .

عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال : « أتى أبو بكر عائشة ، وقد أصابتها الحمى ، فقال : كيف أنت يابنية ، وَقَبَّلَ خدها »[١٦] .

والمشاهد عند بعض الناس : أن عواطفهم لا تأخذ هذا الطابع من الرِّقة والحنو ، ففى أخلاقهم وألفاظهم جَفْوة مستكرهة ..

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قَبَّل الحسن والحسين ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : « من لا يرحم لا يرحم »[١٧] ..

وفى رواية أخرى : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » .

(١٤) رواه مسلم .
(١٥) الإسراء : ٢٢ ، ٢٤ .
(١٦) رواه البخارى .
(١٧) رواه البخارى .

ستمائة عام من الإسلام في يوغسلافيا

بقلم/ عبده حسن التناجي (*)

دام الحكم العثمانى فى « كرواتيا » و « فوفودينا » ٤٠ سنة وفى « صربيا » ٣٨ سنة ، وفى « البوسنة والهرسك » ٤١٥ سنة وفى « الجبل الأسود » ٤٢٠ سنة وفى « كوسوفو » ٤٣٠ سنة وفى « مقدونيا » ٥٤٧ سنة .

« بلجراد » العاصمة فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣م ، ثم احتلها النمساويون سنة ١٧١٨م ثم استرجعها العثمانيون سنة ١٧٣٨م ، ثم فقدوها للمرة الأخيرة سنة ١٨٣٠م وبذلك يكون الحكم العثمانى قد دام فيها ٣٥٨ سنة على وجه التقريب .

الرحالة التركى (أولى شلبى) زار بلجراد عام (١٦٠٠م) ، وكان عدد سكانها مائة ألف نسمة ، ثلاثة أرباعهم مسلمون ، وسجل وقتها أنه كان بالمدينة ٣٧٠ مسجداً ، و٧ (تكايا) ، وثمانى مدارس ثانوية إسلامية وتسع دور للحديث ، و ٣٧٠ من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم . وبعد أن انحسر الحكم الإسلامى عن المدينة قضى الصرب على المدارس والمساجد والكتاتيب كلها واحدة تلو الأخرى فهدم مسجد « أفندى »وأنشىء مكانه ميدان لسباق الخيل ، وتم بناء المسرح المركزى على أنقاض مسجد القرية ، والبرلمان اليوغسلافى هو فى الحقيقة مسجد « تبار » الذى كان أجمل وأكبر مسجد فى بلجراد ، ومسجد البيرقة وهو أول مسجد بناه المسلمون فى بلجراد حوله الصرب إلى كتدرائية سنة ١٧١٨م ثم استرجعه المسلمون عام ١٩٦٢م .

نشرت صحيفة « لوتمب » الفرنسية فى أحد أعدادها فى شهر أبريل سنة ١٩١٩م حديثاً لرئيس

(*) كاتب بالإذاعة .

علماء المسلمين فى يوغسلافيا الشيخ (جمال الدين تشادشفيتش) قال فيه :

إنه خلال السنة الأولى من حكم الصرب للبوسنة والهرسك تم إحراق وتدمير ونهب (٣٧٠) قرية إسلامية ، وقتل آلاف المسلمين ، وصرح « موشى بيادة » اليهودى الأصل فى المؤتمر التأسيسى لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف فى البوسنة عام ١٩٤٦ م أن المسلمين خطر على يوغسلافيا ، فى وقت اعترفت فيه يوغسلافيا بالحقوق القومية والدينية للشعب اليهودى فيها ، مما يدل على أن كل قوى الشر والبغى والعدوان اجتمعت على كلمة واحدة هى القضاء على شأفة الإسلام والمسلمين من جذورها .

مؤامرة للقضاء على البوسنة وخطة تقسيم البوسنة تمنح المسلمين ١٠٪ فقط

ثمة اتفاق عام فى الأوساط السياسية على أن المؤامرة مازالت مستمرة لطمس معالم البوسنة والهرسك كدولة إسلامية بعد الإعلان عن الخطة الجديدة لتقسيم البوسنة إلى ثلاث ذويلات عرقية والتى ترمى إلى مكافأة الصرب بمنحه ٥٠٪ من مساحة البوسنة الكلية كما يخصص للكروات ٤٠٪ والعشرة فى المائة الباقية تكون من نصيب المسلمين وتعرف الخطة بالصربو / كرواتية ، وهذه الخطة ليست جديدة فقد دعا هنرى كيسنجر ـ وزير خارجية أمريكا الأسبق ـ اليهودى الأصل ـ فى مقال له نشر قبيل الإعلان عن الخطة .

فى صحيفة (الديلى تلجراف) إلى تقسيم البوسنة ذات الأغلبية المسلمة إلى ثلاثة أقسام بين المجموعات الثلاث يكون قسم منها أساسا لدولة مسلمة صغيرة(!!) .

مع منفذ صغير على البحر الأدرياتيكى ويسمح للصرب والكروات على العيش فى ظل حكومة واحدة مع المسلمين ، ويؤكد أن الخطأ اللامسئول للمأساة هو الاعتراف الدولى بدولة بسنية يحكمها مسلمون والبوسنة لم تكن يوما أمة ولاتوجد لها هوية ثقافية محدودة » .

ويعد تصريح كيسنجر استعداء صريحا للمجتمع الدولى على المسلمين فى أوروبا ورفض استقلالهم فى دولة تجمعهم ، وبمجرد ظهور الخطة أسرعت الإدارة الأمريكية بتأييدها وهى الإدارة نفسها التى رفضت خطة (فانسى أوين) بدعوى أنها لا تحافظ على وحدة البوسنة وتعترف بالعدوان الصربى .

وقد عارض الرئيس البوسنى المسلم (على عزت بيجوفتش) الخطة معارضة شديدة وهو ما دفع « لورد أوين » إلى توجيه اللوم إليه قائلا : كان يجب على بيجوفتش تقبل هذه الخطة ، وبسبب تأييد المجموعة الأوروبية للتقسيم (**أطلق القائد المسلم (حازم باديتش) تهديده بأن لديه مواد كيمائية تكفى لتدمير الحياة فى أوروبا .**

وقد طالب بيجوفتش المجتمع الدولى بعدم التقليل من تهديد القائد المسلم باستخدام المواد الكيمائية للدفاع عن المسلمين وأضاف « على عزت » : ليس على المضطر حرج ، وكان بهذا

الموقف للرئيسى البوسنى أثره فى إحياء مجلس الرئاسة المشتركة فى البوسنة والذى يتكون من سبعة أعضاء منهم اثنان من المسلمين ، واثنان من الصرب ، واثنان من الكروات والسابع من يوغسلافيا ، وكان المجلس قد توقف عام ١٩٩٢ بعد اختيار « على عزت بيجوفتش » رئيساً وبعد اندلاع الحرب ومن بين أعضاء المجلس فكر (عبديتش مسلم) الذى يعارض موقف على عزت ويؤكد فكرة التقسيم ، ومعروف عن هذا العضو علاقاته الوثيقة بكرواتيا إلى درجة مساندته ليكون بديلا للرئيس على عزت فى رئاسة جمهورية البوسنة .

ومن ناحية ثانية تواصل الأمم المتحدة التآمر على البوسنة ومن أدلة ذلك أنها اكتفت بالموافقة على إرسال خمسة آلاف جندى إلى البوسنة بينما أكد وزير الدفاع الفرنسى أن تنفيذ مشروع حفظ السلام فى المناطق الآمنة فى البوسنة يحتاج إلى مائتى ألف جندى .

أما بالنسبة لدور العالم الإسلامى فمازال غامضاً لذلك قال « جون ميجور » رئيس وزراء بريطانيا : إن حكومات الدول الإسلامية قد فقدت قدرتها على معارضة الدول الغربية وأمريكا ، وباستطاعتنا تنفيذ أى خطة لمنع قيام دولة إسلامية فى أوروبا فى ظل حظر السلاح على البوسنة والمجموعة الأوروبية التى تسلح الصرب .

فهذه صحيفة (تايسكا فيستكيتن الدنماركية) مؤخراً تقول أن شركة يونانية تمولها المجموعة الأوروبية باعت لصربيا عتاداً حربياً من بينه عدسات متطورة جداً تستخدم فى الدبابات ومدافع الهاون ؛ بينما على الجانب الآخر هاجم مسئولون فى القمة الأوروبية الأخيرة المستشار الألمانى « هلموت كول » عندما أشار إلى رسالة أمريكية من الرئيس كلينتون تحض دول أوروبا على رفع حظر السلاح على البوسنة . والعجيب فى الأمر أن « الجماعة الأوروبية » مازالت تدعى أنها تدافع عن حقوق الإنسان وترفع راية العدل فى كل مكان وليس هذا إلا الضلال المبين .

التقسيم .. والجواب على الغطرسة الدولية

من الغطرسة الدولية هذا الذى عرفناه عن (ديفيد أوين) الوسيط الدولى فى هذا النزاع عندما وقف أمام الصحفيين ليعبر عن غضبه وانزعاجه الشديدين لأن الرئيس البوسنى على عزت أعلن مغادرته جنيف رافضاً خطة التقسيم التى اتفق عليها الطرفان رأسا العدوان .

لقد كان يجب على « بيجوفتش » فى نظر (أوين) أن يتقبل تلك الخطة التى تقرر للصرب والكروات فى البوسنة والهرسك قيام دولتين تنضمان حتماً إلى الأم لاحقاً « صربيا وكرواتيا » ، وتقومان على تسعين فى المائة من الأرض التى لا تزال تعيش ويلات التقتيل والتدمير والتشريد والتجويع ويبقى ١٠٪ منها لا تضم حتى بعض المدن الصامدة وسط الحصار ، والمعلنة كمناطق محمية آمنة لبقاء المسلمين ليعيشوا . إن كان هذا يسمى عيشاً فى منطقتين منفصلتين معزولتين لا تملكان أبسط أسباب البقاء فضلا عن إقامة دولة ثالثة .

وهنا يدهش منطق القوة ألا ينصاع لسياسة الأمر الواقع « الباطل » من حَرُم من السلاح كيلا يدافع عن نفسه فسيبقى يدافع بتضحياته وصموده ومن توطأت سائر القوى الدولية ضده فانفرد فى الميدان ولم يعلن استسلامه النهائى لاجتماع إرادتها على أبادته وتبلغ المهزلة ذروتها فى أسلوب تقليل ذلك الإحساس بالغضب والانزعاج عبر تصريح أوين بأنه كان يجب على بيجوفيتش ألا يعلن عن موقف الرفض قبل أن يتشاور مع القادة الآخرين داخل سراييفو على خطة التقسيم .

ومن تابع الأوضاع داخل سراييفو متابعة دقيقة يعلم أنه إذا وجد خلاف بين بيجوفتش وإخوانه فى مواجهة المأساة الجارية فهذا صادر عن استعدادهم الأكبر للمقاومة حتى النهاية .

لقد رأى بيجوفتش ولمس ما فعلته الأسرة الدولية من وعود ؛ كان ظاهراً من البداية أنها مخادعة وكان يثبت لاحقاً باستمرار أنها كذلك بالفعل ابتداء بأول الوعود التى أعلنت أساساً للتفاوض فى مؤتمر (لاهاى) ومروراً بما كان فى مؤتمر (لندن) ، وانتهاء بما يسمى خطة (فانس وأوين) عبر مؤتمر جنيف . فلم ينفذ جزئياً ولا كلياً وعد واحد من ذلك المسلسل المرافق لسيل الدماء وموجات التشريد والاغتصاب والتدمير ، وكان من حلقاته :

١ ـ المحافظة على وحدة أراضى البوسنة والهرسك .

٢ ـ تطبيق القانون الدولى فى التعامل المتكافىء مع سائر الأقليات فى كل دولة على حدة .

٣ ـ التدخل إذا استمر العدوان ورفع الحظر على السلاح إن لم يتوقف القتال بعد الموافقة على التقسيم إلى مقاطعات .

٤ ـ الالتزام بخطة (فانس وأوين) الجائرة إذا تمت الموافقة على المناطق الآمنة باسم الخطة الدولية الجديدة . وهذا غيض من فيض إذا ما أضيف إلى القائمة من وعود أخرى مرافقة لاتفاقيات لا تحصى على وقف إطلاق النار ، وعلى تأمين وصول القوافل الإنسانية إلى المسلمين المحاصرين ، وعلى نزع الأسلحة الثقيلة من الصربيين إذا سلم المسلمون بقايا أسلحتهم فى بعض المدن المحاصرة .

لم ينقطع المسلسل الرهيب حتى الآن .. والتواطؤ الدولى ظاهر للعيان فى دفعه ـ مرة بعد أخرى للقبول بأمر واقع جديد حقنا للدماء ـ دماء غير المسلمين ـ ومنعاً لتوسع رقعة القتال ، ولامانع من استمراره على حساب المسلمين .

هذه الضغوط لاتعنى فقط القبول بالبديل الماثل فى إبادة شعب وتقويض دولة وتشجيع مرتكبى الجريمة على ارتكاب المزيد فى البلقان ، ولانكشف فقط عن سياسة لاأخلاق لها ، وازدواجية لاقيم تضبطها ، وهيمنة دولية لاحدود لها تقف عندها ، بل إلى ماوراء ذلك من تدمير دولة إسلامية وليدة .

هذا وإنما يفترض بالمسلمين بالبلقان أن يمتلكوا لغة العصر واستخدامها ويستوعبوها استيعابا عميقا يتحول إلى واقع متطور فى حياتنا وسياستنا وتعاملنا على سائر المستويات .

الهجرة والمشكلة السكانية

بقلم : ا . د هشام مخلوف
د . يوسف محجوب

علم السكان أو علم الديموجرافيا .. هذه الكلمة التى اشتقت من كلمتين يونانيتين الأولى معناها : الناس أو البشر DEMES والثانية معناها : تصوير أو رسم أو وصف GRAPHIA ويهتم هذا العلم بدراسة السكان من حيث الحجم والتوزيع والخصائص فى مكان ما وفى وقت معين بالإضافة إلى دراسة التغيرات التى تحدث على هذا الحجم والتوزيع والخصائص عبر الزمن .

وحجم السكان هو ببساطة عدد الوحدات من السكان أو عدد الأفراد من السكان الموجودين فى منطقة ما وفى لحظة معينة .

وتوزيع السكان يقصد به مدى انتشار السكان فى مساحة ما وفى لحظة معينة .

أما خصائص السكان فيقصد بها توزيع السكان حسب الجنس (النوع) والعمر (السن) والحالة الزواجية والحالة التعليمية أو العملية وكذا الخصائص العرقية .

فحجم السكان لدولة ما فى لحظة معينة هو نتاج لحجم السكان فى تاريخ سابق مضافا إليه عدد المواليد خلال الفترة مضافا له عدد المهاجرين إلى هذه الدولة مطروحا منه عدد الوفيات خلال الفترة وكذا عدد المهاجرين من هذه الدولة .

فالمواليد والهجرة الوافدة تؤدى إلى زيادة حجم السكان لأية دولة بينما تؤدى الوفيات والهجرة من الدولة إلى نقص حجم السكان .

وعلى هذا فعلم السكان يهتم بدراسة الهجرة الدولية ؛ لا . لأنها تمثل عنصرا من عناصر التغير السكانى فحسب ؛ بل لأنها تساعد على دراسة الحركة الدولية للأفراد من مجتمع لآخر ومن دولة لأخرى .

والمصادر الأساسية لبيانات الهجرة هى السجلات التى تحتفظ بها الهيئات القومية التى

■ تتقدم مجلة الأزهر إلى الكاتبين الجليلين برجاء تزويد إدارة المجلة بأسماء ثلاثية لكل منهما مع بيان جهة العمل حتى يمكن الاحتفاظ لهما بحقوقهما قبل المجلة وترجو المجلة أن يعتبر الكتاب الكرام ذلك رجاء لكل منهم .

تنظم الهجرة وتمنح الجنسية للمهاجرين وإحصاءات العبور التى يمكن إعدادها بالرجوع إلى البطاقات أو السجلات التى تحتفظ بها السلطات فى جميع منافذ الدولة من موانىء ومطارات .. الخ .

وبالرغم من أن الهجرة تعتبر أقل أهمية من المواليد والوفيات فى إحداث تغير فى حجم ونمو السكان فإن الهجرة غالبا ما تكون خاضعة لسياسات وقوانين حازمة تفوق تلك السياسات المتعلقة بتنظيم خصوبة السكان أو وفياتهم وذلك لما لها من آثار اقتصادية واجتماعية على كل من الدول : المهاجر منها أو إليها .

الهجرة والنمو السكانى :

حتى أواخر القرن الماضى كانت الهجرة أهم العوامل التى لها تأثير على النمو السكانى فى بعض البلدان صغيرة الحجم مثل استراليا ونيوزلندا ، كما كان **للهجرة أثر كبير على النمو السكانى لأمريكا وكندا** ، وظل الدور الواضح للهجرة على النمو السكانى فى بعض البلدان فى بداية القرن الحالى مثل استراليا ونيوزيلنده وكندا وكذلك الأرجنتين وفنزويلا وإسرائيل التى اعتمدت كليا فى نشأتها على المهاجرين .. وما زالت .

كما أدت الهجرة دورا هاما فى تقليل النمو السكانى لبعض البلدان الأوربية خلال القرن الماضى حيث قدر حجم الهجرة من أوربا ككل بخمس حجم الزيادة الطبيعية (الفرق بين المواليد والوفيات) أى أن **الهجرة أدت إلى تقليل النمو السكانى فى أوربا خلال هذه الفترة بمقدار الخمس** .. ولعل إيرلندا تعتبر من أوضح الأمثلة لأثر الهجرة على النمو السكانى حيث زادت الهجرة على الزيادة الطبيعية للسكان مما أدى إلى النقصان فى حجم سكانها من خمسة ملايين نسمة فى عام ١٨٥١م إلى أقل من ثلاثة ملايين نسمة فى عام ١٩٢٦م .

كما بلغ حجم الهجرة الدولية حوالى تسع حجم الزيادة الطبيعية فى كل من ألمانيا خلال الفترة من ١٨٤١م ــ ١٩١٠م وفى المملكة المتحدة خلال الفترة من ١٨٧١م إلى ١٩٣١م وخلال القرن الحالى ظهر بوضوح دور الهجرة الخارجية على النمو السكانى فى بعض البلدان مثل ألمانيا الشرقية والبرتغال واليونان وإيطاليا ويوغوسلافيا ومالطا .

وبالرغم من النقص الواضح للإحصاءات المتعلقة بالهجرة فى آسيا وإفريقيا إلا أن الدراسات أوضحت **أن دور الهجرة كان قليل الأثر على النمو السكانى** فيها وربما يرجع ذلك إلى أن الهجرة فى هاتين القارتين كانت من أجل البحث عن فرص عمل فى أوربا وأمريكا لمدة شهور أو سنوات يعود المهاجرون بعدها إلى وطنهم ومعهم أبناؤهم بعكس المهاجرين فى أوربا إذ أنَّ هجرتهم دائمة .

ولما كان أغلب المهاجرين من الذكور فى أعمار الشباب فقد يكون للهجرة أثرُ مضاعفُ على النمو السكانى خاصة فى البلدان المهاجر إليها إذا ما تم زواجهم كما حدث فى فرنسا خلال العشرينيات من هذا القرن حيث أحدث المهاجرون التوازن بين الجنسين (الذكور والإناث) الذى اختل بسبب خسائر الحروب

وبصفة عامة فإنه يمكن القول : إنه ـــ وبسبب الخصائص الديموجرافية للمهاجرين من حيث النوع والسن ـــ يزداد النمو السكانى للدول المهاجر إليها وينخفض فى الدول المهاجر منها .

العوامل المؤثرة على الهجرة :

هناك عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية تؤدى دورا فى التأثير على الهجرة الدولية كما أن هناك عوامل شخصية تؤدى كذلك دورا هاما فى قرار الفرد بالنسبة للهجرة .

فهناك عوامل طرد اقتصادية واجتماعية وسياسية فى بعض البلدان تدفع الأفراد إلى الهجرة إلى البلدان التى تتمتع بعوامل جذب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية .

فغالبا ما يهاجر الأفراد من البلدان التى تعانى من انخفاض فى مستويات المعيشة إلى الدول التى تتمتع بمستويات معيشة مرتفعة حيث تتوفر فرص أفضل للعمل ، ومستويات صحية وثقافية وبيئية أفضل .

هذا كما قد يكون قرار الهجرة راجعا إلى أسباب سياسية أو عرقية ، وجدير بالذكر أن هناك جهوداً لتشجيع الهجرة تقوم بها :ـــ

(ا) منظمات متخصصة كما كان يحدث فى أمريكا واستراليا وكندا لتشجيع واختيار المهاجرين وكما هو الحال فى إسرائيل .

(ب) وأصحاب الأعمال لتشجيع واختيار العمالة اللازمة لمشروعاتهم .

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة :

للهجرة تأثير على حجم السكان ومعدل نموهم وتركيبهم العمرى ـــ كما سبق الذكر وبالتالى من المتوقع أن يكون لها تأثير على النمو الاقتصادى للدول المهاجر منها والمهاجر إليها من حيث :

١ ـ حجم القوى العاملة .

٢ ـ حجم العمالة والبطالة .

٣ ـ مستويات الأجور .

٤ ـ ميزان المدفوعات .

كما أن للهجرة آثاراً اجتماعية كذلك حيث يُحْضِر المهاجر عاداته وتقاليده ولغته وديانته ومعتقداته السياسية إلى الدولة المهاجر إليها كما يواجه بمشاكل تتعلق بالتأقلم مع المجتمع الجديد وعاداته ولغته .

السياسات الحكومية المتعلقة بالهجرة :

ينص إعلان (حقوق الانسان) على أن لكل إنسان الحق فى مغادرة أية دولة بما فيها وطنه ـــ كما أن له الحق فى العودة إلى وطنه .

وبالرغم من هذا إلا أن أغلب الدول وضعت قوانين تحد من هذا الحق حيث نجد :

١ ـ دُوَلًا سنت قوانين تمنع الهجرة منها أو إليها كما كان الحال فى أغلب الدول الاشتراكية .

٢ ـ ودولًا وضعت قوانين وسياسات لتشجيع الهجرة منها مثلما حدث فى مالطة وإيطاليا بعد الحرب .

٣ ـ ودولًا وضعت قوانين وسياسات لتشجيع الهجرة إليها مثلما حدث فى الأرجنتين وأمريكا واستراليا وإسرائيل ـــ بالنسبة لليهود .

كذلك وإيمانا من الدولة بأهمية الهجرة وبالتالى أهمية رعاية المهاجرين تم إنشاء وزارة للهجرة كما تم إصدار قانون الهجرة ورعاية المصريين فى الخارج رقم ١١١ لسنة ١٩٨٣م .

حيث جاء فى المادة الأولى ما يلى :

« للمصريين فرادى أو جماعات حق الهجرة الدائمة أو الموقوتة إلى الخارج ، وسواء أكان الغرض من هذه الهجرة مما يقتضى الإقامة الدائمة أو الموقوتة فى الخارج وفقا لأحكام هذا القانون وغيره من القوانين المعمول بها ، ويظلون محتفظين بجنسيتهم المصرية طبقا لأحكام القانون الخاص بالجنسية المصرية ولا يترتب على هجرتهم الدائمة أو الموقوتة الإخلال بحقوقهم الدستورية أو القانونية التى يتمتعون بها بوصفهم مصريين طالما ظلوا محتفظين بجنسيتهم المصرية .

كما جاء فى المادة الثالثة :

يتولى الوزير المختص بشئون الهجرة بالتعاون مع الوزارات والأجهزة المعنية مباشرة الاختصاصات التالية :ـــ

(ا) رعاية شئون المقيمين بالخارج .

(ب) تخطيط وتنظيم وتنفيذ ومتابعة سياسة هجرة المصريين إلى الخارج بهدف تدعيم صلاتهم بالوطن ، وخدمة أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية والمصالح القومية للبلاد .

(جـ) إعداد مشروعات القوانين والقرارات المتصلة بالهجرة إلى الخارج .

(د) إعداد مشروعات الاتفاقيات مع الدول الأجنبية لفتح مجالات جديدة للهجرة أمام المصريين وتيسير إقامتهم بدول المهجر وضمان حقوقهم ومصالحهم التى تكفلها لهم هذه الدول .

(هـ) اقتراح وسائل الإفادة من خبرة وكفاية العلماء وذوى الخبرة من المصريين المقيمين بالخارج فى مجالات التنمية والإنتاج بالوطن .

(و) دراسة واقتراح وسائل تمكين المصريين الموجودين فى الخارج من المساهمة بمدخراتهم فى خدمة مشروعات التنمية الإنتاجية فى مصر .

(ز) الإسهام فى إجراء حصر دورى شامل لأعداد ونوعيات المصريين المقيمين فى الخارج .

المراجـــــع

1- GUILLAUME J.(1978).
INTRODUCTION TO DEMOGRAPHIC ANALYSIS, PLENUM PRESS, N.Y.

2- SHRYOCK J.(1976).
THE METHODS AND MATERIALS OF DEMOGRAPHY, ACADEMIC PRESS, U.N.

3- U.N. (1973).
THE DETERMINANTES AND CONSEQUENCES OF POPULATION TRENDS. DEPARTMENT OF ECONOMIC AND SOCIAL AFFAIRS, N.Y.

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فللرد على السؤال المقدم من السيد/ م. فرغلى بشأن الصفرة النازلة بعد انقطاع دم النفاس وبيان الحكم فيها نفيد بما يأتى :

إذا انقطع دم النفاس وطهرت المرأة ، وعرفت ذلك بالطريقة التى اعتادتها من جفاف المحل ، أو نزول الماء الأبيض صارت المرأة طاهرة ويجب عليها الغسل وتصوم وتصلى وتحل لزوجها .

أما نزول الماء الأصفر عليها بعد الطهر فإنه يعتبر إفرازات لا تمنع من صحة الصوم ولا الصلاة لما رواه أصحاب السنن عن إحدى أمهات المؤمنين ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : كنا لا نعد الصفرة ولا الكدرة بعد الحيض حيضاً . فكذلك لا يعتد بهذا الماء الأصفر النازل بعد انقضاء أيام النفاس وكان على زوجة هذا السائل أن تصوم بقية أيام رمضان ، فإذا كانت قد أفطرت هذه الأيام بناء على ما تراءى لها من أن النازل عليها من بقية أيام النفاس فعليها أن تقضى هذه الأيام مع الأيام العشرة الأولى من رمضان التى أفطرتها بسبب نزول دم النفاس .

والله تعالى اعلم .

السؤال من السيد/ س.س.

رجل حرض امرأة على طلاقها من زوجها وبعد انقضاء عدتها تزوجها . فهل هذا الزواج صحيح أم لا ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فنفيد بأن عقد الزواج صحيح ما دام قد تم بشروطه وأركانه ، وإن كان عليهما حرمة فيما ارتكبا من عمل أدى إلى الطلاق بغير سبب والله ـ تعالى أعلم ـ .

السؤال من السيدة الدكتورة/ م. ح. سالم :

هل تجب الزكاة فى مال القاصر إذا بلغ نصاباً وما الحكم ؟

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه قد ذهب الأئمة الثلاثة مالك ، والشافعـــى ، وأحمد ـ رضى الله عنهم ـ إلى أن القاصر تجب فى ماله الزكاة شأنه شأن البالغ إذا كان المال قد بلغ نصاباً وحال عليه الحول . غير أن الإمام أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : لا تجب فيه الزكاة . واللجنة تفتى بالأرجح وهو إخراج الزكاة فى مال القاصر ما دام قد بلغ نصابا ، وحال عليه الحول . والله تعالى أعلم ـ .

السؤال من السيدة ع.م. :

أخ لزوجى مقيم فى بلد أوربى ، احتال على زوجى وحصل منه على توكيل عام بدون علمه من عشر سنوات (حصل على توقيعه بعد إقناعه بأن هذه الأوراق لمساعدته للعمل معه فى الخارج ، وهو لا يعلم اللغة الأجنبية المكتوب بها هذه الأوراق أمام قنصل البلد الأوروبى) .

ووضع أموالاً كثيرة باسم زوجى فى البنوك فى الخارج للتهرب من الضرائب فى اعتقاده أنها حلال لأنها بلد أوروبى ، ولا داعى لدفع الضرائب عنها ، واستغل هذا التوكيل فى أشياء أخرى غير قانونية تعرض زوجى للمخاطر ، وعندما علم زوجى بهذا التوكيل قام بإلغائه ، وأصبحت هذه الأموال باسم زوجى . فما حكم هذه الأموال ؟

علماً بأن أخا زوجى مليونير ، ولا يقدم يد المساعدة لزوجى ـ بالرغم من ظروفه المالية الضعيفة ـ ولا يسانده فى ظروف الحيـــاة الصعبة .

ما رأى الدين فى هذه الأموال التى أصبحت ملكاً لزوجى بعد إلغاء التوكيل ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

بسم الله الرحمن الرحيم ...

لا يحل لهذا الرجل أخذ شىء من مال أخيه الذى هربه باسمه بناء على إلغاء التوكيل لأن إلغاء التوكيل لا يحل له أخذ المال الذى أودعه أخوه باسمه ، وهذه الأموال ليست ملكاً لزوج السائلة كما تدعى . والله أعلم .

من أعلام الأزهر



الشيخ / حسين بن على المرصفى

رائد النهضة الأدبية المعاصرة

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

٢

استطعنا بعون الله ـ تعالى ـ أن نحصل على بعض فقرات من الترجمة المنشودة ، لحياة الشيخ سيد بن على المرصفى ، يتوفر فيها عنصر المفاجأة ، بالنسبة لقرية « مرصفى » وانتسابه إليها ، تلك القرية التى حسبنا أنه وُلد بها .. فقد تبين أنه ولد بدرْب (الرَّكْراكى) ، بشارع باب البحر بالقاهرة ، ونشأ به[١] .. وتعلم فى كُتَّاب والده ، القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وسجَّل اسمه فى أحد أروقة الجامع الأزهر ، بعد امتحان اجتازه بنجاح ، فى القراءة والكتابة ، وحفْظ القرآن الكريم ، وجلس إلى أحد أعمدة الجامع الأزهر ، يتلقى دروس العلم المختلفة .

درس التفسير والحديث ، قبل شروق الشمس ، ودرس الفقه ، بعد الشروق ، درس النحو والصرف بعد الظهر ؛ ومارس عادات الطلبة ، وتقاليد المجاورين .. فكان يقرأ الدرس مع أقرانه ، قبل حضوره درس الشيخ ، وأخذ يُطالع لإخوانه ، وهم ينصتون لقراءته ، أو يكون مع المنْصتين لقراءة بعض زملائه . وتدرج « سيد بن على » بين حلقات الدروس ، وانتفع بكتب الأزهر ،وأخذ ينقِّب فيها ، وأخذ نفسه بالجد والتحصيل والمثابرة ، فقرأ كثيراً من كتب الأزهر ، التى كانت تدرَّس آنذاك[٢] . « وظل يتلقى العلم فى الجامع الأزهر ، حتى نضج فكره ، وآنس من

(١) انظر كتاب (الشيخ الحسين بن أحمد المرصفى) للأستاذ محمد عبدالجواد ط دار المعارف سنة ١٩٥٢ ص ١٣٨ ـ وهذا النص الذى أورده المؤلف عن الشيخ سيد بن على المرصفى ، مستقى من حديث الصيام ، لتلميذه المرحوم محمد الغنيمى التفتازانى فى شهر رمضان سنة ١٣٤٩ هـ (مارس ١٩٣١ م) عقب وفاة الشيخ سيد المرصفى .

(٢) انظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى شوال ١٤٠٤ هـ (يوليو ١٩٨٤ م) ص ١٦٥٣ .

نفسه القدرة العلمية ، فطلب من شيخه (الشيخ الشربينى) أن يمنحه (إجازة) لنشر العلم وتدريسه ، فأجازه شيخه بذلك عام ١٣١٠ هـ . وقد جاء فى هذه الإجازة :

« **طلب منى الإمام الكامل ، والهمام الفاضل ، اللوذعى الأريب ، والألمعى الأديب ، ولدنا الشيخ سيد بن على المرصفى : إجازة ليتصل بسند سَادِنِى سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، فأَجَبْتُهُ ــ وإن لم أكن لذلك أهلا ــ رجاء أن ينشر العلم ، وأنال من الله فضلا ، وأنجو فى القيامة ، مما للكاتمين من الضرر ، فقلت : أجزْتُه بما تجوز لى روايته ، أو تصحّ عنى درايته .. من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر .. كما أخذْته عن الأئمَّة السادة الأكابر ، القادة مُسَدِّدِى العزائم ، فى استخراج الدُّرر .. »** إلخ[٣] .

* * *

وبعد حصوله على إجازة شيخه الشربينى عام ١٣١٠ هـ ، عين مُدرسا للغة العربية بـ (مدرسة والدة عباس باشا الابتدائية) ، واطلع فى هذه الأثناء على نظم التعليم بالمدارس ، فقال :

« ذهبنا إلى المدارس ، فوجدناها نظاماً .. بلا علم ! »

ثم عمل مدرساً بـ (مدرسة السلحدار الابتدائية) ، وتقدم بعد ذلك لامتحان الشهادة العالمية ، فحصل عليها بتقدير الدرجة الأولى الممتازة .

ثم عمل مصححا بدار الكتب ومدرسة بولاق . وبعد ذلك منحه الشيخ الإنبابى ــ شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ــ مرتب التدريس بالجامع الأزهر ، على أن يلقى درساً بين المغرب والعشاء فى (جامع الزاهد) ، بجهة باب البحر ، ثم مرض الشيخ « الإنبابى » ، فجاء الشيخ حسونة النواوى وكيلاً للأزهر ، وانضم إلى مجلس إدارة الأزهر الشيخ « محمد عبده » ــ ١٣١٣ هـ ــ ١٨٩٥م ــ ، ومع إصلاح الأزهر ، وإدخال العلوم الحديثة فيه ، طلب الأستاذ الإمام ، من ديوان الأوقاف ، مبلغاً من المال لترقية التعليم فى علوم اللغة العربية ، فأجيب إلى طلبه ، وقُدِّر مبلغ مائة جنيه سنويا لهذا الغرض .. والتمس الشيخ « محمد عبده »نُبهاء الأزهر ، ليعهد بتدريس (الكامل للمبرد) إلى أحدهم ، وكان « سيد بن على المرصفى » قد اشتهر بالتمكن من الأدب العربى ، وسعة الاطلاع على علوم اللغة العربية ، فعهد إليه بتدريس ذلك الكتاب ، مع ذخيرة من التراث العربى ..

(٣) استعنّا فى الحصول على هذه المعلومات القيمة من المصدرين السابقين .

ــ هذا ، وقد أضاف الأستاذ محمد عبدالجواد ، فى حديثه عن الشيخ سيد المرصفى ، إلى ما سبق أن ذكرناه من مؤلفات سيد المرصفى : (أسرار الحماسة) ورغبة الآمل من كتاب الكامل) ــ أضاف سيادته : ١ ــ تحفة العصر الجديد فى الفقه والتوحيد ٢ ــ الدُّرُّ الذى انسجم ، على لامية العرب وفيه تخميس للامية الطغرائى .

وكانت حلقة درس الأدب للمرصفى فى الرواق العباسى بالجامع الأزهر ، مهرجانا يضم الأدباء والشعراء ، على اختلاف بيئاتهم وألوانهم ، فلم تكن مقصورة على الأزهريين – وحدهم – بل كانت ندوة يؤمُّها عشاقُ الأدب جميعاً .

وفى يوم السادس من أكتوبر من عام ١٩٢٤ م تم اختيار الشيخ سيد المرصفى عضوا بهيئة كبار العلماء ، وقد آزره فى هذا الاختيار الشاعر العالم (الشيخ عبد الرحمن قراعة) ، مدير المعاهد الدينية بالأزهر فى ذلك الحين[٤] .

★ ★ ★

ونستطيع أن نزداد معرفة بشخصية « سيد بن على المرصفى » وأبعادها الثَّرَّة الفريدة ، من كتابات تلاميذه النجباء الذين عايشوه ولازموه عن كثب ، وتلقَّوْا عنه العلم والأدب ، بحب وإكبار ودأب .. ومنهم تلميذه : « زكى مبارك » الذى يقول : « عرفتُ بفضله أسرار اللغة العربية ، واستطعت بفضله أن أرفع رأسى بين أساتذة الأدب ، وحَمَلة الأقلام[٥] » . ثم يصفه وصفاً دقيقاً ، بقوله : « فى سنة ١٩١٣م رأيت فى الأزهر رجلاً نحيل الجسم ، غائر العينين ، لا تفصح سيماه عن شىء ، وحوله عشرة من الطلاب ، وهو ينشد بصوت شجى حنون :

جماعــة بطــن الواديـْـن تَرَنَّمـــى سقـاك من الغُـرِّ الغَـوَادى مطيرُهـا
أبِينْـى لنـا ، لازال ريشُك ناعمـا ولا زِلْتِ فى خضراءَ جارِ نميرُهـا

فجلست أستمع إلى إنشاده ، وما هى إلاَّ لحظَة حتى تبيَّنْتُ أن الذى يُحرِم من درس ذلك الرجل ، لا يخرج من الأزهر إلا بصفقة المغبون .. »[٦] إلى أن يقول : « ثم أخذت أُواظب على تلك الدروس ، فى حماسة وإعجاب .. وكانت عادة الرجل أن يُلقِى الأسئلة على الطلبة ، فى تجاهل العارف ، ثم يتركهم يستنبطون الجواب .. »[٦] ثم يعود إلى وصفه – فيقول : « كان الشيخ خافت الصوت ، فكنت أبكِّر إلى درسه لَأَقْرُبَ منه ، وكنت أكتب كل ما ينطق به ، حتى جمعتُ من درسه ثلاثين كُرَّاسا ، هى اليوم أنفس ما أملك من ذكريات الأزهر الشريف ... كنت أحضر دروسه ، وأصاحبه فى الطريق ، وأمضى إلى بيته ، فأطَّلع على ما لديه من مكنون الذخائر الأدبية واللغوية ، وأُنشده شعرى ، فيقَوِّمه ويُصْلح منه ، فى رفْق كثير . »[٧]

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر كتابه (البدائع) ط ١٩٣٥ م جـ ١ ص ٦٥ .

(٦) ، (٧) المصدر السابق ص ٦٦ .

ثم يعقد الدكتور زكى مبارك موازنة بين سيد بن على المرصفى ، وحسين المرصفى ، بقوله : « المدهش حقا هو أن نرى ذلك الرجل يصل إلى تلك القمة العالية ، فى فهم اللغة . والأدب ، بدون أستاذ .. وقد يُقال : إن حديث الشيخ حسين المرصفى ، بلديَّه ، هو الذى أوْحَى إليه فكرة التعمق فى الدراسات اللغوية .. وليس بين الرجلين صلة ظاهرة من الناحية العقلية . » ثم يقول عن « سيد بن على المرصفى » إنه « دخل الأزهر وعاش أزهريا حميما ، لأول عهده ، فكان يحفظ المتون ، ويراجع الشروح والحواشى والتقريرات .. فليت شعرى ، كيف استطاع الشيخ سيد أن يخلص من الدراسات الأزهرية ، ويفرغ لدراسة اللغة والأدب ، بحيث أمْكنه أن يكون نسيج وحده فى هذا الباب ؟ »[٨] .

ويستطرد الدكتور زكى مبارك فى حديث الذكريات عن أستاذه سيد بن على المرصفى ، بقوله : « عاش وحيد زمانه فى مصر والشرق ، نحو ثلاثين عاما ، وكان هو الحجة البالغة فى فهم اللغة والأدب والقرآن الكريم ..

وحسب القراء أن يذكروا أنه هو الرجل الفذ الذى تفرَّد بدرس الأراجيز ، ونسخها بخطه ، وشرحها شرحا وافيا ، لا زيادة بعده لمستزيد ، فى عصر قلَّ فيه من يستطيع أن يواجه رُؤْبَةَ أو العجَّاج ؟ .

كيف انقطع ذلك الرجل لدراسة اللغة والأدب ، فى عهد كان الانقطاع فيه إلى الأدب ، من أمارات الفلاكة والجنون ؟![٩] .

[لقد وصل] بجهده إلى مقارعة الكسائى ، وسيبويه ، وابن الأعرابى ، والزمخشرى ؟! .. [و] أمكنه أن يتفرَّد بتلك القوة ثلاثين عاما ..[١٠] .

ثم بهرنا زكى مبارك بالمعلومة التالية عن الشيخ سيد المرصفى ، بقوله : « وكان جمال القرآن الكريم يحمله أحيانا على الذهول ، وكانت له لحظات يقْضيها أسير الخشوع لروعة القرآن الكريم . »[١١] .

كما يحدثنا عن بعض ما أصابه من جهد المطالعة فيقول : « نظر مرة فى كتاب فزاغت عينُه عن السطر المطلوب ، فقال : رحمة لك يا عينى ! لقد طال ما أقْذَيْتُكِ تحت ضوء المصباح ! »[١٢] .

وثمة إجماع بين تلاميذ المقربين على ما كان يتمتع به الشيخ سيد المرصفى من : مقدرة باهرة وصبر عجيب فى البحث والاستقصاء فى « حديث » يريد أن يصحح الحكم فيه ، أو (لفظ) يريد أن يحققه ، أو (مقطوعة) يريد أن يتمها .

(٨) نفسه ص ٦٧ .

(٩) ، (١٠) ، (١١) المصدر السابق ص ٦٦ ـ ٦٨ .

كذلك كانوا يستمتعون بتفسيره لمقطوعات من « ديوان الحماسة » لأبى تمام ، أو من « الأمالى » لأبى على القالى أو غيرهما مثل « كتاب الكامل » وقد نَحَا فى تفسيره منحى اللغويين المتقدمين الكبار ، والنقاد العمالقة الذين عرفتهم البصرة والكوفة وبغداد منصرفا ـ فى شرحه ـ إلى النقد وتفسير الغريب .

ولم يحرم تلاميذه من علم النحو فاختار « المفصل » للزمخشرى ، وخصص لدرسه يومين من كل أسبوع ، وما أسرع ما كلف بسماعه كبار الأدباء الذين عرفتهم مصر بعد ذلك .

وثمة ظاهرة ملموسة بين الأستاذ المرصفى وتلاميذه ، فقد كان بينه وبينهم حب متبادل عميق بدا جليا فيما كتبه هؤلاء التلاميذ ، الأدباء الكبار ، ويبدو أن إخلاص هذا العالم الجليل فى أداء واجبه مع شغفه العلمى بمادَّته ، ومارزقه الله ـ سبحانه ـ من جمال اللفظ وروعته ، وأدائه الدقيق لنصوصه .. كل ذلك وغيره كان صراطا كريما بين فؤاده وقلوبهم .

وإنما نقول : « كل ذلك وغيره » لأن إخلاص الأستاذ المرصفى للعلم وبذله ، جعله لا يقصر درسه على أوقاته الرسمية ، بل أفسح لطلبته فى النفع به فوق هذه الأوقات فدرجوا إلى بيته المتواضع الذى يتساقط التراب من حائطه كأنما يوشك أن يتهدم ، فإذا دخلوه مَرُّوا بمر ضيق به (دكة) خشبية ضيقة طويلة عارية من مساند أو متكآت ، يجلس معهم عليها ، وينساب بينهم حديثه العذب البرىء من التكلف صادرا عن نفس راضية مطمئنة لم ينزل بها الفقر دون الكرامة ، يتناول الشعر ـ إذا تناوله ـ بنقد نزيه للشاعر ، ثم الراوى ، ثم ما تناوله البيت أو الأبيات من شروح ، ثم يستطرد إلى اللغويين بعد ذلك ويستمر فى عرضه حتى يوقف طلبته على معالم الجمال فى النص جملة وتفصيلا ووزنا وقافية إن كان شعراً ، وما يستدعيه المقام إن كان نثراً « أنظر الأيام جـ ٢ ص ١٦٥ » .

وقد يجلس بطلبته ـ فى مقهى ـ وجلسته حيث يكون هى جلسة العلم والنفع والأدب .

وفى الدور فوق الأرضى من هذا المنزل العتيق كان مسكن الشيخ ووالدته التى عاش يرعاها ويكفيها حاجتها ويطعمها بيده ، وهو فى كل من لقاءاته بطلبته المستبشر الفرح ، وإن بيته هذا ليذكرنى بوصف بيت سقراط للشاعر الإيرانى : « رشيد ياسمى ١٨٩٦ ـ ١٩٥١ » وقد ترجمتها شعرا فقلت :

بيتٌ ـ بكل قناعة الحكماءِ (سقراطُ) شيَّده ، بصخْر إباءِ
وتقاطر الخُلَطاء ـ دون رويَّة ـ فى ضجة .. وبغارة شعواء :
يرمون مَبْناهُ بكل نقيصةٍ ما رَدَّهُمْ أدبٌ وفضْلُ حياء
هذا لضيق يزدريه ، وآخر ينفكّ يُصْليه ، بسيْل هجاء

بل منهـــو مَنْ قال ـ دون لباقـــة وبـــغير توقير أو استخـــذاء ـ :
ـ أيكـون أستـاذاً لنـا ، ومُقامـه فى مثل هذا الجُحْـرِ .. كالبـؤساء !!

● ● ●

أخـذوا طريقهمـو إليـه بجُـرأةٍ وأمامـه قالـوا ـ بكـل جلاء :
ـ أيليـق يا أستاذنـا ، أن تَنْـزَوِى فى مثل هذا الكوخ .. كالسجنـاء ؟!
هيهات يمكننـا التحُـرك يمْنَـةً أو يسْرةً فيـه .. بغير عنـاء
... ضحك الحكيم الفذ ، ثم أجـابهم : ـ لا يا رفـاق .. ذاك محْض هُراء
خطـأ يُعـدُّ الكـوخُ غير مُلائـمٍ أو غير مَتَّسَع بعيْـن الـرائى
يا ليت تملـؤه ، على ضَيَـق به ، ـ رغْـم انْضمَاع ـ صفـوةُ الخلصاء !

★ ★ ★

كان الشيخ كريماً ، على فقر مدقع ، وإنما تيسر له الرزق بعد اختياره عضواً .. بـ « هيئة كبار العلماء » .. فارتفع دخله الشهرى من ثلاثة جنيهات ونصف جنيه ، إلى أربعين جنيها كانت لها قيمتها الكريمة فى هذا الوقت .

كان الشيخ سيد المرصفى وفيا لمشايخه ، وقد ذكر د/طه حسين أن الشيخ المرصفى نظم معلقة أملاها على تلاميذه يمدح فيها أستاذه الشيخ الشربينى بمناسبة توليه مشيخة الأزهر وسماها المرصفى : « ثامنة المعلقات » ، عارض بها قصيدة طرفة بن العبد ، ولكن طه حسين لم يذكر لنا شيئا من أبيات هذه القصيدة .

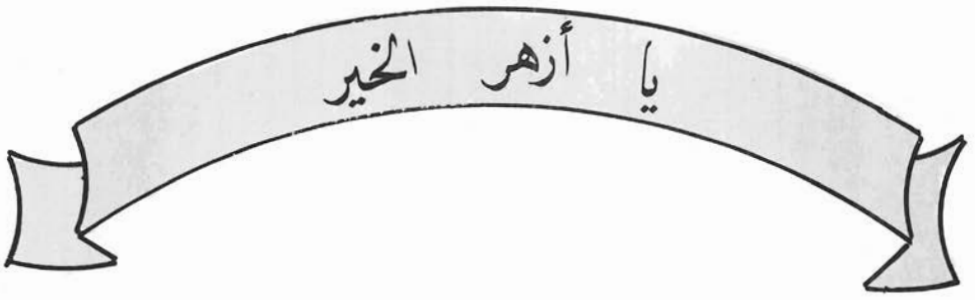
لقد كان فى أحاديث تلاميذه الكفاية ، فقد سَدّتْ هذه الأحاديث منافذ القول علينا ؛ لأنها هى الْأَوْلَى بالرواية ، والأكثر مناسبةً ودلالة على شخصية المرصفى الفذة ، وليس من رأى وسَمِعَ من تلاميذه ، كَمَنْ بَعُدَ به الزمن عن تلك الفترة الخصبة ، التى شهدها ووعاها الدارسون بالأزهر الشريف ، فى الثلث الأول من القرن الحالى .

وإلى لقاء ، بالمقال المقبل ، مع أحد نبغاء المراصفة الآخرين ، الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر ، الشيخ : محمد حسن نائل المرصفى : (١٨٨٣ ـ ١٩٣٥) .

وبالله التوفيق ..

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف



للشاعر/ رشاد محمد يوسف

يا شامخ الهام والكرامـــــــه ... يا صاحب الـــــرأى والإمامـــــه
يا أزهـــــر الخير سوف تبقـــــى ... موطـــــد الجاه والزعامـــــه
تسمـــــو بأجـــــوائك المعـــــالى ... تطـــــيب فى صحـــــنك الإقامـــــه
تبقـــــى على الدهـــــر فى أمـــــان ... تبقـــــى لركـــــن الهدى دعامـــــه

* * *

يا حارس الديـــــــــن قد توالتْ ... مواكبُ الإفك والجهامـــــــــه
« مُسَيْلـــــمٌ » عاد من جديـــــد ... يُذيـــــعُ بين الـــــورى ظَلَامـــــه
وفـــــرطتْ « هنـــــد » فى حماهـــــا ... وقـــــربتْ مربـــــط النعامـــــه
ورِدَّةٌ جاوزتْ مداهـــــــــا ... ومـــــا تصدى لها « أسامـــــه »
وحِـــــدَّةٌ لا تعـــــى خطاهـــــا ... تقيم من طيشهـــــا قيامـــــه
حَادَتْ عن العقـــــل لا تبـــــالى ... قواعـــــدَ العقـــــل أو صمامـــــه
قد أفـــــزعتْ فى الحمـــــى حَمَامَـــــةْ ... وأرهـــــبتْ فى الدجـــــى نيامـــــه
وألـــــفُ مفتٍ بلا دليـــــــلٍ ... « ومـــــالكٌ » يطـــــلبُ السلامـــــه
وألـــــفُ قاضٍ وألـــــفُ ألـــــفٍ ... ومـــــا على المدَّعـــــى ملامـــــه
رضيعنـــــا قد أتى فطامـــــه ... ومـــــا انحنت للرضيـــــع هامـــــه

ونحنُ من نحن لا نبـــــــــالى حَلاَلَـــــهُ كان أم حرامـــــه
نبـــيتُ فى أرضنـــا يتامـــى قد أسْلَمُـــوا أمرهـــم لئامـــه
قرآننـــا بيننـــا مقيـــمٌ فى عالم ما رَعَـــى زمامـــه

* * *

كأننـــــــا لم نرثْ جدودا كانـــوا بأبهائنـــا علامـــه
كانـــوا هداةَ الـــورى تقـــاة وحققـــوا بالتقـــى حرامـــه
وحكمـــوا العـــدل والتســـاوى فلـــيس فى حكمهـــم ظلامـــه
كانـــوا حداة السرى دعـــاة لله قد رتلـــوا كلامـــه
وجسدوا دولـــة ودينـــا وجـــردوا للوغـــى حسامـــه
كأننـــــــا لم نرث جدودا كانت لهم رايـــة الزعامـــه
من مسّ أجواءهـــــم بسوء أصابـــه السوء والندامـــه
قد حققـــوا الـــنصر والتسامـــى والعـــدل قد أكـــدوا قيامـــه
وخاطبـــوا البحـــر والصحـــارى والنجـــم قد زاحموا زحامـــه
وقـــال سلطـــانهم فخـــورا بنعمـــة الله والإمامـــه
فلتمطـــرى لؤلـــؤا نضيـــدا وحـــيثما شئت يا غمامـــه
يا أزهـــر النـــور عش منـــارا يهدى إلى الخير والسلامـــه
أدرك بنـــور الهدى حمانـــا وطّـــد بأركانـــه سلامـــه
حرر من الوهـــم كل عقـــل أعـــد لنـــا النـــور والكرامـــه
حرر من الخوف كل خطـــو أعـــد لنـــا الأمـــن والمقامـــه
ودم بأجوائنـــا ضيـــاء تزيـــل عن أفقنـــا القتامـــه
تعيـــد للديـــن كل مجد تعيـــد للمسلـــم ابتسامـــه
يا صاحب الـــرأى والزعامـــه
يا شامخ الهام والإمامـــه

إلام نظل نرتقب ...؟!

للشاعر/ شوقي محمود أبوناجي

إلام نظـــــلُّ نرتقـــــبُ ونـــــار الحقـــد تلتهـــب ؟
وقـــومي ـ في اللظى ـ حطـــبُ وليس يثيـــرنا غضـــب
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

فهـــل يحلـــو لنـــا غَمْـضُ ويُمْتـــعُ عيْنـــنَا خفضُ
ويغـــدر بعضنَـــا البعـضُ فإذْ بالخصْـــم ينْقَـضُّ
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

وخيـــرُ الأرض يُنْتَـــقصُ وعـزُّ العـــرض يُرْتَخَـصُ
وَتَنكـــأ جرحَنـــا غُصـصُ فهـــل نمســـى كمـن نكصـــوا
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

وأولُ قِبلـــــــــــــــة أُسرَتْ كقرطبـةَ التى انكســـــــــــرتْ
وأرضُ البوســـــــنة اســـــــتعرتْ فلـم تُدْرَكْ ومـا نُصِـــــــرتْ
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

ويحيـــــا الخصـــــم فى بلـــــدى حيـــــــاة الأمن والرغـــــــدِ
وَهَـمّ الخـــــوف والنكـــــد ضـحى يومى وفجـــــر غـــــدى
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

وأعْجَـــــبُ للـــــذى يســـــعى ليطلـــــــــب مـن فـم الأفعـى
دواءً يبـرىء اللســـــــــعا فيـــــــدرك آلـه الصـــــرعى
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

إذا مـا أحـــــــدق الخطـــــــرُ وهـبَّ الحقـــــــد يســـــــتعرُ
تطـايرَ حولنـــــــا الشـــــررُ فـلا ينجـى ســـــوى الحـــــذرُ
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

غفَلنـــــــا غفلـــــــةً كبرى فـزاد الشـــــــر واستشـــــرى
وحتـى نُقنِـــــصَ النصـــــرا تعالـــــوا نســـــلك الوعـــــرا
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

يمحـــــق صبحُنـــــا الليـــــلا تعالَـــــوْا نســـــرج الخيـــــلا
وهيـــــا نشـــــحذ النصـــــلا ونســـــقى المعتـــــدى ويـلا
إلام نظـل نرتقـبُ ؟

فإنـا نســـــل مـن ورثـــــوا عروقـــــا مـا بهـا خبـــــث
ولـن يلهـــــو بنـــــا عبـــــث وفينـــــا المجـــــد يبتعـــــث
إلام نظـل نرتقـبُ ؟



أمنية

للشاعرة / جَليلَة رِضَا

ليت لى مرفـــأً به يحتمـــى حِسِّـــى إذا ثار أو أفـــاض عبابـــه
ليت لى خبرة بكـــل لغـات الأرض أتلـــو بها الـــورى وكتابـــه
فأرى حلـــم زهـــرة تتخفـــى وأرى عين نرجس مرتابـــه
وتصير الجبـــال والبحـــر والآفاق يومـا لناظـــرى ـ أهدابـــه

* * *

ليت للقـــلب ـ بين ألـــف صديـــق ـ مخلصا واحـدا يواسى عذابـــه
ليت عبدالنفـاق يصبـــح حرا وسجين الغـــرور يحطـــم بابـــه
والخفافـــيش تستجـــيب لمرأى النـــور والغـاب يستـــردُّ ذئابـــه
وتوابـــيت حبنـــا تتهاوى وأزاهيـــر حبنـــا تتشابـــه
ليت للـعين أن تقـــاوم سحر الـــعين للقـــلب أن يَحُـــدَّ رِغابـــه
ليت قلب الفـــراغ يملـــؤه الله بحب لذاتـــه .. ومهابـــه !

إلى الأخت المسلمة

للشاعرة/ مَلك حفنى نَاصف

لا تخضعـــى بالقـــول أو تتبرجـــى أو ترفلى
مجد الفتـــاة مقامهـــا فى البـــيت لا فى المعمـــل
والمرء يعمـــل فى الحقـــول وعـــرسه فى المنـــزل
من للوليـــد يعينـــه فى لبسه والمأكل ؟
من للرضاعـــة والحضانـــة والفطـــام ومـــا يلى ؟
من للمـــريض يحوطـــه أبـــدا بدون تململ ؟
من للأثـــاث يصونـــه .. من للذخائـــر والحلى ؟
من يقسم المذخـــور بين الحال والمستقبـــل ؟

لكـــن إذا دعت الضرورة للخـــروج فحيهل
سيرى كسير السحب لاتأنَـــى ولاتتعـــجلى
وتنكبـــى نهج الزحـــام وفضلى النهج الخلى
فعـــلام أكثرت الملامـــة وانضممـــت لعـــدلى
ونسبتنـــى حينـــا لمذهب قاسم وأبى على

أمـــا السفـــور فحكمـــه فى الشرع ليس بمعضل
ويجوز بالإجماع منهم عنـــد قصد تأهـــل
من بعـــد أقـــوال الأئمـــة لا مجال لمقـــولى

التأصيل الإسلامي لعلم الوراثة

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا (*)

يبدو للكثير أن علم الوراثة Genetics ما هو إلا علم حديث النشأة ، وُلد بين علوم الحياة الأساسية الكبرى كالفسيولوجيا Physiology وعلم الأجنة Embryology وعلم الخلايا Cytology وبيولوجيا التناسل Reproductive Biology والهندسة الوراثية Genetic Engineering وغيرها ويعزى المؤرخون نشأة هذا العلم إلى الراهب النمساوى « مندل » الذى ابتكر أسسه وقوانينه ، وينسبون تطوره إلى كوكبة من علماء البيولوجيا أمثال « دى فريز » و « باتيسون » و « مورجان » وغيرهم . لكن التاريخ الحقيقى لعلم الوراثة يشهد بما لا يدع مجالاً للشك بأن علماء الحضارة الإسلامية هم أول من استخدم مصطلح « القيافة » ، وتحدثوا عن تحسين النسل والولد ، وأشاروا فى مؤلفاتهم إلى دور الفرسان العرب فى مجال الانتقاء الوراثى Heredity selection الذى مارسوه على الخيول العربية وعنوا بدراسة ظاهرة « التهجين » Crossing فى الإنسان والحيوان والطيور . وفطنوا إلى حكمة التشريع الإسلامى فى تحريم زواج الأقارب . والأدلة الدامغة على هذه الحقيقة الناصعة عن دور علماء المسلمين فى تأسيس علم الوراثة يمكن استخلاصها من أمهات الكتب التراثية للقزوينى والجاحظ وشريف الدين الدمياطى وابن قيم الجوزية وابن الجزار القيروانى وغيرهم .

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

القيافة أساس علم الوراثة :

ورد مصطلح « قيافة البشر » فى كتب التراث الإسلامى لتفسير التشابه بين الخلف والسلف ، فقد جاء فى كتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزوينى ما نصه : « القيافة على ضربين : قيافة البشر ، وقيافة الأثر : أما قيافة البشر فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان ، وأما قيافة الأثر فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر »[1]

وقد اشتهر بقيافة البشر قوم من العرب يقال لهم « بنو مدلج » ، يعرض على أحدهم مولود فى عشرين امرأة فيهن أمه يلحقه بها . وحكى بعض التجار قال : ورثت من أبى مملوكا أسود شيخاً فكنت فى بعض أسفارى راكبا على بعير والمملوك يقوده ، فاجتاز علينا رجل من بنى مدلج أمعن فينا نظره وقال : ما أشبه الراكب بالراجل ، فوقع فى قلبى من قوله ما وقع ، حتى رجعت إلى أمى وأخبرتها بما قال المدلجى ، فقالت : صدق والله المدلجى ، اعلم يا بنى أنه كان زوجى شيخاً كبيراً ذا مال لم يولد له ولد ، فحشيت أن يفوت ماله عنا بموته ، فمكنت نفسى من هذا المملوك الأسود فحملت بك ، ولولا أن هذا شيء ستعلمه فى الآخرة ما أخبرتك به فى الدنيا[2] .

علم الأجنة وبداية تكوين الكائن الحى :

من ناحية أخرى ، تعرض ابن قيم الجوزية لقضية خلق الأجنة ، حث قرر فى كتابة « تحفة المورود بأحكام المولود » أن أصل التشكيل الصحيح للكائن الحى ما هو إلا اتحاد نطفة الذكر ببيضة الأنثى[3] ، واستشهد بقوله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[4]

فالولد إذن لا يتكون إلا من الذكر وصاحبته . والحق أن الخالق العليم قد أخبر بهذه الحقيقة الهامة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وذكر « النطفة الأمشاج » كأساس لخلق الجنين وكعامل وراثى فى عملية التكاثر البشرى ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5] .

والنطفة الأمشاج تتألف من اندماج بُيَيْضة الأنثى وخلية الرجل (الحيوان المنوى) ، ويسميها العلم الحديث « الزيجوت » Zygote ،

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » ، شركة الحلبى بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ٢٠٤

(٢) المرجع السابق .

(٣) د. محمد مروان السبع ، الوراثة علم أسسه العرب ، أعمال ندوة « التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية » ، طرابلس ليبيا ، ١٧ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠م .

(٤) سورة الأنعام : ١٠١

(٥) سورة الإنسان : ٢

ويكون مقرها رحم المرأة مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾(٦) ،

وقوله جل شأنه ﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٧) .

وتظهر أهمية هذا التأصيل الإسلامى واضحة جلية إذا علمنا أن البشرية لم تعلم شيئاً عن النطفة الأمشاج (أو الزيجون) المكونة من أخلاط الرجل والمرأة إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعد أن تطورت طرق التشخيص وتقنية المجاهر (الميكروسكوبات) . فقد تخبط الغرب قرونا طويلة حيال موضوع تكوين الجنين ، واعتقد البعض بأن المولود الجديد يولد من بيضة الأنثى فقط ، بينما اعتقد آخرون بأن الكائن الحى ينشأ ويتطور من الحيوان المنوى فقط ، بل إن أحدهم ، وهو « هارتسوكر » Hartsoeker ، عندما كان ينظر عبر المجهر إلى السائل المنوى للرجل تخيل أنه يرى فى رأس الحيوان المنوى كائناً صغيرا Homancules يذكّر بالمظهر الخارجى للرجل ، وهذا الكائن الصغير الملتف ذو أعضاء قادرة على النمو فى وجود الظروف الملائمة ، ودور المرأة فى تكوينه لا يعدو كونها حاضنة فقط(٨)

الوحدات الوراثية :

ذكر ابن قيم الجوزية فى كتابة « تحفة المورود بأحكام المولود » أن فى نطفة الرجل « عناصر » مختلفة صغيرة جداً من أجزاء الجسم كله ، وأن فى بذرة الأنثى مثل ذلك(٩) .

وإذا علمنا أن ابن قيم الجوزية عاش بين ٦٩١ ـ ٧٥١هـ أو ١٢٩١ ـ ١٣٥٠م ، فإن أمانة التأريخ العلمى تفرض علينا أن ننسب نشأة هذا العلم إلى عصر الحضارة الإسلامية على عكس ما تذكره المؤلفات الغربية التى تنسبه إلى مندل ومورجان فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ويكمن جوهر النظرية التى قال بها مندل حوالى عام ١٨٦٠م فى النتيجة التى توصل إليها من خلال أبحاثه على نتيجة البازلاء ، وهى تدور حول الصفات الظاهرة فى الكائنات الحية نتيجة وجود « وحدات غامضة » تنتقل بين أجيال النوع الواحد ، وتسبب الفروق الحادة فى امتلاك صفات معينة . ذلك أن كون البازلاء طويلة أو قصيرة يتوقف على هذه الوحدات . فإذا خلطنا بين هاتين الصفتين من خلال تزاوج البازلاء فإن ظهور إحدى الصفتين بصورة غالبة يتوقف على مدى سيادة إحدى الوحدتين . ويطلق على الصفة الغالبة اسم الصفة السائدة Dominant ، أما غير الظاهرة فتسمى الصفة المتنحية Recessive . وهذا يعنى أن الجيل الجديد من البازلاء لا يزال

(٦) سورة المؤمنون : ١٢

(٧) سورة الحج : ٥

(٨) د. محمد مروان السبع ، مرجع سابق .

(٩) المرجع السابق .

يحمل إحدى صفات الأبوين أو كليهما على أساس أن هناك صفة ظاهرة وأخرى متنحية . ومن ثم فإن الجيل الجديد يكون خليطاً من الإثنين[١٠] .

وقد أطلق العلم الحديث على هذه « العناصر » التى قال بها ابن قيم الجوزية . أو « الوحدات الغامضة » التى ذكرها مندل ، اسم المورِّثات (أو الجينات Genes) وأثبتت أجهزة الفحص الدقيقة أن هذه المورثات تحملها أجسام بروتينية دقيقة جداً (حوالى جزء من المليون من الميللمتر) تسمى الصبغيَّات (أو الكروموسومات Chromosomes) . وقد أكد العلم الحديث أن هذه الكروموسومات والمورثات هى المسئولة عن الصفات والملامح التى تعطى الإنسان صفته وشكله واستعداده لكثير من الصفات البدنية والنفسية والخلقية . فقد تبين أن صفات الرجل تتضامن عن طريق الصبغات والمورثات الخاصة بها مع صفات الأنثى لتنتج جنينا يجمع بين صفاتهما ، وقد تتغلب صفة سائدة عند الأب فتظهر حسب قوانين علمية معروفة ثم اكتشافها حديثا فى علم الوراثة ، ويترتب عليها فى بعض الأحيان أن يكون الشبه بين المولود ووالديه غير ظاهر ، بل ربما يكون الشبه معدوما بين الطفل ووالديه .

ومن المصطلحات العلمية الحديثة فى هذا الشأن مصطلح « النزوع إلى الأصل فى الصفات الوراثية » Atavism ، ويمكن التدليل على سبق العرب إلى معرفته بما رواه الطبرى فى كتابه « فردوس الحكمة » من أن امرأة ولدت بنتا بيضاء من رجل حبشى ، وأدركت ابنتها تلك وتزوجت من رجل أبيض فولدت ولداً أسود ، لأن الولد ـ كما يقول الطبرى ـ نزع إلى لون الجد (أبى الأم)[١١] .

٩

بل إن الرسول الأمى العربى محمداً ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى قال فى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم فإن العرق ذساس »[١٢] . وخير دليل نسوقه من قصة الرجل الذى جاء إلى الرسول ﷺ شاكيا من أن امرأته ولدت غلاماً أسود ، فقال له الرسول ﷺ : هل لك إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ ، قال : سود ، قال : هل منها من أورق ؟ ، قال نعم : ، قال . فأنى له ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : وهذا (يعنى ولده) عسى أن يكون نزعه عرق . قال الرجل : فتقدم عجائز من بنى عجل فأخبرته أنه كان للمرأة جدة سوداء . وفسّر ابن قيم الجوزية هذا الحادث تفسيراً علمياً على أساس انتقال ما أسماه « الأجزاء » من السلف البعيد إلى الخلف ، وذلك قبل أن يأتى العلم بمصطلحات « النزوع إلى الأصل » ، و « الصفات السائدة » و « الصفات المتنحية » بزمن طويل[١٢] .

(١٠) ناهد البقصمى ، الهندسة الوراثية والأخلاق ، عالم المعرفة ، الكويت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م .

(١١) د. محمد مروان السبع ، مرجع سابق .

(١٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم .

ظاهرة التهجين وتحسين النسل :

يزخر التراث العلمى الإسلامى بالعديد من الأمثلة على أنماط التهجين المختلفة ، فنجد القزوينى – على سبيل المثال – يشرح خصائص الحيوانات الهجينة بقوله : « إن الحيوانات المركبة تتولد بين حيوانية مختلفين فى النوع ويكون شكلها عجيباً بين هذا وذاك . فاعتبر حال البغل ، فإن ما من عضو منه إلا وهو دائر بين الحمار والفرس »(١٤) . ويعلق الجاحظ على ظاهرة التهجين تعليقا علميا صحيحا فيقول : « إننا وجدنا بعض النتاج المركّب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل »(١٥) .

ويعترف العالم بإسهامات علماء المسلمين فى مجال تحسين النسل عن طريق إنتقاء صفات وراثية معينة ، وذلك بحرصهم على أنساب الخيول العربية فى حصر التزاوج فيما بينها وبين أفراس أصيلة ذات صفات وراثية محددة ، وتابعوا اصطفاء الصفات على الأنسال القادمة ومنعوا أى تزاوجات عشوائية مع أفراد مغمورة أو وضيعة النسب . فكأنهم بهذا التحديد يحصرون حدود الصفات الوراثية الممتازة كالرشاقة والجمال وضمور البطن والعدو السريع والحس المرهف والذكاء المفرط والعرف الغزير المتدنّى وصغر الآذان وغيرها من الصفات المرغوبة فى مجموعة معينة من الأفراس ما لبثت أن كبرت وزادت أعدادها مع مرور الزمن بحيث شكلت نواة ممتازة لنشوء سلالة الخيول العربية التى عمت شهرتها العالم كله . وكان لهذا التكوين الوراثى Genotype أكبر الأثر فى لفت الأنظار بعد ذلك إلى استيراد الخيول العربية ودخولها فى التهجين مع سلالات أخرى لرفد مورّثاتها بخصائصها الفذة .

زواج الأقارب والأباعد :

كان الزواج بالأقارب شائعاً عند كثير من الأقوام والشعوب ، ولما جاء الإسلام حرَّم زواج الأقارب الملتصقين لحكم نفسية واجتماعية وطبية ووراثية أوضح العلم الحديث جوانب كثيرة منها . قال تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٦)

(١٣) د. محمد مروان السبع ، مرجع سابق .

(١٤) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى ، مرجع سابق .

(١٥) عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، الحيوان ، طبعة بيروت ١٩٧٨م .

(١٦) سورة النساء : ٢٣ .

وحبب الإسلام إلى المسلمين الزواج بالأباعد فى النسب ، فرغبوا فيه ؛ لأنه أنجب للولد وأبهى للخلقة ، واتضح ذلك من أقوالهم المأثورة وأشعارهم المنظومة ، منها قول شاعرهم :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة
مخافة أن يضوى علىّ سليلى

ويتفق هذا المطلب الإسلامى فى الحث على الزواج بالأباعد مع معطيات علم الوراثة الحديث إتفاقا كاملا . ذلك أن استمرار تزاوج الذرية بالأقارب يفضى إلى إقلال درجة التناسل حتى لقد تصل أخيرا إلى العقم ، كما يؤدى إلى إضعاف السلالة ، ويزيد من احتمال ظهور الصفات والأمراض الوراثية المتنحية التى يحصى منها المتخصصون ما يزيد عن مائة مرض معروف ، مثل البرص الوراثى ، والبول الأسود ، وبعض أمراض الشبكية ، ومرض السكر ، وارتفاع ضغط الدم ، وغير ذلك من أمراض الجهاز العصبى وأمراض التخلف العقلى وكثير من العيوب الخَلْقية والخُلُقية .

وأخيراً . لعل هذا العرض الموجز الذى قدمناه يدحض زعم القائلين بأن علم الوراثة بمباحثه المختلفة علم غربى حديث وليست له أرومة تاريخية عند العرب أو غيرهم من الأمم .

(١٧) جاء فى الحديث الشريف الذى أخرجه ابن ماجه : « اغتربوا لا تضووا » أى تزوجوا فى الأباعد ولا تتزوجوا فى الأقارب لئلا تسببوا ضعف نسلكم وهزاله .

جراحة الأنف والأذن والحنجرة عند المسلمين إبان العصر الوسيط

بقلم الأستاذ / حسنى عبدالحافظ (*)

فى نهاية القرن الثامن عشر ، وبالتحديد فى السابع من نوفمبر ١٧٩٩م ، أصيب جورج واشنطن ، الرئيس الأمريكى الأول ، بتضخم فى غدد الحلق حتى اختنق ومات .

إن مثل هذا التضخم الغددى كان يحتاج إلى تدخل جراحى عاجل ، وهذا ما كان أطباء الغرب يخافون منه[١] ، فحتى ذلك الحين كانت (الجراحة) من أحقر المهن وأدناها مرتبة ، وكانت تمارس فى حدود ضيقه من قبل « الحلاقين » ، ولذا كان يطلق على الجراح فى الغرب اسم Surber - Surgeon (حلاق جراح)[٢] .

(*) الكاتب حسنى عبدالمعز عبدالحافظ .

(١) كانت الكنيسة آنذاك تحرم ممارسة الجراحة .

(٢) د. توفيق الطويل : فى تراثنا العربى الإسلامى ـ ص ٣٥ .

هذا بينما كان الطبيب العربى المسلم ، منذ مئات السنين ، يواجه مثل هذه الأمراض .. وما (اكتشفته) يدعو إلى الفخر والاعتزاز بأجدادنا العلماء الذين كانوا (أول) من كتب فى الجراحة العامة وفق أسس علمية يعترف بها الطب الحديث .. وكان عندهم (شهادة جراح) معترف بها ، ولا يحملها إلا من تخطى العديد من الاختبارات القاسية ، علمية وعملية .. وتقول د. زيغريد هونكة : « وكان الجراح يمتحن فى مادتى التشريح وعلم الجراحة ، للتأكد من أنه قد درس كتب على بن العباس ، والوقوف على مدى معرفته بأمور معالجة الكسور واصلاح الخلل الصحى ، وتفتيت الحصى ، وازالة اللوزتين الملتهبتين ، وشتى الدمامل ، وبضع الأعضاء المهترئة »[٣] .

عرف المسلمون إذن التخصص الطبى .. فكان منهم (طبيب العيون)[٤] ، و (طبيب المسالك البولية والكلى) ، و (طبيب الأمراض الخبيثة والمعدية) ، و (طبيب الأسنان) ، و (طبيب الأمراض الباطنية) .. وكان منهم أطباء نبغوا وتفوقوا فى (جراحة الأنف والأذن والحنجرة) التى هى موضوع دراستنا هذه .

التخدير .. فن عربى أصيل

وقد كان أجدادنا الجراحون ، على دراية كبيرة بأن العمليات الجراحية لا مناص ـ أمامها ـ من اتخاذ مزيد من الاجراءات والاحتياطات ، قبل القيام بها ، من أهمها : ـ اختيار فريق طبى متكامل للمساعدة ، وأغلبهم من الأطباء الذين مازالوا فى بداية مشوارهم مع الجراحة .

ـ فريق من الممرضين والممرضات ، ويشهد التاريخ أن أول جراح فى العالم يكون مثل هذا الفريق هو : أبو القاسم خلف بن عباس القرطبى .

استدعاء مختص التخدير

وهو رجل متخصص باستحضار المخدر الموضعى المناسب للعملية الجراحية . ولنا وقفة مع التخدير عند المسلمين .

لقد كان المسلمون أول من اخترع ما يسمى بالإسفنجة المخدرة .. وقد اعترف بأسبقيتهم طائفة من المؤرخين والأطباء المنصفين فى الغرب ، فهذه المؤرخة الألمانية د. زيغريد هونكه تقول : « فى حين أن الحقيقة تقول والتاريخ يشهد أن فن استعمال الإسفنجة المخدرة فن عربى بحت ولم يعرف من قبلهم ، وكانت توضع هذه الإسفنجة فى عصير بعض النباتات مثل (الزوآن) و (ست الحسن) وغيرهما ، ثم تجف فى الشمس ، ولدى الاستعمال ترطب ثانية ، وتوضع على أنف المريض ، فتمتص الأنسجة المخاطية ما بها ، ويركن المريض إلى نوم عميق يحرره من أوجاع العملية الجراحية »[٥] .

(٣) د. زيغريد هونكة : أثر الحضارة العربية فى أوربا ـ ص ٢٣٨ .

(٤) حسنى عبدالحافظ (الكاتب) : المسلمون وطب العيون (مجلة منار الإسلام ـ س ١٠ ـ ع ٧ ـ ص ٦٠ ـ رجب ١٤٠٥هـ) .

(٥) د. زيغريد هونكة : سابق ـ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

أما عن أول مخترع لهذه الإسفنجة ، فيذكر المامى : « ان ابن زهر كان أول من عرفها » .. ولكن مما يؤسف أن (البعض) من ضعاف النفوس فى أوربا ، ينسبون اختراعها لأحد مواطنيهم وهو « هيكمان » ، ونسوا أو بالأحرى تناسب أفضل ابن زهر .

وكانت الدوائر والمؤسسات المعنية بالتخدير فى أوربا ، قد أقامت احتفالا بمناسبة مرور خمسين عاماً على اختراع التخدير الموضعى ، وذكرت باسهاب أسماء مثل : هيكمان ولونج وملز[٦] ، وتجاهل المحتلفون ذكر طبيبنا المسلم ابن زهر ..!!

وعن التخدير وماهيته يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى قانونه : « والتخدير يزيل الوجع ؛ لأنه يذهب بحس ذلك العضو ، وإنما يذهب بحسه لأحد سببين .. إما بفرط التبريد ، وإما بسمية فيه مضادة لقوة ذلك العضو .. والتخدير من أقواه ما كان من الشوكران وعنب الثعلب وبزر الخس والبنج .. ومن جملته أيضاً الثلج والماء البارد »[٧] .

آلات جراحية

وقد ابتكر المسلمون الكثير من الآلات الجراحية المهمة ، والتى ما يزال بعضها يستعمل على نطاق واسع فى المستشفيات الحديثة ، مثل : المحقن الطبى (كان العرب يسمونه الزرافة) ، والحقنة الشرجية ، وأنابيب التغذية الصناعية ، والقسطرة ، والمقص (الطبى) .. كما ابتكروا أنواع عديدة من المشارط ، والمسابر ، والمجارد ، والسنانير .. وكذا منظار المهبل ، والجفت .. وغيرها كثير .

وقد جاء فى الموسوعة الطبية الموسومة بـ (التصريف لمن عجز عن التأليف) التى ألفها أبو علم الجراحة الحديثة (الزهراوى) ، أكثر من مائة وتسعين اسما ورسما لآلات جراحية كان المؤلف يستخدمها أثناء إجراء العمليات الجراحية .

وحيث إننا نتحدث عن جراحة الأنف والأذن والحنجرة عند المسلمين ، فمن الجدير بالذكر التعريف ببعض الآلات التى كانت تستعمل فى ذلك :

★ منظار الأذن .
★ جفت الأذن .
★ المدسات .
★ مقصلة اللوز .
★ ملعقة الكشف عن الحلق .

أنبوبة القصة الهوائية وكان المسلمون يصنعونها من الذهب ، وأحياناً من الفضة ، وهى مهمة جداً فى انقاذ المرضى من حالات الاختناق ، كالتى حدثت لرئيس أمريكا جورج واشنطن ، ومازال الطب الحديث يستعين بهذه الأنبوبة العربية الأصل فى انقاذ مرضى الاختناق ، وكذا فى توصيل الغازات المخدرة والأكسجين إلى صدر المريض أثناء إجراء العملية الجراحية ، وإن كانت تصنع الآن من

(٦) م. دنكام : تطور التخدير بالاستنشاق ـ مطبعة أكسفورد ـ لندن ١٩٤٧ (نقلا عن مجلة الفيصل الطبية ـ عدد ١١ ـ ربيع الثانى ١٤٠٥ هـ) .

(٧) الشيخ الرئيس ابن سينا : القانون فى الطب (الكتاب الأول ـ فى الأمور الكلية فى علم الطب ـ الفن الرابع ـ الفصل الحادى والثلاثون ـ فى تسكين الأوجاع .

البلاستيك أو المطاط[٨] .. وعن هذه الأنبوبة وفضل المسلمين وأسبقيتهم إلى اختراعها يقول الطبيب الأوربى (سيرير) : « والغريب أن يغالط أطباء الغرب فى تاريخ الطب ، وينسبوا فَضْلَ هذا الاختراع إلى أنفسهم ، إذ يدعى كل من (مالك أيوين) و (ايزسنجر) أنهما اخترعا هذه الأنبوبة سنة ١٨٤٧م » .

لقد كان المسلمون على دراية كبيرة بأن الهواء الجوى يحتوى على أنواع متباينة من الميكروبات الضارة .. لذا فقد كان أجدادنا الأطباء يقومون بتعقيم آلاتهم الجراحية قبل استعمالها تعقيماً جيداً ، وذلك باستعمال مادة (الصفراء) التى أثبت الطب الحديث فائدتها وأهميتها فى قتل عشرات الأنواع من الميكروبات الضارة .

عملية اللحمية Nasal Polgp

ومن العلل والأمراض التى برع أجدادنا الأطباء فى علاجها ، أنواع مختلفة من اصابات الأنف .. التى كانت تعالج باحدى طريقتين :

- الأدوية والعقاقير .
- التدخل الجراحى .

فهذا أبو القاسم الزهراوى ، الذى شُهد له بالنبوغ والعبقرية بوصفه أول من وضع علم الجراحة على أسس ومبادىء مستقلة مستمدة من التشريع .. قد برع فى علاج عفونة وقروح الأنف ، وكذا حكة وجفاف الأنف ، والجيوب الأنفية ، وكان له طرق دقيقة فى جراحة الأنف المشوه .

ومن العمليات الشهيرة التى نجح عدد كبير من أجدادنا الأطباء فى علاجها .. عملية استئصال اللحم النابت فى الأنف (اللحمية Nasal Polgp) .. وكان من بين أشهر الأطباء الذين أجروا هذه العملية : محمد بن زكريا الرازى الذى ذكر تفاصيلها فى مؤلفاته الطبية ، وكذلك الشيخ الرئيس ابن سينا ، والزهراوى .

وإليك ما قاله الزهراوى بلفظه عن خطوات إجراء العملية :

« وقد تنبت فى الأنف لحوم مختلفة زائدة ، منها شىء يشبه العقربان الكثير الأرجل ، ومنها ما يكون لحماً سرطانياً متحجراً كمد اللون ، ومنها ما يكون لحماً ليناً كمد اللون ، فما كان من هذه اللحوم لينة وليست بخبيثة ولا سرطانية ، فينبغى أن تجلس العليل بين يديك مستقبل الشمس وتفتح منخره وتلقى السنارة فى تلك اللحوم ، ثم تجذبها إلى خارج ، ثم تقطع ما أدركت منها بمبضع لطيف حاد من جهة واحدة حتى تعلم أن اللحم كله قد ذهب ، فإن بقى منها شىء لم تستطع قطعه ، فاجرده بأحد الآلات اللطاف برفق حتى لا يبقى منه شىء ، فإن غلبك الدم أو عرض ورم حاد فقابله بما ينبغى أو كان من الأورام الخبيثة ، فبارد وَاكوِهِ ، حتى ينقطع الدم ، وتذهب جميع اللحوم ثم تلق فى الأنف خلا ، فان انفتح الأنف ، وسلكت منه الرطوبة إلى الحلق ، فاعلم أنه قد برىء ، فإن لم تنفذ الرطوبة على ما ينبغى ، اعلم أن داخله لحماً نابتاً فى أعلى العظام المتغلغلة لم

(٨) مجلة الفيصل الطبية ـ سابق ـ ص ٤٢ .

تصل الآلة بالقطع إليها ، فحينئذ ينبغى أن تأخذ خيطاً من كتان له بعض الغلظ ، وتعقد فيه عقداً كثيراً ، وتجعل بين كل عقدة قَدْر اصبع أو أقل ، ويتحيل العليل يدس طرف الخيط الواحد فى أنفه بمرود أو بما أمكنه بعد أن يصنعه مثل الزر ويجذب ريحه حتى يصل إلى الخيشوم ويخرج إلى خلقه ، وهو أمر سهل على من أراده ، ثم تجمع طرفى الخيط ، الطرف الخارج من الفم ، والآخر الذى بقى فى الأنف ثم تستعمل نشر اللحم بالعقد التى فى الخيط ، تفعل ذلك حتى تعلم أن اللحوم قد تقطعت بعقد الخيط ، ثم تخرج الخيط ويصير فى الأنف بعد مسح الدم فتيلة قد شربتها فى المرهم المصرى تفعل ذلك ثلاثة أيام أو أكثر حتى يأكل المرهم جميع ما بقى من اللحوم ، ثم تصير آخر شىء فى الأنف أنبوبة أياماً حتى يبرأ ، فإن احتاج إلى علاج يجفف استعملت ذلك »[٩] .

وقد كان ابن سينا يسمى اللحم النابت فى الأنف باسم (بواسير الأنف) ، وهو يصنفها إلى نوعين : نوع يمكن علاجه بسهولة . ونوع آخر يحتاج إلى تدخل جراحى دقيق وفورى .. وعن ذلك يحدثنا فيقول بلفظه :

« أما البواسير فهى لحوم زائدة تنبت ، فربما كانت لحوماً رخوة بيضاء ولا وجع معها وهذه أسهل علاجاً ، وربما كانت حمراء وكمدة شديدة الوجع ، وهذه أصعب علاجاً ، لاسيما إذا كان يسيل منها صديد منتن »[١٠] .

أمراض الأذن

وقد جح الأطباء المسلمون فى علاج الكثير من علل الأذن .. فقد عالجوا بنجاح حكة الأذن ، عن طريق (قطرة) استحضروها من (ماء الأفشنين) الممزوج بالقليل من الدهن .. كما عالجوا نزيف الأذن .. وتحايلوا فى استخراج الماء الداخل إلى الأذن أثناء الاستحمام واستعملوا فى ذلك آلات اخترعوها خصيصاً لهذا الغرض .

وكتبوا مباحث ودراسات قيمة حول أثر الضوضاء على السمع ، والجهاز السمعى .. وتحدثوا عن الأورام التى قد تصيب الأذن الوسطى .. ومما قالوه عن هذه الأورام : « هذه الأورام من جنس الأورام الحادثة فى اللحوم الرخوة ، وخاصة اللحوم الغددية .. ويُسَمَّى (بنات الأذن) ، وربما بلغ أحياناً من شدة ما يؤلم أن يقتل »[١١] .

ونجح أجدادنا الأطباء فى علاج انسداد الأذن ، نتيجة دخول أجسام غريبة أو أوساخ إليها .. واستعملوا لهذا نوع من (القطرة) كانت تستحضر من دهن اللوز وبعض الأعشاب

(٩) أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى : التصريف لمن عجز عن التأليف (كتاب الجراحة ـ الفصل الرابع والعشرين ـ فى علاج اللحم النابت فى الأنف) .

(١٠) الشيخ الرئيس : سابق ـ الكتاب الثالث ـ فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الانسان عضو عضو من الفرق إلى القدم ظاهرها وباطنها ـ الفن الخامس ـ المقالة الثانية ـ فصل فى بواسير الأربيان فى الأنف) .

(١١) نفسه : الكتاب الثالث ـ الفن الرابع ـ فصل فى الأورام التى تحدث فى أصل الأذن .

الطبية ، وفى أحيان كثيرة كانوا يتحايلون فى استخراج هذه المواد والأوساخ بآلات خاصة لذلك . منها (جفت الأذن) ، وهو عبارة عن ذراعين ، تنتهيان بقاعدة ، ويتوسطها أنبوبة اسطوانية دقيقة بامكانها (شفط) ـ أى جذب ـ وسحب أى جسم غريب إلى خارج الأذن .

وقد تمكنوا أيضاً من إزالة (الصفاق) ـ الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر ، وغشاء ما بين الجلد والأمعاء ـ بالتدخل الجراحى .. ونجحوا فى استئصال اللحم الزائد الذى قد يتواجد فى مجرى القناة السمعية فيتسبب فى انسدادها .. ويحدثنا ابن سينا ، عن كيفية تخليص الأذن من هذه الأجسام الغريبة الزائدة ، فيقول :

« وقد تكون هذه السدة فى الحلقة لغشاء مخلوق على الثقب ، وقد تكون لوسخ ، وقد تكون لدم جامد ، وقد تكون للحم زائد أو ثؤلول(*) ، وقد تكون لحصاة أو نواة تقع فيها ، أو حيوان يدخلها فيموت .. أما ما كان من صفائق أو لحم يسد المجرى فى الأصل الخلقى ، فالغائر منه أصعب علاجاً ، والظاهر أسهل ، وأما الباطن فيحتال له بآلة دقيقة تقطعه ثم تمنع الأدمال على ما نقوله قريب ، وإن كان ظاهراً فينبغى أن يشق بالسكين الشوكى الذى يقور به بواسير الأنف .. ثم يقطر بما يمنع نبات اللحم ، وأما إن كانت السدة من شىء نشب فيه فيجب أن يقطر الدهن فى الأذن ، مثل دهن الورد أو السوسن أو الخيرى ، وان كان ذلك الناشب مثل حيوان مات فيها فيصب فيها من الأدهان ما يفسخه ، ثم يخرج بمنقبة الأذن برفق »(١٢) .

استئصال اللوزتين

وقد برع الكثير من أجدادنا الأطباء فى علاج اللوزتين الملتهبتين ، واستئصالهما .. ووضعوا حول هذا دراسات ومباحث مهمة ، ظلت مرجعاً وعمدة فى كليات الطب الأوربية لعدة قرون .

وهذا هو الطبيب والجراح المسلم على بن عباس يحدثنا عن (أعراض) التهاب اللوزتين ، فيقول :

« التهاب اللوزتين إذا عظم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع .. ولم تنجح فيه الأدوية والغرغرة وما يجرى هذا المجرى ، فيجب أن يستعمل فيها القطع »(١٣) .

وهذا الكلام يقرره الجراح الشهير ابن القف ، كما أنه يضيف إليه قوله :

« أما ورم اللوزتين ، فإذا حصل فيهما ورم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع ، وضاق النفس ، ولم يزل ذلك بما يعالج به الطبائعى ، فاسْتَعْمِلِ الْعلاجَ بالحديد (يقصد الكى) ، غير أنه يجب أن تقيم العليل قبالة الشمس ، فإن ترى لون الدم كمداً أو أسود وقوامه صُلباً وهو قليل الحس

(١٢) نفسه : الكتاب الثالث ـ الفن الرابع ـ فصل فى السدة العارضة فى الأذن .

(١٣) على بن عباس : كامل الصناعة الطبية ـ ج ٢ ـ ص ٤٦٢ .

أو عديمه فهو سرطان فلا تتعرض له بالحديد ، كذلك ان كان لونه أحمر وألمه قوياً وأصله غليظاً فإنه أيضاً فى مثل هذه الصورة لا تتعرض له بالحديد بل يترك إلى حين يكمل نضجه ويبط ويخرج جميع ما فيه من المادة ، وأما ان لونه أبيض وقد حصل فيه استداره ودق أصلها والحرارة هادئة ، ففى مثل هذه الحالة استعمل العلاج بالحديد »[١٤] .

ويحدثنا الزهراوى عن طريقته فى استئصال اللوزتين ، فيقول : « قد تعرض فى الحلق غدد تشبه الغدد التى تعرض فى خارج ، تسمى لوزتين إذا عالجتهما بما ذكرت فى التقسيم ، فلم تبرأ ، فانظر فإن كان الورم أبيض اللون مستديراً وكان أصله رقيقاً فهذا الذى ينبغى أن يقطع ، والعمل فيه : انتظر قبل العمل ، إذا كان قد سكن ورمه الحار سكوناً تاماً أو نقص بعض النقصان ، فحينئذ أجْلِسِ العليل بحذاء الشمس ورأسه فى حجرك وتفتح فمه وتأخذ خادماً بين يديك فيكبس لسانه إلى أسفل بآلة تصنع من فضة أو نحاس تكون رقيقة كالسكين فإذا كبست بها اللسان وتبين لك الورم ، ووقع عليه بصرك ، فخذ صنارة وأغرزها فى اللوزة وتجذبها إلى خارج ما أمكن من غير أن تجذب معها شيء من الصفاقات ، ثم تقطعها بآلة .. تصنع من الحديد الهندى أو الفولاذى الدمشقى ، فإن لم تحضر هذه الآلة فاقطعها بمبضع حاد من جهة واحدة وغير حاد من الجهة الأخرى ، وبعد أن تقطع اللوزة الواحدة تقطع الأخرى على هذا النحو من القطع بعينه ، ثم بعد القطع فتغرغر العليل بماء بارد أو بخل وماء ، فإن عرض له نزيف دم تغرغر بماء قد أغلى فيه قشور الرمان أو ورق الآس أو نحو ذلك من القوابض حتى ينقطع النزيف ، ثم تعالجه حتى يبرأ »[١٥] .

جراحة الحنجرة

خصص الطبرى مقالة كاملة فى كتابه المعنون (فردوس الحكمة) .. شرح فيها بإسهاب أمراض الحلق ، والحنجرة ، والصدر .. وذكر كل مرض على حدة ، وتحدث عن كيفية تشخيصه سريرياً (أكلينيكياً) ، وطرق علاجه ، والوقاية منه .. وإن أكثر الموضوعات أهمية ما يتعلق بتشخيص الاختناق ، والوقت المناسب للتدخل الجراحى .

كما ذكر ابن زهر ، فى كتابه (التيسير فى المداواة والتدبير) ، الخطوات العلمية التى يجب اتباعها عند البدء فى علاج الاختناق .. ومما ذكره هذا الطبيب الجراح المسلم الحاذق ، أنه لم يكن يجرى أى عملية جراحية جديدة على الإنسان إلا بعد أن يجريها على أحد الحيوانات ، ويحدثنا هو عن ذلك فيقول : « شققت قصبة عنزة بعد أن قطعت الجلد والغشاء الذى تحته ، وقطعت من جوهر القصبة قطعاً صغيراً ، ثم التزمت غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم ، وأفاق افاقة كَلِيّة ، عاش بعدها مدة طويلة »[١٦] .

(١٤) ابن القف : العمدة فى الجراحة ـ ج ٢ ـ ص ١٩٨ .

(١٥) الزهراوى : سابق ـ الفصل السادس والثلاثون ـ فى علاج اللوزتين .

(١٦) ابن زهر : التيسير فى المداواة والتدبير ـ ص ١٤٨ .

وكان الزهراوى يجرى عملية شق القصبة الهوائية (تراكيو تومى) بنجاح كبير .. ويذكر فى موسوعته (التصريف لمن عجز عن التأليف) الطريقة التى كان يتبعها عند إجراء هذه العملية ، فيقول :

« وأما الذين بهم ورم حار فى الفم أو الحلق أو اللوزتين ، فإذا لم تكن علة فى القصبة توجب استعمال شق الحنجرة للهرب من التعطب الذى يكون من الاختناق ، فينبغى إذا أردنا ذلك أن نشق الحنجرة تحت ثلاث دوائر من القصبة أو أربع ، شقاً صغيراً بالعرض ، فيما بين دائرتين ، بقدر ما يكون الشق فى الصفاق ، لا فى الغضروف ، وهذا الموضوع موافق الشق لأنه عديم اللحم وأوعية الدم منه بعيدة ، فإن كان المعالج جباناً فينبغى أن يمد جلدة الحلق بصنارة ، ثم يشق الجلد ، حتى إذا صار إلى القصبة جنب أوعية الدم ، إن رأى منها شيئاً ، ثم يشق الصفاق الذى وصفناه ، ويستدل على شق القصبة من البلغم الذى يخرج منها .. وتترك الجرح مفتوحاً زماناً ، فإذا زال الوقت الذى كان يتخوف فيه الاختناق ، جمعت شقتى الجرح من الجلد وخطته وحده من غير الغضروف ثم تستعمل الأدوية التى تنبت اللحم ، إلى أن تبرأ »[١٧] .

ويرجع للأطباء المسلمين الفضل فى كونهم أول من وصف مرض تصلب الرقبة[١٨] .. كما أنهم نجحوا فى استئصال أكياس الغدة الدرقية[١٩] .. ودونوا رسائل مهمة خصوا بها أعصاب الحنجرة وعضلاتها[٢٠] .. وقد أثبتوا ، لأول مرة فى تاريخ الطب ، أن غضاريف القصبة الهوائية يمكن أن تلتئم تماماً بعد اجراء عملية جراحية فيها .

(١٧) الزهراوى : سابق ـ الفصل الثالث والأربعون ـ شق الحنجرة عن ورم يحدث داخل الحلق .

(١٨) هونكة : سابق ـ ص ٢٧١ .

(١٩) بول غليونجى : ابن النفيس ـ ص ٦٤ .

(٢٠) د. الطويل : سابق ـ ص ٢٢٥ .

من أمراض الطفولة

٣

الحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

تطرقنا فى المقالين السابقين ، إلى الحديث عن ماهية ، وأسباب وأعراض ، ووسائل تشخيص مرض الحمى الروماتزمية ، ونلقى الضوء فى مقالنا هذا على طرق الوقاية من هذا المرض الوبيل .

● كيفية الوقاية من مرض الحمى الروماتزمية :

مما لا شك فيه ، أن الوقاية من حدوث الإصابة الأولية لهذا المرض ، وتكرار حدوثه ، تعتمد أساسا ، على القضاء على « البكتريا المكوّرة السبحية ، حالّة الدم » التى تغزو جسد الطفل ، مُسبّبة له التهاب اللوزتين والبلعوم TONSILLO PHARYNGITIS ، أو ، التهاب الأذن OTITIS ، أو التهاب الجيوب الأنفية SINUSITIS ، أو التهاب الخشاء (النتوء الحلمى للعظم الصدغى) MASTOIDITIS .

● ● ●

وتنقسم الوقاية من هذا المرض إلى :

١ ـ الوقاية الأولية .

٢ ـ الوقاية الثنائية .

أولا : الوقايـــة الأوليـــة :

PRIMARY PREVENTION

وهى وقاية تعنى بالمرض قبل حدوثه ، وتعتمد على التشخيص المبكر ، والعلاج الأمثل الكافى لهذه البكتريا المسببة ـ فى بعض الأحيان ـ لمرض الحمى الروماتزمية .

يبدأ معظم الأطباء فى علاج المريض بدون أخذ مزرعة من الحلق ، أو قبل ظهور نتيجة المزرعة ،

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

معتمدين فى تشخيص المرض على وجود أعراضه التى تشمل : « ارتفاع فى درجة الحرارة وألم بالحلق ، وصعوبة فى البلع ، وصداع وألم بالفم ، فى معظم الأحيان » ـ وبفحص المريض ، حيث يكون الحلق أحمر اللون ، مع وجود أجزاء بيضاء من النَّضْح WHITE PATCHES OF EXUDATE مع تورم فى الغدد الليمفاوية ، الموجودة بالجزء الأمامى العلوى من رقبة الطفل ، وتكون مؤلمة للغاية ، عندما يقوم الطبيب بفحصها .

والعلاج الأمثل لهذه البكتريا يكون بالمضادات الحيوية وهى تشمل :

١ ـ البنسلين : PENICILLIN

ويعد المضاد الحيوى الأمثل للقضاء على هذه البكتريا ويُعطى للطفل بإحدى طريقتين :

ـ بالفم لمدة عشرة أيام متتالية ، بانتظام ، مستخدمين :

● البنسلين الخام (الأوسبن) OSPEN

● أو البنسلين الشبه مُصنَّع ـ SEMISYNTHETIC مثل : الأمبسلين AMPICILLIN والأموكساسيلين AMOXA CILLIN

ـ أو يحقن بالعضل مرة واحدة ، مستخدمين البنسلين طويل المدى:

BENZATHINE PENICILLING

٢ ـ مضادات حيوية أخرى:

OTHER ANTIBIOTICS:

وتُعطى ، إذا كان المريض يعانى من حدوث تفاعلات حساسية ضد البنسلين ، وهى تشمل :

الإيروثروميسين ERYTHROMYCIN

الريفامبين RIFAMPIN

الليكوميسين LINCOMYCIN

الكلنداميسين CLINDAMYCIN

ومن الجدير بالذكر ، أن أدوية « السلفا » التى تستخدم فى الوقاية الثنائية من المرض ، لا تفلح فى الوقاية الأولية .

● ● ●

● علاج حامل البكتريا المكوّرة السبحية حالَّة الدم STREPTO COCCAL CARRIER :

حامل « البكتريا » ، هو الشخص الذى توجد « البكتريا » فى حلقه ، ولكنها لا تسبب له أى مرض ، وليس لديه أجسام مضادة فى المصل ضد « البكتريا » .

وهذه الحالة لا تسبب أى خطر على المريض ، أو على المحيطين به ، إلا فى حالة إصابة حامل « البكتريا » ، أو أحد المحيطين به ـ بالحمى الروماتزمية ؛ لأنه ـ فى هذه الحالة ـ يكون المريض عرضة لتكرار الإصابة بالمرض .

ويتم علاج حامل البكتريا ، بإعطائه البنسلين الخام (الأوسبن) ، بالفم لمدة عشرة أيام ، مع إضافة « الريفامبين » فى آخر أربعة أيام ، أو بحقن المريض مرة واحدة ، بالعضل مستخدمين « البنسلين » طويل المدى ، مع إضافة « الريفامبين » لمدة أربعة أيام .

● ● ●

ومن الجدير بالذكر ، أن الأطباء عامة ، يعتمدون فى الحكم على استجابة المريض للعلاج ، بالمضاد الحيوى ، على اختفاء أعراض المرض ـ وليس بأخذ مزرعة من حلق المريض ـ ولكن فى بعض الأحيان ، تظل البكتريا قابعة فى حلق المريض ، بالرغم من اختفاء الأعراض ، ويسمى هذا الوضع بالفشل فى القضاء على الجرثوم فقط

ويعـود هذا الـفشل BACTERIOLOGICAL FAILURE ويعـــود هذا الـــفشل لسبب من الأسباب الآتية :

١ ـ أخذ العلاج لمدة غير كافية .

٢ ـ أخذ العلاج بصورة غير منتظمة .

٣ ـ مقاومة البكتريا للمضاد الحيوى .

٤ ـ تحوّل المريض إلى حامل للبكتريا .

٥ ـ قيـام البكتريـا الموجـــودة بالفـــم ORAL MICROFLORA ، بإفـراز إنـزيم ENZYME يبطل مفعول المضاد الحيوى .

● ● ●

ويحسن أن نذكر أن العمل على تصنيع مصل للوقاية من البكتريا المكوَّرة السبحية حالّة الـدم STREPTOCOCCAL VACCINE ، قد بدأ منذ عدة سنوات ، ولكن الذى يعوق هذا .. الأسباب الآتية :

١ ـ وجود عدة أنواع من البكتريا .

٢ ـ إمكانية حدوث تفاعلات حساسية شديدة بعد أخذ المصل .

٣ ـ تكوين أجسام مضادة للبكتريا ، قد تتفاعل مع أنسجة عضلة القلب ، مؤدِّية إلى إتلافها ، وذلك نظرا لتشابه مولد المضاد الخاص بالبروتين « م » الخاص بالبكتريـــا ، مع الآخر الخاص بأنسجة عضلة القلب .

● ● ●

وفى مقالنا القادم نختتم الحديث ، عن « مرض الحمى الروماتزمية » ، بإلقاء الضوء على الوقاية الثنائية ، من هذا المرض وعلاجه .

تصـــحيح

وقع خطأ فى نسبة كتاب « وطنيتى » لصاحبه بهدية شهر ربيع الآخر ١٤١٥ هـ ، ص ٥ حيث جاء بالسطر التاسع هذه العبارة :

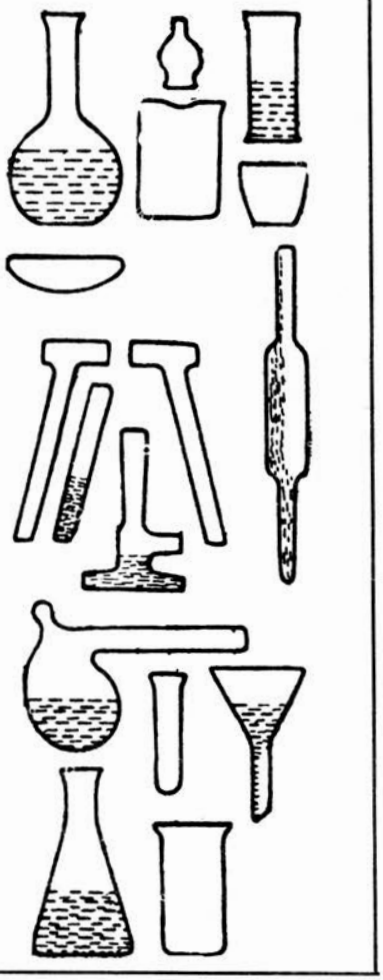
● وعبـد العزيـز جاويش هو صاحب كتـاب « وطنيتى » والحق أن مؤلف كتاب « وطنيتى » هو « الشيخ على الغايانى » نرجو السادة القراء تصحيح العبارة بكتابتها حاشية فى نهاية صفحة ٥ من الهدية المذكورة هكذا :

« والشيخ على الغايانى هو صاحب كتـاب وطنيتى » .

وشـكراً

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د/ نجوى السيد أحمد



البروتينات الهستونية
تعمل كمنظمات للجينات

أثبتت الدراسات الحديثة أن البروتينات الصغيرة المسماة « بالهستونات » أساسية فى تنظيم عمل الجينات « المورثات » وكان يعتقد حتى عهد قريب أن هذه البروتينات لا تعمل شيئا يذكر اكثر من تشكيل بكرات موجبة الشحنة تلتف حولها أشرطة الدنا DNA السالبة الشحنة حتى تتمكن هذه الأشرطة من أن تحتل موقعها داخل النواة الدقيقة للخلية .

وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن البروتينات الهستونية تفيد فى تنشيط الجينات ؛ فهى تساعد على بدء نسخ COPYING المعلومات المخزنة على شكل دنا DNA الى جزئيات من الرنا المرسل MESSENGER RNA وهذه هى القوالب TEMPLATES التى تصنع منها البروتينات كما أن « هستونات » معينة تستطيع أيضا أن تكبت الانتساخ .

مفكرة إلكترونية ناطقة

قامت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات بإنتاج أحدث مفكرة الكترونية ناطقة ، وتحتوى على جهاز تسجيل مدمج يتلقى الأوامر والمعلومات ويسجلها ويحافظ على المواعيد من النسيان ويذكرك بأرقام التليفونات ، والمفكرة بنك معلومات متحرك يمكن حملها فى الجيب كما يمكن استخدامها كحاسبة .

❁ ❁ ❁

مواد عالية الكفاءة لنقل الطاقة الكهربية

تمكنت إحدى الشركات الفرنسية من استخدام نوع معين من السيراميك المكثف لإنتاج ناقلات للطاقة الكهربائية على مستوى عال من الجودة ؛ لأنها حساسة جدا ، كما تتميز بأن لها مستوى ممتاز فى عزل الصوت بين العناصر وأن درجة ارتداد الصوت ضعيفة جدا .

❁ ❁ ❁

أحدث جهاز للملاحة البحرية

تم إنتاج أحدث جهاز للملاحة البحرية لارشاد السفن ومراكب الصيد وتحديد المواقع الملاحية أمامها . والجهاز سهل التركيب والاستخدام ومزود ببرمجة ذاتية لتخزين المعلومات الملاحية ، وحجمه صغير ، ويحتوى على بوصلة مغناطيسية ويتولى تقديم كل المعلومات الملاحية والارشادية على خطى الطول والعرض والاتجاهات والمسافات وخطوط السير وغيرها من المعلومات ولديه قدرة تخزين للمعلومات عالية .

❁ ❁ ❁

آلة صغيرة لامتصاص الأتربة الدقيقة

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية آلة جديدة صغيرة الحجم لامتصاص الأتربة الدقيقة جدا ، والآلة مصنوعة من الصلب ولها محرك بقوة ٢ أمبير وتدور عشرة آلاف دورة فى الدقيقة الواحدة وهى مفيدة فى الأماكن التى بها أجهزة دقيقة تتعرض للخطر نتيجة للأتربة .

❁ ❁ ❁

ألياف بصرية جديدة للأشعة تحت الحمراء

تم استخدام ألياف بلورية وزجاجية جديدة لها شفافية عالية وإنفاذية لأطوال موجية أكبر مما تنقله أليـاف « السليكـا » فى نظـم الاتصالات والتشخيص الطبى و (ليزرات) الألياف البصرية . وتتميز الألياف البصرية الجديدة الناقلة للاشعة تحت الحمراء بأن لها تطبيقات عديدة فهى تستطيع نقل صور بسيطة تحت حمراء أو معلومات عن درجات حرارة أجسام فى اماكن بعيدة ، كما تستخدم كقنوات لنقل طاقة (ليزرات) يمكنها أن تقطع أو تلحم أو تثقب مكونات صناعية .. وتستخدم أيضا فى توجيه طاقة (ليزرات) الاشعة تحت الحمراء لإذابة الرواسب التى تتكون فى الشرايين ، وهى طريقة يمكن أن تصبح بديلا عن جراحة المجارى الجانبية للشريان التاجى .

قفاز يقاوم اللهب

أنتجت شركة أمريكية قفازات مقاومة للهب والحرارة الشديدة وتحمى الكف من الاحتراق مهما بلغت درجة حرارة المادة التى يمسك بها الشخص ، ويصلح القفاز الجديد لعمال المصانع والميكانيكيين ورجال المطافىء .

جهاز جديد يكشف تزوير النقود الورقية

تم اختراع جهاز جديد بالولايات المتحدة الامريكية للكشف عن العملات الورقية النقدية المزورة يمكن استعماله للتحقق من سلامة العملة بسهولة ودقة وله القدرة على اكتشاف الجسيمات المغناطيسية المخبأة فى أوراق العملة الأمريكية .

سلالات من القطن تقاوم الحشرات

أعلن مجموعة من العلماء باستراليا أن استخدام مورثات « جينات » من البكتريا شائعة الوجود فى التربة الزراعية قد أعطى نباتاتهم القدرة على إنتاج سموم تقتل الحشرات دون أن تشكل ضررا للبيئة وانهم نجحوا فى إنتاش عججة الوجود فى التربة الزراعية قد أعطى نباتاتهم القدرة على إنتاج سموم تقتل الحشرات دون أن تشكل ضررا للبيئة وانهم نجحوا فى إنتاج سلالات من القطن ذات انتاجية مرتفعة وتنتج مادة مقاومة للحشرات بحيث لا تحتاج إلى أى مبيدات حشرية .

آلة لتنقية المياه من الكائنات الدقيقة

تمكن مجموعة من العلماء البريطانيين من اختراع آلة التعرف السريع على الكائنات الدقيقة الموجودة فى المياه ومعرفة ما اذا كانت حية أم لا وتقوم بفصلها وتنقية المياه منها .. وتعتمد نظرية عمل هذه الآلة على تغير الجسيمات المشحونة كهربائيا اذا تعرضت لمجال كهربى .

ساعة تحذر من الإصابة بالنوبات القلبية

صممت إحدى الشركات اليابانية ساعة تنبه باقتراب الإصابة بنوبة قلبية وذلك قبل ساعة من حدوثها مما يتيح الوقت الكافى لاتخاذ الإجراءات الوقائية المطلوبة ، حيث تقوم الساعة برصد إلكترونى لاشارات القلب من خلال النبض عند الرسغ وعند حدوث أى تغييرات مفاجئة تقوم بإطلاق الجرس التحذيرى .

راديو للسيارة ضد السرقة

لحماية راديو وكاسيت السيارة من السرقة تم إنتاج راديو ومسجل يعمل ببطارية ذات رقم سرى خاص بصاحب السيارة فقط وبدون البطاقة والرقم لا يمكن تشغيل الجهاز . والبطاقة الخاصة لا يمكن استخدامها فى أى جهاز آخر مماثل .

طرائف وتراث

للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« حب صحابة رسول الله ﷺ »

قال أيوب السختيانى ـ رضى الله عنه ـ : من أحب أبا بكر ؛ فقد أقام منار الدين ، ومن أحب عمر : فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان ؛ فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليا ؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى .

ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ فقد برىء من النفاق .

« عـــزِّ نفســـك .. »

بلغ الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أن عبدالرحمن بن مهدى ـ رحمه الله ـ مات له ابن فجزع عليه عبدالرحمن جزعا شديدا ، فبعث إليه الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ يقول :

« يا أخى عَزِّ نفسك بما تُعَزِّي به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أقصى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر » ؟ .

« دعوى إلى القضـــاء »

قال ابن سيرين : كنا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة فى قبة له ، وبين يديه « كانون » له فيه نار ، فجاءه رجل وجلس معه على فراشه ، فَسَارَّهُ بشىء لا ندرى ما هو ، فقال له أبوعبيدة : ضع لى إصبعك فى هذه النار ؛ فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرنى أن أضع لك أصبعى فى هذه النار !!

فقال له أبوعبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا ؛ وتسألنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم !!

قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء ..

« من مآثر الإمام على ـ رضى الله عنه . »

- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
- العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى .
- لا ترى الجاهل إلا مُفرِطا أو مُفَرِّطاً .
- أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .
- من ترك قول : لا أدرى « أصيبت مقاتله » .
- أوضح العلم ما وُقف على اللسَّان، وأرفعه ما ظهر فى الجوارح والأركان .
- عجبت لمن يقنط ، ومعه الاستغفار .

« طبيعة الحياة »

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفواً من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذْوة نار

« حقا »

من أراد بعلمه وجه الله ـ تعالى ـ أقبل الله عليه بوجهه ، وأقبل عليه بقلوب العباد عليه ، ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه ، وصرف قلوب العباد عنه .

« نقصان العقل »

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ .

قال : إذا كبر الأدب ، ونقص العقل .

« من أقوال الحكماء »

أطول الناس هَمًّا الحسود ، وأهنأهم عيشا القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص ، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط .

« أين نحن من هؤلاء .. ؟ »

كان محمد بن واسع يقول : « لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسنى » .. وكان إبراهيم النخعى إذا دخل عليه أحد وهو يقرأ فى المصحف غطاه .

وكان أُوَيس القرنى ـ رضى الله عنه ـ وغيره من الزهاد إذا عرفوا فى مكان ارتحلوا عنه .

« لحامل القرآن ينبغى »

ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون .

« كل شىء هالك .. إلا وجهه »

أين أهل الديار من قوم نوح
ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم فى التمارق والإسـ
ـتبرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضا
وهو أدنى إلى الموت ممن يعود

« دعاء »

« اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك . »

من روائع الماضى بمجلة الأزهـــر

إسقاط الأحكام الشرعية بالتحايل



لصاحب الفضيلة / عبد الله المراغى

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

من الأخطاء المنهجية التى يقع فيها كثير من المشتغلين بالأمور الدينية التحايل على الأحكام الشرعية والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فى غير ما هى له ؛ بغية الوصول إلى رأى بعينه ينسبه الى الدين دون إدراك أو تحقق أو تمحيص لماهية هذا النص أو ذاك وهذا خطأ كبير له نتائج خطيرة فى تشويه الحقائق وإظهار الباطل فى ثوب الحق والعكس .. وتشكيك الأجيال فى الدراسات الإسلامية وشريعة هذا الدين . الأمر الذى يحدث عند المسلم فراغا أو بلبلة خاصة فى هذا الظرف الذى تمر به أمتنا الإسلامية .

قال الأستاذ رحمه الله :

شرع الله الأحكـام الشرعيـة ، لمصالح وحكم ، وجعلها كالأدوية لمعـالجة أدواء البشرية ، وجعل التصرفات الصادرة من المكلف مقاصد تدل عليها الألفاظ . فكل عقد يصدر من المكلف تصاحبه نية ، فإن كانت تلك النية محققة لمقصود الشارع من العقـد كانت معـتبرة وصحيحة ، وإن كانت غير محققة لمقصود الشارع كانت لاغية . وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن المقصود فى العقود معتبر ، وأن القصد يؤثر فى صحة العقد

وفساده ، وفى حله وحرمته . كما يؤثر فى الفعل الذى ليس بعقد تحليلا وتحريما ، فيصير حلالا تارة ، وحراما تارة ، باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحا تارة ، وفاسدا تارة باختلافها ، فذبح الحيوان يحله إذا ذبح لأجل الأكل ، ويحرمه إذا ذبح لغير الله . وعصر العنب بنية أن يكون خمرا معصية ، وعصره بنية أن يكون خلا جائز ، إلى غير ذلك من الأحكام التى تصاحبها النية ، فتجعلها حراما . وصدق — عليه السلام — إذ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »[1] .

فبين فى الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية ، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية ، ثم بين فى الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نوى . وهذا يعم العبادات ، والمعاملات والأيمان والنذور وسائر التصرفات والأفعال ، فمن نوى بالبيع عقد الربا فهو محصل للربا ، ولا تأثير لوجود صورة البيع ، ومن نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ، ولا تأثير لوجود صورة عقد النكاح ، فنظير هذا ما إذا نهى الطبيب المريض عما يؤذيه ، وحماه منه ، فيحتال على تناول ما نهاه الطبيب عنه . وقد نهى الله اليهود عن تناول الشحوم ، فاحتالوا على الانتفاع بها فجعلوها ودكاً بإذابتها ، وباعوها وانتفعوا بأثمانها ، فحقت عليهم اللعنة .

وقد طلب الشارع من المكلف المحافظة وامتثال الأمر والنهى ، حتى يحصل مقصوده منهما ، فعمل على سد الذرائع بكل وسيلة . فإذا حرم شيئا وله طرق ووسائل تفضى إليه ، فإنه يحرمها ، ويمنع منها ، تحقيقا لتحريمه ، وتثبيتا له ، إذ لو أبيحت الوسائل والذرائع المفضية إليه لأدى ذلك الى نقض التحريم ، وتعالى الله عن ذلك ، فقد قال تعالى : « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ »[2] فمنع النساء من الضرب بالأرجل ، وإن كان جائزا فى نفسه ، لئلا يكون سببا إلى سمع الرجال صوت الخلخال ، فيثير ذلك دواعى الشهوة إلى النساء . وقال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ »[3]

فقد أمر الله تعالى مماليك المؤمنين ، ومن لم يبلغ منهم الحلم ، أن يستأذنوا عليهم فى هذه الأوقات الثلاثة ، لئلا يكون دخولهم بغير استئذان ذريعة إلى اطلاعهم على عوراتهم ، وقت التجرد من ثيابهم فى هذه الأوقات .

وكان النبى ﷺ يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ، لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم : إن محمدا يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ، ومن لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

والمتتبع للأحكام الشرعية يرى الحرص من الشارع على سد الذرائع . وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، إذ هو أمر ، ونهى . والأمر إما

(١) رواه الشيخان والنسائى .

(٢) سورة النور آية ٣١ .

(٣) سورة النور آية ٥٨ .

مقصود لنفسه ، وإما وسيلة الى المقصود . والنهى إما مقصود لنفسه لما فيه من المفسدة الذاتية ، أو وسيلة إلى المفسدة فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين . وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع أشد مناقضة ، وذلك لأن الشارع يسد الطرق الموصلة إلى المفاسد بكل وسيلة ، فيكون عمل المحتال فاتحا لطرق المفاسد بوسائله التى يحتال بها على تغيير أحكام الله ، والبون شاسع والفرق عظيم بين من يمنع من فعل جائز مخافة أن يؤدى إلى الوقوع فى المحرم ، وبين من يصطنع الحيل ، ليصبغ الفعل المحرم بصبغة الفعل الجائز ، زاعماً أنه بعمله هذا ينجو من عقاب الله وأن نيته الباطنة ، وقصده المستتر ، يخفى على الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ومن تأمل أحاديث اللعن الواردة فى سد باب الحيل يقطع بتحريمها ، كقوله ـ عليه السلام ـ : « لعن الله المحلل والمحلل له ، ولعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها ، وباعوها ، وأكلوا ثمنها ، ولعن الله الراشى ، والمرتشى ، ولعن الله آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهده .

ومما يدل على بطلان الحيل ، وتحريمها ، أن الله ـ تعالى ـ إنما أوجب الواجبات ، وحرم المحرمات ، لما تتضمن من مصالح عباده ، فى معاشهم ومعادهم .

فالشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء الذى لابد لهم منه ، والدواء الذى لا يندفع الداء إلا به ، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما فرضه الله ، وتعطيل ما شرع ، كان ساعيا فى دين الله بالفساد ، فقد أبطل ما قصده الشارع من الحكمة فى الأمر المحتال عليه ، وأثبت بزعمه حكمة أخرى ، ويزيد عمله قبحا وشناعة ما يدعيه من نسبة هذه الأحكام إلى الله تعالى ، والله برىء مما يعمل وما يبتدع هذا المحتال . إذ أن الله تعالى أوجب أشياء ، وحرم أشياء ، فأوجب الصلاة ، والصيام ، والحج ، وحرم الزنا ، والربا ، والقتل ، كما أوجب الزكاة ، والكفارات ، والوفاء بالنذور ، والشفعة للشريك ، وحرم المطلقة ثلاثا ، والانتفاع بالمغصوب ، والمسروق ، فإذا تسبب المكلف فى إسقاط هذه الأحكام بأن أسقط الوجوب عن نفسه ، أو أباح ذلك المحرم بأى وجه من وجوه التسبب سمى محتالا ، ووسيلته تسمى حيلة وتحيلا ، فمن ذلك ما إذا دخل وقت الصلاة عليه فى الحضر ، فعليه أن يؤديها أربعا كالظهر ، فأراد أن يتسبب فى إسقاطها كلها بتناول ما يزيل عقله حتى يخرج وقتها ، أو أراد أن يؤديها ركعتين ، فأنشأ سفرا ليقصر الصلاة ، وكما إذا دخل شهر رمضان فأنشأ السفر هروبا من الصوم ، أو أراد بيع عشرة دراهم نقدا بعشرين إلى أجل ، فجعل العشرة ثمنا لثوب ثم باع الثوب من البائع الأول بعشرين إلى أجل ، أو أرضعت الزوجة جارية زوجها أو ضرتها لتحرمها على الزوج ، فهذه وما ماثلها من الحيل ممنوعة شرعا . ودليل منعها من الكتاب ، ما وصف الله به المنافقين فى قوله تعالى : « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ »[٤] إلى آخر هذه الآيات التى فضحت سرائر المنافقين ، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، فقد أظهروا كلمة الاسلام إحرازا لدمائهم وأموالهم ، غير ناظرين لما قصد له الاسلام من الدخول تحت طاعة الله مع الاختيار والتصديق القلبى . وقد قال تعالى فى وصف المرائين بأعمالهم :

﴿ كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٥]

الإنفاق غير قاصدين حكمته ، بل قصدوا بعملهم الدنيا ، والجاه ، وحسن الأحدوثة ، كما قال تعالى فى وصف أصحاب الجنة الذين منعوا حق المساكين ، فقصدوا قطع ثمارها فى وقت لا يتمكن المسكين من الحضور فيه :

« إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ »[٦]

وآيات كثيرة من القرآن الكريم تتوعد من أظهر بعمله خلاف ما يبطن ، قاصدا الوصول إلى نفع لم يبح له الشارع الانتفاع به بل حرمه عليه ومن الأحاديث الدالة على تحريم الحيل قوله ـ عليه السلام ـ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود والنصارى يستحلون محارم الله بأدنى الحيل ، أى بأسهلها وأيسرها ، وأقلها عناء ومشقة . وقال : « قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها وباعوها ، وأكلوا أثمانها » فقد احتال اليهود على الشحم فأذابوه ، فصار فى صورة غير صورته الأولى ، فباعوه ، وأخذوا ثمنه ، وانتفعوا به . وقال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يُعْزَفُ على رؤوسهم بالمعازف ، والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » وقال : « يأتى على الناس زمان يستحل فيه خمسة أشياء بخمسة أشياء : يستحلون الخمر بأسماء يسمونها بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالرهبة والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وكلها سائرة على ان التحيل فى قلب الأحكام الشرعية غير جائز ، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين تعطى الاجماع على منع التحايل على الأحكام ، وفيما ذكرنا من الآيات والأحاديث غنية فى إثبات ذلك .

ومن الآثار عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ما ثبت عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : أن عمى طلق امرأته ثلاثا . أيحلها له رجل ، فقال : من يخادع الله يخدعه » وقال أيوب السختيانى فى أهل الحيل : « يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان ، فلو أتو الأمر عيانا كان أهون على » وقال شريك بن عبد الله القاضى فى كتاب الحيل :

(٤) سورة البقرة ٨ ، ٩ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٦٤ .
(٦) القلم آية ١٧ .

« هو كتاب المخادعة ، فإن الحيل المحرمة مخادعة لله ، ومخادعة الله حرام » وقد قال ــ عليه السلام ــ « لا ترتكبوا ما ارتكـــبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

فكل حيلة هدمت أصلا شرعيا ، وناقضت مصلحة شرعية فهى حرام . وهناك بعض تصرفات تبدو لأول الأمر أنها حيلة ، وهى فى الحقيقة لا احتيال فيها ، لأنها لا تهدم أصلا شرعيا ، ولا تناقض مصلحة شهد الشرع باعتبارها ، كالنطق بكلمة الكفر إكراها عليها ، فإن هذا التحايل مأذون فيه ، لكونه مصلحة دنيوية لا تشوبها مفسدة أصلا ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . فهذا الفعل لا يحل حراما ، ولا يناقض مصلحة ، فإطلاق الحيلة عليه إنما هو بضرب من التجوز ، إذ حقيقته مأذون فيها شرعا ، فليس فى هذا التصرف تغيير لحكم الله . ونستطيع بكل وثوق أن نجزم بان كل تحايل يقصد به صاحبه تحليل محرم ، أو تحريم حلال ، لا يقدم عليه إلا من لم يرتضع من ثدى الشريعة الاسلامية ، ولم يحط علما بمقاصدها ومراعاتها للمصلحة التى بها تتحقق السعادة للبشرية من التكاليف الشرعية .

ومن تأمل فى التصرفات الملتوية التى يسلكها أهل الحرف والصناعات والتجار ، بل يسلكها كل من ولى امرا من الأمور العامة أو الخاصة ، يرى أن الصور التى يعطيها هؤلاء المنصرفون لأعمالهم وأفعالهم إنما هى صور براقة جذابة آخذة لمن رآها لأول وهلة بالقبول والاستحسان .

وفى حقيقتها صور خادعة كاذبة منافقة مرائية ، لا تهدف إلى تحقيق مصلحة يرتكن عليها صرح المجتمع القوى السليم ، وإنما هى حقائق تقوض نظام المجتمع وتشتت تضامنه ، وتفرق جمعه وتبدد وحدته .

ونظرة فاحصة فى المجتمعات الراقية المتحضرة تجلو لنا وضوح تصرفات أفراده ، وخلوها من الزيف ، والتصنع والتحايل . فالصدق والأمانة والوضوح ، يضفى على التصرفات إشراقا وضياء ونورا يطمئن له القلب ، وتستريح له النفس ، وحبذا لو سلك الناس الطرق الواضحة فى تصرفاتهم وأفعالهم ، وعلى الأخص المتصدون للفتيا ، فى القرى والمدن ، وعند ذلك تتحقق حكم الشريعة الإسلامية ، وتبدو مصالحها واضحة جلية ، تحبب إليها القلوب ، وتطمئن بها الأفئدة ، فلا تكون مثار تشكيك فيها ، ولا انتقاد من بعض من يبحث عن مواضع الضعف فى الشريعة الإسلامية ، ليظهرها بمظهر الجمود والعجز عن مسايرة التقدم والرقى والحضارة .

اللغة والنقد والأدب

فضل اللغة العربية

بقلم الدكتور/ أحمد عبده عوض (*)

اللغة العربية هى وعاء الكتاب الخالد ، بها أنزل وحفظ ، وكل معلم للعربية أو متعلم لها هو فى حاجة إلى الوعى بها ؛ لأنها أساس كل علم ومناطه ، فإنها أداة العلم ومفتاح التفقه فى الدين ، وقد اختارها الله تعالى لخير الأمم ؛ أمة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد خصت بالإيجاز والبيان والإعراب والبلاغة ومن ثم يكتسب التأكيد على فضلها وأفضليتها أهمية خاصة ؛ أحاول جاهداً الكشف عنها من خلال المحاور الآتية :

أولاً ـ اللغة العربية بين التاريخ والمعاصرة والعالمية :

(أ) اللغة العربية لسان الحاضر :

اللغة العربية لسان عبادة ، ومعجزة نبى كريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهذا المضمون الروحى للغة العربية هو المعبر الروحى الذى انتقلت به حضارة العرب إلى أصقاع العالم فى آسيا وإفريقيا وأوروبا .

وهى كذلك **قوام الشخصية العربية** ، ومناط قوميتنا ، وأساس تراثنا ، ومادة ثقافتنا وحضارتنا ، وأداة التواصل بين أبناء الأمة وبين إخوانهم فى العقيدة .

وقد عصمها الله على مر الزمن ، وتعاقب الأحداث من التمزق والضياع ، وظلت جامعة لأبنائها ؛ يتخاطبون بها عبر الأجيال ، ولا يشك المرء لحظة فى أن هذا الثبوت والرسوخ والخلود إنما يرجع إلى كتاب الله تعالى ؛ والذى أراد الله القدير أن تستودع اللغةُ العربية رسالتَه السماوية الخالدة

ولذا فالذين يُؤرخون للغة العربية يؤكدون على أفضليتها من الناحية الدينية ، التى أكسبتها كمالاً وجلالاً وفضلاً ، وكان الفضل مظهراً من مظاهر تقديسهم لها ، وإيمانهم بكمالها ، وباختيار الله لها لتكون **لغة خير الرسل وأفضل الكتب** .

وقد جعل الله لها قبولاً وقوة ؛ فقد أصبحت اللغة الرسمية للبلاد المفتوحة ؛ التى هجرت لغتها القومية دون أن يجبرها أحد على ذلك .

كما لم يكرهها أحد على الدخول فى الإسلام . وهى كذلك ـ إحدى اللغات التى اختيرت

(*) مدرس بجامعة طنطا .

ـ رسمياً ـ للحديث بها فى دوائر الأمم المتحدة ولا يزال القرآن الكريم يفتح لها القلوب ، ويكسبها جلالاً وبهاء وحباً ونفوذاً ونفاذاً ..

(ب) العربية والمعاصرة :

اللغة العربية لغة حية ، فقد غزت أماكن كثيرة فى شتى بقاع العالم ، ودخلت أمماً مختلفة وأثرت فى لغاتها ، واستقبلت معظمُ لغات العالم مفرداتٍ كثيرة من اللغة العربية ؛ وفى ذلك دليل حيويتها .. ولكونها عُرفت بسعتها وثرائها وبما تملكه من وسائل النمو والتطور من اشتقاق ومجاز ونحت وتعريب .. إلخ ؛ **فقد استطاعت أن تستوعب الثقافات والعلوم المترجمة فى عصور الإسلام الأولى .**

ونؤكد أن استعمال اللغة العربية لا يقف حائلاً أمام الإبداع والإيضاح كما ادعى بعضهم ، فالإرث الحضارى الرائع لدى علماء المسلمين فى شتى المجالات الأدبية والدينية والعلمية شاهد على ما تقدم ، حيث ترى لغة أدبية فائقة الرقى ، وتستطيع أن تلمس ذلك فى الموسوعات العلمية والأدبية التى أبدعوا من خلالها بفكرهم ولغتهم وقوة تعبيرهم .

وفى أيامنا هذه لا يختلف الأمر كثيراً فاللغة عندما لا تساعد صاحبها فى التعبير عن أفكاره ، فهذا ليس عيباً فى اللغة ، وإنما فى ضحالة الثروة اللغوية وفقرها لديه .

(جـ) العربية والعالمية :

اللغة جوهر القومية ، والمتأمل فى تاريخ اللغة العربية قبل الإسلام يجد أنها كانت مزدهرة مكتملة النمو فى كل أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وكانت مصدر تنافسهم ، وإجادتهم ، وكانت لهم أسواقهم ومساجلاتهم ومناظراتهم .. وبالطبع فهى أداة أدائهم وتعبيرهم ، ومصدر اعتزازهم ؛ **غير أن نزول القرآن الكريم بها زادها ازدهاراً فوق ازدهار ، وثبت أركانها وقوى دعائمها** .. ثم كانت الفتوحات الإسلامية فى الأمصار وما وراء الأمصار فإذا باللغة العربية ـ وهى لغة الدين التى حملت معجزته الكبرى ـ تجد إقبالاً من المناطق التى دخلت فى الإسلام ، بنفس درجة إقبالهم على الدين .

« وهكذا أصبحت اللغة العربية خلال قرنين من الزمان لغة عالمية تنتظم جهات من بلاد فارس ، وكل العراق ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تنتظم مصر وشمال إفريقيا وبلاد الأندلس »[1] .

وكان من البداهة أن تصطدم اللغة العربية بعد الفتح الإسلامى بلغات الدول المفتوحة ، **ولكنك تجد أن اللغات المحلية قد تقهقرت ولم تصمد أمام الهداية التى تحملها اللغة العربية ، وأمام نور الله الذى لا سبيل إلى استشراقه إلا بلغة القرآن .**

ويمكنك بعد ذلك أن ترصد سمات عالمية اللغة العربية فى :

● سعة انتشارها ، وصبغها لشعوب عدة بالصبغة العربية ، فأخذت بالطابع العربى ديناً ولغة وثقافة وحضارة ، وأصبحت من أوسع لغات العالم انتشاراً .

(١) إبراهيم أنيس : اللغة بين القومية والعالمية ، القاهرة ، دارة المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧٦ وما بعدها .

● وكذلك وهى فى أوج نهضتها رحبت بكثير من الألفاظ التى دخلتها من اللغات الأخرى .

● **وصمدت كذلك فى كل تاريخها** فلم يصبها ما أصاب اللاتينية من تفتت إلى لغات مستقلة . ورغم ما أصاب الدول العربية من مآس واضمحلال سياسى خلال عدة قرون ؛ إلا أن اللغة ظلت صامدة ؛ تقويها الروح الإسلامية ، وتشد أزرها .

● **لصعوبة الفصل بين الإسلام واللغة العربية** فإن الفصل بين العروبة والإسلام تفتيت لوحدة الأمة ، وجهل بحقائق الدين واللغة .. فأى دعوة للقومية والوحدة ينبغى أن تنطلق من اللغة العربية التى حملت تراثنا ، وتمثل الأساس القويم للوحدة اللغوية والدينية والثقافية والروحية ؛ فالقومية لا تستهلم وجودها إلا عن طريق هذه اللغة ، ولا يتحقق دعمها إلا على أساس ذلك اللسان العربى المبين .

ونؤكد أن الإقرار بعالمية الإسلام وعموم رسالته هو ـ فى ذاته ـ إقرار بعالمية اللغة العربية ، وفى الوحى العزيز لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

سورة الأعراف : ١٥٨

ثانياً ـ بين القرآن الكريم واللغة العربية :

احتفظت اللغة العربية بكيانها ، وذلك لكونها لغة القرآن الكريم ؛ الذى قدر الله له الخلود

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

سورة الحجر : ٩

ثم هى لغة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

يقول بروكلمان : « بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أى لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية هى وحدها اللسان الذى أُحل لهم أن يستعملوه فى صلواتهم » وبهذا اكتسبت العربية من زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى » .

وكان لنزول القرآن الكريم باللغة العربية أعظم الأثر فى توطيد هذه اللغة وتقوية سلطانها على الألسنة ، وتهذيبها وتنقيحها واتساع الأغراض التعبيرية وفنون القول فيها ، **ويبدو ذلك فى تنوع المعانى والأخيلة والأساليب والألفاظ** .

كما يبدو تأثر العرب بأسلوب القرآن جلياً ، إذ انطبعت فى لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة ، **فإنه خالط قلوباً قاسية ؛ فألانها ، وطباعاً جاسية ؛ فهذبها ، وأضفى على اللغة العربية عذوبة لفظ ، ورقة أسلوب ، وسماحة تركيب ، وقوة حجة ، ورزانة منطق ، ودقة أداء وغزارة معنى**[٢] .

(٢) محمد كامل الفقى : فضل القرآن على اللغة العربية ، الكويت ، مجلة الوعى الإسلامى ، سبتمبر ١٩٦٧ ، ص ٢٣

وكان من فضل القرآن على اللغة تهذيبها من الحوشية ، والسير بها إلى السهولة والمتانة ، ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق ، وأجود الأساليب ، فإن المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته فى صلاتهم وعباداتهم ، واستجلوا مظاهر الأدب الرفيع المعجز فى عباراته وأمثاله ، واستعاراته ومجازاته وكناياته ، وتشبيهه وتمثيله . وكل ذلك حقق لهم إرهافاً فى الذوق ، ونضجاً فى الموهبة ، وسمواً فى الحاسة الفنية ، كما خلق فيهم الميل الشديد إلى محاكاة أساليبه واقتباس ألفاظه .

وقد جاء القرآن مخالفاً لكلام العرب فى الطريقة والمذهب ، وفى المنزلة والصنعة ، وانْ جانس لغتهم فى المادة والتركيب ، ولولا ذلك لذهب فى كلامهم . وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والأقاصيص وغيرها . أو لتدافعته العصور والدول إن لم يذهب ، وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الإنسان .

ولكن أبى الله لآيته وإعجازه أن يكون كذلك ، فأنزل القرآن حاوياً لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتمييز . فكان سبباً فى جميع ما أحدث ، وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سبباً فى حفظ العربية واستخراج علومها .

وكان أصل ذلك هو التحدى بها ، الذى كان من حكمته أن ينظروا فى أساليب القرآن ووجه نظمه ليتدبروا طريقته ، ويجربوا عليها أنفسهم ويحملوها على الإتيان بما تحداهم إليه إن استطاعوا ، حتى إذا استيقنوا العجز من أنفسهم ، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعى وقيام الحاجة إليه ، ووجود المادة التى منها ائتلف ، كان ذلك سبباً لمن يخلفهم على اللغة إلى استبانة وجوه الإعجاز ؛ فكشف لهم ذلك عن فنون البلاغة وتأدت بهم إلى حيث بلغوا من تتبع كلام العرب والكشف عن محاسنه[٣] .

وهكذا أضاف القرآن الكريم معانى جديدة ، وأساليب لغوية لم يعهدوها ، وتراكيب غير مألوفة على سمعهم ؛ إلى غير ذلك مما أكسبها ثراءً ودقة وجمالاً ..

ولا يخفى على القارىء الكريم أن الإنسانية لم تعرف طول تاريخها لغة خلدها كتاب إلا اللغة العربية ، وتلك إحدى مصادر إعجاز القرآن ، « فقد أعطى اللغة إكسير الحياة وسر البقاء ، واستمدت من كلماته روح الثبات ، وشجاعة المواجهة ، فكان القرآن الروح التى جعلت العربية الفصحى لغة كل العصور ، وكل ما جاءنا من تراث هذه اللغة ، إنما مرده إلى القرآن ؛ الذى فجر علومها ، وأطلق عبقرية أبنائها ؛ فبقيت العربية كما كانت ، راسخة القدم مبنى ومعنى قادرة على مواكبة الحضارة ؛ تأخذ من غيرها ما يلزمها ، وتعطى لغيرها ما يلزمه .. » .

ونظراً للعلاقة الطبيعية بين القرآن الكريم واللغة العربية ، فقد ساعد القرآن الكريم على ازدهار العلوم اللغوية ، وأسهم فى ثراء الفكر اللغوى الأدبى والبلاغى والخيالى عند العرب .

(٣) محمد كامل البوهى : المرجع السابق ، ص ٢٤ ـ ٢٦

ولذا فقد نشأت علوم اللغة لخدمة القرآن الكريم ، للمحافظة على نصه ، وللمساعدة فى فهمه حق الفهم ، وهذه العلوم اللغوية العربية من قبل ومن بعد صنيعة القرآن ، وتدين له بوجودها ثم اتساعها وخلودها .

ثالثاً ـ خصائص اللغة العربية :

والمتأمل فى العلوم اللغوية يجد عظمة هذه اللغة ، وتفرد خصائصها ، وهذا ما نتناوله هنا من خلال خصيصتى السعة ، والبيان :

(أ) سعة اللغة العربية وخصوبتها :

تميزت اللغة العربية بأنها أوسع ثروة فى أصول الكلمات والمفردات من كل اللغات السامية ؛ فهى تشتمل على جميع أصول هذه اللغات وتزيد عليها بأصول كثيرة ؛ احتفظت بها مما لا يوجد له نظير فى أى لغة أخرى ، جُمع للأسد خمسمائة اسم ، وللثعبان مائتا اسم ، وللعسل ثمانون اسماً ، وللسيف ألف اسم ، وهكذا ؛ وهذا يتسق مع طبيعة العرب فى السخاء الطبيعى والمادى ، **والذى كان له مردود على سخائهم اللغوى** ، ولذا فقد وضعوا لبعض المعانى أسماء تفوق التصور والتخيل . وبذا اتسعت اللغة العربية اتساعاً عظيماً ، ويبرز ذلك فى غزارة مفرداتها ، وكثرة الاشتقاق فيها ، ووجود النحت ، والقلب والإبدال ، وسعة صدرها فى التعريب والمجاز والكناية والنقل ، واتسعت لعلوم الحضارة ، وعرفت بكفايتها النادرة ، ومنزلتها السامية وقوة أدائها .

(ب) اللغة العربية والبيان :

اختصت اللغة العربية بخصيصة (**البيان**) ، وهذا يتضح من قوله سبحانه :

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

سورة الشعراء : ١٩٥

حيث وصف الله تعالى اللسان العربى بأبلغ ما توصف به اللغة وهو (البيان) ﴿ **بلسان عربى مبين** ﴾ ، والبيانُ هو أهم وظائف اللغة وأفضل ما توصف وتختص به ، وعندما يرد الوصف من الخالق سبحانه دل ذلك على تحقق هذه الصفة فيها ، بقدر عظيم ؛ وعلى وفائها بالإبانة من أكمل الوجوه . ويتمثل بيان العربية فى كمال البيان اللغوى وليس مجرد الإبانة ؛ لأن هذا يتحقق بغير اللغة العربية ، وفى مجال العبارات العربية نجد سعتها ووضوحها وكثرة ترادفها ، وغناء ألفاظها ، وثراء مادتها ، وغزارة مفرداتها ـ وحسن تأليف مبانى الكلم ؛ فضلاً عن وجود خصيصة الاشتقاق ، والتى جعلت اللغة العربية أكثر إنتاجاً وتوكيداً .

والمتأمل فى صدر **سورة الرحمن** يجد بعض النعم والآلاء التى امتن الله بها على عباده ، ومنها (نعمة البيان) وجاءت هذه النعمة مقدمة على نعم كونية عظيمة ، حيث يقول تباركت أسماؤه ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

وهنا يبدو تفوق العربية حيث نجد الربط بين القرآن ـ الذى هو عربى ـ وبين الإنسان وبين نعمة البيان ؛ التى هى إحدى نعم الله العظمى ، وجاء فيها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى أخرجه البخارى : عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا ، فعجب الناس

لبيانهما ؛ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن من البيان لسحراً » والمعنى : إن هذا البيان قد يبلغ فى روعته وشدة تأثيره على النفوس واستحواذه على المشاعر ما يبلغه السحر .

وقد سأل موسى ـ عليه السلام ـ ربه ـ عز وجل ـ حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته فقال حين ذكر القصة التى كانت فى لسانه ، والحُبسة التى كانت فى بيانه ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾

سورة طه

وقال موسى عليه السلام

﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾

سورة القصص : ٣٤

وقال :

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾

سورة الشعراء : ١٣

رغبةً منه فى غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة فى وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع .

وقد استجاب الله ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام وَحَلَّ عقدة لسانه ، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾

سورة طه : ٣٦

رابعاً ـ لغتنا العربية اليوم :

ثم تساؤل مهم نحاول الإجابة عنه عن حال اللغة العربية هذه الأيام .

لا يعجب المرء كثيراً عندما يتأمل فى واقعنا اللغوى والتاريخى ، فيرى أن لغتنا العربية مثلت تحدياً عظيماً أمام أفكار هدامة استهدفت اللغة ، ولعل ما سُمى بمشكلة الفصحى والعامية أحد مظاهر هذه التحديات ، وهى مشكلة صنعها الاستعمار وأعوانه عندما وجدوا لغة عُليا للفكر والأدب وهى الفصحى ، وفى المقابل لغة مستعملة فى التخاطب اليومى وهى العامية ، وهذا أمر موجود فى سائر اللغات الحية ، وليس ثمة مشكلة فى ذلك .

● لكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة الطبيعية ؛ **ليحارب الفصحى ، تمزيقاً لوحدتنا اللغوية والفكرية ، فراجت دعاوى تتهم الفصحى بالعقم والبداوة وتلقى عليها مسئولية تخلفنا ، وتدعو للعامية** ؛ فتزعم لها القدرة على الوفاء بحاجات وجودنا اللغوى الحديث ، وترى فيها المفتاح السحرى لتقدمنا العلمى والحضارى والوسيلة الميسرة لتثقيف الجماهير وتعليم الأميين »(٥) .

والأدهى من ذلك أن اقترنت الدعوة إلى العامية بوصف بعضهم للهجة العامية المصرية بأنها لغة سابقة للغة العربية والدعوة إذن إلى التماس لغتهم القديمة ، ومنهم من قال : إن اللغة العربية لغة أجنبية ، وإنه يجب أن تُحول ؛ لتعود مصر إلى لغتها القديمة .

(٥) عائشة عبد الرحمن : لغتنا والحياة ، القاهرة ، دار المعارف ، بمصر ، ١٩٧١ ، ص ٩٣ .

وهذه الدعاوى لا حقيقة لها ، وقد ردّ عليها بعض العلماء .

وسعياً إلى تغريب اللغة العربية ، وإقصاء القرآن أساساً عن طريق اللغة شجعت حكومة الاحتلال على إنشاء جرائد باللغة الدارجة ، كما ظهرت مؤلفات تدعو للغرض ذاته ، **وقد أحسن شاعرنا حافظ إبراهيم عندما لخص هذه الدعاوى على لسان العربية بقوله :**

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي(٦)

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولعلك تدهش عندما يحمل بعض المثقفين لواء الإصلاح والتيسير والتلخيص فيدعون إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية أو استبدال الخط العربي باللاتيني .. ومن ذلك دعاوى أحمد لطفي السيد وسلامة موسى وعبد العزيز فهمي ولويس عوض . وهذه الدعاوى كلها زائفة وباطلة ومُغرضة ، وهي تصدر عن أناس يعلمون أن **اللغة العربية هي حجر الزاوية في وحدة هذه الأمة وكيانها كله ، وأن الأخذ** بدعاوى التطوير والتعديل والتحسين هو فصل لهذه الأمة عن تراثها ، وإبعادها عن هداية لغة القرآن الكريم .

كل هذا تحت دعوى : إصلاح اللغة ، وتيسيرها ، وتبسيطها وتهذيبها وتسهيل كتابتها .. وهي في الواقع دعاوى لإزالتها وهدمها وإبعادها .

وثم مغالطات كثيرة أخرى ودعاوى باطلة أُريد بها النيل من العربية وتشويهها وبيان عجزها ، وعدم قدرتها على الوفاء بحاجات العصر ولا نجد سوى أن نقرر « أن اللغة العربية لو كانت عاجزة عن الوفاء بمطالب الحياة والعصر ما نزل بها القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(٧) .

لكنك عندما تتأمل واقع اللغة العربية هذه الأيام ، ترى أنها قد **هانت وأهملت على يد أبنائها ، وصح أن نقول إن هناك أزمة لغوية** ، وهناك فساد للذوق اللغوي ، وهناك تغريب لغوي ولا نستطيع أن نناقش أي ظاهرة مما تقدم بمنأى عن عمليات تعليم اللغة العربية في مدارسنا(٨) .

وختاماً .. فإنه لا بد من المحافظة على اللسان العربي ـ نطقاً وكتابة دون خضوع لأية مبررات تؤدي في النهاية إلى التخبط وفقدان الهوية .

وحفاظنا على اللغة العربية ، هو حفاظ على تراث هذه الأمة ، وعنايتنا باللسان العربي هو إعزاز وإعلاء وافتخار لنا ، وهو واجب حث عليه ديننا الحنيف

(٦) حصاتي : عقلي .

(٧) جمال مصطفى العيسوي ، أحمد عبده عوض : اللغة العربية نماذج أدبية نقدية ، مطبعة أورفو ، ١٩٩٢ ، ص ٥٣ ـ ٥٤

(٨) الواقع اللغوي والهوية العربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٩ ، ص ١١٧ .

ملاحظات على كتاب

٢



عرض ونقد

الأستاذ الدكتور علي أحمد مرعي

الملاحظة السابعة : إنكار حد الردة :

يقول الكتاب ص١٥٨ عن القول بعقوبة حدية من يرتد عن الإسلام .. « إنه خالف صريح آيات القرآن التى تقطع بعدم وجود مثل هذا الحد » ، ويضيف « .. وإننا نعيد التأكيد على أنه ليس هناك على الإطلاق أى دليل فى القرآن أو السنة الشريفة على صحة مثل هذا الحد » ، ثم يورد الكتاب بعض الآيات القرآنية ، ويفهمها على غير وجهها الصحيح : ليوهم القارىء أنه يستند إلى دليل ، فيقول ـ بعد ذكره الآيات واستنباطاته غير الصحيحة : « هذه بعض الأدلة القرآنية ـ وهى قليل من كثير ، والتى تقطع بكذب المزاعم حول ما يسمى بوجوب قتل المرتد كعقاب عن مجرد ارتداده » ص١٦٢ ، ويقول : « .. وبعد أن أوردنا الأدلة القرآنية القطعية الثبوت القطعية الدلالة التى تؤكد بطلان دعوى ما يسمى بحد الردة .. » والردة فى نظر الكتاب « عدوان على صاحبها يفعله هو بنفسه » ، « وبالنسبة للإسلام وأهله فحين يرتد عنه مرتد فالإسلام لا يتعرض بذلك لعدوان عليه .. ولكن على

العكس .. » . وحد الردة ـ فى نظر الكتاب ـ « يعتبر صورة صارخة من صور الإكراه فى الدين والذى تنهى عنه الآية مطلقاً » يعنى آية « لا إكراه فى الدين » البقرة ٢٥٦ .

أقول : إنكار حد الردة مخالف لإجماع الفقهاء المستند إلى النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة .

أما مخالفته لإجماع الفقهاء ؛ فلأن الفقهاء مجمعون على مشروعية حد الردة ، وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من الفقهاء .

قال ابن قدامة : « وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد . وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وابن عباس وخالد وغيرهم ولم ينكر ذلك فكان إجماعا » المغنى جـ ٨ ص ١٢٣ .

وقال الإمام النووى : « وأما نفس المرتد فمهدرة فيجب قتله إن لم يتب ، سواء انتقل إلى دين أهل الكتاب أم لا ، حرا كان أو عبدا أو امرأة » . روضة الطالبين جـ ٧ ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

وقال الإمام النسفى : يعرض الإسلام على المرتد وتكشف شبهته ثلاثة أيام ، فإن أسلم وإلا قتل . (كنز الدقائق مع شرحه تبيين الحقائق جـ ٣ ص ٢٨٤) .

وقال الدردير : « يستتاب المرتد ثلاثة أيام من يوم الحكم بلا جوع وعطش ومعاقبة ، فإن تاب وإلا قتل » . الشرح الصغير جـ ٤ ص ١١٧ ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية .

وقد استند إجماع الفقهاء السابق إلى النصوص الصحيحة الآتية :

١ ـ بما أخرجه البخارى ـ وغيره ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « من بدل دينه فاقتلوه » .

٢ ـ بما أخرجه البخارى ـ وغيره ـ أن رسول الله ﷺ أرسل أبا موسى الأشعرى إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه ألقى له وسادة ، قال : انزل . فإذا رجل عنده موثق ، قال : ما هذا ؟ قال : كان يهودياً فأسلم ثم تهود . قال اجلس . قال : لا أجلس حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات) فأمر به فقتل » . فهذه الأحاديث صريحة فى تعيين القتل عقوبة للمرتد عن دين الإسلام .

والإسلام ـ كما هو معلوم ـ لا يكره أحداً على الدخول فيه بأى حال ، والقرآن الكريم ـ مكيه ومدنيه ـ واضح كل الوضوح وحاسم كل الحسم . ففى المكى يقول الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

سورة يونس : ٩٩

وفى المدنى يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

سورة البقرة : ٢٥٦

ولكن الإسلام فى نفس الوقت لا يرضى من الناس أن يجعلوا الدين « ملعبة » يدخل أحدهم فيه اليوم ليخرج منه غداً على طريقة اليهود الذين قالوا فى عهد النبوة :

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

سورة آل عمران

هذا ، وقد بتيت العقوبة فى جريمة الردة إلى جانب ما تقدم من الإجماع والسنة الصحيحة الصريحة على أساسين رئيسين :

الأول : إخلال المسلم بالتزامه بأحكام الإسلام ؛ فالمسلم ملتزم بأحكام الإسلام وأصوله وعدم الخروج عليها أو هدمها . فإن فعل ذلك كان مخلاً بالتزامه فينال جزاء هذا الإخلال .

الثانى : درء المفسدة عن المجتمع . وبيان ذلك : أن إعلان الردة فيه مفسدة للجماعة تظهر فى تشكيك الناس فى عقائدهم ، وإحداث الاضطراب فيما بينهم ، وزعزعة لكيان الدولة التى اتخذت الإسلام أساساً لقيامها وبقائها ، فكان لا بد من عقوبة زاجرة لمنع هذه المفسدة عن مجتمع يدين بالإسلام ، وعن دولة جعلت الإسلام أساس حياتها . فالقول بأن الردة لا اعتداء فيها على أحد قول مجانب للصواب ، وهل هناك اعتداء فوق تشكيك الناس فى عقائدهم ؟

الملاحظة الثامنة ـ إنكار حد الحرابة :

يقول الكتاب ص ١٨٣ : « وفى الحقيقة فإن كل ما قيل من أحكام فيما أسمى بحد الحرابة ليس له أصل صحيح من القرآن أو السنة الشريفة ، وإنما يستند إلى تفسيرات متعارضة مختلفة وخاطئة للآية الكريمة السابقة ـ يعنى قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

سورة المائدة : ٣٣

و « ما قيل من تفاصيل بخصوص هذا الحد المزعوم هو محض اجتهادات شخصية وآراء تختلف باختلاف أصحابها ، بينما الأمر الذى لا خلاف فيه ولا ريبة فى موافقته للشريعة الإسلامية هو أن أى جرائم ضد النفس أو المال أو إرهاب المادة تدخل فى أحكام التعازير » ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

ثم يبلغ به العجب برأيه مداه ، فنراه يفسر القرآن برأيه ، ويأتى بتأويل لآية المائدة على وفق هواه ، ويزعم أنه « التأويل الصحيح للآية ٣٣ من سورة المائدة » . فيقول فى تأويلها : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾

أى جزاء الذين يتصدون لدعوة الحق بإشاعة الباطل والترويج له ويعملون على نشر الفساد بين الناس وإبعادهم عن دين الله .

ـ « أن يقتلوا » ـ أى تقتل دعوتهم بإلزامهم الحجة البالغة وتبيين ما فى هذه الدعوة من الباطل والزيف .

ـ « أو يصلبوا » ـ أى يشهر بهم بأن تكشف أمام الناس جميعاً حقيقتهم كمحاربين للدين ...

ـ « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » تشير الآية بالأيدى والأرجل إلى وسائل القدرة والسعى .. بمعنى قطع سبل سعيهم ومحاولاتهم للإفساد فى قلوب الناس ... إلخ .

ـ « أو ينفوا من الأرض » ببث المعتقد السليم فى قلوب الناس بما يبعد آثار دعاة الباطل ومفاسدهم فلا يكون لهم أى أثر فى الأرض وينتهى كل دور لأباطيلهم .

ـ « ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » أى أن كل هذه الصور من محاربة دعاة الباطل تكون بمثابة الخزى لهم فى الحياة الدنيا إلى جانب ما ينتظرهم من العذاب العظيم فى الآخرة . وهكذا يخرج الكتاب بالكلمات القرآنية عن مدلولاتها اللغوية التى تعد المناخ لمعانيها . ثم نراه يترك لنفسه العنان فيشطح بخياله ويبعد فى فهم الآية بعداً لا يقره عليه من له نصيب من فهم لآيات القرآن الكريم ومعرفة بأسس التفسير وقانون التأويل . وصدق الله العظيم .

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

سورة القصص

الملاحظة التاسعة ـ حول عقوبة السرقة :

يرى الكتاب أن تطبيق عقوبة السرقة ـ عند الفقهاء يكاد يقتصر على السارق الذى يأتى معترفاً بجريمته مصراً على اعترافه ، ومصراً على قطع يده ، رغم مراجعة القاضى له وتلقينه الإنكار . والكتاب لا يفرق بين ثبوت السرقة بالاقرار ـ حيث تكون المراجعة من القاضى وقبول الرجوع عن الإقرار بشأن إقامة الحد ـ وبين ثبوت السرقة بالبينة حيث لا عبرة بإنكار الجانى ولا تقبل ـ لدرء الحد عنه ـ شفاعة الشافعين ما دام الأمر قد رفع إلى السلطان .

ونستدل لذلك :

ـ بما أخرجه مسلم فى صحيحه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكلمه أسامة . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : « أيها الناس . إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها » مسلم بشرح النووى جـ ١١ ص ١٨٦ .

وروى الزهرى عن ابن صفوان عن أبيه أنه قام فى المسجد وتوسد رداءه فأخذ من تحت رأسه ، فجاء بسارقه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر به النبى ـ صلى الله عليه وسلم أن يقطع ،

فقال صفوان : يا رسول الله ، لم أرد هذا ، ردائى عليه صدقة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ « فهلا قبل أن تأتينى به » رواه ابن ماجة .

الملاحظة العاشرة : نسبة عدم تغيير المنكر بالقوة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

يزعم ـ الكتاب ـ أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لم يلجأوا إلى القوة لتغيير ما فى أقوامهم من منكر . وهذا مخالف لما ذكره الماوردى وإمام الحرمين وغيرهما من الإجماع ، على أن من واجبات رئيس الدولة حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين ودفع شبهات الزائغين وفصل الخصومات ، وإقامة العقوبات من حدود وتعزيرات « الأحكام السلطانية للماوردى وغياث الأمم لإمام الحرمين ص ١٨٤ وما بعدها » .

وفى قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة آل عمران

دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان واجباً فى الأمم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة ـ كما قال القرطبى فى تفسيره ص ١٣٨٩ ط الشعب .

الملاحظة الحادية عشرة : إيهام أن العقوبات غير واجبة :

يذكر الكتاب أن « العقوبات قد أباحها الشارع للحاكم ليستعين بها على القيام بواجب من أهم واجباته الشرعية وهو العمل على استقرار أوضاع المجتمع .. إلخ .

أقول : التعبير بالإباحة يوهم أن للحاكم أن يمتنع عن معاقبة المجرمين متى شاء ، وهذا خطأ لا سيما إذا كانت العقوبة متعلقة بحق آدمى أو بحد من حدود الله فليس للحاكم العفو عن الجانى وذلك لتصان محارم الله ـ تعالى ـ عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من أى إتلاف أو استهلاك .

الملاحظة الثانية عشرة ـ مزاعم غير صحيحة حول الجريمة :

ينكر الكتاب أن يكون فى الجريمة ـ أياً كان نوعها ـ أى اعتداء على حق الله ـ تعالى ـ ص ٦٥ « وإن إقامة حدود الله لا علاقة لها بتوقيع عقوبات من الحاكم على مرتكبى الجرائم » ص ٦٥ أيضاً . بل ما ينادى به البعض فيما أسموه (بأخذ حق الله) يتعارض ـ هكذا يقول الكتاب ـ مع آيات القرآن ويفتح باباً خطيراً إلى معتقد يصور توقيع عقوبة مثل قطع اليد أو الرجم .. إلخ على أنه حذف فى حد ذاته . ص ٦٦ . وكيف يزعم أى إنسان فى هذا الوجود أنه يسترد حق الله المغتصب وهو لا يستطيع أن يفرق بين من تقبل الله توبتهم وغفر لهم ذنوبهم وبين غيرهم ؟؟

الملاحظة الثالثة عشرة ـ يحصر العقاب فى العقاب الأخروى :

يقرر الكتاب أن العقاب الإلٰهى لمن يتعدى حدود الله هو فى الآخرة فقط فيقول ص ٦٥ وآيات القرآن تحدد العقاب الإلٰهى لمن يتعدى حدود الله .. فيقول ـ جل شأنه :

﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

سورة النساء : ١٤

قلت : الآية ـ كما ذكر القرطبى ص ١٦٥١ ـ ١٦٥٢ فى قسمة المواريث . ولكن الكتاب يخلط ولا يميز ؛ ومن ثم يحدث التلبيس ويتكرر .

الملاحظة الرابعة عشرة ـ إنكار الوصول إلى حكم الله أو تطبيقه :

ص ٤٠ ، ٤١ يزعم الكتاب استحالة الوصول إلى حكم الله أو تطبيقه ، لأن معرفة حكم الله لا يعلمه إلا الله . كما يزعم ص ٤١ بأن الادعاء فى أى عصر بأن ما يقام هو حكم الله وأن ما يطبق هو شريعة الله يجعل الإنسان لا يملك أن يجهر برأى فيه إصلاح لمفسدة أو تصويب لخطأ .

الملاحظة الخامسة عشرة ـ خلط فى أثر التوبة :

يرى الكتاب وجوب اعتبار التوبة مانعاً شرعياً من إقامة الحد ـ أياً كان ، وبأى حجة ثبت ، ولا يفرق بين حد هو حق لله وآخر هو حق للعبد . ص ٤٤ ومعلوم أنه من شروط صحة التوبة أداء حق العباد ـ وهو هنا يتكلم عن الحدود بمعناها الاصطلاحى ـ عقوبة مقدرة فيكشف بذلك ما قررناه من قبل أنه يخلط عن عمد بين المعانى اللغوية والمعانى الاصطلاحية الخاصة ببعض العلوم .

الملاحظة السادسة عشرة ـ عدم إمكانية تقنين الشريعة :

ينفى ـ الكتاب ـ إمكانية وضع أى مشروع بقانون للشريعة الإسلامية وأن « أى مشروع بقانون للشريعة الإسلامية لن يخرج فى حقيقة الأمر وواقعه عن أن يكون قانوناً لآراء ومفاهيم الأفراد أو اللجان التى وضعته وسيكون صورة أخرى لقانون وضعى جديد يحمل اسم الشريعة الإسلامية مهما بذل فيه واضعوه من جهد » ص ٥١ . وهذه دعوى يشهد على عدم صحتها الواقع .

الملاحظة السابعة عشرة ـ فهم غير صحيح للغويات :

يزعم أن العقوبات المعينة على جرائم معينة غير طريق الهداية .

الملاحظة الثامنة عشرة : أفكار لم يقل بها أحد :

ينفى ـ الكتاب ـ أن يكون توقيع العقوبة على المذنبين من مهمة رسل الله ـ الذين منهم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ٥٢ .

الملاحظة التاسعة عشرة : تغيير أفكار معلومة من الدين بالضرورة :

يرى الكتاب أن الطريقة الوحيدة التى يمكن بها وضع قانون للعقوبات لا يخرج عن الشريعة الإسلامية تتمثل فى إلغاء العقوبات المقدرة والإبقاء على العقوبات غير المقدرة ـ التعازير ـ وذلك للمرونة التى تتطلبها الظروف المتغيرة ومقتضيات مصالحها . ص ٥٢ ، ٥٣ .

ملاحظـــات أخـــرى :

ثمة ملاحظات أخرى على الكتاب هى من الخطورة بمكان حيث تمضى لتحقيق الهدف الظاهر من الكتاب وهو زلزلة الثوابت التى بنى عليها الأئمة الأعلام صرح الفقه الإسلامى الشامخ ،

وإشاعة الفوضى الفكرية والتحلل من ضوابط البحث العلمى ، وتشجيع التقول فى الدين بالرأى والهوى .

وهذه الملاحظات وإن لم يتسع المقام لتفنيدها على نحو ما أسلفنا إلا أننا نذكرها لنوقف من يهمه الأمر على خطورة الكتاب والمفاسد التى يمكن أن يثمرها توزيعه بين عوام الناس ومثقفيهم .

من هذه الملاحظـــات :

١ ــ يخلط الكتاب عن عمد بين المصطلحات الخاصة ببعض العلوم وبين الفهم اللغوى العام لهذه المصطلحات ، وذلك كخلطه بين حدود الله بمعناها العام ، وبين الحدود التى هى عقوبات مقدرة على جرائم معينة . ونتيجة لهذا الخلط ينتهى بالوصول إلى أخطاء فاحشة . ص ٢٥ ــ ٣٥ .

٢ ــ ينكر الكتاب على القائلين بأن إقامة الحدود هى مسئولية ولاة الأمور ، ويصفهم بأنهم :

(ا) مروجو الفتن .

(ب) بأنهم ضالون مضلون .

(جـ) بأنهم أصحاب شعارات براقة لاستدراج المتحمسين لدينهم والزج بهم فى الصراع على السلطة ومقاتلة الحكام ص ٢٥ ــ ٣٥ .

٣ ــ كما يقرر أن « إقامة حدود الله والثواب عليها ، وتعدى حدود الله والعقاب عليه هى أمور تتعلق بالإنسان نفسه ــ يعنى المحسن والمسىء ــ وإقامتها هى مسئولية شخصية فى عنق كل مسلم على نفسه . ص ٢٥ ــ ٣٥ .

الكتاب ومشروع قانون العقوبات

خصص جزء كبير من الكتـــاب لإبـــداء الملاحظات على مشروع قانون العقوبات الذى أعدته لجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية بمجلس الشعب المصرى سنة ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م

وأكثر ملاحظات الكتاب جانب الصواب :

١ ــ فمنها : أنه ينتقد مشروع القانون لأنه يمنع القضاة من أن يرجعوا إلى رأى فقهى غير الذى رآه المشروع . ص ٩٥ .

والمدقق يلحظ أن نقد الكتاب للمشروع فى هذا الأمر غير سائغ ، بل إن ما رآه المشروع يعد هاماً وضرورياً من أجل توحيد الأحكام القضائية فى الدوائر المختلفة إذا ما عرضت أمامها حوادث متشابهة .

٢ ــ ومنها : أن المشروع أخذ فى المسألة الواحدة ببعض المذاهب أو الآراء وترك ما عداها . وهذا فى نظر الكتاب : « فرض الوصابة على مذاهب الفقهاء وضمير القضاة » وفى نظره كان « يجب مراعاة كل ما صحت نسبته للأئمة الأربعة فى المسألة الواحدة .. ولا يمكن ــ هكذا يرى ــ أن يأخذ برأى واحد من آراء الأئمة الأربعة ثم يوضع فى قانون ويقال إن هذا هو الشريعة الإسلامية ..؛ لأن « كل ما صح عن الأئمة الأربعة مأخوذ من سيدنا رسول الله .. ولا يجوز حمل الأمة على بعضه دون البعض » ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٤٩ .

وكان من الممكن قبول هذا النقد واستحسانه لو كان القضاة من أهل النظر المستجمعين لشروط الاجتهاد ــ من العلم بكتاب الله ــ عز وجل ــ على الوجه الذى تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام ، والعلم بسنة رسول الله ــ صلى الله

صلى الله عليه وسلم ـ الثابتة من أقواله وأفعاله وطرق مجيئها فى التواتر والآحاد والصحة والفساد وما كان عن سبب أو إطلاق والعلم بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ، ليتبع الإجماع ويجتهد برأيه فى الاختلاف ، وكذلك العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها .

أما والحال ـ كما نعلم ـ شاهد بعدم توافر هذه الشروط فى القضاة فإن المصلحة تقتضى أن ينظر أهل النظر من العلماء فى نصوص الشريعة وآراء الأئمة المجتهدين ثم يتخيروا من بين الآراء ما يسانده الدليل ويتوافق مع مقتضيات الظروف لتحقيق مقاصد الشريعة الغراء ، حتى تتوحد الأحكام ـ كما بيناه فى (١) وحتى لا يكلف القضاة من البحث ما لا يطيقون وما لا يستطيعون .

وإذا كان أمر (تكدس القضايا) على النحو الذى نعلمه رغم تبويب المواد القانونية وترتيبها . فماذا يمكن أن يكون علية الحال لو أخذنا بما أشار به الكتاب ووضعنا آراء الأئمة كلها أمام القاضى ليتخير منها ما يشاء .

هذا ، وقد فات الكتاب شيء هام ، كان ينبغى أن لا يفوته وهو : أن قضاء القاضى فى المسائل المختلف فيها يرفع الخلاف .

٣ ـ ومنها : أن المشروع أخذ بخلاف رأى الجمهور فى بعض المسائل . « ففى المادة ٨٧ يحكم بقطع اليد فى حالة السرقة من المال المملوك للدولة أو لإحدى الهيئات أو المؤسسات العامة أو الشركات أو المنشآت التى تسهم الدولة أو إحدى الهيئات بنصيب فى مالها » .

ولا حرج على المشروع أن يأخذ برأى المالكية وبعض الشافعية أو غيرهم ممن يعتد بقولهم ما دام لهم أصل معتبر قد بنوا رأيهم عليه .

وعموم النصوص يظاهر الرأى القائل بقطع السارق من المال العام مثل قول الله ـ تعالى ـ ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم : «لا قطع إلا فى ربع دينار فأكثر » . ولعل كثرة السرقة من المال العام كانت وراء أخذ المشروع بالرأى القائل بالقطع لحفظ مال الأمة الذى هو قوام حياتها وعدتها فى مواجهة أعدائها والمخاطر المحدقة بها . وهو اختيار وجيه لا حرج فيه . ولم يقل أحد إن الحق دائماً وأبداً مع الجمهور من الفقهاء .

٤ ـ ومنها : إنكار الكتاب على المشروع لقوله بقطع الرجل اليسرى عند العود إلى جريمة السرقة . ويعد ذلك « من التمثيل بأجساد المسلمين وهم أحياء بقطع أطرافهم وهو ما تنهى السنة عن إتيانه حتى فى جثث الأعداء » ، والمشروع بقوله هذا « يخالف القرآن والسنة الصحيحة » .

والحق أن ما ذهب إليه المشروع هو قول فقهاء الأنصار من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو قول أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما وقد روى أبو هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال فى السارق « إذا سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله » ذكر ذلك صاحب المغنى جـ ٨ ص ٢٦٠ .

وقطع اليسرى أرفق به من قطع اليمنى ـ كما فى المحارب .



عرض ونقد

د. محمد عبد الحكيم محمد

٢

أصبحت قضية « الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر » من أهم القضايا التى تطرح نفسها بعد التطور الهائل فى وسائل الاعلام ، وثورة الاتصالات والمعلومات ، وتقنينات الاتصال الجماهيرية العملاقة ، وظهور عصر الأقمار الصناعية ، ومن ثم أمكن النظر إلى هذه القضية على أنها من أخطر التحديات التى تواجه المسلمين فى الوقت الحاضر ، وفيما نرى أن الكتاب الذى بين أيدينا إنما يمثل رؤية عربية وإسلامية ـ واضحة المعالم ـ فى معالجة هذا الموضوع .

وفى العدد الماضى من (مجلة الأزهر) تحدثنا عن أهمية الكتاب ومؤلفه وتعرضنا لمحتوى الفصل الأول والثانى ، وعرفنا كيف استطاع المؤلف من خلالهما تجلية مفهوم « الغزو الثقافى » وبيان الفرق بينه وبين نقيضه « الاتصال الثقافى » ، والكشف عن وسائل الغزو الثقافى وأساليبه ، وبيان كيفية تحقيق أهداف الغزو الثقافى بالتفاعل المستمر بين الوسائل والأساليب ، وفى هذا العدد نتناول ما تبقى من فصوله .

وكيل كلية الاعلام - جامعة القاهرة

المنشور الغربى وغزو العرب :

أراد الدكتور محمد سيد أن يدلل على الارتباط العضوى بين « الغزو الثقافى والغزو العسكرى » فأضاف للكتاب فصلا ثالثاً عن « المنشور الغربى وغزو العرب » وهو فى مجمله (صفحات ١٧٣ ـ ٢٣٠) دراسة وثائقية تتناول منشور الحملة الفرنسية على مصر عام (١٧٩٨م) من حيث النص ـ نفسه ـ وخلفيته التاريخية وتحليل مضمونه ، وكذلك فعل مع منشور احتلال الجزائر عام (١٨٣٠م) ، ومع المنشور البريطانى الذى طبع ولم يوزع على مصر عام (١٩٥٢م) ، ومع المنشورات الإسرائيلية على لبنان عام (١٩٨٢م) ، ثم ذيَّل هذا الفصل بملاحق خاصة به ؛ عن خطابات الصليبيين والتتار والبرتغاليين فى غزو العرب .

وفى الواقع أنه فصل ينم عن: خبرة بأهمية مضمون هذه المنشورات وما تنطوى عليه من دلالات ، وعن جهد قد بُذل فى العثور عليها على الرغم من تقادم عهدها ، وعن قدرة علمية فى رسم خلفياتها التاريخية وتحليل مضامينها وكشف أبعادها بأشكالها المتعددة . وهكذا نجح المؤلف ـ من خلال هذا الفصل ـ فى رسم صورة واضحة المعالم للارتباط العضوى بين « الغزو الثقافى والغزو العسكرى » ، أو بمعنى أوضح « للغزو العسكرى الغربى للعرب » قبل أن يتخذ الغرب قراره ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ بأن يؤدى فى المنطقة العربية دوراً جديداً مقبولا ـ بالسيطرة الثقافية والاقتحام المباشر للعقول ـ ليحل محل الاستعمار العسكرى القديم والبغيض .

أهداف الغزو الثقافى :

وقد اختص الفصل الرابع والأخير (صفحات ٣٢١ ـ ٣٦٧) بالمواجهة : استراتيجيتها ووسائلها ، وفيه بدأ الحديث عن أهداف الغزو الثقافى وتأثيره على المجتمعات العربية والإسلامية ، فساق عشرات الأهداف العامة والخاصة والمعاصرة لهذا الغزو .

وهو بينما يرى أن الأهداف العامة للغزو الثقافى تتمركز فى « السيطرة الشاملة على الشعوب المستهدفة بالغزو ، ووضعها ـ وما تملكه ـ فى نطاق التبعية الكاملة » ؛ يرى أن الهدف المحورى للغزو هو « الحيلولة بين شعوب الأمة العربية وبين عناصر بناء ذاتها بجعلها فى حالة دائمة من الاغتراب ، ثم بالتفريغ المستمر لطاقاتها حتى لا تتكون منها شحنة تفجر قنبلة وعيها بذاتها الثقافية » .

ثم يُلحق المؤلف بهذا الهدف المحورى هدفاً رئيسياً هو : « المحافظة على استمرارية الأسواق واستمرارية استنزاف موارد العرب » ، وبذلك تظل الأموال والموارد العربية فى قبضة الغرب .

وانطلاقاً من هذا الفهم العام لأهداف الغزو الثقافى ـ العامة والمحورية ـ للمجتمعات العربية والإسلامية تتوالى الأهداف ؛ بحيث يمكن أن تتشكل فى كل عصر وفى كل مرحلة من مراحل الهيمنة الغربية وفق طبيعة العصر والمرحلة لتشمل ـ على سبيل المثال :

١ ـ افتعال الأحداث فى هذه المجتمعات لصرف انتباهها عن تنفيذ الخطط المعادية (كإشاعة أعمال الإرهاب هنا وهناك حتى تتم سرقة البوسنة والهرسك من أبنائها المسلمين) .

٢ ـ تشويه صورة الإسلام والعرب والمسلمين (كالربط بين الإسلام وبين العنف والإرهاب والقتل والتخريب) .

٣ ـ هدم اللغة العربية (بدعاوى العامية واتهام الفصحى بالعجز عن مسايرة العلوم البحتة ، كالكيمياء والفيزياء والهندسة والطب وغير ذلك) .

٤ ـ زرع الشك والقلق فى التاريخ الوطنى والقومى (كتصوير التاريخ الإسلامى على أنه تاريخ عصابة إرهابية) .

٥ ـ التربص بأى صحوة إسلامية عربية وإجهاضها (كبث عناصر إرهابية فى داخلها للوصول إلى القناعة بعدم صلاحية التطبيق الإسلامى فى السياسة وإضعاف صلة الناس بالإسلام وقطع أملهم فيه) .

استراتيجية المواجهة :

ثم يخلص من أهداف الغزو وتأثيره إلى استراتيجية المواجهة مؤكداً أنها لن تؤت ثمارها إلا بتحقيق « الأمن الثقافى » ولتحقيق ذلك الأمن الثقافى فإن المواجهة تعنى مواجهتين :

الأولى : كيفية مقاومة الغزو الثقافى .

الثانية : كيفية التفاعل والاتصال الثقافى .

فالغزو الثقافى والاتصال الثقافى لا يمكن الفصل بينهما فى عالمنا المعاصر فصلا قاطعاً ، ولم يعد فى مقدور أمة أن تقيم ستاراً حديدياً بينها وبين العالم ؛ فتستغنى عن الاتصال الثقافى وتتفرغ لمواجهة الغزو الثقافى وحسب ؛ بل إن طبيعة العصر جعلت لهذين المفهومين المتناقضين تلازماً وثيقاً فى المجال والتأثير .

ويستجلى المؤلف مفهوم « الأمن الثقافى » من مناقشة وتوصيات وزراء الثقافة العرب فى اجتماعهم الرابع بالجزائر عام (١٩٨٣ م) لبحث هذا الموضوع ، كما يستند إلى رأى خبراء الإعلام العرب لإثبات العلاقة الوثيقة بين الإعلام والثقافة التى تكاد تشكل من كليهما كياناً واحداً يتأثر كل جزء منه بالجزء الآخر ، فالثقافة فى كل الأحوال تشكل مضمون المواد التى تنشرها وسائل الإعلام المختلفة ، والمؤلف يريد أن يصل بذلك إلى : أن مفهوم « الأمن الثقافى » لا يقف عند المؤسسات التربوية والثقافية بل يمتد إلى الأنشطة التى تتولاها وسائل الإعلام فى عصرنا الحاضر ، وهو يدعو بذلك إلى أهمية التحرك لضمان ما نسميه بالأمن الثقافى من خلال هذين المسارين معاً :

(أ) المؤسسات التربوية .

(ب) المؤسسات الإعلامية .

رؤية إسلامية للمعالجة :

ثم يوجز ـ بعد ذلك ـ استراتيجية مواجهة الغزو الثقافى لعالمنا العربى المعاصر فى مبحثين رئيسيين :

١ ـ الأساس الفلسفى أو الفكرى أو العقدى .

٢ ـ الأساس التخطيطى والتطبيقى والتنفيذى .

وفيما يتصل بالأساس الأول تبدو مقدرة الباحث على ما يمكن أن نسميه : « بالتكشيف الإعلامى للقرآن الكريم » حيث يطرق بابه ويطالع سوره وآياته ، ويتوقف عند آياتٍ ـ بعينها ـ من

عشرين سورة كركيزة أو إطار عام للأساس الفلسفى أو الفكرى أو العقدى لاستراتيجية مواجهة الغزو الثقافى ، وذلك بما تضمنته هذه السور من البيان أو التوجيه فى مقاومة « الغزو الثقافى » وكشف أهدافه ومضامينه وفضح أساليب القائمين عليه ، وذلك على حسب فهم المؤلف واستنباطه للمعانى من هذه الآيات القرآنية ، وفيما يلى أنموذج واحد من تكشيفه الإعلامى فى هذه الاتجاه :

سورة البقرة :

غشاوة الغزو الثقافى :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة : ٧)

الكذب والتلفيق فى مضامين الغزو الثقافى :

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٤٢)

كشف سلوك المصدر فى الغزو الثقافى :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة : ٧٥ ، ٧٦)

دور الأحاديث النبوية :

وينتقل الباحث إلى أحاديث رسول الله ﷺ ويتساءل هل تناولت السنة النبوية موضوع الغزو الثقافى ؟ ، ثم ينقل حديثاً نبوياً واحداً ـ سبق أن ـ ساقه د. يوسف القرضاوى فى مقالة له عن الغزو الثقافى بجريدة الشعب ـ بدون تخريج ـ وهو « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ » ويبين الدكتور محمد سيد فى شرحه للحديث كيف ينكر على الأمة أن تفقد هويتها وأصالتها إلى حد تغدو فيه ذيلا تابعاً للآخرين ، وهكذا يتمثل ـ عنده ـ القرآن الكريم والسنة المطهرة كأهم ركن للأساس الفلسفى أو الفكرى لاستراتيجية المواجهة .

غير أننا ـ وإن أشدنا بجهد المؤلف فى التكشيف الإعلامى للقرآن الكريم بترتيب سورة وتدبره واستنباط معانيه ـ نأخذ عليه فقدان هذا الجهد مع الكتب الصحاح فى الأحاديث النبوية ، ولو أنه فعل لوجد خيراً كثيراً وتوازناً دقيقاً ، لأن الإسلام ـ كمنهج حياة ـ كتاب وسنة معاً ، وهذا ما يدركه المؤلف جيداً غير أن الوقت ـ ربما ـ لم يسعفه ، وأدعو الله ـ تعالى ـ أن ييسره له مستقبلا .

الأساس الثانى فى استراتيجية المواجهة :

أما الأساس الثانى : فتتلاحم فيه ـ على حد قوله ـ الأعمدة الثلاثة : التخطيط والتنسيق والتنفيذ ، وهى متوازية ومتوحدة وأى منها يعنى الآخر أو يعنى الآخرين ، ويشير إلى أن هذا الأساس بأعمدته الثلاثة يخطط له على مستويات

متعددة : فردية ومحلية ووطنية وقومية لمواجهة الغزو وتنمية الاتصال ، غير أنه يقترح مبادىء خمسة كمنطلقات لهذا الأساس ، وهى تتعلق بديمقراطية الثقافة وقوميتها وعصريتها وإنسانيتها وعالميتها ، وفى نفس الوقت يتبنى الكاتب الأهداف الستة التى أسفرت عنها جهود جامعة الدول العربية ؛ كجهد قومى فى استراتيجية مواجهة الغزو الثقافى وحماية الثقافة العربية ، والتى تعرف « بأهداف الخطة الشاملة للثقافة العربية » (راجع صفحات ٢٦٨ ـ ٢٧٥) ولعل أهم أهدافها هو :

إبراز الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، وتنميتها والمحافظة عليها ، فالتراث الثقافى العربى الإسلامى كنز واسع من الخبرات والقيم والعطاء الحضارى والمادى والمعنوى المكتوب والشفوى ، كما أنه الأساس الذى تقوم عليه الهوية الثقافية للأمة والجذر الذى يغطى طاقاتها الإبداعية ويعطيها ثقتها بنفسها ويلهمها تطورات المستقبل .

ويتتبع الدكتور محمد سيد نشاط جامعة الدول العربية ـ فى هذا المجال منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ وما تمخضت عنه : ندواتها ومؤتمراتها من مقترحات وتوصيات عبر ما يقرب من نصف قرن من الزمان ـ هو عمر الجامعة ـ ، وكذلك ما وضعته منظمة إذاعات الدول الإسلامية (ص ٢٧٧) ، وما أسفرت عنه « المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم » عند معالجة هذه الاستراتيجية ، وكذلك أشار إلى المقترحات التى سبق أن قدَّمها إلى الجامعة العربية عام (١٩٨٤م) عن إنشاء مؤسسة إعلامية مستقلة لمخاطبة العالم الخارجى بأسلوب متطور ، والصعوبات التى تعترض تحقيقها وإمكانية تذليلها .

وفى الخاتمة عمد الكاتب إلى إيجاز ما أفضى به البحث بفصوله الأربعة وصفحاته الأربعمائة ، ومن خلالها يتلمس القارىء معالم الطريق الجديد وفق رؤية عربية وإسلامية ناضجة لهذه القضية المهمة .

تعليق ونقد :

وبعد .. فإنى أعترف بأن هذا السفر العلمى قد أرهقنى عدة أيام وأنا أتصفح صفحاته الأربعمائة بنظرة الباحث الصحفى ، فكيف بجهد المؤلف ـ نفسه ـ وقد قطع فى إعداده رحلة شاقة « فى بضع سنين » ـ كما نصَّ فى المقدمة ـ ولو لم ينص على ذلك لنمَّ عنه تنوع مراجعة وثراء مصادره ؛ بما احتوته من عشرات الكتب العربية والمصرية وعشرات البحوث والمحاضرات وعشرات المقالات والوثائق ومحاضر الاجتماعات وغيرها من الدوريات العربية والكتب والبحوث الافرنجية .

إن من يقرأ هذا البحث يخرج بقناعتين :

الأولى : قناعة المؤلف بقدرة الإسلام على إنقاذ الأرض من الغزو الثقافى أياً كان مصدره .

الثانية : القناعة بأن الغرب لن يتخلى يوماً عن الترصد للعالم الإسلامى ومعاداته وحشد كل مؤثرات الضعف وعوامل التهميش فيه ، فذلك الأمر كان ولا يزال بنداً ثابتاً يتصدر سلم الأولويات فى الاستراتيجية الغربية .

ومن ثم كان لزاماً على أهل الذكر من الباحثين والدارسين مواجهة هذا الحقد الغربى

باستراتيجيات إسلامية فعالة نتخطى بها عقبة التحدى الحضارى ، ذلك أن التجارب الماضية قد أثبتت فشل الحلول على كثرتها وتنوعها وعلمتنا أيضاً أن تسليح المسلمين ـ فى معركة المواجهة ـ لم ولن ينجح إذا كان الاعتماد على صيغ وفلسفات ومنطلقات غربية عن ذاتيتهم وعقيدتهم ، وفى تقديرى أن هذا الكتاب خطوة رائدة على هذا الطريق .

وان كانت هناك بعض الملاحظات التى لا يخلو منها بحث فهى : كثرة النقولات وطولها ، حتى أنها طغت فى بعض الصفحات على شخصية الباحث نفسه ، ولم تسلم المقدمة من هذه النقولات على الرغم من أنها تمثل عطاءه الشخصى .

غير أنه يمكن الاعتذار عنه بأنه كان يتطلع ـ فى الغالبّ ـ إلى شمولية الرؤية التى لا تتحقق إلا من خلال هذا الثراء الكيفى والتنوع الكمى واستقراء الظواهر وتحليلها وتأصيلها ، لا إلى خصوصية الرأى الذى يصبح هو إطار مرجعه الوحيد ومعيار سلامته أو فساده ، وفرق بين رؤية مؤصلة ورأى عابر .

وفى الفصل الأول « ما الغزو الثقافى » افتقدنا ـ فى الحقيقة ـ المفهوم المحدد لهذا الغزو ووجد القارىء نفسه واقعاً فى شباك مقارنات مسهبة بين « الاتصال الثقافى » و «الغزو الثقافى » ، وبيان مدى التداخل بين « الغزو الثقافى » و « الحرب النفسية » ، وإن كان المعنى قد بات واضحاً فى ذهن القارىء فى الفصل الرابع عند شرح الكاتب لأهداف الغزو الثقافى .

ولعل الفصل الثانى هو أقوى فصول البحث إذ نجح الباحث فى صياغة نموذج لوسائل الغزو الثقافى وأساليبه يقوم على محورين رأسى وأفقى ، مع بيان التفاعل المستمر فيما بينهما بشرح وافٍ .

والنظرة الأولى للفصل الثالث توحى بعدم الصلة بين هذه المنشورات العسكرية وبين موضوع « الغزو الثقافى » ، لكن القراءة المتأنية تكشف إلى أى مدى كان المؤلف يستلهم التاريخ القديم للغرب لإثبات الارتباط العضوى بين الغزو العسكرى القديم والثقافى الحديث .

ولا يقل الفصل الرابع ـ عن : استراتيجية المواجهة ووسائلها ـ فى قيمته العلمية ، غير أننا نتوقف معه عند معرض حديثه عن واقع الحال فى إعلامنا العربى المعاصر وعوامل تصحيحه (ص ٢٨٦ ، ٢٨٧) حيث نصَّ على أنه لابد من الوعى بطبيعة أحوالنا الثقافية وأن أول ضرورات الوعى لنا تطهير الخطاب الإعلامى والخطاب الثقافى من الاتهام العشوائى أو الجزئى لأعلام الكتاب والمفكرين العرب حتى لا يتشتت الشباب ويتشتت وعيه بكثرة الاتهامات والدمغ العمومى بالضلال ، كذلك لا ينبغى إهمال طبيعة الفترة التاريخية للكُتَّاب والمفكرين والمرحلة الحضارية لمجتمعهم عندما كتبوا وعبروا وأعلنوا » .

ولكنى أتساءل متأثراً بالدكتور/محمد سيد نفسه ، فهو رجل معروف بفن طرح التساؤلات لمزيد من وضوح الرؤية :

كيف نطهر الخطاب الثقافى من اتهام بعض رموزنا العربية من طائفة المستغربين الذين انسلخوا عن عقيدتهم وعن قوميتهم وانساقوا وراء المعسكر الشيوعى أو الرأسمالى طمعاً فى مغنم أو حباً فى منصب أو طلباً فى شهرة ، منهم من رأى فى أوربا خير أنموذج يحتذى للتقدم والتطور ، أو رأى استعمال العامية بدلا من الفصحى لأنها لا تصلح لاستيعاب الحضارة الحديثة ؟

وكيف نطهر الخطاب الثقافى والإعلامى من اتهام دعاة المذاهب الفلسفية المنحرفة وهم يخدعون بعض المثقفين بأساليبهم البراقة ومنطقهم العلمى الزائف كالوجوديين والبراجماتيين واتباع فرويد وداروين ودور كايم وغيرهم ؟

هل من الحكمة أن نلزم الصمت ونغض الطرف عنهم بدعوى عدم تشتيت وعى شبابنا بكثرة الاتهامات والدمغ بالضلال ؟

وإذا راعينا طبيعة الفترة التاريخية لكتابات هؤلاء المفكرين والمرحلة الحضارية لمجتمعهم عندما كتبوا وعبروا وأعلنوا ، بغية التماس المعاذير لهم ، فماذا نقول عمن تعرضوا لنفس هذه المرحلة ـ بظروفها وملابساتها ـ ولم ينساقوا فيما انساقوا إليه ، بل اتخذوا من أقلامهم أسلحة شهروها فى وجه التغريب ودعاته ، فقارعوا من وصموا العرب بالتخلف وأرادوا النيل من قوميته ، وقاوموا الدعوة إلى العامية ، وعارضوا نقل حضارة الغرب بخيرها وشرها ، وحثوا على الاهتمام باللغة والدين والتقاليد ؟

لعل من الخير لإعلامنا العربى المعاصر أن يطهر نفسه ؛ لا باتهام هذه الأقلام المأجورة أو الموتورة التى تدعى الإسلام وهى تهاجمه للقضاء عليه ـ فحسب ـ إنما بكشف غثهم وزيفهم حتى لا ينخدع الشباب بهم ، وهم عدة الأمة .

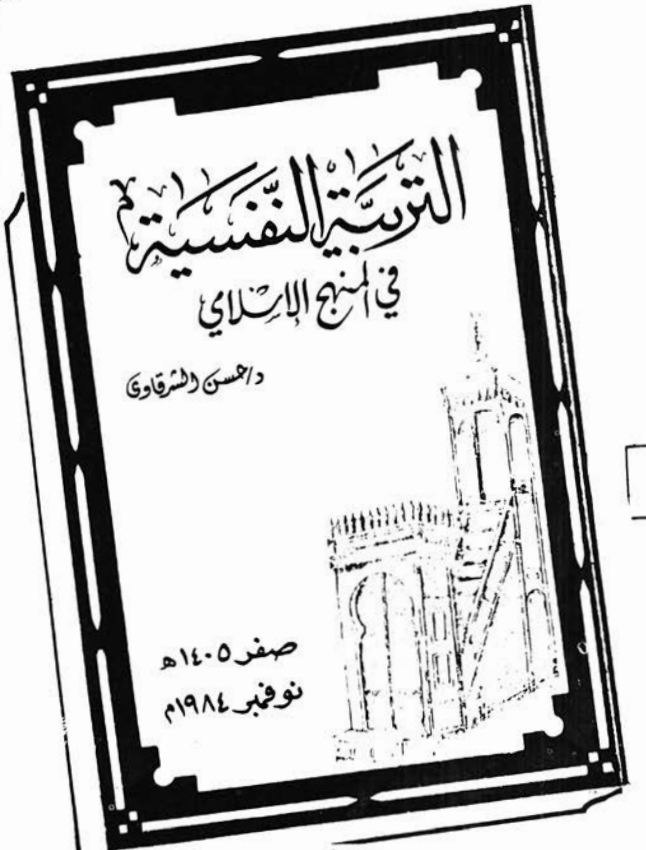
والواقع أن الإسلام قد ظل ـ منذ نشأته حتى الآن ـ يخوض حروباً فكرية متلاحقة ـ من قبل أعدائه بالداخل والخارج ـ فى محاولات يائسة لإطفاء نور الله ـ عز وجل ـ .

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(الصف : ٨)

وتجدر الإشارة إلى أن القارىء إن رآنى أصحح بعض الأغلاط التى لا يخلو منها كتاب بشرى ، فليذكر أننى لم أصل إلى مؤاخذته إلا بفضل ما أخذت عن مؤلف هذا الكتاب ـ فى مرحلة الدراسات العليا ـ من أصول النقد والبحث .

وفى النهاية فإن الكتاب ـ برغم دقة تخصصه وأهميته لدى المعنيين بخطط الإعلام العربى إلا أنه يجذب إليه كثيراً من (الأكاديميين) وعامة المثقفين لما بذله فيه المؤلف من جهد فى تبسيط الأفكار والمعلومات موضحاً أهدافها بما ساقه من حقائق كثيرة ترشد المسلمين إلى ما يقيهم سوء الكيد ، وفى ذلك خير الإسلام والمسلمين ، والله ـ تعالى ـ هو الهادى لأقوم سبيل .



إعداد الأستاذ

عبد السلام ناصف

الكتاب أحد نتاج رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة لمؤلفه الأستاذ الدكتور حسن الشرقاوى وهو من القطع المتوسط ويقع فى مائة وثلاثين صفحة ـ وينقسم إلى خمسة فصول .

ونبدأ بالفصل الأول الذى ركز المؤلف فيه على تعريف التربية الإسلامية بأنها هى تلك المفاهيم التى تستند على المبادىء والقيم التى جاء بها الإسلام عقيدة وسلوكاً . ص ١٣ .

ويهدف إلى التربية الخلقية التى ينبثق عنها سلوك المؤمن ، ومنهجه وطريقة تفكيره ، فارتباط المسلم بدينه يحدد مساره فى دنياه .

ولقد سبقت التربية الإسلامية غيرها من فلسفات التربية الحديثة والمعاصرة فى مناداتها بالأساليب التربوية التى تنادى بها ، وهى تقرن الدين بالدنيا فى الفكر والسلوك والأخلاق بفهم رشيد ، وتركيز على الجوانب الإيجابية فى العقيدة الإسلامية التى تؤثر فى سلوك الفرد .

• ولد بالأسكندرية ١٩٣٥ وتخرج فى كلية الأداب بها وحصل منها على درجة الدكتوراه فى الفلسفة الإسلامية وهو يهتم بالفلسفة الإسلامية التى تخصص فى تدريسها بجامعات مصر والمملكة العربية السعودية ومن أهم مؤلفاته « نحو علم نفس إسلامى » و « نحو منهج علمى إسلامى » و « الثقافة الإسلامية » و « المسلمون علماء وحكماء » و « نحو التربية الإسلامية » إضافة إلى هذا الكتاب الذى بين أيدينا .

فالتربية الإسلامية تدعو الإنسان إلى أن يرتبط بخالقه ، وعلى من يسلك سلوكا يتفق مع عقيدة الإسلام ؛ بمعنى أن تشتمل على العملية التربوية والتعليمية معا .. فهى تهدف إلى تسخير الفكر التربوى فى خدمة الدين ، فإذا ما تعرف الإنسان على خالقه وفاطره وعمل بأوامره وانتهى عما نهى عنه كان جديرا بأن يكون خليفة الله فى أرضه .

الصلاح والإصلاح :

ونظرة الإسلام للعلم تواكب الفطرة ـ ويضرب المؤلف مثلا بتحريم الخمر فى الشريعة بمقتضى الفطرة ؛ لما تسببه من إفساد للجسم والعقل ـ وإباحتها لمن كاد يموت عطشا يعد أيضا من الفطرة السليمة ـ ففى هذا ضرران يجب تغليب أحدهما على الآخر فإذا حكمنا بمقتضى الفطرة فإننا نختار الفعل الأول لكنا قد نستغنى عنه بوجود الماء .

الفصل الثانى

التربية النفسية الإسلامية

وفى الفصل الثانى تعرض المؤلف للتربية النفسية الإسلامية التى تهتم بالتعليم وتكوين الملكات الخلقية والعقلية ـ ولقد أوضح المؤلف ـ بنظرة إلى مناهج التعليم الحالية : أن التربية الخلقية ليس لها نصيب وافر فى مراحل التعليم المختلفة ، على العكس من التربية العقلية التى تهتم بالذاكرة التى تنحصر مهمتها فى جمع المعلومات وحفظها دون ما تعمق ـ غير أن المحدثين من الفلاسفة اهتموا بالتربية على أنها الوسيلة التى يملكها الإنسان لتحقيق التطور الاجتماعى وتثبيت المثل والقيم الأخلاقية بدراسة الأخلاق ، على أن ترتبط بالواقع دراسة سليمة صالحة للحياة ، وترتبط بالعلاقات الإنسانية وارتباطها بعلاقتها بالله ، تستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية بالترغيب والترهيب .

ولقد وضع المؤلف آدابا للتربية النفسية منها : النصيحة الخالصة ، والشفقة والرفق ، والحكمة والعزم والمثابرة والمجاهدة ، والصدق وعدم التهوين فى ارتكاب أى خطأ أو مخالفة ـ وان يعلم أن ثوابه وجزاءه على الله ، مع حفظ أسرار العمل واعتباره أمانة فى عنقه ، وأن يكون مرشدا وموجها وملجأ فى تؤدة وتعقل وبصيرة مع الاهتمام بالفروق الفردية والمميزات العقلية والخلقية .

وتعتمد التربية النفسية على الثقة بالله والرجاء فيه بالعمل والاجتهاد ومجاهدة الهوى ، وهناك من الأعمال الفنية ما يمكنه أن يستعير هذا المفهوم الإسلامى لعلاج أى مرض نفسى باعتباره نتاجاً للجهل ونقصاً للتربية وهو أشق من المرض الجسدى وأقسى ـ وقد يتولاه حكيم أو إمام أو مجاهد أو رجل علم يقتدى بأوامر الله ويتبع خطى رسوله العظيم ﷺ الوسط العدل يفصل بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام ـ وعلى وسائل الإعلام دور خطير فى غرس العادات الصالحة فى نفوس الناس للقضاء على التوتر والقلق ، وذلك بتدعيم الصلة بين العبد وربه ، وغرس القوى الإيمانية فى نفسه والتركيز على أن التوبة تغفر الذنوب جميعا ـ لتظهر صورة الإسلام المبنية على المحبة والرحمة والعفو والتسامح .

الفصل الثالث

خصائص النفس الإنسانية ومواقفها

يعدد المؤلف خصائص متباينة ومواقف متعددة للنفس الإنسانية لكنها لو خلدت إلى طريق الله ، واتخذت سبيلها إلى مرضاته لنعمت بالأمن

والسكينة ـ ويوضح المؤلف هذه المواقف العديدة كالنسيان والغفلة والنفس الكذوب والاعتراض والتحدى وهى كلها خصائص مَرَضيه تساير الجبلات المودعة فى باطن النفس ، والتى تقود إنسانها إلى الضلال ، وتدخله فى زمرة الجاهلين .

أما النفس السوية فيمكن أن تسلك مواقف صحيحة فى سُلَّم نفسى نجمله فيما يلى :

أولا : التقليد أو المحاكاة للقدوة الحسنة ، وتمثل سلوكها اقتداء برسول الله ﷺ بدءا بالآباء والمعلمين والأئمة والقدوة .

ثانيا : الاقتناع بالمربى الرشيد الذى يملك القدرة على إقناع النشء بالتوحيد ، وبالاجابات الشافية لما يدور فى ذهنه من أسئلة وغيرها .

ثالثا : الاعتقاد الذى يزداد به المؤمن تمسكا بدينه ومعتقداته ليصل إلى بر الأمان .

رابعا : الاعتناق ، وهو الاخلاص فى الاعتقاد بالله واتباع أوامره . والانتهاء عما نهى عنه .

خامسا : الإيمان وهو الحظيرة الآمنة التى ينتهى إليها المسلم ـ فالإيمان مقام النفس المطمئنة الراضية المرضية ، وهو غاية المسلم ومبتغاه .

آفات النفس

يرجع كثير من علماء النفس ـ فى رأى الكاتب ـ الأمراض النفسية إلى أسباب ومسببات عارضة ، لكنها ليست الأسباب الحقيقية للمرض النفسى ؛ فهناك أسباب أعمق كتجاهل الفطرة ، وظلم النفس ، واتباع الهوى ، وموافقة الغواية التى قد تقود إلى الشرك الذى يفسد موازين النفس ويوقعها فريسة للشك واليأس ، وربما يؤدى إلى الانتحار .

وأما الظروف البيئية والاجتماعية والنفسية فهى عوامل ثانوية .

الفصل الرابع

الفطرة الإسلامية للانحراف الخلقى

يعالج التشريع الإسلامى الجريمة بسلاح بتار يقتلعها من جذورها ، وفيه ما يوفر الأمن والاستقرار فى المجتمع ؛ فقد جعل الله لكل داء دواء ولكل جرم عقاب ، والجانب النفسى فى العقاب الإسلامى يهدف إلى إصلاح النفس بتطبيق الحدود الشرعية .

ويتدرج القصاص بالنسبة للمنحرفين لإصلاح اعوجاجهم .

فالقصاص بدنى ونفسى وهو أصلح لعلاج النفس فى الدنيا والآخرة ، ومن ثم فهو يتفوق على القوانين الوضعية فى ردع الجانى وعلاجه ، وبذا يتحقق الأمان فى المجتمع .

وظيفة الطبيب المربى :

يتبع أطباء النفس الإسلاميون أسلوبا عمليا فى العلاج . فالنفس تميل دوما إلى الأيسر وتبتعد عن الأشق ؛ لذا فإن مخالفتها تحقق نتيجة أثمر ـ ولو أن لكل مريض دواء ـ وعلى الطبيب أن يدرس حالة مريضه النفسية دراسة مستفيضة قبل الشروع فى علاجه ؛ فالنفس غايتها تحقيق اللذة أو المنفعة والعمل بضد غايتها هو الطريق إلى الصحة النفسية ، ومن ثم فالمربى يُلزم تلميذه بأمور قد يشق عليه تنفيذها ـ لكن فيها منفعة صالحة ، وبرغم مرارة الدواء إلا أن فيه الشفاء ، وهذا العلاج يعتبر صالحا فى الدارين ، والله سبحانه وتعالى يعلم سر النفوس وميلها إلى التقاعس والتسويف ؛ ولذلك ألزمها بتأدية الفروض والواجبات فى مواقيت محددة .

الفصل الخامس
نماذج من السلوك الإنسانى فى القصص القرآنى

يهدف القصص القرآنى إلى نقل الوقائع والحوادث بصدق ؛ لابراز نهاية الشر وجزاء الخير بصورة تصلح لكل زمان ومكان .

ويتعرض المؤلف لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ مع زوجة العزيز وإصرارها على إغوائه بأنها يمكن أن تكون وقائع لاحداث يومية متكررة فى الدنيا مع بعض الاختلاف فى المواقف أو السلوك وهذا الاختلاف هو ما يرمى إليه القصص القرآنى من عبر وعظات ـ ويظهر الضعف الإنسانى وكيف يتحول إلى قوة هائلة لو اعتمد صاحبه على الله وأسلم له القياد وأخلص له الطاعة والقنوت .

كما تظهر القصة الشخصية الشهوية بنزعاتها وميولها ووجدت لنفسها عذرا ومبرراً فى إجماع النسوة على الافتتان بيوسف .

ويرسم المؤلف صورة الحقد والحسد الذى تتميز به النفس الأمارة بالسوء بما فعله إخوة يوسف حين أوغر صدَورهم بالكرهُ له نتيجة لحب يعقوب ـ عليه السلام ـ له وتسكين هذا الحقد بإلقائه فى البئر ـ ثم يوضح القرآن الكريم أن الحاقد لا ينجح فى تحقيق مآربه ، وإنما تنقلب دعواه عليه هما وكمدا ويعيش بين الناس بقلب مريض ونفس تعيسة .

ومن القصة ذاتها يلمس المؤمن موقف النفس المطمئنة التى يمدها الله بعونه ومدده ، ويكشف عنها الغمة لكظمها الغيظ وصبرها كما حدث ليعقوب عليه السلام ، إلى غير ذلك من القصص القرآنى الذى يتعرض له المؤلف فى هذا السياق .

وبعد .. فقد اهتم الكتاب بالتربية النفسية من منظور الإسلام ، فكان بمثابة استضاءة يعم بفضلها العدل والحق والرحمة جميعا .

فعلى المهتمين بشئون التربية الإسلامية أن يغرسوا بذور التربية الإسلامية فى النشء ورعايته مهتدين بهدى القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما المنارتان اللتان تغذيان سلوك الفرد والجماعة .

فالإسلام بمناهجه التربوية يفوق كل المناهج والنظم والفلسفات البشرية والوضعية ، وهو وحده القادر على أن يعين المسلم فى سلوكه نحو التكامل الأخلاقى .

بين المجلة والقارىء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

المرأة والزي الأمثل

لاشك أن الحجاب هو فى جوهرة تكريم من الله تعالى للمرأة المسلمة ، يصونها ويحميها ممن فى قلوبهم مرض ، وصدق الله العظيم فى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (الأحزاب : ٥٩) ، وما من امرأة تتعرض لمعاكسات الشباب ولمزهم إلا بسبب عدم التزامها بالحشمة والوقار فى سلوكها وملابسها .

ومن ثم فرض الإسلام الحجاب للمرأة حماية لها ، وفى المقابل أوجب على المجتمع الحرص على شرفها وكرامتها وعدم إيذائها بقول أو فعل ، كما بدا فى كثير من النصوص النقلية .

وقد تلقت المجلة نداء الأستاذ/عبدالرازق كامل مبروك ـ المدرس بفاقوس ـ شرقية ـ إلى الأخت المسلمة ؛ حيث تقع المسئولية على عاتقها فى المقام الأول :

ما أشبه الإسلام بطوق نجاة فى بحر متلاطم الأمواج تكتنفه الظلمات ، فكل ما أتت به شريعته من تعاليم وتوجيهات تدل على سعة عطائه لحياة الإنسان فى جميع مجالاتها ، وما فريضة « الحجاب » إلا واحدة من دعواته إلى العفة والطهارة .

وعلى المرأة المسلمة أن تتذكر قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

(النور : ٣١)

وألا تستمع إلى أفاكٍ يصف الحجاب بالرجيعة وعدم التحضر ، ويدعى أن السفور والاختلاط من متطلبات الحضارة الحديثة ، وليكن شعارها قول الشاعر :

فليقولوا عن حجابى لا وربى لن أبالى
قد حمانى فيه دينى وحبانى بالجلال
زينتى دوماً حيائى واحتشامى هو مالى

وإلى جانب ذلك ننظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول الكريم بل المؤمنين العامة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الاحزاب : ٥٩)

وفى الحديث الصحيح الذى خرجه الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عمر بسند صحيح « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كاسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات .

وزاد فى حديث آخر .

« ولا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

مسئولية الشباب

لعل أول واجبات الشباب المسلم اليوم أن يهتموا بالعلم وتحصيله ، وأن تظهر مجهوداتهم فى مراكز البحث العلمى ـ فى جميع المجالات ـ حتى لا نظل مستوردين للتكنولوجيا والمخترعات الحديثة ، إنما موردين لها مثلما كان أسلافنا العظام .

وهذه كلمة للأستاذ/نجاح عبدالقادر سرور ـ المدرس الثانوى بمحافظة البحيرة ـ يسبتلهم فيها من تاريخنا الإسلامى ما يمكن للشباب أن يقتدوا به فى مسيرة عطائهم المتواصل .

على عاتق الشباب ، قامت الدعوة .. وبالشباب : انتشرت الدعوة وانطلقت .

فما كان أسيادنا « بلال وخباب وصهيب وسلمان وعلى وحمزة وخالد وعمرو وأسامة وأنس ومصعب وعثمان وطارق بن زياد وصلاح الدين » إلا شباباً ..

كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .. كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار .. فلم يكن عجيباً أن يدعو الله رسوله أن يكون معهم .. قال تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾

(الكهف : ٢٨)

كان عنوانهم قول الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ ﴾

(الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٣)

فعاشوا لله .. وبالله .. ومن أجل الله رب العالمين .. وأخلصوا فى ذلك إخلاصاً كان مثار العجب .. فاستحقوا قول الله تعالى عنهم :

﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب : ٢٣)

دعوا إلى الله تعالى على بصيرة وعلم لا على عمى وجهل .. مقتفين أثر نبيهم ومعلمهم ﷺ الذى وصفه وخاطبه ربه قائلا :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (يوسف : ١٠٨)

فما أحوجنا أيها الشباب إلى اتخاذ هؤلاء العظماء قدوة لنا .. فهم بحق « فتية آمنوا بربهم » .. فزادهم الله هدى .. وهم بحق كما قال رسول الله ﷺ « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... » (رواه مسلم) .. فهلا اقتدينا بهم ؟

تعقيبات علمية

مما تلقته المجلة تحقيقين علميين عن بعض ما نشرته المجلة فى معرض « عرض الكتب ونقدها » ، ونظراً لأهمية هذه التعقيبات وإخلاص الجهد فيها ، فإن الأمانة العلمية تقتضينا نشرها حتى يظهر لنا جيداً وجه الخلاف .

الأول : حول بعض الآراء الخلافية

وقد أجمله المهندس/جمال جمال عبدالغنى من الزقازيق فى أمرين :

الأمر الأول : رأى الإمام الرازى ـ رحمه الله ـ فى تعلم السحر بأنواعه على أنه فرض كفاية وهو فى المجلة (ص ٨٥) ضمن مقال عن كتاب (السحر الحلال !) للدكتور/حسن على ، عرضه الأستاذ/عادل خفاجة .

مع أن الحافظ ابن كثير ذكره فى تفسيره ثم كر عليه بالنقض فقال : (١/١٤٤ ـ ١٤٥) ط. التراث ـ نقلا عن الإمام الرازى ـ المسألة الخامسة : فى أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور اتفق المحققون على ذلك لأن العلم شريف لذاته وأيضاً لعموم قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الزمر : ٩)

ثم قال الحافظ ابن كثير :

وهذا الكلام فيه نظر من وجوه (يرجع إليها فى مظانها) .

الثانى : حول حديث موضوع

وقد وردت الكلمة باسم الأستاذ/حسين سعيد على ابراهيم ـ بكلية الدراسات

الإسلامية ـ قسم الحديث وعلومه ـ بأسوان :

نحيط سيادتكم علماً بأنه قد ورد فى مجلتكم الغراء حديث مقتبس من كتاب السحر الحلال تأليف الدكتور/حسن على العنيسى الذى تصدر لعرضه وتقديمه الأستاذ/عادل خفاجة من عدد شهر المحرم لسنة ١٤١٥هـ يونيه لسنة ١٩٩٤م الجزء الأول السنة السابعة والستون ص ٨٦ نصه :

قال ﷺ : « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك هونا ما ... الخ الحديث » .

نقول وبالله التوفيق :

إن الحديث المشار إليه فى مجلتكم . خبر تعرض له علماء الحديث وقد سبق سرده ضمن الأحاديث الموضوعة وهى :

أن يأخذ الواضع كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء فينسبونه إلى الرسول ﷺ ومن ضمن تلك الأحاديث هذا الحديث وعلته فى ذلك أن الصحيح أنه من قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد ورد ذلك فى :

١ ـ سنن الترمذى كتاب البر ، الحديث رقم (٢٠٦٥) وقد بين ضعفه بقوله : الصحيح عن على موقوف .

٢ ـ الإمام البخارى فى الأدب المفرد ص (٣٧٩) بأن أحبب حبيبك هوناً ما .

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ويسلك بناسلوك عباده المتقين .

● هذا ونلفت النظر إلى أن كتاب السحر الحلال بعيد موضوعه تماماً عما تعرض له فى هذا الباب وإنما القصد منه بيان موقع الكلمة البليغة من النفس . (مجلة الأزهر) .



وجبة دسمة فى عدد واحد

مجلة الأزهر فى كل شهر تتقدم فى جميع النواحى تقدماً يدعو إلى الإعجاب ، وعلى سبيل المثال أتناول عدد ذى القعدة ١٤١٤هـ ، وحديثى عنه تعبير عن حسن العهد وخالص الوفاء .

فالتناسق البديع بين ما نشر فيه يفيض تكاملا ففى البدء : « حفظ الله مصر » للسيد الدكتور على أحمد الخطيب ، ويتصل به بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، وبيان المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة ، ومقال الإمام الأكبر شيخ الأزهر : « القرآن فى مجال التربية الأخلاقية » فى سياق التوجيه إلى المعانى الإسلامية السامية ، كذلك (فتواه) التى يحذر فيها من رفع المقاطعة العربية عن إسرائيل .

كذلك « الإمام الأكبر فى فتاويه » للصديق الدكتور محمد رجب البيومى ، و« لكل أمر باب » للشيخ أحمد طاحون . و« الرسول ﷺ يتعوذ من عذاب القبر » لفضيلة مدير التحرير الشيخ على حامد عبدالرحيم و « المبشرون بالجنة » لفضيلة الشيخ فرغلى . ولو استمر القلم فى بيان هذا التناسق فى مادة هذا العدد وأبوابه الثابتة لطال المقام . والله الموفق فى كل حال .

محمد مصطفى الغمرى

مدير سابق لادارة شبرا التعليمية

من أسباب تحريم لحم الخنزير

ومن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم تحريم أكل لحم الخنزير ذلك الحيوان القذر الذى يعيش وسط النفايات كالقمامة والدنس . ولقد أكد الله عز وجل على نجاسته وتحريم أكل لحمه فى التوجيه الإلهى للرسول ﷺ فى قوله : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ (الأنعام : ١٤٥)

كشفت الأبحاث العلمية أن الخنزير هو أكثر الحيوانات احتواء لأكثر من خمسين نوعاً من الطفليات الخطيرة التى تنتقل للإنسان عن طريق أكل لحمه ـ الذى حرَّمه القرآن ـ ، حيث توجد الحويصلات المتكيسة داخل العضلات التى لا تقضى عليها درجة حرارة الطهى مهما كانت لا تقضى عليها .

ومن الأمراض التى ينقلها الخنزير :

١ ـ الدودة المستديرة (ثعبان البطن) وهى دودة يصل طولها إلى حوالى من ٢٠ ـ ٢٥ سنتميتر ، وتسبب المغص والضعف العام .

٢ ـ الدودة الشريطية ، وهى أكثرها انتقالا للإنسان عن طريق أكل لحمه هذا ، وتسبب مرض الصرع إذا ما وصلت للمخ وذلك لما تحتويه من الكثير من الأمراض .

عبدالعزيز عبدالفتاح عبدالمعطى
كلية الطب البيطرى بطنطا

العلم والعلماء

ما أعظم مجالسة العلماء والاستفادة منهم فإن الحق عز وجل يقول :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

(فاطر : ٢٨)

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

رواه أبو داود والترمذى .

وهكذا يشير الحديث إلى ارتباط طريق الجنة بالعلم ، فمن أراد أن يسهل الله له طريق الجنة فعليه أن يسلك طرق العلم ، ويجالس العلماء ويتقرب إليهم كما قال لقمان لابنه وهو يعظه : (يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ؛ فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء) .

عماد الدين عبدالمنعم
دار طباعة النقد

الرحمة بالحيوان

الرفق بالغير لا ينحصر فى الإنسان فقط ، بل علينا حقوق وواجبات نحو الحيوان الذى لا يستطيع التذمر والشكوى من صرامة معاملتنا له ، ولكنه يشعر بالآلام والأوجاع مثلنا ، والرفق به واجب ، ودليل بلوغ الإنسانية فينا شأناً راقياً . وإذا كان من واجب الإنسان الشعور بالرفق مع من هو أقدر منه كان أحرى به الشعور به مع الضعفاء الذين لا يتمكنون من الدفاع عن أنفسهم ، فإن الرفق بالضعيف دليل على الشهامة . وبما إن الإنسان قد فضل على سائر الحيوان بما خص به من مزية العقل الذى يتصرف به فى جميع الأشياء ، فسخر الله له الحيوان ليخدمه فى منافعه وقضاء لوازمه وأوجده ليتخذ قوته من ألبانه ولحومه ، ويصنع من أصوافه وأوباره ملابسه وأغطيته وفرشه . فمن الواجب علينا أن نرفق به ونشفق عليه ، فلا نحمله ما لايطيق ، ولا نعذبه بالضرب أو الجوع أو العطش بل نرحمه بإعطائه حقه .

وإن من مظاهر الرحمة بالدواب عدم إنهاك قواها بتحميلها فوق طاقتها ، وإنَّ أبلغ ما قيل فى نعمة تسخير الأنعام لنا قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾ النحل

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام

ردود .. وتعليقات

● **القارىء/محمود محمد محمود ـ طالب الأزهر بمحافظة المنيا :**

● **القارىء/عبدالله يوسف عبدالواحد .. من القاهرة :**

● **القارىء/السيد السخاوى .. من المنوفية :**

● **القارىء/مسلم يطلب كلمة حق :**

وصلت كلماتكم البليغة عن قرار « الزى المدرسى » وقد علمت الناس رأى الأزهر فيه ـ فى حينه ـ ونحمد الله ـ تعالى ـ على يقظة شعبنا وتمسكه بالدين والقيم والمبادىء ، فلا أحد يستطيع أن يفرض على الأسرة المصرية ما يخالف اعتقادها .

● **المهندس/أحمد كمال الدين عبدالرحمن ـ مساكن الحرية ببورسعيد :**

نرحب بكم صديقاً للمجلة ، وفيما يتعلق بمطلبكم عن « كيفية الحصول على مجلة الأزهر بعد نفادها من الأسواق » نفيد أنه مطلب يُلحُّ عليه كثير من القراء ، وعسى أن نتغلب قريباً ـ بعون الله ـ تعالى ـ على هذه المشكلة ، وفى هذه الحالة سنعلن عن كيفيتها .

● **القارىء/حسام فتحى عبدالجواد ـ من الرمل بالإسكندرية :**

يمكنكم إنابة من يتسلم عنكم الهدية المطلوبة

من مكتب مجلة الأزهر بالجامع الأزهر ـ ميدان الإمام الحسين بالقاهرة .

● بعض القراء ينقلون إلينا بعض النصائح والوصايا من « التوراة » لنشرها فى « إبداعات القراء » هؤلاء نرحب بهم كأصدقاء لمجلة الأزهر ، راجين ألا يفوتهم إشارة رسول الله ﷺ . بشأن هذه الكتب ، وقوله ـ الذى معناه : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وفى أوامر القرآن الكريم ونواهيه ووصايا سيدنا رسول الله ﷺ الكفاية .

● **القارىء/ابراهيم حفناوى ـ مدرس بالقرين ـ شرقية :**

ليس من برامج المجلة عمل المسابقات الشهرية .

وفى كلمتكم عن « خوف الغرب من الإسلام » وضعتم أيديكم على علة هذا الخوف فإنه الدين الذى اهتم بنشر العدل والرحمة والمساواة بين الناس ، وهذا ما يصادم أهوائهم . ولا يصادم فطرة الله التى فطر الناس عليها ، تلك التى تشعر الإنسان بأنه ـ قبل كل شىء ـ عبد لله ومخلوق للطاعة لا للكبرياء ، وللخضوع لا للاستعلاء ، وللبناء لا للهدم ، وللوحدة لا للتشتيت .

● **القارىء/محمد حامد مصطفى ـ الباحث القانونى بالفيوم :**

وصلت كلمتكم القيمة عن العلمانية ، ولكن صدور كتاب « العلمانية والإسلام » للدكتور البهى حال دون نشرها .

● **الأستاذ/عبدالعليم الزهرى ـ موجه سابق للغة العربية :**

الحقيقة أننا نهتم بالإسناد العلمى وتخريج الأحاديث النبوية ، أما باب « الإمام والخطيب » فهو متوقف ـ حالياً ـ لأسباب سبق إبداؤها .

● **القارئة/إيمان عبدالوهاب سالم ـ الطالبة المثالية بمعهد فتيات طنطا :**

عدم بيان مواقع الآيات القرآنية ، أو عدم ذكر مراجع الأحاديث النبوية يحول فى مجلة الأزهر دون النشر .

● **القارىء/م. م. ع ـ من المنيا :**

لا أحد من هؤلاء الأعلام الذين ذكرتهم ملحد ، أو متهم فى عقيدته ، ثم إنهم أفضوا إلى ما قدموا ، ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يجزيهم خير ما جازى به العلماء عن علمهم ، حتى القصيدة التى كفَّر بها البعض « ابن سينا » لم يثبت النقاد أنها له ، ورأى البعض أنها منحولة باسمه .

● **القارىء/حاكم إبراهيم سراج .. من كفر سعد البلد ـ دمياط :**

رجاء تحديد العدد الذى تشير إليه ـ بالضبط ـ حتى يمكن إجابة طلبكم ، مع ملاحظة أنكم خلطتم بين الصوفى الكبير جلال الدين الرومى ، والشاعر العباسى ابن الرومى ، فأيهما تقصدون ؟

● **القارىء/رمضان إبراهيم الأقرع ـ خطيب مسجد باخناواى طنطا :**

المجلة كشأن كل المجلات ، لا ترصد مكافأة لما ينشر فى باب « المجلة والقارىء » على الرغم من أهميته وعمقه وإنما نقتبس فقرات قيمة غير أنها لا تأخذ شكل مقال .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

عالمان مصريان يشاركان فى تحكيم مسابقة حفظ القرآن الكريم بتايلاند

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على سفر كل من فضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر .

وفضيلة الدكتور / أحمد عيسى حسن المعصراوى المدرس بكلية التربية جامعة الأزهر ، وعضو لجنة مراجعة المصحف الشريف إلى تايلاند ممثلين لمصر والأزهر فى المسابقة الدولية السنوية الثامنة فى حفظ القرآن الكريم بتايلاند فى المدة من ١٣ ـ ١٦ / ٩ / ١٩٩٤ .

فضيلة وكيل الأزهر يستقبل وزير التكنولوجيا السنغالى

استقبل فضيلة الشيخ / سيد سعود وكيل الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم السبت الموافق ١٠ / ٩ / ١٩٩٤ ، معالى السيد / ماجد ضيوف وزير التكنولوجيا السنغالى ، الذى زار القاهرة بدعوة من الأزهر الشريف ، لدراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، حيث قام الأزهر بتخصيص الأساتذة المتخصصين للقيام بمهمة التدريس للضيف الكبير ، واستغرقت الزيارة أسبوعين

وقد قام فضيلة وكيل الأزهر خلال اللقاء بتسليم الضيف رسالة من فضيلة الإمام الأكبر إلى فخامة الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال .

كما قدم فضيلته للضيف مصحفا شريفا ، ومجموعة من الكتب الدينية والثقافية هدية من الأزهر الشريف بمناسبة انتهاء زيارته لمصر .

● قام فضيلة الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، يرافقه الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة بطنطا ، والدكتور القصبى زلط عميد كلية أصول الدين بطنطا بزيارة لدولة ماليزيا استغرقت أسبوعا ، قام خلالها فضيلة رئيس الجامعة بتوقيع اتفاقية لتنظيم التعاون بين جامعة الأزهر ، وولاية قدح الماليزية ، يتم بموجبها افتتاح الفرع الجديد للجامعة بالولاية ، يضم كليات أصول الدين واللغة العربية والشريعة والقانون ، وتتولى الجامعة الإشراف على هذا الفرع ، وامداد هذه الكليات بأساتذة من جامعة الأزهر على نفقة ماليزيا .

يأتى هذا التوقيع على الاتفاقية تتويجا لجهود كبيرة ، وزيارات كبيرة قام بها مسئولون ماليزيون إلى جامعة الأزهر ؛ لتحقيق هذا الهدف .

جدير بالذكر أن سبق لجامعة الأزهر أن افتتحت فرعا لها بولاية ترنجانو بماليزيا .

الأزهر يحتفل بتكريم أوائل الشهادات الأزهرية

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وبحضور فضيلة وكيل الأزهر ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية احتفل الأزهر الشريف بمجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر بتكريم ، أوائل الشهادات الأزهرية للعام الدراسى ٩٣ / ١٩٩٤ . الثانوية والإعدادية والإبتدائية ، وشهادات معهد القراءات ، والمتفوقين فى الأنشطة الثقافية والاجتماعية والأدبية .

وقد بلغ عدد المكرمين ٨٢ طالبا وطالبة فى مختلف المراحل الدراسية .

كما تم تكريم ٣٩ معهدا أزهريا من المتميزين فى الأنشطة الطلابية .

وقد فازت منطقة المنصورة الأزهرية بالجائزة الأولى على مستوى الجمهورية .

بلغت قيمة الجوائز حوالى عشرين ألف جنيه إلى جانب شهادات التقدير والكئوس التى وزعت على المناطق .

منشآت جديدة بجامعة الأزهر

وافق فضيلة الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمحافظة قنا ، أسوة بما اتبع فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، والتى تم إنشاؤها منذ ثلاث سنوات .

وتقوم حاليا محافظة قنا باتخاذ الإجراءات الخاصة بتوفير وتخصيص قطعة لإقامة مبنى الكلية عليها ، والتبرع بثلاث عمارات سكنية كمدينة جامعية للبنات .

كما وافق فضيلة الدكتور رئيس الجامعة على افتتاح كلية الزراعة بفرع الجامعة بأسيوط لقبول أبناء الوجه القبلى .

وتقرر كذلك أن تبدأ الدراسة هذا العام بكلية الاقتصاد المنزلى للطالبات ، وتقبل الكلية ١٥٠ طالبة من شعبة العلمى بالثانوية الأزهرية .

بدأت المرحلة الثانية لإنشاء المستشفى التعليمى بطب الأزهر فرع البنين ، يقام المستشفى على مساحة ١٦ ألف متر مربع بتكلفة مالية تقدر بـ ١٧٠ مليون جنيه ، يخصص المستشفى لتعليم طلاب كلية الطب وعلاج أهالى مدينة نصر .

إعلان نتائج الدور الثانى للشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر نتيجة امتحان الدور الثانى لشهادات معهد القراءات للعام الدراسى ٩٣ / ١٩٩٤ ، حيث جاءت على النحو التالى :

١ ـ عالية معهد القراءات : تقدم للامتحان ٢٧١ طالبا ، حضر الامتحان منهم ٢٥٣ ، وكانت نسبة النجاح ٧٠٪ .

٢ ـ إجازة التجويد : تقدم للامتحان ٨٧٦ طالبا ، حضر منهم ٧٥٠ طالبا ، وكانت نسبة النجاح ٧٢٪ .

٣ ـ شهادة التخصص : تقدم للامتحان ٧٦ طالبا ، حضر منهم ٧٠ طالبا ، وكانت نسبة النجاح ٦٢,٨٪ .

واعتمد فضيلته كذلك نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الثانوية الأزهرية ، حيث بلغت نسبة النجاح بقسميها العلمى والأدبى ٦٢٪ .

كما بلغت نسبة النجاح بدبلوم المعلمين ٨٨,٨٪ .

الإمام الأكبر

يستقبل رئيسة وزراء باكستان

ورؤساء وفود الدول المشاركة فى أعمال ...

المؤتمر الدولى للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٩٤م

على مدى ثلاثة أيام متتالية عقد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عدة لقاءات هامة بالسادة رؤساء وفود الدول المشاركة فى أعمال المؤتمر الدولى الثالث للسكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٥ ـ ١٣ سبتمبر ١٩٩٤ برئاسة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك :

فالتقى فضيلته ، والسيدة / بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان ، والوفد المرافق لسيادتها ، وذلك بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٩٩٤/٩/٥ .

تناول اللقاء بحث أوجه التعاون الثقافى الإسلامى بين الأزهر الشريف ، ودولة باكستان فى مجالى التعليم ، والدعوة الإسلامية .

طلب سيادتها دعم البعثة الأزهرية فى باكستان ، وزيادة عدد المنح الدراسية المخصصة

للطلبة الباكستانيين ، والاستفادة بخبرات الأزهر الشريف فى مجال مراجعة وإعداد المناهج الخاصة بالدراسات الإسلامية والعربية فى مراحل ما قبل التعليم الجامعى ، والدراسات العليا والماجستير .

وقد أعربت السيدة/ بينظير بوتو عن شكر وتقدير حكومة باكستان ، وشعبها للأزهر الشريف على الدور البارز الذى يضطلع به فى مجال التعليم ، ونشر الثقافة الإسلامية فى ربوع العالم ، وإتاحة الفرصة للطلاب الوافدين من أنحاء العالم ؛ لتلقى العلوم الإسلامية والعربية بالأزهر من خلال معاهده وجامعته ، وتقديم المنح الدراسية لكثير منهم ، وقد أشارت سيادتها فى هذا الصدد إلى الرغبة الأكيدة التى كانت لديها فى تلقى العلوم الدينية بالأزهر ، تلك الرغبة التى كانت موافقة لاتجاه والدها السيد ذو الفقار على بوتو رئيس باكستان الأسبق لإلحاقها بالأزهر ، إلا أن الظروف قد حالت دون تحقيق تلك الأمنية الغالية .

وقد وجهت السيدة/ بينظير بوتو الشكر لرئيس مصر والأزهر على إنشاء المعهد النموذجى الأزهرى فى إسلام آباد فى إطار الاتفاقية الثقافية المبرمة بين البلدين وأعربت عن رغبتها فى التوسع فى هذا المجال ، وذلك بإنشاء العديد من المعاهد النموذجية الأزهرية فى باكستان ، كما أعربت عن رغبتها ، ورغبة حكومتها فى انتظام رجال القضاء الشرعى فى باكستان فى الدورات التدريبية التى تعقد فى مصر

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة وتلبية كافة الطلبات التى تقدمت بها السيدة/ بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان .

وقد وجهت السيدة/ بينظير بوتو باسم حكومتها الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة باكستان معربة عن أملها فى أن تتم هذه الزيارة فى أقرب وقت ممكن ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة .

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر للسيدة/ بينظير بوتو هدية تذكارية ، ومصحفاً شريفاً ، ونسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية .

● كذلك التقى فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٤/٩/٦ ، والسيد هاريونوسو يونو وزير الإسكان الأندونيسى رئيس وفد بلاده فى أعمال المؤتمر ، والوفد المرافق لسيادته .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية بين الأزهر وأندونيسيا ، وقد نقل الضيف والوفد المرافق لسيادته شكر وتقدير أندونيسيا حكومة وشعبا لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر من خدمات جليلة للمسلمين فى شتى أنحاء العالم ، وبوجه خاص للمسلمين فى أندونيسيا .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء بالنهضة الشاملة التى تشهدها أندونيسيا حالياً من خلال خطط التنمية التى تتفق مع روح الشريعة الإسلامية ، وتعود نتائجها على رفاهية الفرد والمجتمع .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ظهر يوم الأربعاء ١٩٩٤/٩/٧ السيد/ إسماعيل شفيع وزير التخطيط المالديفى ، ورئيس وفد بلاده فى المؤتمر ، حيث نقل سيادته لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تحيات فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف .

وقد تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر ، وجمهورية المالديف فى مجالى التعليم والدعوة من خلال إمداد المعاهد العلمية هناك بالمناهج والكتب الدراسية ، وإيفاد الأساتذة المتخصصين دعماً للعملية التعليمية فى المالديف .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر بعد ظهر نفس اليوم السناتور/نيك بولكس وزير الهجرة والجنسية الاسترالى ، ورئيس وفد بلاده فى المؤتمر الدولى للسكان ، وقد أعرب الضيف عن سعادته بلقاء فضيلة الإمام الأكبر مشيراً إلى اهتمامه البالغ بعقد هذا اللقاء منذ أن قدم إلى مصر لحضور المؤتمر .

تم خلال اللقاء بحث أحوال المسلمين الاجتماعية والدينية والاقتصادية فى استراليا ، مؤكداً أنهم يمارسون شعائرهم الدينية بحرية تامة وكاملة ، مشيراً إلى أن منهم شخصيات لها دور بارز فى المجتمع الاسترالى .

كما تم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر ، ومسلمى استراليا البالغ عددهم مائة وسبعين ألف مسلم غير أسرهم .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بمناقشة كافة المشكلات والعقبات التى قد تعترض المصريين فى استراليا بصفة خاصة ، والمسلمين بصفة عامة للعمل على حلها ، ومد يد المساعدة لإنهائها .

● ثم استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ/ عبدالحميد خبير نائب رئيس مجلس القضاء الإسلامى بجنوب إفريقيا ، ورئيس وفد بلاده فى المؤتمر .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون الثقافى ، ونشر تعاليم الإسلام بين مسلمى جنوب إفريقيا ، ودعم البعثات الدينية الموفدة إلى جنوب إفريقيا خاصة خلال شهر رمضان المعظم من كل عام ، وزيادة عدد المنح المخصصة للأئمة والدعاة من جنوب إفريقيا للاشتراك فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر على مدار العام .

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر استعداد الأزهر لتقديم كل عون لمسلمى جنوب إفريقيا .

● كذلك استقبل فضيلته السيدة/ نجمة هبة الله نائبة رئيس البرلمان الهندى ، ورئيسة وفد بلادها فى المؤتمر ، والوفد المرافق لسيادتها .

حيث أعربت سيادتها عن سعادتها البالغة لزيارة الأزهر الشريف منارة العلم والإسلام ، وصاحب الدور التاريخى فى النهوض بالتعليم الإسلامى واللغة العربية ، والحفاظ عليهما .

وقد تفضل الإمام الأكبر فشرح لسيادتها دور الأزهر الشريف فى نشر الثقافة الإسلامية فى جميع

أنحاء العالم من خلال إيفاد العلماء إلى البلاد الإسلامية للعمل فى مجالى التعليم والدعوة الإسلامية ، وتخصيص المنح الدراسية لأبناء المسلمين للدراسة فى الأزهر وجامعته بمراحل الدراسة المختلفة ، وإمداد المدارس والمعاهد العلمية والجامعات الإسلامية فى الخارج بالأساتذة المتخصصين ، والمناهج الدراسية ، والكتب العلمية والدينية والثقافية .

وقد أعربت سيادتها عن رغبتها فى توثيق الصلة بين الأزهر الشريف ، والهند فى مجال الدعوة الإسلامية من خلال إيفاد وفد لدراسة احتياجات الهند فى هذا الشأن .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذا الطلب ، والعمل على تنفيذه من خلال قنوات الاتصال الرسمية بالعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية .

● كذلك التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٤/٩/٧ ، وفضيلة الشيخ محمد على تسخيرى كبير أئمة إيران ورئيس وفدها المشارك فى أعمال المؤتمر ، والوفد المرافق له .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه ، حيث نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات المسئولين فى إيران مشيراً إلى أنهم فى إيران ينظرون للأزهر ، ولشيخه نظرة احترام وتقدير ؛ لمواقفه القوية فى كل ما يهم المسلمين .

وأضاف قائلا : إن إصرار إيران عل الحضور والمشاركة فى المؤتمر الدولى للسكان والتنمية إنما يأتى من إيمانها القوى بضرورة أن يعمل المسلمون سويا بروح التعاون للتصدى لكل ما يخالف شريعتهم مشيراً إلى أن المقاطعة لا تفيد ، بل تضر بمصالح الشعوب الإسلامية .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للضيف أن الأزهر قدم بيان مجمع البحوث الإسلامية الذى تناول رأى الأزهر فى كل ما جاء بمشروع الوثيقة المعروضة على المؤتمر مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

وقد قدم الضيف فى نهاية اللقاء الشكر لمصر والأزهر وشيخه على موقفهم الواضح الرافض للأفكار التى تخالف الشريعة الإسلامية ، وأعراف الشعوب المتمسكة بالشرائع السماوية .

● ● ●

هذا وقد تمت اللقاءات بمكتب فضيلة الإمام الأكبر بالأزهر الشريف ، وشهدها فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة رئيس الإدارة المركزية بمكتب شيخ الأزهر ، ولفيف من قيادات الدعوة والمسئولين بالأزهر .

إستقبال الإمام الأكبر لوفد جنوب إفريقيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته وفد المجلس الإسلامى لجنوب افريقيا برئاسة الدكتور/ رشيد محمود سالوجى وبصحبته السيد السفير إبراهيم صبرى وذلك فى تمام الساعة الواحدة ظهرا يوم الإثنين ١٨ يوليه ١٩٩٤ م .

وقد دار الحوار حول شرح لوضع المسلمين الحالى فى جنوب إفريقيا بعد استقلال الدولة ودور المجلس الإسلامى هناك لتوحيد كلمة المسلمين ولتنسيق العمل فيما بينهم وبين المنظمات والجمعيات والهيئات الإسلامية فى البلاد ، ولعودة الحرية لجميع مواطنى جنوب إفريقيا يرون مد الجسور مع العالم الإسلامى وبخاصة هيئاته وجامعاته الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف المعروف بتاريخه العريق فى مجال العلوم العربية والشرعية وباعتدال منهجه فى الدعوة الإسلامية .

ورحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد وبمد جسور العلاقة مع الأزهر وأضاف أن الأزهر على استعداد دائم لمساندة ودعم الإسلام والمسلمين فى جنوب إفريقيا من النواحى العلمية والتعليمية لاسيما فى العلوم العربية والشرعية والمنح الدراسية والكتب العلمية والمنهجية وابتعاث العلماء والمدرسين، ووجه فضيلته النصيحة للقائمين على شئون المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا بأن يحافظوا على هويتهم الإسلامية وأن يكونوا دائما عند حسن ظن المسلمين هناك بهم فى السلوك والأخلاق وطلب العلم وأن تكون كلمتهم واحدة وأن يكونوا على قلب رجل واحد ليتمكنوا من الحصول على كافة حقوقهم الشرعية والسياسية فى البلاد فى ظل الأوضاع الجديدة بعد الاستقلال .

هذا وقد شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر على توجيه مثل هذه النصائح ووعد سيادته بأن يأخذوا على عاتقهم العمل بها .

وقام أعضاء الوفد بعد لقاء فضيلة شيخ الأزهر بلقاء المسئولين فى الأزهر وجامعة الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقد تم بحث ودراسة أوضاع المسلمين واحتياجاتهم من المساعدات التعليمية والدينية .

رئيس المجلس الإسلامى بجنوب إفريقيا

فى حوار صحفى :

مشاركة المسلمين فى النضال والتحرير قاومت العنصرية بجنوب إفريقيا

مهمتنا إزالة التمييز العنصرى من قلوب جميع مواطنى جنوب إفريقيا

انتهز الأستاذ سيد أبودومة فرصة قدوم وفد المجلس الإسلامى لجنوب إفريقيا هذا الوفد الكبير الذى يمثل عشرات المنظمات والجمعيات والهيئات الإسلامية فى جنوب إفريقيا ، وأجرى حواراً صحفيا مع الدكتور رشيد محمود سالوجى رئيس المجلس الإسلامى لجنوب إفريقيا ورئيس الوفد

كان السؤال الأول :

كيف كانت أوضاع المسلمين فى جنوب افريقيا فى ظل الدولة العنصرية السابقة ، وما الأوضاع الآن ، وما المكاسب التى استطاع المسلمون التوصل إليها بعد الاستقلال ؟

جواب : كانت الأوضاع عامة فى غاية السوء قبل الاستقلال ، وفى ظل السياسة العنصرية التى كانت سائدة ؛ فقد كانت هناك تفرقة عنصرية حتى بين أوساط المسلمين أنفسهم فالمسلمون الهنود لهم مناطق يعيشون فيها ، والمسلمون الأفارقة السود لهم مناطق أخرى ، والمسلمون البيض لهم أماكن ثالثة وهكذا ، وكانت تؤخذ أراضيهم وتصادر لصالح الحكومة ليضعوهم فى أماكن خاصة أخرى . كما أن التفرقة العنصرية البغيضة كانت تجعل لكل فئة من فئات الشعب عامة مدارس خاصة لهم ، ومساكن وأماكن معيشة وعمل وهكذا .

وقد شارك المسلمون مشاركة فعالة فى حركات النضال والتحرير ومقاومة العنصرية والتصدى لها بكافة السبل والوسائل مما أكسبهم احترام الجميع ، وجعل لهم وضعاً متميزا فى السلوك والتصرف والوطنية وبعد الاستقلال

ترجم الحوار : أحمد عبدالخالق

إسهامات المسلمين فى شتى المجالات أكسبتهم الحرية الدينية

استطاع المسلمون أن يقاربوا بين صفوفهم ، وأصبحت لهم إسهامات كبيرة فى شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وعادت للمسلمين حريتهم الدينية فى ممارسة شعائرهم وبناء مدارسهم ومساجدهم ، كما أنهم أقبلوا على مد جسور العلاقة فيما بينهم وبين العالم الإسلامى الخارجى هذه هى الأوضاع بإيجاز قبل وبعد الاستقلال وهذه هى المكاسب التى تمثلت فى الحرية عامة .

ماهى جهود المجلس الإسلامى لجنوب إفريقيا بعد الاستقلال فى ظل قيادتكم له فى المرحلة الحالية والمستقبلية ؟

إن المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا عليه دور حساس يتمثل فى تشجيع واستنفار كافة همم المسلمين فى جنوب إفريقيا للقيام بدورهم الكامل والاشتراك فى كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأن تكون لهم كلمتهم الواحدة وذاتيتهم القوية فى كافة الأمور فى البلاد وذلك من خلال أعمالهم وأفعالهم وليس أقوالهم فحسب ، وأن يسهموا فى إزالة التمييز العنصرى وصور الاضطهاد والاستغلال من قلوب وعقول جميع مواطنى جنوب إفريقيا بما فيهم المسلمين .

هل لديكم خلافات مذهبية ، وإن وجدت : فما وسائل التغلب عليها ؟

يتبع حاليا مسلمو جنوب إفريقيا المذهب الشافعى والمذهب الحنفى وهذا الأمر لا يتسبب فى خلق جو من الخلافات الشديدة فكل طرف يحترم الآخر ، ولكى يتم بناء إطار عمل موحد لايجاد قانون الأحوال الشخصية لمسلمى جنوب إفريقيا كان على أتباع كل من المذهبين أن يتفقوا فيما بينهم على مخاطبة مجالس كبار العلماء للتعرف على احتياجات المجتمع الإسلامى ، ومن خلال تبادل وجهات النظر والمشورة يمكن الاتفاق على ورقة عمل واحدة فى هذا الشأن .

أما طائفة القاديانية والأحمدية وهى قلة فى البلاد فنحن نعتبرها خارجة عن تصنيف جماعة المسلمين كما أننا نعتبرها غير مسلمة .

ما أهم القضايا الإسلامية التى تشغل بالكم فى المرحلة الحالية ، وكيفية حلها ؟

أهم القضايا الإسلامية الحالية هى فى العمل على سرعة إعادة الجسور وإنهاء حالة التمزق والتفرق الموجودة بين المسلمين فى جنوب إفريقيا ، وأن نجعل منهم أمة واحدة إيجابية لها دورها فى تطوير وتنمية الحياة فى البلاد فى ظل الأوضاع الجديدة بعد الاستقلال ، وأن يشاركوا فى المجالس النيابية والدستورية فى البلاد ، وأن تتسم أعمالهم وسلوكهم بروح التسامح والتفاهم ، وأن يكون للشخصية الإسلامية ذاتيتها من خلال إعطاء المثل والقدوة للسلوك الإسلامى القويم . كذلك علينا أيضا أن نسارع فى مد جسور علاقاتنا كمسلمين بالعالم الإسلامى من حولنا من أجل وضع أفضل ، وتحسين حال المسلمين هنا من النواحى التعليمية

أهم قضايانا ، إنها حالة التمزق وربطنا كمسلمين بالعالم الإسلامى

والصحية والتحسين كذلك فى مجال الدعوة الإسلامية الصحيحة .

هل تتابعون قضايا العالم الإسلامى خارج بلادكم ؟ وما رأيكم فيها ؟

نعم ، فنحن حقيقة نتابع قضايا العالم الإسلامى بقدر ما هو متاح ، ونعلم تماما بالإصدارات والبيانات التى تفرق بين المسلمين ، وأن هدف المجتمع الغربى هو المزيد من تفريق المسلمين ، وتحطيم الإسلام بوجه عام ، وعلينا أن نبحث عن حقوقنا ونعمل على إيجاد مجتمع يتعايش فيه الجميع فى سلام كما أنه أصبح لزاما علينا أن نعمل على احترام أنفسنا وجعل الآخرين يحترموننا من حولنا ، وأن نوحد كلمتنا كأمة إسلامية لنصرة قضايا المسلمين فى كل مكان وأن نبذل جهودنا للتخلص من صور العنف داخل المجتمعات الإسلامية حتى لا يخشانا أحد أو يبالغ فى تصوير الأوضاع فى العالم الإسلامى مما يسىء للإسلام ، وقضايا المسلمين فى الداخل والخارج .

هل لديكم تصورات لما يجب أن يكون عليه الفكر الإسلامى فى المرحلة القادمة فى ظل التحولات الدولية وطبيعة هذه المرحلة فى ضوء صور التقدم العلمى الرهيب فى العالم ، والغزو الفكرى الذى يجتاح عالم الإسلام ، ويستهدف عقل وهوية الشباب المسلم ؟

يجب على العالم الإسلامى أن يواجه تحديات التكنولوجيا الحديثة وصور التقدم العلمى الرهيب بأن يعمل على إزالة الحواجز والمعوقات والرواسب المتخلفة عن الاستعمار والاحتلال والاستغلال للعالم الإسلامى .. والإسلام يأمرنا بالتقدم والمرونة وبأن نستزيد من العلم ، وأن نعلم أنفسنا ونستفيد من علوم الآخرين ، وأن تكون لنا رؤية واضحة للتقدم ، وأن نكون دائما على استعداد للأخذ بما وصل إليه التقدم العلمى والتكنولوجى ، وأن نسترشد دائما بما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة لنستطيع مسايرة العالم المتقدم وأن نقف على قدم المساواة مع الآخرين فى شتى العلوم الحديثة التى تجعلنا مستقلين غير تابعين لغيرنا كما أن علينا أن نحقق فيما بيننا تبادل الأفكار العلمية والآراء والمعارف المختلفة ، وأن نشارك بالاقتراحات حتى يأتى كل ذلك بثماره ..

هناك حملة شرسة على الإسلام فى العالم الغربى ، واتهامه بأنه دين تطرف وعنف وإرهاب وأنه دين غير حضارى .. كيف تردون عليها ؟

نحن نقف بكل الطاقة والقوة المتاحة لنا فى جانب مبادىء الدين الإسلامى السامية .. والهجوم الحالى على الدين الإسلامى ـ بكل الوسائل ـ يهدف إلى تحطيم قوة المسلمين ، وإضعاف الإيمان والعقيدة لدينا .. ونحن نعلم تماما أن الطائفية والانقسام فى العقيدة يوجد فى العالم النصرانى وهم يريدون أن يصدروا إلينا هذه الطائفية .. وعلينا أن نعمل على تحقيق استراتيجيتنا كأمة واحدة ، وأن نسعى لتحقيق وحدة هذه الأمة ، ولا يجب أن نترك لعملية زرع التفرقة التى يسعى إليها الآخرون ـــ أن تأخذ دورها أو وضعها فيما بيننا ؛ بل علينا أن نعمل على حل المشاكل المشتركة التى أحدثتها دعاية الغرب المغرضة التى تهدف إلى التأثير على العالم

مسئولية النظام الاجتماعى الإسلامى تكمن فى استعادة كل الحقوق

الإسلامى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفى الوقت الذى نرى فيه الانحدار الأخلاقى متفشيا فى العالم الغربى والذى يعكس فى ذات الوقت سلوكا غير حضارى ؛ فإننا نرى أنه ليس لدينا كمسلمين ما نجعل منه ، أو يجلب لنا عارا بل على العكس فإن مسئولية النظام الاجتماعى الإسلامى تكمن فى استعادة كافة حقوق الفرد والأسرة والمجتمع الإنسانى ككل ، والعمل على الارتقاء بها ، وعليه مرة أخرى أقول : إنه ليس لدينا ما يشيننا ، أو يعطى الآخرين الفرصة للهجوم على الإسلام ، وأن يدَّعوا باطلا بأنه دين غير متحضر .

مطلوب من الأزهر تأهيلنا لمواجهة تحدى النظام العالمى الجديد

كيف تنظرون إلى الأزهر وما المطلوب من الأزهر الآن ؟

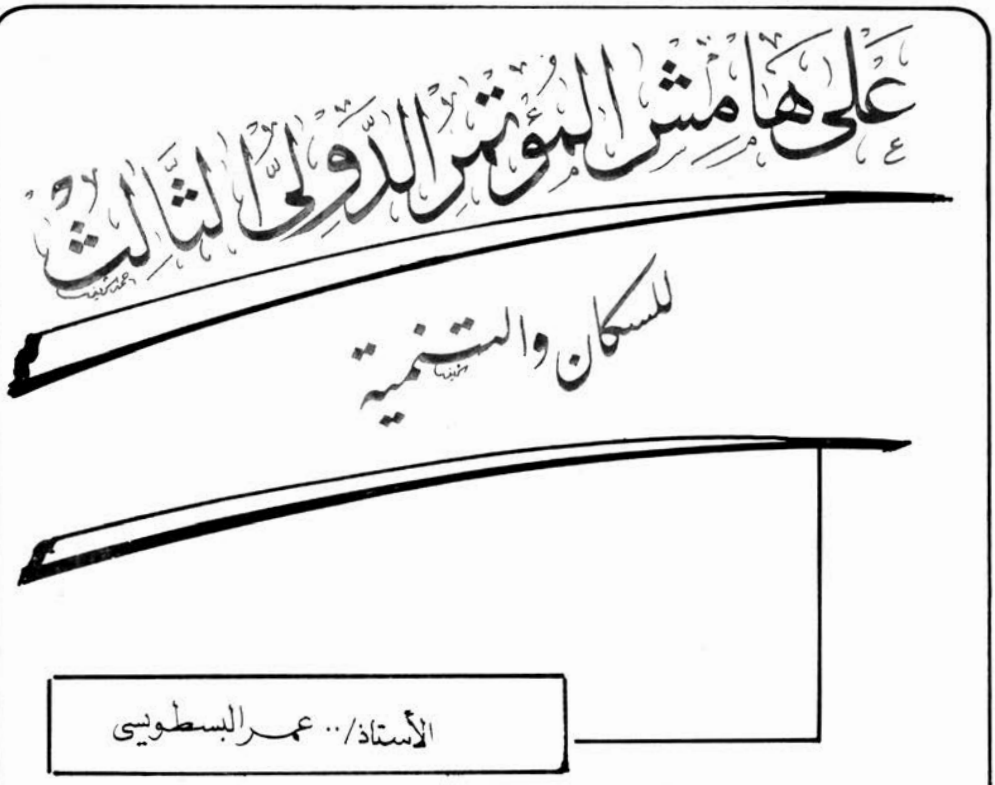
نحن نعلم تماما أن الأزهر كأى مؤسسة دينية أخرى يقف بثبات فى جانب العدالة الاجتماعية ، والمساواة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، وأنه يعمل على إرشاد الناس للحق ويحمى المجتمع من الضلال والتطرف ، وبالنسبة لجنوب إفريقيا ؛ فإن الأزهر لابد وأن يساعد جماعة المسلمين هناك حيث إنهم فى أمس الحاجة للأخذ بأيديهم فى النواحى العلمية والتعليمية ، وتصحيح كافة مفاهيم الدين لديهم ، وأن يعدنا هناك لنكون مؤهلين لمواجهة تحديات النظام العالمى الجديد ، وأن يساعد المسلمين فى التشاور والتفاهم المتبادل مع الآخرين من أجل إيجاد روح التسامح والارتقاء بمفهوم الإسلام عامة أمام العالم أجمع .

ما طبيعة علاقتكم بالعالم الإسلامى ؟

لقد كنا نعيش فى عزلة فى ظل سياسة التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا لزمن طويل وهذه العزلة أبعدتنا كثيرا عن العالم الإسلامى من حولنا ، وهدفنا الآن هو إيجاد علاقات طيبة مع كافة شعوب العالم الإسلامى ، ونحن لا نريد أن ننحاز أو نقف فى صف أية قوى لنصرتها ضد غيرها إلا إذا كانت هناك ممارسات مضادة للدين الإسلامى عند ذلك يصبح لزاما علينا أن نظهر استياءنا ، وأن ننظم جهودنا لجعل الهيئات والسلطات المختصة تقوم بدورها للضغط على من ينتهك حرمة الدين . ولكى تعود الأمور إلى طبيعتها بما يتفق مع قواعد ونظم الإسلام ، كذلك أننا نرحب بأية مساعدات أو إرشادات إسلامية بعيدة عن أية ضغوط أو تأثيرات علينا ؛ فنحن نفضل أن يكون ذلك عن طريق التشاور والتفاهم المتبادل لا عن طريق الاتكالية والاعتماد على الآخرين .

ما السؤال الذى كان يجب أن أطرحه عليكم ولم أطرحه ؟

لقد سألت أسئلة فى غاية الأهمية ، وفى كافة الأمور ، ولا يمكننى الآن التفكير فى سؤال خاص لم يتم طرحه ، ولكن يمكننى أن أقول : أن ذلك ربما يكون متاحا من خلال مزيد من التشاور فى المستقبل .



الأستاذ/.. عمر البسطويسى

إفتتح الرئيس محمد حسنى مبارك صباح يوم الإثنين الموافق ٥ / ٩ / ١٩٩٤ أعمال المؤتمر الدولى الثالث للسكان والتنمية الذى عقد تحت رئاسة سيادته بقاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر – القاهرة .

شهد الجلسة الافتتاحية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء ورئيسا مجلس الشعب والشورى والسادة نواب رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد كبير من العلماء والمفكرين والشخصيات العامة .

ومن خارج مصر شهدها كثير فى مقدمتهم السيدة رئيسة وزراء باكستان وعدد كبير من قادة زعماء العالم رؤساء وفود بلادهم فى المؤتمر .

وقد ألقى الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة مصر أمام المؤتمر أعرب سيادته فى بدايتها عن أمله فى أن يكون انعقاد المؤتمر على أرض مصر نقطة تحول هامة تضع فى اعتبارها وحدة المصير البشرى فوق هذا الكوكب مشيراً إلى أن دول العالم جميعاً شركاء مصير فى مواجهة التحديات التى تزداد عنفاً وضراوة فى كل أنحاء الأرض .

وأكد الرئيس مبارك على رؤيته ـ لمهمة هذا المؤتمر والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها ـ فى عدد من النقاط الأساسية وهى :

أولا : أن مهمة المؤتمر فى هذا المنعطف التاريخى الهام أن يتجاوب مع الآمال التى تعلنها شعوب العالم على انعقاده وأن ينجز رؤية إنسانية مشتركة وأن نقطة البدء الصحيحة فى صياغة هذه الرؤية التسليم بأن نتائج المؤتمر وتوصياته يجب أن تكون محصلة لما يدور فيه من نقاش وحوار حر مفتوح للتوصل إلى قاسم مشترك بين الرؤى المتعددة كى تجىء توصيات المؤتمر إنعكاساً لمصالح الجماعة الإنسانية .

ثانياً : أن الوصول إلى هذا القاسم الإنسانى المشترك يقتضى حواراً تحكمه روح التضامن والإحساس بالمسئولية المشتركة والانفتاح على آراء الآخرين حتى يكون العطاء متبادلًا ولا يقع الحوار فريسة لاستقطاب حاد بين الشمال والجنوب وبين الدول المتقدمة والدول النامية .

ثالثاً : الاعتقاد الراسخ بأنه لا تناقض بين الدين والعلم أو الروح والمادة ولا تناقض بين متطلبات التحديث وضرورات الأصالة ، لأنه لابد للإنسان من الاشباع المتوازن لحاجاته الروحية والمادية .

رابعاً : أن أية توصيات تصدر عن هذا المؤتمر سوف يتم توظيفها لصالح كل مجتمع وفقاً لظروفه الخاصة ومعتقداته الأساسية ومتفقة مع قيمه الدينية .

خامساً : سيكون من المفيد ألا ننظر إلى مؤتمر القاهرة وكأنه حدث قائم بذاته بل ينبغى أن يوضع فى نطاق الجهود والمؤتمرات الدولية المتعددة فى إطار واحد ، لأن مشاكل كوكبنا متشابكة ومعقدة تتطلب وجود رؤية متكاملة ومتطورة تساعد على ابتكار وإنجاز حلول صحيحة .

حرص الرئيس حسنى مبارك خلال خطابه على أن يؤكد حرص مصر على الحفاظ على المبادىء الإسلامية .

كما أكد سيادته فى كثير من الأحاديث التى أدلى بها للصحف العربية والعالمية قبل وأثناء المؤتمر على أن مصلحة الأمة الإسلامية أن يحضر ممثلوها المؤتمر. وأن يقفوا ضد أى تفسير مخالف للدين والشريعة ، وبذلك تكون الأمة الإسلامية قوة كبيرة تستطيع أن تقول : (لا) هذا مخالف للدين ولا يمكن القبول به ، وأن يسمع هذا الموقف الرأى العام العالمى .

وأشار الرئيس إلى أن هذا المؤتمر فرصة لأن نقف ونشرح ما تقوله الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم ، وتثبت للعالم بأن المسلمين ليسوا إرهابيين وأن دينهم قدوة ، وأنه دين تسامح ومحبة وحرية .

كذلك أكد سيادته فى حديث أدلى به لصحيفة (مايو) عقب انتهاء المؤتمر على أنه من المستحيل أن توقع مصر أو توافق على شىء مخالف للشريعة الإسلامية وهى عاصمة الأزهر الشريف .

وقد أكد جميع رؤساء وفود الدول الإسلامية على أن حضورهم إلى المؤتمر إنما يأتى من إيمانهم بأن المقاطعة لن تجدى ولن تفيد ، وأن الفائدة الكبرى فى الحضور والمناقشة وإبداء الرأى ورفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية حتى يسمع ويعرف العالم كله رأى الإسلام فى القضايا المطروحة ، وأن المسلمين يواجهون بكل حسم أى موقف يتعارض مع شريعتهم وقيمهم الإسلامية .

وقد كانت كلمة السيدة « بنظير بوتو » رئيسة وزراء باكستان من أقوى الكلمات التى القيت فى المؤتمر حيث أكدت فيها :

« أنها جاءت بصفتها امرأة وأماً وزوجة .

وبصفتها القائد المنتخب بالديمقراطية لأحد البلدان الإسلامية الكبرى وهى جمهورية باكستان الإسلامية الكبرى .

« وبصفتها قائداً لواحدة من أكبر التجمعات البشرية فى العالم .

وأنها جاءت لتعبر عن تقاليد وعادات الشعب الباكستانى المسلم الذى يعد من أكبر التجمعات البشرية فى العالم مشيرة إلى أن العالم يمر بمنعطف تاريخى هام مؤكدة على أن القرارات التى سوف تصدر عن هذا المؤتمر ستؤثر على مستقبل البشرية بصفة عامة ، والمطروح علينا فى هذا المؤتمر هو بذل الجهود من أجل رفاهيتنا سواء كانت لدينا الإرادة أم نفتقر إليها ، وأعتقد أننا لدينا القدرة لكن علينا بذل الجهد . فنحن جميعاً نقف إلى جانب الخير .

وقالت : لن أسمح بمخالفة عاداتنا وتقاليدنا ويجب أن نعبر عن رفضنا لما يخالف شرائع ديننا السماوى العظيم » .

هذا ، وقد وضعت مصر خطوطاً عامة رئيسية لتحركها داخل المؤتمر ، وانطلاقا منها تحرك الوفد المصرى بين وفود العالم حيث بدأ العمل على توحيد المجموعة العربية والإسلامية مع التركيز على الموضوعات الخلافية من خلال وضع مظلة رئيسية على الفصل الثانى الخاص بالمبادىء التى تحكم الوثيقة حيث تنص المظلة على أن تنفيذ جميع توصيات المؤتمر يجب أن تراعى القوانين الوطنية وحق سيادة الدولة فى تنفيذ الساسات السكانية مع مراعاة القيم الدينية والحضارية والتقاليد المتبعة .

وقد أكد السيد وزير الخارجية على أن الدور الذى لعبه الوفد المصرى خلال المؤتمر فى كل ما تم الاتفاق عليه أو نفاوض فى شأنه كان فى إطار الدين والقيم والدستور والقانون .

وقد أعلن السادة رؤساء الوفود العربية والإسلامية فى ختام المؤتمر أن مصر ستظل رائدة وحصناً منيعاً فى الدفاع عن كل القيم الإسلامية والأخلاق الرفيعة مؤكدة على أن موقف مصر ساهم فى تغيير (البنود) التى كانت تتعارض مع القيم الإسلامية ،وفى هذا الصدد أكد (حجة الإسلام تستخيرى) ممثل إيران على أن التنسيق الذى تم بين الدول العربية والإسلامية كان إيجابيا مشيراً إلى أن مجموعة الدول العربية والإسلامية بذلت جهداً كبيراً فى إقرار التعديلات التى توصلت إليها .

وفى ختام أعمال المؤتمر القى السيد عمرو موسى وزير الخارجية بيانه الذى أكد فيه على أنها سوف تتعامل مع الوثيقة فى إطار مبادىء الفصلين الأول والثانى وهى المبادىء التى أكدت على الاحترام الكامل لحقوق الإنسان وحقوق السيادة الوطنية والقيم الدينية والأخلاقية مشيراً إلى أن هذا المبدأ الهام فى الوثيقة ينفذ فى إطار سيادة الدولة والدين والأخلاق ، وهذا ما نجحت مصر فى إدخاله فى الوثيقة وهو ما يحكم تنفيذ فقراتها .

ولقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات كان من أبرزها :

- المطالبة بحظر الممارسات المهينة للمرأة مثل إجبارها على ممارسة البغاء وإعطاء عناية قصوى لبعض الفئات التى تتعرض لذلك مثل المهاجرات وخادمات المنازل وطالبات المدارس ، وحث جميع الدول على إدانة جرائم الاغتصاب وتقديم الرعاية لضحاياه ورد اعتبارهن .
- التأكيد على أن صياغة السياسات السكانية وتنفيذها حق سيادى تتمتع به كل الدول فينبغى أن يتمشى هذا الحق مع قوانينها الوطنية وأن يكون متطابقاً مع معايير حقوق الإنسان الدولية .
- المطالبة بمواصلة المجتمع الدولى لتشجيع قيام نظام تجارى دولى مفتوح ومنصف وآمن وخال من التمييز مع التأكيد على ضرورة تشجيع الاستثمارات ، وتخفيض أعباء الديون ، وتوفير موارد جديدة وإضافية وتقديمها بشروط ميسرة للدول النامية ، وقد أكدت كل الوفود العربية والإسلامية المشاركة فى المؤتمر أن مصر سوف تظل دائماً فى صدارة العالم الإسلامى ، وأنها ستظل رائدة وحصناً منيعاً فى الدفاع عن كل القيم الإسلامية والأخلاق الرفيعة ، وموقف مصر ساهم فى تغيير البنود التى كانت تتعارض مع القيم الإسلامية وقد بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة نجاح المؤتمر بفضل القيادةالحازمة والرعاية الواعية التى ارتفعت بالدين والدولة إلى القمة واحتفظت لمصر وللعالم الإسلامى بالعقيدة والشريعة عالية الراية جامعة للأمة على كلمة سواء .

وأشار فضيلته إلى أن كلمة الختام كانت بالغة الأهمية أعلت سيادة الدولة بما رتبت من نتائج قويمة ومبادئ تهدى ولا تضل واضحة مبرأة من الشك والريبة قاطعة حاسمة لا مجال فيها للتأويل حيث أعلت سيادة الدولة ؛ بل والدول جميعاً بما حوته من مبادئ قيمة .

كما بعث فضيلته ببرقية مماثلة للسيد عمرو موسى وزير الخارجية على ما بذله هو ومعاونوه من جهد أعلى كلمة الدين والدولة واحتفظ بالعقيدة والشريعة مظلة واقية للأمة الإسلامية . تنمى فى ظلها مجتمعاتها وتستمد منها أخلاقياتها وسلوكياتها دون أن يفرض عليها ما تأباه تقاليدها التى اكتسبتها من دينها . وفقكم الله وأعزكم بالإسلام دينا ، وبمصر وطنا ينمو فيه الخير ويزكو حتى يزداد الأمن والأمل فى مصر .

L'imam Ahmed a expliqué les questions, sujets de doutes : comme suit : "si on peut on manger le cheval ou pas ? boire le vin ou pas ?", il a ajouté que le licite et l'illicite s'entremêlent en ce qui concerne le contact avec celui qui possède "des biens illicites." L'illusion ne peut être jamais une cause d'interdiction par excemple : "celui qui cherche une épouse dans un autre pays craignant que dans son pays l'épouse soit propre soeur. le prophète (b.s.) qui ne mange pas une datte qui se trouve sur ses genoux craignant qu'elle soit une dotte d'aumône. C'est une leçon très claire pour les musulmans.

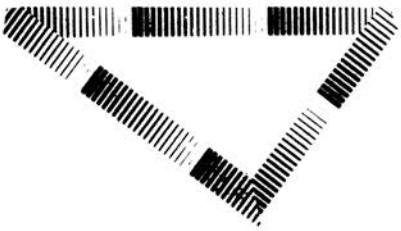
Par conséquent, celui qui redoute de commettre des actes sujet de doutes protège ainsi sa foi et son honneur et évite ainsi la torture du Jour de réssurection, mais-celui qui-commet ces actes tombe dans l'interdit. Ces interdictions sont : le voil, l'adultère, la diffamation, l'alcool, le mensonge, la médisance la calomnie, et l'intérêt usuraire. Allah nous montre Ses droits pour que Ses serviteurs ne les transgressent point et ne tombent pas dans la damnation.

On remarque ensuite que le coeur maîtrise tout : il conduit la personne vers la bonne voie, vers l'éternité, il méritera ainsi une meilleure vie aux cieux et sur la terre. Allah tout Puissant a dit : "Nous ressusciterons pour une vie excellente tout croyant, homme ou femme, qui fait le bien. Nous leur domnerons leur récompense en fonction de leurs meilleures actions." "Sourate les Abeilles, sens du verset 97."

Ce hadith est très important car le messager d'Allah a insisté sur la nécessité de choisir le licite dans la nourriture, des vêtements des boissons et souligne l'importance du coeur pour tout le monde, c'est le chef, le maître, s'il est pur, tout le corps sera sain par contre si il est corrumpu, tout le corps le sera.

Allah nous dirige vers la bonne voie. On en déduit ce qui suit :

— Encourager les actes licites et prohiber les actes illicites.
— Eviter les actes sujets de doute pour protéger la foi et la religion.
— Attacher de l'importance au coeur.
— Donner aux auditeurs des exemples afin de comprendre le sens pratique et légitime.
— La crainte d'Allah, c'est le pilier et la source de biens.
— Eviter les obsessions du satan qui conduisent à la damnation.



La licite et l'illicite

par Nahla Mohamed Ali

No'mân-Ebn Bâchir qu'Allah soit satisfait de lui rapporte qu'il a entendu le messager d'Allah à lui bénédiction et salut dire : "Ce qui est licite est évident et ce qui est illicite est évident, entre les deux a il y a des questions douteuses que la majorité des gens ignorent. Celui qui évite les affaires douteuses protège sa foi et son honneur, mais celui que commet des actes douteuses tombe dans l'interdit, c'est comme le berger qui laisse paître ses bêtes aux confins privés au risque d'y tomber. N'est-il pas vrai que chaque seigneur a ses propriétés et que les interdits sont les propriétés d'Allah sur Sa terre ? Dans le corps de l'homme il y a un organe lorsqu'il est sain, tout le corps se porte bien, et mais s'il est corrompu tout le corps le sera. Cet organe est le coeur ...

Explication du Hadith

Allah tout Puissant a prescrit des actes canoniques approuvés par les juriconsultes, ces actes sont licites mais Il a prohibé d'autres actes qui sont illcites... Allah a passé d'autres actes qui sont illicites .. Allah a passé sous silence des questions sujets de doutes sur lesquels les juriconsultes ne se sont pas mis d'accord. Le prophète (à lui bénédiction et salut) a dit : "Allah qu'Il soit exalté a prescrit des obligations canoniques ne les négligez pas, et Il a fixé des limites ne les dépassez point, Il a prohibé des choses ne les violez pas, Il a passé sous silence d'autres choses par miséricorde, non par oublie, ne cherchez pas à les connaître." Allah a montré la différence entre le mal et le bien et ceux qui sont pour ou-contre son intérêt. Allah tout Puissant a dit : "Je ne trouve pas d'interdictions au sujet de la nourriture, dans-ce qui m'a été révélé, à part la bête morte, le sang versé et la viande de porc car c'est une chose impure et ce qui, par perversité, a été sacrifié à un autre qu'Allah. Sour. "Les troupeaux le sens du verset 145. Un des compagnons du prophète (à lui bénédiction et salut) lui a demandé : "qu'est-ce que le vice ? il lui a répondu en soulignant ce qui distingue la vertu du vice, selon le prophète (à lui bénédiction et salut) : "La vertu c'est tout-ce qui rend l'âme tranquille et rassure le coeur; le vice-c'est ce qui te trouble l'âme et qui fait hésiter ton coeur malgré toutes les opinions légales favorables donnés par les gens. Si certains animaux domestiques comme le chat réalise par instinct la différence entre ce qui est permis à l'interdit, donc l'être humain doit-être plus apte à distinguer cette difference. Allah tout Puissant la doué de la raison, de la clairvoyance et de la pensée. Il lui a envoyé des messagers pour le mettre sur la bonne voie.

Il convient qu'il existe des questions qui sont sujet de doutes et que la majorité des êtres humains l'ignorent.

Donc ce que la chari'a a reconnu comme licites ce sont : la parole, la marche, le pain les fruits et d'autres. Les prohibitions sont : l'ivresse, l'alcool.

Quand Abu Talha arriva, il a demanda où est l'enfant; à quoi elle répondit : son âme est en état de repos "Puis elle lui présenta le dîner il mangea et bu. Puis elle se para pour lui plaire. Quand elle vit qu'il était rassasié, elle lui dit "Abou Talha, si des gens ont prêté quelque chose à d'autres et qu'ils veulent reprendre après cela ce qu'ils ont prêté est-ce les premiers ont le droit de refuser ? Non dit-il. Alors elle lui répondit "c'est le même cas pour ton fils". Il se mit en colère, puis il dit : tu m'a laissé faire tout cela et puis tu me racontes que mon fils est mort, qu'il alla chez le prophète (b.s.) et lui raconte ce qui s'était passé. Le prophète lui répondit : "qu'Allah bénisse votre nuit." Om Salim tomba enceinte. De cela on peut conclure que :

1. C'est une invitation à affronter les malleurs par la patience pour obtenir la rétribution d'Allah.
2. Le vrai croyant peut passer par des épreuves difficiles qui exient la patience.
3. La récompense de la patience sera au cours de la vie terrestre et dams la vie future.
4. Allah a promis aux hommes patients d'affacer leurs péchés.
5. Il faut avec patience accepter la volonte d'Allah et accepter son destin.

Il doit donc verser l'aumône légale de bon coeur en ayant l'âme sereine et satisfaite; ce qui exige encore de la patience.

Le pélerinage est un culte qui pousse le croyant à dépenser son argent, à quitter son pays et sa famille. De même il affronte beaucoup de difficultés au cours de son voyage; ce qui met en évidence que le culte d'Allah exige le Patience.

Il faut rappeler que notre prophète (b.s;) était le modèle même du croyant patient dans la pratique du culte. Aicha (qu'Allah soit satisfait d'elle) a dit que le proppète (b.s) se réveillait le soir pour prier et qu'il priait tant que ses pieds se fendillaient et saignaient. Quand elle lui demanda:" Pourquoi O Messager d'Allah fais-tu cela; alors que tu sais qu'Allah t'a pardonné tes péchés présents et passés? Il répondit "Ne dois-je pas pour cela être un serviteur reconnaissant ?" Allah nous recommande la patience pour affronter les difficultés. (Nous vous éprouvons pas un peu de crainte, de faim; par des pertes lègères de biens, d'honneur ou de récoltes) sens du verset 155. "Annonce la bonne nouvelle à coeur qui sont patients, à ceux qui disent lorsqu'un malheur les atteint "Nous sommes à Allah et nous retournons à Lui (sens du verset 156). Voilà ceux sur lequels descendent des bénédictions et une miséricorde de leur Seigneur. Ils sont bien dirigés (157) Sourate "La Vache" le sens du verset 155 à 157.

Il faut aussi que le croyant soit toujours patient même devant les gens qui ne partagent pas son culte, sa religion, ses opinions. Notre prophète (b.s.) nous a donné le meilleur exemple : il a supporté les préjudices causés par les incroyants et les juifs. Ils ont tenté de tuer à plusieurs reprises; non seulement il les a supportés, mais encore; il a essayé de les diriger vers le droit chemin, ce qui a poussé Abdallah Ebn Massoud (qu'Allah soit satisfait de lui) à dire "Je crois encore voir le prophète (b.s.) alors qu'il raconte; qu'un des prophètes fut frappé par sa nation, alors il a essuyé le sang de sa fatigure en disant : "O Allah, dirige ma nation vers le droit chemin car ils ne savent pas."

Nous avons aussi besoin de patience au moment des catastrophes : il faut aussi prier pour obtenir l'assistance d'Allah, et pour qu'Allah soit satisfait de nous et tranquillise nos coeurs, car Allah est toujours avec les gens patients. (O vous qui croyez ! Demandez l'aide de la patience et de la prière, Allah est avec ceux qui sont patients) Sourate "La Vache", le sens du verset 193.

La maladie purifie l'âme et elle est une expiation des péchés, il faut done que la personne malade supporte la douleur avec patience afin de mériter dans l'au-delà la récompense d'Allah.

De même un des malheurs qu'il faut affronter avec patience c'est la mort; car si la personne accepte la volonté d'Allah avec une âme calme cela va soulager son chagrin; cela va prouver aussi qu'elle est vraiment croyant et Allah va lui attribuer Sa récompense.

Voici la preuve de cela, un des compagnons du prophète (b.s.) ce que fit Salim avec son mari Abu Talha un des compagnons lorsque leurs fils mourut lors de l'absence de son père. Om Salim demanda à sa famille de ne pas mentionner que son fils est mort jusqu'elle le lui dit, elle recouvrit son fils avec ses vêtements.

La patience

Par Islam Abdel Raouf Mohamed

Abou Said El Khodry qu'Allah soit satisfait de lui a rapporté que le prophète (b.s.) a dit : "Toute fatigue eu tout mal chronique, tout ennui, toute peine ou chagrin qui peut atteindre un musulman, même l'épine qui le pique n'est qu'un moyen par lequel Allah lui fait expirer ses péchés.

Transmetteur du hadith

Abou Said El Khodry est un des transmetteurs de hadiths les plus célèbres. Il a rapporté mille cent soixante hadiths; et il est mort à l'âge de quatre vingt-six ans.

Le sens du hadith :

La vie a divers aspect; les bons et les mauvais. Le vrai croyant est celui qui accepte le mal et le bien avec patience et encore, c'est celui qui croit au destin et qui sait que la victoire vient avec la patience. Le vrai croyant implore l'aide divine dans les moments difficiles et espère la rétribution d'Allah pour sa patience. Si une blessure vous atteint une même blessure atteint les peuples incrédules. Nous faisons alterner ses journée-là pour les hommes afin qu'Allah reconnaisse ceux qui croient et qu'il prennent de témoins parmi vous. Allah n'aime pas les iniustes) Sourate : La Famille d'Imran"; le sens du verset 140.

Un vrai croyant suit les enseignements de l'Islam et remercie Allah à chaque instant et en toutes circonstances dans le but de bien vivre et de jouir à la fin du bonheur éternel.

Le prophète (b.s.) nous parle du croyant, et explique comment il tire profit de toutes les circonstances et il dit : "Ce qui est surprenant c'est que le croyant profite dans tous les cas — et cela n'est valable pour le croyant — s'il obtient quelque chose de bien; il remercie Allah alors il obtient un bien, s'il est atteint d'un mal, il est patient, alors cela est aussi bien pour lui."

La patience est un des fondements de l'Islam. L'accomplissment de la prière exige le respect de quelques règlls; la pureté corporelle l'accomplissement à son heure fixée, la direction vers la qibla. Elle implique une soumission du coeur devant Allah; tout vela nécessite la patience.

Le jeûne qui prive le croyant de satisfaire ses instincts et qui lui interdit les actions qui peuvent rompre son jeûne : Nourriture, boisson et plaisirs charnels, lui apprend aussi l'honnêteté et le contrôle de ses passions; ce qui exige la patience.

L'aumône légale est un culte qui invite l'homme à céder une partie de ses biens aux pauvres pour se purifier. Allah sait que l'argent est cher à l'âme humaine c'est pour cela qu'il est mentionné avant les enfants dans le Coran. Le sens du verset 46, Sourate La Caverne.

(...Qui se contentent de leurs rapports avec leurs épouses et leurs captives on ne peut donc les blâmer; tandis que ceux qui convoitent d'autres femmes que celles-là sont transgresseurs).[1]

D'après 'Aisha le Coran considère comme transgresseur tout homme prenant pour femme toute autre que les épouses ou les captives, il n'a pas cité le mariage temporaire.[2]

Elles interprétaient et commentaient certains versets, tels que le verset concernant l'orpheline.

(Si vous craignez de ne pas être équitables à l'égard des orphelins ... Epousez comme il vous plaira).[3].

D'après 'Aisha, il s'agit de l'orpheline qui est à la charge de son tuteur. Si ce dernier manifeste le désir d'epouser cette orpheline, mais sans vouloir lui donner le mahr convenable au rang de cette fille, dans ce cas, il vaut mieux que le tuteur épouse une autre femme s'il ne peut être équitable envers cette orpheline.

Ainsi il devient évident que tous les mariages du Prophète (b.s.) avaient un certain but, il n'y était pas poussé par son propre plaisir. Les mariages du Prophète (b.s.) qui était devenu le chef d'une communauté dont l'influence ne cessait de croître, avaient parfois un caractère politique, il voulait atténuer l'hostilité des ennemis en épousant leurs filles. De même les alliances à cette époque étaient importantes car elles imposaient une certaine solidarité dont il avait besoin afin de propager sa prédication. D'autres fois ces unions avaient un caractère social, le Prophète (b.s.) voulait renforcer ces relations avec ses compagnons, honorer certaines femmes ou encore consoler celles qui avaient perdu leur mari dans les combats lancés contre les polythéïstes. Ces unions avaient parfois pour rôle d'établir certaines législations ou de les mettre en application pour encourager les Musulmans à les suivre. Il s'agit du cas du fils adoptif, de la possibilité pour un Musulman d'épouser une scriptuaire. Etant fondateur d'une nouvelle religion, le Prophète (b.s.) devait laisser des exemples de conduite servant de base à la législation des générations futures et permettant de trancher toutes les situations.

1) XXIII — Les croyants — 5 à 7.

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة المؤمنون

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧

2). Al-Zarkashï — Al-Idjaba — Ibid P. 172.

3) IV — Les Femmes — 3

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة النساء

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ

De même en ce qui concerne la "idda", période de continence d'une femme enceinte dont le mari est mort,, 'AbdAllah Ibn 'Abbas assurait que cette période se terminait par la date la plus éloignée, que ce fut les trois mois de 'idda ou l'accouchement. Abu Salama et Abu Hurayra affirmèrent qu'elle se terminait par l'accouchement. Ils demandèrent à Om Salama épouse du Prophète (b.s.) ce qu'elle en pensait, elle soutint leur point de vue et mentionna les prescriptions du Prophète (b.s.) concernant ce sujet :

"Subay'a al-Aslamiyya mit au monde son enfant très peu après la mort de son mari. Le Prophète l'autorisa à se remarier".(1).

Les épouses du Prophète (b.s.) rapportèrent à la postérité un très grand nombre de traditions puisqu'elles étaient les personnes les plus proches du Prophète, (b.s.) elles avaient plus que toute autre l'occasion de rapporter les dires du Prophète (b.s.).

Elles rapportèrent également après la mort du Prophète (b.s.) tous les détails concernant la vie quotidienne du Prophète, (b.s.) même dans l'intimité. Abu Horayra racontait que celui que l'aube surprend souillé ne peut jeûner. Il revint sur ce point de vue lorsque 'Aisha affirma le contraire; le Prophète passait la nuit sans avoir entrepris le moindre rituel de purification, et le matin il jeûnait(2).

Elles corrigeaient parfois les traditions rapportees par d'autres; prenons à titre d'exemple cette tradition citée par Al Bokhari :

"La malchance existe dans trois choses : la maison, la femme et le cheval".(3).

En entendant cette tradition 'Aisha dit :

"Abu Horayra n'a pas tout entendu, il entra alors que le Prophète d'Allah disait : qu'Allah combatte les Juifs, ils disent : trois choses portent malchance, la maison, la femme et le cheval. Il a entendu seulement la fin de cette tradition".(4)

De même les épouses du Prophète (b.s.) avaient un très grand rôle en matière de fih. 'Aisha mère des croyants se spécialisa dans le droit et fut constamment consultée par la suite comme juriste même par les hommes les plus savants. 'Aisha affirma par exemple que le mariage temporaire "Nikah al-Mut'a" est illicite. Elle avança comme argument ce verset coranique

1) Tirmidhï — Sunnan — K — Nikah.

قالت أم سلمة رضى الله عنها :
« قد وضعت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بيسير ، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج »

2) Al-Zarkashï — Al-Idjaba — op. cit. p.112.

3) Bukharï — K — Nikah — B — 17

قال رسول الله ﷺ :
« الشؤم فى ثلاث : فى الدار والمرأة والفرس »

4) Al—Zarkashï — Al-Idjaba — op.cit. p. 113.

قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « لم يحفظ أبو هريرة ، أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم فى ثلاثة : الدار والمرأة والفرس ، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله » .

Par ce concubinage, le Prophète (b.s.) voulait réaliser une condition avantageuse pour les esclaves. Il avait déclaré que toute esclave qui donnerait un enfant à son maître, serait affranchie à la mort de ce dernier si, bien entendu, celui-ci ne le fait pas de son vivant(1).

Le Prophète (b.s.) recourut au concubinage pour créer un précédent. Ce fut alors une bienfait pour toutes les esclaves, ce qui amena une grande amélioration de leur sort puisqu'elles pouvaient ainsi devenir libres. Cette règle constitua un des moyens d'abolir l'esclavage dans l'avenir.

De même, une des causes de la polygamie du Prophète est que ses épouses devaient apprendre et enseigner les versets du Coran ainsi que toutes les autres prescriptions recommandées par le Prophète (b.s.)

> *(Souvenez vous des versets d'Allah et de la Sagesse qui vous ont été récités dans vos maisons).*(2)

Les épouses du Prophète (b.s.) avaient en effet un rôle très important. Le Prophète avait besoin d'être aidé pour la législation féminine, il y a des questions de la vie quotidienne sur laquelle une femme ne peut guère demander sans honte des renseignements aux hommes. Les femmes du Prophète (b.s.) faisaient fonction de jurisconsultes pour les femmes musulmanes. Les veuves du Prophète (b.s.) après sa mort furent considérées comme un groupe d'interprètes féminins de la plus grande autorité dans la communauté des Musulmans. Elles apportèrent beaucoup de détails précis concernant la législation féminine. Citons comme exemple cet incident rapporté par Al-Zarkashï. Ibn'Omar donnait ordre aux femmes qui faisaient le rituel de purification de défaire leurs nattes. Lorsque cet enseignement propagé par Ibn'Omar parvint à 'Aïsha, elle dit :

> *"Cet enseignement d'Ibn'Omar m'étonne beaucoup. Il ordonne aux femmes de défaire leurs cheveux pendant le rituel de purification. Pourquoi ne leur ordonne-t-il pas de se raser les cheveux. Je me purifiais avec le Prophète dans un même seau d'eau. Je passais la main mouillée sur les cheveux trois fois sans les défaire".*(3).

1) Al-Bayhakï — Sunan Kubra — Beyrouth — Dar Al-Sadir-1e Edition — 1355 h- Volume 10 — pp. 342 — 343.

﴿ هي مملوكة بحالها إلا أنه لا يجوز لسيدها بيعها ولا إخراجها من ملكه بشيء غير العتق وإنها حرة إذا مات ﴾ .

2) XXXIII — Les Factions — 34.

قال الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب :

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ

3) Al-Zarkashï — Alç-Idjaba — op. cit. p.111.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ

﴿ يا عجباً لابن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن ؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات ﴾ .

«La polygamie en Islam»

-2-

par Dr. Magda Mahmoud Salem

Safiyya fille de Huyay, juive de Khaybar, fut une des épouses du Prophète (b.s.) lui proposa soit de rejoindre sa tribu soit de l'épouser, elle choisit la seconde proposition. Le Prophète (b.s.) par ce mariage appliqua une nouvelle loi parmi les Musulmans : ils étaient autorisés à épouser des scriptuaires. De même, en l'épousant, Muhammad (b.s.) se réconciliait avec les vaincus.

Maymuna bint al-Harith, de la tribu 'Amir ibn Sa'Sa'a. C'était une veuve de trente six ans lorsque le Prophète (b.s.) épousa. Il s'était rendu à la Mecque en l'an sept de l'Hégire pour n'y rester que trois nuits comme l'avaient stipulé les clauses de la trêve d'Al Hudaybiyya. Le Prophète voulut par cette alliance créer une détente dans les rapports entre Musulmans et et Korayshites en s'alliant par ce mariage aux seigneurs de Koraysh, parents de Maymuna(1).

Le Prophète (b.s.) eut aussi deux concubines Rayhana et Maria toutes les deux esclaves, le Coran le lui avait autorisé explicitement.

> *(Ô toi, le Prophète! Nous avons déclaré licites pour toi les épouses auxquelles, tu as donné leur douaire, les captives qu'Allah t'a destinées).(2)*

Rayhana était une juive de la tribu médinoise, des Banou Kurayza. Elle revint au Prophète (b.s.) après la guerre et embrassa l'Islam avec quelque hésitation. Le Prophète (b.s.) lui proposa de l'épouser et de l'affranchir, mais elle refusa ne voulant pas se voiler comme les Musulmanes libres.

Quant à Maria, c'était une esclave chrétienne. Elle devint musulmane et fut la seule, à l'exception de Khadidja, à lui donner un fils. Ibrahïm, qui mourut en bas âge.

1) Ibn Hadjar Al-'Askalanï — Al — Isaba Fï Tamyïz-Al Sahaba — op. it. Volume 8 p.192.

2) XXXIII — Les Factions — 50. يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part V

Jumade Al Awal 1415 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Islam in foreign media

By : Magdi A. Bashaeer

Foreword : in this series important subjects by outstanding Muslim thinkers in current topics will be presented with comments and explanatory notes that indicate Islam's briliant image and its validity for all times and places.

This study is presented by Dr. Zaki Badavi, the principal of the Islamic college in London for many years. It begins with refuting the assumption that Islam's validity is restricted to the Meccans in the Arab peninsula. He assures the ethical as well as pragmatic features of Islam. He goes on to face certain difficulties made by well-known western scholars.

It was pointed out to the researcher that as Islam emerged in a primitive society going back 14 centuries, it's unlikely to have much more than local and historical interest. Its rellevance to humanity will be limited to certain cultural and geographical environments. Pondering the prophet's life, his birth and growth of his mission, it was realised that Islam has come to a tribal society. Consequently outsiders were enemies. Therefore, life, property and honour here respected only within the tribe; but these were a game in tribal interrelations. As for their belief system, it was no less chaotic than their social order. They were polytheists. They worshipped the wind, lightning, the sea, the stars, the sun and the moon. In addition to major natural forces, they worshipped prominent physical objects like mountains and big trees. Though all tribes recognized Allah as supreme God they thought of him as too remote to listen or to be interested in their affairs. Their tribal gods were closer to themselves and more concerned in their own daily matters.

When the prophet's first call was that there's no God but Allah and that Muhammad is his messenger, his mission then emphasized God's Uniqueness, Oneness, Omnipotence, Omnipresence and Omniscience. All other Gods were only names devoid of true meaning. They were ineffective, incapable and insignificant.

Inspite of being reasonable and cordial, he was strongly resisted because of the, (as expressed by the researcher) theological connotation of his mission and its sociological implications. In reality, to abolish the tribal Gods meant, in effect, to abolish the tribe itself and to bring down the barriers that made life and property sanctified only through blood relations. It also meant that men and women of all tribes and of all races would have the same sanctity and be accorded the same respect in the newborn order. Further more, fear of the physical as well as natural forces was diminished. This is due to the fact that they were nothing but tools in the hands of God Almighty. These fundamental and revolutionary concepts are the foundations of Islamic system of ethics about which more reflections will be given.

To be continued.

no will power and therefore has no self-knowledge. He is a string puppet in the hand of a tyrannt God who moves him however and whenever He wishes. Accordingly a Muslim, as those people may claim, is a man who is subdued and has to tolerate and bear whatever is determined and destinied for him.

To make matters worse, some of the authors of those textbooks have formed their opinions on the basis of this mis-conception and biased mis-interpretation of Islam. They have regarded it as a proof to the backwardness of Mulims in the whole world. The following is a quotation from a geography book :

"Islam means man's submission and surrender to the will of God this is the reason why Muslims are ranked among the underdeveloped peoples of the world".

This apparent biasness against Islam and Muslim depicts — Allah the Almighty — as tyrant and unfair (May Allah forgive us) and that man is the one subjected to this injustice and tyranny.

In the articles to follow, we will continue to cite other examples given in European textbook relating to Islam.

• The writer, Abdel Gawuad Fallatouri is a professor, University of Cologne and Director of the Islamic Scientific Academy.

• Asmaau Allah al Husnaa are ninety-nine attributes that are confined only to Allah the Almighty.

program to study information about Islam included in German and European textbooks.

In the forthcoming arthicles stereotypical biasness against Islam common in the European textbooks will be provided.

* * * *

In has already been mentioned that biasness and pre-judgements passed against Islam and found in Western Europe's textbooks eventually create a negative image of Islam in general. This false image is then firmly established and holds to the minds of pupils as long as they live.

Authors of European textbooks often start their books with the fact that Islam and Christianity being two unified religions — adopt similar attitudes as regards the question of Allah — the Almightly. The reason why the question of Allah has been selected is to unravel the viciousness and falsification behind the desire to picture Allah eventually and indirectly as harsh and cruel. As previously illustrated by the test given to the pupils at a German school, European textbooks do not deal with the question of the Existence and Oneness of Allah the Almighty but rather with the question regarding the relationship between Allah the Almighty and Man.

Because Man plays a major role in European beliefs and thought, it is therefore believed that everything must be at man's service.

From this prevailing thought in the west a person may shift to the meaning of Islam and came out with the following conclusion stated in some textbooks.

"Islam does not mean peace or a state of peace or whatever similar," "Islam means submission to Allah's will. Muslims in Islam are those who submit to Allah's will".

Accordingly, the question of Allah and Divinity to the characteristic feature of Islam.Everything is related to Allah, and everything and man in particular is at the service of Allah.

This definition may appear to provide an interpretation of Islam that raises no doubts about it. It indicates that Islam involves a mutual relationship between Allah and man, to the extent that some Muslims in Europe have adopted this opinion.

Taking into consideration what the authors of those textbooks conclude from these false judgements about Islam, we immediately realize the viciousness behind them. This interpretation of Islam — for instance — indicates that there is a wide gap that can by no means be bridged — between Allah and man. There is on the one hand, a tyrannt ruling God, and on the other hand, at a distance from Allah stands man who is subjected to His tyranny. Man is expected to submit, surrender and obey blindly the will of God. What actually relate between these two parties is the desire of Allah to control and dominate and the fear and submission of man.

How did such false thoughts and malicious misconception about the relationship between Allah and man and also about Islam — in general, emerge?

Obviously, the authors of those textbooks based their concepts on the linguistic lexical meaning of "'aslama" which denotes a relationship between a victorious party and a defeated party. The defeated should submit and surrender to the will of the victorious and obey him blindly. This leads to an extremely dangerous conclusion, namely, the emergence of a certain discrimination between each and every Muslim and a European; when the two are compared it becomes clear then, that the Muslim is a man with

ISLAM IN WESTERN EUROPE'S TEXT BOOKS PART (1)

Written by : Abdel Gawwad Fallatouri
Translated by Dalal El Gemei

A distorted image of Islam predominates public and cultural circles in the west. Such an image can be discerned by any Muslim who is well read in his religion. Western mass media has played an active role in distorting the image of Islam. This has widened the gap of disagreement and dissension between Muslims and Christians.

This distortion has not been confined only to an erroneous and false portrayals of some Islamic phenomena however, it has gone further to involve Islam as a whole. This distorted image results from several religious, cultural, historical and social phenomena. All of which are mis-interpreted by the west so as to create a biased and negative image of Islam in general.

No doubt there are particular objectives behind the desire to picture Islamic creed in western concept as backwarded and rigid in comparison to western beliefs which are brightly portrayed. The comparison becomes apparent when discussing topics such as: Divinity, Holy Quran, the prophet Muhammad may Allah's peace and prayers be upon him, the nation, etc.

To avoid abstract terms and generalisations, I would like to illustrate this point by giving a concrete example.

A year ago, a teacher at one of Germany's primary schools tested nine to ten-year old pupils to find out their opinions about Islam. She made an extract from one of the books I wrote about the most beautiful ninety-nine names of Allah ('Asmaau, Allah al Husnaa)*. She copied these names on a piece of paper but without writing them in order and without mentioning the Islamic reference or source from which they have been extracted. She made several copies of this paper and distributed them among the pupils. She then said to them:

"On this paper you will find various names of Allah. Underline the names of Allah in christianity with a particular colour and with a different colour underline the names of Allah in Islam..."

The teacher had deliberately refused to tell the pupils that all the names given were names of Allah in Islam.

What did these children do? Quite expectedly, the majority of the students interpreted the names indicating mercy, forgiveness, peace and love as Christian names, whereas those denoting harshness and ruthlessness were interpreted as Islamic names.

This horrifying experiment demonstrates the extent of biasness against Islam. It shows how malicious and partial judgements about Islam are carefully planned at the very early stage of primary education. The Islamic scientific Academy based in cologne has discoevered in the eighties that this distorted and false image of Islam originates from and is firmly established in school education, especially textbooks. The Academy, therefere, launched a country (Germany)-wide program, then a continent wide

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part V

Jumade Al Awal 1415 Higrah - October, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1 — Islam in Western Europe & text books Part (1)

Translated by: Dalal El Gemei

2 Islam In Foreign media
by. Magdi A. Basheer

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

- الافتتاحية (الإسلام ومنهج المؤمنين بالله)
 د/ على أحمد الخطيب ٥٦٩
- مع سورة المجادلة
 د/ عبدالجليل شلبى ٥٧٢
- العمل بسهم المؤلفة قلوبهم
 د/ عبدالله نجيب محمد ٥٧٦
- قبس من أنوار النبوة
 بالنية يكتب لك أو عليك ما لم تفعل
 فضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٥٨٠
- لماذا يدرس الغرب ؟
 أ./ محمد محمد عتريس ٥٨٣
- أدب الحوار فى الإسلام
 لفضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان ٥٩١
- حول حوار طاهر بن جلون
 أ. د/ محمد ابراهيم الفيومى ٥٩٧
- رحمة الله للرحماء
 لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود
 عبدالفتاح ٦٠١
- ستمائة عام من الإسلام فى يوجسلافيا
 أ./ عبده حسن التناغى ٦٠٥
- الهجرة والمشكلة السكانية
 أ./ هشام مخلوف ، د/ يوسف محجوب ... ٦٠٩
- الفتاوى
 إعداد الأستاذ/ عبدالمنعم فوده ٦١٣
- من أعلام الأزهر
 (الشيخ سيد بن على المرصفى)
 أ./ أحمد مصطفى حافظ ٦١٥
- الشعر والشعراء
 يا أزهر الخير ، ا/ رشاد يوسف ٦٢٢
 إلامَ نظَل نرتقب ، ا/ شوق محمود
 أبو ناجى ٦٢٤
 أمنية ، ا/ جليلة رضا ٦٢٦
 إلى الأخت المسلمة ، أ./ ملك
 حفنى ناصف ٦٢٧
- العلوم الكونية
- التأصيل الإسلامى لعلم الوراثة
 أ. د/ أحمد فؤاد باشا ٦٢٨
- جراحة الأنف والأذن والحنجرة
 أ./ حسنى عبدالحافظ ٦٣٤
- الحمى الروماتيزمية (٣)
 د/ جيهان أحمد مصطفى حافظ ٦٤٢
- الجديد فى العلم والتقنية
 د/ نجوى السيد أحمد ٦٤٥
- طرائف ومواقف
 ا/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٦٤٨
- من روائع الماضى (إسقاط الأحكام الشرعية بالتحايل ممنوع ، للشيخ/ عبدالله المراغى
 إعداد أ./ عبدالفتاح حسين الزيات ٦٥٠
- اللغة والأدب والنقد
- فضل اللغة العربية
 د/ أحمد عبده عوض ٦٥٦
- ملاحظات على كتاب تطبيق الشريعة (٢)
 أ. د/ على أحمد مرعى ٦٦٣
- حول كتاب الغزو الثقافى
 (للأستاذ الدكتور/ محمد سيد محمد)
 عرض ونقد/ د. محمد عبدالحكيم محمد ٦٧١
- حول كتاب التربية النفسية
 عرض الأستاذ/ عبدالسلام ناصف ٦٧٨
- بين المجلة والقارىء
 د/ محمد عبدالحكيم محمد ٦٨٢
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
 الأستاذ/ عمر البسطويسى
 الأستاذ/ مصطفى عبدالمجيد ٦٩٠
- حوار مع رئيس وفد جنوب افريقيا ٦٩٧
- على هامش المؤتمر الدولى للسكان
 للأستاذ/ عمر البسطويسى على ٧٠١
- القسم الفرنسى ٧١٤
- القسم الانجليزى ٧١٩



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي غفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير.. ادارة الأزهر

بالقاهرة

ت ٥٩٩٠٦٣٨ - ٥٤٧٣٩٠

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

«ألف باء»

علم الحديث

لا شك أن بعض الناس يقلقه ـ جداً ـ أن يعارض أفكاراً سخيفة ..!

أفكاراً مروحية لها جاذبية القرن الحادى والعشرين ... حيث لا قيود ولا حدود .!

تُرى : لماذا القلق ..؟

أغلب ظنى أن مَرَدَّ هذا القلق الشعور بأن مصادمة هذه الأفكار تعنى وضع معارضها فى قائمة الرجعيين والمتزمتين ... وما شئت من ألقاب تمنح بسخاء لطبقة محافظة أمينة على هذا الدين .

لا بأس ..!

كل امرىء بما كسب رهين ..!

غير أن من العسير ـ جداً ـ أن نرفض حديثاً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسبب هذه الأفكار ! كذلك من السخف ـ جداً ـ أن نقبل فيه حكما لم يستوعب أوضاعه العلمية ..

تلك الأوضاع التى هى « ألِف .. باء » علم الحديث الشريف .. وهى نفس الأوضاع التى تخطاها مُدَّعِى « ضعف حديث ختان البنات » ..!!

ولو كان الحديث « موضوعاً » حَدَّث به من يكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لانتهى الأمر ، فكيف ، وهو صحيح بشواهده ، قوى برواياته ..!

ذكر الشيخ الألبانى الحديثَ بكتابه « صحيح الجامع الصغير وزيادته » وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للخاتنة : « اخفضى ولا تنهكى ؛ فإنه أنضر للوجه ، وأحظى عند الزوج » ثم قال : « رواه الطبرانى والحاكم عن الضحاك بن قيس . حديث صحيح » ا هـ .

كذلك للحديث أكثر من رواية ، وأكثر من شاهد ، يعضد بعضُهُ بعضاً ، ذُكِرتْ جميعُها تفصيلًا بكتاب : « سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشىء من فقهها وفوائدها » للشيخ محمد ناصر الألبانى ، ومنها طريق حَسَّنَها الإمام الهيثمى ـ رحمه الله ـ مما جعل الشيخ يقول :

« وبالجملة ؛ فالحديث ـ بهذه الطرق والشواهد ـ صحيح . والله أعلم . » .

هكذا قضى العِلْمُ بقواعِدِهِ على هذا الحديث ؛ فكان مجازفة ـ أية مجازفة ـ أنْ يقال : ضعيف .

ثم بعد ، فقد قال ـ عز من قائل ـ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء ـ ٨٠

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر ـ ٧

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة النور

* * *

كذلك ، ليس من العِلْم فى شىء أن يُرَوَّج لهذا الباطل بقول قائل :

ليس فى سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه ختن بناته ـ رضوان الله ـ تعالى ـ عليهن . ذلك لأنه ليس فى سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً : أنه لم يختنهن .

ويعنى ذلك أن « السيرة النبوية » بشأن الختان لم تتعرض له بنفى ولا إثبات . وكان لزاماً على القائل ـ إزاء هذه القضية ـ ألا يطرق (مصدراً) لم يتعرض لقضيته أصلاً ، وكان عليه أن يجاوز « السيرة » إلى الحديث والفقه ليرى أمر قضيته إن كان يطلب علما .

ثم ماذا يضير تزويد البنت طاقة تعينها على العفة والتزام الطريق المستقيم ؟!

هل من إجابة شافية ... ؟!!

د. على أحمد الخطيب

مع



جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

سماحة الإسلام في القرآن

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر الشريف

من معانى مادة (سمح : سماحة) أى : جاد وأعطى ، وأهل التسامح : أهل الاتساع ، ومنه يقال : « فى الحق مسمح » أى : متسع ومندوحة عن الباطل ، وبهذا الاعتبار تواردت آيات كثيرة فى القرآن تعبر عن وجوه سماحة الإسلام .

من ذلك أن القرآن لم يقف من الأديان السماوية السابقة موقف تحدٍ وجحود ، وما كان له أن يقف مثل هذا الموقف ؛ لأنه جاء استكمالاً لرسالة وشرائع الرسل السابقين ، وجميعها مع الإسلام من مشكاة واحدة تفيض بالنور والهدى ؛ لأنها رسالات الله إلى الناس ، وجاء الإسلام خاتماً مستكملاً ما تحتاجه البشرية تبعاً لتطورها فى العلوم والمعارف والسلوك والأخلاق ، ومن ثم كان تقرير الله فى القرآن الإيمان أصلاً من أصول الإسلام على الوجه الذى جاء فى الآية التالية من سورة البقرة :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ سورة البقرة

فالإسلام الذى يقرر كتابه هذا المبدأ لا يُكْرِهُ الناس على أن يدخلوا فى حوزته ؛ بل يقرر القرآن فى سورة البقرة أنه . ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ الآية : ٢٥٦

ويرسم فى سورة النحل أسمى وسائل الدعوة إلى الله بقوله ـ تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

الآية : ١٢٥

فإذا كانت الدعوة متعلقة بأهل الكتاب وجه القرآن المؤمنين إلى مزيد من الرفق وإظهار المودة وحسن المجادلة والحوار نجد هذا فى قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة العنكبوت :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الآية : ٤٦

وإذا نظرنا إلى شريعة الإسلام نجد أنها قد اشتملت على أحكام توثق علاقات الناس فى المعاملات ونظام الأسرة والمواريث والوصايا .

ولقد توخت هذه الشريعة العدل فى توزيع التركة ، وحالت بما صنعت دون تجمع الثروة فى أيد قليلة مثلما تقرره بعض القوانين التى تخص الابن الأكبر ـ وحده ـ بجمع التركة ، وتحرم الآخرين من الأبناء والبنات ، ونظم الإسلام الوصايا بما يكفل لصاحب الأموال أن يوصى من ماله بما لا يزيد على ثلث كل تركته ، وأقام الإسلام نظام التوريث على معايير القرابة والمصاهرة ، وليقرأ من يشاء آيات المواريث فى (سورة النساء) ليجد فيها حكم الإسلام الذى يمثل العدل المطلق فيما شرع .

ثم ها هو القرآن يورد مثلاً للمروءة التى هى من صنوف السماحة ، فيقص علينا موقف موسى ـ عليه السلام ـ حين ورد ماء مدين كما جاء فى (سورة القصص) فيقول الله ـ سبحانه :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

هذه المروءة التى تمثلت فى تقديم موسى ـ عليه السلام ـ معونته إلى هاتين المرأتين اللتين وقفتا بعيداً عن مورد الماء حتى ينتهى التزاحم عليه . فسقى لهما .

هذا الصنيع جاء به القرآن ليكون نموذجاً لتقديم العون من كل قادر إلى كل محتاج . وها هى سماحة الإسلام تمتد بالإحسان إلى اليتيم ، وإلى الوالدين والأقربين والمساكين وابن السبيل .. نرى هذا صريحاً واضحاً فى الآيات التالية :

ففى سورة البقرة قول الله سبحانه :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ ﴾ الآية ٢١٥

وفى سورة الإنسان :

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

الآيتان : ٨ ـ ٩

وفى سورة البلد :

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

وفى سورة الفجر :

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

الآيتان : ١٧ ـ ١٨

وغير هذا من الآيات البينات التى تفيض سماحة ومودة ومروءة وإحساناً مساندة للمجتمع الإسلامى المتكافل المتعاون على البر والتقوى .

وهو يعرض على المجتمع الإنسانى المعاصر صنوفاً من سخاء وكرم السابقين من المرسلين ؛ فيتحدث عن قِرَى الضيف ويمتدح ذلك بطريق الإشارة .

ففى سورة الذاريات :

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾

الآيات : ٢٤ ـ ٢٧

وهذا نداء من الله ـ سبحانه ـ بوجوب إكرام الضيف الطارق ، وإن كان غير معروف .

ومن هنا كان حث الإسلام ـ أيضاً ـ على الإحسان إلى ابن السبيل أى المسافر وإكرامه ، ومن سماحة الإسلام مرونة قواعده ؛ إذ أنه باعتباره الدين الخاتم ، فصل بعض الأحكام التشريعية وأجمل الأخرى فى قواعد تتسع لاحتواء كل الواقعات التى تَجِدُّ وتحدث فى كل زمان ومكان .. حتى لا يقع الناس فى الحرج ، ولا تضيق عليهم المسالك .

وقد كان القرآن واضحاً فى تقرير ذلك ففى (سورة المائدة) قول الله ـ سبحانه :

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ الآية : ٦

وفى سورة الحج :

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الآية : ٧٨

إن علينا نحن المسلمين أن نسعد بهذه السماحة فى عقيدة الإسلام وشريعته ، وأن نفيض بها على أنفسنا وعلى الناس ، فلا نغلو فى الدين ولا نضيق ما وسعه الله ؛ فإن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر .

القبض في الصلاة أرجح
ولا حرج في السدل

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ ... جاد الحق على جاد الحق ... شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بحث فى أربع وثلاثين صفحة من القطع المتوسط وموضوعه حكم السدل والقبض فى الصلاة تحت عنوان (مشروعية ترك القبض فى الفرض أرجح من مشروعية القبض) وجاء فى صدر البحث (ولكن السدل غير فعل لم يبوب المتقدمون له فى كتبهم ، ولم يطلبوا عليه دليلًا ؛ لأنه حاصل بنفسه ، فطلب الدليل عليه من تحصيل الحاصل وهو عبث ، ولكون القبض فعلا يحتاج للدليل بوّب المتقدمون له ، وطلبوا الأدلة عليه ، فمن صلحت عنده تلك الأدلة أخذ به ومن لم تصلح عنده تلك الأدلة لم يأخذ به وتمسك بالأصل الذى هو السدل الثابت بالسنة وبالإجماع ..

وقد اعتمد الباحث صاحب هذا البحث على الأحاديث الدالة على القبض وحصرها فى ستة أحاديث مروية عن ستة من الصحابة هم :

(سهل بن سعد الساعدى فى الموطأ والبخارى) و (وائل بن حجر فى مسلم وأبى داود والنسائى) و (ابن مسعود فى أبى داود والنسائى وابن ماجة) و (على كرّم الله وجهه فى أبى داود) و (هلب الطائى فى الترمذى) و (أبو هريرة رضى الله عنه فى أبى داود) .

ولقد أورد الباحث الأحاديث الستة كما أورد على كل منها طعنا أو علة أو وقفاً أو إرسالًا وأضاف أنه لم يجد فى هذه الأحاديث المطعون عليها دليلًا على القبض متخذاً من تلك الطعون سنداً للقول بأرجحية الإرسال على القبض بالرغم من أنه نوّه كثيراً بأقوال الفقهاء الذين يثبتون القبض ومنها ما جاء

فى حاشية البنانى رحمه الله :

قال المسناوى : وإذا تقرر الخلاف فى أصل القبض كما ترى وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾

وقد وجدنا سنة رسول الله ﷺ حكمت بمطلوبية القبض بشهادة ما فى الموطأ والصحيحين وغيرهما من الأحاديث السالمة من الطعن ، فالواجب الانتهاء إليها والوقوف عندها والعمل بمقتضاها ، أ. هـ. ولم يكتف الباحث بما أكده البنانى فيما ذكره بل قال ما نصه :

فلا يخفى ما فى هذا القول من القصور الواضح ، وعلل ذلك بقوله : لأن الأحاديث فى الكتب التى ذكرها العلامة البنانى لم يسلم منها واحد من الطعن) .

وينتهى الباحث إلى ما نصه (فالواجب ترك ما لم يثبت بذلك عن النبى ﷺ والتمسك بالأصل وبراءة الذمة وهو ترك أىّ فعل باليدين لم يثبت بما لا مطعن فيه وإنما يقرّهما فى موضعهما الطبيعى ، كما جاء هذا فى حديث أبى حميد فى صفة صلاة النبى ﷺ) .

ثم يعود الباحث ويذكر على صفحة ٢٧ ما نصه : (فتحصل من داخل المذهب المالكى ومن خارجه أن أصحاب مالك على السدل وهى الحالة الأولى ...

الثانية : استحسان القبض فى الفرض والنفل معاً ، الثالثة : إباحته أى من شاء قبض ومن شاء ترك ، الرابعة : منعه وهى رواية العراقيين) .

ورغم نقل هذه الأقوال الواضحة فى مذهب الإمام مالك فإن الباحث لم يكتف بواحد منها بل أصرّ على أن يصل بالأمر إلى أرجحية السدل على القبض دون أن يورد مبررا لهذا الإصرار لأن المسألة خلافية ومن قال من الفقهاء بالقبض لم ير فى تركه خللاً بالصلاة) .

ثم أورد فى آخر صفحة من بحثه هذا قوله :ـ

(ومما تقدم يتبين لمن أنصف وبالأدلة الواضحة أرجحية مشروعية السدل على مشروعية القبض فى الفريضة) .

هـــذا :

وقد تتبعنا مسألة القبض بوضع اليد اليمنى على اليسرى أثناء القيام فى الصلاة عند قراءة الفاتحة والسورة ـ وحكم ذلك ـ فى كتب الحديث والفقه ، وظهر أنه قد وردت أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ وصح عنه فعل القبض فى الصلاة ، نختار منها ما يلى :

أولاً : عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ قال : (كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة) . « قال أبو حازم لا أعلمه إلا أن يَنمِى ذلك إلى النبى ﷺ وهذا حديث صحيح[1] »

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان باب وضع اليمنى على اليسرى حـ ٢ ص ٢٢٤ ط مكتبة الغزالى بدمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ببيروت .

وأخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب « قصر الصلاة فى السفر[٢] » .

ومعنى « يَنْمِى ذلك أى يرفعه إلى النبى ﷺ .

ثانياً : عن وائل بن حجر ـ رضى الله عنه ـ أنه رأى النبى ﷺ رفع يديه حين دخل فى الصلاة كبّر ثم التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال (سمع الله لمن حمده) رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه) .

وهذا حديث حسن صحيح[٣] .

ثالثاً : عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ ﷺ قال : إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل فطرنا ونؤخر سحورنا ونضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة) .

وهذا حديث صحيح[٤] .

رابعاً : عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ (أنه كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى) وهذا حديث صحيح[٥] .

خامساً : ومن الأحاديث التى لم يذكرها الباحث ما روى عن عمرو بن حريث رضى الله عنه قال : (كان النبى ﷺ يضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة) وهذا حديث صحيح[٦] .

وإذا نظرنا فيما ثبت من أقوال الأئمة والمفتين والفقهاء وأهل السنن ظهر ما يلى :

أولاً : قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ السُنّة بعد التكبير حط اليدين ووضع اليمنى على اليسرى فيقبض بكفه اليمنى كوع اليسرى وبعض رسغها وساعدها .

قال القفال : ويتخير بين بسط أصابع اليمنى فى عرض المفصل وبين نشرها فى صوب الساعد ثم يضع يديه كما ذكرنا تحت صدره وفوق سرته على الصحيح وعلى الشاذ تحت سرته[٧] .

ثانياً : جاء فى الروضة الندية شرح الدرر البهية[٨] (والضم لليدين أى اليمنى على اليسرى حال القيام إما على الصدر أو تحت السّرة أو بينهما ، ثبت بأحاديث تقارب العشرين فى العدد ، ولم يعارض هذه السنن معارض ولا قدح أحد من أهل العلم بالحديث فى شىء منها ، وقد رواه عن النبى ﷺ نحو ثمانية عشر صحابيا حتى قال ابن عبد البر : إنه لم يأت فيه عن النبى ﷺ خلاف .

وفى « تنوير العينين » (أن وضع اليد على الأخرى أولى من الإرسال ؛ لأن الإرسال لم يثبت عن

(٢) باب وضع اليدين احدهما على الاخرى فى الصلاة جـ ١ ص ١٥٩ ط الحلبى .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة باب وضع يده اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام جـ ٤ ص ١١٤ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) أخرجه الطيالسى والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير رقم ٢٢٨٢ .

(٥) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢ ص ١٨٨ ط دار الحديث .

(٦) أخرجه البيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير رقم ٤٨٥١ .

(٧) روضه الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووى جـ ١ ص ٢٣٢ ط الثانية المكتب الإسلامى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

(٨) لصديق خان جـ ١ ص ٩٧ .

النبى ﷺ ولا عن أصحابه بل ثبت الوضع بروايات صحيحة ثابتة عن النبى ﷺ وعن أصحابه(رضى الله عنهم) .

ثالثاً : قال الإمام البغوى فى شرح السّنة: والعمل اليوم على هذا عند عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم لا يرون إرسال اليدين ..)

ثم منهم من يقول:يضع يده اليمنى على اليسرى ومنهم من قال : يأخذ كوعه الأيسر بكفه الأيمن وبه قال الشافعى .

ورأى بعضهم وضعهما فوق السّرة وبه يقول الشافعى .

ورأى بعضهم أن يضعهما تحت السّرة وهو قول أصحاب الرأى(٩) .

وأما حكم القبض عن الإمام مالك : فكِره مالك فى الفرض وأجازه فى النفل ، ذكر ذلك فى المدونة الكبرى للإمام مالك برواية سحنون(١٠) .

وروى ابن القاسم عن مالك الإرسال وصار إليه أكثر أصحابه ،وعنه التفرقة بين الفريضة والنافلة،ومنهم من كره الإمساك .

ونقل ابن الحاجب أن ذلك حيث يمسك معتمد القصد الراحة(١١) .

رابعاً : المسألة فى سبل السلام : قال الصنعانى معلقا على رواية وائل وقد ذكرها الباحث على صفحة ١٢ : والحديث دليل على مشروعية الوضع المذكور فى الصلاة ومحله على الصدر كما أفاد هذا الحديث ..

وقال النووى فى المنهاج: ويجعل يديه تحت صدره .. »

وقد ذهب إلى مشروعيته زيد بن على وأحمد بن عيسى وقد روى أحمد بن عيسى حديث وائل هذا فى كتابه الأمالى وإليه ذهبت الشافعية والحنفية ، قال ابن عبد البر: لم يأت عن النبى ﷺ فيه خلاف وهو قول جمهور الصحابة والتابعين(١٢) .

خامساً : المسألة فى بدائع الصنائع(١٣) : وأما الذى يؤتى به بعد الفراغ من الافتتاح فنقول:إذا فرغ من تكبيرة الافتتاح يضع يمينه على شماله والكلام فيه فى أربعة مواضع أحدها فى أصل الوضع ، ثم قال :

أما أصل الوضع ، قال عامة العلماء إن السّنة هى وضع اليمين على الشمال وقال مالك:السنة هى الإرسال،وجه قوله أن الإرسال أشق على البدن والوضع للاستراحة .

(٩) شرح السنة للبغوى ـ تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط جـ ٣ ص ٣٢ ط المكتب الإسلامى .

(١٠) جـ ١ ص ٧٦ ط دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م .

(١١) ذكر ذلك ابن حجر ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ كتاب الأذان باب وضع اليمنى على اليسرى ـ جـ ٢ ص ٢٢٤ ط مكتبة الغزالى دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

(١٢) سبل السلام جـ ١ ـ السنة وضع اليدين على الصدر فى الصلاة .

(١٣) جـ ١ ص ٢٠١ فصل فى سنن الصلاة .

سادسا : المسألة فى الفتاوى الهندية[١٤] : قال سننها رفع اليدين للتحريمة ونشر أصابعه وجهر الإمام بالتكبير والثناء والتعوذ والتسمية والتأمين سرا ووضع يمينه على يساره تحت سرته ..

سابعا : المسالة فى المغنى[١٥] قال:ثم يضع يده اليمنى على كوعه اليسرى وقال فى الشرح : أما وضع اليمين على اليسار فمن سننها فى قول كثير من أهل العلم يروى ذلك عن على وأبى هريرة والنخعى وأبى مجلز وسعيد بن جبير والثورى والشافعى وأصحاب الرأى ،وحكاه ابن المنذر عن مالك ، وظاهر مذهبه الذى عليه أصحابه إرسال اليدين وروى ذلك عن ابن الزبير والحسن .

ثامناً : المسألة فى حجة الله البالغة للدهلوى[١٦] ، قال : والهيئات المندوبة التى ترجع إلى معان منها تحقيق الخضوع وضم الأطراف والتنبيه للنفس على مثل الحالة التى تعترى السوقة عند مناجاة الملوك من الهيبة والدهش كصفّ القدمين ووضع اليمنى على اليسرى وقصر النظر وترك الالتفات .

تاسعاً : المسألة فى المجموع[١٧] قال المصنف رحمه الله :

(فإذا فرغ من التكبير فالمستحب أن يضع اليمين على اليسار فيضع اليمنى على بعض الكف وبعض الرسغ ... ثم ذكر :

فرع من مذاهب العلماء فى وضع اليمنى على اليسرى : قد ذكرنا أن مذهبنا أنه سنّة وبه قال على بن أبى طالب وأبو هريرة وعائشة وآخرون من الصحابة وسعيد بن جبير والنخعى وأبو مجلز وآخرون من التابعين وسفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وإسحق وأبو ثور وداود وجمهور العلماء قال الترمذى: والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وحكى ابن المنذر عن عبد الله بن الزبير والحسن البصرى والنخعى أنه يرسل يديه ولا يضع إحداهما على الأخرى وحكاه القاضى أبو الطيب أيضاً عن ابن سيرين وقال الليث بن سعد: يرسلهما فإن طال ذلك عليه وضع اليمنى على اليسرى للاستراحة وقال الأوزاعى:هو مخير بين الوضع والإرسال ، وروى ابن عبد الحكم عن مالك:الوضع وروى عنه ابن القاسم:الإرسال ...) .

لما كان ذلك :

وكانت مسألة كيفية وضع اليدين فى الصلاة قد استظهرت فى أقوال العلماء والفقهاء حتى استبانت بياتا شافياً ويمكن إجماله فى أربعة أقوال على الوجه التالى :

الأول : أن يضع المصلى يده اليمنى على يده اليسرى وهو اختيار جمهور العلماء من الحنفية والشافعية

(١٤) ج ١ ص ٧٢ الفصل الثالث فى سنن الصلاة وآدابها وكيفيتها .

(١٥) ج ١ ص ٥١٣ باب وضع اليد اليمنى على اليسرى ط دار الكتاب .

(١٦) جـ ٢ ص ٧ فى أذكار الصلاة وهيئاتها والمندوب إليها .

(١٧) جـ ٣ ص ٣١٠ فصل إذا فرغ من التكبيرة فالمستحب أن يضع اليمين على اليسار والدليل على ذلك .

والحنابلة ، وهو رواية مطرف وابن الماجشون عن مالك وقالوا : إنه السنة[١٨] مستدلين بما يلى :

(أ) ما رواه سهل بن سعد قال : (كان الناس يؤمرون أن يضع المصلى اليد اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة) قال أبو حازم : لا أعلمه إلا ينمى[١٩] ذلك إلى النبى ﷺ[٢٠] .

(ب) ما روى عن وائل بن حجر فى صفة صلاة النبى ﷺ أنه وضع يده اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعد[٢١] .

(جـ) ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : مرَّ بى النبى ﷺ وأنا واضع يدى اليسرى على اليمنى فأخذ بيدى اليمنى فوضعها على اليسرى[٢٢] .

الثانى : استحباب الإرسال وكراهية القبض فى الفرض ، والجواز فى النفل ، قيل : مطلقاً ، وقيل : إن طوّل ، وهذه رواية ابن القاسم عن مالك فى المدونة ، وإليه ذهب الشيخ خليل وشراح متنه كالدردير والدسوقى ، وعللت الكراهة فى الفرض بأن القبض فيه اعتماد على اليدين فأشبه الاستناد ، ولذلك قال الدردير : فلو فعله لا للاعتماد بل استناداً لم يكره ، ثم قال : وهذا التعليل هو المعتمد وعليه فيجوز فى النفل مطلقاً بجواز الاعتماد فيه بلا ضرورة .

الثالث : إباحة القبض فى الفرض والنفل وهو قول مالك فى سماع أشهب وابن نافع . وذكر الحطاب نقلا عن ابن فرحون : وأما إرسالهما (أى اليدين) بعد رفعهما فقال سند : لم أر فيه نصاً والأظهر عندى أن يرسلهما حال التكبير ليكون مقارناً للحركة ، وينبغى أن يرسلهما برفق[٢٣] .

هذا وقد ذكر عن الشافعية ما يؤيد قول المالكية إذ قال الشربينى ما نصه :

(والقصد من القبض المذكور ـ يعنى قبض اليدين فى الصلاة ـ تسكين اليدين فإن أرسلهما ولم يعبث فلا بأس[٢٤]) .

(١٨) بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٢ ص ٥٣٣ ط الإمام بالقاهرة ـ ومغنى المحتاج للخطيب الشربينى جـ ١ ص ١٥٢ ط دار الفكر ـ وكشاف القناع على متن الإقناع للبهوتى جـ ١ ص ٣٣٣ ط مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

(١٩) أى يسند ذلك ويرفعه .

(٢٠) سبق تخريجه .

(٢١) (عن وائل ابن حجر أنه رأى النبى ﷺ رفع يديه حين دخل فى الصلاة وكبر ثم التحف بثوبه ثم وضع اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه ثم رفعهما وكبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه فلما سجد سجد بين كفيه . رواه أحمد ومسلم وفى رواية لأحمد وأبى داود : ثم وضع يده اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعد) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢ ص ١٨٦ ط دار الحديث .

(٢٢) سبق تخريجه .

(٢٣) مواهب الجليل للحطاب جـ ١ ص ٥٣٧ ط مكتب النجاح ليبيا .

(٢٤) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع جـ ١ ص ١٣١ .

الرابع : منع القبض فيهما ، حكاه الباجى وتبعه ابن عرفة ولكن قال المسناوى : هذا من الشذوذ[٢٥] .

وإذا كان ذلك كان الأرجح اختيار الجمهور بأن يضع المصلى بعد الدخول فى الصلاة أو قبل قراءة الفاتحة يده اليمنى على يده اليسرى قابضاً على معصمها أو باسطاً أصابع اليمنى على الساعد الأيسر فى اتجاه الذراع فوق السرة أو تحتها على خلاف بين الفقهاء .

ومع هذا فإنه لا حرج على وضع القبض على هذه الصورة أو سدل الذراعين دون قبض إذ لكل وجهة ، وليس الخلاف فى ركن من أركان الصلاة وإنما فى بعض الهيئة فى الصلاة .

وعلى المسلمين أن يحذروا الخلاف فى مثل هذه الأمور ، وأن يعلموا أن اختلاف الفقهاء جاء رحمة بالمسلمين وصدق الله الذى علمنا فى القرآن : (... وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

(٢٥) حاشية الدسوق جـ ١ ص ٢٥٠ والمدونة جـ ١ ص ٧٤ ، وبداية المجتهد جـ ١ ص ١٣٧ ، والمنتقى شرح الموطأ جـ ١ ص ٢٨١ والزرقانى جـ ١ ص ٢١٤ .

مع سورة المجادلة

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾.

معنى يعودون لما قالوا : يعودون للذى قالوه ، أو يعودون فيما قالوه ، ويحتمل أحد وجهين ، يعودون فى كلامهم ، أو يعودون إلى الذى قالوا فيه هذا الكلام ، أى الظاهر منه ، ومؤدى الوجهين واحد ؛ لأنهم يعودون إلى الشىء الذى حرموه على أنفسهم ، بإبطاله والتصرف فيه بالرفع والإزالة .

وقد اختلفت آراء الفقهاء وأفهامهم فى هذا النص ، قال قوم : عاد إليه : أى أراد أن يفعله أو فعله مرة ثانية ، والجمهور على أنه عاد إلى نقضه ، على أن من ظاهر من زوجته مرة ثم ظاهر أخرى ولم يمسها لا يجب عليه ـ إذا أراد مراجعتها ـ إلا كفارة واحدة .

ورأى الشافعية فى هذا المقام لا يخلو من تعسف ؛ فقد قال الشافعى : إنه إذا ظاهر ومضى زمن يمكنه أن يطلق فيه ولم يطلق ، دل ذلك على أنه ندم على هذا التحريم ، وتجب عليه الكفارة ، وإذا أردف الظهار بالطلاق فلا كفارة عليه .

وقال الإمام مالك : العود هو العزم على وطء الزوجة ، وفسر آخرون العود بأنه الجماع ، وقال ابن عباس : العود هو الندم .

وعلى أى حال : لا يجوز له أن يعاشرها معاشرة زوجية إلا بعد الكفارة ؛ والآية صريحة فى هذا إذ قالت : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ .

والظهار منكر من القول وزور ، منكر ؛ لأنه شبه زوجته بأمه ، وأمه لها احترام الوالدية ، وزور ؛ لأن الزوجة ليست ، أُمًّا له ، وجاء فى سورة الأحزاب :

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ ﴾ .

والكفارة : عظة وتأديب ، وهى كما فى النص ثلاثة أنواع : أولها تحرير رقبة مؤمنة ، سواء كانت الرقبة عنده ، أو استخلصها من غيره ، والمراد تحرير الرقيق كله ، وخصت الرقبة بالذكر ؛ لأنها موضع الجامع الذى يقاد به الحيوان ، وذكر تحرير الرقيق من الكفارات للظهار وغيره عنوان تشوف الإسلام إلى الحرية ؛ فهو تقبّل الرق كضرورة حربية ، ولكن فتح له أبواب الحرية وهيأ لها منافذ كثيرة .

ومن لم يجد الرقيق الذى يحرره ، فكفارته صيام شهرين متتابعين ، فإن صام الشهر من أوله صام الشهر الذى يليه حتى ولو نقص أحد الشهرين يوما ، فحسبه أنه صام الشهرين ، ومن بدأ صيامه من غير أول الشهر فلا بد أن يصوم ستين يوما متتابعة ، وكلتا الكفارتين لا بد أن تكون قبل أن يمس زوجته : أى يجامعها .

ومن لم يجد رقيقا ، ولا قدرة له على الصوم فكفارته إطعام ستين مسكينا .

المراد بالمسكين : الفقير الذى لا يملك قوت عامه ، وليس منه من له راتب شهرى أو غير شهرى ، فهو لا يملك تحت يده قوت عام ، ولكنه يملكه تقديرا ؛ لأنه فى الوقت المحدد لصرف راتبه يتسلمه ويكتفى به حتى يأتى الموعد الثانى .

وقد ذكرت الآية فى تحرير الرقبة ، وصيام الشهرين قيد عدم التماس ، أى يؤدى هذه الكفارة .. من قبل أن يتماسا .. ـ ولم يذكر هذا القيد فى الإطعام ، فقال جمهور الفقهاء : إنه مفهوم مما ذكر قبله ، وقال بعض منهم : إنه يجوز للمظاهر الذى عزم على أن يكفر بالإطعام أن يباشر زوجته ، وتبقى الكفارة معلقة فى عنقه حتى يوفيها ، فإذا مات قبل وفائها فلا تخرج من تركته إلا إذا كان قد أوصى بذلك ؛ لأنه بموته انتقلت تركته إلى ورثته ، إلا ما يلزم لتجهيزه ، وإلا ما أوصى به إن كان وصية جائزة ، وإلا الدين الذى عليه ، وليس من ذلك كفارة الظهار ، ولا الحج الذى تركه وهو قادر عليه .

هذا : وأحكام الظهار مستفيضة فى كتب الفقه والخلافات فيها واسعة .

ذلكم توعظون به : أى وجوب الكفارة من أى نوع كانت ؛ لينزجر به المؤمنون عن هذا العمل ؛ فهو عقوبة ، وليس المراد أن يكون لهم به ثواب ، ولكن الغرامات زواجر عن الجنايات ، وحَسُنَ تذييل الآية بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ، أى هو عالم بظواهر الأمور وبواطنها وهو محاسبكم على أعمالكم ، فيقتضى ذلك المحافظة على حدود الله تعالى ـ والبعد عما حرمه ؛ تحاشيا لعقابه .

﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .

أى ما تقدم من الأحكام وسياق الكفارات ؛ ليحملكم على الإيمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه ، ولتدعوا ما كان عليه الجاهليون من اتخاذ الظهار أداة للطلاق ، فهو كذب وزور .

والخطاب للمؤمنين جميعا ، سواء فيه من كان موجودا عند نزول الآية ، ومن يأتى بعدهم .

وهذه هى حدود الله وعلاماته التى لا يجوز تعديها ومجاوزتها ؛ فيجب على كل مؤمن أن يقف عندها ، ومن تعداها فقد كفر بأحكام الله ، وللكافرين الذين يتعدون حدود الله عذاب أليم ، وقد يتعدى الشخص حدود الله وهو مؤمن به ـ سبحانه ـ مقر بوجوده ووحدانيته فهو ليس كافرا ، ولكن يطلق عليه اسم الكافر تغليظا ، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة آل عمران ٩٧

أى ومن لم يحج وهو مستطيع ، فسمى كافرا لعصيانه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

يحادون الله .. أى يعادون الله ورسوله ويخالفون أوامرهما ، وأوامر رسول الله ﷺ هى أوامر الله ؛ لأنه لم يكن ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحى يوحى ، وآثرت الآية ذكر المحادة على المشاقة والمعاداة ؛ لمناسبة ذكر حدود الله ، وأصله من وقوف المتحاربين كل فى حَدٍ وجانب غير الذى فيه الآخر ، وكل من خالف حدود الله وقوانينه فهو معادٍ له .

والأمم الإسلامية فى الوقت الحاضر تتبع قوانين وضعية تبيح ما حرمه الله ، وخصوصا كبائر الآثام من إباحة الربا والزنا ، ومن عصيان الله فى عبادته ومعاملات الناس ، ومن آثر قانون العباد الوضعى على قانون الله الشرعى فقد كفر ؛ لأن الله ـ سبحانه ـ أكمل دينه وقال :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة

فهو ـ سبحانه ـ رضى هذا الدين عبادات ومعاملات .. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . سورة آل عمران

ولا يمنع ذلك المسلمين أن ينسقوا قوانين فى حدود التشريع الإسلامى ، أو أن يسنوا عقوبات لم تذكر فى القرآن لرد المفسدين وإقامة العدالة بين الناس ، وليس فى ذلك خروج على قانون الإسلام ؛ لأن الإسلام شرع التعزير بجانب الحدود ، والتعزير متروك للإمام وللقاضى ، وقد

يكون تعذيبا أو حبسا أو قتلا ، فالهدف الأول منه هو استتباب الأمن وردع المفسدين ، وقد عاشت الأمة الإسلامية حينا من الدهر فى ظل القانون الإسلامى ، وكان الوعاظ ودعاة الدين يجبهون الخلفاء ويواجهونهم بأخطائهم ، ولا تقف عند أبى بكر وعمر بل حتى بعد القرن الأول الهجرى نجد الوعاظ يجبهون المنصور والرشيد وغيرهما من الخلفاء والولاة ... وكان كل مظلوم يذهب بظلامته إلى القاضى فيجد إنصافه ، ومنذ جارينا الغرب فى قوانينه وأخلاقه وعاداته ، فشت بيننا الرذائل وشاعت المنكرات ، فتعرت المرأة واختلطت بالرجال وتلاصقت أجسام يحرم الإسلام التصاقها ، وأسفرت وجوه يحرم الإسلام إسفارها حتى إن الزى الإسلامى الساتر لمفاتن الفتاة صار محرما ، أو على الأقل يحتاج إلى إذن وتصريح . سبحانك اللهم !! ، ولا غرو أن صبت علينا النكبات .

وكبتوا بمعنى : أُخْزُوا وذَلُّوا وأُهِينوا ، وفسره المفسرون بمعان أخرى متقاربة منها رُدُّوا مخذولين ، ومنها : أهلكوا ، ومنها : معان أخرى .

والآية دعاء عليهم ، كما فى قوله تعالى :

لعنوا ، ولعنهم الله ، كما لعن الأمم المخالفة لأنبيائها من قبل .

وقيل هى إخبار كما فى قوله تعالى :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

سورة المائدة

وكفارُ قريش ذلوا وأهينوا يوم بدر ويوم الأحزاب كما أهينت أمم سابقة من قبل ؛ بسبب عصيانها الأنبياء .

وقيل : هو فعل ماض بمعنى المضارع ، كما فى قوله تعالى :

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ .

فهم سيكبتون ويعانون الذلة والهوان ، وهى إذن بشارة للمؤمنين بالنصر على الكفار .

وفسر أبو عبيدة الكبت بأنه من الكبد ـ قلبت داله تاء ، وأصله « كبدوا » ، أى أصيبوا فى أكبادهم ، ويمكن أن يحمل هذا على المجاز ، فهو يعنى الذلة والهوان والإلقاء على الوجه .

﴿ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ .

وهذه الآية حال من ضمير الفاعل فى كبتوا وهو واو الجماعة ، أى أنهم استحقوا هذه ، الإهانة ؛ لأنا أنزلنا عليهم آيات بينات واضحات الدلالة ، لا ينبغى أن يعارضها أحد .

نزلت الآيات محاجة لمن حاد الله ورسوله ، وهؤلاء حادوا الله ورسوله بعد هذا الوضوح فهم يستحقون الكبت بكل معانيه .

﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

أى للكافرين بهذه الآيات ، أو بكل ما يجب الإيمان به أو آيات الله بوجه عام ـ عذاب مهين يذل كبرياءهم ، ويذهب بكرامتهم ـ فهذا وعيد وتهديد لمعارضى نبوة محمد ﷺ ومعاندى القرآن .



سبيل النجاة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .
(رواه أبو داود والترمذى وحسنَّه ، وأبو نعيم فى الحلية)

١ ـ ما النجاة : ما أسباب النجاة فى الحياة وبعد الممات ؟

٢ ـ أمسك : ـ وفى رواية أملك ـ والمراد : احفظه من الشر والزلل لا عن الخير .

الإسلام يدعو إلى الفضيلة ، ويحث على فعل الخير وصالح الأعمال والكلم الطيب الذى يدل على طهارة القلب .

واللسان من أخطر الجوارح على الإنسان ؛ فهو المعبر عما فى القلب من الإيمان ، وإن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح إنما هو اللسان ؛ فهو أخطرها أثراً ، وأكثرها ضرراً ، وأقبحها معصية ، إذا استقام استقامت الجوارح كلها وإذا فسد فسدت الجوارح جميعها .

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه البيهقى وابن خزيمة والترمذى ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا أصبح ابن آدم . فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان ـ أى تخضع وتذل ـ وفى رواية تفكر اللسان ، فتقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » .

لقد وجه الشارع الحكيم إلى العناية باللسان ، وحذر من عثراته وآفاته لخفة النطق به ، وقلة الجهد فيما يصدر عنه ، وشدة الخطر فيما ينجم عن استعماله من آثار ؛ فإنه آلة طيعة لإلحاق

الأذى بالناس ، أو إيصال الخير إليهم . ولذا قال الحكماء فيه : اللسان أمير البدن ، فإذا جنى على الأعضاء شيئاً جنت ، وإذا عفَّ عفَّت .

ولأهمية أمر اللسان قال الله ــ عز وجل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة / ٨٣.

والإيمان بالله يملأ قلب المؤمن نوراً وإشراقاً ، ويجعله موصولًا بربه ، مستحضراً لعظمته فى كل أحواله ، فيظهر أثر ذلك على اللسان ، فلا ينطق إلا بكلمات طيبة ترفع من شأن صاحبه وتسمو به عند الله وعند الناس .

قال ــ تعالى ــ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ... ﴾

[سورة إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥]

والإيمان باليوم الآخر يحمل صاحبه على أن يمسك لسانه عن السوء ، فلا يقول إلا خيراً ؛ فإن كل كلمة يقولها تحسب له أو عليه ؛ لأن الله يقول فى كتابه الكريم :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[سورة ق : ١٨]

ثم يجازيه ــ سبحانه ــ فى يوم تشتد أهواله ، وتتعاظم أموره وأحواله :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة آل عمران

وشأن المؤمن أن ينكر المحرم ، وإن عجز عن الإنكـــار فارق مجلسه إن أمكنـــه . قال الله ــ سبحانه :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

سورة الأنعام : ٦٨

وعلى المسلم أن ينتصر على شهوة الكلام . وأن يخزن عليه لسانه إلا من خير ؛ فإنه بذلك يغلب الشيطان ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . فكل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله ــ عز وجل ــ .

والمسلم الصادق يخزن لسانه إلا عن حق يوضحه أو باطل يدحضه ، أو حكمة ينشرها أو فتنة يخمدها . لا يقول زوراً ، ولا يتكلم بباطل . لا يغتاب أحداً ، ولا يجعل سيرة الناس موضوع حديثه . ليس بطغان ولا لعّان .

ولهذا كان أول أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة كما قال الرسول ــ ﷺ ــ فى حديث الباب : « أمسك عليك لسانك » .

أى : احفظه من الزلل ، فالتزم السديد من القول ، واحذر أن ينزلق لسانك لكذبة أو طعن فى الغير ، أو سباب أو شتم أو تكلم فيما لا يعنى . ورب كلمة من سخط الله قالها قائلها وهو لا يلقى إليها بالًا يهوى بها فى النار . وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم .

ثم قال : ﷺ : ــ « وليسعك بيتك » .

أى : اقض فيه أوقات فراغك من العمل ومن العبادة ، وبلزومك بيتك تتمكن من القيام بشئون أسرتك على خير وجه مما يضمن استقرار أسرتك وأولادك .. ويعود عليهم بالخير والنفع.. كما جاء فى الأثر : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

وما نحل والد ولداً خيرا من أدب .. وليحذر مجالس اللهو والفراغ . أو يخوض مع الخائضين فى القيل والقال . وفى كل ما يفسد على الإنسان إيمانه ، ويحبط أعماله . والمؤمن المستقيم هو الذى يتردد فقط على مجالس الذكر والخير وما يفيده فائدة تنفعه فى دينه ودنياه .

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد ؛ نتحدث فيها ، فقال رسول الله : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » متفق عليه .

وفى قول الرسول الكريم : « وابك على خطيئتك » توجيه حكيم من رسول رب العالمين للمؤمنين ، وإرشاد يشير إلى قوله ـ ﷺ ـ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ، وعلى ابن آدم أن يديم البكاء خشية من ربه وحزناً على نفسه ، فإن عين الباكى من خشية ربه لا تمسها النار ؛ كما جاء فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

وعن زيد بن أرقم ـ رضى الله عنه : « قال رجل : يا رسول الله ، بم أتقى النار ؟ قال : بدموع عينيك ؛ فإن عيناً بكت من خشية الله لا تمسها النار أبداً » ـ ابن أبى الدنيا والأصفهانى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب

خرَّج الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ « عن النبى ـ ﷺ ـ أن رجلًا سأله فقال : يا رسول الله ، أى الجهاد أعظم ؟ قال : أكثرهم لله ذكراً ، ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة كلًا ، ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول : أكثرهم لله ذكراً ، فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ : ذهب الذاكرون بكل خير . فقال رسول الله ـ ﷺ : نعم » .

وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال : « آخر ما فارقت عليه رسول الله ـ ﷺ ـ أن قلت : أى الأعمال خير وأقرب إلى الله ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » .

رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره .

وعلينا أن نراعى هذه النصائح النبوية ؛ فبذلك نجنب أنفسنا سخط الله وغضبه ، ونأمن شرور الناس . ونلقى ربنا آمنين .

والخير كل الخير لمن ملك نفسه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته ، وذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، وانتصر على شيطانه وهواه .

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال فيما رواه الترمذى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله ـ تعالى :

﴿ يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة﴾ .

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا إنه هو الرحمن الرحيم .

من قضايا الأحوال الشخصية ١

حكم للمحكمة الدستورية العليا

أقامت إحدى الزوجات دعوى أمام (محكمة الأحوال الشخصية) ضد زوجها طالبة الحكم بتطليقها منه إعمالا لنص المادة ١١ مكرر المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ إلى المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، وذلك لتضررها من زواجه عليها بأخرى ، وقد دفع الزوج بعدم دستورية هذه المادة ، فصرحت له (محكمة الموضوع) برفع الدعوى الدستورية أمام (المحكمة الدستورية) ، فأقامها .

وتنص المادة المشار إليها على أنه :

« على الزوج أن يقر فى وثيقة الزواج بحالته الاجتماعية ، فإذا كان متزوجاً فعليه أن يبين فى الإقرار اسم الزوجة أو الزوجات اللاتى فى عصمته ومَحَالّ إقامتهن ، وعلى المُوَثِّق اخطارهن بالزواج الجديد بكتاب مسجل بعلم الوصول ، ويجوز للزوجة التى تزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق منه إذا لحقها ضرر مادى أو معنوى يتعذر معه دوام العشرة بين أمثالهما ، ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى العقد ألا يتزوج عليها ، فإذا عجز القاضى عن الإصلاح بينهما طلقها عليه طلقة بائنة ، ويسقط حق الزوجة فى طلب التطليق لهذا السبب بمضى سنة من تاريخ علمها بالزواج بأخرى ، إلا إذا كانت قد رضيت بذلك صراحة أو ضمناً ، ويتجدد حقها فى طلب التطليق كلما تزوج بأخرى .

وإذا كانت الزوجة الجديدة لم تعلم أنه متزوج بسواها ثم ظهر أنه متزوج ، فلها أن تطلب التطليق كذلك » .

ونعى الزوج على النص المشار إليه مخالفته مبادىء الشريعة الإسلامية وهى المصدر الرئيسى للتشريع وفقاً للمادة الثانية من الدستور ، لتعارض هذا النص مع النصوص القرآنية التى تأذن بالتعدد وترخص فيه ، ولم تجز تقييده إلا بشرط العدل بين الزوجات ، فضلا عن أن النص المطعون فيه لم يبين ماهية الأضرار المعنوية التى تخول للزوجة الممانعة فى الزواج الجديد حق طلب التفريق بينها وبين زوجها ، كما علق حقها فى هذا الطلب على عدم قبولها التزوج عليها صراحة أو ضمناً ، وألزمها رفع

دعوى التطليق خلال سنة من تاريخ علمها بالزواج الجديد وإلا سقط الحق فيها حال أن الضرر قد يلحقها بعد فوات هذا الميعاد . كذلك أجاز النص المطعون فيه ـ بمفهوم المخالفة ـ للزوجة أن تشترط فى عقد زواجها عدم الزواج عليها ، وهو قيد على تعدد الزوجات يناقض شرط العدل ، ولا يتصل به .

رفض طعن الزوج :

وقد قضت المحكمة الدستورية العليا برفض طعن الزوج بعدم دستورية النص سالف الذكر ، واستندت فى ذلك إلى الأسباب الآتية :ـ

١ ـ البين من النص المطعون فيه ـ المادة ١١ مكرراً من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض أحكام الأحوال الشخصية ـ أنه خول الزوجة التى تزوج عليها زوجها ـ ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى عقد الزواج ألا يتزوج عليها ـ أن تطلب الطلاق منه على ضوء شرطين موضوعيين .

أولهما : أن يكون قد لحقها ضرر من قبل زوجها ـ مادياً كان أو أدبياً ـ على أن يكون هذا الضرر موصوفاً من حيث آثاره بأن يبلغ مداه درجة من الإساءة تكون معها العشرة بين أمثالهما أمراً متعذراً .

ثانيهما : أن يكون تقدير هذا الضرر عائداً إلى القاضى ، وعليه ألا يطلقها من زوجها طلقة بائنة إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما .

قيد رفع الدعوى :

وسواء توافر هذان الشرطان أم تخلفا ، فإن الحق فى رفع دعوى التطليق ـ وفقاً لأحكام النص المطعون فيه ـ مقيد بزمن معين لا يتعداه ، إذ يتعين على الزوجة الساعية إلى التفريق بينها وبين زوجها ، أن تقيم دعواها خلال سنة من تاريخ علمها بأن زوجها تزوج بغيرها . ويسقط حقها فى إقامة دعواها هذه ، بفوات ذلك الميعاد ، وكذلك برضائها بالزواج الجديد صراحة أو ضمناً .

وهذا القيد الإجرائى ـ وأيا كان وجه الرأى فى دستوريته ـ لا يتعلق إلا بالزوجة التى تزوج عليها زوجها ، إذ هى التى قيدها النص السابق بميعاد لرفع دعواها بالتفريق بينها وبين زوجها ، واعتبر فوات هذا الميعاد مسقطاً للحق فيها ، ومن ثم لا تقوم المصلحة الشخصية المباشرة فى الطعن عليه إلا بالنسبة إليها ، كذلك ؛ فإن ما قرره ذلك النص من نزولها عن دعواها تلك بقبولها التزوج عليها صراحة أو ضمناً ، إنما يخصها دون غيرها ، باعتبار أن هذا النزول الذى قرره النص المطعون فيه قد تم بافتراض أن إرادتها قد اتجهت إليه ، ومن ثم تتعلق آثاره بها وحدها ، وعلى خلاف ما تقدم ، تلك المناعى التى توخى بها المدعى إبطال ذلك النص بمقولة إهداره الحق فى التعدد أو

تقييده ؛ إذ يعتبر هذا البطلان مرتبطاً بالشرطين الموضوعيين اللذين يخولان الزوجة التى تزوج زوجها عليها طلب التطليق منه ، ولا يجوز بالتالى لغير زوجها المجادلة فى دستوريتهما ، وإليهما تمتد مصلحته الشخصية المباشرة التى جرى قضاء المحكمة الدستورية العليا على أنها شرط لقبول الدعوى الدستورية ، وأن مناطها أن يكون ثمة ارتباط بينها وبين المصلحة فى الدعوى الموضوعية ، وذلك بأن يكون الفصل فى المسألة الدستورية لازماً للفصل فى النزاع المرتبط بها والمطروح على محكمة الموضوع .

الرقابة الدستورية متوازنة :

٢ ـ من المقرر أن الرقابة على الدستورية لا تستقيم موطئا لإبطال نصوص تشريعية يمكن تأويلها ـ بمختلف طرق الدلالة المعتبرة ـ على وجه يعصمها من المخالفة الدستورية ، بل يجب ـ وبوصفها رقابة متوازنة لا يجوز التدخل بها إلا لضرورة ملحة تقتضيها ـ أن تكون مبررة بدواعيها كى لا يكون اللجوء إليها اندفاعاً ، أو الإعراض عنها تراخياً .

الأصل فى تشريع تعدد الزوجات ووسطيته :

٣ ـ إن الأصل فى تشريع التعدد هو النصوص القرآنية ، إذ يقول ـ تعالى ـ فيما أوحى به إلى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ سورة النساء

وكانت صيغة الأمر تفيد طلب وقوع المأمور به ، والامتناع عما يضاده ، ما لم يقم دليل على وجود قرينة تصرفها عن أصل وضعها إلى الإباحة ، وهو ما قرره بعض الفقهاء بقولهم :

إن (صيغة الأمر حقيقية فى طلب الفعل ، مجاز فيما سواه) ، وأن إفادتها الإباحة بطريق المجاز يحتاج إلى قرينة ، وكانت الآية السابقة لا تفيد نهيا عن الجمع بين أكثر من زوجة ، ولا طلباً لازماً لإتيان هذا الفعل ، ولكنها إذنٌ بالتعدد ، وكان من المقرر أن الله ـ تعالى ـ ما شرع حكماً إلا لتحقيق مصالح العباد ، وما أهمل مصلحة اقتضتها أحوالهم دون أن يورد فى شأنها حكماً ، وكان مسلماً كذلك أن ما كان ثابتاً بالنص هو المصلحة الحقيقية التى لا تبديل لها ، وأن العمل على خلافها ليس إلا تعدياً على حدود الله ، وكانت المصلحة التى تعارض النصوص القرآنية لا تعتبر مصلحة حقيقية ، ولكنها أدخل إلى أن تكون تشهيا واخرافاً فلا يجوز تحكيمها ، وكان الله ـ تعالى ـ حين أذن بالتعدد ، شرع ذلك لمصلحة قدرها مستجيباً بها لأحوال النفس البشرية ،

فأقره فى إطار من الوسطية التى تلتزم حد الاعتدال ، جاعلا من التعدد ـ وهو ليس إلا جمعا بين أكثر من زوجة بما لا يجاوز الأربع ـ حقاً لكل رجل ، ومحليته كل امرأة من الحرائر يستطيبها وتحل له شرعاً ـ ولو لم تكن يتيمة يتحرج من أكل أموالها وظلمها ، بل ولو لم يكن ولياً عليها ـ غير مقيد فى ذلك بما وراء الأمن من الجور بين من يضمهن إليه باعتبار أن الأصل فى المؤمن العدل بين من ينكحهن ليكون أعون على بقاء أصل الاستقرار والاطمئنان ، فإن لم يأمن العدل ، فعليه بواحدة لا يزيد عليها حتى لا يميل لغيرها كل الميل ، ومن ثم كان التعدد مقرراً بنصوص قرآنية صريحة لا يرتبط تطبيقها بمناسبة نزولها ، ولكنها تعد تشريعاً إلهياً لكل زمان ومكان ، جوهره العدل ، وهو ليس إلا قولا معروفاً وامتثالاً لأوامر الله ـ تعالى ـ مع مجانبة نواهيه ، وكلما استقام التعدد على قاعدة العدل ـ وهى قيد على الحق فيه ولا تعد سبباً لنشوئه ـ كان نافياً للجور والميل ، واستحال أن يتمخض ظلماً أو ينحل إلى إضرار بالزوجة التى تعارض اقتران زوجها بغيرها ، ذلك أن ما يجوز شرعاً لا يؤول إعناتاً ، **ولا وجه للقول بأن الشريعة الغراء ـ وغايتها إصلاح شئون العباد وتقويمها ـ تناقض فى تطبيقاتها العملية مصالحهم وتعارضها** ، ولأن ما ينهانا الله عنه يكون ضرره راجحاً ، وما يأمرنا به وجوباً أو على سبيل الإباحة إنما يكون نفعه غالباً ، ولا يعتبر بالتالى قريناً لإيذاء أو مضارة أو سبباً لأيهما ، وإلا ابتعد عن مصالح العباد ، وكان سعياً لما يناقضها ، ومدخلا إلى مفاسد مقطوع بها أو راجحاً وقوعها بقدر الإثم الملابس لها أو المحيط بها ، وهو ما ينزه الله ـ تعالى ـ عنه حين أذن بالتعدد وجعل الحق فيه ـ مع الأمن من الجور ـ مكتملا ولو عارضته الزوجة التى على العصمة .

الطعن فى النص مردود :

٤ ـ إن النص المطعون فيه قد دل بعبارته على أمرين ينفيان معاً قالة مصادرته للتعدد أو تقييد الحق فيه .

أولهما : أن حق الزوجة التى تعارض الزواج الجديد فى التفريق بينها وبين زوجها ، لا يقوم على مجرد كراهيتها له أو نفورها منه لتزوجه عليها ، وليس لها كذلك أن تطلب فصم علاقتها بزوجها بادعاء أن اقترانه بغيرها يعتبر فى ذاته إضراراً بها ، **وإنما** يجب عليها أن تقيم الدليل على أن ضرراً منهياً عنه شرعاً قد أصابها بفعل أو امتناع من قبل زوجها ، على أن يكون هذا الضرر حقيقياً لا متوهماً ، واقعاً لا متصوراً ، ثابتاً وليس مفترضاً ، مستقلا بعناصره عن واقعة الزواج اللاحق فى ذاتها وليس مترتباً عليها ، مما لا يغتفر لتجاوزه الحدود التى يمكن التسامح فيها شرعاً ، منافياً لحسن العشرة بين أمثالهما بما يخل بمقوماتها لينحل إساءة لها ـ دون حق ـ اتصلت أسبابها بالزيجة التالية وكانت هى باعثها ، فإن لم تكن هذه الزيجة هى المناسبة التى وقع الضرر مرتبطاً بها ، فإن حقها فى التفريق بينها وبين زوجها يرتد إلى القاعدة العامة فى التطليق للضرر المنصوص عليها فى المادة ٦ من المرسوم بقانون

رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية .

متى كان ذلك ، فإن النص التشريعى المطعون عليه لا يكون ناهياً عن التعدد أو معدلًا لأحكامه ـ من خلال تحويرها ـ بما يخرجها عن أصل وضعها ، إذ لو كان الأمر كذلك لغدا أمراً محظوراً مجرد ولوج الطريق إليه ، ولكان مجرد الجمع بين امرأتين منشئاً لأولادهن قرينة قانونية يفترض الضرر من خلالها ، ولا يجوز التدليل على عكسها ، ويكون التفريق بين الزوجين بموجبها واقعاً بقوة القانون ، وهو ما يؤول إلى إعدام السلطة التقديرية التى يملكها القاضى فى تقييم الأضرار التى تدعى الزوجة إلحاقها بها ، تحديداً من جهته لأسبابها ، ونظراً منه فى بواعثها وملابساتها توطئة لتقرير حكمها على ضوء المقاييس الشرعية التى لا تتغير أو تتبدل . كذلك ليس فى النص المطعون فيه ما يتضمن تعليقاً لأثار الزيجة التالية على إرادة الزوجة التى تعارض بقاءها ، إذ لو كان لها ذلك ، لجاز أن تنقض بيدها الأثار التى رتبها المشرع على عقد الزواج التالى ، وأن تعطل بإرادتها سريانها فى حقها حال أن العقود ـ وإن كان تكوينها عائداً إلى إرادة أطرافها ـ إلا أن آثارها من عمل المشرع وحده .

ثانيهما : أن القاضى لا يجيبها إلى طلبها التفريق بينها وبين زوجها بتطليقها منه طلقة بائنه ، إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما . وعليه بالتالى قبل فض علاقة الزوجية أن يسعى بينهما معروفاً ، ناظراً فى أحوالهما ، مستوضحاً خفاياها ، وأن يلتمس لذلك كل الوسائل التى تُساق إليهما ـ توجيهاً وتبصيراً وتوفيقاً ـ توطئة لرفع الضرر عنها قدر الإمكان . ويفترض هذا الجهد من القاضى ، أن يكون الخلاف بين الزوجين مما يرجى إصلاحه بتهدئة الخواطر بينهما ، وإعانتهما على تجاوز مظاهر تفرقهما ، بعد تقصى أسبابها ، والتوصل إلى حلول يقبلانها معاً . ولا كذلك الأمر إذا كان خلافها مع زوجها راجعاً إلى مجرد الجمع عليها ، إذ يكون الشقاق بينهما عندئذ مترتباً على الزواج اللاحق فى ذاته وناشئاً عنه وحده ، وليس أمام القاضى فى مواجهته إلا أحد حلين يخرجان معاً عن معنى الإصلاح وينافيان مقاصده :

أولهما : أن يلزمها النزول عن طلبها التفريق بينها وبين زوجها مع بقاء الزوجة الجديدة فى عصمته ، وهو ما لن ترضاه .

ثانيهما : أن يدعو زوجها إلى مفارقة زوجته الجديدة بالتخلى عنها ولو كان راغباً فى بقاء علاقة الزوجية معها لمصلحة يقدرها . وليس ذلك بحال طريق الوسطية بين مطلبين ، ولا رأباً للصدع بين موقفين .

٥ ـ إن النص المطعون فيه ـ بالأحكام السابق بيانها ـ يكون قد أقام الحياة الزوجية على أسس لا تصلح إلا بها ، جاعلًا معيار الضرر الذى يولد الحق فى التفريق موضوعياً لا ذاتياً ، حائلا دون

وقوع علاقة ـ تتعدد الزوجات فيها مع الأمن من الجور ـ فى الضيق والحرج اللذين تحرص الشريعة الغراء على دفعهما ما وسعها الجهد إلى ذلك إعمالاً لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج**﴾ ، مستبعداً من مجال تطبيقه تلك الأضرار التى تعود إلى المشاعر النفسية التى تعتمل فى صدر المرأة تجاه ضرتها باعتبار أن ما قد يقع بينهما من تباغض ، وما تحملانه لبعضهما من ضغائن تمتد إلى أولادهما . ، مرجعها تلك الغيرة الطبيعية بين امرأتين تتزاحمان على رجل واحد ، ولا يخلص هو لإحداهن ، وهى بعد غيرة لا يمكن تنقية النفوس البشرية منها ، ولم يقصد النص المطعون فيه إلى إزالتها ، ولا يجوز أن تخل بمقاصد التعدد التى تربو عليها والتى يقتضيها صون عرض المرأة ونسلها حتى لا تتعرض لهوان أو ضياع أو ابتذال بما يناقض آدميتها أو يمس عفتها ويؤول ـ بحرمانها من زوج يرعاها ـ إلى عزلتها وانكفائها على نفسها بإيصاد طريقها إلى بناء أسرة تتواصل حياتها معها ، وتكون أكفل لإصلاح أمرها بما تفىء به عليها .

٦ ـ إن ما قيل من أن النص المطعون فيه أجاز بمفهوم المخالفة للزوجة أن تضمن عقد زواجها شرطاً بألا يتزوج زوجها عليها ، منشئاً بذلك قيداً جديداً على تعدد الزوجات يجاوز حدود العدل بينهن ، مردود .

أولا : بأن إعمال النص المطعون فيه لا يستقيم إلا بافتراض أن الزوجة التى تقيم دعواها للتفريق بينها وبين زوجها لازال عقد زواجها منه قائماً .

وأن حقها فى التفريق بينها وبين زوجها ليس معلقاً على إرادتها ، بل مرتبطاً بوجود ضرر محدد وفق مقاييس شرعية ، ناشئاً عما أتاه زوجها معها إخلالاً منه بحسن العشرة بما ينافى حدود إمساكها معروفاً ، وهو بعد ضرر لا يليق بأمثالهما ، وليس مترتباً على الزيجة اللاحقة فى ذاتها ، بل وقع بمناسبتها . متى كان ذلك ، فإن افتراض قيام المرأة التى تزوج زوجها عليها بحل عقدة النكاح بينها وبين زوجها عن طريق فسخها بإرادتها المنفردة إعمالاً من جانبها لشرطها بعدم التزوج عليها ـ بفرض وجوده فى عقدها ـ يكون غيرمتصور فى تطبيق أحكام النص المطعون فيه .

ومردودة ثانيا : بأن قاعدة الفقه الحنبلى فيما تتضمنه العقود بوجه عام من الشروط ، وما يرد منها بوجه خاص فى عقد الزواج ، هو إطلاقها لا تقييدها ، وإباحتها لا منعها ، ما لم يقم دليل شرعى على غير ذلك . وهم يفرعون هذه القاعدة على مبدأ حرية التعاقد ، وأن الناس على شروطهم لا يتحولون عنها إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً . وقد أجازوا ـ وعلى ضوء نظرتهم إلى الشروط فى الأنكحة ـ شرط المرأة على زوجها ألا ينقلها من دارها أو بلدها أو أن يكون ذا مال . وقطعوا بأن شرطها ألا يتزوج عليها لا يحرم حلالا ، ذلك أن فائدة هذا الشرط تعود إليها ومنفعتها فيه ، وما كان من مصلحة العاقد كان من مصلحة عقده ، وهو بعد شرط لا يخل بمقاصد النكاح التى قام الدليل الشرعى على طلبها . وإذا كان إنفاذ العهد مسئولاً ، وكان من المقرر أن مقاطع الحقوق عند الشروط ، فإن نكول زوجها عن تعهده بعدم الزواج عليها يكون مخالفاً لقاعدتهم فى

إطلاق الشروط وعدم تقييدها استصحاباً لأصل إباحتها ، وهى قاعدة عززوها بما نقل عن الرسول عليه السلام من أن « أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج » . ومن ثم كان لها ، ـ وقد أخل زوجها بشرطها ، وقام الدليل بالتالى على أن رضاها ـ وقد كان قواماً لعقد زواجها ـ قد اختل ، الخيار بين إبقاء علاقتها الزوجية أو حلها بفسخها .

النص المطعون فيه لا يعارض التعدد :

٧ ـ وإذا كان النص المطعون فيه لا يعارض التعدد ، ولا ينظر إليه باعتباره ذريعة إلى حرام ، ولا يتوخى كذلك بلوغ غاية بذاتها يكتنفها الإثم أو يتصل بها ، وجب القول بأن الدائرة التى يعمل فى نطاقها ، هى دائرة المضار الفعلية إذا كان مرجعها فعل أو امتناع أتاه زوجها قبلها مرتبطاً بالزيجة التالية ، ومتصلا بما يكون عليه حال العشرة بينهما بعد تزوجه عليها مما لا يأذن به الشرع أو يرخص فيه ، ومن ثم يكون هذا النص منطوياً على تطبيق خاص للتطليق للضرر لإفراده صوراً بعينها يكون ذلك النص متعلقاً بها منصرفاً إليها ودائراً حولها . وهو باعتباره كذلك يعد فرعاً لأصل يرد إليه ، وليس للفرع امتياز على الأصل الذى يلحق به . ويقتضى ذلك أن يفسر النص المطعون فيه على نحو يوفق بين أحكامه وقوله تعالى :

﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ وكذلك على ضوء القاعدة الكلية التى صاغها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : ﴿ **لا ضرر ولا ضرار** ﴾ ، وهى قاعدة رئيسية من أركان الشريعة الإسلامية تعددت تطبيقاتها وإن كانت مُحكمة فى إيجازها ، وتكشف عنها نصوص قرآنية مختلفة مواضعها منها قوله سبحانه : ﴿ **ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا** ﴾ وقوله جل علاه ﴿ **وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ** ﴾ وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف** ﴾ وحكمها يفيد دفع الضرر قبل وقوعه بطرق الوقاية الممكنة ، ورفعه بعد حدوثه بما يستطاع من التدابير التى تزيله . وعلى ضوئها لا يجوز الإضرار ـ ولو على سبيل المقابلة ـ إذا كان ثأراً محضاً يزيد من الضرر ولا يفيد إلا فى توسيع دائرته . كما لا يجوز أن تقدم المنافع التى يمكن جلبها على مواجهة مخاطر المفاسد ودرء عواقبها .. وعنها فرع الفقهاء عدداً من القواعد التى تندرج تحتها ، وتعتبر تخريجاً عليها ، منها أن الضرر يدفع قدر الإمكان ، وأن الضرر يزال ، وأن الضرر لا يزال بمثله كى لا يتفاقم مداه ، وأن تزاحم ضررين يقتضى اختيار أهونهما دفعاً لأعظمهما ، وأن تحمل الضرر الخاص يكون مطلوباً كلما كان ذلك لازماً لرد ضرر عام .

متى كان ما تقدم ، وكان المالكية قد أثبتوا حدود قاعدة « لا ضرر ولا ضرار » ببيان بعض تطبيقاتها فى نطاق العلاقة الزوجية ، وبتوكيدهم أن الأضرار التى تخول الزوجة حق حل عقدة

النكاح بينها وبين زوجها هى التى تكون كذلك بالمقاييس الشرعية ، ولا اعتداد فى توافرها وقيام سببها بما تراه هى صواباً أو انحرافاً عن الحق ، أو بما يكون كامناً فى نفسها قبل زوجها بغضاً أو ازدراءً أو نفراً ، وإنما مرد الأمر دوماً إلى ما تقرر الشريعة الغراء اعتباره ضرراً ، وكانت هذه القاعدة التى فصلها المالكية هى الأصل العام فى التطليق للضرر ، فإن النص المطعون فيه يعتبر من تطبيقاتها ، وإن كان من قبيل التنظيم الخاص لبعض صورها ، وهو تنظيم لا ينحى القاعدة العامة المنصوص عليها فى المادة ٦ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ أويعارضها ، وإنما يتقيد بإطارها العام الذى يخول كل زوجة حق التفريق بينها وبين زوجها إذا لم يعد مستطاعاً ـ على ضوء الأضرار التى ألحقها بها ـ دوام العشرة بين أمثالهما ، ولا منافاة فى ذلك كله لمبادىء الشريعة الإسلامية القطعية فى ورودها ودلالتها ، بل هو التزام أمين بها ، ذلك أن ما يصدر عن الزوج ـ إيذاء وإعناتاً وقهراً ـ يعتبر تعدياً عليها يحملها مالاتطيق ، ويخرج بالتالى عن نطاق الحماية الشرعية . وما النص المطعون فيه ـ فى نطاق الشرطين الموضوعيين اللذين أسلفنا بيانهما ـ إلا تفريعاً على هذا الأصل العام ، ولابد أن يُحمل على معناه .

٨ ـ القول بأن الشريعة العامة للتطليق للضرر تدل بشمول معناها وتنامى تطبيقاتها على إتساعها لكل صورة بما فى ذلك تلك التى عينها النص المطعون فيه ، لا يعنى ـ وبفرض صحته ـ أن التنظيم الخاص الذى أفرده ذلك النص لصور بذاتها من الأضرار تكون الزيجة التالية هى مناسبة إحداثها ويجوز التفريق بين الزوجين بموجبها ـ قد صار مخالفاً للدستور ، ذلك أن اندراج نص تشريعى معين فى المفهوم العام لنص آخر ، وإمكان الاستغناء بالتالى عن الفرع لعموم الأصل ، أوثق إتصالا بالوسائل الفنية لصياغة النصوص التشريعية ، ولا ينحل من هذه الناحية وحدها ـ بالتالى ـ إلى مخالفة دستورية .

المعنى الذى تحدده المحكمة الدستورية العليا هو الدعامة التى قام عليها الحكم :

٩ ـ من المقرر أنه إذا حددت المحكمة الدستورية العليا ـ بطرق الدلالة المختلفة ـ معنى معيناً لمضمون نص تشريعى ، منتهية من ذلك إلى الحكم برفض المطاعن الدستورية الموجهة إليه ، فإن هذا المعنى يكون هو الدعامة التى قام عليها هذا الحكم ، تمتد إليه مع المنطوق الحجية المطلقة والكاملة التى أسبغها قانون المحكمة الدستورية العليا على أحكامها فى المسائل الدستورية باعتبارهما متضامين وكلا غير منقسم ، ولا يجوز بعدئذ لأية جهة ـ ولو كانت قضائية ـ أن تعطى هذا النص. معنى مغايراً يجاوز تخوم الدائرة التى يعمل فيها محدد إطارها على ضوء قضاء المحكمة الدستورية العليا .

المستشار الدكتور
عوض محمد المر
رئيس المحكمة الدستورية العليا



الزواج بأخرى

والمادة ١١ مكررمن القانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م

بالجلسة العلنية المنعقدة فى يوم الأحد ١٤ أغسطس ١٩٩٤ الموافق ٦ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ . برئاسة السيد المستشار الدكتور عوض محمد عوض المر رئيس المحكمة .

وحضور السادة المستشارين : فاروق عبد الرحيم غنيم ، وعبد الرحمن نصير ، والدكتور عبد المجيد فياض ، ومحمد على سيف الدين ، وعدلى محمود منصور ، ومحمد عبد القادر عبد الله ... أعضاء ، وحضور السيد المستشار الدكتور عادل عمر شريف ... المفوض .

وحضور السيد / رأفت محمد عبد الواحد ... أمين السر ..

أصدرت الحكم الآتى فى القضية المقيدة بجدول المحكمة الدستورية العليا برقم ٣٥ لسنة ٢٩ (دستورية) .

المقامة من السيد / عبده على أحمد عنتر ...

ضد :

١ ـ السيد / رئيس الجمهورية .

٢ ـ السيد / رئيس مجلس الوزراء .

٣ ـ السيدة / ناهد عبد القادر عبد القادر على .

الإجـــراءات

بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٨٧ أودع المدعى صحيفة هذه الدعوى قلم كتاب المحكمة طالبا الحكم بعدم دستورية نص المادة ١١ مكرراً من المرسوم بقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ بتعديل بعض أحكام قوانين الأحوال الشخصية فى فقراتها الأربع .

قدمت هيئة قضايا الدولة مذكرة دفعت فيها أصليا بعدم قبول الدعوى بالنسبة للفقرتين الأولى والأخيرة من المادة ١١ مكررا المطعون عليها ، واحتياطيا ، طلبت رفض الدعوى .

وبعد تحضير الدعوى أودعت هيئة المفوضين تقريرا برأيها .

ونظرت الدعوى على الوجه المبين بمحضر الجلسة ، وقررت المحكمة إصدار الحكم فيها بجلسة اليوم .

المحكمـة

بعد الاطلاع على الأوراق والمداولة .

حيث إن الوقائع ـ على ما تبين من صحيفة الدعوى وسائر الأوراق ـ تتحصل فى أن المدعى عليها الثالثة كانت قد أقامت الدعوى رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٨٤ كلى نفس المنصورة ضد المدعى طالبة التطليق إعمالا لنص المادة ١١ مكررا المضافة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ ، وذلك لتضررها من زواجه عليها بأخرى . وإذ دفع المدعى ـ فى الدعوى الماثلة ـ أمام محكمة الموضوع بعدم دستورية النص سالف الذكر . وكانت محكمة الموضوع قد صرحت له برفع الدعوى الدستورية ـ بعد أن قدرت جدية دفعه ـ فقد أقام الدعوى الماثلة .

وحيث إن المدعى ينعى على نص المادة ١١ مكررا المشار إليها مخالفته حكم المادة الثانية من الدستور التى تقضى بأن مبادىء الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، وذلك قولا منه بأن القوانين واللوائح التى تخالف هذه المبادىء تقع باطلة عديمة الأثر قانونا .. وأن النص المطعون عليه يتعارض مع النصوص القرآنية التى تأذن بالتعدد وترخص فيه ، ولم تجز تقييده إلا بشرط العدل بين الزوجات . فضلا عن أن النص المطعون فيه لم يبين ماهية الأضرار المعنوية التى تخول الزوجة الممانعة فى الزواج الجديد حق طلب التفريق بينها وبين زوجها . كما علق حقها فى هذا الطلب على عدم قبولها التزوج عليها صراحة أو ضمنا ، وألزمها رفع دعواها بالتطليق خلال سنة من تاريخ علمها بالزواج الجديد ، وإلا سقط الحق فيها حال أن الضرر قد يلحقها بعد فوات هذا الميعاد . كذلك أجاز النص المطعون فيه ـ بمفهوم المخالفة ـ للزوجة أن تشترط فى عقد زواجها عدم الزواج عليها ، وهو قيد على تعدد الزوجات يناقض شرط العدل بينهن ولا يتصل به .

وحيث إن المادة ١١ مكررا من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية المضافة بالمادة الأولى من القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ ، والمطعون عليها بعدم الدستورية تنص على أنه « على الزوج أن يقر فى وثيقة الزواج بحالته الاجتماعية ، فإذا كان متزوجا فعليه أن يبين فى الإقرار اسم الزوجة أو الزوجات اللاتى فى عصمته ومَحَالّ إقامتهن ، وعلى الموثق

إخطارهن بالزواج الجديد بكتاب مسجل مقرون بعلم الوصول . ويجوز للزوجة التى تزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق منه إذا لحقها ضرر مادى أو معنوى يتعذر معه دوام العشرة بين أمثالهما ، ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى العقد ألا يتزوج عليها .

فإذا عجز القاضى عن الإصلاح بينهما طلقها عليه طلقة بائنة . **ويسقط حق الزوجة فى طلب التطليق لهذا السبب بمضى سنة من تاريخ علمها بالزواج بأخرى** ، إلا إذا كانت قد رضيت بذلك صراحة أو ضمنا . ويتجدد حقها فى طلب التطليق كلما تزوج بأخرى .

وإذا كانت الزوجة الجديدة لم تعلم أنه متزوج بسواها ، ثم ظهر أنه متزوج ، فلها أن تطلب التطليق كذلك » .

وحيث إن من المقرر أن المحكمة الدستورية العليا لا يجوز أن تتنصل من اختصاص نيط بها ـ وفقا للدستور أو القانون أو « كلاهما » وعليها كذلك ـ وبنفس القدر ـ ألا تخوض فى اختصاص ليس لها ، ذلك أن إنكارها لولايتها أو مجاوزتها لتخومها ممتنعان من الناحية الدستورية . ولا يجوز من ثم أن تترخص فيما عهد إليها به من المسائل الدستورية كلما كان تصديها لها لازما ولو لابستها صعوبات لها وزنها أو قارنتها محاذير لها خطرها . بيد أن ذلك لا يعنى الاندفاع بالرقابة على الدستورية إلى آفاق تجاوز مقتضياتها أو مباشرتها دون قيود تتوازن بها ، بل يتعين أن تكون هذه الرقابة ـ ولضمان فاعليتها ـ محددة طرائقها ومداخلها ، جلية أسسها ومناهجها ، وأن تمارس فى إطار مجموعة من الضوابط التى تصوغها الهيئة القضائية التى تتولاها ، ولا تفرضها عليها سلطة أعلى لتحد بها من حركتها ، لضمان أن تكون الرقابة على الدستورية منحصرة فى حدودها المنطقية ، فلا يكون التدخل بها مؤذنا بانفلاتها من كوابحها ، بل مقيداً بما يصون موجباتها ولا يخرجها عن حقيقة مراميها كأداة تكفل فى آن واحد : سيادة الدستور ، ومباشرة السلطتين التشريعية والتنفيذية لاختصاصاتها التقديرية دون عائق . ومن ثم كان اللجوء إليها مقيداً بضرورة أن يكون التدخل بها لازما ومبررا بوصفها ملاذا نهائيا ، وليس باعتبارها إجراء احتياطيا . وتنحل هذه الضوابط فى واقعها إلى قيود ذاتية تفرضها على نفسها الهيئة القضائية التى عهد إليها الدستور أو المشرع برقابة الدستورية ، وذلك تقديراً منها لخطورة هذه الرقابة ودقتها ، ولأن المصالح التى تواجهها فريدة فى بابها بالنظر إلى تشابكها واتساعها وتعقدها ، واتصالها المباشر بمراكز هؤلاء الذين يمسهم النص التشريعى المطعون فيه ، ولو كانوا من غير أطراف المنازعة الدستورية .

وعلى ضوء التنظيم المقارن للرقابة على الدستورية ، لا يجوز أن تفصل الهيئة التى تتولاها فى دستورية نص تشريعى فى غير خصومه تعكس بمضونها حقيقة التناقض بين مصالح أطرافها ، ولا أن تقرر قاعدة دستورية لم يحن أوان إرسائها ، أو قاعدة دستورية تجاوز باتساعها أو مداها الحدود التى يستلزمها الفصل فى النزاع المعروض عليها ، وليس لها كذلك الفصل فى المسائل الدستورية التى يثيرها النص التشريعى المطعون عليه ، إذا كان الطاعن قد أفاد من مزاياه أو كانت الأضرار التى

رتبها لا تتصل بالمصالح التى يدعيها اتصالا شخصيا ومباشرا ، أو كان ممكنا حمل حكمها فى النزاع المطروح عليها على أساس آخر . وعليها دوما - وكشرط أوَّلِىّ لممارستها رقابيا على الدستورية - أن تستوثق مما إذا كان ممكنا تأويل النص التشريعى المطعون عليه على نحو يجنبها الحكم بعدم دستوريته .

وحيث إن البين من النص المطعون فيه - المادة ١١ مكررا من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض أحكام الأحوال الشخصية - أنه خول الزوجة التى تزوج عليها زوجها - ولو لم تكن قد اشترطت عليه فى عقد الزواج ألا يتزوج عليها - أن تطلب الطلاق منه على ضوء شرطين موضوعيين :

أولهما : أن يكون قد لحقها ضرر من قبل زوجها - ماديا كان أو أدبيا - على أن يكون هذا الضرر موصوفاً من حيث آثاره بأن يبلغ مداه درجة من الإساءة تكون معها العشرة بين أمثالهما أمراً متعذراً .

ثانيهما : أن يكون تقدير هذا الضرر عائداً إلى القاضى ، وعليه ألا يطلقها من زوجها طلقة بائنة إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما .

وسواء توافر هذان الشرطان أم تخلفا ؛ فإن الحق فى رفع دعوى التطليق - وفقاً لأحكام النص المطعون فيه - مقيد بزمن معين لا يتعداه ، إذ يتعين على الزوجة الساعية إلى التفريق بينها وبين زوجها ، أن تقيم دعواها خلال سنة من تاريخ علمها بأن زوجها تزوج بغيرها ، ويسقط حقها فى إقامة دعواها هذه ، بفوات ذلك الميعاد ، وكذلك برضائها بالزواج الجديد صراحة أو ضمناً

وحيث إن القيد الإجرائى المشار إليه - وأيا كان وجه الرأى فى دستوريته - لا يتعلق إلا بالزوجة التى تزوج عليها زوجها ، إذ هى التى قيدها النص السابق بميعاد لرفع دعواها بالتفريق بينها وبين زوجها ، واعتبر فوات هذا الميعاد مسقطا للحق فيها ، ومن ثم لا تقوم المصلحة الشخصية المباشرة فى الطعن عليه إلا بالنسبة إليها . كذلك ؛ فإن ما قرره ذلك النص من نزولها عن دعواها تلك بقبولها للتزوج عليها صراحة أو ضمناً ، إنما يخصها دون غيرها باعتبار أن هذا النزول الذى قرره النص المطعون فيه قد تم بافتراض أن إرادتها قد اتجهت إليه ، ومن ثم تتعلق آثاره بها وحدها . وعلى خلاف ما تقدم ، تلك المناحى التى تَوَخَّى بها المدعى إبطال ذلك النص بمقولة إهداره الحق فى التعدد أو تقييده ، إذ يعتبر هذا البطلان مرتبطا بالشرطين الموضوعيين اللذين يخولان الزوجة التى تزوج زوجها عليها طلب التطليق منه . ولا يجوز بالتالى لغير زوجها المجادلة فى دستوريتهما ، وإليهما تمتد مصلحته الشخصية المباشرة التى جرى قضاء المحكمة الدستورية العليا على أنها شرط لقبول الدعوى الدستورية ، وأن مناطها أن يكون ثمة ارتباط بينها وبين المصلحة فى الدعوى الموضوعية ، وذلك بأن يكون الفصل فى المسألة الدستورية لازما للفصل فى النزاع المرتبط بها ، والمطروح على محكمة الموضوع .

وحيث إن من المقرر أن الرقابـــة على الدستورية لاتستقيم موطئاً لإبطال نصوص تشريعية يمكن تأويلها ـ بمختلف طرق الدلالة المعتبرة ـ على وجه يعصمها من المخالفـــة الدستورية المدعى بها ، بل يجب ـ وبوصفها رقابة متوازنة لايجوز التدخل بها إلا لضرورة ملحة تقتضيها ـ أن تكون مبررة بدواعيها كى لا يكون اللجوء إليها اندفاعاً ، أو الإعراض عنها تراخياً .

وحيث إن الأصل فى تشريع التعدد هو النصوص القرآنية ، إذ يقول ـ تعالى ـ فيما أوحى به إلى محمد ـ عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾
سورة النساء

وكانت صيغة الأمر تفيد طلب وقوع المأمور به والامتناع عما يضاده ، ما لم يقم دليل على وجود قرينة تصرفها عن أصل وضعها إلى الإباحة ، وهو ما قرره بعض الفقهاء بقولهم : (إن صيغة الأمر حقيقة فى طلب الفعل ، مجاز فيما سواه) وأن إفادتها الإباحة بطريق المجاز يحتاج إلى قرينة ، وكانت الآية السابقة لاتفيد نهيا عن الجمع بين أكثر من زوجة ، ولا طلبا لازماً لإتيان هذا الفعل ، ولكنها إذن بالتعدد ، وكان من المقرر أن الله ـ تعالى ـ ما شرع حكما إلا لتحقيق مصالح العباد ، وما أهمل مصلحة اقتضتها أحوالهم دون أن يورد فى شأنها حكماً ، وكان مسلما كذلك أن ما كان ثابتاً بالنص هو المصلحة الحقيقية التى لاتبديل لها . وأن العمل على خلافها ليس إلا تعدياً على حدود الله ، وكانت المصلحة التى تعارض النصوص القرآنية لاتعتبر مصلحة حقيقية ، ولكنها أدخل إلى أن تكون تشهيا وانحرافا فلا يجوز تحكيمها ، وكان الله ـ تعالى ـ حين أذن بالتعدد ، شرع ذلك لمصلحة قدرها مستجيبا بها لأحوال النفس البشرية ، فأقره فى إطار من الوسطية التى تلتزم حد الاعتدال ، جاعلا من التعدد ـ وهو ليس إلا جمعا بين أكثر من زوجة بما لايجاوز الأربع ـ حقا لكل رجل ، ومحليته كل امرأة من الحرائر يستطيبها وتحل له شرعا ـ ولو لم تكن يتيمة يتحرج من أكل أموالها وظلمها ، بل ولو لم يكن وليا عليها ـ غير مقيد فى ذلك بما وراء الأمن من الجور بين من يضمهن إليه باعتبار أن الأصل فى المؤمن العدل بين من ينكحهن ليكون أعون على بقاء أصل الاستقرار والاطمئنان ، فإن لم يأمن العدل ، فعليه بواحدة لايزيد عليها حتى لايميل لغيرها كل الميل ، ومن ثم كان التعدد مقرراً بنصوص قرآنية صريحة لايرتبط تطبيقها بمناسبة نزولها ، ولكنها تعد تشريعاً إلهياً لكل زمان ومكان . جوهره العدل ، وهو ليس إلا قولا معروفا وامتثالا لأوامر الله ـ تعالى ـ مع مجانبة نواهيه ، وكلما استقام التعدد على قاعدة العدل ـ وهى قيد على الحق فيه ولاتعد مسببا لنشوئه ـ كان نافيا للجور والميل واستحال أن يتمحض ظلما أو ينحل إلى إضرار بالزوجة التى تعارض اقتران زوجها بغيرها ، ذلك أن ما يجوز شرعا لايؤول إعناتا ، ولا وجه للقول بأن الشريعة الغراء ـ وغايتها إصلاح شئون العباد

وتقويمها ـ تناقض فى تطبيقاتها العملية مصالحهـ وتعارضها ، ولأن ما ينهانا الله عنه يكون ضرره راجحاً ، وما يأمرنا به وجوباً ـ أو على سبيل الإباحة ـ إنما يكون نفعه غالباً ، ولا يعتبر بالتالى قريناً لإيذاء أو مضارة أو سبباً لأيهما ، وإلا ابتعد عن مصالح العباد ، وكان سعياً لما يناقضها ، ومدخلا إلى مفاسد مقطوع بها أو راجحاً وقوعها بقدر الإثم الملابس لها ، أو المحيط بها ، وهو ما يُنَزِّهُ الله ـ تعالى ـ عنه حين أذن بالتعدد وجعل الحق فيه ـ مع الأمن من الجور ـ مكتملا ولو عارضته الزوجة التى على العصمة .

وحيث إن النص المطعون فيه قد دل بعبارته على أمرين ينفيان معاً قالة مصادرته للتعدد أو تقييد الحق فيه :

أولهما : أن حق الزوجة التى تعارض الزواج الجديد فى التفريق بينها وبين زوجها ، لا يقوم على مجرد كراهيتها له أو نفورها منه لتزوجه عليها ، وليس لها كذلك أن تطلب فصم علاقتها بزوجها بادعاء أن اقترانه بغيرها يعتبر فى ذاته إضراراً بها ، وإنما يجب عليها أن تقيم الدليل على أن ضرراً منهياً عنه شرعاً قد أصابها بفعل أو امتناع من قبل زوجها ، على أن يكون هذا الضرر حقيقياً لا متوهماً ، واقعاً لا متصوراً ، ثابتاً وليس مفترضاً ، مستقلا بعناصره عن واقعة الزواج اللاحق فى ذاتها وليس مترتباً عليها ، مما لا يغتفر لتجاوزه الحدود التى يمكن التسامح فيها شرعاً ، منافياً لحسن العشرة بين أمثالهما بما يخل بمقوماتها لينحل إساءة لها ـ دون حق ـ اتصلت أسبابها بالزيجة التالية وكانت هى باعثها ، فإن لم تكن هذه الزيجة هى المناسبة التى وقع الضرر مرتبطاً بها ، فإن حقها فى التفريق بينها وبين زوجها يرتد إلى القاعدة العامة فى التطليق للضرر المنصوص عليها فى المادة ٦ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية .

متى كان ذلك ، فإن النص التشريعى المطعون عليه لا يكون ناهياً عن التعدد أو معدلا لأحكامه ـ من خلال تحويرها ـ بما يخرجها عن أصل وضعها ، إذ لو كان الأمر كذلك لغدا أمراً محظوراً مجرد ولوج الطريق إليه ، ولكان مجرد الجمع بين امرأتين منشئاً لأولاهن قرينة قانونية يفترض الضرر من خلالها ، ولا يجوز التدليل على عكسها ، ويكون التفريق بين الزوجين بموجبها واقعاً بقوة القانون ، وهو ما يؤول إلى إعدام السلطة التقديرية التى يملكها القاضى فى تقييم الأضرار التى تدعى الزوجة إلحاقها بها ، تحديداً من جهته لأسبابها ، ونظراً منه فى بواعثها وملابساتها توطئة لتقرير حكمها على ضوء المقاييس الشرعية التى لا تتغير أو تتبدل ، كذلك ليس فى النص المطعون فيه ما يتضمن تعليقاً لآثار الزيجة التالية على إرادة الزوجة التى تعارض بقاءها إذ لو كان ذلك ، لجاز أن تنقض بيدها الآثار التى رتبها المشرع على عقد الزواج التالى ، وأن تعطل بإرادتها سريانها فى حقها حال أن العقود ـ وإن كان تكوينها عائداً إلى إرادة أطرافها ـ إلا أن آثارها من عمل المشرع وحده .

ثانيهما : أن القاضى لا يجيبها إلى طلبها التفريق بينها وبين زوجها بتطليقها منه طلقة بائنة ، إلا إذا عجز عن الإصلاح بينهما ، وعليه بالتالى قبل فض علاقة الزوجية أن يسعى بينهما معروفاً ، ناظراً فى أحوالهما ، مستوضحاً خفاياها ، وأن يلتمس لذلك كل الوسائل التى تساق إليها ـ توجيهاً وتبصيراً وتوفيقاً ـ توطئة لرفع الضرر عنها قدر الإمكان ، ويفترض هذا الجهد من القاضى أن يكون الخلاف بين الزوجين مما يرجى إصلاحه بتهدئة الخواطر بينهما ، وَإعَانتِهمَا على تجاوز مظاهر تفرقهما . بعد تقصى أسبابها ، والتوصل إلى حلول يقبلانها معا ، ولا كذلك الأمر إذا كان خلافها مع زوجها راجعا إلى مجرد الجمع عليها ، إذ يكون الشقاق بينهما عندئذ مترتباً على الزواج اللاحق فى ذاته وناشئا عنه وحده ، وليس أمام القاضى فى مواجهته إلا أحد حلين يخرجان معا عن معنى الإصلاح وينافيان مقاصده .

أولهما : أن يلزمها النزول عن طلبها التفريق بينها وبين زوجها مع بقاء الزوجة الجديدة فى عصمته ، وهى ما لن ترضاه .

ثانيهما : أن يدعو زوجها إلى مفارقة زوجته الجديدة بالتخلى عنها ولو كان راغبا فى بقاء علاقة الزوجية معها لمصلحة يقدرها ، وليس ذلك بحال طريق الوسطية بين مطلبين ، ولا رأباً للصدع بين موقفين .

وحيث إن النص المطعون فيه ـ بالأحكام السابق بيانها ـ يكون قد أقام الحياة الزوجية على أسس لا تصلح إلا بها جاعلا معيار الضرر الذى يولد الحق فى التفريق موضوعياً لا ذاتياً . حائلا دون وقوع علاقة ـ تتعدد الزوجات فيها مع الأمن من الجور ـ فى الضيق والحرج اللذين تحرص الشريعة الغراء على دفعهما ما وسعها الجهد إلى ذلك إعمالا لقوله ـ تعالى : ﴿ **وما جَعَل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ (الحج ٧٨) مستبعداً من مجال تطبيقه تلك الأضرار التى تعود إلى المشاعر النفسية التى تعتمل فى صدر المرأة تجاه ضرتها باعتبار أن ما قد يقع بينهما من تباغض ، وما تحملانه لبعضهما من ضغائن تمتد إلى أولادهما ، مرجعها تلك الغيرة الطبيعية بين امرأتين تتزاحمان على رجل واحد ، ولا يخلص هو لإحداهن ، وهى بعد (غيرة) لا يمكن تنقية النفوس البشرية منها ، ولم يقصد النص المطعون فيه إلى إزالتها ، ولا يجوز أن تخل بمقاصد التعدد التى تربو عليها ، والتى يقتضيها صون عرض المرأة ونسلها حتى لا تتعرض لهوان أو ضياع أو ابتذال بما يناقض آدميتها ، أو يمس عفتها ويؤول ـ بحرمانها من زوج يرعاها ـ إلى عزلتها وانكفائها على نفسها بإيصاد طريقها إلى بناء أسرة تتواصل حياتها معها ، وتكون أكفل لإصلاح أمرها بما تفىء به عليها .

وحيث إن ما قيل من أن النص المطعون فيه أجاز بمفهوم المخالفة للزوجة أن تضمن عقد زواجها شرطاً بألا يتزوج زوجها عليها ، منشئا بذلك قيداً جديداً على تعدد الزوجات يجاوز حدود العدل بينهن ، مردود أولا : بأن إعمال النص المطعون فيه لا يستقيم إلا بافتراض أن الزوجة التى تقيم دعواها للتفريق بينها وبين زوجها لازال

عقد زواجها منه قائماً ، وأن حقها فى التفريق بينها وبين زوجها ليس معلقاً على إرادتها ، بل مرتبطاً بوجود ضرر محدد وفق مقاييس شرعية ، ناشئا عما أتاه زوجها معها إخلالا منه بحسن العشرة بما ينافى حدود إمساكها معروفا ، وهو بعد ضرر لا يليق بأمثالها ، وليس مترتباً على الزيجة اللاحقة فى ذاتها ، بل وقع بمناسبتها .

متى كان ذلك :

فإن افتراض قيام المرأة التى تزوج زوجها عليها بحل عقدة النكاح بينها وبين زوجها عن طريق فسخها بإرادتها المنفردة إعمالا من جانبها لشرطها بعدم التزوج عليها ـ بفرض وجوده فى عقدها ـ يكون غير متصور فى تطبيق أحكام النص المطعون فيه .

ومردود ثانيا : بأن قاعدة الفقه الحنبلى فيما تتضمنه العقود بوجه عام من الشروط . وما يرد منها بوجه خاص فى عقد الزواج ، هو إطلاقها لا تقييدها ، وإباحتها لا منعها ، مالم يقم دليل شرعى على غير ذلك ، وهم يفرعون هذه القاعدة على مبدأ حرية التعاقد ، وأن الناس على شروطهم لا يتحولون عنها إلا شرطاً حرم حلالا أو أحل حراماً ، وقد أجازوا ـ وعلى ضوء نظرتهم إلى الشروط فى الأنكحة ـ شرط المرأة على زوجها ألا ينقلها من دارها أو بلدها أو أن يكون ذا مال ، **وقطعوا بأن شرطها أن لا يتزوج عليها لا يحرم حلالا** ، ذلك أن فائدة هذا الشرط تعود إليها ومنفعتها فيه ، وما كان من مصلحة العاقد كان من مصلحة عَقْدِهِ ، وهو بعد شرط لا يخل بمقاصد النكاح التى قام الدليل الشرعى على طلبها ، وإذ كان إنفاذ العهد مسئولا ، وكان من المقرر أن مقاطع الحقوق عقد الشروط ؛ فإن نكول زوجها عن تعهده بعدم الزواج عليها يكون مخالفاً لقاعدتهم فى إطلاق الشروط وعدم تقييدها استصحابا لأصل إباحتها ، وهى قاعدة عززوها بما نقل عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن « أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج » . ومن ثم كان لها ـ وقد أخل زوجها بشرطها ـ وقام الدليل بالتالى على أن رضاها ـ وقد كان قواما لعقد زواجها ـ قد اختل ، الخيار بين إبقاء علاقتها الزوجية أو حلها بفسخها .

وحيث إنه متى كان ما تقدم ، وكان النص المطعون فيه لا يعارض التعدد ، ولا ينظر إليه باعتباره ذريعة إلى حرام ، ولا يتوخى كذلك بلوغ غاية بذاتها يكتنفها الإثم أو يتصل بها ، وجب القول بأن الدائرة التى يعمل فى نطاقها ، هى دائرة المضار الفعلية إذا كان مرجعها فعل أو امتناع أتاه زوجها قبلها مرتبطاً بالزيجة التالية ، ومتصلا بما يكون عليه حال العشرة بينهما بعد تزوجه عليها مما لا يأذن به الشرع أو يرخص فيه . ومن ثم يكون هذا النص منطوياً على تطبيق خاص للتطليق للضرر لإفراده صوراً بعينها يكون ذلك النص متعلقا بها منصرفاً إليها ودائراً حولها ، وهو باعتباره كذلك يعد فرعاً لأصل يرد إليه ، وليس للفرع امتياز على الأصل الذى يلحق به . ويقتضى ذلك أن يفسر النص المطعون فيه على نحو يوفق بين أحكامه وقوله ـ تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ وكذلك على ضوء

القاعدة الكلية التى صاغها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقولـــه : « لا ضرر ولاضرار » ، وهى قاعدة رئيسية من أركان الشريعة الإسلامية تعددت تطبيقاتها وإن كانت مُحكمة فى إيجازها ، وتكشف عنها نصوص قرآنية مختلفة مواضعها منها قوله ـ سبحانه : ﴿ ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ﴾ وقولـــه ـ جل علاه : ﴿ ولا تضاروهـــن لتضيقـــوا عليهن ﴾ وقوله ـ تعالى : ﴿ فأمسكوهـــن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ﴾ وحكمها يفيد دفع الضرر قبل وقوعه بطرق الوقاية الممكنة ، ودفعه بعد حدوثه بما يستطاع من التدابير التى تزيله . وعلى ضوئها لايجوز الإضرار ـ ولو على سبيل المقابلة ـ إذا كان ثأراً محضاً يزيد من الضرر ولا يفيد إلا فى توسيع دائرته . كما لايجوز أن تقدم المنافع التى يمكن جلبها على مواجهة مخاطر المفاسد ودرء عواقبها .

وعنها فرع الفقهاء عدداً من القواعد التى تندرج تحتها ، وتعتبر تخريجا عليها ، منها أن الضرر يدفع قدر الإمكان ، وأن الضرر يزال ، وأن الضرر لايزال بمثله كى لا يتفاقم مداه ، وأن تزاحم ضررين يقتضى اختيار أهونهما دفعا لأعظمهما ، وأن تحمل الضرر الخاص يكون مطلوباً كلما كان ذلك لازما لرد ضرر عام .

وحيث إنه متى كان ما تقدم ، وكان المالكية قد أثبتوا حدود قاعدة « لاضرر ولاضرار » ببيان بعض تطبيقاتها فى نطاق العلاقة الزوجية ، وبتوكيدهم أن الأضرار التى تخول الزوجة حق حل عقدة النكاح بينها وبين زوجها هى التى تكون كذلك بالمقاييس الشرعية ، ولا اعتداد فى توافرها وقيام سببها بما تراه هى صواباً أو انحرافاً عن الحق ، أو بما يكون كامناً فى نفسها قبل زوجها بغضاً أو ازدراء أو نفوراً ، وإنما مرد الأمر دوما إلى ما تقرر الشريعة الغراء اعتباره ضرراً ، وكانت هذه القاعدة التى فصلها المالكية هى الأصل العام فى التطليق للضرر ، فإن النص المطعون فيه يعتبر من تطبيقاتها ، وإن كان من قبيل التنظيم الخاص لبعض صورها ، وهو تنظيم لا ينحى القاعدة العامة المنصوص عليها فى المادة ٦ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ أو يعارضها ، وإنما يتقيد بإطارها العام الذى يخول كل زوجة حق التفريق بينها وبين زوجها إذا لم يعد مستطاعاً ـ على ضوء الأضرار التى ألحقها بها ـ دوام العشرة بين أمثالهما ، ولا منافاة فى ذلك كله لمبادىء الشريعة الإسلامية القطعية فى ورودها ودلالتها ، بل هو التزام أمين بها ، ذلك أن ما يصدر عن الزوج ـ إيذاء وإعناتا وقهراً ـ يعتبر تعدياً عليها يحملها ما لا تطيق ، ويخرج بالتالى عن نطاق الحماية الشرعية ، وما النص المطعون فيه ـ فى نطاق الشرطين الموضوعيين اللذين أسلفنا بيانهما ـ إلا تفريعاً على هذا الأصل العام ، ولابد أن يُحمل على معناه .

وحيث إن القول بأن الشريعة العامة للتطليق للضرر تدل بشمول معناها وتنامى تطبيقاتها على اتساعها لكل صوره بما فى ذلك تلك التى عينها النص المطعون فيه ، لا يعنى ـ وبفرض صحته ـ أن التنظيم الخاص الذى أفرده ذلك النص لصور

بذاتها من الأضرار تكون الزيجة التالية هى مناسبة إحداثها ويجوز التفريق بين الزوجين بموجبها ـ قد صار مخالفا للدستور ، ذلك أن اندراج نص تشريعى معين فى المفهوم العام لنص آخر ، وإمكان الاستغناء بالتالى عن الفرع لعموم الأصل ، أوثق اتصالا بالوسائل الفنية لصياغة النصوص التشريعية ، ولا ينحل من هذه الناحية وحدها ـ بالتالى ـ إلى مخالفة دستورية .

وحيث إن من المقرر أنه إذا حددت المحكمة الدستورية العليا ـ بطرق الدلالة المختلفة ـ معنى معيناً لمضمون نص تشريعى ، منتهية من ذلك إلى الحكم برفض المطاعن الدستورية الموجهة إليه ، فإن هذا المعنى يكون هو الدعامة التى قام عليها هذا الحكم ، لتمد إليه مع المنطوق الحجية المطلقة والكاملة التى أسبغها قانون المحكمة الدستورية العليا على أحكامها فى المسائل الدستورية باعتبارهما متضامين وكلا غير منقسم ، ولا يجوز بعدئذ لأية جهة ـ ولو كانت قضائية ـ أن تعطى هذا النص معنى مغايراً يجاوز تخوم الدائرة التى يعمل فيها محدد إطارها على ضوء قضاء المحكمة الدستورية العليا .

وحيث إن النص المطعون عليه ـ فى الحدود السالف بيانها ـ لا يتعارض مع أحكام الدستور من أوجه أخرى .

فلهذه الأسباب حكمت المحكمة برفض الدعوى وبمصادرة الكفالة وألزمت المدعى المصروفات ومائة جنيه مقابل أتعاب المحاماة .

أمين السر　　رئيس المحكمة

الأثر الحضاري للهجرات

في شرق إفريقيا

بقلم الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة

كانت هجرة المؤمنين ـ دائماً ـ طلباً لرحمة الله ، وجهاداً في سبيله . يتركون أرضهم وديارهم مرضاة لله ـ ربهم .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾

(البقرة / ٢١٨)

وكان فضل الله ـ دائماً ـ ورحمته التي وسعت كل شيء تتنزل على من هاجر ومن آوى ، فيأمن من هاجر ، ويهنأ كلاهما بمغفرة ورزق كريم

قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال / ٧٤)

وهكذا كان الحال في شرق إفريقيا .

لقد كان للمسلمين توجه إلى افريقيا منذ الأيام الأولى للإسلام ؛ حيث استشعروا فيها الأمـــن والأمان ، فكانت هجراتهم الأولى إلى شرق إفريقيا فراراً بدينهم من أذى المشركين ، وكانت أول هجرة إسلامية خارج شبه الجزيرة العربية هي « هجرة سيدنا عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت سيدنا محمد ﷺ في السنة الخامسة من البعثة أي : قبل هجرة الـــرسول ﷺ إلى يثرب بثماني سنوات ، حيث استقر عثمان ـ رضي الله عنه ـ

وثلاثة عشر مسلماً بالحبشة لمدة أربعة أشهر هى رجب وشعبان ورمضان وشوال عام ٦١٦ هـ ثم عادوا إلى مكة المكرمة[١] .

ويقول محمد بن اسحق : لما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب من قبل قريش قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » فخرج من المسلمين فى مكة أحد عشر رجلًا وأربع نسوة كان منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك لخمس سنين من البعثة .[٢]

لقد حظى المسلمون بمكانة مرموقة بين الأفارقة لم يحظ بها قوم آخرون ، وفى ذلك ما سجله النويرى عن المهاجرين : (فجاورنا بها خير جار ، أمناً على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه » .[٣] .

وتلك الأهمية كانت محصلة علم وخبرة بأهل إفريقيا على مر الزمن ؛ فما كان يحسن بقوم مضطهدين أن يفروا بدينهم إلى أرض لا يعلمون عنها شيئاً ، وهو ما تُثبته الحقائق التاريخية ، وتؤكده الروابط القوية بين العرب وإفريقيا قبل وبعد الإسلام .

كانت هجرة سيدنا عثمان هى الأولى ولم تكن هجرة سيدنا جعفر إلى الحبشة هى الأخيرة ، فقد شهد التاريخ الإسلامى بعد ذلك عدة هجرات إلى إفريقيا نذكر منها :

● **هجرة بنى مخزوم القرشيين :**

وهى هجرة تمت إلى الحبشة ، وكان على رأسها « ود بن هشام المخزومى » فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

ويقال : إنهم فى سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦م كانوا قد كونوا مملكة إسلامية فى منطقة من أخصب المناطق ، شرق منطقة شوة « على الهضبة الحبشية نفسها »[٤] .

● **هجرة جماعة من أهل الشام ٦٥هـ/ ٦٨٤م :**

وهم جماعة لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف الثقفى ، فرحلوا سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م) إلى الجنوب فى أعداد كبيرة متجهين جنوب الساحل الشرقى لأفريقيا ، ولما وصلوا وجدوا جالية كبيرة تزيد على عشرة آلاف من الرجال المسلمين ، إذ أن الإسلام قد وصل إلى المراكز التجارية التى أنشأها العرب بشرقى إفريقيا[٥] .

● **هجرة سليمان وسعيد (بين عامى ٧٠٠ ـ ٧٠٤) :**

وهى هجرة تمت فى عهد عبد الملك بن مروان ، إثر قيام شعب عمان بقيادة الأخوين سليمان وسعيد بن عباد الجلندى من قبيلة الأزد بثورة ضد الخليفة ، تمكن الخليفة من القضاء

(١) ابن حجر العسقلانى ـ فتح البارى / جـ ٧ ـ ص ٢٢٧ باب هجرة الحبشة طبعة الريان ـ القاهرة ١٩٨٦م .

(٢) راجع : مجلد الأزهر ـ المحرم ١٤١٤ هـ ص ٦١ صاحب الهجرات الثلاث للمستشار محمد عزت الطهطاوى .

(٣) المرجع السابق .

(٤) د . محمد عبدالله النقيرة : انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ص ١٠٠ .

(٥) د. حسن محمود ـ الإسلام والثقافة الإسلامية فى أفريقيا ـ ص ٣٨ مكتبة النهضة ـ القاهرة ١٩٥٨م .

عليها ، مما اضطرهما إلى الفرار مع بعض أنصارهما إلى شرق أفريقيا ، ولعلهم نزلوا فى بات Pate فى أرخبيل « لامو » عند الطرف الجنوبى للصومال أو فى مدينة « جدابو » شمال « ممبسة »(٦).

وكثرت حروب عبـــدالملك بن مروان ضد مخالفيه ، فكثرت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرق أفريقيا فى عهده وأسست مدنا على الساحل مثل : « مالينده وزنجبار وممبسة ولامو وكلوه وباته ... وغيرها » .

● هجرة الإخوة السبعة من الإحساء بعد عام ٩٠٤ :

وفـــدت طوائـــف من ولايـــة الإحساء إلى شرق الجزيرة العربية وكان على رأسهم سبعة إخوة من قبيلة الحارث التى كانت تقيم بساحل الخليج العربى على مقربة من البحرين ، فنزلوا على ساحل « بنـادر » حيث شيـدوا مدينتى « مقديشيـو » و« بروه » وامتد نشاطهم حتى جنوبى ممبسة . وأدت زيـادة نشاطهـم إلى انحسار الزيـــديين وانسحابهم إلى الداخل ، ومع مر السنين تزاوج الزيدية مع القبائل الافريقية الخالصة ونتج عن هذا التزاوج شعب عرف باسم (الأموزيدج)(٧) .

٥ ـ هجرة سليمان بن مظهر النبهانى :

فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى استطاع سليمان النبهانى أحد سلاطين مسقط أن يتزوج من أميرة سواحيلية هى ابنة حاكم بات Pate ثم ورث سليمان الحكم ـ كعادة هذه البلاد ـ وأصبح أميراً شرعياً ، فانتقلت إلى شرق أفريقيا ـ نتيجة لذلك ـ هجرة كبيرة كان لها أثرهـا فى تاريخ المنطقة(٨) .

بالإضافة إلى هجـرات الهنـود المسلـــمين والهجرات الشيرازية التى كان من أشهرها هجرة على بن الحسن بن على الشيرازى . لقد أدى تزايد الهجرات إلى أفريقيـا إلى تزايـد المسلـمين على الساحل الشرق لافريقيا ؛ « فبذلوا غاية جهدهم واجتهادهم فى سبيل إنشاء المدارس والمساجـد والمعاهد الطبية وانفقوا المال الطائل فى أعمال البر »(٩) . فأصبحوا عنصراً هاماً فى حيـاة تلك المنطقة ، نشروا العلم فظهرت الأعمال الأدبية ، والكثير من المصنفات العربية ، منها ما يحتوى على الكثير من المعلومات عن شرق أفريقيا . نذكر منها :

١ ـ تحفة النظار فى عجائب الأمصار .. وفيه أن أهل ممبسا شافعية أهل دين وعفاف .

٢ ـ فريدة العجائب وفريدة الغرائب : وفيه أن أرض سُـفالا بها من التبر الكثير ، وكل تبرة مثقالان وثلاثة وأكثر ، ومع ذلك لا يتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه على الذهب .

٣ ـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : ويعتبر أول مرجع يتحدث عن الساحل الافريقى .

٤ ـ مسالك الممالك : وبه خرائط أوضحت فيما أوضحت الثغور والمدن التى تقع فى بلاد الزنج .

(٦) د. عبدالرحمن زكى ـ الإسلام والمسلمون فى أفريقيا ص ٢٥٤ ـ القاهرة ١٩٧٠م .
(٧) د. محمد النقيرة ـ انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا .
(٨) د. عبد الرحمن زكى ـ المرجع السابق .
(٩) د. عبد الرحمن زكى ـ المرجع السابق ص ١٤٥ .

٥ ـ البلدان : وفيه الكثير عن عادات وتقاليد الزنج .

٦ ـ المسالك والممالك : وفيه إشارات إلى بلاد الزنج .

وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى كان فيه المؤرخون والرحالة من أمثال : ابن حوقل والبكرى واليعقوبى وابن خلدون والقلقشندى وابن بطوطة وغيرهم قد صنفوا وكتبوا الكثير من المؤلفات عن افريقيا كانت أوربا لا تعرف شيئاً عن أحوالها .

إن الله الذى لا يخلف وعده قضى أن تزدهر الحياة فى شرق أفريقيا على أيدى هؤلاء المهاجرين إليها من المسلمين ، فرأينا الكثير من الممالك والمدن الإسلامية التى تمتد على طول الساحل الشرقى لأفريقيا وبالجزر المواجهة له وبالداخل أيضاً مثل :

سلطنة مقديشيو : التى أسسها المهاجرون الزيديون . فبلغت من النمو والازدهار ما جعل ابن بطوطة يقول عنها أن أهلها على خلق ودين ، ولهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين كل يوم .

سلطنة كلوة : التى أسسها على بن الحسن بن على بن صاحب شيراز .

مملكة شوه الإسلامية : أسسها المهاجرون من قبيلة بنى مخزوم وكذلك ممالك « بالى » و « هدية » و « دارة » و « دوارو » و « أرابينى » وأهل هذه الممالك مسلمون على المذهب الحنفى .

كل هذه الممالك شامخة شموخ المآذن التى تملؤها معلنة أن ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾

(النساء / ١٢٢)

والحمد لله رب العالمين .

ملاحظات

حول الصياغة الانجليزية لكلمات وردت فى مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية

م / محمد محمد عنتريس إبراهيم

كان لبعض الدول الإسلامية تحفظات على كلمات وردت فى نص البرنامج العالمى الذى أوردته وثيقة المؤتمر لتثبيت النمو السكانى فى العالم بعد عام ٢٠٠٠ . وهو برنامج معقد وباهظ التكلفة ، فقد خصصت الوثيقة مبلغ ١٧ مليار دولار لبرامج الصحة الإنجابية فى العالم فى عام ٢٠٠٠ تزاد إلى ٢١,٧ مليارا فى عام ٢٠١٥ .

وقـد ثار جدل شديـد حول المقصود «بالصحـة الإنجابيـة والصحـة الجنسيـة Reproductive and Sexual Health

إذ رأت دول إسلامية كثيرة أن هذا المفهوم الجديد يحمل من الدلالات المتعلقة بالإباحية والفسق Licentiousness ما يجعلها ترفضه . وقال مارك نيكولصن مندوب صحيفة فينانشال تايمز اللندنية فى القاهرة ، تعليقا على هذا : تركز الكثير من المفاوضات التى جرت فى المؤتمر حول تخليص هذا المفهوم من أى توريات سيئة على أن يظل محتفظا بالتعريف الدولى الهام لمجال جديد تماما من مجالات الرعاية الصحية كما وضعه المتخصصون فى الشئون الصحية من أهل الغرب . وبناء على ذلك كان التحول من التركيز على الإنجاب إلى مفهوم أوسع يشمل صحة الأم وحقوق المرأة جنبا إلى جنب مع الاعتراف «باللذة والمتعة اللتين يمكن أن تعطيهما الحياة الجنسية» .

ووقف الفاتيكان ومعه عدد من الدول الكاثوليكية المتشددة يعارضون عبارة : الصحة الإنجابية Reproductive Health يريدون تخليصها مما يمكن أن ينطوى على إقرار للإجهاض .

هذه الصياغة ـــ وغيرها مما سيأتى بيانه ـــ يلفها الغموض والتورية والمواراة . ومن الممكن القول بأن هذا أمر مقصود ومتعمد ، فلربما أراد القائمون على أمانة المؤتمر استخدام كلمات أخف وطأة من تلك المثيرة للتقزز والاشمئزاز ؛ فعمدوا إلى إحلال كلمات مخففة وغامضة وغير مباشرة محل الكلمات الحقيقية الفعلية ؛ لأن الأخيرة تصدم المشاعر لبشاعتها ، وهذا التكنيك معروف

(*) وكيل الوزارة ـ مجلس الشعب .

فى الانجليزية باسم Euphemism أى تلطيف الصياغة .

كان مشروع الوثيقة أو التوصيات الذى قدمته أمانة المؤتمر إلى الوفود لإقراره ينص على إباحة كبائر الإثم والفواحش .

لكن المشروع استخدم كلمة : مضاجعة المثيل Homosexuality بدلا من كلمتى اللواط Sodomy والسحاق Lesbianism ، واستخدم كلمة : ممارسة المتزوجين للجنس مع غير أزواجهم Extramarital Sex بدلا من زنا المحصن Adultery ، واستخدم كلمة : ممارسة المراهقين للجنس Adolescence Sex وكلمة : ممارسة غير المتزوجين للجنس Premarital Sex بدلا من زنا الأعزب Fornication فأمانة المؤتمر استخدمت كلمات لاتحمل من ظلال البشاعة ما تحمله كلمات : السحاق واللواط والزنا .

هذه المخاتلة والمراوغة والمداورة فى الصياغة بقصد تسويق بضاعة فاسدة مفسدة أدت إلى ضياع أسبوع كامل من مدة انعقاد المؤتمر ـــ التى بلغت تسعة أيام ـــ فى مناقشة فقرة واحدة هى الفقرة ٢٥ من الفصل ٨ التى قررت أن الاجهاض يجب ألا يشجع كوسيلة لتنظيم الأسرة ، لكن الحكومات يجب أن تتعامل معه وتنظر إليه على أنه واحد من الأمور الصحية الهامة ، وخاض مندوب الفاتيكان قتالا ضاريا حتى لاتحتمل صياغة هذه الفقرة أى تفسير من شأنه النص على الحق فى الاجهاض .

أما التنمية ، وهى النصف الثانى من اسم المؤتمر ، فلم يتبق لمناقشتها شىء من وقت المؤتمر ولم تحظ بشىء من مبلغ السبعة عشر مليار دولار الذى خصصته وثيقة المؤتمر لبرامج الصحة الإنجابية فى العالم ، أى برامج تحديد النسل ووسائل منع الحمل Contraceptives .

وفى مجال الصياغة والمداورة سكّت أمانة المؤتمر مصطلحاً جديداً هو : الأسرة وحيدة الوالد Single - parent - family والمطالبة بالاعتراف بها . وبديهى ـ طبعاً ـ أن الأسرة لا يمكن أن يتأتى لها الإنجاب إلا من والدين : الأب والأم ، لكن الحمل فى الغرب فى هذه الأيام : يغلب عليه أن يكون سفاحا بعد أن أصبح الاتصال الجنسى غير الشرعى وغير القاصر على رجل واحد أو امرأة واحدة Promiscuity هو القاعدة . ويتصادف أن تحمل المرأة من أب غير شرعى وغير معروف الهوية أو الإقامة أو الموطن ، وتلد المرأة فينسب الولد لأمه ويحمل اسمها قانونا . وهكذا تكون الأسرة وحيدة الوالد .

اجتاح سعار الجنس بكل شذوذياته وانحرافاته أهل الغرب وبات يحصدهم حصداً ـــ ويبدو أنهم عاقدون العزم على أن يجروا المفتونين بحضارتهم المادية إلى حمأة المستنقع الوخم .

ضوابط الحرب والسلم في الإسلام

أ.د/ سُعَاد ابراهِيمُ صَالِح(*)

جاء الإسلام بأوامر ثابتة وأصول متنوعة منها الأمر بالعدل والإحسان وعدم الاعتداء على الناس أو على أموالهم وأعراضهم .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ٩٠

فالمجتمع المسلم يوفر لكل إنسان يعيش فيه الأمن والطمأنينة والعدل والسلام .. ولذلك حرم الإسلام الاعتداء على حقوق الناس فقال ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » مجمع الزوائد ١/ ٤٥ بلفظ مقارب .

وجعل العدل هو القاعدة التى تحكم علاقة المسلمين بعضهم مع بعض ، وهم مع غيرهم .. فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٥٨

هذا أمر عام لنا إذا حكمنا سواء كان التحكيم برضا المتخاصمين أو بتفويض من الدولة .. والعدل هو حكم الله المعروف من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٩

(*) الكاتبة : أستاذ الفقه المقارن وعميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة .

وقال سبحانه ـ فى معرض الحديث عن اليهود ـ :

﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

سورة المائدة

الآية تنم عن العدل المطلق وتأمرنا بالعدل فى الحكم حتى مع اليهود على الرغم من عدائهم وفساد أخلاقهم وسوء ما نعرفه عنهم ، ومع ذلك علينا إذا تحاكموا إلينا نحكم بينهم بالعدل .

وفى إقرار التعامل بالعدل بين المسلمين قال جل شأنه :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

سورة الحجرات

وقد يقع القتال بين المسلمين على صور متعددة ، منها أن تختصم أسرتان أو قبيلتان ، ومنها أن يقع القتال بين بلدين أو قطرين .. وفى كل حالة يقع فيها القتال يجب على بقية المسلمين أن يتدخلوا بالإصلاح الذى قوامه العدل ، فإن رفض أحد الطرفين الصلح وقبول التحكيم ؛ وقف المسلمون كلهم فى الطرف المقابل ، فإن اتفقا على الصلح والتحكيم وجب أن يكون الحكم عادلا والحاكمون عُدُول وأن يصدروا حكمهم غير مراعين منه إلا صفة العدل وعلى الأطراف كلها القبول ، وعدم قبول طرف بالعدل يجعله باغيا يستأهل أن يحارب حتى يخضع للعدل والقسط .

وفى مقابل الأمر بالعدل .. نهى الإسلام عن الظلم .. فالله سبحانه وتعالى حرَّم الظلم على نفسه وجعل الظلم محرما على عباده حيث امرهم بعدم الظلم بقوله تعالى فى الحديث القدسى : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم حراما فلا تظالموا » رواه مسلم . وحذرنا رسول الله ﷺ من الظلم فقال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

● ● ●

والأخوة بين المؤمنين ، تقوم على الإنصاف ، أى أن العدل لحمة لها وسدى قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ .

سورة الحجرات ـ آية ١٠

وحديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ـ رواه البخارى وأحمد والبيهقى فى السنن الكبرى ـ محدد لوجوب العدل فى علاقة الأخوة ، فقد شرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نصرة الظالم بقوله .

وتعنى الأخوة التراحم . قال ـ تعالى ـ :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

وشدة المؤمنين على الكافرين تعنى ردعهم إذا هموا أو باشروا العدوان على المسلمين .

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين ما أشار إليه ـ عز وجل ـ بقوله :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾

سورة آل عمران ـ آية : ١٥٩

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين القيام بحقوقهم .. يقول ـ عليه الصلاة والسلام : « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » . رواه مسلم ـ كتاب السلام ـ والبيهقى فى السنن الكبرى .

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين عدم تروعيهم وعدم الإضرار بهم قال ـ عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلما »ـ رواه البيهقى فى السنن الكبرى ـ وقال : « من أشار على أخيه بحديده لعنته الملائكة حتى ينتهى » .

راجع شرح السنة للبيهقى ١٠/٢٦٦ ـ كتاب قتال أهل البغى باب : النهى عن أن يشير إلى أحد بالسلاح ، الترمذى فى الفتن .

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين إذا كانوا فى دار الحرب أن نحارب من يضطهدهم وأن ننصرهم إذا استنصروا إلا على قوم بيننا وبينهم ميثاق ..

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ .

سورة الأنفال ـ آية : ٧٢

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين تخليصهم من الظالمين والكافرين إذا تسلطوا عليهم بشكل من الأشكال .. قال ﷺ : « المسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

والأصل فى الإسلام هو الدعوة إلى السلام والصلح .. قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

سورة فصلت ـ آية : ٣٤

وقال ـ سبحانه ـ :

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ١٣

وقال :

﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ .

سورة المزمل ـ آية : ١٠

فالمسلمون مأمورون بالدعوة إلى الله بالطريقة الحسنة والإسلام يحرص على إيصال الدعوة إلى الناس بغير عنف .. ولا يلجأ إلى فرض القتال إلا فى حالة الدفاع عن النفس قال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾

سورة البقرة ـ آية : ١٩٠

ففى هذه الحالة يفرض القتال بل ويحث عليه بقوله تعالى :

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٤١

وقال ﷺ : « من مات ولم يَغْزُ ولم يُحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

ولقد عبر الله سبحانه عن القتال بأنه مكروه لهم فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢١٦

وتلك الكراهية أمر جبلّى لما فيه من القتل والأسر وإتعاب البدن وتلف المال وقتل ما عسى أن يكون من الأقارب على الكفر ، وهم يحبون أن يهديهم الله إلى الإسلام وهذا لا ينافى رضاهم بما كلفهم الله به حبا فى مرضات الله وطمعا فى ثوابه كالمريض يرضى بشرب الدواء الكريه الطعم حبا فى الشفاء .

والجهاد أصلا فرض كفاية يقوم به المجندون من شباب المسلمين نائبين عن بقية المسلمين فإذا دخل العدو بلاد الإسلام غازيا فقد انعقد الاجتماع على أن الجهاد فرض عين على جميع المسلمين سواء أكان بالقتال أم بالحض عليه أم بتجهيز المقاتلين أم تثبيتهم أم برعاية أسرهم أم علاجهم أم تأليب الرأى العام على المعتدين ويكون ذلك حسب طاقة المجاهد ..

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾ .

فيه دليل على النهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ .. أى قاتلوا الذين هم قائمون فعلا لقتالكم متلبسون به ولا تعتدوا بقتل النساء والصبيان والرهبان ، وقد روى أن رسول الله ﷺ رأى فى بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان .. إلا أن يكون لهؤلاء ولغيرهم من الرهبان والشيوخ مشاركة فى القتل فيقتلون .

فالنساء إن قاتلن قتلن ، والمرأة يمكن أن يكون لها آثار عظيمة فى القتال كالإمداد بالأموال ، والتحريض على القتال وغير ذلك وذلك يبيح قتلهن .. أما الصبيان فلا يقتلون للنهى الثابت عن قتل الذرية ، ولأنه لا تكليف عليهم فإن قاتل قُتِل ، والرهبان لا يقتلون ولا يسترقون بل يترك لهم ما يعيشون به من أموالهم والزمنى .. والصحيح أن تعتبر أموالهم فإن كانت منهم اذاية قتلوا والا تركوا . والشيوخ .. والذى عليه جمهور العلماء إن كان شيخا كبيرا هرما لا يطيق القتال ولا ينتفع به فى رأى ولا مدافعة فإنه لا يقتل ، كما نهى الإسلام أيضا عن قتل العسفاء وهم الأجراء والفلاحون . يقول النبى ﷺ لأحدهم : « الحق خالدا فقل له : لا تقتل ذرية ولا عسيفا » وقال عمر بن الخطاب : « اتقوا الله فى الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب » .

هذه هى بعض ضوابط الحرب والسلام المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج الخلفاء من بعده .. والله ولى التوفيق .

الإسلام ووسائل الإعلام الغربية

للسيدة / عبير محمد عبد الواحد

الكذب ممقوت ، لكنه ـ مع ذلك ـ يتربع عرشا من عروش إبليس ذات الألوان الزاهية التى تستهوى العديد من ذوى النفوس المغرضة ـ ولسنا نندهش إذا علمنا أن الكذب ـ فى باب السياسة ـ صار فنا ينتمى إلى جذور وأصول كان منها ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ المصطلح المعروف بـ « جذر الكذب » الذى وضع أسسه « جوبلز » المعروف بدعايته لزعيمه هتلر حيث اعتمد على لبس الحق بالباطل .

ومع ذلك يظل الكذب كذبا ، ويفتضح أمره على أى حال فتَظْلم ألوانه الزاهية ويستحيل إلى رماد أسود يناسبه ؛ فقد أبى الله ـ سبحانه ـ إلا أن يُحقَّ الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وليس بعد الكذب جريمة .. وفى القرآن العزيز : ﴿ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٦١

ذكرت ذلك كله حين ترددت الصيحة الكاذبة التى تريد أن تروج لمقولة كاذبة تدعى « أن الإسلام انتشر بالسيف » .

قلت : أى سيف هذا الذى كان على رقبة السيد « روبرت كرين » مستشار الرئيس الأمريكى نيكسون لشئون الشرق الأوسط حين أعلن إسلامه .. ؟

وأى سيف هذا الذى كان على رقبة « ويلفريد هوفمان » ـ مراد ويلفريد هوفمان .. سفير ألمانيا بالمغرب ؟ ! .

وأى سيف هذا الذى كان على رقبة « روجيه جارودى » ـ رجاء جارودى الفيلسوف الفرنسى .. ؟! .

وما قدمت هنا إلا أفرادا ذوى مكانة رفيعة فى ميادين العمل الدولى المرموق .

فإذا تصفحت شعوبا ، وتساءلت نفس السؤال :

أى جيش إسلامى حمل السيف على رقاب العباد فى السنجال ، أو النيجر أو نيجيريا ، أو كل بلاد أفريقيا .. ؟

من هذا الذى يستطيع أن يدلى بمعلومة واحدة على سيف الإسلام بهذه البلاد ؟ .

هذه جنوب أفريقيا ، دولة دخلها الإسلام ... دون أن يطرق أبوابها جيش إسلامى .

دخلها الإسلام مع الدعاة المسلمين من الهند وغيرها ، ولو أن الإسلام أعمل السيف فى رقاب الهنود لكانوا أسرع ارتدادا عنه ، ولم يجشموا أنفسهم مؤنة الدعوة إليه ..

كل هذه الحقائق ، ولازالت وسائل الإعلام الغربية تنفث سمومها فى الإسلام باتهامه بالأباطيل .. !!

يقول « توماس أرنولد » فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » :

« يمكننا أن نحكم من الصلات الودية التى قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس إلى الإسلام . فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم فى أمن وطمأنينة . »[1] .

وهى عبارة لا نفرح لها ، ولا تصور من كاتبها إنصافا بقدر ما تصور من ذكائه المحدود ، فقوله :

(إن القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس إلى الإسلام) وهى العبارة التى اجتهد فى صياغتها لا تنفى استخدام القوة فى حمل الناس على الإسلام ، بل تجعل القوة حاملا بجانب شىء آخر .. حتى إذا استشهد هذا المؤرخ بعهدته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لنصارى نجران ، واستيقانه من إسلامهم عن اختيار ؛ كانت عبارته أقرب إلى الصواب حيث يقول : « نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح »[2] .

كذلك برهن « أرنولد » فى كتابه على أن تحول المسيحيين إلى الإسلام ـ فى مصر ـ لم يكن راجعا إلى الاضطهاد حيث إنه فى الوقت الذى شغر فيه كرسى البطرقية تمتع المسيحيون بالحرية التامة فى إقامة شعائرهم ، وسُمح لهم بإعادة بناء كنائسهم ، بل وبناء كنائس جديدة ، وحوكموا فى محاكمهم الخاصة وأعفى الرهبان من الجزية ومنحوا امتيازات معينة فماذا كانت نتيجة هذا التسامح والعدل فى معاملة غير المسلمين ؟ كانت النتيجة أن أحب أهل البلاد المفتوحة المسلمين ، وفضلوهم عن المحتلين على الرغم من أنهم كانوا على دينهم ! ..

(١) محمد قطب ـ شبهات حول الإسلام ص ٢١١ .
(٢) نفس المرجع ص ٢١١ .

يقول « أرنولد » فى كتابه : « ولما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن ، وعسكر أبو عبيدة فى فحل ، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون : يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا »[٣] .

ويعترف الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا بمدى تسامح الإسلام فى محاضرته التى ألقاها فى « مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية » فى ١٢ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ ـ ٢٧ أكتوبـــر ١٩٩٣ م . حيث يقول : « وعرف الناس فى العصور الوسطى سماحة الإسلام ، تلك التى كانت شيئا لافتـــا للنظـــر ، إذ سمح لليهود والمسيحيين بالحق فى ممارسة عباداتهم ، وضرب فى ذلك مثلا لم يحتذه الغرب ـ لسوء الحظ ـ طوال قرون من الزمان* . والشىء المدهش هو مدى صيرورة الإسلام جزءا من أوروبا ردحا طويلا من الزمان فى أسبانيا أولا ، ثم فى دول البلقان ، وإسهاماته البعيدة المدى فى الحضارة التى غالبا ما نظن خطأ أنها حضارة غربية صرفة ـ فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا فى جميع مجالات السعى الإنسانى ـ ولقد ساعد على خلق أوروبا الحديثة ، وهو جزء من تراثنا حن لا انفصام له »[٤] وإشارة الأمير إلى استمرار الإسلام فى أوروبا فترة طويلة من الزمن وإسهامه فى الحضارة الغربية إنما يعنى مدى تسامح الإسلام وانفتاحه وقدرته على احتواء واستيعاب مختلف الثقافات والحضارات والإسهام فيها ..

إن المرء قد يتساءل بدهشة : كل هذا التسامح الذى أمرنا به الإسلام فى تعاملنـــا مع غير المسلمين ، ما مقابله ؟ بخاصة وأن هذا التسامح لا نلاحظه بمثل هذا القدر وهذه الكيفية فى تعامل الآخرين معنا ـ نحن المسلمين ـ أو حتى فى تعاملهم مع بعضهم البعض .

(٣) نفس المرجع ص ٢١١ .

(٤) مجلة الأزهر ـ عدد رجب ١٤١٤ هـ ص ١٠٠٢

العلماء وشذوذ العبقرية

لفضيلة الشيخ
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

تعنى كلمة الشذوذ : الانفراد بالفعل والندرة فيه ، على النحو الذى فسره العلامة «ابن منظور» فى كتابه القيم «لسان العرب» حيث قال: شذ يشذ ، ويشذ شذوذا: انفرد عن الجمهور ، وندر فهو شاذ ، واستشهد على ذلك بما أنشده أبو الفتح بن جنى .

فاشذنى لمرورهم فكأننى غصن لأول عاضد أو عاسف
فمعنى أشذنى أفردنى .

وقد سمى النحويون المنفرد فى بابه بالشاذ ، والشاذ لا يقاس عليه كما يقولون .

ويقال : اشذذت يا رجل ، إذا جاء بقول شاذ نادر ، وبالحرىّ إذا جاء بفعل شاذ أو انفرد بتصرف غريب .

وكان النقاد يلاحظون على العباقرة من العلماء والأدباء ألواناً من السلوك أو التصرفات أو العادات أو الأوصاف ينفردون دون غيرهم ويختصون بها عن سواهم ، حتى قالوا عمن يوجد فيه شيء من ذلك : إن هذا من شذوذ العباقرة .

ومن هذا الشذوذ ما يوجد فطرة فى صاحبه ، أو يكون نتيجة عادة ، أو سلوك التزمه حتى أصبح طبيعة فيه . وقد استشهد العقاد ـ رحمه الله ـ لعبقرية عمر ـ رضى الله عنه ـ بصفات نادرة كانت فطرة فيه ، وذكر فى معرض الاستدلال على أن هذا من سمات العبقرية برأى العالم الإيطالى « لومبروزو » ومدرسته التى تأتم برأيه ، حيث يقرر بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقرية علامات لا تخطئها على صورة من الصور فى أحد من أهلها ، وهى علامات تتفق وتتناقض ، ولكنها فى جميع حالاتها وصورها نمط من اختلاف التركيب ومباينته للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة .

فيكون العبقرى طويلًا بائن الطول ، أو قصيراً بيِّن القِصر ، ويعمل بيده اليسرى أو يعمل بكلتا يديه ، ويلفت النظر بغزارة شعره أو بنزارة الشعر غير المعهود فى سائر الناس .

ويكثر بين العبقريين جَيَشَـان الشعـور ، وفرط الحس ، وغرابة الاستجابة للطوارىء ، فيكون فيهم من تفرط سورته كما يكون فيهم من يفرط هدوؤه ، دلهم على الجملة بعالم الغيب وخفايا الأسرار ولع على نحو يلحظ فى الزكائه ، والفراسة ، وتارة فى النظر على البعد ، وتارة فى الحماسة الدينية أو فى الخشوع لله .

ثم علق العقاد ـ رحمه الله ـ على ذلك بقوله ـ فى كتابه عبقرية عمر : « ومهما يكن من الشك فى استقصاء هذه العلامات والمطابقـــة بين تفصيلاتها وبين الواقع ، فهى لاريب صادقة فى حالات مقاربة فى حالات ، غير أهل فى كل حال للتصديق التام ولا للنبذ التام ، ولاسيما عندما تتفق فيها الظواهر والبواطن ، وتتلاقى فيها ملاحظات العلماء وشواهد العرف المأثور » .

ثم ذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد وضحت فيه بعض سمات العبقرية التى انفرد بها بين سائر الصحابة ـ رضوان الله عليهم .

سمات غير فطرية :

وهذه السمات المتقدمة طبيعية لا يد لصاحبها فيها ، فالطول البائن ، أو القصر الشديد ، أو غزارة الشعر ونزارته ، أو الذكاء المفرط ، أو غير ذلك مما يبدو من ملامح بعض الشخصيات العبقرية أمور فطرها الله ـ تعالى ـ فى صاحبها ، ولا مجال للكلام فيها .

ولكن الذى يهمنا هنا أنه فى معرض النظر إلى أفذاذ العلماء نعثر عند بعضهم على بعض النوادر التى تلفت الأنظار إلى نبوغهم وتفردهم ، وقد تلفت الأنظار أيضا إلى مايستغرب من تصرف يأتى من صاحبه طبيعيا ، ولكنه فى ميزان العرف والعادة قد يكون مخالفا لمعيار السلوك ، وهو من غير شك جاء نتيجة لعادة اعتادها صاحبها حتى أصبحت لازمة من لوازمه .

ونستدل على ذلك بما ورد فى تراجم بعض الشخصيات العلمية والأدبية اللامعة .

لازمة الحريرى :

كان القاسم بن على بن محمد الحريرى من أبرز العلماء فى اللغة والأدب . ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة بالبصرة ، فى خلافة المسترشد ، وتوفى سنة ست عشرة وخمسمائة .

وكان كما يقول المؤرخون غاية فى الذكاء والفطنة والفصاحة ، وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بتقدمه ، ويكفيه شاهداً على ذلك كتاب « المقامات » التى أربى فيها على الأوائل وأعجز الأواخر . وكتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » الذى استدرك فيه على خاصة أهل اللغة والعلم والبلاغة أخطاءهم فى تعبيراتهم وأساليبهم ، ولكنه مع ذلك انفرد بلازمة شاذة عرفت عنه واشتهر بها . وهى أنه كان عند إعمال فكره واشتغال ذهنه يدأبُ على نتف لحيته ، حتى قال فى ذلك بعض شعراء عصره الذين كانوا يحسدونه :

شيـــخ لنـــا من ربيعـــة الفُـــرْس
ينتـــــف عثنونـــــــه من الهوس
انطقـــــه الله بالمشان وقـــــــد
ألجمـــــه فى العـــــراق بالخرس

وكان هذا المنظر يثير الضحك والغيـــظ أحيانا ، إلى درجة أن أحد الوزراء الذين اصطفوه الزمه ترك هذه اللازمة ، فكان يضيق بذلك ذرعا ، ويتحير ويضطرب . وأعجب به الوزير يوما اثر جواب مسدد ، فقال له : تَمَن علىَّ شيئا اقطعك إياه . فقال : اتمنى أن تقطعنى لحيتى .

وربما كانت هذه اللازمة هينة الأمر بجانب غيره من أصحابِ اللوازم الشاذة ، وقد يتلمس لها التعليل ، ولا يعجز المعتذرون عنه فى ذلك لو التمسوه ، وفى انشغال الذهن مندوحة للعالم إذا أغرب فى بعض تصرفه ، فهو فى يقظة ذهنية غلبت على يقظته الحسية ، وغاب عن ظاهره فى حضور باطنه ، فهو كالنائم الذى يتيقظ وجدانه الداخلى لما يراه من أحلام ، وإن كان مظهره مظهر النائم الوسنان ، فلا حرج عليه إن حدث منه فى غيبوته الفكرية ما لا يحدث منه فى غيرها من الأوقات .

وما ظنك بالعالم الرياضى « ارشميدس » الذى خرج من حمامه عارياً وهو يعدو فى الطريق صائحا : وجدتها ، وجدتها . حين اكتشف وهو فى الحمام نظريته المشهورة الرياضية المعروفة بقاعدة « ارشميدس » ؟

وما ظنك بالفيلسوف القديم الذى كان يشعل شمعته فى رائعة النهار ليبحث عن المعرفة كما كان يقول ؟؟

أليس هذا من شذوذ العباقرة ؟

الأعرابى اللغوى :

ويعرض لنا الأديب الناقد ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الأدباء » قصة الحسن بن أحمد الأعرابى اللغوى ، ويعرف بالأسود الغندجانى ، اللغوى النسابة ، وغندجان ـ كما يقول ياقوت ـ بلد قليل الماء ، لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح .

كان الحسن صاحب دنيا وثروة ، وكان علامة نسابة ، عارفا بأيام العرب وأشعارها ، قيما بمعرفة أحوالها ، وكان له فى شهرته العلمية غناء لو أراد . ولكنَ الشذوذ العلمى يأبى إلا أن يطل برأسه فى حياة هذا العالم ، ويترك أثره فى ترجمته . فلقب بـ « الأسود » لم يجئه من طبيعة لونه ، ولكنه جاء من ناحية أنه تكلف هذا اللون ، وأنه كان يدهن جسمه بالقطران ويقعد فى الشمس ليحقق لنفسه التلقب بالأعرابى .

أليس ذلك مما يثير العجب ؟ ولكن الأعجب اعتقاد صاحبه بسلامة تصرفه .

وللأسود الأعرابى تصانيف عدة تشهد ببراعته وفضله ، من ذلك كتاب : فرحة الأديب فى الرد على ابن السيرافى فى شرح « أبيات سيبوية » ، وكتاب : ضالة الأديب فى الرد على ابن الأعرابى فى النوادر التى رواها ثعلب ، وكتاب : قيد الأوابد فى الرد على ابن السيرافى ـ أيضا ـ فى شرح أبيات إصلاح المنطق . وغير ذلك من الكتب التى تدل على ملكة نقدية وآراء صائبة فى اللغة والأدب ، وله أسلوب فى الرد على العلماء

والأدباء فقد كان لا يقنع ـ كما يقول الحموى ـ بالرد الجميل حتى يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال . وتلك مقدرة أخرى فيه .

شـذوذ التيه :

وربما كان فى الأعرابى بعض التيه ، والتيه : شذوذ يعترى بعض العلماء ، وقد يغض من شأنهم ويصرف الناس عنهم فلا شىء يرفع من شأن العالم كالتواضع ، والعلم بحر لا ساحل له .

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتيه والغض من شأن العلماء : برزخ بن محمد العروضى ، وهو من علماء الكوفة ، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء ، أنه صنف كتابا فى العرض ، نقض فيه العروض ـ فى زعمه ـ على الخليل بن أحمد وأبطل الدوائر والزحاف والعلل التى وضعها .. كان كثير الحفظ والرواية ولكنه كان كثير الاغترار بنفسه ، يأنف ممن يقول له : عمن أخذت هذا ؟ حدث المازنى قال : روى برزخ شعرا كثيرا لامرىء القيس فقال له جَنَّاد : عمن رويت هذا ؟ قال : عنى وحسبك بى .

فقال له جناد : من هذا أتيت يا غافل . وجناد هذا وكنيته أبو محمد ، وأبو واصل ـ أيضا ـ الكوفى ، من رواة الأخبار والأشعار ، وهو من علماء الكوفيين .

ولبرزخ شعر يتحدث فيه عن حاله منه ما أورده ياقوت :

ليس بينـــى وبين قومـــى إلا
إننـــى فاضل لهم فى الـــذكاء
حسدونى فزخرفـــوا فى قولا
تتلقـــاه ألسن البـــغضاء
كنت أرجو العلاء فيهم بعلمـــى
فأتـــانى من الرجـــاء بلائى

شـذوذ شميم الحلى :

على أن التيه مهما بلغ فلن يبلغ مبلغه فى على بن الحسن المعروف(شميم) الحلى المتوفى سنة إحدى وستمائة .

كان عالما نحويا لغويا شاعرا أديبا . قال ياقوت : وردت إلى (آمد) سنة أربع وأربعين وخمسمائة فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ ، فقصدت مسجد الخضر ، ودخلت عليه فوجدته شيخا كبيرا قضيب الجسم ـ نحيف الجسم ـ فى حجرة من المسجد بين يديه كتب كثيرة من تصنيفه فحسب ، فسلمت عليه وجلست ، فأقبل على وقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من بغداد ، فهش لى وأقبل يسْألنى عنها وأخبره ، ثم قلت : إنما جئت لأقتبس من علوم المولى شيئا . فقال : وأى علم تحب ؟ قلت : أحب علوم الأدب . فقال : إن تصانيفى فى الأدب كثيرة ، وذلك أن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم ، وأما أنا فكل ما عندى من نتاج فكرى . وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب استعملت فكرى وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم .

ثم شنع على أبى تمام وشتمه ، وقال عن أبى نواس : لو عاش لاستحيا أن يذكر شعر نفسه لو سمع شعرى ، وجعل يزرى على المتقدمين .

فعجبت منه وقلت له : فأنشدنى شيئا مما قلت : فأنشدنى ، فقلت له : أحسنت . فغضب

وقال : ويلك ما عندك غير الاستحسان ؟
فقلت : فما أصنع يامولانا ؟

فقال : تصنع هكذا . ثم قام يرقص ويصفق إلى أن تعب ثم جلس .

لقد بلغ من شذوذ هذا العالم أنه كان يأكل فترة طويلة « الطيب » بقصد تنشيف الرطوبة وحدة الذهن ، ويكتفى به ، وكان يرجو أن يكون الخارج منه طيبا . ولكن هيهات .

وعلى الرغم من شذوذ هذا العالم فقد كانت له مؤلفات جيدة منها : (النكت المعجمات فى شرح المقامات) و (أرى المشتار فى القريض المختار) وكتاب (الحماسة) من نظمه ، وكتاب (مناح المنى فى ايضاح الكنى) وغيرها .

أبو طال المكى :

وإقبال المرء على طعام واحد يصطفيه ولا يتعداه قد يكون الدافع إليه الصحة البدنية أو الروحية ، ولكن الإفراط فى ذلك تجاوز للمألوف ، وانحراف إلى الشذوذ كما رأينا من الحلى ، وكما نراه أيضا فى العالم الصوفى الجليل الشيخ أبى طالب المكى صاحب كتاب (قوت القلوب فى معاملة المحبوب) وهو من الكتب الرائدة فى الفقه والتصوف . وقارئه يدرك منه مدى ما وصل إليه مؤلفه من سبق وتقدم ومعرفة .

فقد حكى ابن خلكان فى وفيات الأعيان عن المكى المتوفى سنة ست وثمان وثلثمائة أنه هجر الطعام زمنا ، واقتصر على أكل الحشائش المباحة حتى اخضر لونه من كثرة تناولها .

ولئن كان ذلك نوعا من الرياضة التى واظب عليها لتصفو نفسه إلا أنها أمر اختص به وحده وشذ فيه عن غيره ، وقد تثمر المجاهدات النفسية ثمارها ، ولكن تلك المجاهدات تحتاج إلى دراية وخبرة وإرشاد .

تيه المتنبى :

ومن الأدباء الذين بالغوا فى الاعتداد بأنفسهم ، وسلكوا فى سبيل ذلك مسلكا شاذا عن الناس فى زيهم وسلوكهم أبو الطيب المتنبى الشاعر المشهور ، وهو إلى جانب شعره عالم باللغة والرواية فقيه فيهما ، وهكذا كان شأن الأدباء قديما ، لا يكاد الشاعر ينبغ حتى يكون قد أجاد القرآن حفظا وفهما والحديث دراية ورواية .

والمتنبى كان كذلك إلا أنه كان تياها بفنه متكبرا على بنى جنسه .. استمع إليه يقول مفتخرا بنفسه وهو فى معرض مدح غيره وقد قدم إليه يستميحه العطاء .

أنا ابن من بعضه يفوق أبا
الباحث والنجل بعض من نجله
أنا الذى بيَّن الإله به
الأقدار ، والمرء حيثما جعله

أو استمع إليه وهو يقول :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صمم

حدث عنه أبو على الحاتمى فيما يرويه كتاب قصص العرب جـ٣ ص٣٠٨ قال : حين ورد

مدينة السلام التحف رداء الكبر ، وأذال ذيول التيه ، وصعرخده ، ونأى بجانبه .. قال : فقصدت مجلسه ، وإذا هو يلبس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكان الوقت آخر أيام الصيف وأخلقها بتخفيف اللبس .

لاشك أن الإفراط فى التيه يؤدى إلى أن يحاول الإنسان إفراد نفسه عن غيره بلازمة من اللوازم يُعرف بها ، وتؤثر عنه ، حسبانا من أن ذلك يجعل غيره لايشاركه فى نبوغه أو تفوقه ، ولا يبعد أن يكون لقب المتنبى جاء من هذا القبيل حين شعر من نفسه أنه غريب فى قومه غربة الأنبياء فى أقوامهم . وقد قال فى ذلك :

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ولكن محاولة تمييز نفسه عن غيره بلبس سبعة أقبية مختلفة الألوان شذوذ لا يعدله شذوذ . فكيف يكون حاله عند مجىء الشتاء ؟

هذه صور من شذوذ العباقرة من صنع أيديهم ، وليست من صنع الفطرة التى فطرهم الله عليها ، نسوقها مثلا للتدبر فى أحوال العلماء وتصرفاتهم ، على أن ذلك لا يحملنا على الحط من قدرهم ، فإن ما قدموه للأجيال من أفضال وخلفوه من آثار لاتجعل تلك السمات الشاذة تقدح فى جلائل تلك الأعمال ، بل ربما ذكرت فى معرض الكمال مصداقا لقول بشار بن برد

ومن ذا الذى ترجى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال مقدم من السيد/أ.ن

وضعت إمرأة حملها بعد الشهر السادس من تاريخ الدخول بها . فهل يعتبر هذا الابن لاحقاً بنسب أبيه ؟

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن المنصوص عليه شرعا أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لقوله تعالى : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ ولقوله تعالى : ﴿ وفصاله فى عامين﴾ فيبقى الحمل ستة أشهر .

فإذا دخل الرجل بامرأة ووضعت له ولدا بعد حملها لستة أشهر فانه حسب المنصوص عليه ـــ شرعا ـــ يلحق هذا الولد بأبيه .

وعليه ، فإنه إذا دخل بها ووضعت حملها لأقل من ستة أشهر فلا يثبت النسب وهو المتفق عليه عند الأئمة ومما تقدم يعلم أن هذا الولد الذى وضعته الزوجة لأكثر من ستة أشهر يلحق نسبه بأبيه شرعا .

السؤال من السيد/ ع.ر.هـ .

« لقد خطبت إبنة خال والدى ، وبعدها علمت أن عمى (شقيق والدى) قد رضع من أم خطيبتى مع أخت كانت لخطيبتى وتوفيت » .

فهل يكون زواجى من هذه الخطيبة صحيحا ، مع العلم بأنه لايوجد شهود على هذا الرضاع سوى الأم فقط ولقد قال بعض فقهاء البلدة (من الأزهريين) أنها تجوز والآخر لا . فهل هناك اختلاف فى المذاهب أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب

يجوز شرعا زواج من خطب إبنة خال والده والتى رضع عمه من أم خطيبته مع أخت خطيبته التى توفيت لأن الحرمة تنحصر فى هذه المسألة فى عم الخطيب الذى رضع من أم خطيبته فيحرم عليه بنات من رضع منها وكذلك أبناؤه يحرم عليهم

بنات من رضع منها ، وذلك إذا كان الرضاع فى مدته ، ومتيقنا ، ولا يتعلل المانع من الزواج بحديث : « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » إذ أن هذه المسألة لايقاس عليها — فعم الخطيب برضاعه من أم مخطوبته تحرم عليه بنات من رضع منها وكذا أبناؤه كما يحرم أبناء من أرضعت العم على بناته — وعلى هذا فإن والد الخطيب يعتبر أجنبيا عمن أرضعت عمه ومن ثم يجوز شرعا الزواج من هذه الخطيبة .

السؤال : من السيد/م.س.ع يقول :

معنا مساحة من الأرض تزرع محاصيل رئيسية كالقمح والشعير ولكن بأمانة نقول : ـ لو خصمنا مايأتى على الأرض من ضرائب وغرامات للرى ومخالفات عديدة لعدم وجود وسيلة رى ميسرة ، وعلى الجانب الآخر ما تتكلفه من عمالة وغير ذلك لايتبقى شىء من المحصول وربما كان بخسارة ، برغم أن المحصول يفوق النصاب وفائدة الزراعة أنها تبقى الأرض محتفظة بقيمتها .

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد .

فإن زكاة الزرع والثمار ثبتت فرضيتها بدليل خاص بها من الكتاب والسنة علاوة على الدليل العام فى الزكاة ، قال تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده﴾ وقول الرسول ﷺ : « ما سقت السماء ففيه العشر ، وما سقت غرب — دلو ، أو دالية ، دولاب ـ ففيه نصف العشر » وهذا الحديث قد بين ما أجملته الآية السابقة .

وعند الحنفية : أن سبب وجوب الزكاة هو الأرض النامية حقيقة بالخارج منها ورأوا أن الزكاة تجب فى كل ما تخرجه الأرض سواء كانت له ثمرة تبقى أولا ، وسواء كان قليلا أو كثيرا فلا يشترط فيها نصاب ولا حولان حول ، كما تجب فى كل الخارج بدون أن تخصم منه النفقات .

بينما رأى الشافعية : أن الزكاة تجب فيما يقتات اختيارا كالبر والشعير فإن لم يكن صالحا للاقتيات كالحلبة مثلا فلا زكاة فيه ، وكذا كل مايقتات به عند الضرورة كالترمس ونحوه ، واشترطوا فى وجوبها بلوغ النصاب ، وهو : أربعة أرادب وكيلتين ، ووافقهم فى ذلك الحنابلة والمالكية والراجح بناء على عموم النصوص أن الزكاة فى الزرع والثمار واجبة فى الخارج من الأرض رغم ما تتكلفه من عمالة ونفقات ، ومناط الحكم فى ذلك ماذكرته فى آخر رسالتك من أن فائدة الزراعة أنها تبقى الأرض نامية ومحتفظة بقيمتها ، وهذا فى حد ذاته موجب لزكاة مايخرج منها .

السؤال : أخطب الجمعة ويصلى أبى بالناس وان تساويا فى القراءة ويرضى الناس ذلك أفيدونا أفادكم الله ؟ .

الجـــواب

فإن الفقهاء قد اشترطوا فى صحة صلاة الجمعة الخطبتين وأن يكون الإمام من بين المصلين ومن ينيبه خطيب الجمعة أولى من غيره من المصلين، وخاصة إذا كان المأمومون يرضون بذلك ومادمتما متساويين فى هذا الأمر على نحو ماذكرت فى رسالتك فإن الصلاة صحيحة وإن كان من كمال السنة أن يصلى الخطيب نفسه إماما بمن خطب فيهم لقول رسول الله ﷺ : «صلوا كما رأيتمونى أصلى» . هذا والله أعلم

فضيلة الإمام الأكبر
عبد الرحمن تاج

في بحوثه العلمية

(١٨٩٦ - ١٩٧٥ م)



الشيخ عبد الرحمن تاج

رحمه الله

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

لم أحظ بمصاحبة الإمام الأكبر عبد الرحمن تاج ولا مجالسته ، ولكنّ الذين نعموا بمسامراته العلمية ، يؤكدون أنه عند تطارح الآراء في مسألةٍ علميّة يظلّ مصغياً يستمع إلى كلّ ما يدور ، حتى ليظنّ المتناقشون أنه لايبدى اهتمام التتبع اليقظ ، حتى إذا أتم كلُّ متحدث كلامه ، أخذ الرجل الدقيق يُبدى رأيه في سعة فسيحة ويردّ في هدوء ، على ما لم يرتح إليه من الرأى ، فيُعطى بلهجته الهادئة ، وأسلوبه الرزين انطباعاً موضوعيًّا ، تُنْسَى به الأشخاص ، وتبقى القضايا ، ولديه بديهةٌ نادرة في الاستشهاد بمظانّ منسيّة لم يلتفت إليها أحد ، لذلك لم أعجب من قول الدكتور محمد مهدى علام عنه « كانَ أخفضَنَا صوتاً وأعْلانَا حُجَّةً[1] » ، وخفوتُ الصوت مع ارتفاع الحجة ميزة نفسيّة لا تُتاح إلا في النادر العزيز ، لأن صاحب الحجة العالية عادأكة لا يصْبِرُ عن الجهر بها في سطوعٍ يجذب الأنظار ، لأن تحمّسه لما يعلمُ يُقلقُه عن الهدوء ، فيصولُ في ساحة الجدل ، وكأنه في حومةِ قتال ، أمّا هذا الهادئُ الساكن الوديع الّذى يعلمُ ما يجهل سواه ، ثم يصبر على النقاش المصطرب حتى ينقطع مداه ، وإذ ذاك يأتي بالمنطق الفصْل في غير صلف أو مباهاة ؛ فيذكرنا بهذا المغوار العربيّ الباسل الذى قالت عنه ليلى الأخيليّة مُكبرةً مادحةً .

ومُخـرقٍ عنـه القمـيصُ تخالُـه ... بين البيـوت من الحيـاء سقيمـا

حتـى إذا رُفـع اللـواءُ رأيتَـه ... تحت اللواء على الخميس زعيمـا

هذا الخلقُ الهادئ الوديع يتحوّل إلى شموخ قاهر معْتزّ حين يُفاجأ الشيخ بمتعاظِم منتفخ ، يحاول أنْ ينتقص من قدر زملائه .

(١) الشيخ عبد الرحمن تاج وبحوث لغوية وقرآنية (مقدمة الكتاب ص ٨ للأستاذ أبي بكر عبد الرازق .

ترحيب وضيق :

فقد تلقّى الشيخ الأكبر دعوةً من رئيس جمهورية أندونيسيا للمشاركة فى احتفالاتِ الاستقلال بها ، كما تلقت قيادةُ ثورة ٢٣ يوليو دعوةً مماثلة فذهب وفْدان يرأسُ أحدَهما شيخُ الأزهر ، ويرأسُ الثّانى جمال سالم ، وأقلّتْهما الطائرةُ معا ، ولكنّ الاستقبالَ الحارّ لوفدِ الأزهر قد طَغَى على كلِّ استقبالٍ فى كل مطار نزل به الوفْدان ، حيثُ أقيمت السرادقاتُ الزاهية ، وقُدمت عُقودُ الزهور الباسمة ، وتقاطَرَ علماء الإسلام ، وطُلّابُ المعاهد الإسلامية لتحيَّة البعثة الأزهرية وأُلْقيتْ كلماتُ التّرحيب ، وأُعدّت السيَّاراتُ للنّزهة ، وشَارَكَ الشَّعْبُ فى كراتشى وجاكرتا فى التّرحيب البالغ على نحو رائع ، ولوْ كانَ جمالُ سالم ذا نظرٍ صائبٍ لَسُرَّ بالاحتفاءِ بشيوخ الأزهر ، وهُمْ مواطنوه ، ولكنّه ما كادَ يُقابِلُ الشيخ بعد استقبال جاكرتَا ، حتّى صاحَ فى غضب : مَنْ رئيسُ الوفْد أنَا أمْ أنت ؟! فقال الشيخُ فى تحدٍ واضح : كلٌّ مِنّا رئيسٌ فيما جاء له ! فقالَ جمال سالم : لابدَّ من عوْدةِ هؤلاء الفقهاء سريعاً إلى مصر ، ويُكتَفَى بك : فَقالَ الشيخُ فى إصرار ، سأعودُ معهم فوراً لو طلبتَ ذلك : فانسحبَ جمال متضايقاً ، فقدْ تأكّد أنّه لن يَحْظَى بأىّ استقبال ، إذا ذَهَب الشيخُ مع رفقائه أو لَزم الاعتزَالَ الصامت !

أمّا الّذين كان يَودُّ الخلاصَ منهم ، فهمُ الذين ألْقَوْا كلمات العزّة الإسلاميّة ، وأكّدوا أواصرَ الأخوّة الدّينية فيما أبدعوا من معان قُوطِعتْ بالتكبير والتهليل ؛ همُ الأساتذة : صادق عرجون شيخ المعهد الإسكندرى ، ومحمد سليمان البحيرى الأستاذ بكلية اللغة العربية ، وأحمد القطّ مفتش الوعظ ، ويوسف الهمذانى رئيس قسم البحوث ، وكلُّهمْ قد قام بواجبه الإسلامىّ مُحاضراً وخطيباً ومُفْتياً ، وحَين انتهت الزّيارة ورجع الشيخُ إلى مصر عَقَد مؤتمراً صحفياً تحدّث فيه عن مكانة الأزهر فى بلاد الإسلام ، وأشارَ إلى رَوْعةِ الاستقبالات التّى حَظيتْ بها البعثةُ الأزهرية ، وكان فيما قاله ؟!

« كلّفنى أهلُ أندونيسيا أن أبلّغَ عنهم أهل مِصْر تحياتٍ طيبةً عطرة ، وتمنياتِ خيرٍ خالصةً ، وضراعةً إلى الله أن يديم الأُلْفة والمحبة والتعاون بين الأمّتين العظيمتيْن ، وإن ما لقيناهُ فى رِحْلَتِنا هذه ، ليذكّرنا برُوح الإسلام الفتيَّة ، فى نشأته القوّية ، ويدلّنا على تمكّن المبادىء النبيلة فى هذه النفوس الطيبة » .

وقد مضت الأيام ، وفنى من فنى ، وعاش جمال سالم حتّى وجد نفسه منبوذًا بالعراء !

صفح غير متوقع :

هذا الشموخُ الرّفيعُ فى وجهِ المتكبّر المنتفخ يقابَل بتواضع حَبيب فى وجْه السّاذج الضعيف :

فقد كانَ الشيخ عميداً لمعهد الزقازيق الدينى . وذَهب الطلّابُ لاستقبالِ الملك فاروق حينَ مرَّ بقطاره الخاصّ إلى القصّاصين ، فى موكبٍ مشهود ، وتَسرَّع طالبٌ أزهرى يحملُ الْعَلَم بهتافٍ لم يَصادِفْ موقعه ، وأحدَثَ بعضَ الحرج ، وتقدّمَ المسؤُولون بالمعهد إلى الشيخ ؛ كى يُحاسب الطالب ، فأحْضره وَناقَشَهُ مناقةً عَرف منها أنَّهُ سليمُ النيّة ، ساذجُ التفكير ، ولَم يكُنْ ذيْلًا لأحد ،فنظر إليه فى عَطْف ، وسألَهُ مُلاطِفاً : أصليَّت الظهر يا بُنَى ؛ تعالَ ؛ اذهبْ

فتوضأ وصلِّ ! وحَارَ المجتمعونُ فى صنيع الشيخ ، فقال لهم : الأعمالُ بالنيَّات ، والطالبُ لم يُرِدْ سوءًا بما فعل!! وقد مرَّ الحادث بسلام ، فلابأس !

نشأة الشيخ :

نشأ الشيخ بالأزهر طالباً بمعهد الإسكندرية ، وزَاوَل التعلُّم فى جدّ بحيث كانَ الأوّلَ فى صفوف الدّراسة ، حتى نال شهادَة العالمية سنة ١٩٢٣ ، وعُيّن مدرساً بالمعاهد ثم بقسمِ التَّخصص بكلية الشريعة ، وسافَر إلى فَرنسا لينالَ درجة الدكتوراه فى الفلسفة وتاريخ الأديان ، ثم عادَ ليُزاول التدريسَ بالكليّات العالية بالأزهر ، وجامعة عين شمس ، وتُوجَ ذلك كلّه بمشيخة الأزهر الشريف ! ولم أذكُرْ هذا التاريخ الموجَز إلّا لأدُلّ على أن الشيخ قددَرسَ بالأزهر حين كانتِ العلومُ الشرعية ، والعلومُ اللسانيّة تُدَرسُ فيه للطلّاب على مُسْتَوى واحد ، قبْل أن تظْهرَ الكليّاتُ بتخصصها المحدود ، فأفادَه ذلكَ إفادةً راسخة فيما زَاوَله من التأليف ؛ لأن بُحوثه الفقهية فى الكُتُب الجامعيّة قد انتفعت فى التدليل والترجيح بمسائل اللّغة والنحو والبلاغة ، وبُحوثه اللغوية فى مجمع اللّغة العربية ، وهى ذاتُ خصوبة مثمرة .. قد استندتْ إلى ركيزته الضّخمة فى علوم الفقه والتفسير والحديث !

ونحن فى زمننا الرّاهن نأسفُ حين نجد القنوات العلمية غير متصلة بين متخرجى الكليات اليوم .

ولعلَّ مُراجعة النّظر فى هذا الأمر تفىُ بنا إلى تعديل المناهج الدراسيّة فى الكليّات ، بحيثُ تكونُ بينَهما دوائرُ اتصال تمنع التقاطع ! وأنَا أقدم أستاذنا الكبير الدكتور عبد الرحمن تاج مثلًا لما أريدُه من شمول الثقافة الإسلامية ، وأدعُو القارىء لمراجعة بحوثُه المستفيضة عن حُروف الزّيادة فى القرآن ؛ ليعلم تمامَ العلم كيف تَتَناصرُ العلومُ المختلفةِ منْ فقهيّة ولسانيّة فى تأصيلِ مقرّراتٍ علميّة ذاتِ دَسامةٍ وبيان .

مؤلفات الدكتور تاج :

أصْدر الدكتور تاج مؤلّفات شتى فى الفقه المقارن والأحْوال الشخصية ، وتاريخ التشريع الإسلامى ، وحكم الربا فى الشّريعة الإسلامية ، وشركاتِ التأمينِ مِنْ وجهة النَّظر الإسلامية ، والثلاثةُ الأخيرة لم تُطْبع ، ولكنّها أُلْقيت على الطلاب فى الجامعة ، وأعيد بعضُها فى محاضراتِ عامة . ولعلّ المؤلف كان ينتظرُ فُسْحةً للتأمل فيها وإلحاقها بما يعْتَقِدهُ متمماً لها ، وإلا فكيفَ يتركها دون أن تطبعَ ، ومَنْ سمعوا أكثرَها كالأُستاذ على الخفيف أشادُوا بها إشادة منصفَة .

هذا إذا لم يكُن التواضع العلمى قدْ دعاه إلى تجاهلها ، فالرجلُ الكبيرِ كان قمةً فى هذا الباب ؛ حيث لم يُلْحِق اسمه فى أىّ مقالٍ كتبه بلقب الدكتور ، مع أنّه نال هذا اللقب من أرْقى الجامعاتِ الأوربيّة ؛ لأنّ الجوهر عنده أغْلَى قيمةً من العرَض ، وكمْ من أناسٍ ذيّلوا أسماءهم بشتّى الألقاب . فإذا قرأتَ ما كتبوا كان اللقبُ مدعاةَ عجبٍ لا إعجابٍ !

سمو مناقشاته العلمية :

وأبرع ما سمق فيه الإمام الأكبر : مناقشاته العلمية الهادئة لما يعارضه من آراء تُنشر فى الصحف أو المجلّات ، فقد كانَ يحرص على

تصحيح أخطاءٍ كثيرة يراها مصدر خطـرٍ لِصُدُورِها من بعض النّابهين ، ولتقديمِهَا فى الصّحف اليوْمية فى هالةِمن الإكبارتُوحى بِصدقِ أحكامها ، ومِنْ ذلك ما كتبهُ ردًّا على الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السّابق ، حيثُ نشر مقالا بجريدة المصرى سنة ١٩٤٩ يعترضُ فيه على ما يُسمَّى بمشروع « ضريبة الزكاة ، ذاهباً إلى أنَّ مصر تجرى فى حكمةٍ واعتدال ، على فصْل الدّين عن أمور السياسة ، وخلافات الحكم ، وأنَّ الحركة الوطنية أورثتْنَا مبدأً جليلا يقضى بأن الّدين لله والوطن للجميع ، ومـادَامَ المشروعُ مستمداً حكمته وأحكامَه من الدين الإسلامى فلابـدّ من الاصطـدام بالعقبـة ، والوقـوع فى المشكلة وهى علاقةُ الدين بالسّياسة وبالدولة » .

هذه الآراء العلمانيـة يرددهـا أصحـابها ، ولا يكلفـون أنفسهـم بقـراءة الـردود الماحقـة لأراجيفها ، وقد دحضها الدكتور تاج بفصْلٍ مُسهب نَشَرَهُ بمجلة الأزهر[٢] ، أكّدَ فيه أنّ دينَ الدولة المصرية هو الإسلام وأن دستور الأمة قد قرَّر ذلك دون لبْسٍ ، وأنّ الذى يعرفُه الناسُ فى مِصر ، ولا يَخْفى على أحد مِنْ أهل العلم أنّ قانون المحاكم الوطنيّة الجديد ، قد استمدّ فى كثير من مواده من أحكامِ الشريعة الإسلامية . وأنّ أصحَاب مشروعه ــ مشروع الزكاة .. قد اقتنعُوا بكمال الحكمة والاعتدال ، فيما اقتبسوهُ من هذه الأحكام ، ولو كانوا من أهلِ الاختصاص فى دراسة الشريعة الإسلامية لعثروا على ما يُريدون وأكثر مما يريدون !

ثم قال الأستاذ تاج بعد إفاضةٍ شافية مستوفاة : وإذا كَان قانون ضريبة الزكاة صالحاً نافعاً ، فماذا يضيرُ الوطن أن تكونَ أحكامُه مستقاة من تعاليم الإسلام ، وهل يليقُ بإنسانٍ أن يبلغ به التعصب مبلغاً يُنفّره من قانونٍ تُسْتَقى أحكامه من شريعة هذا الدين ، ولو كانَ قانوناً صالحاً نافعاً للأمّة ! » وكنتُ أودُّ أن يُنشر الردُّ بجريدة المصرى نفسها . ولعلّ الأستاذ رأى أنّها لا تسمحُ بنشر المقالِ فى عرْضه المسهب دونَ حذف ، فآثر أنْ ينشره كاملًا فى مجلة متخصصة وحَسَنَاً فعل .

الإمام وصحيفة الأهرام :

أقُولُ ذلك استناداً إلى موقفٍ أعلمه ، فقدْ كانَ من دأب جريدة الأهرام أن تبدأ أحاديثَ الصيام السنوية فى شهر رمضان المبارك بكلمة للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وقد طَلَبَتْ من الشيخ عبدالرحمن تاج كلمةً مناسبةً تبدأ بها كلماتِ الموسم ، فاعتذَر بأنه كَتَبَ فصلا مسهبا عن الصيام ستنشرُه مجلةُ الأزهر فى حَيّزه الممتد ، وحينَ رجعتُ إلَى ما كَتبهُ الإمام ، بعدد رمضان سنـة ١٣٧٦ هـ قرأت بحثـاً مُسهبـاً ذا فروعٍ كثيرة ، تحتل تسع عشرة صفحةً كاملة ، وقد بدأه بالـنصوص القرآنيـة والنبويـة ، شارحـاً ما غمض منها ، وثنّى بتوْضيح مزايا الصوم دِيناً ودُنْيا . مُفيضاً فى تحليل الآثار النفسية لهذه الشعيرة الكريمة فى تربية الفضائل وإماتة الرذائل . وإحياء اليقظة الواعية للضمير المحاسب ، وأتبـع ذلك بحديث جديد عن التدرج فى شريعة الصيام ،

(٢) مجلة الأزهر (رجب سنة ١٢٦٨ هـ ص ٥٢٤) .

حيث بدأت بصوم عاشوراء قَبل أن يفرض رمضان ، أما حكمةُ تخْصيص رمضان بشعيرة الصيام فقدْ تعرض لها الكاتب بما يقنع ، متنقلًا إلى المسائل الفقهية المتعلّقة بالصوم ، وكانَ من الطريف أن يَنْقلُ عن لجنة الفتوى بالأزهر .. وهو أحدُ أعضائها البارزين ـ ما رأتْهُ من العُذرِ المبيح للإفطار لطلبة كلية الطيران إذ يَبْدءُون تدريباتهم اليوّمية ابتداءً من الساعة الخامسة والنصف صباحاً حتى العاشرة ، ثم يتلقوّن بعد ذلك محاضراتِهم فى العلوم النظرية ابتداءً من الساعة الحادية عشرة ، وتتوالى المحاضرات إلى الساعة الرابعة ، وإذا كانت النّظم الطبيّة المتّبعة فى السلاح الجوى تحتم أن يأكلَ الطّالب قبل أن يتمرّن بأمدٍ مناسب ، فإن الصوم حِينئذٍ يُصبح عائقًا لعملٍ ضرورى ؛ فيجوزُ للطلبة الإفطار مع القضاء حين ينقضى التمرين ، هكذا قالت الفتوى ، ثم تابع الباحثُ حديثَه تحت عنوان جديد هو : « أشياء قد يَخْفى حكمها على بعض الناس وهى غير مفْسدة للصوم » وكذلك تطرقه إلى إثبات رمضان وذى الحجة عن طريق الهلال ، فأشبع القارىء فى هذه الناحية إشباعًا لا مزيد عليه(٣ ، ٤) !

أشيرُ إلى هذا البحث لأضربَ مثلا لاهتمام الشيخ الأكبر بالمناسبات الدينية طيلَة توليتهِ مشيخة الأزهر ؛ إذْ كانَ يتحدّث فى أعداد مجلة الأزهر المتوالية عن مثل الإسراء أو ليلة القدر أو الهجرة أو ثبوت الهلال أو الحج أو الصوم أو الزكاة حديثاً دقيقاً مستوعباً ، وكأنه أعدّ ليكون دراسةً متصلة ، وإذا كانتْ بحوثه فى مجلة المجمع جُمعت فى كتابٍ خاص ، فأنَا أدعُو إلى أن تُجمع بحوثُ مجلة الأزهر فى كتاب تال ؛ لأنَ الحاجة إلى هذه الدراسات تتجدد بتجدّدِ مناسباتها ، وهى مجموعة أيْسرُ منها متفرقة !

عود إلى صلابة شخصيته الوديعة :

أعودُ إلى حديث القوّة الصّلْبة فى شخصية هذا الإنسان الهادىء الرزين ، فقد كانَ بَدَ من الأحداثِ ما جعله يقفُ موقف الحزم أمام اتجاه عام تؤيدهُ الدولة ، ويحتشدُ له جمعٌ من المتحدثين يزعمونَ لأنفسهم درايةً تامةً بالتاريخ ومعرفةً قويّة بالتيارات المعاصرة ، وهمْ فى قرارة أنفُسِهم يُسايرون اتجاهاً خاصاً ، ويروْن فى مسايرته ما يدفعُ بهم إلى البُروز الاجتماعىّ والسياسىّ فى مجتمع الحزب الواحد ، والرأى الوحيد ، لقد نشأت بدعةُ القومية العربية ؛ لا لتكون ثابتة فى حضن الإسلام ورعايته ، بل لتكونَ (القومية البعثية) التى لا ترى للدين أثراً فى نهضة الأمة العربية ، ووحدة الصف العربىّ ، وانتشرت المؤلفاتُ الّتى تبتعدُ بالدين عن مسرح العربيّة ، وتعدّهُ عاملَ ضعف للأمة ، لا عاملَ نهضةٍ ، وفى ما يُسمَّى بمؤتمر قادة التّعبئة القومية ، قام من يقول(٥) : « إن الدّين كالجِنْس لا يُعدّ مقوّماً من مقومات الأمّة ؛ لأن الدين شيءٌ بين العبد وربه ، وليسَ هناكَ على وجه البسيطة دولةٌ ينتمى سكّانها إلى دينٍ واحد إلّا المملكة السعوديَّة ، وإسرائيلُ فيها عرب ومسلمون ومسيحيون »(٦) ، ومن

(٣) حدث فعلًا إمتناع الأهرام عن نشر ردود كتبها العلماء أثناء مشيخته رداً على ما سمى حينئذ : « الخطوة الثانية » ولعل د. / طه حسين حمد الله فيما بعد ـ على بطلانها .

(٤) مجلة الأزهر رمضان سنة ١٣٧٦ هـ .

(٥) مؤتمر قادة التعبئة القومية ص ٩٥ .

(٦) مجلة الأزهر : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ ص ٥٩٨ .

يقول : « القوميةُ العربية تقومُ علىَ العروبة أولًا ، وليستْ على الدين أو على أىّ دين على الإطلاق ، وقد تنبّه العرب إلى هذا ، منذ زمن حتى إنهم رَفضُوا حركة الجامعة الإسلامية الّتى نادى بها السلطان عبد الحميد ، والذين تولّوا الحرب الصليبية هم تُجّارُ جوهْ والبندقية الذين كانوا يريدُونَ أن يسيطروا على طريق التجارة بين الشرق والغـــرب ، ولولاهـــم لما قامت الحروب الصليبية » ! هذا الافتيات الصارخ على الحقائق الذى ينكر وضوح الشمس فى رائعة النهارحين يزعمُ أنّ إسرائيل ليستْ دولة دينيّة ، وحينَ يزعم أن الحروب الصليبية تدبير تجارٍ وسماسرة ، ولم يدعُ لها البابا « أوروبا » وبطرس الناسك مما يعرفه تلاميذ المرحلة الابتدائية .

هذا الافتيات قد دفع الدكتور عبد الرحمن تاج إلى أن يقول[٧] ، فى حديث عام مجابها هذا الهراء البغيض :

« إن القومية العربية صلة كصلة النسب والقرابة التى تجمعُ بين الإخوة وأبناء العمومة ، وهناك بعد هذا صلة روحيّة تحكم هذه الصلة ، تهيمنُ عليها ، وهى رباطُ الإسلام الروحى الذى يُعتبر أقوى من صلة القومية ؛ لأنه منها بمنزلة الروح من الجسد ، والروحُ هى التى تسيّر الجسد ، وتسيطرُ عليه ، وهو أيضاً أوسعُ وأشملُ من رابطة القومية العربية التى تَقْتصر على البلاد العربية ؛ لأنّه يدخل فيه كلّ من ينتمى إلى الإسلام ، وأهمُّ دليل على أن هذا الرباط الروحى أقوَى من صلة القومية ، أنّه إذا خرجت جماعةٌ أو دولةٌ من العرب على ما يقتضيه الرّباط الروحى فإن الصلة الأخرى (صلة القومية) لا يكون لها أثر أو اعتبار حينئذ فى موقف باقى الشعوب العربية تجاهها ، والإسلام دينُ التسامح ، ولا يعتبرُ مجردُ الاختلاف فى الدين سبباً للتنازع وإثـــارة الشحناء ، وهو يحرّمُ على الأمة الإسلامية أن تبدأ بشنّ حرب عدوانية على غيرها ، ويقُول : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة ـ الاية : ١٩٠) .

ومثل هذا الكلام يصْدم دعاة القومية ، ولكنه زئيرٌ غاضب فى وجوه الانتهازيين ، وفى هذه الفترة دعا الدّاعون إلى ما يسمّى بالخطوة الثانية ، التّى تنادى بتوحيد التعليم فى المرحلتيْن الأولى والثانية توحيداً كاملا تُصبح به المعاهد الدينيّة مدارسَ حكوميّة تتبع المنهج العام ، فأعلن الشيخ[٨] تاج معارضته المستنكرة لا بالبهتان الصاخب ، بل بالمنطق الصادم ، فأظهَر أنّ دروس التعليم العام لا تُهيِّئُ الطالب إلى استكمال التعليم العالى الأزهرى على الوجه المنشود ، وأنّ الدراسات العالية بكليات الأزهر تعتبر دراسات تخصّص لابدّ أن يَسْبقها دراسات عربيّة ودنيوية واسعة ينتقلُ فيها الطالب من سنة إلى سنة ومن منهج إلى منهج استعداداً لما ينتظره من دراسات أخرى ذات عمق وشمول ! وما قال الرجل غير البدهىّ الملموس لذى النظر المحايد ، ولكنّ الغرض الأعمى يطمس العقول ..

(٧) مؤتمر قادة التعبئة القومية ص ١٣١ .

(٨) مجلة الأزهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ ص ٣٠٧ .

وَالِدِي..
علي الغاياتي

للسَّيدة / هُدَى الغاياتي

وَطَنِيَّتِي



بقلم

علي الغاياتي

الطبعة الثانية

١٣٥٦ هجرية — ١٩٣٨ ميلادية

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

تاريخ والدى تاريخ أحد كبار الوطنيين الذين ينبغى أن يُلمَ بأعمالهم أجيال من أبناء مصر دائماً .

ولد ـ رحمه الله ـ فى الرابع والعشرين من أكتوبر ١٨٨٥ بمدينة (دمياط) والتحق بـ (الكتاب) فى السادسة من عمره ليحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالمعهد الدينى فى (جامع البحر) وتَلَقَّى فى حلقاته دروساً فى العربية والفقه والبلاغة ، وعن نشأته يقول ـ فى كتابه (وطنيتى) ص ٢٣ : إنه نشأ فى دمياط بين قوم كرام غير أنهم محافظون ..

وظل بدمياط حتى الثانية والعشرين ، ثم ارتحل إلى القاهرة ليدرس بالأزهر فى يوم الخميس الرابع من أبريل عام ١٩٠٨ ، وظل ـ فى المرة الأولى لسفره ـ حوالى مائة يوم عاد بعدها إلى دمياط وقد اشتد حنينه إليها ؛ فزارها فى السادس عشر من شهر يوليو عام ١٩٠٨ ، ثم عاد إلى القاهرة .

وفى القاهرة شغف بالصحافة ، فعمل بصحيفتى : « البصير والجوائب المصرية » والصحيفة الأخيرة يومية ، سياسية أدبية تجارية يرأس تحريرها الشاعر خليل مطران ، الذى كان يرأس « البصير » أيضاً ، فعمل فى هذا الميدان ـ جنباً إلى جنب ـ مع حسين شفيق ، وأبو بكر لطفى ، والمنفلوطى ، وغيرهم من أقطاب هذا العهد . ثم ترك العمل ـ فى الجوائب ـ عندما تولى رئاسة تحريرها : (عطا بك حسنى) صهر العائلة الخديوية ، وعمل فى (صحيفة اللواء) مع الشيخ عبد العزيز جاويش ـ رحمه الله ـ وكان يدير (اللواء) الزعيم مصطفى كامل ، فكانت الصحيفة تحمل مبادىء الحزب الوطنى الذى انتمى إليه « الغاياتى » مصرحاً بذلك فى توقيعه بنهاية إهدائه الكتاب فى طبعته الثانية ص ٨ ، وفى عام ١٩٠٩م كتب والدى كتابه الشهير : « وطنيتى » وهو مؤلف شعرى بنثرى ثورى .. تولى الزعيم محمد فريد كتابة مقدمة لهذا الكتاب ، وكذلك فعل عبد العزيز جاويش ، ومما كتبه محمد فريد عن والدى قوله : « إنه لم يخدم الأغنياء ، ولم يتقرب إلى قادة الحكومة ، ولكنه سمح لنفسه أن يقوم بخدمة وطنه ، والسلام فى العالم العربى من خلال قصائده الشعرية :» .

كان والدى من المطالبين بالإصلاح الدينى ، يستنكر البدع والخرافات والشعوذة ، وقد طاردته السلطة ، وسجن بقشلاق العباسية اثنى عشر يوماً

من (١٨ ـ إلى ـ ٣٠ من ديسمبر ١٩٠٧) بدعوى التهرب من الخدمة العسكرية ، ثم أفرج عنه إفراجاً يدل على تلفيق التهمة والتماس أسباب لا حق للسلطة فيها .

وعن مدة سجنه هذه ، يقول الأستاذ أحمد حافظ : إن الغانياتى نظم قصيدة يقول فيها :

إصْبرْ لخطب الدهر غير مضعضعِ
وإذا رمـــاك بما يسوءك فاخضعِ
واتــرك عِدَاك فإنهم إن يشمتــوا
بك ساعة ... رجعوا بما لم ترجعِ
ما الدهــر إلا ساعتــان : فهــذه
يُمْنٌ .. وتــلك لِبُــؤْسِهِ المتوقَّــعِ

وعندما صدر كتاب والدى (وطنيتى) فى منتصف عام ١٩١٠م متضمناً مجموعة القصائد التى قالها تعليقاً على الحوادث الوطنية ـ أحدث دوياً هائلاً ، ولم يكد يصدر حتى صودر .

قال ـ رحمه الله ـ فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب التى صدرت عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨م ص ٣ :

« أصدرت هذا الكتاب فى منتصف عام ١٩١٠ م ، وقد صودر إذ ذاك وحوكمتُ من أجله ، وحكم علىّ غيابياً بالحبس سنة ، ولكننى فررت سرا من مصر ، وطنى المفدى ، قبيل المحاكمة ، ويممت الآستانة . » .

ولم يسلم محمد فريد ، ولا عبد العزيز جاويش من قضاء المحاكم المختلطة ففى نفس العام حكم عليهما أيضاً بالسجن .

وأصر والدى ـ بعد أن ترك مصر ـ على مواصلة جهاده ، وفى دار الخلافة ـ استنبول ـ عمل بصحيفة « دار الخلافة » قرابة ستة أشهر ، ثم أحس بأنه مراقب ، فهرب مستقلا قطار الشرق الذى يعبر أوروبا كلها ماراً ببلغاريا وبلغراد وبودابست ، وفى « بودابست » نزل ليستأنف حياته هناك ،واستبدل بملابسه العربية ملابس أوربية ثم مر بفينا ثم بزيورخ ، ومن هناك سافر إلى جنيف حيث أقام فيها نحو سبعة وعشرين عاماً ، وكان قد وصل إلى هذه المدينة ، والتى لم يكن يعرف فيها احداً سوى (خليل مدكور) الذى كان فى إنتظاره بالمحطة ، والذى أصبح فيما بعد شاهداً على عقد قرانه .

لم يعرفه أحد فى هذه المدينة لكنه كان مفعماً بطبيعة وجدانية تلتقى بالناس ، ويتسع لهم بفكره وروحه ، ولم يأخذ وقتاً طويلاً فى تعلم اللغة الفرنسية ، وواصل دراسته فى (جامعة جنيف) حيث قبل بكلية الشئون الاجتماعية فى ١٩ يناير سنة ١٩١١ م وبعد دراسة دامت ثلاث سنوات لم يستطع أن يتقدم لأى إمتحان نظراً لأنه لم يكن يملك المال اللازم بخاصة وأنه كان متزوجاً من سويسرية من أصل فرنسى تَعَـرَّف عليها فى مدرجات الكلية . تلك هى والدتى .

كانت هذه السيدة من عائلة مرموقة كبيرة استقبلته عائلتها فى بيتهم ، وأصبحت ـ بعد ـ رفيقة عمـره مدى خمسين عامـا ، أنجبت ـ خلالها ـ له ولداً ، وست بنات ، كان من بينهما توأم ماتت شقيقتها فى مقتبل عمرها .

أما أمى فقد اعتنقت الإسلام ثم حصلت على الجنسية المصرية عقب وصولها إلى مصر ولازمت زوجها حباً وتقديراً ، وواصل والدى العمل بإلقاء المحاضرات فى اللغة العربية كما عمل مراسلاً لعديد من الصحف العربية وكثير من الصحف فى

(جنيف) و (لوزان) رغم حصوله على عمل منتظم بجريدة « منابر جنيف » .

كتب الأستاذ أحمد حافظ :

وفى جنيف ـ حيث مقر عصبة الأمم ـ أصدر جريدة بالفرنسية تدافع عن الإسلام وحقوق مصر ، والشرق عامة واستمر صدورها خمسة عشر عاماً ،وعندما عاد إلى الوطن مع أسرته أعاد إصدار هذه الجريدة باللغة العربية ، وأطلق عليها اسم (منبر الشرق) فى ١٩٣٨/٥/٦ وظلت مستقلة عن كل الأحزاب حتى تاريخ وفاته فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، وقد اتخذ لها شعاراً هذين البيتين :

باسم الكنانة ، باسم شعب ناهض
لا باسم أحـــزاب ولا زعمـــاء
كل يزول وينقضى ، أمـا الحمـى
فوديعـــة الآباء للأبنـــاء

ثم نشبت ثورة ١٩١٩ ، فقرر خدمة القضية وعاود العمل لكسب العيش لعائلته ، وظهرت جريدته تحت اسم « منبر الشرق » وظهرت الأعداد الأولى لها باللغة الفرنسية وقامت والدتى بتصحيح (بروفاتها) وكان بين صفحاتها صفحة كتبها والدى بالحبر الصينى ، ثم حفر الحروف العربية على (الزنكوغراف) واشترى فيما بعد الحروف العربية من برلين .

كم من تضحيات بذلها وَالِدَىَّ مع إرادة صلبه أحاطتها قسوة الظروف فى سبيل تربية أبنائهما ، مضافاً إلى ذلك كفاح والدى حتى رأت صحيفته النور تلك الصحيفة التى حملت جهاد والدى دفاعا عن الإسلام وعن مصر .

وكان والدى توّاقاً إلى حرية بلده وخلاصها من السلطة البريطانية واستيلائها على أمور البلاد لقـــد كان حقـــاً سفيراً للشعب المصرى فى (جنيف) وكافح من أجل الشرق كله ضد المستعمر ، وفيما بعد وضع الفرنسيون جريدته تحت المراقبة فى لبنان ، ثم فى تونس وإفريقيا الشمالية كلها ، الأمر الذى جعله يحذف الصفحة العربية منها . .

ولم تحبط من عزائمه تهديدات الخديوى عباس فقد كانت مصر معه وقد أيده جمع من زعماء الأقطار الإسلامية : الأمير شكيب أرسلان ، رياض الصلح ، جميل مردم بك ، الأمير لطف الله ، ثم عبد الرحمن عزام وعلى ماهر ، وواصف غالى بالاضافة إلى الأمير فيصل الذى زارنا بالقاهرة ـ فيما بعد .

لم يقبل والدى لصحيفته أية مساعدة مالية واكتفى بالاشتـــراكات ، ومـــا تدره بعض الإعلانات فيها ، ونال إعجاب الجالية المصرية كلها ثم صار من أعضاء عصبة الأمم ، وشارك رسمياً فى مؤتمر « مونترو » عام ١٩٣٦م ، الذى حضرته مع والدى ، وقد تابع باهتمام جلساته ، وحينئذ اعترفت (حكومة النحاس باشا) بجدارته وخبرته وبجهاده من أجل استقلال بلاده ، واستدعته ليتقلد مهام وزارة الخارجية إذا هو عاد إلى بلاده .

وشاء الله أن يعيش بعد ذلك نحو عشرين عاماً ، ثم مرض وتوفى فى السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٥٦م .

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الخصومة في الدين

قال الإمام الباقر ـ عليه رضوان الله ـ : متألما من واقع المسلمين : إياكم والخصومة فى الدين فإنها تحدث الشك وتورث النفاق .

والخصومة تؤدى إلى الافتراق والإعراض وضيق الفكر .

متى يكمل الطعام ؟

قال الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ : إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل : إذا ذُكر اسم الله فى أوله ، وحُمد الله فى آخره ، وكثرت عليه الأيدى ، وكان من حلٍّ .

حقًا

إذا كنت فى نعمة فارعها
فإن المعاصى تزيل النعم

أعز الناس

كان الكسائى يؤدب الأمين والمأمون .

ابنى هارون الرشيد فأراد يوما الانصراف عنهما فابتدرا إلى نعله ليقدماها له فتنازعا ! أيهما يقدمها له ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة ، فلما نما الخبر إلى الرشيد وجه إلى الكسائى يدعوه ؛ فلما دخل عليه قال له : من أعز الناس ؟ قال : لا أعلم أعز من أمير المؤمنين ؟ قال : بلى إن أعز الناس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة منهما ، فأخذ الكسائى يعتذر ظنا منه أنه أخطأ ، فقال الرشيد : لو منعتهما ذلك لأوجعتك عتبا ولألزمتك ذنبا ، وما وضع ما فعلا من شأنهما بل رفع من قدرهما ، وبينَّ قدر جوهرهما ، ولقد تبينت مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر المرء وإن كان كبيرا على ثلاثة : تواضعه لسلطانه ، ووالديه ، ومعلمه .

من كنوز الجنة

ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان المرض .

ما أبقيت لآخرتي

قال أبوالربيع الأعرج : دخلت على داود الطائى بيته ، فقرب إلىَّ كُسَيْرات يابسة من الخبز فعطشت فقمت إلى دن (وعاء) فيه ماء حار ، فقلت : يرحمك الله لو اتخذت ماءً باردا .

فقال : إن كنت لا أشرب إلا ماءً باردا ولا آكل إلا طيبا ، ولا ألبس إلا لينا ، فما أبقيت لآخرتى ؟ .

قلت له : أوصنى ، قال : صم عن الدنيا واجعل إفطارك فيها الموت ، وصاحب أهل التقوى ، وفر من الناس فرارك من السبع .

هل تخاف الله ...؟

قال بعض العلماء : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت ، لأنك إن قلت لا ؛ فقد كفرت ، إن قلت نعم ؛ فقد كذبت .

كيف ... أنتم ..؟

قال الإمام على ـ رضى الله عنه ـ لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف .

قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه ، ما أدرى ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف ! وما أدرى ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو ..

أحبكم إلينا

قال سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ : أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسما ؛ فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا ، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة .

من كلمات .. للمرحوم العقاد

● قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك ، وقد يحسدك الحاسد لتصبح نظيره وهو ألأم الحاسدين .

● لا يكفى أن تكون فى النور لترى ، بل ينبغى أن يكون فى النور ما تراه .

● الرجل الذى يغضب قد يخطىء وهو غاضب ، ولكن الرجل الذى لا يغضب أبدا يخطىء طول حياته .

● الشعر حياة أو سلعة ، إن يكن حياة فهو من الروح ، وإن يكن سلعة فهو من السوق .

● كن شريفا أمينا لا لأن الناس يستحقون للشرف والأمانة بل لأنك أنت لا تستحق الضعة والخيانة .

دعاء

« اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم علىَّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة » .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

إلى أين ؟

المادة . الروح . العلم . الدين

لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أبو المكارم

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

إلى أين ؟ سؤال موجه إلى المجتمع الإنسانى بأسره ، سبق طرحه منذ عشرات السنين على صفحات « مجلة الأزهر » وها هى المجلة تعيد طرحه مرة أخرى ، إيمانا منا بخطر ما تفرزه حضارة الغرب المادية من رؤى ونظريات خلابة ، تقوم على مبدأ فصل الإنسان عن مركزه الروحى ، أو بتعبير آخر ، فصله عن طبيعته الإنسانية الأصيلة التى فطره خالقه عليها .

إن هذا المقال يعد صيحة نذير فى أهمية التوفيق بين المادة والروح ، قبل أن تبلغ الحضارة المادية ذروتها من الاتساع والشمول ، وتصبح فرصة العودة إلى الجوانب الروحية عزيزة المنال .

يقول الشيخ / محمد أبو المكارم :

يخيل للناظر فى هذا العنوان للوهلة الأولى عظم الشقة بين هذه الحقائق ، وبعد ما بين مدلولات هذه الألفاظ ، ويسبق إلى ذهنه ذلك الصراع المخيف بين الفكر والوجدان وقوانين المادة والروح ، ونظم البحث فى العلم والدين ، وتدوى فى آذانه من أعماق التاريخ تلك الصرخات المرعبة التى أطلقها العلماء بسبب ما خالط بعض الأديان من أهواء وأغراض .

لكنى مع هذا واثق بأن ستكون بجانب هذه الصور الرهيبة صورة أخرى هادئة واعية ، تلك

التى ستدفع هذه الأوهام والأهواء ، وتوفق بين العلم والدين ، كما وفق الخالق العظيم بين المادة والروح ، وبذلك تتوارى تلك الصور القاتمة المؤلمة متخاذلة هاربة ، ويسود الوئام والوفاق بين العلم والدين .

لو شئنا أن نأتى بتعريف معيارى جامع مانع لهذه المعانى الكلية التى نتعرض للكلام عنها فإننا لن نستطيع أن نظفر بتعريف من هذا النوع ، فقد أعيَ ذلك العلماء والفلاسفة حتى الآن ، إذا فإن كلامنا سيكون على كل بالقدر النسبى لمعرفة البشرية ، والبشرية محدودة ، وفوق كل ذى علم عليم ، فالعلم المطلق لهذه الكليات قد اختص به خالق المادة والروح ، وواهب العلم والعقل ، والموحى بالأديان إلى من اصطفاهم من البشر .

لا شك أننا نلمس أشياء بأيدينا ، ونسمع أصواتا بآذاننا ، ونرى أشياء بأعيننا الخ .. كل تلك الأمور أمور مادية ندركها ، وهى قريبة معلومة مدركة بالحواس المجردة ، وبعدها أمور مادية أيضا نحتاج فى إدراكها إلى آلات ، وأخرى أشد احتياجا فى إدراكها إلى آلات أدق لإمعانها فى البعد ، أو فى ضآلة الحجم .

ولا شك أننا كذلك فيما يدركه العقل من معنويات ، فمنها أمور قريبة ندركها بمجرد تفكيرنا : كالصدق ، والشجاعة ، والكرم ، والجمال ، والمساواة ، هذه معنويات قريبة مفهومة يدركها العقل العادى مجردا دون استعانة بشىء . ويليها أمور أعمق منها تحتاج إلى صفاء الآلة المدركة سواء كانت العقل أو الروح .. ووراء هذه معنويات أشد عمقاً وخفاء لا يستطيع العقل إدراكها ، تلك هى المغيبات ، وقد جاء الوحى مبينا لكثير من هذه المعقولات .

وقد دفع البحث فى المادة والروح إلى أن يضع الإنسان لكل من الناحيتين طرقا للبحث ونظما يسير عليها ، فطرق البحث فى المادة غيرها فى المعنويات والمعقولات . والغاية ، عند الباحثين فى المادة ، غيرها عند الباحثين فى المعنويات والمعقولات ، وعند الدارسين للنفس والروح والدين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما هو الطريق الذى يسلكه النوع البشرى ليحقق لنفسه حياة تجتمع فيها أسباب الهناءة المادية والسعادة والاطمئنان الروحى .

هل ينبغى للعالم البشرى إذا أراد تحقيق معانى الإنسانية العالية فى المجتمع البشرى أن يعيش فى عالم المادة ، خاضعا لنظمها ، لا يصدر فى تصرفاته إلا عن المادة ، وما توحى إليه به من أسباب ومسببات ، مهملا شأن الروح ، منكرا لها ، مجانبا كل ما تهدف إليه الروح ، وما توحى به الأديان حتى المعانى السامية ، والقوانين والنظم الراقية .

أم أنه يجب أن يستظل براية العقل ، مستهديا بنور الروح ، مستوحيا هدى رب العالمين .

الجواب على ذلك هو ما سطر على صفحات التاريخ البشرى فى جميع الحقب والعصور من صراع بين علل المادة والروح ، وأتباع كل ، وما نسمعه ونقرؤه فى مجتمعنا اليوم فى الصحف والمجلات ، وقاعات المحاضرات والمناظرات ، صراع سجلته البشرية فى بطون التاريخ ، وسيظل هذا الصراع قائما ما بقى الإنسان ، وما بقيت المادة والروح ، وما بقى للإنسان فكر

ووجدان ، بل وما بقى الإنسان إنسانا .

ويجمل بى أن أطوف بالقارىء الكريم فى رحلة قصيرة موجزة ، لأضع أمام عينيه بعض ما سجلته البشرية من صراع بين المادة والروح ، أو بين العلم والدين ، حتى إذا ما قلنا للقارىء بعد ذلك : إن الإنسان يستطيع أن يحقق المعانى الإنسانية الرفيعة ، والتعاليم الدينية القويمة مع حياة مادية رغيدة تحت ظل راية الدين ، لا نكون قد طلبنا منه شططا أو ركبنا خطأ ، فقد سجل التاريخ حقبة من الزمان عاشت فيها البشرية على أكمل ما تكون من روحانية سامية مع عيشة مادية هادئة .

لا أذكر الصراع العنيف فى القديم بين المادة والروح عند الوثنيين من مصريين وكلدانيين وهنود ويونانيين ، ولكنى أترك هذا كله لأقف بك قليلا عند « الموسوية » كما تصفها التوراة التى بأيدينا ، فقد شددت الحصار على البحث الفكرى (العلم) إذ كل المعارف بالوحى الإلهى ، وكلها مسطور فى الكتب المقدسة وقالت : « إن الحكمة ليست من نصيب البشر وليست فى الأرض ، ولن يستطيع الإنسان ـ مهما بذل ـ الوصول إليها » .

وفى المسيحية التى عقَّدها ما أدخل عليها من آراء فلسفية ، يرى القائمون عليها ـ لحفظ سلطانهم ـ تضييق الخناق على البحث الفكرى (العلم) ، ليبقى منزويا ضعيفا لا يتطاول إلى هدم السلطان الروحى الذى يعقبه ـ ولا شك ـ انهيار سلطانهم المادى .

قطعت الإنسانية وقتا طويلا فى الصراع بين المادة والروح : طورا يطلق فيها للعقل سراح البحث الفكرى ، واونة يحجر عليه فيحرم نسيم الحرية .

● ● ●

وقبيل مجىء الإسلام كانت الإنسانية قد تضاربت فى كل معارفها المادية والروحية ، وتشككت فى كل ما لديها من مقدسات ، وأشبهت سفينة فى مهب الريح ، تتقاذفها الأمواج فى بحر لجى تبغى مرفأ ترسو إليه .

كانت الإنسانية تتطلب دينا يشبع تفكيرها ، وينظم حياتها ، فقد عذبها ما حولها من علم ودين ، فوافاها ذلك الدواء الإلهى على لسان خير الرسل سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ ، فشفى داءها ، وأذهب شقاءها ، وبدل حياتها سعادة وهناء وسموا وارتقاء . ذلك التنزيل الذى مر عليه حتى الآن أربعة عشر قرنا ولم تخلق جدته ، ولم تبل محاسنه ، ولم يأت العلم بما يتنافى مع مبادئه ، ذلك الدستور الذى جمع بين المعانى الروحية ، والقوانين العلمية ، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بما لم يستطع الفكر الإنسانى حتى اليوم ـ وقد كملت جميع وسائل البحث ـ أن يأتى بمثله ، فضلا عن أن يأتى بخير منه . .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

ذلك أنه جاء وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فوافاها بكل ما تحتاجه فى حياتها المادية والروحية ، العلمية والدينية .

وفى ظل هذه الحقيقة دعا هذا الدين الناس جميعاً إلى مبادئه وتعاليمه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . **سورة البقرة**

والناس صنفان : صنف يسهل إقناعه بالمناظرة والحجة ، فيعرف الحق ويقتنع له ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

سورة النحل ـ آية : ٢٥

يلحق به من قصر فهمه عن المناقشة وفهم الدليل ، فوافاه الإسلام بالمعجزة التى ظهرت على يد خاتم رسل الله ، فهى عند هذا فى مكان الدليل ، وقول الإله الحكيم :

« **صدق عبدى فيما يبلغ عنى** » ، وصنف مكابر معاند يلحق به غبى جاهل ، وهذا الصنف كالفرس الجموح لا يمكن ترويضه إلا باستعمال ما يناسبه من الشدة ، وما هى بشدة ، وإنما هى وسيلة الإصلاح والتقويم ، وقد ندب إليها الإسلام كوسيلة للإصلاح فقال تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩٣

وقد أمكن لحرارة هذا الدين أن تصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المبعثرة ، وتكون من شتاتها جميعا قوة واحدة وأمة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار فى زمن قصير ، مما يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعى إلى هذا الدين .

العلوم الكونية

القمر أقرب الجيران إلى الأرض

بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا (*)

تحتفل الأوساط العلمية فى العالم هذا العام بذكرى مرور ربع قرن على هبوط أول إنسان على سطح القمر فى عام ١٩٦٩م . وليس هناك من شك فى أن المعلومات الجديدة التى زوَّدتنا بها أبحاث الفضاء طوال هذه الفترة قد أسهمت فى تصحيح الكثير من تصوراتنا الخاطئة عن أقرب جيراننا .

هذا ما سنعرض لإيضاحه فى هذا المقال إن شاء الله تعالى .

خاصية فريدة لقمر الأرض :

تتمتع الأرض بميزة وجود قمر وحيد يرافقها طوال رحلة المجموعة الشمسية ، وذلك بسبب كبر حجم القمر بالنسبة للأرض مقارنة بالأقمار الأخرى الموزعة حول معظم كواكب المجموعة الشمسية .

وقبل عصر ارتياد الفضاء الذى بدأ فى أواسط القرن الحالى : كان علماء الفلك يقدرون قطر القمر بحوالى ٣٢٠٠ كيلو متراً ، لكن التقدم العلمى والتقنى فى عصر الفضاء ساعد العلماء على إجراء حساباتهم بدرجة عالية جداً من الدقة ، فوجدوا أن قطر القمر يبلغ ٣٤٧٦ كيلو متراً ، وأن متوسط بعده عن الأرض يساوى ٣٨٤ ألف كيلو متر .

ومن التجارب العلمية الهامة التى تجذب انتباه الباحثين فى الوقت الحاضر ، تجربة قياس بُعد القمر عن الأرض باستخدام أشعة الليزر ، وتعرف باسم LURE ، وهى الحروف الأولى لكلمات العبارة الإنجليزية :

Lunar Laser Ranging Experiment

وقد بدأ تنفيذ هذه التجربة فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ مع أولى خطوات الإنسان على سطح القمر فى إحدى رحلات سفينة الفضاء الأمريكية « أبوللو » ، وذلك عندما قام رواد الفضاء على هذه السفينة بوضع جهاز يحوى مائة مرآة صغيرة

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

لكى تعكس نبضات أشعة الليزر الموجهة إليها من محطات أرضية فى أماكن مختلفة فوق قارات الأرض . ودون دخول فى التفاصيل الفنية لهذه التجربة يمكن القول بتبسيط شديد أن حساب بُعد القمر عن الأرض يتم بتوجيه نبضة ليزر مكثفة التركيز من الأرض إلى المرايا العاكسة على سطح القمر ، ولأن الليـــزر من نوع الموجـــات الكهرومغناطيسية التى تنتشر فى الفضاء بسرعة الضوء المساوية لمقدار ٣٠٠ ألف كيلو متراً فى الثانية ، فانه يمكن حساب المسافة بين الأرض والقمر بعد قياس الزمن الذى تستغرقه نبضة الليزر ذهاباً وإياباً[١] .

وكان غرض الفريق العلمى القائم على هذه التجربة هو تسجيل ودراسة متوسط بُعد القمر عن الأرض بصورة مستمرة من أماكن مختلفة على سطح الأرض على مدى عدة سنوات . وقد أثبتت القياسات ضرورة إدخال تصحيح يقدر بحوالى مائة متر على القيمة المعروفة حالياً لمتوسط بعد الأرض عن القمر (٣٨٤٠٠٠ كيلو متر) .

والأهمية البالغة لتجربة LURE لا تكمن فقط فى مجرد تحديد هذه المسافة بدقة عالية ، ولكن أيضاً فى تحليل ودراسة مدى التغير الذى يحدث فى قياس هذه المسافة مع مرور الشهور والأعوام ، فهذا من شأنه أن يساعد على فهم أعمق للقضايا المتعلقة بحركة كل من الأرض والقمر ، ومن ثم يوجب إدخال تعديلات جوهرية على كثير من النظريات والثوابت والمفاهيم العلمية كما نتصورها اليوم .

كثافة القمر وتكاثف كتلته :

فى ديسمبر عام ١٩٧٢م تمكن رائدا الفضاء الأمريكيان فى رحلة « أبوللو ــ ١٧ » من قيادة « مركبة قمرية » لمسافة ٨٠ كيلومتراً فوق سطح القمر ، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية بلغ وزنها ١٥١ كيلو جراماً ، كما سجلت أجهزة القياس التى حملاها معهما على هذه المركبة معلومات مفيدة عن تساقط النيـازك والشهب ونشاط الإشعاع الشمسى وقياس الأشعة الكونية وغيرها .

وقد تم تحليل عينات القمر فى معامل الأبحاث الأرضية وتبين أن الكثافة المتوسطة للصخـور الجرانيتية للقمر تبلغ ٣,٣ جرام لكل سنتيمتر مكعب (جم/سم^{٣}) ، وهى أكبر من الكثافة المتوسطة لصخور جرانيت الأرض البالغة ٢,٨ جم/سم^{٣} ، مما يدل على احتواء جرانيت القمر على بعض المعادن الثقيلة نوعاً .

كذلك ثبت أن متوسط كثافة القمر ككل تبلغ ٣,٣٥ جم/سم^{٣} ، وهذا يعنى أن كثافته لا تزيد فى اتجاه مركزه ، كما هو الحال بالنسبة للأرض ، مما يدل على تجانس مادته . من ناحية أخرى ، يلاحظ أن قيمة متوسط كثافة القمر يمكن مقارنتها بكثافة الصخور فى القشرة الأرضية ، إلا أنها أقل

(١) لمعرفة التفاصيل المتعلقة بهذه التجربة واحتياطات إجرائها وخصائص المرايا العاكسة الموجودة على سطح القمر وأجهزة إرسال أشعة الليزر واستقبالها على سطح الأرض وأنواع الساعات المستخدمة لقياس الزمن بدقة تصل إلى جزء من ألف مليون جزء من الثانية يمكن الرجوع إلى المقالة التالية :

J. Faller and F. Wampler, (The Lunar Laser Reflector), pp 38 - 50, in Scientific American magayine, March 1970.

من متـوسط كثافـــة مادة الأرض (٥,٥ جم/سم٣) . ويعتقد ـــ الجيولوجيون أن هذا الاختلاف يمكن إرجاعه إلى صغر حجم لبّ القمر ، ويؤيد هذا الرأى ما قام به علماء « أبوللو » أيضاً من وضع أجهزة مغناطيسية على سطح القمر لتسجيل وقياس المجال المغناطيسى القمـرى ، ولـكنهم لم يسجلـوا أى مجال مغناطيسى ، مما يرجح الاعتقاد بعدم وجود « نواة » معدنية سائلة للقمر على غرار نواة الأرض التى تحتوى على الحديد والنيكل كمصدرين رئيسيين لمجالها المغناطيسى .

وهناك ملاحظة علمية أخرى توصل إليها الباحثون من خلال مراقبة التغيرات التى تطرأ على مدارات سفينة أبوللو الفضائية والمركبة القمرية المدارية . ذلك أن هذه المدارات تتوقف على كتلة القمر ، وأيضاً تعتمد على ارتفاع المركبة أو السفينة الفضائية عن سطحه . وقد استدل العلماء بوضوح على أن المركبة الفضائية تنخفض أحياناً عن مداراتها انخفاضاً طفيفاً غير متوقع تقدر قيمته بنحو أربعة أقدام ، ولاحظوا أن كل انخفاض من هذه الانخفـاضات حدث فوق أحـــد بحور القمر[٢] ، وهذا يعنى أن مجال الجاذبية التثاقلية فوق بعض البحور على الأقل أكبر منه فوق سائر مناطق سطح القمر . وأحد التفسيرات المطروحة لتعليل هذه الظاهرة هو افتراض وجود مواد كثيفة فى أحواض هذه الأنهار (من النـوع البازلتى مثلاً) ، وزيادة تكاثف الكتلة على هذا النحو يعنى قوة جذب أكبر على المركبة الفضائية .

الزلازل القمرية :

قام علماء السفينة الفضائية « أبوللو » بوضع أجهزة لتسجيل الزلازل على سطح القمر وإرسال بياناتها بصورة مستمرة إلى مراكز الاستقبال الأرضية . وقد تم تسجيل العديد من « الزلازل القمرية » التى تحدث على هيئة هزات شدتها أقل من الهزات الزلزالية الأرضية . ويعتقد أن يكون بعض هذه الهزات ناشئاً من سقوط النيازك[٣] الهائمة فى الفضاء الكونى واصطدامها العنيف بسطح القمر ، وأن يحدث البعض الآخر بسبب شقوق داخلية فى القمر يصل عمقها إلى حوالى ٨٠٠ كيلو متر . وتدل السجلات الزلزالية للقمر على أن هذه الهزات استمرت فترات زمنية تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دقيقة ، وأن قوى المد والجزر ربما تكون لها علاقة وثيقة بحدوث الهزات الناشئة عن زيادة نشاط الشقوق وتحركاتها عندما يقترب القمر من الأرض . وقد أمكن تصوير أحد أخاديد القمر الممتد من المناطق الجبلية المرتفعة حتى بحر الهدوء .

فوهات القمر :

أكثر المظاهر وضوحاً على سطح القمر هى الفوهات التى تغمر المساحات المظلمة والمساحات

(٢) كان جاليليو أول من رصد القمر عام ١٦١٠م من خلال منظاره الفلكى ، ومع التطور العلمى والتقنى لأجهزة الرصد والمقاريب (التلسكوبات) الفلكية أمكن وضع خريطة تضاريس تفصيلية لسطح القمر ، ظهرت فيها مساحات مظلمة وأخرى مضيئة . وقد أطلق على كل مساحة مظلمة اسم « بحر » اعتقادا من الفلكيين القدامى بأن هذه المساحات المظلمة بحار ، ومن أمثلتها بحر الهدوء (أو السكون) الذى هبط عليه رواد « أبوللو » أول مرة .

(٣) النيزك Meteorite جرم سماوى يدخل من الفضاء الخارجى إلى الغلاف الجوى لأى كوكب أو قمر ، فيشتعل بسبب احتكاكه ، ويسقط كتلة صلبة كبيرة . تاركة بصماتها على هيئة حفرة عميقة على سطح الكوكب أو القمر .

المضيئة منه على حد سواء . ويذكر العلماء سببين رئيسيين لتكوّن هذه الفوهات : أحدهما اصطدام الصخور المتنقلة بين الكواكب مع سطح القمر ، والآخر النشاط البركانى .

وأغلب الفوهات القمرية نتجت عن تصادم النيازك والشهب الذى كان أكثر شيوعاً فى التاريخ المبكر للمجموعة الشمسية مما عليه الآن وساعد على ذلك عدم وجود غلاف جوى حول القمر يحميه من هذه النيازك ويقلل من حجمها أثناء سقوطها بفعل الاحتكاك والاحتراق قبل الوصول إلى السطح ، مثلما يحدث بالنسبة للأرض . ويحدث عند اصطدام النيازك بسطح القمر أن تضغط الصخور الساقطة على الصخور السطحية التى تصطدم ، وفى نفس اللحظة تقريباً يتكون ضغط ارتدادى من قبل صخور القمر المضغوطة ، فتقذف بشعاعات من المواد إلى خارج الفوهة . وهذه العملية تشبه التناثر (أو الرش) الذى يحدث عندما يقذف بحجر كبير إلى الماء ، وأغلب المواد المقذوفة تسقط قريباً من الفوهة مكونة حافة متسعة ، أما الحرارة الناتجة عن التصادم فهى كافية لصهر بعض الصخور المتناثرة .

ولقد ساعدت الصور الفوتوغرافية التى التقطها ملاحو الفضاء على معرفة المزيد عن خصائص هذه الفوهات ، وتحققت بعثات « أبوللو » من طبيعة المواد التى تملأ أحواض البحر والمنخفضات بحيث جعلت منها مناطق منبسطة نسبياً ، حيث يعتقد أن بعض الفوهات الكبيرة قد غمرت بطبقات متتالية من طفوح الحمم البازلتية شديدة السيولة . كذلك تمكن رواد الفضاء من مشاهدة وتصوير طبيعة البحار الطباقية ، فالطبقات يزيد سمكها غالباً عن ٣٠ متراً ، ويبلغ السمك الكلى للمواد التى تملأ البحار آلاف الأمتار . ولوحظ فى عدة حالات أن طفح الحمم اجتاز حافة الفوهة غامراً المناطق المحيطة المنخفضة ، وإذا ما ظهرت بقايا الفوهة فوق الحمم فإنه بالإمكان التعرف على سمك الطفح . ويرى أهل الاختصاص من الجيولوجيين أن الارتطامات المكونة لأحواض البحار كانت ضخمة إلى حد أنها كونت شقوقاً وأخاديد امتدت لمسافات بعيدة فى القشرة القمرية ، وأحد هذه الأحواض التى ملئت بالكامل هو « بحر الهدوء » .

وبعد ، فهذا قليل من كثير من نتائج التقدم العلمى والتقنى فى عالم الفضاء منذ الخطوات الأولى للإنسان على سطح القمر فى عام ١٩٦٩ ، ولسوف يواصل الإنسان سيره على القمر ، وربما سيمشى ذات يوم على غيره من الأجرام السماوية ، مصحِّحا تصوراته الخاطئة عن هيئة الكون ، وساعياً فى الوقت نفسه إلى معرفة الحقيقة الكبرى من خلال آيات الله المنبثة فى جنبات الكون الفسيح .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(سورة آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١)

الآثار الإسلامية في يوغسلافيا « السابقة »

بقلم الأستاذ / خالد محمد عزب

سراى بوسنه .. موستار .. بلغراد .. سكوبيا .. جورادزى .. بانيالوقا .. قوصوه .. نوفى بازار .. مدن إسلامية فى يوغوسلافيا السابقة .. تمثل جزءًا من تراث الأمة الإسلامية الحضارى .. بعضها تحول إلى ذكريات لماضٍ تليد صنعه العثمانيون .. فقد دمر على يد الصرب عند قيام ما يعرف بيوغوسلافيا .. حتى غدت بلغراد الإسلامية أندلساً قديمة تتغنى بأمجادها الإسلامية ، وأساليب الاستعمار ضد الإسلام واحدة ، وإن اختلفت مواقفه وأزمنته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » !!

وللمسلمين فى هذه البلاد تراث حضارى بعضه اندثر وبعضه ما زال باقياً .. ومن واجبنا أن نُعَرِّف به فى محاولة للوقوف على الموروث الحضارى للأمة الإسلامية بهذه البلاد .

★ **المدارس :**

اشتهرت هذه البلاد بكثرة عدد المدارس ، ولعل أشهرها مدرسة الغازى خسرو بك فى سراى بوسنة التى تعرف خطأً باسم سراييفو . ، ويرتبط اسم الغازى خسرو بك بهذه المدينة ؛ فقد تولى مقاليد أمورها منذ النصف الأول من القرن السادس عشر (١٥٢١ – ١٥٤١ م) . وأقام مجموعة المنشآت التعليمية والاجتماعية والدينية .

وخلال فترة حكمه نمت مدينة « سراى بوسنة » وتطورت بحيث أصبحت مدينة كبيرة ومركزاً لمنطقة البوسنة والهرسك من النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية .

وأوقف الغازى خسرو بك جميع أملاكه لمدينة سراى بوسنة ، فقد ترك مطبخاً ومطعماً عمومياً وحماماً وخانقاه وسوقاً كبيرة وشبكة أنابيب لنقل المياه إلى أربعين صنبوراً عمومياً وكثيراً من المشروعات المرتبطة بالمشروع الأساسى وهو المدرسة والمسجد والمكتبة . وترك وراءه أموالاً كثيرة من أجل الإنفاق عليها والتكفل بها . وقد تم الانتهاء من تشييد هذه المدرسة فى عام ٩٤٤ هجرية الموافق ١٥٣٧ ـ ١٥٣٨ م .

ومن الناحية المعمارية شيدت المدرسة على نظام المدارس العثمانية التقليدية التى عادة ما تكون مستقلة ومغلقة ولها فناء محاط من جميع الجهات بحجرات للتلاميذ والأساتذة ، وهناك عبارة منقوشة على مدخل مدرسة الغازى خسرو بك ترحب بالزائرين والقادمين وتذكر بهدف أولئك الذين أسسوا هذا البناء الشامخ منذ ما يزيد على أربعة قرون ونصف القرن ، تقول : شُيد هذا المبنى من أجل أولئك الذين يطلبون العلم[1] .

وبرزت أول مدرسة فى بلغراد فى السنوات الأولى للحكم العثمانى ، وهى مدرسة محمد باشا التى بناها محمد باشا فى إطار جامعه الذى عُرف باسمه ، وتوالى الاهتمام بعد ذلك ببناء المدارس ، ولعل من أشهرها مدرسة السلطان محمود .

ونظراً للمستوى الرفيع الذى تتمتع به هذه المدرسة ، فقد كانت الأستاذ يتقاضى فيها يومياً ما لم يتقاضاه أى أستاذ فى أشهر مدارس استنبول ، وكان عدد الطلاب بالمدرسة فى سنة (١٧٦٦)م سبعة وعشرين طالباً .

ومن المدارس التى اشتهرت فى بلغراد ـ أيضاً ـ مدرسة « الصدر الأعظم سعيد حسن باشا » يحيى باشا خطيب زادة[2] وكانت هذه المدارس تدرس علوم اللغة وآدابها ، والفقه والتفسير والحديث والعقائد ، وغيرها من العلوم ، والمعارف ، على أن أغلب نصوص هذه المواد كانت تدرس باللغة العربية .

★ الكتاتيب :

انتشرت الكتاتيب بهذه البلاد وبصفة خاصة فى « سراى بوسنة » ، وموستار التى كان بها ستة عشر كتاباً أثناء الحكم العثمانى لها ، أقدمها « كتاب » جامع كيوان كتخدا ، الذى يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٥٥٤م ، وربما وجدت كتاتيب أخرى قبل هذا التاريخ ، وأشهر الكتاتيب المعروفة بموستار فى الفترة من (١٤٦٥ ـ إلى ١٨٧٨م) كتاتيب « قرة كوزبيك » و « كيوان بك » و « درويش بك » و « بايزيد أغا زادة » و « الحاج بالى »

(١)د. جمال الدين سيد محمد ، أقدم مدرسة إسلامية فى يوغوسلافيا ، من ص ٨٢ : ص ٨٩ ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣١١ ذو القعدة ١٤١٠ هـ ، يونية ١٩٩٠م .

(٢) محمد موفاكو ، تاريخ بلغراد الإسلامية ، ص ٤٩ ، ٥٠ مكتبة دار العروبة ـ الكويت ، ١٩٨٧م .

و « الحاج أحمد بك » . و « سباهيتش »[٣] .

المســـاجد :

تنتشر المساجد فى يوغوسلافيا السابقة ، فقد كان فى سراى بوسنة سبعة وسبعين جامعاً وثلاثة وتسعين مسجداً ، أكبرها جوامع « سلطان باشا » و « فرهاد باشا » و « خسرو باشا » و « غازى على باشا » و « عيسى باشا » ، ومن أشهر جوامع بابيتش سه جامع « سليمان خان » بالقعة ، ومن جوامع « بانيالوقا » : « جامع فرهاد باشا » ، وهو فى فخامة جوامع السلاطين ، ومن جوامع « طاشليخه » : « جامع حسن باشا » وجامع « حاجى حسين أفندى » ، وجامعى « حاجى رضوان » وجامع « حاجى على » وجامع « أوضه باشى »[٤] .

وقد تهدم معظمها وتعرّض ما تبقى منها لأضرار شديدة خلال الحرب الأخيرة على أيدى الصرب والكروات .

وقد كان ببلغراد مساجد وجوامع كثيرة أزيل معظمها على يد الصرب بعد الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية ، ومن هذه الجوامع : جامع « إبراهيم بك » وهو من أقدم جوامع بلغراد ، حيث يرجع تاريخه إلى ما بين (١٥٧٢ ـ ١٥٨٢) م ، وجامع « إبراهيم شلبى » وقد ذكره « أوليا شلبى » فى وصفه لبلغراد سنة ١٦٦٠م ، كما ورد فى نفس المرجع تأريخ لجامع « بيرم بك » ، وهو ـ أيضاً ـ من أقدم جوامع بلغراد ، وأن تاريخ بنائه يعود إلى سنوات (١٥٣٦ ـ ١٥٦٠) م ، ويبدو أن بيرم بك كان من الشخصيات الكبيرة إذ بنى إلى جانب هذا الجامع مدرسة وحماماً وعمارة .

وقد أشاد بهذا الجامع الرحالة « أوتندروف » سنة ١٦٦٣م على اعتباره من أكبر وأشهر الجوامع فى بلغراد . وقد هدم هذا الجامع فى السنوات الأخيرة للقرن التاسع عشر . وقد هدم هذا الجامع فى السنوات الأخيرة للقرن التاسع عشر[٥] ومن جوامع بلغراد التى تحكى مأساتها « جامع الدفتردار » ، وهو يعتبر الجامع الأصلى للمدينة ، إذ يرجع تاريخه إلى نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر ، وقد أورد ذكره « شلبى » فى وصفه لبلغراد مع مجلة تحمل اسم الجامع ، أصبح هذا الجامع كنيسة خلال الحكم النمساوى لبلغراد ١٧١٧ ـ ١٧٣٩م ، وبعد عودة المدينة إلى العثمانيين قام دفتر دار بلغراد « أحمد ابن إبراهيم البلغرادى » بإصلاح وتجديد هذا الجامع وأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم « جامع الدفتردار » ، وفيما بعد أصبح أحمد وزيراً ووالياً « لسالونيك » ومصر فى عهد السلطان عثمان الثالث الذى لقبه بـ«الكامل» ولذلك يرد الجامع باسم « كامل أحمد باشا » . وقد دارت حول هذا الجامع إحدى المعارك الرئيسية فى حوادث سنة ١٨٦٢ ، ومن المؤكد أنه قد تعرض لأضرار وقد ظل مهجوراً من عام ١٨٦٢ حتى هدم عام ١٨٨٠م[٦] وكان قد بقى

(٣) محمود السيد الدغيم ، جولة شاهد عيان فى موستار ، الحياة ، العدد ١١٢٠ ، ٢٥ يوليوم ، ٦ صفر ١٤١٤هـ .

(٤) د. محمد حرب ، البوسنة والهرسك ، من الفتح إلى الكارثة ص ١٦٧ ، ١٦٨ . المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ، القاهرة ١٩٩٣م .

(٥) محمد موفاكو ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

فى سكوبيا عاصمة مقدونيا « ثلاثة عشر جامعاً » صالحاً للصلاة منها جامع « عيسى بابا » وجامع « يحيى أغا » وجامع « محمد بك » .. إلخ ولكن هذه الجوامع منعت السلطات اليوغوسلافية السابقة ترميمها وكان هدفها من ذلك إزالة الهوية الإسلامية للمدينة ، وكان بمدينة موستار خمسة وأربعون جامعاً ، دمر معظمها خلال الحرب الأخيرة ، ومن هذه الجوامع ، جامع سنان باشا (الجامع العتيق) بنى سنة ١٤٧٦م ، وهو أقدم جوامع موستار وأوسعها هدمه الشيوعيون سنة ١٩٤٩م ، وجامع « قرة كوز محمد بيك » بنى سنة ٩٦٥ هـ ـ ١٥٥٧م ، وهو من أجمل جوامع الهرسك ، وهو من تصميم المعمار المشهور « سنان » ومع الأسف هدم فى الحرب الأخيرة ، وجامع « نصوح أغا » ، بنى سنة ٩٣٥ هـ ـ ١٥١٨م ، وقبته كبرى القباب فى موستار بعد قبة جامع « قرة كوز » ، وقبة جامع « كوسكى محمد باشا » . وكان جامع « نصوح أغا » عامراً حتى دمره الصرب فى أبريل ١٩٩٢ م وأجهز عليه الكروات خلال الحرب الأخيرة[٧] .

★ المكتبات :

وبجانب المدارس والجوامع أنشئت المكتبات التى كان الجزء الأكبر من محتوياتها مكوناً من المخطوطات العربية ، وكلما انتشر الإسلام ، انتشرت أيضاً وتزايدت هذه المؤسسات وازداد عدد الكتب المحفوظة بها ، ومن الممكن تقسيم المكتبات فى هذه البلاد إلى ثلاثة أنواع هى :

١ ـ المكتبات الخاصة .

٢ ـ مكتبات الجوامع والزوايا والتكايا .

٣ ـ مكتبات المدارس ، وهى فى الحقيقة أهم هذه المكتبات ؛ لأنها كانت مكتبات عامة ينتفع منها الأهالى ويستعيرون منها الكتب لقراءتها أو نسخها .. ومن المعروف ان الكتب آنذاك كانت غالية الثمن لأنها كانت مكتوبة باليد ومزينة بزخارف مختلفة ، ومن وثائق الأوقاف المختلفة نرى أن المدرسين كانوا يعنون بهذه الكتب عندما تكون المكتبات صغيرة ، ويعرف أمين المكتبة فى الوقفيات بهذه البلاد « بحافظ الكتب » وقد ورد فى ذكره لأول مرة فى وقفية « عيسى بك » سنة ١٤٦٩ ، على أن عمل حافظ الكتب كان حرفة ووظيفة يحصل بها على مرتب يومى مقابل عمله .

وتعتبر مكتبة إسحق بك التى تقع ضمن مدرسته فى سكوبيا من أقدم المكتبات فى هذه البلاد ؛ إذ أنشئت قبل سنة ١٤٥٥م ، وكانت تحتوى على مخطوطات جلها باللغة العربية وتشمل علوم التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفتاوى[٨] وتعتبر مكتبة « الغازى خسرو بك » فى سراييفو حالياً كبرى مكتبات هذه البلاد ، فقد ازدادت ثروتها من الكتب الموقوفة من جانب أهل الخير والصلاح ، وبدعم من بعض المكتبات البوسنوية التى انضمت لهذه المكتبة من جانب آخر .. فى سنة ١٩٥٠م نقل إلى مكتبة خسرو بك كثير من المكتبات الخاصة[٩] حتى أضحت هذه

(٧) محمود السيد الدغيم ، المرجع السابق .

(٨) حسن قلشى ، المخطوطات العربية فى يوغوسلافيا ، ص ٤ ، ٦ مجلة معهد المخطوطات العربية فى يوغوسلافيا ، ص ٤ ، ٦ مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ١٢ ، الجزء ٢ ، شعبان ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٣ .

المكتبة من أغنى مكتبات المخطوطات الشرقية فى أوروبا ، كما نقل إليها فى نفس العام (١٩٥٠م) مخطوطات مكتبتى « قره كوز بيك » ومكتبة « الشهيد درويش باشا » المستشهد بمنة ١٠١٢هـ ـ ١٦٠٣م) بموستار[١٠] .

* **المصاحف :**

وقبل أن نغادر مكتبات البلاد لا بد لنا من وقفة مع مصاحفها المخطوطة الرائعة ، فمن حسن الحظ أن هناك مجموعة لا بأس بها من المصاحف بسراييفو فى مكتبة « الغازى خسرو بك » ومكتبة « معهد الدراسات الشرقية » ، و « المكتبة الشعبية العامة » و « خزينة الوثائق » فى سراييفو

ومن أروع هذه المصاحف مصحف كتبه « حسين البوسنوى » سنة ١٧٥٥م ، ويضم هذا المصحف ٧٣٣ صفحة من الحجم الصغير ١٦ ×١٠سم ، بكل صفحة ١٥ سطراً وبهذا المصحف تذهيب رائع لأوائل الحروف ونهايات الصفحات وأواخر الآيات وبداية كل سورة .

ومن هذه المصاحف مصحف كتبه « درويش عبد الحميد لسقويكلى » سنة ١٨٤١م ـ ١٢٥٧ هـ ، وقد استخدم فى كتابة عناوين السور الحبر الأزرق والأحمر . ومن هذه المصاحف أيضاً مصحف كتبه « حافظ إبراهيم السرائى » وقد انتهى من كتابته سنة ١١٩٤ هـ ـ ١٧٨٠ م ومقاس الصفحة ٢٧ ×٤٣سم ، وهو مكتوب بالخط النسخ وزخارفه ملونة بالأزرق والأحمر والأبيض والذهبى ، وحافظ إبراهيم السرائى كان إماماً فى مسجد السلطان بسراييفو ، وقد كتب أكثر من ٣٠ مصفحاً ، وكان ينتهى من كتابة المصحف فى أقل من سنة ، ومصاحفه هذه من أروع المصاحف من ناحية التذهيب والزخرفة .

ومن المصاحف النادرة مصحف باسم الوزير الكبير « محمد باشا » صقولو بك المتوفى سنة ٩٨٧ هـ ـ ١٥٧٩ م ومصحفه هذا يعد من أروع ما كتب ، وهو يحتوى على ٢٢ جزءاً من القرآن ، ولسنا نعرف شيئاً عن الأجزاء الأخرى وكل جزء مجلد على حدة ، ويمتاز كل جزء بتنوع زخارفه وكل منها عليه عنوان مذهب بشكل رائع ، أما فواتح السور فمزينة باللونين الذهبى والأبيض على أرضية زرقاء ، وكل جزء يفوق الآخر فى تصميماته وزخارفه وتذهيبه .

وقد اشترك فى كتابة هذه المصاحف مشاهير الخطاطين أمثال « حافظ محمد السرائى » ، و « درويش عبد الحميد لسقويكلى » و « حافظ مصطفى بن عمر المسترى » و « مصطفى البوسنوى » المعروف بالكتانى و « حسين البوسنوى » و « حافظ حاجى نسيم زادة الاقحصارى » و « إبراهيم بن مصطفى » و « حسين بن على » وكثير غيرهم لم يسجلوا

(١٠) محمود السيد الدغيم ، المرجع السابق .

أسماءهم على أعمالهم تأدباً واحتراماً مع كلام الله تعالى .

وإلى جانب هذه المصاحف فى مدينة سراى بوسنه هناك مصاحف أخرى فى سكوبيا (خزينة الوثائق لجمهورية مقدونيا) وزغرب (القسم الشرقى من المعهد التاريخى) وبلغراد (مكتبة الجامعة) وموستار (خزينة الوثائق لهذه المدينة) وغيرها من المدن[11] .

تلك كانت جولة سريعة بين صفحات الموروث الحضارى للأمة الإسلامية فى هذه البلاد ، ذلك الموروث الذى يؤكد هويتها الإسلامية ، ويحتاج إلى مجلدات لكى نعرِّف به تعريفاً وافياً وشافياً ، غير أن ضيق مساحة النشر تدفعنا إلى تعريف القارىء به تعريفاً سريعاً ومُركزاً راجياً أن يكون هذا التعريف بداية لدعم المؤسسات الثقافية لإخراج عمل متكامل عن هذا الموروث الحضارى للأمة الإسلامية فى يوغوسلافيا السابقة[12] .

ويزمع مركز الثقافة والتاريخ والفنون الإسلامية باستنبول إخراج كتاب عن العمارة الإسلامية فى البوسنه والهرسك ، للدكتور عامر لاسيتش ، وآمل لو تبنت منظمة العواصم والمدن الإسلامية إخراج كتاب عن الآثار الإسلامية فى هذه البلاد وما تعرضت له من أضرار أثناء الحرب الأخيرة وحبذا لو استعين بكتب محمود السيد الدغيم الذى تخصص فى هذا النوع من الكتابات . كذلك آمل أن تتبنى المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم إخراج كتاب شامل عن الحضارة الإسلامية فى هذه البلاد .

والله ولى التوفيق ...

(١١) د. يوسف راميتش ، مخطوطات القرآن فى يوغوسلافيا ، كتاب الأصالة ، حـ ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، الجزائر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

(١٢) ومن الأعمال التى كتبت عن البوسنة والهرسك وتستحق النشر « رحلة الصيف إلى بلاد البوسنة والهرسك » وهى رحلة قام بها الأمير محمد على ولى عهد مصر الأسبق إلى هذه البلاد سنة ١٩٠٠م ودون فيها معلومات فى غاية الأهمية عن هذه البلاد ، وقد أشرف على إخراجها الشيخ محمد سليم البشرى .

وبما كتب بصفة عامة عن التراث الحضارى للمسلمين فى البلقان مقال ، العمارة الإسلامية فى البلقان ، بقلم ميكل كيل وقد ترجمته نادية عبد السلام ونشر فى مجلة الثقافة العالمية العدد ٤٣ ، السنة ٨ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ - نوفمبر ١٩٨٨ م .

البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

١

تطرقنا فى المقال السابق إلى الحديث عن الوقاية الأولية من مرض الحمى الروماتيزمية وها نحن نستأنف الحديث عن هذا المرض بذكر طريق الوقاية الثنائية

● **الوقاية الثنائية** *Secondary Prevention* :

وهى الوقاية التى يتعين اتخاذها بعد حدوث المرض ، لمنع تكرار الإصابة به ، سواء كان القلب قد تعرض للإصابة أم لا ؛ لأن مرضى (الكوريا) أو التهاب المفاصل يكونون عرضة للإصابة بالتهاب القلب Carditis عند تكرار الإصابة بالمرض .

ونتيجة لخطورة المرض وتأثيره على صحة المجتمع Public Health ـ والنتيجة الفعالة للمضاد الحيوى فى الوقاية الثنائية ، حيث يمنع تكرار الإصابة بالمرض ـ قامت منظمة الصحة العالمية (W H O) World Health Organization بوضع برنامج وقائى للحمى الروماتيزمية فى الدول النامية ، ويعد البنسلين طويل المفعول هو أفضل وسيلة لتلك الوقاية عن طريق حقن المريض فى العضل ، بجرعة كافية : (٦٠٠ ألف وَحْدةٍ إذا كان المريض أصغر من ٦ سنوات و ١,٢ مليون وحدة إذا كان أكبر من ٦ سنوات) كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع على الأكثر ، لمدة لا تقل عن خمس سنوات ، بعد حدوث الإصابة بالمرض ؛ لأن المريض يكون فى خلال هذه المدة معرضاً بدرجة كبيرة لتكرار الإصابة .

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

ما لا بد منه قبل البنسلين :

ومن الجدير بالذكر أنه قبل حقن المريض بالبنسلين طويل المدى لا بد من القيام بعمل اختبار حساسية للبنسلين Allergic Skin test وذلك لأن نسبة غير قليلة من المرضى يعانون من حدوث تفاعلات حساسية بعد تعاطى العقار .

● حساسية البنسلين *Penicilin Allergy* :

مما لا شك فيه أن البنسلين يعد من أكثر الأدوية التى تؤدى إلى حدوث تفاعلات حساسية ناجمة عن نواتج تحلل العقار ، وليس العقار نفسه وهى تنقسم إلى :

١ ـ جزء أعظم (٩٥٪) Major Determinant يتحد مع بروتينات الجسد متسبباً فى تكوين الأجسام المضادة (هـ) Immunoglobulin E ضده مؤدية إلى حدوث تفاعلات الحساسية .

٢ ـ جزء أصغر (٥٪) Minor Determinant وهو مسئول عن حدوث تفاعلات الحساسية الشديدة .

★ ★ ★

● أنواع تفاعلات الحساسية للبنسلين *Penicillin Allergic Reactions* :

١ ـ تفاعلات نتيجة لتكوين الأجسام المضادة (هـ) ويطلق عليها النوع الأول من تفاعلات الحساسية Type I Hypersensitivity Reactions .

ومن الجدير بالذكر أن معظم تفاعلات الحساسية للبنسلين تحدث نتيجة لتكوين الأجسام المضادة (هـ) .

٢ ـ فقر دم ينجم عن انحلال الدم Hemolytic Anaemia نتيجة لتكوين أجسام مضادة لخلايا الدم الحمراء حيث يرتبط العقار بسطح هذه الخلايا ، ويطلق عليها النوع الثانى من تفاعلات الحساسية

Type II Hypersensitivity Reactions .

٣ ـ داء المصل Serum Sickness نتيجة لتكوين مركبات مناعية Immune Complex ويطلق عليه النوع الثالث من تفاعلات الحساسية

Type IV Hypersensitivity Reactions

٤ ـ حساسية بالجلد Contact Dermatitis وهى « النوع الرابع » من تفاعلات الحساسية .

Type IV Hypersensitivity Reactions

● كيف تؤدى الأجسام المضادة (هـ) إلى حدوث تفاعلات الحساسية :

تؤدى الخلايا الشبْعية Mast Cells والخلايا المستقعدة Basophils دوراً رئيسياً فى حدوث هذه التفاعلات حيث ترتبط الأجسام المضادة (هـ) بسطح هذه الخلايا وعندما يؤخذ العقار يحدث اتحاد بينه وبين هذه الأجسام المضادة مؤدياً لخروج المواد الكيميائية الوسيطة Mediators وأهمها (الهستامين Histamine) مؤدية لحدوث تفاعلات الحساسية نتيجة لزيادة نفاذية الأوعية الدموية Vascular Permeability متسببة فى تورم الأنسجة Tissue Oedema .

وتنقسم تفاعلات الحساسية إلى تفاعلات مبكرة Immediate Reactions وهى تحدث فى خلال نصف ساعة إلى ساعة بعد تعاطى العقار ، وتفاعلات متأخرة accelertad Reactions وتحدث بعد الساعة الأولى من تعاطى العقار حتى ثلاثة أيام بعد تعاطيه .

تقنية الحاسوب في خدمة علوم الشريعة

بقلم الأستاذ / نبيل صلاح المغربي

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وآله وصحبه .

وبعد :

فإن أهم ظاهرة شهدها العالم خلال العقود الأخيرة هى ظاهرة تزايد المعلومات بدرجة كبيرة فى كافة فروع المعرفة وجميع أوجه النشاط الإنسانى ، وإتاحة هذا القدر الهائل من المعلومات بسهولة ويسر على نحو لم يحدث من قبل ، ولعل السبب الأساسى الذى يفسر ذلك هو التطورات المتلاحقة فى كل من صناعة الحاسوب Computer والاتصالات Communications أو ما يطلق عليه « تقنية » المعلومات Information Technology التى فتحت آفاقا واسعة فى التعامل مع المعلومات ، ويشمل ذلك القدرة على تخزين كمية هائلة من المعلومات وتراسلها واسترجاعها بسهولة وسرعة ودقة[1] .

(*) مدرس مساعد بكلية التجارة ـ جامعة الاسكندرية ـ ماجستير فى اقتصاديات تكنولوجيا المعلومات .

(١) على سبيل المثال ، توزع الموسوعة الأمريكية الأكاديمية Academic American Encyclopedia التى تتكون من ٢١ مجلدا على قرص واحد من فئة CD ROM .

وهذه الدراسة تلقى الضوء على تقنية الحاسوب بصفة خاصة من حيث إمكانية الاعتماد عليها لخدمة الباحث فى العلوم الشرعية ، وكذلك المسلم الحريص على دينه بوجه عام .

وليسمح لنا القارىء بعرض بعض الأسئلة التى نحدد الإطار العام للموضوع :

ما الحاسوب ؟

ما أنواع « الحاسوب » والمكونات والمتطلبات اللازمة لتنفيذ تطبيقات العلوم الشرعية ؟

ما المزايا والمنافع الناجمة عن تطبيق أنظمة (محسوبة) فى خدمة القرآن والسنة ؟

ما القيود التى تمنع من استخدام الحاسوب فى مجالات معينة ؟

هل هناك تجارب نفذت فعلا لتوظيف الحاسوب فى خدمة علوم القرآن والسنة ؟

ما القيمة الفعلية لهذه التجارب والمشروعات على المستويين الفنى والشرعى ؟

ما الضوابط التى يتعين مراعاتها عند الدخول فى مشروعات جديدة أو تطوير المشروعات القائمة ؟

هذا وأرجو أن يلحظ القارىء أن الموضوع ذو جوانب متعددة شرعية تقنية واقتصادية ويصعب استيعاب كافة هذه الجوانب فى سياق واحد ، ولكن حسبنا أن نطرح الموضوع للبحث ، وأن نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة . وعلى الله قصد السبيل .

تعريف بالحاسوب وتطوره التاريخى

المصطلح Computer مشتق من الفعل Cpmpute بمعنى يحسب ، وكان لفظ (كمبيوتر) فى اللغة الإنجليزية يكتب فى بداية الأمر بشكلين Computer و Computor وهما شكلان مقبولان لغوياً ، ثم استقر الأمر بعد ذلك على اعتبار أن Computer تشير إلى الآلة التى تقوم بالحساب بينما Computor تدل على الإنسان الذى يقوم بالحساب بدون استخدام الآلة[٢] .

أما على الصعيد العربى فقد ظهرت مصطلحات متعددة ، نظراً لغياب المؤسسات التى تعنى بهذه الاختلافات فى وقت مبكر من ظهورها ، فقد استعمل مصطلح كمبيوتر فى البداية ، وأحياناً كان يقال عقل الكترونى ، ثم انتشر مصطلح « الحاسب الآلى » و « الحاسب الالكترونى ، إلى أن ظهر المصطلح الذى أقرته معظم مجامع اللغة العربية ، وجامعة الدول العربية وهو « الحاسوب » ويتميز هذا المصطلح بأنه على وزن الآلة[٣] .

تعريف بالحاسوب :

يُعَرَّفُ الحاسوب : بأنه « جهاز الكترونى ، يُغذى بالمعطيات المتاحة (البيانات بكافة أنواعها) ، ليجرى عليها المعالجات المناسبة (الحسابية والمنطقية) ، بسرعة عالية ودقة تامة ، فضلا عن القدرة على حفظ كافة المعطيات والنتائج

(٢) (عبدالإله الديوه جى) مقال : مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات ، مجلة : عالم الفكر ، المجلد ١٨ ، العدد ٣ ، الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤ .

(٣) على سبيل المثال لفظ Computing يناظره حوسبة ومصطلح Computerized يناظره مُحوسَب ، ولكن كل مصطلح رهن بالانتشار ، ولا يكفى أن يوافق قواعد اللغة ، وهذه مسئولية وسائل الإعلام العربية التى لا تريد ـ أو لا يراد لها ـ أن تصود اللغة العربية الفصحى .

بصفة دائمة ، وذلك كله وفقاً للبرامج التى تعطى له[٤] ﴾ . وتكون مخرجاته عبارة عن معلومات أو إشارات كهربائية يمكنها التحكم (أتوماتيكياً) فى تشغيل بعض الآلات أو العمليات الأخرى[٥] » .

التطور التاريخى للحاسوب :

ظهرت النماذج الأولى من الحاسوب الحديث فى الأربعينات من هذا القرن[٦] ، ونظراً لسيادة أجواء الحرب العالمية الثانية فى ذلك الوقت ، فقد كانت معظم هذه النماذج موجهة للتطبيقات العسكرية . وفى العام ١٩٥١ ظهر الحاسوب المسمى « يونيفاك الأول Univac I » وهو أول حاسوب يصمم أساساً للتطبيقات التجارية ، ومنذ ذلك الوقت بدأ إنتاج الحواسيب على نطاق واسع فيما يطلق عليه أجيال الحواسيب Computer Generations .

الجيل الأول :

ساد فى الخمسينات ، وكان يرتكز على الصمامات المفرغة Vacuum Tubes ، وكانت الأجهزة كبيرة الحجم بسبب العدد الكبير من الصمامات اللازمة لتشغيل الأجهزة ، ويعيب الصمامات أنها تستهلك كمية كبيرة من الطاقة ويتولد عنها حرارة شديدة .

الجيل الثانى :

بدأ فى أوائل الستينات ، وتميز بظهور الترانزستور Transistor ، الذى كان أصغر كثيراً من الصمامات ، وأقل تكلفة ، ويحتاج إلى مقدار أقل من الطاقة الكهربية ، ويطلق حرارة أقل ، ونتج عن ذلك أن الحواسيب أصبحت أصغر حجماً وأقل تكلفة .

الجيل الثالث :

بدأ فى منتصف الستينات ، وفيه ظهرت الدارات المتكاملة Integrated Circuits حيث أمكن وضع أكثر من ألف ترانزستور على رقاقة Chip واحدة من (السيليكون) حواسيب هذا الجيل أصغر من الجيل السابق وأكثر كفاءة وأقل تكلفة .

الجيل الرابع :

منذ بداية السبعينات وحتى الآن . والميزة الأساسية لهذا الجيل هى التكامل على نطاق واسع جداً Very Large Scale Integration-VLSI . والذى يعنى دمج عدة مئات الآلاف من وحدات

(٤) أنظر :

Szymanski, R.A., et. al., Introduction to Computers and Information Systems, Merrill Pub. Co., USA, 1988, P.4.

أ.د. السيد عبد المقصود ود. محمد الفيومى ، مقدمة فى الحاسبات الآلية ونظم التشغيل ، الإسكندرية ١٩٩٣ ص ١٨ .

(5) ..., Glossary of Computer Terms, Egypt : Central Agency for Public Mobilisation & Statistics, June 1976, P86.

(٦) ظهرت فكرة الحاسوب فى القرن التاسع عشر ، حيث قام الرياضى والمخترع البريطانى تشارلز بابج (1791 - 1871) Charls P. Babbage بابتكار الآلة التحليلية Analytical Engine التى اشتملت على المقومات الأساسية للحاسوب المعاصر (وحدة إدخال ، وحدة معالجة وذاكرة ، وحدة إخراج) . ويذكر أن هذه الآلة لم تصنع ؛ لأن المهندسين عجزوا عن تنفيذ المواصفات التى وضعها بابج . أنظر فى ذلك :

« موسوعة : بهجة المعرفة ، المجموعة الأولى : الأداة والآلة ، ليبيا : الشركة العامة للنشر ،، ١٩٨١ ، ص ١٧٤ .

Szymanski. Ibid. P. 30.

الترانزستور والمكونات الالكترونية الأخرى على رقاقة واحدة Single Chip ، وهذا التطور جعل من الممكن اختراع المعالج الميكرو Micro-processor وبالتالى الحاسوب الميكرو Micro-computer . والذى يسمى أيضاً الحاسوب الشخصى . وهو النوع الذى تراه على المكاتب فى المصارف والجامعات والمؤسسات المختلفة .

الجيل الخامس(٧) :

يتميز هذا الجيل بالذكاء الاصطناعى Artificial Intelligence-AI . والذى يعنى قدرة نظام الحاسوب على محاكاة السلوك الإنسانى المتسم بالذكاء ، بمعنى القدرة على حل مسألة معينة ، أو اتخاذ قرار فى موقف معين بناء على مجرد وصف هذا الموقف وعلى الحاسوب ـ أو بالأحرى البرنامج المكتوب له ـ أن يجد الطريقة التى يجب أن تتبع لحل المسألة أو التوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية المتنوعة التى غُذى بها البرنامج(٨) . ومن المجالات التى يتناولها الذكاء الاصطناعى : النظم الخبيرة Expert Systems والإنسان الآلى المتفوق Advanced Robotics ومعالجة اللغة البشرية مباشرة ، والتعرف على الأصوات ، وتمييز الصور الثابتة والمتحركة والحية(٩) . وتعتبر تطبيقات الذكاء الاصطناعى من المجالات الواعدة التى يمكن أن تقدم خدمات جليلة للمشتغلين بالعلوم الشرعية كما سنبين إن شاء الله .

الجيل السادس(١٠) :

يتضمن هذا الجيل ظهور الحواسيب العصبية Neuro-Computers أو بدقة أكبر الشبكات العصبية Neural Networks وتقوم فكرتها الأساسية على محاكاة بنيان الدماغ ، وطريقة أداء الخلايا العصبية الحية ، حيث تتكون الشبكة العصبية من عدد كبير من عناصر المعالجة تعمل معا بشكل متوازى ، وتتدفق المعلومات فيما بينها . ويخطط لهذه الحواسيب أن تكون قادرة على التعلم والتفكير على نحو يقارب بعض أنماط التفكير لدى الدماغ البشرى(١١) .

(٧) طبقت اليابان خطة قومية خلال عقد الثمانينات لإنتاج حواسيب الجيل الخامس وتكلفت ٣٧٠ مليون دولار أنظر : مقال : اليابان وحاسبات الجيل السادس ، مجلة : عربيوتر ، السنة ٣ ، العدد ٢٠ ، واشنطن : الشركة العالمية لخدمات المعلومات ، سبتمبر ١٩٩١ ، ص ٢١ .

(٨) الآن بونيه ، الذكاء الاصطناعى واقعة ومستقبلة ، ترجمة د. على صبرى فرغلى ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٧٢ ، الكويت المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، أبريل ١٩٩٣ .

(٩) لمزيد من التفاصيل حول مجالات الذكاء الاصطناعى أنظر :

Gotlieb, C.C., and Borodin, A, Social Issues in Computing, New York : Academic Press, 1973, PP. 140 - 160.

(١٠) مشروع اعلنت اليابان البدء فيه منذ العام ١٩٩٢ .

(١١) أنظر

مايكل . أ. أريب ، محاضرة : الحاسوب العصبى الذكى ، مجلة : آفاق علمية ، العدد ١٨ ، السنة٣ ، عمّان : مؤسسة عبدالحميد شومان ، مارس ١٩٨٩ ، ص ٢٩ ـ ٣١ .

مقال اليابان وحاسبات الجيل السادس ، سبق ذكره ، نفس الوضع .

مجالات استخدام الحاسوب(١٢)

يصعب فى الوقت الحاضر أن نجد مجالا لم يؤثر فيه الحاسوب بطريقة أو بأخرى ، سواء فى قطاع الأعمال أو التمويل أو الصناعة أو القطاع الحكومى أو الزراعة أو التعليم أو العناية الصحية أو الرياضة أو حتى التسلية ؛ بل لا يكاد يمر يوم إلا ونطالع فى وسائل الإعلام تطبيقاً جديداً يستخدم فيه الحاسوب . وفيما يلى نعرض على سبيل الإجمال والإيجاز أشهر المجالات التى يستخدم فيها الحاسوب :

١ ـ التطبيقات الخاصة بقطاع الأعمال Business Applications :

هناك أعمال كثيرة يستخدم فيها الحاسوب لخدمة رجال الأعمال ومؤسسات الأعمال الخاصة مثل : التطبيقات المحاسبية وإدارة المخازن وشئون الأفراد وإدارة مراكز البيع ، هذا فضلًا عن نظم الحجز فى شركات الطيران والملاحة والفنادق . وهناك أعمال أخرى واسعة الانتشار فى كافة المكاتب مثل : معالجة الكلمات Word Processing وتنظيم الملفات Filing

٢ ـ التطبيقات المصرفية :

تستخدم المصارف الحديثة أنظمة محسوبة Computerized Systems لفحص الشيكات المصرفية ، ولمعالجة وحفظ كافة المعاملات المصرفية التى تتم على مدار اليوم .

٣ ـ التطبيقات الصناعية :

يعتمد على الحواسيب بدرجة كبيرة فى القطاع الصناعى لإدارة الكميات الكبيرة من المخزون الصناعى من المواد الأولية والوسيطة على اختلاف أنواعها ، وكذلك فى تصميم المنتجات وعمليات التصنيع وللتحكم فى الآلات .

٤ ـ التطبيقات الحكومية :

تعتمد برامج الدفاع وأبحاث الفضاء فى الدول الصناعية الغربية بدرجة كبيرة على حواسيب فائقة لإنجاز الأعمال الخاصة بها ، فضلا عن ذلك ، فإن الأجهزة الإحصائية لا تستطيع القيام بأعمالها حالياً بدون الحواسيب الحديثة . كما تستخدم الحواسيب أيضاً فى وحدات حكومية أخرى ـ مثل الأرصاد ـ بغرض التنبؤ بالظروف الجوية ، وفى وزارة الداخلية بغرض حفظ ملفات المشتبه فيهم وتسهيل تعقبهم والتعرف عليهم ، ويضاف إلى ذلك أن تنظيم حركة السير فى المدن الكبرى يتم من خلال شبكة من الإشارات المضيئة التى تديرها حواسيب خاصة تحسب معدل تدفق السيارات فى الطرق طوال ساعات النهار والليل ، بحيث تقلل لحظات الانتظار عند تقاطعات الطرق إلى أدنى حد ممكن .

٥ ـ التطبيقات الزراعية :

يستخدم أرباب المزارع الحواسيب فى إدارة الدورة الزراعية والرقابية على الإنتاج الحيوانى ، وذلك بتغذية الحاسوب بالبيانات اللازمة ،

(١٢) المرجع :

(12) Orilia, Lawrence S., Introduction to Business Data Processing, Second Edition, Tokyo : McGrawhill, 1982, P.7.

وبالتالى يحصلون على جداول الرى ومواعيد التسميد والتوليفة المثلى (للأعلاف) من حيث التكلفة وجودتها ، هذا فضلًا عن الحسابات الخاصة بهذه الأعمال .

٦ ـ التطبيقات التعليمية :

التعليم هو المجال الذى تأثر بدرجة كبيرة بتطورات الحاسوب ، حيث تستخدم الحواسيب فى كل مستويات التعليم من دور الحضانة إلى الجامعة ، فالحاسوب يقدم الخدمة التعليمية للطالب فى أى وقت وفى أى مكان ، ولا يمل من التكرار ، ويناقش الطالب ويعطيه فرصة للمحاولة عدة مرات . ويذكر أن عدد الحواسيب الشخصية فى المدارس الابتدائية والثانوية فى الولايات المتحدة الأمريكية ارتفع من حوالى ١٠٠ ألف وحدة عام ١٩٨٣ إلى حوالى ٢ مليون وحدة عام ١٩٨٨ . وبعض الجامعات تلزم الطالب أن يمتلك حاسوب شخصى فى المنزل لإنجاز الواجبات الدراسية التى يكلف بها .

٧ ـ تطبيقات الرعاية الطبية :

استخدام الحاسوب فى الطب يعتبر مجالا متنامياً باستمرار على مستويى : التشخيص والعلاج . وأشهر أدوات التشخيص بالحاسوب معروفة حالياً هى الأشعة المقطعية المحسوبة Computerized Axial Tomography-CAT والتى تسمح للطبيب بالحصول على مقطع واضح لأحد أعضاء الجسم أو جزء منه بواسطة أشعة إكس X-Ray التى يطلقها جهاز محوسب . ومن ناحية أخرى يساهم الحاسوب فى تيسير الحياة على المعوقين ، فمثلًا الأفراد العاجزون عن الكلام لسبب أو لآخر يمكنهم القيام بالمحادثة العادية بواسطة جهاز حاسوب يحتوى على نظام صوتى يحول اللمسات على مفاتيح الحاسوب إلى أصوات ذات دلالة .

ونعود فنؤكد أن هذه المجالات المذكورة ليست كل شىء على سبيل الحصر ، بل هى أشهر المجالات المعروفة فحسب ، ويتوقع خلال سنوات قليلة ألا يخلو أى نشاط بشرى من استخدام الحاسوب بطريقة أو بأخرى .

مكونات نظام الحاسوب(١٣)

يتألف نظام الحاسوب من مكونات مادية ملموسة تسمى « المعدات Hardware » ومكونات غير مادية تتمثل فى التعليمات والبرامج اللازمة لإدارة المعدات وهذه يطلق عليها « البرمجيات Software » .

المكون الأول : معدات الحاسوب :

مصطلح المعدات Hardware يطلق على : المكونات المادية الالكترونية التى تخزن ، وتعالج البيانات بتوجيه من البرمجيات Software ، وحيث إن معظم العمليات داخل الحاسوب مقيدة فقط بسرعة الإلكترونيات فهذا يعنى أن العمليات تتم بسرعة عالية جداً بالمقياس البشرى ، وهذه

(١٣) لمزيد من التفاصيل راجع :

Fry, T.F., Computer Appreciation, London : Butterworth 1972, PP. 15-18.
Szymanski, Ibid, 1988, PP. 18 - 23.

العمليـــــات أيضاً تخضع للقـــــوانين الطبيعية Physical Laws وهى قوانين ثابتـــة لا تتغير من عملية لأخرى وهذا يفسر الدقة الشديدة التى تتمتع بها عمليات الحاسوب ، أما إذا ظهرت أخطاء عند تشغيل الحاسوب فهذا يرجع عادة إلى خطأ البيانات أو إلى البرامج .

ويتكون الكيان المادى للحاسوب من .

وحدة إدخال تستخدم لتغذية الحاسوب بالبيانات والبرامج .

وحدة معالجة مركزية تحتوى على معالج يقوم بالعمليات الحسابية والمنطقية وذاكرة داخلية .

وحدة إخراج تتمثل فى الشاشة والطابعة لعرض وطبع مخرجات الحاسوب .

وحدة تخزين ثانوية مثل الأقراص لحفظ المعلومات والبرامج والتقارير بصفة دائمة .

المكون الثانى : برمجيات الحاسوب :

يشير مصطح البرمجيات Software فى المعنى العـــــام إلى البيانـــــات Data والتعليمات Instructions اللازمـــة لتشغيـــل الحاسوب ، أى أن البرمجيات هى الشق غير المادى فى نظام الحاسوب ، ولكن الشائع هو استخدام مصطلح Software بمعنى التعليمات المكتوبة للحاسوب دون البيانات ، وهذه التعليمات قد تكون معدة بمعرفة الشركة المنتجة لجهاز الحاسوب ، أو قد يشتريها المستخدم من إحدى شركات البرامج ، أو ربما يكتب البرنامج بنفسه مستخدماً إحدى لغات البرمجة .

والعلاقة بين البرمجيات والمعدات فى نظام الحاسوب مثل علاقة السائق بالسيارة ، فالمعدات بلا برمجيات لا تزيد عن مجرد مجموعة من رقائق (السيليكون) والدارات الإلكترونية المجردة من أى قيمة عملية .

خدمة العلوم الشرعية :

ولعل أبرز تطبيقات البرامج التى يمكن أن تكون ذات فائدة مباشرة للعلوم الشرعية : أنظمة إدارة قواعد البيانات وأنظمة الاتصالات .

قاعدة البيانات عبارة عن مكتبة ضخمة من المعلومات مخزنة على قرص Disk ، أو وحدة التخزين بصفة عامة ، وتستخدم لحفظ المعلومات إلى جانب عمليات الفرز والترتيب والتصنيف والبحث والاسترجاع .

أما بالنسبة لأنظمة الاتصالات فيمكـــن استخدام خط الهاتف العادى للاتصال بين حاسوب وآخر عن طريق المحول Modem الذى يحول إشارات الحاسوب إلى إشارات الهاتف والعكس ، ودور برامج الاتصالات هو التحكم فى نقل المعلومات عبر خط الهاتف .

والمعنى العملى لهذا أنه يمكن إنشاء قاعدة بيانات ضخمة لاستيعاب كافة النصوص والمصنفات المتعلقة بالقرآن والسنة فى مركز أو مقر واحد ، ثم الاتصال بهذا المركز من أى مكان باستخدام خط الهاتف وحاسوب صغير للحصول على أى معلومات بصفة فورية .

الحاسوب الشخصى ذو الوسائط المتعددة :
Muti Media Personal Computer MPC(14)

(14) ..., Industry and development, No. 16, Vienna: UNIDO, P. 26.

يتعامل الحاسوب الشخصى المعتاد مع البيانات التى على شكل نصوص Text أو رسوم Graphics أما الحاسوب الشخصى ذو الوسائط المتعددة فيزود بالمعدات Hardware والبرمجيات Software اللازمة للتمكن من عرض الصور الحية الثابتة والمتحركة Still & Motion Video والرسوم المتحركة Animation فضلا عن معالجة الصوت البشرى وتحليله وإذاعته(١٥) .

وتتمتع الحواسيب ذات الوسائط المتعددة بجاذبية كبيرة ؛ لأنها لا تصف الصوت أو الصورة بل تذيع الصوت نفسه ، وتعرض الصورة نفسها ، وهكذا يمكن حفظ كافة القراءات المتواترة صوتياً على الحاسوب مع إمكانية الوصول إلى قراءة معينة لآيات معينة بحيث ترى العين رسم المصحف على الشاشة ، وتسمع الأذن القراءة الصحيحة المضبوطة .

ومثال آخر مناسك الحج والعمرة ، حيث يمكن عرض صور حية للأماكن والمواقف والإجراءات دون حاجة لإطالة الوصف والشرح والذى لا يمكن بحال أن يقارن مع المشاهدة والسماع . ولعلنا نعود إلى هذه النقطة بمزيد من التفصيل فيما بعد .

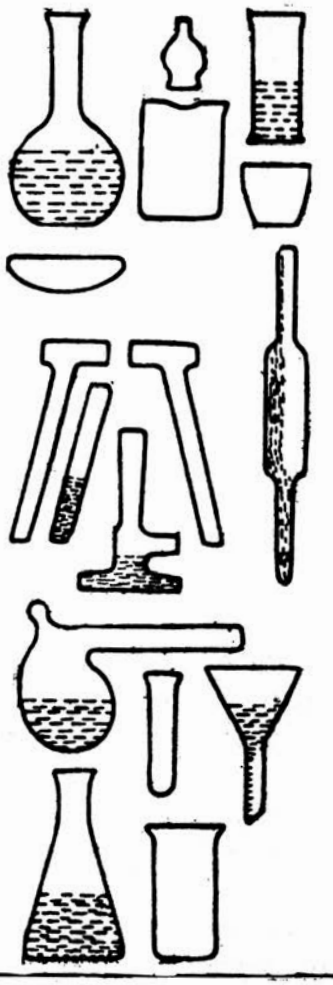
(١٥) أنظر :

Botto, Francis, Multimedia, CD-TOM and Compact Disc : a guide for users and developers, Willmslow (England) : Sigma Press, 1992, P.2.
PC Magazine. USA, 29.10.1991. P.403.

«ويخلق ما لا تعلمون ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د/ نجوى السيد أحمد



الليزر لإزالة تسوس الأسنان

صممت إحدى الشركات الأمريكية آلة جديدة تستخدم فى علاج الأسنان بدون ألم عن طريق بث نبضات الليزر لمدة واحد على عشرة آلاف من الثانية فتزيل الأنسجة المسوسة بسرعة أكبر من السرعة التى تنتقل بها الإشارات العصبية من الأسنان إلى مراكز الإحساس بالمخ ؛ وبذلك لا يشعر المريض بأى ألم .

إنتاج أصغر رادار لمساعدة الطيارين

تم إنتاج أصغر رادار اخترعه معمل أبحاث السرعة فى استكهولم بحيث يعمل تحت أية ظروف مختلفة وبشكل متطور عن الرادار العادى ويساعد الرادار الجديد الطيارين على مواجهة أى عوائق ومخاطر أثناء الطيران وأثناء تحليقهم فى العواصف الجوية السيئة فى الظلام والضباب .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث .

أحدث كاميرا فيديو بالحاسب الآلى

انتجت إحدى الشركات اليابانية للالكترونيات كاميرا فيديو من أدق الكاميرات التى يمكن أن يستخدمها المتخصصون وتستخدم مع أجهزة الحاسب الآلى الشخصية فى تخزين الصور والمعلومات ، ويمكن بواسطتها ادخال الصور الملونة إلى ذاكرة الحاسب الآلى مباشرة ومنها إلى شاشة عرض الحاسب الآلى حيث تتاح إمكانية دمج كافة البرامج مع كتابات وصور أخرى ويمكن تشغيل الكاميرا من خلال وحدة تحكم عن بعد أو بالتحكم الذاتى التلقائى أو اليدوى وتتميز الكاميرا أيضاً بصغر حجمها وخفة وزنها .

الأقمار الصناعية لدراسة الحيوانات البرية

قريباً ستستخدم فى إنجلترا شبكات الاتصال المباشر بالأقمار الصناعية والصور المركبة « بالكمبيوتر » للسماح للمشاهدين بالتعايش مع عالم الحيوان بطريقة مبتكرة حيث إن هناك تعطشاً حقيقياً من أجل فهم أفضل للحياة البرية بطريقة تختلف عما هو شائع فى حدائق الحيوان التقليدية ، فالبث المباشر بالأقمار الصناعية لعالم الحيوان على الطبيعة يُمَكِّن المشاهد من رؤية الحياة البرية للحيوانات من زوايا كثيرة مختلفة .

أجهزة آلية متعددة الأغراض

يشهد العالم حالياً تطوراً هائلاً فى عالم الكمبيوتر وصناعة الأجهزة الآلية ، فقد تم ابتكار جهاز آلى يستخدم فى استعادة الأقمار الصناعية من الجو وهو عبارة عن مجموعة من الأجهزة الفرعية تتصل بمفاصل تحركها محركات خاصة بواسطة الحاسب الآلى . كذلك تم ابتكار أجهزة آلية لمواجهة الأخطار وانقاذ الأشخاص المحاصرين فى الحرائق والوصول إلى مواقع النفايات النووية المشعة وجمع العينات منها ، والوصول إلى مراكز المفاعلات النووية لفحص الأضرار فى حالة وقوع الكوارث بها وانتشال السفن الغارقة فى قاع البحار والمحيطات .

جيل جديد من المصاعد الكهربائية السريعة

أعلنت إحدى الشركات اليابانية للأجهزة الكهربائية أنها طورت مصعداً يعمل بسرعة عالية تصل إلى ٨٠٠ متراً فى الدقيقة وبذلك يكون أسرع مصعد لناطحة السحاب فى العالم ، وقد صمم هذا الجيل الجديد من المصاعد لكى يتناسب مع المبانى الجديدة التى سوف يصل ارتفاعها إلى حوالى ٥٠٠ متر مع بداية القرن ٢١ ، وتتميز هذه المصاعد السريعة بأنها تبعد الملل عن الركاب أثناء الصعود إلى الطوابق المرتفعة كما أنها توفر الوقت والطاقة .

سيارة سباق تعمل بالطاقة الشمسية

انتجت اليابان سيارة سباق تعمل بالطاقة الشمسية ، وهى مزودة بثلاث عجلات فقط ، اثنان فى المقدمة وواحدة فى الخلف وتبلغ سرعة السيارة حوالى ٧٥ ميلاً فى الساعة وتحتوى على بطارية شمسية مزودة بخلايا السيكون .

عزل مورثات « جينات »
مرض انحلال الـــــــبشرة

نجح العلماء البريطانيون فى عزل المورثات (Genes) المسئولة عن نوعين من مرض انحلال البشرة الذى يصيب الأطفال ويتسبب المرض نتيجة عيوب فى مادة « القرنين » داخل الخلايا الجلدية ، وهى المادة التى تعطى الجلد تماسكه وإذا تأثرت هذه المادة وضعفت أدت إلى تهتك الجلد وتكوين الفقاعات المائية والندوب فيه مما يؤدى إلى الكثير من الألم والتشوهات . وقال العلماء إن عزل تلك الموروثات « الجينات » سيفتح المجال لابتكار أدوية جديدة لعلاج المرض ويعطى الفرصة للكشف المبكر عن مورثات المرض فى العائلات ذات الاستعداد له .

فيتامين ج علاج طبيعى للأمراض

أظهرت أحدث الأبحاث العلمية الطبية أهمية فيتامين (ج) كعلاج طبيعى لكثير من الأمراض حيث إنه يقلل من خطر الإصابة بسرطان الفم والمرىء والمعدة ويقلل من خطر إصابة العيون بالمياه الزرقاء كما أنه يحمـــى الرئـــتين من عوامـــل التلوث ويخفف من حدة الزكام . كما أن تناول جرعات عالية من فيتامين (ج) تعمل على تعديل مستوى الكولسترول ومستوى ضغط الدم للمعدلات المناسبة . ويكثر فيتامين (ج) فى الفلفل والبرتقال والقرنبيط والفراولة والطماطم .

مادة الـ (د.د.ت) المبيدة للحشرات
تصيب البنكرياس بالســـــــــــرطان

أثبتت دراسة علمية أجراها مجموعة من الباحثين الأمريكيين أن التعرض المكثف لمادة الـ (د.د.ت) المستخدمة فى ابادة الحشرات يزيد بشكل كبير من مخاطر الإصابة بمرض سرطان البنكرياس . وثبت أن مخاطر الإصابة بهذا المرض تتزايد طوال فترة التعرض وتصل نسبة الإصابة إلى نحو سبع مرات بالمقارنة بالذين لا يتعرضون لهذه المادة .

سفينـــة تتحـــول لغـــواصة

ابتكرت إحدى الشركات البريطانية سفينة صغيرة الحجم يمكنها أن تتحول إلى غواصة وذلك عن طريق تفريغها من الهواء ، وهى مزودة بأجهزة تمكنها من الغوص والطفو والبقاء تحت سطح الماء مدة طويلة ، كما انها مزودة بمحركات تعمل على دفعها فى الأعماق وسوف تستخدم فى عمليات مد خطوط الأنابيب والكابلات تحت الماء والتنقيب عن الآثار .

اللغة والنقد والأدب

رد من مؤلفي كتاب تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة

على مقال ... ملاحظات على الكتاب

نشرت مجلة الأزهر فى عدد سبتمبر ١٩٩٤ مقالاً للأستاذ الدكتور / على أحمد مرعى .. تناول فيه كتابنا (تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة) تحت عنوان (ملاحظات على الكتاب ـ عرض ونقد) .. ولقد كان من المفترض أن يحوى المقال الذى يحمل هذا العنوان عرضاً موضوعياً ومناقشة تقوم على مقارعة الحجة بالحجة .. ولكننا فوجئنا ـ مع شديد الأسف بأن المقال يقوم على تقطيع سياق العبارات بالكتاب ويتجاهل كافة الحقائق التى يوردها ثم يبنى اتهاماته على الزعم بأن الكتاب ينكرها .. كما ينسب إلى الكتاب اتهامات وآراء مفتراه تسىء أبلغ الإساءة إلى الكتاب ومؤلفيه وهى لم ترد فيه من قريب أو بعيد ثم يقوم بالرد عليها !!.. ويتبين ذلك مما يلى :

أولا ـ فى ملاحظتيه الأولى والثانية :

زعم المقال أن الكتاب ينكر السنة .. وهذا الاتهام ليس له أى أصل على الإطلاق .. إذ أن الكتاب ـ على العكس من ذلك ـ يدعو إلى ضرورة الاهتمام الشديد بالسنة الشريفة والالتزام بها .. والذى يستنكره الكتاب وجود بعض النصوص التى يدعى البعض نسبتها إلى سيدنا رسول الله ﷺ ـ على الرغم من تعارضها الواضح مع آيات القرآن .. ويؤكد الكتاب الحقيقة التى لا يختلف عليها اثنان من المسلمين وهى أنه لا يصح نسبة أى حديث إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ إذا كان متعارضاً مع صريح آيات القرآن ؛ لأن القرآن وحى من عند الله كما أن أحاديث الرسول أيضاً وحى من عند الله .. ومن ثم فإنه لا يمكن أن يكون هناك أى تعارض بينهما .. وقد أوضح الكتاب ذلك فقال بالحرف الواحد صفحة ١٢ : ولقد ظهر الإسلام ووضع قواعد التفكير السليم ومنهاج البحث والتقصى فى كتاب الله ؛ منها هذه القاعدة القرآنية التى نحن بصددها .. فهى ترد عقل المسلم إلى مصدر الاستنباط وهو القرآن .. الكتاب المنزل من عند الله .. المرجع الأول والأخير لكل من يدين بالإسلام .. فكل أحاديث حضرة سيدنا رسول الله مرتبطة به ولا تنفك عنه أبداً .. ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: (إنكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه

فهو منى وما خالفه فليس عنى") فهذا الحديث الشريف يعد بحق المنهج السليم الدقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأقاويل الموضوعة التى نسبت إلى الرسول كذباً وافتراءاً .. يصدق على هذا الحديث ويؤكد صحته قوله تعالى :

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٨٢

فآيات القرآن وحى من الله وأحاديث الرسول ﷺ أيضاً وحى من عند الله .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾

سورة النجم

إذن فليس هناك أدنى خلاف بينها .. فكل من عند الله .. وبالتالى فلابد أن يتفق الحديث الصحيح مع ما جاء فى كتاب الله .. فإن تعارض معه فهو ـ بلا أدنى تردد ـ موضوع ومدسوس على الرسول ﷺ » .

فهل يمكن أن يفهم أى قارىء لهذة العبارات أنها دعوة لإنكار السنة كما يزعم المقال؟؟ وإذا كان المقال يعارض ذلك المنهج الذى يدعو إليه الكتاب من عرض الحديث على كتاب الله .. والحكم على أى رواية تتعارض مع القرآن بأنها مدسوسة وباطلة .. فإننا نؤكد أن الغالبية العظمى من العلماء ترى غير ما يرى صاحب المقال ، ويقرر أنه من علامات الوضع فى الحديث أن يكون مخالفا لصريح القرآن .. ويكفى أن نورد فى هذا الموضع الأمثلة الآتية :ـ

١ ـ أوضح كتاب (فى رحاب السنة للشيخ محمد محمد أبو شهبة طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ديسمبر ١٩٦٩) أن الحديث إذا خالف القرآن فإنه يحكم عليه بالوضع .. وأن ذلك هو مذهب الكثير من العلماء . (راجع الكتاب المذكور ، ص ٣٨) .

٢ ـ دعا الشيخ محمد عبده إلى عدم الأخذ بأى حديث إذا تعارض مع آيات القرآن وقال بالحرف الواحد : (إن علامات الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن) ... راجع تفسير المنار الجزء الثالث طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣ . ص ١١٧ .

٣ ـ أورد الشيخ محمد الغزالى هذه الحقائق فى كتابه : (تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل) طبعة دار الشروق عام ١٩٨١ وقال فى ص ١٥١ : (أن من علامات الوضع فى المتن مخالفته لصريح القرآن) كما قال فى تلخيصه لهذه الحقائق فى ص ١٨٤ (والخلاصة : أن السنة لا تكون إلا بياناً للقرآن ... بيان يتسق مع دلالاته القريبة والبعيدة ، ويستحيل أن تتضمن وضعاً أو حكماً يخالف القرآن الكريم) .

وإذا كان المقال يتساءل عن الحديث (إنكم ستختلفون من بعدى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو منى وما خالفه فليس عنى) ويورد قولا يتساءل عن دليل صحة ذلك الحديث من كتاب الله . فإننا نجيب بأن هذا التساؤل قد أجاب عليه الكتاب بقوله : يصدق على هذا الحديث ويؤكد صحته قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

سورة النساء ـ الآية : ٨٢

.. فآيات القرآن وحى من عند الله وأحاديث الرسول أيضاً وحى من عند الله .

.. إذن فليس هناك أدنى خلاف بينهما . . فكل من الله ... وبالتالى فلابد وأن يتفق الحديث الشريف مع ما جاء فى كتاب الله) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه العبارات التى تحمل الدليل على صحة الحديث من كتاب الله موجودة بهذا النص فى الكتاب وفى نفس الموضع الذى يعلق عليه المقال ... مما يقطع بأن المقال يتجاهل مناقشة الأدلة المحددة التى يوردها الكتاب .. وفى نهاية تناولنا للملاحظتين الأولى والثانية فإننا نؤكد أننا ـ إذ نرحب أشد الترحيب بالمناقشة الموضوعية لكل ما أوردناه من أدلة وحقائق فى كتابنا ـ فإننا نأسى أشد الأسى للجوء الكاتب إلى إلقاء الاتهامات جزافاً بدلا من مقارعة الحجة بالحجة وصولًا إلى الحق ؛ فكفى ما عانته الأمة الإسلامية وتعانيه من جراء مثل هذا المسلك .

ثانياً ـ يزعم المقال فى ملاحظته الثالثة أن الكتاب ينكر الاجتهاد ..

يرد على ذلك بقوله : (إن الأرض لا تخلو من مجتهد أبداً .. إذ لابد من وجود مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس حكم الله فى كل ما يستجد من أحداث) .

وإذا رجعنا إلى الكتاب لتبين لنا عدم صحة ذلك الزعم .. فالكتاب لا يدعو مطلقاً كما يزعم المقال ـ إلى إقفال باب الاجتهاد ... وإنما يدعو الكتاب ـ على العكس من ذلك ـ إلى ضرورة : فتح باب الاجتهاد أمام كل صاحب علم ومعرفة صحيحة مستمدة من القرآن والسنة ، والتى تؤدى بصاحبها إلى استنباط الأحكام الصحيحة فى كل ما يستجد فى حياة الناس من أحكام ومعاملات وفقاً لمتغيرات العصر وتطوراته ، وذلك مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ...

سورة النساء ـ الآية : ٨٣

أما ما يستنكره الكتاب فهو الْفُتْيَا بغير علم سواء عن جهل أو إعراض عن العلم الصحيح .. تلك الفتيا التى تؤدى إلى إضلال الناس ، ثم الزعم بأن صاحب الفتوى الخاطئة الذى يضل الناس بفتواه مأجور من الله تعالى ؛ لأنه ـ على ذلك الزعم ـ اجتهد فأخطأ فله أجر !!.. يقول الكتاب فى صفحة ١٣ : (لنتحاكم إلى العقل المجرد عن الهوى ونسأل أنفسنا : كيف يكون للمخطىء فى الاجتهاد أجر ، وقد أفتى بما لا علم له فيه ؟ وكيف يكون حال من اتبع هذه الفتوى الخاطئة ووقع فى المحظور ، واستباح الحرمات التى حرمها الله مسترشداً بهذه الفتوى الخاطئة ؟

ألن يحاسبه الله فيما ارتكبه من ذنوب ومحرمات ؟

أم أن هناك تعطيلاً لما نص عليه شرعاً من جزاء وعقاب فى كتاب الله لمن يتبع هذه الفتاوى الخاطئة ؟

كيف يكون للمحرض على ارتكاب الإثم باجتهاده الخاطىء أن يفوز بالرضى الإلهى فيكون له أجر فى حين أن المستفتى الذى يرتكب الإثم يبوء بالغضب والحرمان من الفضل الإلهى ؟...

ورب سائل يسأل هل يتفق هذا الأمر مع العدالة الإلهية ؟

وهل يتفق هذا مع آيات الله فى كتابه العظيم ؟

إن هذا القول السالف ـ فيمن يفتى بغير علم فيخطىء فيما يفتى فيه الناس ـ يتعارض تعارضاً صريحاً مع قوله الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

سورة الإسراء ـ الآية : ٣٦

.. فهذه الآية وهى قطعية الدلالة قطعية الثبوت تدحض تماماً هذا القول الذى يبيح الاجتهاد بغير علم ويعطى الأجر لصاحبه عند خطئه .

ثم يقول الكتاب : (ويتأكد هذا الأمر أيضاً من إسقاط القول السابق فى الفتيا بغير علم بما جاء فى حديث سيدنا رسول الله ﷺ من قول عن ابن عباس:« من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » .

ثم يعلق الكتاب بعد ذلك على خطورة ذلك المسلك الذى يؤدى إلى انتشار الزيغ والضلال والإلحاد فى آيات الله ، وتنكب طريق الحق نتيجة إطلاق الفتاوى بغير علم ، وفتح الباب ـ تحت شعار الاجتهاد فى الفتيا ـ أمام أصحاب الفتاوى الخاطئة والباطلة الذين يضلون الناس بفتواهم فيقول : (ومن ذلك كله ندرك أنه لا يؤمن بقول الاجتهاد فى الفتيا هذا إلا من زاغ قلبه وأراد الإلحاد فى آيات الله ، وتنكب طريق الحق ، وغاض من قلبه نور الهدى والإيمان ، وقبع فى ظلمات نفسه فظلم نفسه وظلم غيره) .

وعلى الرغم من أن هذه الحقائق التى وردت فى الكتاب ـ كما يظهر من العبارات السابقة ـ واضحة أشد الوضوح وتستند إلى القرآن والسنة الشريفة إلا أن المقال قد أورد عبارة من الكتاب مقطوعة عن سياقها وزعم أن الكتاب يتحدث فى تلك العبارة عن المجتهد (الذى بذل وسعه وطاقته للوصول إلى حكم شرعى بطريق الاستنباط) .. على حين تتحدث العبارة ـ كما يتضح للقارىء فى نصها الذى أوردناه ـ عن الذى يفتى بغير علم فيضل الناس ... ثم ادعى المقال بناء على هذا الزعم أن الكتاب (يصف المجتهدين بأشنع الصفات) ...

وإننا لا نشك مطلقاً فى أن كاتب المقال قد أدرك المعنى الواضح للعبارات التى أوردناها بنصها فى هذا الرد .. ومن هنا فإننا نستنكر بشدة ما فعله من تقطيع للسياق ثم القاء الاتهامات التى لا أساس لها بأن الكتاب ينكر الاجتهاد ويسىء إلى المجتهدين !!..

ومن الجدير بالذكر أن الكثير من الأحاديث الشريفة تؤكد صحة هذه الحقيقة التى أوردها الكتاب عن أن كل من يفتى الناس بفتوى باطلة فيدعوهم إلى ضلالة مسئول عن إضلال كل من اتبعوه ومحاسب على فتواه الباطلة ...

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ الحديث الشريف : « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر

من عمل بها إلى يوم القيامة » .. ومن الواضح أن هذا الحديث الشريف يقطع ببطلان مقولة : إن المجتهد الذى يخطىء مأجور رغم فتواه الخاطئة .. حيث يحذر الحديث الشريف المسلم من أن يخوض فى آيات الله بغير علم ، أو يدعو غيره دون بصيرة وإدراك وعلم كامل ، بدعوى الاجتهاد حتى لا يكون سبباً فى ضلال غيره ، وتحمل أوزارهم وحتى لا يكون موضعاً لغضب الله فى الدنيا وعذابه فى الآخرة ..

ولقد أكدت بعض الكتب التى تناولت موضوع الاجتهاد أن الاجتهاد إذا ما انتهى إلى ضلالة أو مخالفة لظاهر الشرع فإن المجتهد يستحق العذاب لا الأجر .. ويكفى فى هذا الموضوع أن نتوقف أمام ما أورده كتاب (اجتهاد الرسول ﷺ للدكتور عبد الجليل عيسى طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٩٧٩) حيث يقول بالحرف الواحد صفحة ٤٤ : (الأجر على تقدير ألا يكون خلاف ما أدى إليه الاجتهاد ظاهراً .. فأما إن كان ظاهراً فلا .. بل يستحق المجتهد العذاب .. ألا ترى أن المبتدعة قد كانوا مجتهدين ؟؟.. فحيث كان خلاف رأيهم ظاهراً استحقوا العذاب) .

ثالثاً : يتهم المقال الكتاب فى الملاحظتين الرابعة والخامسة بأنه يفسر القرآن الكريم (بالهوى) ويفسر الأحاديث الشريفة (وفق هواه) ... وذلك لمجرد مخالفة الكتاب لآراء كاتب المقال حول تغيير المنكر .. إذ يستنكر المقال ويتعجب من قول الكتاب (إن الحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » لا يمكن أن يفهم فهما صحيحاً إلا فى ضوء الحديث الشريف الآخر « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ») .

وإذا رجعنا إلى ما أورده الكتاب فى هذا الموضوع فسنجد أنه يبين أن الفهم الخاطىء للحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... » كان ولم يزل سبباً للفتن والصراعات الدموية فى الأمة الإسلامية ، وذلك نتيجة لعدم إدراك حدود مسئولية المسلم تحت شعارات الإصلاح وتغيير المنكر ... ومن هنا ؛ فإن الكتاب يوضح المعنى الصحيح للحديث : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...) وارتباطه بحدود مسئولية كل مسلم عن رعيته والتى يوضحها الحديث الشريف الآخر . « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فالحديث يخاطب كل مسلم ـ حاكماً كان أو محكوماً ـ ويأمره بأن يغير ما يراه من منكر بيده .. فكل مسلم مسئول عن تغيير ما يراه من منكر فى نفسه وفى رعيته بحكم ولايته الشرعية عليهم . وتتزايد مسئولية كل مسلم فى تغيير المنكر فى نفسه وفى رعيته بازدياد هذه الرعية ... فالرجل فى بيته راع ومسئول عن تغيير المنكر فى أهل بيته .. ثم تتسع هذه المسئولية شيئاً فشيئاً بحسب مكانة كل إنسان ومسئوليته فى المجتمع الإسلامى حتى تصل إلى الحاكم .. فنجد أنه مسئول عن تغيير ما يراه من منكر فى رعيته فى حدود ما استرعاه المولى ـ عز وجل ـ عليهم ..

وقد أوضح الكتاب ببعض التفصيل مراتب المسئولية لكل مسلم عن نفسه وعن رعيته وحدود

التكليف الشرعى بأن يغير ما يراه فيهم من منكر بيده ولسانه .. وفى ضوء هذا الفهم الصحيح للحديث الذى يبين بوضوح الحدود الصحيحة لمسئولية كل مسلم عن نفسه ثم عن رعيته إستناداً إلى الحديث الشريف الآخر « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .. فإنه يتبين لنا أن أى مسلم لا يكون مسئولاً ومحاسباً أمام الله تعالى عن ضلال غيره ممن لا يقعون تحت ولايته الشرعية طالما أنه قد التزم هو بتغيير ما يراه من منكر فى نفسه وفى رعيته .. وهو ما يتضح من قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ١٠٥

وإذا كان كاتب المقال لا يتقبل هذا المفهوم للحديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ..» ويصفه بأنه (دعوة إلى السلبية) فإننا نقول : إن ذلك هو المفهوم الصحيح للحديث الذى يتفق مع القرآن والسنة الشريفة والذى يبنى المجتمع الإسلامى السليم الذى تسودة روح الهداية وينشأ أبناؤه النشأة الدينية الصحيحة ، ويتعلمون مكارم الأخلاق على أيدى آبائهم وأهليهم ..

أما الدعوة إلى الفصل بين الحديث « من رأى منكم منكراً فليغيرة بيده ..» وبين فهم مراتب حدود المسئولية التى يوضحها الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فإنها كانت على الدوام الأساس فى استثارة مشاعر الشباب تحت شعارات تغيير المنكر لإحداث الفتن فى المجتمع الإسلامى نتيجة لعدم إدراك حدود مسئولية كل مسلم عن نفسه وعن رعيته ..

ولعل ما يعترف به كاتب المقال نفسه من خطورة المفاهيم الخاطئة للحديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ..» كان كافياً لأن يناقش فضيلته المفهوم الذى أورده الكتاب للحديث الشريف مناقشة موضوعية تكفل الوصول إلى المعنى الصحيح الذى يتفق مع القرآن والسنة الشريفة بدلًا من الاكتفاء بإلقاء الاتهامات جزافاً رغم خطورة هذه القضايا الدينية الهامة ..

رابعاً : فى الملاحظة السادسة يزعم المقال أن الكتاب فى إنكاره لموضوع النسخ فى القرآن الكريم ، وإنما ينكر أمراً شرعياً (انعقد إجماع الأمة على مشروعيته) ، وأن (النسخ واقع بإجماع المسلمين) .

مما يؤسف له أن ما يزعمه المقال من (إجماع الأمة) أو (إجماع المسلمين) على وقوع النسخ فى القرآن هو زعم باطل ليس له أى نصيب من الصحة على الإطلاق ... ونحن نكتفى رداً على هذا الزعم بأن نورد جانباً من الحقائق عن الاختلافات الواسعة بين العلماء حول : معنى النسخ ، وجواز أو عدم جواز وقوع النسخ فى القرآن ، وكذلك الاختلافات الكثيرة والشديدة حتى بين القائلين بالناسخ والمنسوخ .. وذلك نقلاً عن (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) الذى وضعه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ـ الحزب الأول صفحة ١٦٢ الطبعة الأولى عام ١٩٧٢ فى تفسيره للآية ١٠٦ من سورة البقرة حيث أوضح أن العلماء قد اختلفوا حول النسخ ومعنى النسخ وجواز النسخ فى القرآن والسنة فانقسموا إلى ثلاثة آراء :

١ ـ فالرأى الأول يجيز النسخ فى الأحكام الشرعية والنسخ فى القرآن .

٢ ـ والرأى الثانى .. وقد أورده تحت عنوان (رأى آخر فى النسخ) حيث قال : (ومن العلماء طائفة لا يقولون بنسخ الأحكام فراراً من (البداء) المستحيل على الله .. فإن تغيير الأحكام فى الشريعة الواحدة شأن من لا يعلم المصلحة كما ينبغى حينما شرع .. فلما علمها عدل عما شرعه أولًا .. وذلك لا يليق بالله تعالى العليم الحكيم)..

ثم تحدث عن موقفهم من الآيات التى يبدو فى ظاهرها التعارض فقال : (يؤول أصحاب هذا الرأى الآيات التى ظاهرها التعارض والنسخ بحيث يبعدونها عن دائرة النسخ بمعنى تغيير الحكم) .

٣ ـ الرأى الثالث .. وقد أورده تحت عنوان (رأى ثالث فى النسخ) حيث قال : (ومن الباحثين من قال : إن المراد بالآية : المعجزة .. المراد بنسخها تغيير) ... واستفاض فى شرح ما تراه هذه الطائفة من أن معنى نسخ الآيات هو أن الله ـ تعالى ـ يؤيد كل نبى بالمعجزات التى تلائم عصره وتناسب قومه ...

وبعد أن أوضح (التفسير الوسيط) وجود الاختلافات الواسعة فى آراء العلماء ... وأتى على امتداد عدة صفحات ببعض الأقوال لكل فريق وأدلتهم واختلافاتهم فيما بينهم ـ ذكر أن هناك مطولات ضخمة تتناول هذه الاختلافات والآراء فقال فى صفحة ١٦٧ : (ومن أراد مزيداً من البيان فليرجع إلى المطولات للموازنة بين تلك الآراء) .

ولقد كان أولى بكاتب المقال أن يطلع على ما كتب عن الناسخ والمنسوخ وتفاصيله بدلاً من أن يرمى المؤلفين بالاتهامات الباطله .. وكان أولى به أن يناقش الأدلة القرآنية التى أوردها الكتاب ، والتى تقطع ببطلان ما يقال عن الناسخ والمنسوخ .. ومن ذلك قول الكتاب : أن قوله ـ تعالى :

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ .

سورة ق ـ الآية : ٢٩

يقطع بأن المولى ـ عز وجل ـ لا يبدل كلامه ولا يستبدل أحكامه فى قوله لعباده بقول آخر ... وطالما ثبت لنا بالدليل القرآنى ـ الذى هو قطعى الثبوت قطعى الدلالة ـ أن المولى عز وجل لا يبدل قوله لعباده ... فمن ثم فلا ناسخ ولا منسوخ .

وفى نهاية ردنا على هذا المقال فإننا نؤكد استعدادنا الكامل للمناقشة الموضوعية لكل ما ورد فى الكتاب حتى تستقر المفاهيم الدينية الصحيحة التى تتفق مع القرآن والسنة الشريفة وتدرأ عن ديننا ومجتمعنا الإسلامى ما يراد به من فتن .

التوقيع

مؤلفو كتاب (تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة)

أ.د / صفوت حسن لطفى

أستاذ التخدير بطب القاهرة

د / محمد عبد العظيم على

أخصائى القلب والأوعية الدموية بمستشفى مصر للطيران

محاسب / جلال يحيى كامل

الأزهر والمراصفة والأدب

الشيخ محمد نائل المرصفى

رائد الصحافة الأدبية المتطورة

- ٣ -

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

تكاد قرية (مَرْصَفَا) بمحافظة القليوبية ـ فى مبلغ علمى ـ ، تكون منجماً لعدد لا يُحصى من علماء الشريعة وجهابذة الأدب ، ولا تماثلها فى ذلك أية قرية أو مدينة فى مصر ، وهى قرية كبيرة ، تحفل بمشاهد الخُضرة والنَضرة ، وحقول السنابل الذهبية ، والأغصان المتهدلة ، والأزهار المُطرَّزة بالندى .. وتموج بالشادين وأعلام المربين والمثقفين ، وهى تسير قُدُماً مع خُطا الزمن ، تتجدّد بتجدُّده ، ولا تهرم بهرمه .. وكأنها لا يقرّ قرارها حتى تلحق بركب العلم والعرفان ، وتسير معه جنباً إلى جنب ، لتستمر فى تقديم ثمارها الناضجة ، من رحاب العلم والمعرفة .

★★★

والأستاذ محمد نائل المرصفى ـ رحمه الله ـ ، هو ـ بدوره ـ أحد أعلامها البارزين .

وُلد بمرصفا ، ونشأ بالقاهرة فى الحى الحُسينى .. ولم نستطع الوقوف على تاريخ ميلاده على وجه الدقة فيما بين أيدينا من مراجع ، وإن كانت تقرر أنه ولد فى يوم ما من عام ١٨٨٣ م ، وتلقى العلم بالأزهر لفترة ما ، ثم بدار العلوم ، حتى التحق بالجامعة المصرية القديمة عند إنشائها ، وكان يزامله فى طلب العلم بها رفيق صباه ، الأزهرى ، الشيخ (طه حسين) .

وتولى التدريس ، بعد التخرج ، بمدارس طنطا الثانوية ، ثم عُيِّن مدرساً للغة العربية بمدارس الفرير الفرنسية بالقاهرة . وصدرت له كتب ألّفها أثناء اشتغاله بالتعليم ، نذكر منها :

١ ـ الإبداع فى رسم اليراع (فى الإملاء) سنة ١٩٠٥ م .

٢ ـ أدب اللغة العربية (فى جزأين) مطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ .

٣ ـ القول المراد من (بانت سعاد) مطبعة الشعب سنة ١٣٢٩ هـ .

٤ ـ زهرة الرسائل سنة ١٩٠٨ وقد نسبها يوسف إلياس سركيس ، ـ خطأ ـ ، فى كتابه (معجم المطبوعات ص ١٧٣٥) إلى الشيخ حسين المرصفى .

٥ ــ لآلىء الإنشاء .

٦ ــ تعليقات على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده .

٧ ــ شرح الرسالتين : السينية والشينية للحريرى .

٨ ــ قواعد اللغة العربية .

٩ ــ تاريخ ابن المقفع فى سبع وعشرين صفحة ، مقدمة لكتاب : (حكم بيْدبا وحكم ابن المقفع) .

١٠ ــ دراسة الشعراء الخمسة ، وهو آخر مؤلفاته[١] .

وقد اعتزل نائل المرصفى التدريس فى عام قيام ثورة ١٩١٩ ، فانتضى قلمه مكافحاً ومُجلِّياً فى حقلى السياسة والأدب ، على صفحات : (المؤيد) و (الجريدة) ، ثم أسندت إليه إدارة المطبوعات بالإسكندرية عام ١٩٢٢ ، وأسهم فى تحرير (جريدة مصر) ، وتولى منصب مدير تحرير جريدة (السياسة) حتى سنة ١٩٢٨ ، ثم رأى أن يستقل لنفسه ، فأنشأ مطبعة عصرية خاصة به ، تتولى طبع مؤلفاته الخاصة ، ومجلتيه :

١ ــ الجديد ، التى أصدرها فى الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٢٨ ، وكانت تحفة فريدة فى الصحافة الأدبية فى ذلك الوقت ، استمرت حتى عام ١٩٣٢[٢] ، وأعاد إصدارها بعد ذلك نجله (أنور المرصفى) بعد وفاة والده .

٢ ــ مجلة شهرزاد ، التى أصدرها عام ١٩٢٨ ، وآخر أعدادها برقم ٢٨ فى السنة السادسة من إصدارها . وبلغ عدد صفحاتها عشرين ألف صفحة .

٣ ــ كذلك أصدر مسامرات شهرزاد ، وهى روايات مستقلة ، تقع كل منها فى حوالى ١٣٠ صفحة ، وتباع بقرش صاغ واحد ، وبلغ تعدادها خمسين ومائة رواية ، وقد قام هو نفسه بترجمة العدد ٣٦ من مسامرات شهرزاد الذى حمل عنوان (الاعتراف) ، كما وقفْنا على ذلك من فهارس دار الكتب ، وقد يكون ترجم أعداداً أخرى من هذه السلسلة وإن لم يثبت اسم المترجم فى سائر الأعداد .

٤ ــ مسلسلات شهرزاد ، وبلغ عددها عشرين رواية كبرى ، أخرجها بعد نشرها على حلقات بالمجلة ، وطبع كل واحدة منها على حدة .

(١) انظر مقال الصحاق العجوز بعدد جريدة الأهرام الصادر فى ٢٦ من ذى الحجة ١٣٥٣ هـ غداة وفاة نائل المرصفى .

(٢) وقد تفضل فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب بإعارتى مجلد السنة الأولى منها من مكتبته الخاصة ، حيث اعتمدت عليها كل الاعتماد فى الكتابة عن نائل المرصفى صحفيا .

كتب الأستاذ محمد نائل فى افتتاحية العدد الأول من (الجديد) يقول : « بهذه الصحيفة (صحيفة الجديد) ، حاولت أن أقدم إلى قراء الصحف العربية ، مجهوداً أرجو أن أوفق فيه إلى ما أردت ، وليس لى إلا الله وحده ، أستمد منه العون والتوفيق ، فالحمد لله ، والشكر لأصدقائى جميعاً ، أولئك الذين أمَدّونى بما سيراه القراء من تشجيع وتأييد » « ولما كانت مُعدات ـ الجديد ـ لم تكمل حتى الآن ، فستصدر نصف شهرية مؤقتاً ، فإن تفضل حضرات القراء ، بإسْداء ما يبدو لهم من ملاحظات ، أشكر لهم هذه اليد ، وأكنْ عند رأيهم فيما أستطيع » .

وهكذا ، نجد أن محمد نائل المرصفى ، قد شقَّ للصحافة الأدبية والعلمية طريقها ـ قبل صدور (أبوللو) لأحمد زكى أبو شادى ، و (الرسالة) لأحمد حسن الزيات ، و (الثقافة) لأحمد أمين . وقد اقتحم الميدان بمجهوده الفردى ، مُدَعَّما بما حصَّل من علم وتجربة وخبرة ، وإتقان للغة الفرنسية . وقد تجلى ذلك بوضوح فى صفحات (الجديد) ، فكانت أشبه بطفرة أو قفزة فى عالم الصحافة ، عما حوت بين دفتيها من جهد كبير .

والحق أنه كان حريصاً ـ طوال إصداره لأعداد الجديد ـ على التنويع والابتكار ، وتقديم كل ما هو (جديد) فى العلم والمعرفة ، والثقافة والأدب ؛ لتكون اسماً على مُسمًّى بحق ، وكأنى به كان يتمثل قول القائل :

لا عُذْر للشجـــر الـــذى طابت له أعْراقــه .. أنْ لا يطـــيب جَنَـــاه

فحرص نائل المرصفى ، أشد الحرص ، على أن يطيب جناه ـ كما طابت أعراقه وأغراسه ـ فدفعه ذلك على الانفتاح على شتى ألوان الفنون والآداب والمعرفة فى زمانه ، ترفده حاسة أدبية ، ولغته العربية الأم ، ثم تلك اللغة الأجنبية التى يجيدها كل الإجادة ؛ لينفذ من خلالها إلى ما يريد ، وينتقى من كنوزها ما يستجيد .

ونظرة إلى مواد أعدادها ، تُدلِّل على ما نذهب إليه ، وقد حشد لها أقلام طائفة من كبار الكتاب .. وحسب القارىء أن يعلم أن من أبوابها :

فى الأدب العربى ـ صور وأخلاق ـ المرأة فى العالم ـ من أدب العرب ـ طبيب العائلة ـ فى زوايا التاريخ ـ بسائط العلم ـ عجائب المخلوقات ـ عالم المخترعات ـ تدبير المنزل ـ معرض الجديد ـ قصة الأسبوع الخ .

ولأنه لا يوجد توقيع تحت معظم هذه المواد والأبواب ، فإن الباحث يجد نصَباً كبيراً فى محاولة التعرّف على ما هو من نتاج نائل المرصفى ، وما هو لغيره .. وربما كان كل ما لا توقيع تحته ، له

شخصياً ، لاتساع مداركه وامتداد آفاق اطلاعه ، وسلاسة أسلوبه .

وقد استقبل النقاد والأدباء صدور هذه المجلة الفريدة باحتفاء كبير ، وهذا هو الدكتور محمد حسين هيكل يستقبل (الجديد) عند صدورها ـ بعد اطلاعه على (ملازمه) الأولى ، بما حوت من مقال وقصة ، ورسم وتصوير ، وفكاهة وشعر وطرائف ، ونقل للمكتشفات الحديثة والحوادث والأخبار وأنباء الجديد من المؤلفات ، فيقول : « يظهر اليوم أول عدد لمجلة (الجديد) ، التى أصدرها زميلنا الأستاذ محمد المرصفى ، مدير إدارة (السياسة) ، ويظهر فى ثوب صحفى جديد .

وليست تقف جِدَّتُه عند دقة الفن ، فى تصوير غلافه تصويرا تجذب النظراَ ـ رقتُه ورشاقته ، ولا عند جمال طبع المجلة كلها ، وما فيها من صور ورسوم ، بل تتناول هذه الجدَّةُ ما يعالج من موضوعات .. ففيه الجد الذى يطلبه القارىء غذاء لنفسه ، مديجا بأقلام كبار الكتاب ، وجهابذة الأساتذة ، ويكفى أن نذكر أسماء : الدكتور مشرفة والدكتور مرتضى ، ليرى القراء دسم هذا الغذاء ، وأن نذكر كذلك اسمى الأستاذين : عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازنى .. الخ » .

وبرغم ما نال (شوقى) على يد العقاد فى (الديوان) سنة ١٩٣٤ ، فإننا نجد المازنى فى العدد الرابع من السنة الرابعة من (الجديد) ـ الصادر فى ٩ من فبراير سنة ١٩٣١ ـ ينصف شوقياً فى مسرحية (مجنون ليلى) ـ ولو أنه أخذ على شوقى بعض المآخذ ، مثل تعمد شوقى فى الفصل الثالث من المسرحية :

تقليد خطبة (مارك أنطونيو) على جثة قيصر فى رواية شكسبير (يوليوس قيصر) .

وقلد فى الفصل الرابع منظر الجن فى رواية تليماك ، وعالج أن يجىء بمثل الشبح فى رواية (هملت) لشكسبير .

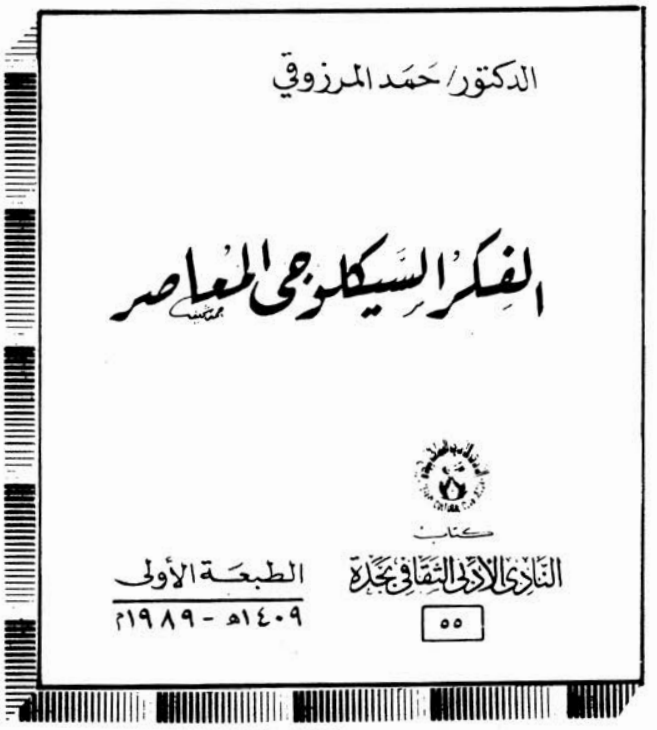
يقول المازنى : « ولو خلت الرواية ـ (أى مسرحية مجنون ليلى) ـ من كل هذه المناظر ، لما نقصت شيئا .. ثم يتحدث عن شعر المسرحية ، فيقول : « هذا من ناحية التأليف ، أما من ناحية العبارة فمتينة الأسلوب جزلة ، وأما الأداء فمحكم رصين ، لا عيب فيه ولا مأخذ » ثم يضيف : « إنه ـ أى شوقى ـ ولا مكابرة فى الحق ، مُفترع هذا الطريق البكر ، ولا نراه إلا يزداد نضجاً على ارتفاع السن ، فإن شعره فى الجملة ـ إلا قصائد قالها مضطراً ـ بعد لبثه سنى الحرب فى الأندلس ـ خير وأجود وأرصن من شعره قبل ذلك .. » .

وبعد أن قطع محمد المرصفى شوطاً كبيراً فى إصدار (الجديد) نجده يقول فى مستهل العدد الأول من السنة الرابعة ، الصادر فى ١٩ من يناير سنة ١٩٣١ «تستهل الجديد عامها الرابع بهذا العدد ، وهى فى جهادها العنيف ، تحاول إرضاء فريق كبير من حضرات القراء ، فى مصر وغير مصر .. ولما كانت « الجديد » ـ من نشأتها الأولى ـ لم ترد أن تكون تاجرة ـ وإن كانت فى حاجة إلى المال ـ ولم تطمع يوما من الأيام ، أن ترضى الناس جميعاً ـ وإن كانت فى حاجة إلى القراء ـ وقد ثابرت على خطتها التى خبرها قراؤها ، والتى إنما ترمى إلى التثقيف والتنوير ، وتصوير الحضارات المختلفة ، فى العالم كافة ، ونقلها نقلا صحيحا ، ينضج بمزاجها العقلى ، وتنهض على شىء كثير من أصالة فى الرأى ، وبسطة فى الاطلاع » .

« لقد كان أسلوبها أبدا كثير التنويع والتبويب ، غزير المادة ، فيَّاضا بما يزعم صاحبها أن فيه فائدة لا تخلو من لذة ، وتقرير نظرية لا تخلو من متعة .. » .

ثم يقول : « إن الجديد صدْرها يتسع إلى غير غاية فى تقبُّل كل ملاحظة ، وكل إرشاد ، سواء فى ذلك ما كان من خصومها ، أو من مريديها » .

وصفوة القول أن محمد حسن المرصفى قد بلغ ما بلغ من نجاح وتوفيق فى إعداد وإصدار (الجدّيد) ، بفضل ما تميز به من ثقافة موسوعية شاملة ، تفسح له مكانا بارزا فى أنصع صفحات (المراصفه) ، فى مجال العمل الصحفى بصفة خاصة .



عرض وتقديم
عبد السلام ابراهيم ناصف

نعرض لكتاب الفكر السيكولوجي المعاصر للدكتور حمد المرزوقي أحد أساتذة علم النفس المعاصرين بالمملكة العربية السعودية(*) والحاصل على هذه الدرجة العلمية من جامعة متشجان الأمريكية عام ١٩٨٠ ، والكتاب أحد سلسلة الكتب التي يُصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة وهو الكتاب الخامس والخمسون في هذه السلسلة والذي صدر عام ١٩٨٩ والكتاب من القطع المتوسط ويقع في مائة وخمس وعشرون صفحة وينقسم إلى أربعة فصول عدا مقدمته التي عرض فيها لخلفية وظروف ومبررات إهداء هذا المؤلف والهدف منه .

الفصـــل الأول
مدخل لدراسة الإرشاد النفسي

مما لاشك فيه أن للتعريف أولوية مطلقة ـ إلا أن المؤلف يستعرض العوامل التي أدت إلى تطوره كعلم أو كفرع من فروع علم النفس .

أولا : تطور المعرفة السيكولوجية :

انتقل علم النفس من ميدان التأمل الفلسفي إلى ميدان التخصص وأصبح العمل النفسي مهنة تخصصية لها قواعد ومناهج تجريبية في تفسير السلوك الإنساني وفهم مقوماته وعناصره ـ وإن كان ذلك لم

(*) جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

يرق إلى مستوى المعرفة اليقينية certain knowlege كما هو الحال فى العلوم الطبيعية ـ مما أدى إلى تعدد مدارسه التى تهتم بتفسير السلوك الإنسانى من خلال المتغيرات الاجتماعية والثقافية والصراعات الأيديولوجية التى تحكم عالمنا .

ثانيا : تطور العلاج النفسى :

كان المرض النفسى خاضعا للشعوذة والسحر ـ حتى بذل « أبوقراط » جهدا استنتج منه أن هناك علاقة بين المرض العقلى والجسدى ـ وفى العصر اليونانى تم دراسة السلوك الإنسانى من زوايا متعددة وتحدد تبعا لذلك مفهوم العلاج النفسى .

وعندما جاء الإسلام حاول المفكرون الإسلاميون مثل « ابن سينا » و« ابن طفيل » و« الفارابى » . أن يستخلصوا تصورا متكاملا للسلوك الإنسانى .

ولقد كان لتركيز علماء العصر الحديث على اللاشعور الفضل فى التمهيد لدراسة التحليل النفسى ، حتى كان Games Braid الذى اهتم بالتنويم المغناطيسى كأسلوب جديد لعلاج المرض العقلى بعدما كان ينظر إليه على أنه نتيجة حتمية لأسباب عضوية أو بيولوجية ، وأصبح ينظر إليه على أنه نتيجة لاختلال وظيفى وطبقى وثقافى واجتماعى .

وأصبح مفهوم « الصحة النفسية » يرتبط بمجموعة من معايير ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية إلى جانب التركيب الفسيولوجى ومكونات الفرد الذاتية .

بمعنى أن المرض والصحة بمقياس الدراسات النفسية الحديثة أصبح يرتبط بمجموعة عوامل متشابكة معقدة ومتداخلة مما أضاف إلى التحليل النفسى صفة الشمول وتنوع الميادين وتعدد الوسائل .

وأصبح مفهوماً أن الاختلاف بين السوى والمريض يتحدد فى الدرجة وليس فى النوع .. ومن ثم لم يعد هناك داع لعزل « المريض العقلى » كما كان متبعاً فى مصحات عقلية وإمكانية علاجه بين أفراد المجتمع ؛ بل ظهرت مراكز التوجيه والارشاد ومراكز الصحة الاجتماعية العقلية Community Mental Health التى تهتم بالعلاج فى البيئة المفتوحة . ولا يحتفظ بالمريض العقلى داخل جدرانها إلا فى الحالات الخطيرة .

كذلك يتجه هذا العلم لدراسة الفروق الطبقية بما تفرزه من مشاكل اجتماعية ونفسية استدعت ظهور نوع من العلاج يعرف بـ « العلاج بالعمل » .

تطور الخدمات النفسية :

وقد حاول المؤلف تحديد معنى « المرض النفسى » و « الإرشاد النفسى » ، أما المرض النفسى فهو :

عدم التكيف مع البيئة . كما يرى سكوت .Scott وهناك من يقيس المرض النفسى بمقدرة الإنسان على ثقته بنفسه كما يرى الطبيب النفسى لويس Lewis إلا أن المؤلف يخلص إلى تعريف المرض النفسى بأنه استجابة لصراع نفسى بين متغيرات ذاتية وأخرى موضوعية ينشأ عنه عدم القدرة على تنظيم مجال ادراك الوقائع الذاتية والموضوعية .

وأما الارشاد النفسى فهو :

العلاقة بين المعالج والعميل يطبق فيها الأول منهما متخصصاً مرتكزاً على معرفة منظمة Systematic Knowledge فى محاولة لتحسين الصحة النفسية للعميل ، وذلك وفقاً لما يراه « باترسون » Patterson والواقع أنه لا يوجد فارق كبير بين « الارشاد النفسى وبين العلاج النفسى » إذ يسعى كل منهما لحل مشكلة نفسية تتصل باعادة توازن الفرد ومقدرته على التوافق مع معطيات البيئة الذاتية والموضوعية لكى يصبح عضواً ناجحاً متفاعلا مع متغيرات بيئية . وإن كان العميل فى حالة الارشاد يتميز بنوع من الاستقلال بالرأى والمقدرة على تحمل المسئولية تفوق زميله فى حالة العلاج النفسى .

الفصل الثانى
الإطار النظرى للإرشاد

أولا ـ التحليل النفسى :

ركز « سيمجوند فرويد » رائد التحليل النفسى على الحتمية البيولوجية ودورها فى تشكيل السلوك وتحديد اتجاه الشخصية .. مما يترتب عليه تفسيراً ميكانيكياً للإنسان .

فالحياة العقلية تتألف من الشعور وهو : ما ندركه وما نعنيه ، واللاشعور : المختزن فى قاع النفس وما لا يدركه الفرد . وهى تتألف من الرغبات الأولية المكبوتة أو الموروثة والتى تبحث عن الأشباع بطرق ملتوية أو معدلة كالرغبات الجنسية والأفكار ذات الجذور البعيدة من الطفولة .

والعلاج النفسى يهدف إلى : تقوية (الأنا) egoلتتمكن من ادارة الصراع وتطويعه للواقع ـ وكذلك : تبصير واع بكل الدوافع ؛ مستعيناًبتفسير الأحلام وبحصيلة التداعى الحر المكتسب أو اللاشعورية التى يمكن أن يحولها إلى الشعور .

ثانياً ـ علم النفسى الفردى :

اهتم « الفريد ادلر » بالفروق الفردية .. فنادى بالنظر إلى الإنسان كوحدة شاملة من خلال أسلوب الحياة . لأنه نتاج لطبيعة اجتماعية .

كما يفسر الاضطرابات على أنها تثبيط همه أكثر منها مرضاً نفسياً .

علم النفس التحليلى :

لم ينكر « كارل يونج » دور الغرائز فى تحريك السلوك لكنه اهتم بالدين باعتباره يحقق توازناً نفسياً للفرد ، فركز على مفهوم تحقيق الذات كغاية سلوكية يمارس الإنسان صراعاً للوصول إلى تحقيقه أما بالتقنع أو التفرد .

ويرتبط مفهوم العلاج عند يونج بعملية تربوية وتأهيلية واكتساب بصيرة ذاتية بمحتويات النفس البشرية .

ومن ثم تبدو مهمة المعالج فى إقامة توازن بين الشعور واللاشعور لاستمرار عملية التفرد أو اعادة بناء شخصيته بعد عملية تحليلية شاملة ، ولعل هذا أقرب تفسير للرؤية الإسلامية التى ترى أن الإنسان يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

التحليل النفسى الحديث :

قارن كل من « كيرن هورنى » و « ايريك

فروم » و « سليفان » بالنظر إلى الإنسان بإيجابية مع عدم التركيز على الحتمية البيولوجية كمحرك للسلوك ـ على عكس فرويد ـ وان للقيم والمثل والعوامل الحضارية دوراً مهماً فى تشكيل سلوك الفرد ـ مع عدم إغفال أهمية الأهداف المستقبلية التى تتدخل لتغيير سلوكه .

الفصل الرابع

الاتجاه السلوكى :

يرتبط العلاج السلوكى بمبدأ التعليم .

لقد ركز كل من « بافلوف » و « واطسون » و « ثورندايك » و « سكنر » على بلورة الأساس النظرى لهذه المدرسة بينما اهتم « لازارس » و « ايزنك » و « ولب » و « يذدورا » إلى التطبيق العلاجى لهذه المدرسة .

وتهتم المدرسة السلوكية بالتجربة تقنين ملابسات الظواهر السلوكية ـ بعيداً عن الشعور واللاشعور ـ والاعتماد على معرفة السلوك الإنسانى والقوانين التى تحكمه لتعديله أو تغييره التى تهتم بالبيئة الخارجية ودورها فى تشكيل السلوك . واكتشاف المثير لكل استجابة ـ وأجرت العديد من التجارب المعملية على الحيوانات لاستخلاص مبادىء « الاطفاء » Exinction والتعميم Generalization وغيرها من المبادىء التى توصلوا بعدها إلى مفهوم تعديل السلوك Bèhavior Moditication

آما « ولت » فقد استخلص من تجاربه إمكان التخلص من استجابة وإحلال أخرى مناقضة لها . فالشخص يمكنه بالتدريب على إثبات الذات Assertive — training على تعديل سلوكه وانتهى « دولارو » و « ميللر » إلى أن التعليم هو محاولة لتعديل أو تغيير السلوك إذ لا يمارس الإنسان المتحضر سلوكه من واقع بدائى غريزى لكنه يتعلم كيف يهذبه أو يعدله أو يتسامى به مع التسليم بوجود « الكبت » ودوره فى تخزين الرغبات فى اللاشعور وإن كان يؤخذ عليها أنها تتعامل مع العرض دون السبب ومن ثم فهو علاج تأهيلى Rehaditation أكثر من علاج نفسى .

وبعد :

فهذه نظرة على العلاج النفسى من خلال المرشد النفسى الذى استعانت به المملكة العربية السعودية بدور التعليم بمراحله المختلفة ، والذى يتم اختياره من بين الحاصلين على دراسات علمية وعملية فى علم النفس وفروعه وذلك لتعديل سلوك الطلاب الغير السوى والتسامى به لمستوى يمكنه من التفاعل والعيش فى بيئته الإسلامية .

ولو أنه قد تغاضى عن القصد أو النية (الحافز أو الدافع) فى هذا الكتيب وهو ما يؤخذ عليه فالعمل نية وسلوك والنية تسبق السلوك وتحدد درجته ومستواه فإنما الأعمال بالنيات ، كما كنا نأمل أن يكون عنوان الكتاب أكثر دلالة على هذا المضمون المهم الخاص بالعلاج والارشاد النفسى .

والحقيقة أنه جهد مشكور من هذا المؤلف وخطوة رائدة على هذا الطريق ، نأمل فى الاستفادة القصوى منه ـ وخطوة على الطريق ـ نأمل فى المزيد من أمثاله .

بين المجلة والقارىء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

من أخلاقيات الإسلام

الصدق ضد الكذب ، ولا أعتقد أن هذين الضدين يجتمعان فى قلب مؤمن ، بل إنهما يتصارعان حتى يخرج أحدهما الآخر .

والصدق أنواع : هناك الصدق مع الله ـ عز وجل ـ مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

وهناك الصدق مع رسول الله ﷺ : كصدق الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دون عذر ، فكان صدقهم سبباً فى توبة الله عليهم . يقول ـ تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[التوبة : ١١٨]

وهناك الصدق فى الأقوال والصدق فى الأفعال والصدق فى النية ... الخ . ثم الصدق بعد هذا : كلٌ لا يتجزأ ، فمن تحرى الصدق ؛ صدق فى هذا كله بتوفيق من الله ـ تعالى .

حول هذا الخلق من أخلاق الإسلام تلقى الباب كلمات عدة تدور حول هذا المعنى ، وتحاول أن تبرز أهميته فى دنيا المسلم وآخرته .

الكلمة الأولى : من القارىء/ عصام محمد عبدالباقى ، بمؤسسة الشرق لخدمات الكمبيوتر والطباعة ، جاء فيها :

من أفضل الفضائل « الصدق » ومن أرذل الرذائل « الكذب » ولقد لقب رسولنا الكريم صلوات ربى وسلامه عليه « بالصادق الأمين » فما أعظمها من صفة يتصف بها إنسان؟ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى الصادقين بقوله عز وجل :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بأن يكونوا صادقين ، وأن يجالسوا الصادقين . وذلك فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [١١٩ التوبة]

وفى الجانب الآخر فإن الله ـ سبحانه ـ قد ذم الكذب والكاذبين وقال ـ وقوله الحق :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠]

وقد وردت ـ فى التحذير من الكذب ـ أحاديث صحيحة الإسناد صريحة النص .

فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ـ رضى الله عنهم ـ عن النبى ﷺ قال : « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له » . رواه أصحاب السنن بسند صحيح وعن سفيان بن أسيد ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق ، وأنت له به كاذب » رواه أبو داود والإمام أحمد .

● ● ●

● الكلمة الثانية : من المحاسب / نبيل سعيد مصيلحى بكلية التربية جامعة الزقازيق ، ويبرز فيها « أخلاق الإسلام ـ بصفة عامة ـ ودورها فى نهضة الأمة » . يقول فيها :

قال الشاعر : « إنما الأمم الأخلاق مابقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا ».. فبالأخلاق الفاضلة امتدت الأمة الاسلامية بحضارتها وعدلها وقوتها من مشارق الأرض إلى مغاربها ، وبها قامت واستقامت أمورها ، وكان لها الغلبة والنصر على أعدائها .

فالاستمساك بدين الله هو السبب الأقوى للنصر على كل متدنيات النفس الشريرة . وفى ظل أخلاق الإسلام العظيم بزغت الثقافة الإسلامية فضفاضة الأسارير ، فأينعت وترعرعت مزدانة مزدهرة كالورد فى فصل الربيع ينهل منها الناهلون رحيقاً لا ينضب .

وأقول : إن هذه الثقافة بمدلولها الجليل ، وبكل ما ابتكره وأبدعه العقل المسلم فى العصور الغابرة كان منبعها الإسلام ، ذلك الصرح الشامخ الذى يحارب فى شتى بقاع المعمورة فكريا بعد ما خابت معه الأساليب الأخرى ، تلك الأساليب الحاقدة المتدنية فى صدور أعداء الله ، هؤلاء الذين يعلمون يقيناً أن فى ديننا الحنيف منابع الأخلاق التى إذا تحلى بها شعب أصبح قمراً فى سماء الكون يمحو بضوئه ظلام المساوىء والجريمة والظلم ، إلى غير ذلك من أفعال إبليس اللعين وأعوانه .. كفانا الله شرهم ، وهدانا الله بفضله إلى سواء السبيل ، متحلين بالأخلاق التى يدعو إليها كتاب الله وتدعو لها سنة نبيه محمد ﷺ .. ناعمين فى ظل ديننا الخاتم بأعظم حضارة عمت أرجاء الكون من قبل ولاتزال .

كما تلقى الباب فى هذا الصدد ـ كلمة ثالثة من الطالب / محمد حسين يوسف على .. بمعهد إسنا الدينى ، وكلمة رابعة من الشيخ / خيرى محمد أبوالروس .. خطيب مسجد بالدقهلية ، غير أن الكلمتين تتسقان فى معناهما العام مع هذا المفهوم المتقدم ، ومن ثم اكتفينا بالتنويه عنهما ، شاكرين لهما جهدهما .

تعقيب على حرمة التدخين

كتب الأستاذ / حماد محمد أحمد من علماء الوعظ والارشاد ـ الحاصلين على تخصص التدريس عام ١٩٥٦ من كلية أصول الدين ـ تعقيباً مسهباً حول ما نشرته مجلة الأزهر عن التدخين وأبعاده ، يدلى فيه بدلوه حول « التدخين » ومدى حرمته وأثره على النفس والعقل والمال والأبناء ، وهو إنما ينطلق من قاعدة الكليات الخمس التى يقرر الإسلام المحافظة عليها ، وهى : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، والحقيقة أنه لولا اهتمام قريب سبق من المجلة بهذا الموضوع لأفسحت المجلة مكاناً لكلمته ، فشكر الله ـ تعالى ـ له .

الروتارى والماسونية

كما تلقت المجلة كلمة الأستاذ / ابراهيم حفناوى ـ من القرين شرقية ـ حول موضوع اهتمت به ـ مؤخراً ـ بعض الصحف الإسلامية ، وهو علاقة نوادى الروتارى بالماسونية من حيث الوحدة فى المنهج والعقيدة والهدف ، وقد سبق لمجلة الأزهر أن نشرت فتوى بتحريم الانتماء إلى هذه النوادى .

نشكر للكاتب اهتمامه بهذا الجانب وغيرته على الدين .

وصلتنا رسائلكم

السادة :

نجاح عبدالقادر سرور ، أسامة أبو حسيبه محمد ، عاشور محمد محمود أحمد ، عماد ميزار عبدالعظيم ، أحمد محمد المنشاوى ، السيد فخر الدين حسنين ، مصطفى محمود مصطفى ، يحيى السيد النجار ، أحمد زكريا عبدالعزيز ، محمود محمد أحمد أبو الدهب ، شريف صلاح مجاور ، أبو الخير سيد عبداللطيف ، عماد اسماعيل عبدالمجيد ، محمد عبدالفتاح ابراهيم حسين ، عبدالحميد فتحى ، سحر يحيى عبدالحميد ، سمير عبدالله محمد حسنين ، عاطف عبدالمنعم عمر ، أشرف صفوت أمين محمد ، عبدالله محمد عبدالله ، أحمد محمود الطباخ ، داود الطيب خليفة ، طلعت مرزوق عبدالعزيز سعد ، رمضان إبراهيم الأقرع ، ووسيم عبدالعليم عزب ، والشيخ رمضان بخيت.

بإعزاز وتقدير تلقينا رسائلكم وسنعمل بعون الله ـ تعالى ـ على تلبية رغباتكم ما وسعنا الجهد ، وسوف نتناول منها بالعرض أو التعليق ما يتصل بهذا الجانب فى أعداد لاحقة .

من دعاء النبيين

وتلك رسالة فى موضوع الدعاء ، قدَّم فيها صاحبها شرحاً لمفهوم الدعاء وآدابه ، وجمع جانباً من دعاء القرآن الكريم على لسان بعض النبيين عليهم السلام ، ونظراً لضيق المساحة فإننا نقصرها على دعاء النبيين للاسترشاد به :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ سورة البقرة

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[هود : ٥٦]

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[يوسف : ١٠١]

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [ابراهيم : ٤٠]

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة طه

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣]

عبدالعليم الزهرى
خطيب بندر البدارى بأسيوط

البلاء من أنفسنا

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

بهذه الأبيات صدَّرَ القارىء / أحمد زكريا عبدالعزيز .. بكلية أصول الدين بأسيوط .. كلمته عن أهمية الوفاق العربى وخطر النزاعات وحب الذات ، كذلك كتب عما يجرى فى العالم ضد المسلمين من ظلم وفزع وترويع وسفك دماء .

ويرى الكاتب أن المسلمين هانوا على أنفسهم فيما بينهم فهانوا على عدوهم ، وأن التمسك بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهما العلاج الناجع .

اتخاذ موقف

كما يحث الأستاذ / يحيى السيد النجار ـ من دمياط ـ هِمَم المسلمين بعدما تخطت أعدادهم المليار لتكتيل الجهود من أجل اتخاذ موقف حاسم من السهام الموجهة إليهم ، لا سيما بعد أن اتسعت دائرة التحالف الشيطانى ضدهم وضد مقدساتهم ، غير أن هذا الموقف ـ فى تقديره ـ لابد أن يبدأ بالتخلص من كل صور التبعية .

العفو عند المقدرة

لقد تكشف لنا « فتح مكة » بقيادة المصطفى ـ ﷺ ـ عن خاصية « العفو عند المقدرة » فى رسول الله ـ ﷺ ـ إذ أصبحت مقاليد الأمور بيده ، وأصبح أمره ـ فيمن ناصبوه العداء هو وأصحابه ـ نافذاً ، وإذا به ـ ﷺ ـ يسألهم ـ وهو فى موقف القوة : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال لهم : لا أقول لكم إلا كما قال أخى يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ، أو كما قال ﷺ.

وهذه الصفة المحمدية يستهدى بها كل إنسان سوي رزقه الله ـ تعالى ـ منصباً أو جاهاً ، يستطيع من خلاله ـ بإذن الله ـ أن يلحق الضرر بمن سبق لهم أن عادوه أو كادوا له ، فإذا به يقابل السيئة بالحسنة عملًا بهدى المصطفى ﷺ ، والتزاماً بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

سورة فصلت ـ آية : ٢٤

فما أعظم هذا السلوك وما أجمل هذا الخلق « العفو عند المقدرة » ، و « العفو » فى حد ذاته صفة جميلة يحبها الله ـ عز وجل ـ لأنه عفو كريم يحب العفو ، ولكنه يكون أعظم إذا صاحبته المقدرة ، فالإنسان الذى يقدر ويعفو ؛ أعظم من الذى يعفو بغير قدرة ، فهلا تخلقنا بهذا الخلق وطبقناه تطبيقاً عملياً فى أوجه حياتنا ؟!

عماد الدين عبدالمنعم
دار طباعة النقد

من إبداعات القراء

بوســـناه !!

مالى سوى قلبٍ ينـــوح وخاطـــر
أرثى به هذا المصاب الأكبرا
عم الظلام على الذئـــاب فأوسعت
فى الكون بالإذلال قسطـــاً أوفـــرا
وأنين طفل قد تعـــالى فى الـــدجى
أنَّت له الأحجـــــار فى قلب الثرى
لفظائع حلَّتْ عن الوصف الذى
يُنبى عن الخلق الوضيع وقد سرى
يا أمتـــى ضاع السبيـــل فأينـــا
باع الـــزوال وللنـــعيم قد اشتـــرى

دياب قرنى أحمد
مدرس بالفيوم*

* نرجو الشاعر الصاعد بذل المزيد من العناية بأوزان الشعر

ردود وتعليقات

● **القارىء/ أسامة أبو حسيبة محمد ـ أسيوط :**

هذه الأفكار الهدامة مطروحة على الساحة ولكن المسلمين ـ ولله الحمد ـ فى منعة منها ، فهى مجرد أفكار لا صدى لها إلا فى رءوس أصحابها ، وهذه هى سنة الحياة .

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

سورة الرعد ـ آية : ١٧

● **القارىء/ ابراهيم محمد على سيد ـ حقوق القاهرة ـ بنى سويف :**

ليس فى الوسع تزويدكم بمطبوعات إنجليزية عن الإسلام ، ويمكنكم الانتفاع بما تنشره مجلة الأزهر فى قسمها الإنجليزى وما ينشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

● **القارىء/ محمد عبدالرحمن حفناوى ـ مدرس اللغة العربية بالقرين/ شرقية :**

ما أكثر النصوص النقلية ـ فى الكتاب الكريم والسنة النبوية ـ التى تحث على حسن الخلق وأدب التعامل ، ولكن ما تراه من ضعف البعض فى هذا الجانب ـ فإنما يرجع إليهم هم ، ذلك أن تعاليم الإسلام واضحة وثابتة ، ولكن ينشأ الخطأ فى الفهم وعدم التطبيق .

● **القارىء/ أحمد عبده سيد أحمد طرابيه ـ المدرس بفاقوس ـ شرقية :**

● **القارىء/ أنور السادات فتحى ـ من الشيخ المحروس ـ قنا :**

تعلمون أن رسالة الأزهر الشريف تكمن فى نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وتأهيل المسلمين بمشارق الأرض ومغاربها لمواجهة التحديات المستجدة أولا بأول ، وقد لمستم مؤخراً موقفه من « الزى المدرسى » ومن جدول أعمال مؤتمر السكان وغيرهما مما يخالف شريعة الإسلام ومن الختان ، فماذا على الأزهر بعد البلاغ ! ؟

● **الأستاذ/ عبدالوهاب عبدالعزيز سالم.. الموجه الثانوى للغة الإنجليزية بإدارة غرب طنطا :**

تلقينا عتابكم عن اختصار كلمتكم عن « الحج » وكما ترى أنها نشرت متأخرة عن مناسبتها ، فكان لابد عند عرض كلمتكم من اختيار ما يناسب مرحلة ما بعد الحج ، وتقديراً منا لما بذل فيها من جهد ووقت وعلم ، رأينا أن نشر بعضها أولى من تركها كلها .

وفيما يتعلق بطلبنا منك ـ فى هامش كلمتكم المنشورة بعدد المحرم ـ تحديد مصادر الأحاديث التى تستندون إليها ، فليس هذا تحكماً مِنَّا أو تقليلًا من شأن كتابتكم ، إنما هو منهج انتهجته المجلة والتزمت به حرصاً على الإسناد العلمى ، ومن ثم تكررت نداءاتنا : بأن المجلة لا تلتفت إلى الكتابات

الخالية من تخريج الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ، ولعل هذا من أسباب سرعة نفاد المجلة فى الأسواق كما لمستم بأنفسكم ـ على سبيل المثال ـ فى مدينة طنطا .. ونحن نرحب بكم صديقاً للمجلة وفى انتظار مساهماتكم الفكرية .

● **القارىء / السيد على على عمر ـ بلقاس ـ دقهلية :**

● **القارىء / حمد عبدالله السعيد ـ المملكة العربية السعودية :**

ليس فى وسعنا تزويدكم بالأعداد السابقة لنفادها ونشكركم على تحيتكم الرقيقة ، والاشتراك هو خير طريقة لوصول المجلة إليكم بانتظام .

● **القارىء / محمد إبراهيم محمد الدمرداش ـ مجلس مدينة بركة السبع :**

أهداف المضلين وأساليبهم ووسائلهم تحت المجهر ، ولكن كما قال ـ عز وجل ـ فى شأن الذين يفترون الكذب وهم يُدْعَوْن إلى الإسلام .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .

سورة الصف ـ آية : ٨

﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾

● **القارىء / مهندس محمد فتحى نعيم ـ خريج هندسة المنصورة :**

لا ينبغى أن يكون حياء المرأة حائلاً بينها وبين طلب الدين والعلم وقد نسب إلى إحدى زوجات سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها قالت :"رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن فى الدين".

● **القارىء / محروس عبدالفتاح يس ـ حى السلام ـ الإسماعيلية :**

سبق للمجلة نشر العديد من المقالات حول هذا الموضوع وفى انتظار إبداعاتكم .

● **القارىء / عاطف محمود سليم ـ الإسماعيلية :**

يمكنكم إرسال نسخة من هذا الكتاب ، حتى يمكن اتخاذ إجراء حيال الأخطاء الواردة به .

● **القارىء / السيد على ناصر الفقى ـ مديرية التحرير :**

مثل هذا التفسير متاح فى كثير من الصحف كجريدة اللواء الإسلامى على سبيل المثال ، ولدينا البدائل لتحقيق التنوع والإفادة .

● **القارىء : عبدالحميد فتحى ـ المنشية الجديدة بكفر الدوار :**

لا يغرنك اعتراف أعداء الإسلام بفضل الإسلام أولصالح الإسلام ، فإذا كان قد أعجبهم الإسلام حقاً فلماذا لم يسلموا ؟

أنبـــاء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير الخارجية بدولة إيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ عباس ملكى نائب وزير الخارجية الإيرانى والوفد المرافق لسيادته وذلك صباح يوم الإثنين الموافق ١٠/١٠/١٩٩٤ بمكتب فضيلته .

تم خلال اللقاء بحث موضوع التقريب بين المذاهب الفقهية الإسلامية وما تقوم به إيران من دعم فى هذا المجال .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن سعادته للمجهودات التى تتم فى هذا المجال مؤكداً على أن الأزهر قام ويقوم بدوره فى هذا المجال من منطلق إيمانه بضرورة قيام وحدة المسلمين على أساس اتباع المصدرين الأساسيين للتشريع فى الإسلام وهما الكتاب والسنة النبوية المشرفة .

وقد دعا فضيلته إلى ضرورة التخلى عن التعصب المذهبى مؤكداً على ضرورة وجود حد أدنى يوحد ويجمع المسلمين فى مختلف قضاياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ مشيراً إلى أن الهدف من التقريب هو العمل على التقارب بين المسلمين فى فهم المصادر وهذا ما يجب أن تعنى به المجامع الفقهية دعما لوحدة المسلمين .

الإمام الأكبر ووفد المعهد الأرجنتينى العربى

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووفد طلاب المعهد الأرجنتينى العربى وذلك صباح يوم السبت الموافق ٨ / ١٠ / ١٩٩٤ بقاعة الاجتماعات بمكتب فضيلته .

وقد تناول اللقاء أهداف المعهد واحتياجاته فى مجال تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية وبحث دعم سبل التعاون بين الأزهر والمعهد وذلك بايفاد عدد من المدرسين وتزويد المعهد بالمناهج العربية والشرعية التى تساعد المعهد فى إنجاز مهمته .

وقد عرض فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء تعريفاً للرسالات السماوية ووحدة الإنسانية التى أبرزها الإسلام مشيراً إلى أن الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أخوة فى الإنسانية مرجعهم إلى آدم وحواء .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ أدوارد ووكر سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة .

وقد تناول اللقاء تبادل وجهات النظر حول قضايا الإرهاب وتأثيرها على عملية السلام فى الشرق الأوسط ، كما استفسر السيد السفير عن موضوع الختان للبنات (الخفاض) وحقوق الإنسان وخاصة ما أثارته محطة (C.N.N) بإذاعتها لعملية ختان لفتاة صغيرة .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر رأى الأزهر والإسلام نحو الإرهاب والتطرف كما أبان فضيلته موقف الإسلام وشريعته من عملية الختان للأولاد والبنات مشيراً إلى أن الخطأ فى التطبيق لا يعيب القاعدة الشرعية مؤكداً على أن ما صورته محطة (C.N.N) ما هو إلا عملية استفزازية للسخرية من الشعب المصرى ، كما أنها كانت عملية مصطنعة فى وقت انعقاد المؤتمر السكانى الذى عقد فى القاهرة كرد على انتقاد ورقة قدمت للمؤتمر حول هذا الموضوع .

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم بدولة المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد لطيف وزير التعليم بدولة المالديف وبرفقته السيد / ابراهيم رشيد موسى مدير معهد الدراسات الإسلامية هناك .

وقد تناول اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر ودولة المالديف فى مجال التعليم حيث أعرب الضيف عن شكر بلاده حكومة وشعباً لما يقدمه الأزهر من مساعدات وإسهامات فى شتى المجالات لدولة المالديف مشيراً فى الصدد إلى إيفاد المبعوثين من الأزهر لمعاهد المالديف العلمية وتزويدها بالمناهج والكتب الدراسية واستقبال الأزهر للأئمة والدعاة من دولة المالديف فى الدورات التدريبية التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف ، وتخصيص المنح الدراسية لطلبة المالديف للدراسة بمعاهد الأزهر وجامعته .

وقد قدم السيد الوزير فى خلال اللقاء الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة المالديف كما نقل لفضيلته تحيات الرئيس مأمون عبدالقيوم .

وقد حمل فضيلة الضيف رسالة شكر للسيد الرئيس ووعد بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة ممكنة .

الإمام الأكبر يلتقى والأستاذ الدكتور وزير الصحة

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته والأستاذ الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة حيث جرى الحديث حول موضوع خفاض البنات وما يدور حوله من نقاش فى الوقت الراهن وقد نفى الأستاذ الدكتور وزير الصحة أن يكون قد سعى أو فكر فى استصدار تشريع أو قانون فى هذا الشأن .

وتم خلال اللقاء كذلك مدارسة التنظيمات التى أصدرها السيد الدكتور الوزير إلى المستشفيات حتى لا يزاول هذا العمل إلا الأطباء وفى المستشفيات بطريقة طبية مسئولة تتوافر لها كافة الضمانات الصحية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير باكستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد منصور علم سفير باكستان بالقاهرة حاملًا معه تحيات السيدة بينظير بوتو رئيسة الوزراء من إسهامات شتى فى مختلف القضايا الإسلامية ، مشيراً إلى أن السيدة رئيسة الوزراء قد تأثرت تأثراً شديداً لما لاقته من حفاوة وترحيب من فضيلة الإمام الأكبر خلال زيارتها لمصر والأزهر أثناء حضورها لمؤتمر السكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر الماضى .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر فى هذا الصدد بالكلمة التى ألقتها السيدة بنظير بوتو فى هذا المؤتمر حيث كان لها الأثر الكبير إلى جانب كلمة الرئيس حسنى مبارك فى توضيح موقف الإسلام وأخلاقياته ومبادئه أمام الآخرين .

كما تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر وجامعته ودولة باكستان وخاصة فى مجال تخصيص المنح الدراسية وإيفاد الأساتذة والعلماء .

وقد قدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر شيكاً بمبلغ مائة ألف دولار مساهمة من باكستان فى إعمار الجامع الأزهر الشريف .

وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير رسالة شكر وتقدير للسيدة بنظير بوتو على الإسهام الذى قامت به دولة باكستان .

الإمام الأكبر يستقبل وفد ولاية جوهر بماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه وفد ولاية جوهر بماليزيا برئاسة أحمد الحاج عبدالله .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر والولاية فى المجالات الثقافية والدينية والتعليمية ، حيث تقدم الوفد بطلب إنشاء كلية للدراسات الإسلامية وأخرى للشريعة والقانون .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث طلب الوفد ودراسته من خلال الجهات المعنية بالأزهر والعمل على تلبيته فى أقرب فرصة ممكنة .

كما وجه الوفد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ولاية جوهر بماليزيا حيث وعد فضيلته بتلبية الدعوة عندما تتاح الفرصة فى وقت قريب .

الإمام الأكبر يفتتح المجمع الإسلامى بمدينة السلام

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وسفير الكويت بالقاهرة « مجمع البحر الإسلامى » بمدينة السلام بمحافظة القاهرة .

يشتمل المجمع على مسجد ومعهد دينى ومستوصف طبى كامل التجهيزات مقام على مساحة ٥٥٠٠ بتكلفة قدرها (مليون ومائة وتسعون ألف جنيه) تبرع به السيد فهد أحمد البحر .

وقد أدى فضيلة الإمام الأكبر صلاة الجمعة بعد افتتاح المسجد الذى بلغت مساحته ٨٠٠ متر مربع حيث أدى الصلاة مع فضيلته بعض القيادات السياسية والدينية والشعبية بمحافظة القاهرة .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر للنظر فى جدول الأعمال المعروض عليه حيث تمت الموافقة خلال الاجتماع على الموضوعات التالية :ـ

● معادلة درجة الماجستير فى الآداب تخصص اللغة الأردية من الجامعة الإسلامية بدلهى بالهند بدرجة الماجستير فى الآداب التى تمنحها جامعة الأزهر فى التخصص المناظر .

● معادلة درجة دكتوراه الفلسفة فى العلوم التطبيقية (هندسة مدنية) من كلية العلوم التطبيقية بجامعة لوفان الكاثوليكية ببلجيكا بدرجة دكتوراه الفلسفة فى الهندسة المدنية « أشغال عامة » التى تمنحها جامعة الأزهر .

● معادلة درجة دكتوراه الفلسفة فى الأقربازين من جامعة المسيسيبى بأمريكا بدرجة الدكتوراه التى تمنحها جامعة الأزهر فى التخصص المناظر .

● إنشاء مركز المنتجات الزراعية وبحوثها بفرع جامعة الأزهر بأسيوط واعتماد مشروع اللائحة الداخلية المفترح له .

افتتاح أكبر مجمع لمعاهد الفتيات الأزهرية بمدينة السادات

بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر توجه وفد على أعلى مستوى من علماء الأزهر الشريف ضم فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ السيد عبدالمقصود عسكر المدير العام للدعوة والوعظ والإعلام بالأزهر إلى مدينة السادات لافتتاح أكبر مجمع لمعاهد الفتيات بالأزهر يضم مختلف المراحل التعليمية المختلفة حيث بدأت الدراسة به العام الدراسى الحالى ٩٤ / ١٩٩٥ وقد قوبل الوفد بحفاوة كبيرة حيث كان على رأس المستقبلين فضيلة الشيخ هلال سلمان مدير منطقة المنوفية الأزهرية وشيوخ المعاهد الأزهرية بالمنطقة ولفيف من أولياء الأمور والعلماء والعاملين .

برقية تهنئة من فضيلة الإمام الأكبر للرئيس مبارك بمناسبة أعياد أكتوبر

بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة ذكرى أعياد أكتوبر المجيدة أكد فيها فضيلته على أن انتصار السادس من أكتوبر الذى كان السيد الرئيس فى مقدمة أبطاله ذكرى مجيدة مجددة للآمال موجهة إلى الانتماء والإخلاص لمصر .

وقد بعث الرئيس حسنى مبارك ببرقية شكر لفضيلة الإمام الأكبر جاء فيها : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يطيب لى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الكريمة بذكرى انتصارات السادس من أكتوبر المجيدة وما تضمنته من مشاعر نبيلة نعتز بها ، داعياً الله تعالى أن يوفق جهودنا لما فيه خير مصرنا العزيزة مع أطيب تمنياتى لكم بالصحة والسعادة . محمد حسنى مبارك

La conséquence fut la corruption entière de cette société où se répendait la décadence et les liens familiaux se rompirent. Dorénavant les enfants n'acceptent aucune direction du père et de la mère dès qu'ils atteignent l'âge de l'adolescence. Il n'y a plus de tendresse filiale envers le père et la mère qui commencent à vieillir et à devenir incapables de travailler ou de gagner leur vie. Par conséquent, les orphelinats sont devenus plus nombreux, ainsi que ce qu'on appelle maintenant les maisons de retraite pour le 3ème âge. Les orphelinats et les asiles de vieillards devraient être réservés à ceux qui n'ont point de parents ou pas d'enfants. Quant aux parents qui ont élevé des enfants, ils sont supposés être soignés par ces derniers auxquels ils doivent apporter assistance.

Or, la situation actuelle, avec l'augmentation du nombre d'orphelinats et d'asiles de vieillards, reflète l'image de cette situation horrible dans les sociétés occidentales, que certains essayent d'imiter, alors que nous avons le saint Coran entre nos mains et où Allah (gloire à Lui) dit dans les versets 23 et 24 de la sourate "Al Israâ": "Ton Seigneur a décrété que vous n'adorerez que Lui et que vous traiterez avec bienveillance vos parents. Si l'un d'eux ou tous deux atteignent la vieillesse, ne leur dis pas "ouf" et ne leur réponds pas brutalement, et tiens-leur un langage généreux".

Enfin, autour de la cause des femmes et des congrès nombreux qui la concernent, on peut affirmer que le sujet n'a aucun rapport avec la politique, ni avec la liberté personnelle de la femme, ni avec la contribution qu'elle apporte à la production. Toutes ces pseudo raisons ne sont en fait qu'un brouillard pour cacher les vraies intentions de pousser la femme musulmane à imiter la femme occidentale. Or, ces droits de la femme ont déjà été reconnus par l'Islam depuis plusieurs siècles, en vue de la sortir, ainsi que l'homme, des ténèbres de l'obscurantisme.

Par : Laïla El Chafeï.

Nous ne dépassons pas la vérité si nous disons qu'elle n'avait le droit de vie que par l'intermédiaire de la volonte de l'homme. A sa naissance, la femme se trouve devant l'un de deux choix: ou bien on la laisse vivre, ou bien on creuse une fosse pour l'y jeter vivante et la couvrir de terre; dans les deux cas elle est soumise à la volonté de l'homme. Devant la periode préislamique, l'homme pouvait empêcher la femme de se marier, c'est ce qu'on appelait «العَضْل» (c'est à dire le fait de poser un problème insurmontable à quelqu'un, ou de la rendre impuissante). L'Islam, à son arrivée, interdit tout cela et donna à la femme le droit de vivre et le droit d'agir exactement comme l'homme. Les sociétés anciennes rendaient la femme dépendante de son père ou de son tuteur, avant son mariage, d'ailleurs ses agaissements se font à travers lui: c'est lui qui lui vend, qui lui loue, qui possède pour elle et qui lui met en gage, cela veut dire qu'elle n'est jamais libre d'agir selon sa propre volonté tant qu'elle dépend de son tuteur. Si jamais elle est à la charge de son mari, ces droits, à leur tour, sont transmis au mari sans que cette femme n'aie le droit d'agir que selon des lois particulières. Si ces lois et ces principes ont stipulé que la personne chargée de la femme, que ce soit un père, un mari ou une autre personne, peut lui offrir ou lui interdire le droit de vie, raison de plus pour qu'il ait le droit de disposer de la femme durant sa vie. Il pouvait alors la vendre pour toucher son prise afin de se permettre quelque luxe. Donc la femme, pendant cette période préislamique, était juste une marchandise sans dignité, sans valeur et sans la moindre liberté d'agir.

Les sociétés occidentales, que quelques-uns essayent d'imiter, arrachent, dès son mariage, la femme à son lignage pour la subordonner à la famille de son mari dont elle porte le nom, alors que ce dernier n'a pas été à l'origine de son existence. Les sociétés occidentales ont privé la femme du droit de divorce, même si son mari la maltraite beaucoup. Sur ce, quoiqu'elle vive l'époque de la civilisation très développée, la femme est devenue prisonnière de son mari, incapable de se soustraire à sa cruauté ni à sa violence: aucun tribunal ne lui reconnaît ce droit et aucune église ne le lui octroie. Or, c'est parce que cela est contre la nature humaine que quelques sociétés occidentales ont voulu se défaire de la contrainte de l'interdiction du divorce, l'ont permis pour la femme s'inspirant en cela de l'Islam.

De telles contraintes qui ont enchaîné la femme, dans la période préislamique, et dont on voit de semblables dans les sociétés occidentales, telles que les civilisations grecque et romaine, interdisent à la femme d'agir à propos de n'importe quoi. Même la France, qu'on nomme maintenant "la mère de la liberté", du 17ème siècle, dans l'article 217 de la loi et dans la charte mise en application actuellement, dit que si la femme se marie, elle ne peut disposer d'aucune de ses possessions, même si elle exige cette condition dans le contrat de mariage, car c'est une condition inacceptable par le contrat chez eux, parce que seul le mari a le droit de disposer des biens de sa femme. L'incompétence de la femme, reconnue par son père ou son tuteur avant son mariage, devenait, après le mariage, un droit de son mari! Cette injustice commise à l'égard de la femme, est considérée par les sociologues comme un héritage de la pensée littéraire et philosophique, d'ailleurs quand quelques philosophes et intellectuels, comme Socrate et Platon, ont voulu donner à la femme quelques droits naturels, tout le monde s'est révolté contre eux et ils ont soulevé la colère de tous. Quelques résidus de ces situations existent encore dans les sociétés occidentales. Quand ces sociétés ont voulu rompre ces chaînes et se révolter contre cette situation, elles sont tombées dans la débauche: elles ont donné libre cours au libertinage de l'homme et de la femme sons le moindre contrôle.

De ce qui précède, on peut déduire que celui qui veut faire de l'homme et de la femme de simples individus d'une même race sans les diviser en espèces, est une personne qui s'élève contre la nature qui est la création d'Allah.

Allah (gloire à Lui) est la justice même. Quand il a créé des caractéristiques communes à l'homme et à la femme, et d'autres concernant chacun des deux sexes séparément, il leur a donné en commun la dignité humaine qui vient en premier lieu, et par leur nature même. Pour ce qui est de la dignité humaine, Allah (gloire à Lui) a rendu la femme responsable de la procréation et lui a réservé, tout comme l'homme, une rétribution pour ses actes: la récompense pour ses bonnes actions et le châtiment pour les mauvaises.

En outres Allah (gloire à Lui) les a rendus semblables par ce qu'on nomme la nature de leur création ou, en d'autres terme, l'origine de leur création; ce qui veut dire qu'Allah (gloire à Lui) n'a pas créé l'homme d'une substance particulière et la femme d'une autre, mais qu'il les a créés à partir d'une même essence. Il n'y a donc aucune distinction, dans la nature de leur constitution, entre l'homme et la femme. Allah (gloire à Lui) insiste sur ce sens aux début de la sourate "Al Nisâa": (Ô vous les humains, craignez votre seigneur qui vous a créés à partir d'une seule et même essence, et qui en a créé son épouse (sa partenaire). A partir de ces deux il fit naître une multitude d'hommes et de femmes).

Or, puisque la matière dont ils sont créés est commune, il faut que la dignité se réalise pour chacun des deux sur un même pied d'égalité. Ce sont les bonnes actions qui distinguent la dignité de l'un d'eux deux sur l'autre. Allah (gloire à Lui) dit dans le verset (97) de la sourate "El Nahl": (Quiconque a fait une bonne action - qu'il soit homme au femme -tout en étant croyant, nous lui assurerons une vie agréable).

L'action ici ne veut pas dire seulement la prière ou l'acte de dévotion, mais aussi tout effort que l'être humain déploie aussi bien dans le domaine du culte que dans celui de la production en vue d'une amélioration de la vie.

La femme est donc semblable à l'homme, elle a droit à sa dignité humaine; elle a ses responsabilités et sera rétribuée pour ses actions. Allah (gloire à Lui) dit dans le verset 94 de la sourate "Al Anbiaâ" (les Prophètes): (celui qui fait des oeuvres de bien, tout en étant croyant, ses efforts ne seront point reniés et Nous lui écrirons Sa rétribution). Cela veut dire que comme l'homme trouvera une rétribution pour ses actes, la femme, également, est responsable des siens, fixés pour elle par Allah, et elle en est rétribuée.

L'Islam donne à la femme un avantage que n'offraient pas les législations antérieures à l'Islam, ni les lois humaines.

L'Islam a pris en considération les droits civils de la femme et il les lui a assurés.

Les droits civils, ce sont les agissements de la femme par lesquels on entend: la vente, l'achat, la possession, la donation; la location, la mise en page, etc... Elle a donc le droit de disposer de ce qu'elle possède comme elle veut, que cette propriété lui revienne par le gain, l'héritage ou le don.

Pour bien comprendre le sens de ce qui précède, on doit étudier l'état de la femme avant l'Islam, lorsqu'elle était, le plus souvent, empêchée de s'exprimer ou de se défendre; elle était même privée de tout droit de possession et de tout héritage.

Tout ce qui précède n'est pas un rabaissement de la valeur de la femme, ni un amoindrissement de son importance. Ceci montre qu'Allah (gloire à Lui) a distingué la femme par certaines qualités qui n'appartiennent pas à l'homme, et il a doué l'homme d'autres qualités qui lui appartiennent à l'exclusion de la femme. Toutefois, l'homme et la femme sont des êtres complémentaires et aucun d'entre eux ne peut subvenir tout seul aux besoins de la vie avec toutes ses exigences et ses nécessités.

On a vu la femme, dans plusieurs pays, chargée des fonctions publiques: celle de ministre, de président de la République; mais les responsabilités de telles fonctions l'a-t-elle privée entièrement de ses fonctions premières qui sont la maternité, l'amour maternel et l'attirance envers les enfants? La réponse est certainement négative. Il suffit d'observer deux ministres dont l'un est un homme et l'autre une femme; si, par coïncidence, un enfant vient à eux en riant, en pleurant, ou en s'amusant, il suffit de regarder attentivement la réaction de chacun d'entre eux, bien sûr dans la limite du "protocole" qui régit leurs actes.

Dès le premier coup d'oeil, on trouve que la femme ministre brise les règles du protocole: elle sourit à l'enfant et lui fait bon accueil, elle peut même le prendre dans ses bras, le serrer contre son coeur, appuyer sa tête contre son épaule, avec une tendresse toute maternelle. On a même vu, dans un certain pays, une femme premier ministre en visite officielle dans un autre pays, porter son enfant dans ses bras et le serrer contre son coeur, tout à fait comme on voit les mères porter leurs enfants!

La femme peut faire un bon ministre, une bonne directrice; mais aussitôt que ses sentiments maternels entrent en jeu, elle oublie aussitôt toute réussite. Cela ne veut pas dire que la femme est inapte à se charger des fonctions publiques, sauf dans certaines limites. C'est pour cette raison qu'on voit la mère qui travaille jouir de congés dont l'homme ne jouit pas: elle a droit à un congé entièrement payé pour se préparer à l'accouchement et pour accoucher. Les congés deviennent des vacances qui durent parfois si longtemps que son poste a souvent besoin d'un remplaçant. La maternité donc est le premier rôle de la femme dans la vie, quel que soit le métier qu'elle fait. Les congrès, ayant pour thème la femme, et mettant l'accent sur ses rêves, ses espoirs, sont l'image de sa façon de vivre dans plusieurs pays non islamiques. Ce sont des congrès auxquels manquent la perspicacité et l'étude, car il faut que, durant ces congrès, la recherche soit générale et complète. Car la recherche incomplète est diminuée par l'exclusion de l'Islam et de la situation qu'il a réservée à la femme.

L'Islam n'envisage pas la femme séparément de l'homme, ni l'inverse; mais il les envisage tous deux ensemble comme deux êtres ayant un but commun en vue de la prospérité de la vie et de son épanouissement.

L'homme et la femme sont créés à partir d'une seule race, divisée en deux espèces; chacun d'entre eux (l'homme et la femme) est une espèce de la race générale. Or, puisque la race les englobe tous deux, c'est qu'ils ont des caractéristiques communes qui les qualifient sans aucune distinction. Si la race se divise en deux espèces, c'est à dire en homme et femme, c'est qu'il y a un domaine pour l'homme et un autre pour la femme. Si le domaine était le même, Allah (gloire à Lui) aurait créé une seule race, mais quand Allah a divisé la race en deux espèces, il signalait par là que si la race les unit par certaines caractéristiques communes, l'espèce les distingue par leurs caractéristiques, leur raison d'être et leurs exigences.

"L'être humain désigne à la fois l'homme et la femme".

* Allah - gloire à lui-a créé l'homme et la femme de la même substance; dès lors il n'existe aucune distinction entre la nature de l'homme et celle de la femme !!
* L'être humain désigne à la fois l'homme et la femme *

Comme il aurait été plus juste que les congrès visent avant tout à étudier la situation de la femme en Islam ainsi que les droits dont elle jouit après avoir été longtemps traîtée comme un être inférieur. Les sociétés qui organisent ces congrès recherchent dans l'Islam un moyen correct d'assurer la stabilité dans la vie commune de l'homme et de la femme. Car c'est à partir de là que la société se stabilise, se redresse et commence à progresser !!

Par exemple, quand la possibilité d'atteindre le poste de "Omdah" (chef du village) fut accessible à la femme, on entendit aussitôt quelques femmes revendiquer ce poste.

Pourtant, la société paysanne, dans nos villages et dans tous les villages, continue à préférer que le maire soit un homme et non une femme, tout en acceptant le fait que la femme soit directrice d'école, responsable d'un jardin d'enfants, ou qu'elle occupe les fonctions de médecin ou d'infirmière dans un hôpital.

Toutes ces fonctions, acceptables pour la femme, sont spécifiques et se limitent à un petit nombre de personnes qu'elles ont sous leur surveillance. Quant au poste de "Omdah", c'est une fonction publique exigeant des qualités particulières que la personnalité de la femme ne satisfait pas.

Si hier, je n'ai pas accepté votre demande, c'est que je ne désirais point en avoir la charge. Mais vous n'avez pas voulu de mon refus; et vous avez maintenu votre désir de me voir à la tête de votre nation. Sachez alors que vous m'avez confié les clés de l'Etat et de vos liens: je ne toucherai pas un seul dirham de plus pour mon propre profit! Si vous acceptez ma politique, je maintiens mon élection, sinon cherchez quelqu'un d'autre que moi!". Alors les gens s'écrièrent tous: "nous acceptons".

Ali dit: "Seigneur, sois témoins de cela". Après son élection Ali dit: "Ceux qui m'ont élû et m'ont prêté serment d'allégeance, sont les mêmes que ceux qui auparavant avaient élu Abou Bakr, Omar et Othman! Or, ceux qui étaient absents sont aussi concernés: ils doivent savoir qu'ils n'ont pas le droit de rejeter ce qui a été conclu, car le comité consultatif des premiers musulmans étaient présent et tout homme désigné par eux à l'unanimité est agréé par Allah". Durant les 5 ans et 9 mois - la durée de son califat - il aura la lourde charge de maintenir les musulmans unis.

Dès son accession au califat, Ali Ibn Abou Talib prit la décision de destituer certains gouverneurs pour répondre à l'attente des musulmans. Cependant certains des compagnons lui avaient conseillé de ne pas toucher aux personnes que le défunt calife Othman avait désignées, avant d'avoir bien consolider son autorité et de l'avoir raffermie par l'adhésion des musulmans de toutes les provinces musulmanes: il pourrait alors destituer qui il voudrait. Mais Ali s'appuyait sur le fait qu'il ne pouvait pas être un hypocrite, ni avoir la conscience tranquille à l'égard d'Allah avant d'avoir mis à exécution ce qu'il éprouvait au fond du coeur, et qu'il jugeait meilleur pour la communauté musulmane.

L'obstacle majeur qu'allait rencontrer le calife Ali, et qui allait être la cause de tous les problèmes des musulmans, venait de Mouâwiya Ibn Abou Soufyân, le gouverneur d'Al Châm (Syrie et Liban). Ce dernier réussi à consolider son autorité sur cette région durant tous les califats de Omar et de Othman. Il avait formé un état presque indépendant, c'est pourquoi il refusa la destitution et s'opposa à l'autorité du calife. Mais pourquoi Mouâwiya refuse-t-il d'obéir au nouveau calife? Il était affecté par la mort de Othman - son cousin - et il exigeait que le calife Ali poursuive les assassins de Othman et qu'il se venge d'eux. Plusieurs s'étaient rangés du côté de Mouâwiya, si bien que la région d'Al Châm devint un essaim de conspirateurs contre Ali. Il faut noter que le refus de Mouâwiya de reconnaître le calife légitime était une position illégale et que Ali tenta par tous les moyens d'éviter la confrontation en acceptant les pourparlers auxquels aspiraient les gens pieux présents dans les deux camps. Cependant cela n'aboutissait à rien, car chacun voulait rester sur sa position. Alors, partant du principe de la nécessité d'unifier les musulmans, Ali engagea une guerre contre Mouâwiya, et pour être proche des différentes provinces musulmanes, il déplaça la capitale califale à Koufa (en Iraq). Le but principal du quatrième calife fut de sauvegarder l'unité de la communauté musulmane, il tint tête à ceux qui cherchaient à diviser la communauté et à morceler les terres d'Islam et cela lui coûtera sa vie.

(à suivre)

Ali Ibn Abou Talib. Qu'Allah soit satisfait de lui et qu'il honore sa face.

par Hoda Hussein Chaâraoui.

L'ELECTION DU CALIFE ALI :

Après l'assassinat du troisième calife Othman Ibn Affan, Médine la capitale de la communauté musulmane connut une grande anarchie. Les conspirateurs qui étaient derrière la crise, continuaient à semer la zizanie entre les musulmans. Certains d'entre eux se trouvaient encore à Médine, alors que d'autres étaient à la Mecque ou dans les principales contrées musulmanes.

Il était donc d'une urgence vitale pour rétablir l'unité de l'Etat de désigner dans les plus brefs délais un nouveau calife et il était normal que cela se passe à Médine, là où se trouvait le comité consultatif composé des célèbres compagnons du Prophète (b.s.). Al Tabari a rapporté que lorsque le calife Othman Ibn Affan fut assassiné, Ali ne se trouvait pas à Médine. Il a rapporté également qu'à son retour Ali fut horrifié par la nouvelle et qu'il se retira tout de suite chez lui. Les compagnons du Prophète - qu'Allah soit satisfait d'eux allèrent le trouver et lui dirent que les gens avaient besoin d'un imam, et qu'ils ne voyaient parmi eux personne qui soit plus apte que lui à gouverner les musulmans; en effet Ali faisait partie des premiers convertis à l'Islam et il était considéré comme l'un des proches du messager d'Allah (b.s.). Ali leur demanda de le laisser tranquille, et leur dit qu'il préférait être un conseiller du futur calife plutôt que de gouverner l'Etat.

Mais ils insistèrent et refusèrent de sortir de chez lui, avant de lui prêter l'acte d'allégeance. Ali ne voulait pas que son élection soit secrète, ni que les musulmans la désapprouvent; il se rendit donc à la mosquée et tous les musulmans lui firent acte d'allégeance. Le vendredi 25 du mois de Dhoul-Hiddja en l'an 35 de l'Hégire, à la suite de la cérémonie publique d'allégeance, le quatrième calife Ali Ibn Abou Talib monta sur le mimbar et prononça son premier discours.

Son premier discours reflète sa sagesse et sa clairvoyance et les grandes lignes de sa politique intérieure après avoir loué Allah il dit: "Telle a été votre décision: vous avez décidé de m'élire et c'est effectivement votre droit de choisir librement celui qui doit diriger votre nation.

REVUE AL AZHAR

Vol. 67 Part VI

Jumada Al-Akhar, 1415 Higrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

As we know the ethical values of a society are best measured by its care for the weak. However, this was not the case in the nomadic viewpoint and was clearly seen when it came to the female affairs. Women, being the weak sex, were not allowed to own any kind of propirty she did not even have the right to chose her partner in marriage, nor could she demand any rights from her husband. Furthermore, women were considered a burden in wars, as they were not only unable to share with men as combating knights but also needed men for their protection men who had to stay behind instead of jouning as fighters in the battle field.

These shortcomings which dominated the society reached its climax by the unhuman custom of killing female infants during this age. the killing of infants was often committed as a kind of sacrifice presented to the gods.

This shameful picture of the pagen society was followed by wonderful feats which, the researcher and every Muslim should be proud of. What the prophet Muhammad did for women will always remain a "monument to the ethical structure".

One of the prophet's main tasks was to protect women from the heathen custom of burrying her alive in infancy. Condemning the Arab for this savage practice the Qur'an states ·

قال تعالى : وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ سورة التكوير

. This means "what if, the infant female that was burried alive was asked, for what crime had she been slain?". This barbaric conduct, as described by the researcher, was combated and stamped out by Islam. Promoting women's lives, however, was not the only thing she needed but she also needed to be economically and socially secured. Islam has therefore given her rights as well as duties. The right of owning property, similar to man, was given to women independent of father, husband and children. Islam went even one step forward by not allowing the property or the possession of the married women, through marriage, become automatically her hubsand's. In this respect the women is a partner in a contract with her husband who under the terms and prerequisites of that contract should be able to maintain and look after his wife and children without touching her property, unless she herself volunteers to contribute to the family expenditure.

In conclusion, the husband has neither the right nor the authority to force his wife to spend any money if she doesn't want to. The status of women within the context of Islamic laws rose then remarkably. This economic independent status of women was an important foundation of her social dignity no wonder then that many of the early followers of the prophet were women as well as slaves as they were the ones most severely humiliated and persecuted in the early days before Islam was revealed to the phrophet Muhammad these two classes of people found in the Islamic civilized concepts the answer to questions that remained unanswered fore epoches.

Islam in foreign media

Part II

by: Magdi A. Bashire

After reviewing religious and social order, the researcher tackled in some detail Islam's care for the weak especially. Women and slaves. He assured that the Arabs who inhabited the central part of the peninsula together with their nomadic neighbours in the north treated women with a scant respect because they were the fruit of a heartless and savage social order. To have a daughter, in their uncivilized thought, was a catastrophy. The Qur'an recorded that in verses, quoted by the researcher from "Muhammad Asad":

قال تعالى : وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ سورة النحل

It means "when ever any of them is given the glad tidings of the birth of a girl, his face darkens and he is filled with suppressed anger. He also avoids seeing people because of the alledged evils of the glad tidings he had received. and, debates with in himself, whether he can keep this child despite the contempt he feels for her? or shall he bury her in the dust? evil indeed is their judgement".

the Federal Republic of Germany in the early eighties. Following the termination of the project, its findings and results were released in eight volumes. Then, the scope of the project was extended to include textbooks in various European Countries in Austria, Belgium, France, England, Italy, Denmark, Ireland, Finland, Greece, Portugal, Spain, Switzerland, Holland, Sweden, Norway and Luxemburg.

This comprehensive study had its repercussions in various mass medias, authers and publishers of European textbooks. Several educational authorities in European countries have taken our study results into consideration. This, thus, demonstrates the effectiveness of using scientific methods in correcting misinformation and stereotypical ideas. The European way of thinking is based on reason and logic and cannot accept otherwise. Muslims should be able to understand that whatever happens in their relationship with the West may not be due to animosity and hatred. They should, rather learn to amend their stance. They should also realise that Islam cannot be served except by expounding its principles in an objective not a subjective or emotional way. Ultimately they can get involved in fruitful dialogues with non-Muslims.

It is worth mentioning that the Islamic scientific Academy, in carrying out its project has been supported by Al Azhar Al Sharif. It has relied in its work on basic Islamic references regardless of doctrinal and sectarian differences. Sheikh Gad Al Haq Ali Gad Al Haq, Grand Sheikh of Al Azhar has approved and greatly supported the method adopted by the Academy.

logy", which when applied enabled his followers to lead an organized and peaceful life. This ideology helped the Prophet - himself-(MPBUH) to become a leader. (It was not so much a matter of real religion and its principles, but rather a matter of an ideology as they claim).

The best way to achieve this goal was through money, power and Allah. The belief in an All Powerful and Wise Allah with total submission to His will secured money and power. Such a goal was fulfilled by sacrifice of the self and the money. Such sacrifice is considered the best expression of unconditional submission to Allah's will; whether such submission emanated from fear of punishment or from a desire to win eternal happiness in the Eternal Abode of Heaven.

The concept of Jihad — or the so called sacred war — has a special signifiance in textbooks because it is the meass wherebey Islam — can speedily spread. This accounts for the view that Islam and Muslim are always the strong and powerful competitors of European culture.

The authors of those books claim that the bad status of women is Islam is an evidence to the fierceness and tyranny in Islamic societies. They consider "al-huduud" (penalties laid down by Allah in Islamic "Shariah" i.e.

Islamic laws and regulations the apparent proof of the injustice prevailing the Islamic world. They provide examples of Muslims' actions in the past and present, whether inside and outside the Islamic world, to prove that violence exists in Islam. Eventually these misconceptions and others are firmly established in the minds of European pupils. Western mass media undertake daily the job to deepen these ideas in the hearts of the people all this further complicates the stance of Islam and Muslims in the west.

CORRECTING MISTAKES

The nagging question which poses itself is: if European textbooks include numerous misinformation about Islam and Muslims, how can such negative attitudes be corrected.

Undoubtedly, the mere denouncement of such misconception would not suffice in this case. Such erroneous misconception cannot be corrected except by providing strongly convincing evidence based on sound logic. Therefore, in order to be able, as Muslims, to communicate with Westeners, we have to use a reasonable, scientific and civilized language. This is the method adopted by the Islamic scientific Academy in cologne, Gemmany. The Academy has launched a project for scientific correction of the information included in textbooks about Islam and Muslims. It has songht the aid several Western experts who believed in the project and regarded it as a cultural duty.

The project started initially with an examination and analysis of the textbooks in

ISLAM IN WEST EUROPEAN TEXT BOOKS PART II

By Prof. Abdel Gawwad Fallatouri
Translated by Dalal El Gemei MA

Starting with the erroneous and biased belief — mentioned in the article previously issued — which indicates that the relationship between Allah, the Almighty and man is delemined by coeraon and control of God, on the one hand and fear and submission of man on the other hand. Starting with this belief, the idea that crops to the mind in that the Holy Quran is the method and programme that describes this relationship and the Prophet (MPBUH) is the authoritative figure implementing this programme on earth. However, those biased authers of European textbooks do not stab the Holy Quran and the Prophet (MPBUH) directly as their ancestors used to do in the past.

The following is another example presented in the textbook illustrating the relationship between Allah and Man. The example demonstrates the authors' erroneous and biased conception of this relationship.

Here is an extract from a book on religious education.

> "God's will is written down in the Holy Book of the Muslims, that is, the Holy Quran."

Another book states that this means that

> "On the basis of the Holy Quran an obedient and true Muslim is the one who accepts everything even "tawa kuliyah" (complete dependence on Allah coupled with passivity in luring)."

Accordingly, the Holy Quran is an instrument whereby the Prophet forces his followers to submit to Allah's will; either by warning them of torture in hell or promising them rapture and Allah's grace in paradise with other obedient Muslims. Statements like these do not merely express the bad intentions of the authors of these books, but they also reveal their concern to show that the instructions of the Prophet as worldwide incentive factor constitute an imminent threat to the westem world; in particularly, as regards the duty of the Prophet which he was determined to carry ont through the Holy Quran.

Therefore, those authors lay special focus on describing the different stages of the Prophet Mohammad's (MPBUH) life as a man full of vitality. Thus showing that the difficult conditions of his childhood, the experiences he gained through his youth and the effect of his surrounding enviroment has encouraged him to establish an "ideo-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 67 Part VI
Jumada Al-Akhar 1415 Hijrah,
EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY, PHD

CONTENTS

Islam in West European Text Books
Part II
Translated by : Delal El Gemei MA
Islam In foreign media
Part II
by : Magdi A. Bashire

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● الإفتتاحية
ألف باء علم الحديث
فضيلة الدكتور/ على أحمد الخطيب ٧٢١

● مع الإمام الأكبر
سماحة الإسلام فى القرآن ٧٢٤
القبض فى الصلاة أرجح ولاحرج فى السدل ٧٢٨

● مع سورة المجادلة
د/ عبدالجليل شلبى ٧٣٥

● قبس من أنوار النبوة
سبيل النجاة
فضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٧٣٩

● من قضايا الأحوال الشخصية :
حكم للمحكمة الدستورية العليا ٧٤٢
الزواج بأخرى ٧٥٠

● الأثر الحضارى للهجرات فى شرق افريقيا
بقلم الأستاذ / عادل خفاجة ٧٦٠

● ملاحظات حول الصياغة الانجليزية
للأستاذ/ محمد محمد عتريس ٧٦٤

● ضوابط الحرب والسلم فى الإسلام
ا . د/ سعاد ابراهيم صالح ٧٦٦

● الإسلام ووسائل الإعلام الغربية
للسيدة/ عبير محمد عبدالواحد ٧٧٠

● العلماء وشذوذ العبقرية
للشيخ عبدالحفيظ فرغلى ٧٧٣

● الفتاوى
إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ٧٧٩

● من اعلام الازهر فضيلة الإمام الأكبر عبدالرحمن تاج
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ... ٧٨١

● والدى .. على الغاياتى
السيدة/ هدى الغاياتى ٧٨٧

● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٩١

● من روائع الماضى
إلى أين ؟ للشيخ/محمد أبو المكارم
إعداد الأستاذ/ عبدالفتاح الزيات ٧٩٣

● العلوم الكونية
القمر أقرب الجيران إلى الأرض
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٧٩٨

● الآثار الإسلامية فى يوغسلافيا
للأستاذ/ خالد محمد عزب ٨٠٢

● البنسلين وعلاقته بالحمى الروماتيزمية
د/ جيهان أحمد مصطفى ٨٠٨

● تقنية الحاسوب فى خدمة علوم الشريعة
الأستاذ/ نبيل صلاح العربى ٨١٠

● الجديد فى العلم والتقنية
د/ نجوى السيد احمد ٨١٨

● اللغة والنقد والأدب

● رد من مؤلفى كتاب تطبيق الشريعة ٨٢٢

● الأزهر والمراصفة والأدب
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ٨٢٩

● عرض كتاب الفكر السيكلوجى المعاصر
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ٨٣٤

● بين المجلة والقارىء
دكتور/ محمد عبدالحكيم محمد ٨٣٨

● أنباء وآراء

● انباء مكتب الإمام الأكبر للأستاذين
عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد ٨٤٦

● القسم الفرنسى ٨٥٧

● القسم الانجليزى ٨٦٣

● الفهرس ٨٦٤